

﴿ فهرست الجزء الرابع من تفسير القرآن العظيم للإمام علي بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صحيفة	صحيفة
وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات	٢ (تفسير سورة يس عايمه الصلاة والسلام)
في الدنيا رجاء ثواب الآخرة	٤ ذكر قصة بعث سيدنا عيسى عليه الصلاة
١٣٨ ذكروا القصة في ذلك (أي قوله تعالى واذصر فنا	والسلام الرسل إلى أهل انطاكية
اليك نفر من الجن الخ)	١٥ (تفسير سورة الصفات)
١٤٢ (تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم)	٢٣ ذكر الإشارة إلى قصة الذبح
١٤٣ فصل في حكم الآيه (يعني قوله تعالى فاذا القيم	٢٦ ذكر الإشارة إلى قصة بعث الله تعالى سيدنا
الذين كفروا فضرب الرقاب الخ)	الياس عليه الصلاة والسلام نبيا إلى بني
١٥٣ (تفسير سورة الفتح)	اسرائيل
١٦٢ ذكروا غزوة خيبر	٣١ ﴿ تفسير سورة ص ﴾
١٦٥ ذكروا صلح الحديبية	٣٨ فصل في تزبيده داود عليه الصلاة والسلام عمالا
١٧٤ فصل في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه	يليق به الخ
وسلم	فصل اختلاف العلماء في سجدة ص
١٧٥ (تفسير سورة الحجرات)	٤٩ فصل في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم
١٨٠ فصل في حكم قتال البغاة	أتاني ربي في أحسن صورة الخ
١٨٦ (تفسير سورة ق)	٥١ (تفسير سورة الزمر)
١٩٠ فصل في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم	٦٣ فصل في ذكر أحاديث تتعلق بقوله تعالى قل
لانزال جهنم بلقي فيها وتقول هل من مزيد الخ	يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الخ
١٩٣ (تفسير سورة الداريات)	٦٩ (تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر)
١٩٤ فصل هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه	٨٠ فصل في ذكر الدجال
مذهبان معروفان الخ (وهو قوله صلى الله	٨٥ (تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة
عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا الخ	وسورة المصاييح)
١٩٩ (تفسير سورة الطور)	٩٣ فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة
٢٠٤ (تفسير سورة النجم)	٩٦ (تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة
٢٠٧ فصل من كلام الشيخ محيي الدين النواوي في	الشورى)
معنى قوله تعالى ولقد آتينا نوحا آية أخرى وهل رأى	١٠٢ فصل في ذكر التوبة وحكمها
النبى صلى الله عليه وسلم ربه عرو وجل ليلة	١٠٨ (تفسير سورة الزخرف)
الأسراء	١١٩ (تفسير سورة الدخان)
٢١١ فصل في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن	١٢٣ ذكر قصة تبع على ما ذكره ابن اسحق الخ
الصغيرة	١٢٥ (تفسير سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة)
٢١٦ (تفسير سورة القمر)	١٣٠ (تفسير سورة الاحقاف)
٢٢١ فصل في سبب نزول الآيه (أي قوله تعالى انا	١٥٣ فصل لما أوحى الله تعالى للكافر بن بالتمتع
كل شيء خلقناه بقدر) وما ورد في القدر وما قيل	بالطيبات آثر النبي صلى الله عليه وسلم
فيه	

صحيفة	صحيفة
٣٢٤ (تفسير سورة الحاقة)	٢٢٣ (تفسير سورة الرحمن علا وعز وجل)
٣٣٠ (تفسير سورة سأل سائل وتسمى المعارج)	٢٣١ (تفسير سورة الواقعة)
٣٣٤ (تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام)	٢٤٢ (تفسير سورة الحديد)
٣٣٨ (تفسير سورة الجن)	٢٥٢ (تفسير سورة المجادلة)
فصل اختلاف الرواة هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجن الخ	٢٥٣ فصل في أحكام الظهار وفيه مسائل
٣٤٤ (تفسير سورة المزمل عليه الصلاة والسلام)	٢٥٤ فصل في أحكام الكفارة وما يتعلق بالظهار وفيه مسائل
٣٤٥ فصل عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٦٢ (تفسير سورة الحشر)
٣٥٠ (تفسير سورة المدثر عليه الصلاة والسلام)	٢٧٣ (تفسير سورة الممتحنة)
٣٥٧ (تفسير سورة القيامة)	٢٨٠ (تفسير سورة الصف)
٣٦٠ فصل في اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة	٢٨٣ (تفسير سورة الجمعة)
٣٦٢ (تفسير سورة هل أتى وتسمى سورة الانسان أيضا)	٢٨٦ فصل في فضل الجمعة وأحكامها وأثم تاركها
٣٦٨ (تفسير سورة المرسلات)	٢٨٩ ذكر الأحاديث الواردة بالدالة على هذه الأحكام أي أحكام الجمعة والخطبة
٣٧١ (تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل)	٢٩٠ (تفسير سورة المنافقين)
٣٧٥ (تفسير سورة النازعات)	٢٩٢ ذكر القصة في سبب نزول هذه الآية (أي قوله تعالى سوا عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم الخ)
٣٧٩ (تفسير سورة عبس)	٢٩٤ (تفسير سورة التغابن)
٣٨١ (تفسير سورة التكويم)	٢٩٧ (تفسير سورة الطلاق)
٣٨٤ (تفسير سورة الانفطار)	٢٩٨ فصل اعلم ان الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة الخ
٣٨٥ (تفسير سورة المطففين)	٣٠١ فصل في حكم قوله تعالى أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم
٣٨٩ (تفسير سورة الانشقاق)	٣٠٣ (تفسير سورة التحريم)
٣٩١ (تفسير سورة البروج)	٣٠٥ فصل اختلاف العلماء في لفظ التحريم الخ
٣٩٥ (تفسير سورة الطارق)	٣٠٨ فصل وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور الخ
٣٩٩ (تفسير سورة الغاشية)	٣١٠ (تفسير سورة الملك)
٤٠١ (تفسير سورة الفجر)	٣١٤ (تفسير سورة ن)
٤٠٧ (تفسير سورة البلد)	٣١٦ فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٠٩ (تفسير سورة الشمس)	٣٢١ فصل في شرح ألفاظ حديث رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة
٤١١ (تفسير سورة الليل)	
٤١٣ (تفسير سورة الضحى)	
٤١٧ (تفسير سورة ألم نشرح)	

صحيفة	صحيفة
٤٤١ (تفسير سورة فريش)	٤١٩ (تفسير سورة التين)
٤٤٢ (تفسير سورة المسعون)	٤٢٠ (تفسير سورة العلق)
٤٤٥ فصل في شرح هذه الاحاديث وذ كر ما يتعلق بالحوض	٤٢١ فصل في هذا الحديث (أى حديث أول ما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة الخ) دليل صحيح صريح على ان سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن الخ
٤٤٨ (تفسير سورة قل يا أيها الكافرون)	٤٢٣ (تفسير سورة القدر)
٤٤٩ (تفسير سورة النصر)	٤٢٤ فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها ذ كر الاحاديث الواردة في ليلة القدر
٤٥٥ (تفسير سورة أبي لهب)	٤٢٥ ذ كر ليال مشتركة
٤٥٦ (تفسير سورة الاخلاص)	٤٢٧ (تفسير سورة لم يكن وتسمى سورة البينة)
فصل في فضلها	٤٢٩ (تفسير سورة الزلزلة)
٤٥٩ (تفسير سورة الفلق)	٤٣١ (تفسير سورة العاديات)
٤٦٠ فصل وقيل الشروع في التفسير ند كر معنى الحديث وما قيل فيه (وهو قول عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه أنه يصنع الشيء ولم يصنعه الخ) وما قيل في السحر وما قيل في الرقى	٤٣٢ (تفسير سورة القارعة)
٤٦٠ فصل وقد أنكر بعض المتدعة حديث عائشة المتفق عليه الخ	٤٣٣ (تفسير سورة التكاثر)
٤٦٢ (تفسير سورة الناس)	٤٣٤ (تفسير سورة العصر)
	٤٣٥ (تفسير سورة الهمزة)
	٤٣٧ (تفسير سورة الفيل)

الجزء الرابع

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني  
التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم  
الامة ناصر الشريعة ومحبي السنة علاء  
الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي  
الصوفي المعروف بالخازن  
تعمده الله برحمته  
آمين

وقد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق  
التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود  
النسفي عليه سعائب الرحمة والرضوان

(طبع بمطبعة)

دار الكتب العلمية

على نفقة اصحابها

مصطفى الباني الحلبي وأخويه بكري وعيسى

(بمصر)

سورة يس مكية وهي ثلاث وعشرون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يس) عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا انسان في لغة طي وعن ابن الحنفية يا محمد وفي الحديث ان الله تعالى سماني في القرآن بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وقيل ياسيد يس بالامالة على وحزة وخلف وحاد ويحيى (والقرآن) قسم و (الحكيم) ذى الحكمة أولانه دليل ناطق بالحكمة أولانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (انك لمن المرسلين) جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا لست مرسلنا (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين أى الذين أرسلوا (٢) على صراط مستقيم أى طريقة مستقيمة وهو الاسلام (تنزيل) بنصب

اللام شامى وكوفي غير أى  
بكر على اقرأ تنزيل أو  
على انه مصدر أى نزل  
تنزيل وغيرهم بالرفع على  
انه خبر مبتدأ محذوف أى  
هو تنزيل والمصدر بمعنى  
المفعول (العزيز) الغالب  
بفصاحة نظم كتابه أو هام  
ذوى العناد (الرحيم)  
الجاذب باطلافة معنى خطابه  
افهام أولى الرشاد واللام فى  
(لتنذر قوما) متصل بمعنى  
المرسلين أى أرسلت لتنذر  
قوما (ما نذرا بأبؤهم) مانافية  
عند الجهور أى قوما غير  
منذرا بأهم على الوصف  
بدليل قوله لتنذر قوما  
ما نأهم من نذير من قبلك  
وما أرسلنا اليهم قبلك من  
نذير أو موصولة منصوبة على  
المفعول الثانى أى العذاب  
الذى أنذره أبؤهم كقوله انا  
أنذرتكم عذابا قريبا  
أو مصدرية أى لتنذر  
قوما أنذار أبؤهم أى مثل  
أنذار أبؤهم (فهم غافلون)  
ان جعلت مانافية فهو

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سورة يس عليه الصلاة والسلام مكية﴾

وهي ثلاث وعشرون آية وسبع مائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراتها قراءة القرآن عشر مرات أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفي اسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على موتاكم يس أخرجه أبو داود وغيره

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يس) قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طي يعنى محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ياسيد البشر وقيل هو اسم للقرآن (والقرآن الحكيم) أى ذى الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه (انك لمن المرسلين) أى أقسم بالقرآن ان محمد صلى الله عليه وسلم لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلنا (على صراط مستقيم) معناه وانك على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة (تنزيل العزيز الرحيم) أى القرآن تنزيل العزيز فى ملكه الرحيم بخلقهم (لتنذر قوما ما نذرا بأبؤهم) يعنى لم تنذر أبؤهم لان فر يشالم بأبؤهم نبى قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما نذرا بأبؤهم من العذاب (فهم غافلون) أى عمال برادبهم من الايمان والرشد (لقد حق القول) أى وجب العذاب (على أكثرهم فهم لا يؤمنون) فيه إشارة الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لمسبق لهم من التنذر بذلك قوله عز وجل (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) نزلت فى أبى جهل وصاحبيه الخزوميين وذلك أن أباجهل حلف لئن رأى محمد صلى الله عليه وسلم يصلى لبرضخن رأسه

بالحجارة

متعلق بالنبي أى لم ينذر وأفهم غافلون والافهم متعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول

أرسلتكم الى فلان لتنذره فانه غافل أو فهو غافل (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) يعنى قوله لا ملان جهنم من الجنة والناس أجمعين أى تعاقبهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم عن علم أنهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل الى ارجعوا أنهم بان جعلهم كالغلولين المقمحين فى انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعترفون أعناقهم نحوه ولا يبطؤون رؤسهم وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدمهم ولا ما خلفهم فى ان لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعمون عن النظر فى آيات الله بقوله (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) فى

الى الاذقان) معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزومة اليها (فهم مقمحون) مرفوعة رؤسهم يقال قح البعير فهو قاح اذا روى فرفع رأسه وهذه الان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه بطأ طئي رأسه فلا يزال مقمحا (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين حمزة وعلى وحفص وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خالق الله كالجيل ونحوه فبالضم (فاغشيناهم) فاغشينا (٣) أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها

غشاوة (فهم لا يبصرون) بالحجارة فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعلم الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يبرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخاطر بذنبه لو دونت منه لا كئني فأنزله الله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا لا يقدرون على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الايمان بموانع بفعل الاغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصف في الحقيقة وهي ما سينزله الله عز وجل بهم في النار (فهمي) يعني الايدي (الى الاذقان) جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لان الغل يجمع اليه الى العنق (فهم مقمحون) أي رافعوا رؤسهم مع غض البصر وقيل أراد أن الاغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعوا الرؤس برفع الاغلال لها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالضروب أمامه وخلفه بالاسد وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (فاغشيناهم) أي فاعميناهم (فهم لا يبصرون) يعني سبيل الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) يعني من برد الله اضلاله لم ينفعه الانذار (انما تنذر من اتبع الذكرك) يعني انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه (وخشى الرحمن بالغيب) أي خافه في السر والعلن (فبشره بمغفرة) أي لذنوبه (وأجر كريم) يعني الجنة قوله تعالى (انما نحن نحيي الموتى) أي للبعث (ونكتب ما قدموا) أي من الاعمال من خير وشر (وأثارهم) أي ونكتب ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة (م) عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وقيل نكتب خطاهم الى المسجد عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انما نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم نكتب فلم ينتقلوا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (خ) عن أنس رضي الله عنه قال أراد بنو سلمة أن يسهولوا الى قرب المسجد ففكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال يا بني سلمة ألا تحسبون آثاركم فاقاموا قوله تعرى يعني نخلي فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالي الذي لا يستره شيء (م) عن جابر قال حلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغني انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال بني سلمة دياركم نكتب آثاركم فقالوا ما يسرنا اذا انحولنا قوله بني سلمة أي يا بني سلمة وقوله دياركم أي الزموادياركم (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم

بالحجارة فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعلم الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يبرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخاطر بذنبه لو دونت منه لا كئني فأنزله الله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا لا يقدرون على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الايمان بموانع بفعل الاغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصف في الحقيقة وهي ما سينزله الله عز وجل بهم في النار (فهمي) يعني الايدي (الى الاذقان) جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لان الغل يجمع اليه الى العنق (فهم مقمحون) أي رافعوا رؤسهم مع غض البصر وقيل أراد أن الاغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعوا الرؤس برفع الاغلال لها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالضروب أمامه وخلفه بالاسد وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (فاغشيناهم) أي فاعميناهم (فهم لا يبصرون) يعني سبيل الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) يعني من برد الله اضلاله لم ينفعه الانذار (انما تنذر من اتبع الذكرك) يعني انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه (وخشى الرحمن بالغيب) أي خافه في السر والعلن (فبشره بمغفرة) أي لذنوبه (وأجر كريم) يعني الجنة قوله تعالى (انما نحن نحيي الموتى) أي للبعث (ونكتب ما قدموا) أي من الاعمال من خير وشر (وأثارهم) أي ونكتب ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة (م) عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وقيل نكتب خطاهم الى المسجد عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية انما نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آثاركم نكتب فلم ينتقلوا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (خ) عن أنس رضي الله عنه قال أراد بنو سلمة أن يسهولوا الى قرب المسجد ففكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال يا بني سلمة ألا تحسبون آثاركم فاقاموا قوله تعرى يعني نخلي فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالي الذي لا يستره شيء (م) عن جابر قال حلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغني انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال بني سلمة دياركم نكتب آثاركم فقالوا ما يسرنا اذا انحولنا قوله بني سلمة أي يا بني سلمة وقوله دياركم أي الزموادياركم (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم

بأنذارك من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) وخاف عقاب الله ولم يره (فبشره بمغفرة) وهي الغفوة عن ذنوبه (وأجر كريم) أي الجنة (انما نحن نحيي الموتى) نبعثهم بعد مماتهم أو نخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب ما قدموا) ما أسلفوا من الاعمال الصالحات وغيرها (وأثارهم) ما هلكوا عنه من أثر حسن كعمل علموه أو كتاب صنعوه أو حيس حبسوه أو باطأ ومسجد صنعوه أو سبي كوظيفة وظفها لبعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى يبا انسان يؤمن ثم بما قدم وأخبره وقيل هي

فابعدهم عشي والذي ينتظر الصلاة حتى يصاها مع الامام اعظم اجرامن الذي صلى تم بنام ﴿ قوله عز وجل  
( وكل شيء احصيناه ) اى حفظناه وعددناه وابتناه ( في امام ميين ) يعنى اللوح المحفوظ ﴿ قوله عز وجل  
( واضرب لهم مثلا ) اى صف لهم شها مثل حالهم من قصة ( اصحاب القرية ) يعنى انطاكية ( اذ جاءها  
المرسلون ) يعنى رسل عيسى عليه الصلاة والسلام

### ( ذكر القصة في ذلك )

قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رسولين من الخوار بين الى اهل انطاكية فلما  
قر بان المدينة رأيا شيخي رعى غيبيات له وهو حبيب التجار صاحب يس فسلما عليه فقل الشيخ  
لمما من اتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن  
فقال الشيخ لمما معكما آية قالانم نشفي المريض ونبرئ الاكه والابرص باذن الله قال الشيخ ان لى ابنا  
مريضامنذسنين قالافانطلق بنا نطلع على حاله فاقى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله تعالى  
صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفي الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه  
انطليخس وكان من ملوك الروم فانهى خبرهما اليه فدعا بهما وقال من اتما قالارسلوا عيسى عليه الصلاة  
والسلام قال وفيم جتيا قالان دعوك من عبادة ما لا اسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا الله  
دون اهتنا قالانم الذي اوجدك واهلكك قال لهما قوم احتي انظر في امر كما فتبعهما الناس فاخذوهما  
وضربوهما وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرجلين الى انطاكية فانيها فلم يصل الى ملكها  
وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبر اذ ذكر الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فقيسا وجلد كل  
واحد منهما مائتي جلدة فلما كذا بواضرب بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الخوار بين شمعون الصفار  
على اثرهما ليصبرهما فدخل شمعون البلد متنكرا جعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى  
الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضى عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني انك حبست رجلين في السجن  
وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلنهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان  
رأى الملك دعاهما حتى تطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قال الله الذي  
خاق كل شيء وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه وأجزا قال انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال  
شمعون وما آتيتكما قالاماتمتناه فامر الملك حتى جازا بفلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجهة فجاز الا  
يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذ ابندقتين من طين فوضعاهما في حدقيه فصارا امقتلين ببصر  
بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولاهلك  
فقال له الملك ليس لي عنك سر مكتوم فان الهنا الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع وكان شمعون  
يدخل مع الملك على الصنم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا أنه على ما منهم فقال للملك للرسولين ان قدر الهكما الذي  
تعبدانه على احياء ميت آمنابه وبكما قالالهنا قادر على كل شيء فقال الملك ان ههنا ميتا قدمت منذسبعة  
أيام ابن دهقان وأنا آخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا جازا بالبيت وقد تغبر وأروح فجعل لا يدعوان  
ربهما علانية وشمعون يدعور به سرا فقام الميت وقال انى ميت منذسبعة أيام ووجدت مشركا فدخلت  
في سبعة اودية من النار وأنا احدثركم ما تم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شايا  
حسن الوجه يشفع ل هؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار بيده الى صاحبيه  
فجذب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد أثر في الملك أخبره بالحال ودعاها من الملك وآمن معه قوم  
وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة

خطاهم الى الجمعة أو الى  
الجماعة ( وكل شيء  
أحصيناه ) عددها  
و بيناه ( في امام ميين )  
يعنى اللوح المحفوظ لانه  
أصل الكتب ومقتداها  
( واضرب لهم مثلا اصحاب  
القرية ) ومثل لهم من  
قولهم عندي من هذا  
الضرب كذا أى من هذا  
المثال وهذه الاشياء على  
ضرب واحد أى على مثال  
واحد والمعنى واضرب لهم  
مثلا مثل اصحاب القرية أى  
انطاكية أى اذ كر لهم  
قصة مجيبة قصة اصحاب  
القرية والمثل الثاني بيان  
للاول واتصاف ( اذ ) بانه  
بدل من اصحاب القرية  
( جاءها المرسلون ) رسل  
عيسى عليه السلام الى  
اهلها بعثهم دعاة الى الحق  
وكانوا عبدة اوثان

(اذ) بدل من اذ الاولى (أرسلنا اليهم) أي أرسل عيسى بامرنا (اثنتين) صادقاً وصدوقاً فلما قرأ من المدينة رأياً بشيخا برعي غنيمات له وهو حبيب النجار فسأل عن حاله ما فقال نحن رسول الله عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال معكم آية فقال لا نشفي المر يرض ونبري الاكته والابرص وكان له ابن مريض مدة سنتين فسجاه فقام فأمن حميب وفتنا الخبر فنتقي على أيديهم ما خافي كثير فدعاهما الملك وقال لهما ألتنا السوي ألتنا قالانم من أوجدك وألتك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حسام ثم بعث عيسى شمعون فدخل متسكراً وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأمن به فقال له ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت قوطما قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قال الله الذي خافي كل شيء ورزق كل حي وليس له شريك فقال صفاه وأوجز أقالا بفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما يتكما قال لا ما يتني الملك فدعا بغلام أكنه فدعوا الله فابصر الغلام فقال له شمعون أ رأيت لو سألت الهلك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال الملك ليس لي عنك سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضرب ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنابه فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال اني أدخلت في سبعة أودية من النار لما مت عليه من الشرك وأنا أذكركم ما أتم فيه فأمنوا قال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لوطلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذا ان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد أثر فيه نصحه فأمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم (٥) جبريل فهلكوا (فكذبوهما) فكذب

أصحاب القرية الرسولين  
(فعرزنا) فقوينا  
فعرزنا أبو بكر من عزه  
يعززه اذا غلبه أي فعلنا  
وقهرنا (بثالث) وهو  
شمعون وترك ذكر  
المفعول به لان المراد ذكر  
المعزز به وهو شمعون وما  
لطف فيه من التدبير حتى  
عز الحق وذل الباطل واذا  
كان الكلام منصبا الى  
غرض من الاعراض  
جعل سياقه له وتوجهه اليه  
كأن ماسواه مفروض  
فقالوا انا اليكم مرسلون  
أي قال الثلاثة لاهل القرية

لجاء يسى اليهم يذكروهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (اذ أرسلنا اليهم اثنتين فكذبوهما)  
قال وهب اسمهما يحنوا بولس وقال كعب صادق وصدوق (فعرزنا بثالث) أي قوينا رسول ثالث وهو  
شمعون وقيل شلوم وانما أضاف الله تعالى الارسال اليه لان عيسى عليه الصلاة والسلام انما بعثهم باذن الله  
عز وجل (فقالوا) يعني الرسل جميعا لاهل انطاكية (انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن  
من شيء) أي لم يرسل رسولا (ان أنتم الا تكذبون) أي فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم انا اليكم مرسلون) أي  
وان كذبتمونا (وما علينا الا البلاغ المبين) أي بالآيات الدالة على صدقنا (قالوا انا تطيرنا بكم) أي نشاء منا  
منكم وذلك لان المطر حس عنهم فقالوا أصابنا ذلك بشؤمكم (لئن لم تنتهوا) أي تسكتوا عنا (لنرجنكم) أي  
لنقتلنكم وقيل بالجارة (وليسنكم منا عذاب اليم قالوا طائر كم معكم) أي شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم  
بمعنى أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخبر والنشر (أن ذكرتم) معناه اظهيرتم لان  
ذكرتم ووعظتم (بل أنتم قوم مسرفون) أي في ضلالكم وشرككم متادون في عيكم قوله عز وجل (وجاء  
من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان  
سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المسجد وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه  
فاذا أمسى قسمه نصفين نصفاليعاله ويتصدق بنصفه فلما بلغه أن قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم  
(قال يا قوم اتبعوا المرسلين) وقيل كان في غار يعبد به فلما بلغه خبر الرسل أنهاهم وأظهر دينه وقال لهم

(قالوا) أي أصحاب القرية (ما أنتم الا بشر مثلنا) رفع بشر هنا وصب في قوله ما هذا بشر الاتقاض الذي بالالف يبق لما شبه بليس وهو  
الموجب لعمله (وما أنزل الرحمن من شيء) أي وحيا (ان أنتم الا تكذبون) ما أنتم الا كذبة (قالوا ربنا يعلم انا اليكم مرسلون) أي كذا الثاني  
باللام دون الاول لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار فيحتاج الى زيادة تأكيد وربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك  
قولهم شهد الله وعلم الله (وما علينا الا البلاغ المبين) أي التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته (قالوا انا تطيرنا بكم) نشاء منا بكم  
وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمينوا بكل شيء مالوا اليه وقيلته طباعهم ونشاءوا بما نفروا عنه وكرهوه  
فان أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا أو بركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك (لئن لم تنتهوا) عن مقاتلكم هذه (لنرجنكم) لنقتلنكم  
أو لنطر دنكم أو لنشتنكم (وليسنكم منا عذاب اليم) وليصينكم عذاب النار وهو أشد عذاب (قالوا طائر كم معكم) أي سبب شؤمكم (معكم) وهو  
الكفر (أن) بهمة الاستفهام وحرف الشرط كوفي وشامي (ذكرتم) وعظمت ودعيتكم الى الاسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم  
أين بهمة مسودة بعد هاء مكسورة أبو عمرو وأين همزة مقصورة بعد هاء مكسورة مكى ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد (بل أنتم قوم  
مسرفون) مجاوزون الحد في العصيان فمن أنكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله ونذيرهم وبل أنتم مسرفون في ضلالكم وغيبكم  
حيث نشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان في غار من الجبل يعبد الله فلما  
بلغه خبر الرسل أنهاهم وأظهر دينه وقال أتسألون علي ما جئتم به أجبوا قالوا لا (قال يا قوم اتبعوا المرسلين)



اتبعوا من لا يستلکم اجرا على تبليغ الرسالة (وهم مهتدون) أي الرسل فقالوا أو أنت على دين هؤلاء فقال (ومالي لأعبد الذي فطرني) خلقتني (واليه ترجعون) واليه مرجعكم ومالي حزة (أأخذن) بهمز تين كوفي من (دونه آلهة) يعني الاصنام (ان يردن الرحمن بضر) شرط جوابه (لاتن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقدون) من مكروه ولا ينقروني فاسمعوني في الحالين يعقوب (اني اذا اتخذت (اني ضلال مبين) ظاهر بين ولما نصح قومه أخذوا يرجونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم (اني آمنت بربكم فاسمعون) أي اسمعوا إيماني لتشهدوا لي به ولما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وقبره في سوق انطاكية ولم يقل قيل له لان الكلام سيق ليبيان المقول لالبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه (٦) دلالة ان الجنة مخلوقة وقال الحسن لما أراد الترم أن يقتلوه رفعه الله اليه وهو في الجنة

أتسالون على هذا اجرا قالوا لا قبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين (اتبعوا من لا يستلکم اجرا وهم مهتدون) أي لا تخشرون معهم شيئا من دنياكم وترجون صحته دينكم فيحصل لكم خيرا الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا له أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن باللهم فقال (ومالي لأعبد الذي فطرني واليه ترجعون) قيل أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكانت عليه اظهر والرجوع فيه معنى الرجوع فكان بهم أليق وقيل معناه وای شئ لي اذا لم اعبد خالق أو اليه تردون عند البعث فيجز بكم باعمالكم (أأخذن دنونه آلهة) أي لا تأخذن دنونه آلهة (ان يردن الرحمن بضر) أي بسوء ومكروه (لاتن عنى) أي لا تدفع عنى (شفاعتهم شيئا) أي لا شفاعة لها فتغني عنى (ولا ينقدون) أي من ذلك المكروه وقيل من العذاب (اني اذا اتى ضلال مبين) أي خطأ ظاهر (اني آمنت بربكم فاسمعون) أي فاشهدوا لي بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود در وطوهار جهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى أهلكوه وقبره بانطاكية فمالق الله تعالى (قيل) له (ادخل الجنة) فلما أفضى الى الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) ثم أي أن يعلم قومه ان الله تعالى غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل غضب الله عز وجل له فجعل لهم العقوبة فامر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فانواع آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) يعني الملائكة (وما كنا منزلين) أي ما كنا لنفعل هذا بل الامر في اهلاكم كان أيسر مما تظنون ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (ان كانت الاصيحة واحدة) قال المفسرون أخذ جبريل بعضا في باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) أي ميتون (يا حسرة على العباد) يعني يا لها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة أن يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على أنفسهم لما عاينوا من العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فقتلوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالى يا حسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) قوله تعالى (الم يروا) أي ألم يخبروا وخطاب لاهل مكة (كم أهلكتنا قبلهم من القرون) أي من الامم الخالية من أهل كل عصر سمو بذلك لاقتراهم في الوجود (انهم اليهم لا يرجعون) أي لا يعودون الى الدنيا فلا يعتبرون بهم (وان كل لما جيع لدينا محضرون) يعني ان جميع الامم محضرون

ولا يموت الا بقاء السموات والارض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي) أي بغفرة ربي أو بالذي غفر لي (وجعلني من المكرمين) بالجنة (وما أنزلنا) ما نافية (على قومه) قوم حبيب (من بعده) أي من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لتعذيبهم (وما كنا منزلين) وما كان يصح في حكمنا أن تنزل في اهلاكم قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك (ان كانت) الاخذة أو العقوبة (الا صيحة واحدة) صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) ميتون كتحمد النار والمعنى أن الله كفي أمرهم بصيحة

ملك ولم ينزل لاهلاكم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر واخذنق (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) الحسرة شدة الندم وهذا انداء للحسرة عليهم كما تم اقبل لها تعالى يا حسرة فهذه من أحوالك التي حثك أن تحضري فيها وهي حال استهزأهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلطف على حالهم المتلهفون أو وهم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين (الم يروا) ألم يعلموا (كم أهلكتنا قبلهم من القرون) كم نصب باهلكنا وروا معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للاخبار لان أصلها الاستفهام الآن معناه نافذ في الجملة وقوله (انهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكتنا على المعنى لاعلى اللفظ فقدره ألم يروا كثرة اهلاكم القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم (وان كل لما جيع لدينا محضرون) لما بالتشديد شامخي وعاصم وحزة بمعنى الاوان نافية وغيرهم بالتخفيف على ان ماصلة لنا كيد وان مخففة من التيقية وهي مثناة باللام لا محالة

والثوبين في كل عوض من المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب أو معدون وانما أخبر عن كل بجمع لان  
 كما يفيد معنى الاحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعني ان المحشر بجمعهم (وآية لهم) مبتدأ وخبر أي وعلامة تدل على ان الله  
 بعث الموقى باحياء الارض الميتة ويجوز ان يرتفع آية بالابتداء وولم صفها وخبرها (الارض الميتة) اليابسة والتشد يد مدني (أحييناها)  
 بالمطر وهو استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز ان توصف الارض واللبل بالفعل لانه أرأيدهم اجناسان مطلقان  
 لأرض وليل باعيانها مفعول المعاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه \* ولقد أمر على اللثم يسبني \* (وأخرجنا منها حبا) أريد  
 به الجنس (فنهياً كاون) قدم الظرف ليدل على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا  
 قل جاء القمح ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء (وجعلنا فيها) في الارض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وبجرنا فيها  
 من العيون) من زائدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ما يتفنون (V) به (لياً كلوا من ثمره) والضمير  
 لله تعالى أي ليا كلوا وما

يوم القيامة (وآية لهم) يعني تد لهم على كمال قدرتنا على احياء الموقى (الارض الميتة أحييناها) أي بالمطر  
 (وأخرجنا منها) أي من الارض (حبا) يعني الحنطة والشعير وما أشبههما (فنهياً كاون) أي من الحب  
 (وجعلنا فيها) أي في الارض (جنات) أي بساتين (من نخيل وأعناب وبجرنا فيها من العيون ليا كلوا من  
 ثمره) أي من الثمر الحاصل بالمال (وما عملته أيدهم) أي من الزرع والغرس الذي تعبوا فيه وقرئ عملت بغير  
 هاء وقيل ما للثقي والمعنى ولم تعمله أيدهم وليس من صنعهم بل وجدوها معمولة وقيل أراد العيون والانهار  
 التي لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة (أفلا يشكرون) أي نعمة الله تعالى (سبحان الذي خلق  
 الأزواج كلها) يعني الاصناف كلها (مما تبت الارض) أي من الاشجار والثمار والحبوب (ومن أنفسهم)  
 أي الذكر والانثى (ومما لا يعلمون) يعني مما خلق الله تعالى من الاشياء في البر والبحر من الدواب قوله  
 عز وجل (وآية لهم) يعني تد لهم على قدرتنا (الليل نسلخ) أي نزرع ونكشط (منه النهار فاذا هم مظالمون)  
 أي فاذا هم في الظلمة وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل  
 فنظهر الظلمة (والشمس تجري لمستقر لها) أي الى مستقر لها قبيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام  
 الساعة وقيل تسير في منازلها حتى تنتهي الى مستقرها الذي لا يتجاوز ثم ترجع الى أول منازلها وهو أنها  
 تسير حتى تنتهي الى أبعاد مغار بهم ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في  
 الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وقرأ ابن مسعود والشمس تجري لامستقر لها أي لا قرار لها ولا وقوف  
 فهي جارية أبداً الى يوم القيامة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر قال سألت النبي صلى  
 الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفي رواية قال النبي صلى الله  
 عليه وسلم لا يذرحين غربت الشمس أتدري أين تذهب الشمس قال الله ورسوله أعلم قال انها تذهب حتى  
 تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها وبوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها  
 ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز

المدكور وهو الجنات كما قال رؤبة فيها خطوط من بياض وبقا كانه في الجلد توليع البق فقيمه له فقال أردت كان ذلك وما عملت كوفي غير  
 حفص وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وقيل مانافية على ان الثمر خلق الله ولم  
 تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه (أفلا يشكرون) استنبط عوحت على شكر النعمة (سبحان الذي خلق الأزواج) الاصناف  
 (كاهما تبت الارض) من النخيل والشجر والزرع والتمر (ومن أنفسهم) الاولاد ذكوراً واناثاً (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم  
 الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها في الاودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نخرج منه النهار اخرج الابق  
 معه شيء من ضوء النهار وتترع عنه الضوء نزع القميص الابيض فيعري نفس الزمان كشخص زنجي أسود لان أصل ما بين السماء والارض  
 من الهواء الظلمة فاكثى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فاذا غاب السراج أظلم (فاذا هم مظالمون) داخلون في الظلام (والشمس  
 تجري) وآية لهم الشمس تجري (لمستقر لها) لحد لها مؤقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في آخر السنة شبه مستقر المسافر اذا قطع مسيره أو  
 لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب ولا انتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا

المدكور وهو الجنات كما قال رؤبة فيها خطوط من بياض وبقا كانه في الجلد توليع البق فقيمه له فقال أردت كان ذلك وما عملت كوفي غير  
 حفص وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وقيل مانافية على ان الثمر خلق الله ولم  
 تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه (أفلا يشكرون) استنبط عوحت على شكر النعمة (سبحان الذي خلق الأزواج) الاصناف  
 (كاهما تبت الارض) من النخيل والشجر والزرع والتمر (ومن أنفسهم) الاولاد ذكوراً واناثاً (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم  
 الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها في الاودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نخرج منه النهار اخرج الابق  
 معه شيء من ضوء النهار وتترع عنه الضوء نزع القميص الابيض فيعري نفس الزمان كشخص زنجي أسود لان أصل ما بين السماء والارض  
 من الهواء الظلمة فاكثى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فاذا غاب السراج أظلم (فاذا هم مظالمون) داخلون في الظلام (والشمس  
 تجري) وآية لهم الشمس تجري (لمستقر لها) لحد لها مؤقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في آخر السنة شبه مستقر المسافر اذا قطع مسيره أو  
 لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب ولا انتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا

(ذلك) الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) بكل معلوم (والقمر) نصب  
 بفعل يغمره (قدرناه) وبالرفع مكى ونافع وأبو عمر ووسهل على الابتداء والخبر قدرناه وعلى آية لهم القمر (منازل) وهي ثمانية وعشرون  
 منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستوي سير فيها من ليلة المسهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر  
 ليلتين أو ليلة اذا انقضى الشهر ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل أى قدرنا نوره فيزد وينقص أو  
 قدرنا سيره منازل فيكون ظر فاذا كان في آخر منازل ذوق واستقوس (حتى عاد كالرجون) هو عود الشمر اخ اذا يبس واعوج ووزنه  
 فعلون من الانعراج وهو الانعطاف (٨) (القديم) العتيق المحول واذا قدم دق وانحى واصفر فشبه القمر به من ثلاثة أوجه

(لا الشمس ينبغي لها) أى  
 لا يتسهل لها ولا يصح  
 ولا يستقيم (أن تدرك  
 القمر) فتجتمع معه في  
 وقت واحد وتداخله في  
 سلطانه فقطمس نوره لان  
 لكل واحد من النيران  
 سلطانا على حياله فسلطان  
 الشمس بالنهار وسلطان  
 القمر بالليل (ولا الليل  
 سابق النهار) ولا يسبق  
 الليل النهار أى آية الليل  
 آية النهار وهما النيران  
 ولا يزال الامر على هذا  
 الترتيب الى أن تقوم القيامة  
 فيجمع الله بين الشمس  
 والقمر وتطلع الشمس من  
 مغربها (وكل التنوير فيه  
 عوض من المضاف اليه أى  
 وكاهم والضمير للشمس  
 والاقار (في فلك يسبحون)  
 يسبحون (وآية لهم اننا  
 حملنا ذريتهم) ذريتهم  
 مدنى وشامى (في الفلك  
 المشحون) أى المماوء

العليم أخرجه في الصحيحين قال الشيخ محي الدين النورى اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث  
 قال الواحدى فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى أن تطلع وقيل تجرى الى  
 وقت لها أصل لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وأما وجود الشمس فهو تمييز  
 وادراك يخلفه الله تعالى فيها والله أعلم (ذلك) أى الذى ذكر من جرى الشمس على ذلك التقدير والحساب  
 الذى بكل النظر عن استخراجها وتخصير الافهام عن استنباطه (تقدير العزيز) أى الغالب بقدرته على كل  
 شئ مقدور (العليم) أى المحيط علما بكل شئ قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) أى قدرنا له منازل وهي  
 ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه يسير فيها من ليلة المسهل الى الثامنة والعشرين ثم  
 يستتر ليلتين أو ليلة اذا انقضى فاذا كان في آخر منازل رقت وتقوس فذلك قوله تعالى (حتى عاد كالرجون  
 القديم) وهو العود الذى عليه شمع العنق الى منبته من النخلة والقديم الذى أى عليه الحول فاذا قدم  
 عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهائه الى آخر منزله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك  
 القمر) أى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى (ولا  
 الليل سابق النهار) أى هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجرى أحدهما قبل وقتة وقيل لا يدخل أحدهما فى  
 سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وأدرك أحدهما صاحبه  
 قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر فى فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار  
 فاصل (وكل فى فلك يسبحون) أى والشمس والقمر فى فلك يسبحون قوله عز وجل (وآية لهم اننا حملنا  
 ذريتهم) يعنى أولادهم (في الفلك المشحون) أى المملوء (وخلقناهم من مثله) أى مثل الفلك (مايركبون)  
 أى من الابل وهي سفائن البر وقيل أراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ومعنى الآية ان  
 الله عز وجل حمل آباءهم الاقدمين فى أصلاب الدين كانوا فى السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس  
 بل نطفة تركب السفين وقد \* أجم نسرا وأهله الفرق

وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه أبلغ فى الامتنان عليهم وأبلغ فى التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون قوله  
 من مثله أى من مثل ذلك الفلك مايركبون أى من السفن والزوارق فى الانهار والكبار والصغار (وان نشأ  
 نغرقهم فلا صر يحطهم) أى لا مغيث لهم (ولا هم ينقدون) أى ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد  
 ينقذهم من عندنا (الارحة منا ومتاعا الى حين) أى الا أن يرجهم الله ويمتعهم الى انقضاء آجالهم (واذا  
 قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) قال ابن عباس ما بين أيديكم يعنى الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم

والمراد بالذرية الاولاد ومن بهمهم حملة وكانوا يبعثونهم الى التجارات فى برا وبحرا والآباء  
 لانها من الاضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذريتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفى اصلابهم  
 هم وذريتهم وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه أبلغ فى الامتنان عليهم (وخلقناهم من مثله) من مثل الفلك (مايركبون) من الابل وهي  
 سفائن البر (وان نشأ نغرقهم) فى البحر (فلا صر يحطهم) فلا مغيث أو فلا نجاته (ولا هم ينقدون) لا ينجون (الارحة منا ومتاعا الى  
 حين) أى ولا ينقذون الارحة منا ولتمتع بالحياة الى انقضاء الاجل فهم امنصوبان على المقعول له (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما  
 خلفكم) أى ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر مما تم تعملون من بعدا ومن مثل الوقائع التى أتت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من أمر  
 الساعة أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة

(لعلمكم نرحون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا مضى رأي اعرضوا وجاهدوه لان قوله (وما اتيتهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) يدل عليه ومن الاولى لتأكيد النفي والثانية للتبويض أي ودأبهم الاعراض عن كل آية وموعظة (واذا قيل لهم لا تشركون بالله الا فقدوا عمارتهم) أي تصفوا على الفقراء (قال الذين كفروا) (٩) الذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله

أطعمه) عن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيقره الله ونطعمه نحن (ان أتم الا في ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد البعث والقيامة (ان كنتم صادقين) فيما تقولون خطاب للنبي وأصحابه (ما ينظرون) ينتظرون (الاصيعة واحدة) هي النفخة الاولى (تاخذهم وهم يخصمون) حزمة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه اذا غلبه في الخصومة وشدد الباقون الصاد أي يخصمون بادغام التاء في الصاد لكنه مع فتح الخاء مكى بنقل حركة التاء المدغمة اليها أو بسكون الخاء مدني وبكسر الياء والخاء ينجي فاتبع الياء الخاء في الكسر وفتح الياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى تاخذهم وبعضهم يخصم بعضا في معاملاتهم (فلا يستطيعون توصية)

يعني الدنيا فاحذر وهاولان تفر وهاولان تفر وهاولان تفر وما بين أيديكم يعني وقائع الله تعالى عن كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعني الآخرة (لعلمكم نرحون) أي لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا يدل على الحذف قوله تعالى (وما اتيتهم من آية من آيات ربهم) أي دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (الا كانوا عنها معرضين) قوله عز وجل (واذا قيل لهم اتقوا عمارتهم) أي عما أعلمكم (الله) نزلت في كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا للكفار مكة أنفقوا على المساكين عما علمتم ان الله تعالى من أموالكم وهو ما جعله الله من حرثهم وأنعماهم (قال الذين كفروا والذين آمنوا أنطعم) أي أترزق (من لو يشاء الله أطعمه) أي رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمي اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فله اولى مني بك ويقول قدمته فأطعمه أنا ومعنى الآية انهم قالوا لو اراد الله أن يرزقهم لرزقهم فنعن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لان الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فنعن الدنيا من الفقير لاجل وأعطى الدنيا الغنى لاستحقاقها وأمر الغنى بالانفاق لاجل حاجته الى ماله ولكن ليلوا الغنى بالفقير فيما فرض له من مال الغنى ولا اعتراض لاحد في مشيئة الله وحكمته في خلقه والمؤمنون موافق أمر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء (ان أتم الا في ضلال مبين) قيل هو من قول الكفار للمؤمنين ومعناه ما أتم الا في خطأ بين باتباعكم محمد أو ترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار لما ردوا من جواب المؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) يعني يوم القيامة والبعث (ان كنتم صادقين) قال الله تعالى (ما ينظرون) أي ينتظرون (الاصيعة واحدة) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد النفخة الاولى (تاخذهم وهم يخصمون) أي في أمر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في الاسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فأتيتهم الساعة أغفل ما كانوا عنها وقد صح في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبين بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن معه فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكتفه الى فيه فلا يطعمها أخرجه البخاري وهو طرف من حديث ولسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصفي ليتأقؤل من يسمعه رجل يلوط حوض ابيه فيصعق ويصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسر هاء الناقدة القرية العهد من التناح وقوله وهو يليط حوضه يعني بطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابيه وأصله من اللوط وقوله أصفي ليتا الليث صفة العنق وأصفي يعني أمال عنقه يسمع وقوله تعالى (فلا يستطيعون توصية) أي لا يقدرون على الاشارة بل أعجابوا عن الوصية فاتوا (والا الى أهلهم يرجعون) يعني لا يقدرون على الرجوع الى أهلهم لان الساعة لا تأكلهم بشئ (وتنشق في الصور) هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة (ق) من أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا بأبهر برأر بعين يوم اقال أيت قالوا أر بعين شهر اقال أيت قالوا أر بعين سنة قال أيت ثم ينزل من السماء ماء فينبشون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (فاذا هم من الاجداث) أي القبور (الى ربهم ينسلون) أي يخرجون منها أحياء (قالوا يا ويلنا

(٢ - خازن - رابع) فلا يستطيعون ان يوصوا في شئ من أمورهم توصية (والا الى أهلهم يرجعون) ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة (ونفخ في الصور) هي النفخة الثانية والصور القرن أو جمع سورة (فاذا هم من الاجداث) أي القبور (الى ربهم ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها (قالوا) أي الكفار (يا ويلنا

من بعثنا) من أنشرونا (من مرقدنا) أي مضجعنا وقف لازم عن حفص وعن مجاهد للكفار مضجعة يجدون فيها طم النوم فاذا أصبح باهل القبور قالوا من بعثنا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتصدقون ما سمعوه من الرسل فيجيئون به أنفسهم وبعضهم بعضا ما صدر به ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعد والمصدق فيه بالوعد والصدق أو موصولة وتعديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون أي والذي صدق فيه المرسلون (ان كانت) النفخة الاخيرة (الاصيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) للحساب ثم ذكر ما يقال لهم في ذلك اليوم (فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم في شغل) يضمين كوفي وشامي وبضعة وسكون مكي ونافع وأبو عمرو والمعنى في شغل في شغل وفي شغل لا يوصف وهو افتراض الابكار (١٠) على شط الانهار تحت الاشجار أو ضرب الاوتار أو ضيافة الجبار (فا كهون) خبرتان فكهون

يزيد والفاكهة والفكة المنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذا الفكاكة (هم) مبتدأ (وأزواجهم) عطف عليه (في ظلال) حال جمع ظل وهو الموضع الذي لا تقع عليه الشمس كذئب وذئاب أو جمع ظلة كبرمة وبرام دليله قراءة حزة وعلى ظلال جمع ظلة وهي ما سترك عن الشمس (على الارائك) جمع الاربكة وهي السريري في الخجلة أو الفراش فيها (متكئون) خبر أوفى ظلال خبر وعلى الارائك مستأنف (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) يفتعلون من الدعاء أي كل ما يدعو به أهل الجنة يأتهم أو يتمنون من قولهم ادع على ماشئت أي تمنه على عن الفراء هو من

من بعثنا من مرقدنا) قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد الثانية وعادوا أهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) أقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (ان كانت الاصيحة واحدة) يعني النفخة الاخيرة (فاذا هم جميع لدينا محضرون) أي للحساب (فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) قوله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم في شغل) قال ابن عباس في اقتضاض الابكار وقيل في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله تعالى وقيل في السماع وقيل شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب الاليم (فا كهون) قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل محبون بما هم فيه (هم وأزواجهم في ظلال) يعني أركان القصور (على الارائك) يعني السرر في الجمال (متكئون) أي ذوات كساء تحت تلك الظلال (لهم فيها فاكهة) أي في الجنة (ولهم ما يدعون) يعني ما يتمنون ويشتهون والمعنى ان كل ما يدعون أي أهل الجنة بأنيهم (سلام قولاً من رب رحيم) يعني يسلم الله عز وجل عليهم روى البغوي باسنادا للعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور ففرغوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولاً من رب رحيم ينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحبب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقولوا اسلموا السلامة الابدية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أي اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل كافر في النار بيتا يدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه أبدأ الأبد من لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض قوله عز وجل (ألم أعهد اليكم يا بني آدم) أي ألم أمركم وأوصمكم يا بني آدم (أن لا تعبدوا الشيطان) يعني لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم من معصية الله (انه لكم عدو مبين) أي ظاهر العداوة (وأن اعبدوني) أي أطيعوني ووحدي (هذا صراط مستقيم) أي لا صراط أقوم منه قوله تعالى (ولقد

الدعوى ولا يدعون بالايستحقون (سلام) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم (قولاً من رب رحيم) والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيماً لهم وذلك مقتناهم ولهم ذلك لا يمنعونهم قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى يقول لهم يوم القيامة (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم (وأن اعبدوني) ووحدي وأطيعوني (هذا) إشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن (صراط مستقيم) أي صراط بليغ في استقامة ولا صراط أقوم منه (ولقد

اضل

أضل منكم جبلا) بكسر الجيم والباء والتشديد مدني وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جبلا مخففا شاميا وأبو عمرو وجبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام - برهم وهذه ت في معنى الخلق ( كثيرا ) ( ١١ ) أفلم تكونوا تعقلون ) استهتام

تقرب على تركهم الارتفاع بالعقل ( هذه جنة التي كنتم توعدون ) بها ( اصواها اليوم بما كنتم تكفرون ) ادخلوها بكفركم وانكاركم لها ( اليوم نختم على أفواههم ) أي نمنعهم من الكلام ( وتكلمنا أيديهم وتكلم أرجلهم بما كانوا يكسبون ) يروى أنهم يحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جبرائيل وأهاليهم وعشارهم فيعلمون ما كانوا مشركين حينئذ نختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لأجيز على الأشهاد من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطلق فتنتق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعد الكن وسحقا فعنك كنت أناضل ( ولو نشاء لطمسنا على أعينهم لأعميناهم وأذهبنا بصارهم والطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ( فاستبقوا الصراط ) على حذف الجار وإصال الفعل والاصل فاستبقوا الصراط ( فابايبصرون ) فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم ( ولو

أضل منكم جبلا كثيرا ) أي خلقا كثيرا ( أفلم تكونوا تعقلون ) يعني ما أتاكم من هلاك الامم الخالية ببلاعة إبليس وقاد لهم لادنوا من النار ( هذه جهنم التي كنتم توعدون ) يعني بها في الدنيا ( اصواها ) أي ادخلوها ( اليوم بما كنتم تكفرون ) قوله تعالى ( اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتكلم أرجلهم بما كانوا يكسبون ) معنى الآية أن الكفار ينكرون ويحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويقولون والله بنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا أن أعضاءهم التي كانت عوناً لهم على المعاصي صارت شهادة عليهم وذلك أن أقرار الجوارح أبلغ من أقرار اللسان فان قلت ما الحكمة في تسمية نطق اليد كاللسان في الرجل شهادة قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل أقرار على نفسه بما فعل ( م ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سألت الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤية أحدكما قال فيلقى العبد ربه فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزججك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك رأساً وتربع فيقول بلى يا رب فيقول أفظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزججك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك رأساً وتربع فيقول بلى يا رب فيقول أفظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصدقت وبنيت بحجرتي ما استطعت فيقول ههنا إذا قال ثم يقول له الآن نبعث شاهداً ناعليك فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد على فيختم على فيه ويقال له معناه وجه وعظامه انطلق فتنتق فخذ وجهه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسهط الله عليه قوله أي فل يعني يافلن قوله وأسودك أي أجعلك سيدها قوله وأذرك رأساً أي تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم وتربع أي تاخذ المر باع وهو ما ياخذ رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروي تررع بناءً على أي تنعم وتنبسط من الرنع قوله وذلك ليعذر من نفسه أي ليقم الحجج عليها بشهادة أعضاءه عليه ( م ) عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرن من الصبح فاذن الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد به فيقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لأجيز على نفسي الأشهاد اني قال فيقول كفي بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكابيين شهوداً قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطلق قال فتنتق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعد الكن وسحقا فعنك كنت أناضل قوله لا أجيز أي لا أقبل شاهداً على قوله بعد الكن وسحقا أي هلاكاً قوله فعنك كنت أناضل أي أجادل وأخاصم قوله تعالى ( ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ) أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبصرون ولا شق والمعنى ولو نشاء لاعمينا أعينهم الظاهرة كما أعمينا قلوبهم ( فاستبقوا الصراط ) أي فبادروا إلى الطريق ( فاني يبصرون ) أي كيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم والمعنى ولو نشاء لا ضللتناهم عن الهدى وتركناهم عمياء يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعني لو نشاء لفقنا أعين ضللتناهم فاعميناهم عن غيرهم وحولنا بصارهم من الضلالة إلى الهدى فابصر وارشدتهم فاني يبصرون ولم تفعل ذلك بهم ( ولو نشاء لطمسنا على مكاتبهم ) يعني ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا أرواح فيها ( فاستطاعوا مضياً ) أي لا يقدر أن يبرحوا ( ولا يرجعون )

نشاء لطمسناهم ) قردة أو خنازير أو حجارة ( على مكاتبهم ) على مكاناتهم أبو بكر وحامد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أي لمسختناهم في منازلهم حيث يجترحون المسام ( فاستطاعوا مضياً ولا يرجعون ) فلم يقدر واعلى ذهاب ولا يجيء وأمضيا امامهم ولا يرجعون

(ومن نعمه تنكسه) عاصم وحزرة والتنكيس جعل الشيء أعلاه أسفله الباقون تنكسه (في الخلق) أي نقله فيه بمعنى من أطلنا عمره تنكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما وذلك اننا خلقناه على ضعف في جسده وخالوا من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد الى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فإذا انتهى تنكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع الى حال شبهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخالوا من العلم (١٢) كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من برد الى أرذل العمر

أي الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدر ان يقدرون على الذهاب ولا الرجوع (ومن نعمه تنكسه في الخلق) أي زده الى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق وقيل تضعف جوارحه بعد قوتها وتنقصها بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان في ضعف من جسده وخالوا من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى أن يبلغ أشده واستكمل قوته وعقله وعلم ماله وما عليه فإذا انتهى الى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك تنكسه في الخلق (أفلا يعقلون) أي فيعتبرون ويعلمون أن الذي قدر على تصرف أحوال الانسان قادر على البعث بعد الموت قوله عز وجل (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) قيل ان كفار قريش قالوا ان محمد اشاعر وما يقوله شعر فانزل الله تعالى تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له أي ما يسهل له ذلك وما يصلح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يتأت له ذلك كما جعلناه أميالا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدهض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روى عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمثل بهذا البيت

\* كفى بالاسلام والشيب للمرء تاهيا \* فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يابني الله انما قال الشاعر \* كفى للشيب والاسلام للمرء تاهيا \* شهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له هذا حديث مرسل وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها وقد قيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يمثل بشيء من الشعر قالت كان يمثل بشعر ابن رواحة ويقول ويأتيك بالخبار من لم تزود \* أخرجه الترمذي وفي رواية لغيره أن عائشة رضي الله عنها سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر أبيض الحديث اليه ولم يمثل الا بيت أخي بني قيس طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا \* ويأتيك بالخبار من لم تزود جعل يقول ويأتيك من لم تزود بالخبار فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صابه شجر فدميت أصبعه فقال هل أنت الا أصبح دميت \* وفي سبيل الله ما لقيت أخرجه في الصحيحين ولهما من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم ان العيش عيش الآخرة \* فاكرم الانصار والمهاجرة

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا النبي لا كذب \* أما ابن عبد المطلب قلت ما هذا الامن كلامه الذي يرمى به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشآت الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل في وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطو من الرجز شعر والماتني أن يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى (ان هو الا ذكر) يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى يعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على أساليب الشعر ولا يدخل في بحر رده (وقرآن مبين) أي انه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى

لكيلا يعلم من بعد علم شيئا (أفلا يعقلون) ان من قدر على أن يفقههم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسحهم على مكاتهم ويبعثهم بعد الموت وبالثناء مدني ويعقوب وسهل وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر فنزل (وما علمناه الشعر) أي وما علمنا النبي عليه السلام قول الشعراء أو وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حقيقته (وما ينبغي له) وما صح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميالا لا يهتدى الى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدهض

وأما قوله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت الا أصبح دميت \* وفي سبيل الله ما لقيت فما هو الامن جنس كلامه في الذي كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه ان جاء موزونا كما يتفق في خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعر الا ان صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على انه عليه السلام قال لقيت بالسكون وفتح الياء في كذب وخفض الباء في المطلب ولما اتى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو) أي المعلم (الا ذكر) أي ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز

الدارين فكمنينو بين الشعر الذي هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول لتندرد في وشامى وسهل ويعقوب (من كان حيا) عاقلا متأملا لان الفاعل كالميت أو حيا بالقلب (ويحق القول) ونجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون وهم في حكم الاموات (أولم يروا أننا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) أي مما تولينا نحن احدائه ولم بقدر على توليه غيرنا (فهم لهم الكون) أي خلقنا لها لاجلهم فلكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالاتفاق بها وفهم لها صابون قاهرون (وذللناهم) وصيرناها منقادة لهم والافن كان بقدر عليها ولا بذليله تعالى وتسخيره لها ولهذا ألزم الله سبحانه الزاكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحانه الذي سخرننا هذا وما كاله مقرنين (فنهاركوبهم) وهو ما يركب (ومنهايا كون) أي سخرنناهم ليركبوا ظهرها وياكلوا لحمها (ولهم فيها نافع) من الجلود والادبار وغير ذلك ومشارب من اللبن وهو جوع مشرب وهو موضع الشرب والشراب (أفلا يشكرون) الله على انعام الانعام (واتخذوا من دون الله آلهة لهم ينصرون) أي لعل أصنامهم تنصرهم اذا حزنهم أمر (لا يستطيعون) أي آلهتهم (نصرهم) نصر بايديهم (وهم لهم) أي الكفار للاصنام (جند) أعوان وشيعة (محضرون) (١٣٣) يحزنونهم ويزبون عنهم واتخذوهم

لينصر وهم عند الله ويشفعا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار (فلا يحزنك قولهم) وبضم الياء وكسر الزاي نافع من حزنه وأحزنه يعني فلا يهيك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم (انا نعلم ما يسرون) من عداوتهم (وما يعلنون) وانا نجازوهم عليه حتى مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صور حاله وحالمه في الآخرة حتى ينقش عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم ان من قرأ انا نعلم بالفتح فسدت صلته وان

في المتعبدات و يقال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه بيان الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكمنينو بين الشعر الذي هو من همزات الشياطين وأقويل الشعراء الكاذبين (لتندرد) اي يا محمد وقرىء بالياء اي القرآن (من كان حيا) يعني مؤمنناحي القلب لان الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) أي ونجب حجة العذاب (على الكافرين) قوله عز وجل (أولم يروا أننا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) أي تولينا خلقه بايدينا من غير اعانه أحد في انشائه كقول القائل عملت هذا بيدي اذا نفر دبه ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة التي لا يقدر عاينها الا هو (انعاما) انما خص الانعام بالذكور وان كانت الاشياء كلها من خلق الله تعالى وإيجاده لان النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم (فهم لهم الكون) أي خلقناها لاجلهم فلكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها صابون قاهرون ومنه قول بعضهم

أصبحت لأجل السلاح ولا \* أم لك رأس البعير ان نقرأ

أي لا أضبط رأس البعير والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدر على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى (وذللناهم فنهاركوبهم) أي الابل (ومنهايا كون) أي الغنم (ولهم فيها نافع) أي من أصوافها وأوبرها وأشعارها وجلودها ونسلها (ومشارب) أي من البانها (أفلا يشكرون) أي رب هذه النعم (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني الاصنام (لعلهم ينصرون) أي لئمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط (لا يستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب (وهم لهم جند محضرون) أي الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحزنونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه في الدنيا كانهم جند محضرون في النار (فلا يحزنك قولهم) يعني قول كفار مكة في تكذيبك يا محمد (انا نعلم ما يسرون) أي في ضمائرهم من التكذيب (وما يعلنون) أي من عبادة الاصنام

اعتمد معناه كفر فقد أخطأ لأنه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسرا أبو حنيفة وفتح الشافعي رحمة الله عليهم ما وكلاهما تعليل فان قلت ان كان المفتوح بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ففساده ظاهر قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدور ان على كسر ان وفتحها وانما لا يدور ان على تقدير كفتقل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا أو فأتاح على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فنافيه الانهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلايتهم والنهي عن حزنه ليس اثباتا لحزنه بذلك كما في قوله فلا تكون ظاهرا للكافرين ولا تكون من المشركين ولا تدع مع الله اهل آخر نزل في أبي بن خلف حين أخذ عظماء باليار وجعل يفته بيده ويقول يا محمد أرى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وبعثك ويدخلك جهنم



(أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة) مذرة خارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة (فاذا هو خصيم مبین) بين الخصومة أي فهو على مهانة أصله دناءة وأوله يتصدى لمخاصمه به وينكر قدرته على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له واصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهو غاية السكارة (وضرب لنا مثلاً) ففته العظ (ونـ خلقه) من المني فهو أعرب من احياء العظم لمصدر مضى لى انفعول أي خلقناه (قال من يحيي العظ وهي رميم) هو اسم على من اعظام غير صفة كالرمة وارقات ولهذا لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ومن ثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها ينشبت بهذه الآية وهي عندنا ظاهرة وكذا الشعور والعصب لان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس (قل يحييها الذي أنشأها) خلقها أول مرة أي ابتداء (وهو بكل خلق) مخلوق (عليم) لا تخفى عليه أجزاؤه وان تفرقت في البر والبحر فيجمعه (١٤) وبعيده كما كان (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا اتم منه توقدون)

وقيل ما يعلنون بالسنتهم من الاذي **﴿﴾** قوله تعالى (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة) أي من نطفة قدرة خسية (فاذا هو خصيم مبین) أي جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى المحجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله كيف يتصدى لمخاصمه الجبار ويبرز لمجادلته في انكاره البعث وكيف لا يتفكر في بدء خلقه وانه من نطفة قدرة ويدع الخصومة نزلة في ابني بن خلف الجمحي خصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث وأثناء بعظم قدره وبلى ففتته بيده وقال أترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم وبعثتك ويدخلك النار فانزل الله تعالى هذه الآيات (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه) أي بدء أمره (قال من يحيي العظام وهي رميم) أي بالية والمعنى وضرب لنا مثلاً في انكار البعث بالعظم البالي حين فتته بيده وتنجب عن يقول ان الله تعالى يحييها ونسي أول خلقه وأنه مخلوق من نطفة (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) أي خلقها أول مرة وابتدأ خلقها (وهو بكل خلق) أي من الابداء والاعادة (عليم) أي يعلم كيف يخلق لا يتعاطمه شيء من خلق المبدأ والمعاد (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) قال ابن عباس رضي الله عنهما هما شجران يقال لاحدهما المرخ بالراء والحاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثر منها وذلك ان هاتين الشجرتين من أكثر الشجر ناراً وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب (فاذا اتم منه توقدون) أي تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الانسان فقال تعالى (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى) أي هو القادر على ذلك (وهو الخلاق) يعني يخلق خلقا بعد خلق (العليم) أي بجميع ما خلق (انما أمره اذا أراد شيئاً) أي احداث شيء وتكوينه (أن يقول له كن) أي يكونه من غير توقف (فيكون) أي فيحدث ويوجد لا محالة (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) أي هو مالك كل شيء والمتصرف فيه (واليه ترجعون) أي تردون بعد الموت والله أعلم

تقدحون ثم ذكر من يدافع خلقه اتقدح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفاها به وهي الزناد التي توري به الاعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار لان المرخ شجر سريع الوري والعفار شجر تقدح منه النار يقطع الرجل منها غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكروا على العفار وهي أتى فتندح النار باذن الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب المصلحة الدق للشباب فمن قدر على

جمع الماء والنار في الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة في البشر واجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب اسهل في العقل من الجمع معا بلا ترتيب والاخضر على اللفظ وقرى الخضر على المعنى ثم بين أن من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي أقدر بقوله (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر بالاضافة الى السموات والارض وأن يعيدهم لان المعاد مثل للمبدأ وليس به (بلى) أي قل بلى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) الكثير الخلوقات (العليم) الكثير المعلومات (انما أمره) شأنه (اذا أراد شيئاً أن يقول له كن) أن يكونه (فيكون) فيحدث أي فهو كائن موجود لا محالة فالخلاق المكونات بتخليفه وتكوينه ولكن عبر عن ايجاد بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وانما هو بيان لسرعة الابداء كأنه يقول لا يثقل قول كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فيكون شامى وعلى عطف على يقول وأما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لان تقديره فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن فيكون (فسبحان) تنزيهه بما وصفه به المشركون وتنجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا (الذي بيده ملكوت كل شيء) أي ملك كل شيء وزيادة الواو والتاء لله بالغة بمعنى هو مالك كل شيء (واليه ترجعون) تعادون بعد الموت بلا

فوت ترجعون يعقوب قال عليه الصلاة والسلام ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس بر يدها وجه الله غفر الله له وأعطى من الاجر كما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وقال عليه السلام من قرأ يس امام حاجته قضيت له وقال عليه السلام من قرأها ان كان جائعا أشبعه الله وان كان ظمآن ارواه الله وان كان عريا ابناه الله وان كان خائفا أمنه الله وان كان مستوحشا آانسه الله وان كان فقيرا أغناه الله وان كان في السجن أخرجه الله وان كان أسيرا خاصه الله وان كان ضالاه اده الله وان كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة والله أعلم ﴿سورة الصافات مكية وهي مائة وحدى أو اثنتان وثمانون آية﴾  
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الصفات صفا لجزات زجرا فالتاليات (١٥) ذكر) أقسم سبحانه وتعالى

﴿تفسير سورة والصفات﴾

وهي مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (والصفات صفا) قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة (م) عن جابر بن سمره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف لفظ أبي داود وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل أراد بالصفات الطير تصف أجنحتها في الهواء (فالجزات زجرا) يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القرآن تنهى وترجع عن القبيح (فالتاليات ذكر) يعني الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله عز وجل بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصفات والزجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى (ان الهكم لواحد) وذلك ان كفار مكة قالوا أجعل الآلهة الها واحدا فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء ان الهكم لواحد وإنما أقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف زواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام في قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما) يعني أنه المالك القادر العالم المتزه عن الشريك ﴿وقوله﴾ (رب المشارق) قيل أراد بالمغرب فاكتفى باحدهما قال السدي المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغرب فان الشمس تطلع كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب فان قلت قد قال في موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات قلت أراد بالمشرق والمغرب الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب وأراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والمغرب بين المغرب الصيف والمغرب الشتاء والمشرق والمغرب ما تقدم من قول السدي وقيل كل موضع شرفت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل أراد مشارق الكواكب ﴿قوله تعالى﴾ (انا زينا السماء الدنيا) يعني التي تلى الارض وهي أدنى السموات الى الارض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولولم تحصل هذه الكواكب في السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها أشكالا متناسبة والمختلفة في الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظر في الليلة المظلمة الى

بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصفات أقدمها في الصلاة فالجزات السحاب سوقا وعن المعاصي بالاهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزل وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أو بنفوس العلماء العمال الصفات أقدمها في التهجيد وسائر الصلوات فالجزات بالمسواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعها وبنفوس الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك وصفام صدر مؤكدة وكذلك زجرا والقاء نذل على ترتب الصفات في التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وجواب القسم (ان الهكم لواحد) قيل هو

جواب قولهم أجعل الآلهة الها واحدا (رب السموات والارض) خبر بعد خبر أو مبتدأ محذوف أي هو رب وما بينهما ورب المشارق أي مطالع الشمس وهي ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغرب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطاع ولا تغرب في واحد يومين وأما رب المشرقين ورب المغربين فانه أراد مشرق الصيف وشتاء ومغربها وما رب المشرق والمغرب فانه أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة (انا زينا السماء الدنيا) القربى منكم تأنيث الادنى (بزينة الكواكب) حفص وحزرة على البدل من الزينة والمعنى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب أبو بكر على البدل من محل بزينة أو على اضمار أعني أو على اعمال المصدر منونافي المفعول بزينة الكواكب غيرهم باضافة المصدر الى الفاعل أي بان زواتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على اضافته الى المفعول أي بان زان الله الكواكب

وحسنها لانها انما زينت السماء بحسنها في نفسها واصله بزينة الكواكب لقراءة أبي بكر (وحفظا) محمول على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أو الفعل المعلل مقدر كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب أو معناه حفظنا ما حفظنا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة والضمير في (لا يسمعون) لكل شيطان لانه في معنى الشياطين يسمعون كوفي غير أبي بكر واصله بتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو قل يسمع وينبغي أن يكون كلاما منقطعاً مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدر أن يسمعوا الى كلام الملائكة أو يسمعوا وقيل أصله ثلاثا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في جئت أن تكلمني فبقي أن لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قوله \* ألا أيها الزاجري أحضر الوضي \* وفيه نهسف بحج صون القرآن عن مثله فان كل واحد من الحرفين غير مرر ود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين (١٦) سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه أن

السماء ورأى هذه الكواكب الزاهر مشرقة متلأثة على سطح أزرق نظر غاية الزينة (وحفظا من كل شيطان مارد) أي وحفظنا السماء من كل شيطان متمردعات برمون بالشهب (لا يسمعون الى الملا الأعلى) يعني الى الملائكة والكتابة لانهم سكان السماء وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء فر بما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به أولياءهم الانس ويوعمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى (ويقذفون) أي برمون بها (من كل جانب) أي من آفاق السماء (دحورا) أي يبعدهم عن مجالس الملائكة (ولهم عذاب واصب) أي دائم (الامن خطف الخطفة) أي اختلس الكلمة من كلام الملائكة (فاتبعه) أي لحقه (شهاب ناقب) أي كوكب مضى ع قوى لا يخطئه بل يقتله ويحرقه أو يخبله وقيل سمي النجم الذي ترمى به الشياطين ناقبا لانه يتقهم فان قلت كيف يمكن أن تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك قلت انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة ورجاء نيل المقصود كما كب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة وقوله عز وجل (فاستغفمهم) يعني سل أهل مكة (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) يعني من السموات والارض والجبال وهو استغفمهم تقرير أي هذه الاشياء أشد خلقا وقيل أم من خلقنا يعني من الامم الحالية والمعنى ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر ما خلقوا فقال تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) يعني آدم من طين جيد سر لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين في (بل عجبت) قرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين لان التعجب من الناس محمول على انكار الشيء وتعظيمه والتعجب من الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيرتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيرتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والنم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفي حديث آخر عجب ربكم من الكرم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وقوله من الكرم الل أشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن

المعسدي بنفسه يفيد الادراك والمعسدي بالي يفيد الاصغاء مع الادراك (الى الملا الأعلى) أي الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملا الاسفل لانهم سكان الارض (ويقذفون) برمون بالشهب (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أي جهة سعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أي ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحور بن على الحال أو لان القذف والطرده متقاربان في المعنى فكاه قيل يدحورون أو قذفا (ولهم عذاب واصب) دائم من الوصوب أي انهم في الدنيا مرجومون

بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ومن في (الامن) في محل الرفع وافق بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي (خطف الخطفة) أي سلب السلبه يعني أخذ شيئا من كلامهم بسرعة (فاتبعه) لحقه (شهاب) أي نجم رجم (ناقب) مضى (فاستغفمهم) فاستخبر كفار مكة (أهم أشد خلقا) أي أقوى خلقا من قوهم شديد الخلق وفي خلقه شدة أو أصعب خلقا وأشق على معنى الرد لانكارهم البعث وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلقتنا من الملائكة والسموات والارض وما بينهما وما حي عن تعلبا للعقلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قرأ أم من عددنا بالتشديد والتخفيف (انا خلقناهم من طين لازب) لاصق أو لازم وقرئ به وهذا شهادة عليهم بالضعف لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أنذا كنا ترابا وهذا المعنى بعضه ما يتلوه من ذكر انكارهم المبعث (بل عجبت) من تكذيبهم اياك

(ويسخرون) هم منسك ومن نهجيك أو عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث بل عجبت حزة وعلى أي استعظمت  
 والعجب روعة تعترى الانسان عند استعظام الشيء فخر دلغني الاستعظام في حقه تعالى لانه لا يجوز عليه الروعة أو معناه قل يا محمد بل عجبت (واذا  
 ذكروا لا يذكرون) ودأبهم انهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون به (واذا رآوا آية) مجزة كأنشقاق القمر ونحوه (يسسخرون) يستدعى  
 بعضهم بعضا ان يسخر منها أو يبالعون في السخرة (وقالوا ان هذا) ما هذا (الاسحرميين) ظاهر (أندا) استفهام انكار (متناوكتنا  
 نرايا وعظاما أننا لمبعوثون) أي أتبعث اذا كنا ترابا وعظاما (أو بأبونا) معطوف على محل ان واسمها وعلى الضمير في مبعوثون والمعنى  
 أبعث أيضا بأبونا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم أقدم فبعثهم بعدوا بطل أو بأبائهم وكان الوادعنى وشامى أي أبعث واحدا مناعلى  
 المبالغة في الانكار (الاولون) الاقدمون (قل نعم) تبعثون نعم على وعمل الغتان (وأنتم داخرون) صاغرون (فأما هي) جواب شرط مقدر  
 تقديره اذا كان كذلك فما هي الا (زجرة واحدة) وهي لا ترجع الى (١٧) شئ انما هي مبهمه موضعها خبرها

ويفق رسوله ولما عجب رسوله قال وان نجب فحجب قولهم أي هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على انه خطاب للنبي  
 صلى الله عليه وسلم أي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من نهجيك وقيل عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم  
 من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع  
 القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم  
 فقال الله تعالى بل عجبت (ويسخرون) واذا ذكروا لا يذكرون) أي واذا وعظوا لا يتعظون (واذا رآوا آية)  
 قال ابن عباس يعني انشقاق القمر (يسسخرون) أي يستهزؤن وقيل يستدعى بعضهم بعضا الى ان يسخر  
 (وقالوا ان هذا الاسحرميين) أي بين (أنذمتنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أو بأبائنا الاولون قل نعم وأنتم  
 داخرون) أي صاغرون (فأما هي زجرة واحدة) أي صيعة واحدة وهي نفخة البعث (فأذا هم ينظرون)  
 يعني أحياء (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) يعني يوم الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) أي القضاء وقيل بين  
 المحسن والمسيء (الذي كنتم به تكذبون) أي في الدنيا (احشروا) أي اجعوا (الذين ظلموا) أي أشركوا  
 وقيل هو عام في كل ظالم (وأزواجهم) أي أشباههم وأمثالهم فكل طائفة مع مثلها فاهل الجحيم مع أهل الجحيم  
 وأهل الزنا مع أهل الزنا وقيل أزواجهم أي قرناءهم من الشياطين يقرب كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل  
 أزواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل ابليس  
 وجنوده (فاهدوهم الى صراط الجحيم) قال ابن عباس أي دلوهم الى طريق النار (وقفوهم) أي اجبسوهم  
 (انهم مسؤولون) لما سيقوا الى النار حسبوا وعند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم  
 و يروى عنه عن لاله الا الله وروى عن أبي برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدم عبد يوم  
 القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره (٣) فيما أفناه وعن عامه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما  
 أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه وفي رواية عن شيبه فيما أبلاه أخرجه الترمذي وله عن أنس ان رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم قال ما من داع دعأ الى شئ الا كان موقوفا يوم القيامة لازم له لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ  
 وقفوهم انهم مسؤولون (مالكم لاتناصرون) أي تقول لهم خزنة جهنم تو يخاطبهم مالكم لا ينصر بعضكم  
 بعضا وهذا جواب لابن جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون)

ويفق رسوله ولما عجب رسوله قال وان نجب فحجب قولهم أي هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على انه خطاب للنبي  
 صلى الله عليه وسلم أي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من نهجيك وقيل عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم  
 من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع  
 القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم  
 فقال الله تعالى بل عجبت (ويسخرون) واذا ذكروا لا يذكرون) أي واذا وعظوا لا يتعظون (واذا رآوا آية)  
 قال ابن عباس يعني انشقاق القمر (يسسخرون) أي يستهزؤن وقيل يستدعى بعضهم بعضا الى ان يسخر  
 (وقالوا ان هذا الاسحرميين) أي بين (أنذمتنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أو بأبائنا الاولون قل نعم وأنتم  
 داخرون) أي صاغرون (فأما هي زجرة واحدة) أي صيعة واحدة وهي نفخة البعث (فأذا هم ينظرون)  
 يعني أحياء (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) يعني يوم الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) أي القضاء وقيل بين  
 المحسن والمسيء (الذي كنتم به تكذبون) أي في الدنيا (احشروا) أي اجعوا (الذين ظلموا) أي أشركوا  
 وقيل هو عام في كل ظالم (وأزواجهم) أي أشباههم وأمثالهم فكل طائفة مع مثلها فاهل الجحيم مع أهل الجحيم  
 وأهل الزنا مع أهل الزنا وقيل أزواجهم أي قرناءهم من الشياطين يقرب كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل  
 أزواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل ابليس  
 وجنوده (فاهدوهم الى صراط الجحيم) قال ابن عباس أي دلوهم الى طريق النار (وقفوهم) أي اجبسوهم  
 (انهم مسؤولون) لما سيقوا الى النار حسبوا وعند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم  
 و يروى عنه عن لاله الا الله وروى عن أبي برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدم عبد يوم  
 القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره (٣) فيما أفناه وعن عامه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما  
 أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه وفي رواية عن شيبه فيما أبلاه أخرجه الترمذي وله عن أنس ان رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم قال ما من داع دعأ الى شئ الا كان موقوفا يوم القيامة لازم له لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ  
 وقفوهم انهم مسؤولون (مالكم لاتناصرون) أي تقول لهم خزنة جهنم تو يخاطبهم مالكم لا ينصر بعضكم  
 بعضا وهذا جواب لابن جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون)

(٣ - خازن - رابع) كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم (احشروا) خطاب الله للملائكة  
 (الذين ظلموا) كفروا (وأزواجهم) أي وأشباههم وقرناءهم من الشياطين أو نساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرئ بالرفع  
 عطفًا على الضمير في ظلموا (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي الاصنام (فاهدوهم) دلوهم عن الاصمى هديته في الدين هدى وفي  
 الطريق هداية (الى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوهم) اجبسوهم (انهم مسؤولون) عن أقوالهم وأفعالهم (مالكم لاتناصرون) أي  
 لا ينصر بعضكم بعضا وهذا تو يخاطبهم بالجزع عن التناصر بعدما كانوا متناصرين في الدنيا وقيل هو جواب لابن جهل حيث قال يوم بدر  
 نحن جميع منتصر وهو في موضع النصب على الحال أي مالكم غير متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) متقادون أو قد أسلم بعضهم بعضا  
 وبطله عن عجز فكاهم مستسلم غير منتصر  
 (٣) قوله فيما أفناه الخ كذا في النسخ باثبات الف ما الاستفهامية وهو قليل

(وأقبل بعضهم على بعض) أي التابع على المتبوع (يتساءلون) أي يتخاصمون (قالوا) أي الاتباع للمتبوعين (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن القوة والقهر إذ اليمين موصوفة بالقوة ويهايقع البطش أي انكم تحماوننا على الضلال وتفسروننا عليه (قالوا) أي الرؤساء (بل لم تكونوا مؤمنين) أي بل أيتيم أتم الأيمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين (وما كان لنا عليكم من سلطان نسلبكم به تمكنكم واختياركم) (بل كنتم قومًا طاغين) بل كنتم قومًا مختارين الطغيان (حق علينا) فإزمننا جميعا (قول ربنا إننا لآتقون) يعني وعيد الله بأننا لآتقون عذابه لا محالة لأنه بحالنا ولو حكي الوعيد كما هو لقال انكم لآتقون ولكن عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قوله فقد زعمت هو ازن قل مالي \* ولو حكي قولها لقال قل مالك (فاغويننا كم) فدعوننا كم الى الفى (انا كنا غاوين) فاردنا اغواءكم لتكونوا أمثالنا (١٨) فانهم) فان الاتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة (في العذاب مشتركون)

كما كانوا مشتركين في الغواية (انا كذلك تفعل بالمجرمين) أي بالمشركين انما مثل ذلك الفعل تفعل بكل مجرم (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وادابوا الا للشرك (ويقولون ائنا همزةين شامى وكوفى (لتاركوا آهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمد عليه السلام (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه (انكم لئاتقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) بلا زيادة (الا عباد الله المخلصين) بفتح اللام كوفى ومدنى وكذا ما بعده أي لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع (أولئك لهم رزق معلوم فواكه) فسر الرزق

قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم أذلاء منقادون لاحياله لهم (وأقبل بعضهم على بعض) يعني الرؤساء والاتباع (يتساءلون) أي يتخاصمون (قالوا) يعني الرؤساء للاتباع (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أي من قبل الدين فضلوننا وترونا ان الدين ما اضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الدين الذي يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم حلقتن لنا فوثقنا بيمانكم وقيل عن اليمين أي عن العزة والقدرة والقول الاول أصح (قالوا) يعني الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) أي لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر (وما كان لنا عليكم من سلطان) أي من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا (بل كنتم قومًا طاغين) أي ضالين (حق علينا) أي وجب علينا جميعا (قول ربنا) يعني كلمة العذاب وهي قوله تعالى لا ملأ من جهنم من الجنة والناس أجمعين (انا لآتقون) يعني ان الضال والمضل جميعا في النار (فاغويننا كم) يعني فاضلناكم عن الهدى ودعونناكم الى ما كنا عليه (انا كنا غاوين) أي ضالين قال الله تعالى (فانهم يومئذ في العذاب مشتركون) يعني الرؤساء والاتباع (انا كذلك تفعل بالمجرمين) قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين تعالى أنهم انما وقعوا في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) أي يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها (ويقولون ائنا لتاركوا آهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى رداعليهم (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) يعني انه انما أتى بما أتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفى الشرك (انكم لئاتقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أي في الدين من الشرك والتكذيب (الا) أي لكن وهو استثناء منقطع (عباد الله المخلصين) أي الموحدين (أولئك لهم رزق معلوم) يعني بكرة وعشا وقيل حين يشتهونه يؤثرون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى (فواكه) جمع فاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان أرزاق أهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان أجسادهم خاقت للابد فسكل مايا كانوا على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والاعتظيم كما قال تعالى (وهم مكرمون) أي بثواب الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى (في جنات النعيم على سرر متقابلين) يعني لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال تعالى (يطاف عليهم بكأس من معين) كل اناه فيه شراب يسمى كأسا واذ لم يكن فيه شراب فهو اناه وقد تسمى الخمر نفسها كأسا قال الشاعر

المعلوم باقوا كه وهي كل ما تأنذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة وكأسا بالاقوات لان أجسادهم محكمة مخلوقة لا تبدل مايا كونه للتلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله وهم رزقهم فيها بكرة وعشا والنفس اليه أسكن (وهم مكرمون) منعومون (في جنات النعيم) يجوز ان يكون ظرفا وان يكون حالا وان يكون خبرا بعد خبر وكذا (على سرر متقابلين) التقابل أي للسرور وأنس (يطاف عليهم بكأس) بغير همز أبو عمرو ووجزة في الوقف وغيرهما بالهمز يقال لازجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا وعن الاخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس رضى الله عنهما (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لانه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر

(بيضاء) صفة للكاس (لذة) وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أوذات لذة (لشار بين لافهاغول) أي لا تغتال عقولهم تخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا إذا أهلكه وأفسده (ولا هم عنها يزفون) يسكرون من زرف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران زريف ومزوف يزفون على وجزرة أي لا يسكرون أو لا يزفون شراهم من أن زرف الشارب إذا ذهب عقله أو شرا به (وعندهم قاصرات الطرف) قصرت أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى غيرهم (عين) جمع عيناء أي نجلاء واسعة العين (كأنهن بيض مكنون) مصون شبههن ببيض النعام المكنون في الصفاو بها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف (فاقبل بعضهم) يعني أهل الجنة (على بعض يتساءلون) على يطاق عليهم والمعنى يشربون ويتحدثون (١٩) على الشراب كعادة الشرب قال

وما بقيت من اللذات الا  
احاديث السكرام على المدام  
فيقبل بعضهم على بعض  
يتساءلون عما جرى لهم  
وعليهم في الدنيا لانه جيء  
به ماضياعلى ما عرف في  
اخباره (قال قائل منهم اني  
كان لي قرين يقول أنتك)  
بهمزتين شامى وكوفى  
(من المصدقين) بيوم الدين  
(أثد امتنا وكنا ترابا  
وعظاما أننا لمدينون)  
لمجزيون من الدين وهو  
الجزاء (قال) ذلك القائل  
(هل أنتم مطلعون) الى  
النار لاريكم ذلك القرين  
قيل ان في الجنة كوى  
ينظر أهلها منها الى أهل  
النار وقال الله تعالى لاهل  
الجنة هل أنتم مطلعون  
الى النار فتعلموا أين منزلتكم  
من منزلة أهل النار  
(فاطلع) المسلم (فراه)  
أي قرينه (في سواء الجحيم)

وكأ ساشربت على لذة ومعنى معين أى من خرجارية في الانهار ظاهرة تراها العيون (بيضاء) يعني ان  
خر الجنة أشد بياضا من اللبن (لذة) أى لذبة (لشار بين لافهاغول) أى لا تغتال عقولهم فتذهب بها  
وقيل لا تم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في خفاء وخر الدنيا يحصل منها أنواع من  
الفساد ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقيء والحار والبرد وغير ذلك  
ولا يوجد شئ من ذلك في خراج الجنة (ولا هم عنها يزفون) أى لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه  
لا ينفد شراهم ثم وصف أزواجهن فقال تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) أى حاسبات الاعين غاضات  
العيون قصرت أعينهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم (عين) أى حسان الاعين عظامها (كأنهن  
بيض مكنون) أى مصون مستور شبههن ببيض النعام لانها تكتن بالريش من الريح والغبار فيكون  
لونها أبيض في صفرة ويقال هذا من أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة  
والعرب تشبه المرأة ببيض النعام وتسميهن بيضات الخدور قوله عز وجل (فاقبل بعضهم على  
بعض) يعني أهل الجنة في الجنة (يتساءلون) أى يسأل بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا (قال قائل منهم) أى  
من أهل الجنة (انى كان لي قرين) أى في الدنيا يشكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من  
الانس قيل كانا أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافرا اسمه قطرس والاخر مؤمن اسمه يهودا وهما  
الذنان قص الله عز وجل خبرهما في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلاين (يقول أنتك لمن  
المصدقين) أى بالبعث (أثد امتنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمدينون) أى مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام  
انكارى (قال) الله تعالى لاهل الجنة (هل أنتم مطلعون) أى الى النار وقيل يقول المؤمن لآخوانه من أهل  
الجنة هل أنتم مطلعون أى لتنظر كيف منزلة أختي في النار فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا (فاطلع) أى  
المؤمن قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر منها أهلها الى النار (فراه في سواء الجحيم) أى فرأى قرينه  
في وسط النار سمى وسط الشئ سواء لاستواء الجوانب منه (قال نالته ان كدت لتردين) أى والله لقد كدت  
ان تهلكنى وقيل تغوي بنى ومن أغوى انسا بافقد رداه وأهلكه (ولولا نعمت ربى) أى رحمة ربى وانعامه  
على بالاسلام (لكنت من المحضرين) أى معك في النار (أفانحن بميتين الاموتتنا الاولى) أى في الدنيا  
(وما نحن بمعذبين) قيل يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لهم لافيقولون  
(ان هذا هو الفوز العظيم) وإنما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم في انهم لا يموتون ولا يعذبون  
ليفرحوا بدوام النعيم لاعلى طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن أعادوا

في وسطها (قال نالته ان كدت لتردين) ان مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كاد تدخل على كان واللام هى الفارقة بينها وبين الناقية  
والارداء الاهلاك وبالياء فى الحالين يعقوب (ولولا نعمت ربى) وهى العصمة والتوفيق فى الاستمسك بعروة الاسلام (لكنت من  
المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما حضرته أنت وأمثالك (أفانحن بميتين الاموتتنا الاولى) وما نحن بمعذبين (الفاء للعطف على  
مخدوف تقديره انحن مخلدون منعمون فانحن بميتين ولا معذبين والمعنى أن هذا حال المؤمنين وهو أن لا يذوقوا الاموتة الاولى بخلاف  
الكفار فانهم فيما يمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لحكيم ما شرم من الموت قال الذى يمى فيه الموت وهذا قول يقول المؤمن تحذبا بنعمة الله  
بسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل تقديره ولا يموت الامرأة ومنقطع وتقديره  
لكن الموتة الاولى قد كانت فى الدنيا ثم قال لقرينه تقر به العال (ان هذا) أى الامر الذى نحن فيه (هو الفوز العظيم) ثم قال الله عز وجل

(لمثل هذا فليعمل العاملون) وقيل هو أيضا من كلامه (أذلك خير نزلًا) تمييز (أم شجرة الزقوم) أي نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلًا أم شجرة الزقوم خير نزلًا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر مريكون بهامة (اناجعلنا هافتنه للظالمين) محنة وعذاب لهم في الآخرة أو ابتلاء لهم في الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا (انها شجرة تخرج في أصل الجحيم) قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتهما (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطلع للنخلة فاستعير لمطالع من شجرة الزقوم من جعلها وشبه رؤس الشياطين للدلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكره ومستقبح في طباع الناس لا اعتقادهم أنه شر محض وقيل الشيطان حية (٢٠) عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا (فانهم لا يكون منها) من الشجرة أي من طلعها

(فالتون منها البطون)  
فالتون بطونهم لما يغالبهم  
من الجوع الشديد (ثم ان  
لمم عليها) على أكلها  
(لشوبا) خلطا ونزاجا (من  
حجيم) ماء حار يشوي  
وجوههم ويقطع أمعاءهم  
كما قال في صفة شراب أهل  
الجنة ومزاجه من تسنيم  
والمعنى ثم انهم يملئون البطون  
من شجرة الزقوم وهو حار  
يحرق بطونهم ويعطشهم  
فلا يسقون الا بعد ملي  
تعذيبا لهم بذلك العطش  
ثم يسقون ما هو أحر وهو  
الشراب المشوب بالحجيم  
(ثم ان مرجعهم لالى الجحيم)  
أي انهم يذهب بهم عن  
مقارهم ومنازلهم في الجحيم  
وهي الدرجات التي أسكنوها  
الى شجرة الزقوم فيأكلون  
الى ان يمتلئوا يسقون بعد  
ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم  
ومعنى التراخي في ذلك  
ظاهر (انهم ألقوا آباءهم

الكلام ليزدادوا سرورا بابتكاره وقيل يقول المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان يشكره قال الله تعالى (لمثل هذا) أي المنزل والنعيم الذي ذكره في قوله أولئك لهم رزق معلوم (فليعمل العاملون) هذا ترغيب في ثواب الله تعالى وما عنده بطاعته (قوله تعالى) (أذلك) أي الذي ذكره لاهل الجنة من النعيم (خير نزلًا) أي رزقا (أم شجرة الزقوم) التي هي نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كرهية الطعم بكرة أهل النار على تناولها فهم يتزقون على أشد كراهة وقيل هي شجرة تكون بارض تهامة من أخبت الشجر (انا جعلنا هافتنه للظالمين) أي للكافرين وذلك أنهم قالوا كيف تكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبير لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بر الزبير والنمر وقيل هو بلغة أهل اليمن فأدخلهم أبو جهل بيته وقال يا جارية زقيننا فأتتهن بالزبير والنمر فقال أبو جهل تزقوا فهذا ما يوعدهم به محمد فقال الله تعالى (انها شجرة تخرج في أصل الجحيم) أي في قعر النار وأغصانها ترتفع الى دركاتهما (طلعها) أي ثمها سمي طلعا لطوعه (كأنه رؤس الشياطين) قال ابن عباس هم الشياطين باعيا انهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس فان قلت قد شبهها بشيء لم يشاهد فكيف وجه التشبيه قلت انه قد استقر في النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا فكأنه قيل ان أقبح الاشياء في الوهم والخيال رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر والعرب اذا رأته منظر اقبى حقا قالت كأنه رأس شيطان قال امرؤ القيس

أنتقلني والمشرقي مضاجعي \* ومنسونة زرق كانياب أغوال

شبه سنان الرمح بأنياب الغول ولم يرها وقيل ان ابن مكة واليمن شجرة قبيحة منقنة تسمى رؤس الشياطين فشبها بها وقيل أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمى الحية القبيحة المنظر شبه طابا (فانهم لا يكون منها) أي من نمرها (فالتون منها البطون) وذلك أنهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم (ثم ان لهم عليها لشوبا) أي خلطا ونزاجا (من حجيم) أي من ماء شديد الحرارة يقال أنهم اذا أكلوا الزقوم وشربوا عليه الحجيم شاب الحجيم الزقوم في بطونهم فصار شوبها لهم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) وذلك أنهم يردون الى الجحيم بعد شراب الحجيم (انهم ألقوا) أي وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم بهرعون) أي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم (ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين) أي من الامم الخالية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أي وأرسلنا فيهم رسلا منذرين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي الكافرين وكانت عاقبتهم العذاب (الاعباد الله المخلصين) أي الموحدون نجوا من العذاب والمعنى انظر كيف أهلكنا المنذرين الاعباد الله المخلصين قوله عز وجل (ولقد نادانا نوح) أي دعاه به على قومه وقيل دعاه به أن ينجيهم من الفرق (فلنعم المجيئون)

ضالين فهم على آثارهم بهرعون) علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد بتقليد الآباء في الدين واتباعهم اياهم نحن في الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحشون حشا (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (أكثر الاولين) يعني الامم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي الذين أنذروا وحذروا أي أهلكوا جميعا (الاعباد الله المخلصين) أي الال الذين آمنوا منهم وأخلصوا الله دينهم وأخلصهم الله لدينه على القراءتين بهولما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعاه اياه حين أبس من قومه بقوله (ولقد نادانا نوح) دعانا لننجيه من الفرق وقيل أريد به قوله اني مغلوب فاتنصر (فلنعم المجيئون) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيئون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا أجبناء أحسن

الاحابة ونصرناه على أعدائه واتقمنامنهم بابلغ ما يكون (ونجيناها وأهلها) ومن آمن به وأولاده (من الكرب العظيم) وهو الفرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقد فني غيرهم قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان من المشرق الى المغرب ويافث وهو أبو الترك وأجوج وأجوج (وتركنا عليه في الآخرين) من الامم هذه الكلمة وهي (سلام على نوح) يعني يسمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة أنزلناها (في العالمين) أي ثبت هذه التحية فيهم جميعا ولا يتخلوا أحدهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسمون عليه عن آخرهم (انا كذلك نجزي المحسنين) علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بأنه كان محسنا (انه من عبادنا المؤمنين) ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا يربك جلاله محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم (ثم أغرقنا الآخرين) أي الكافرين (وان من شيعته لابراهيم) أي من شيعته نوح أي ممن شايعه على أصول الدين (٢١) أو شايعه على التصلب في دين الله

ومصايرة المكذبين وكان بين نوح و ابراهيم ألفان وستائة وأربعون سنة وما كان بينهما الا نبين هود وصالح (اذ جاء ربه) اذ تعلق بمافي الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه (بقلب سليم) من الشرك أو من آفات القلوب لابراهيم أو بمحذوف وهو اذ كر ومعنى المجيء بقلبه ربه أنه أخلص الله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك (اذ) بدل من الاولى (قال) لاييه وقومه ماذا تعبدون أنفكا آلهة دون الله تر يدون) أنفكا مفعول له تقديره أتر يدون آلهة من دون الله افكا وانما

نحن أي دعانا فاجبناه وأهلكنا قومه (ونجيناها وأهلها من الكرب العظيم) أي من القم الذي لحق قومه وهو الفرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) يعني ان الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الاولاده ونساءهم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال هم سام وحام ويافث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية أخرى سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم وقيل سام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر وياجوج وماجوج وماهنا لك (وتركنا عليه في الآخرين) أي أبقينا له نساء حسنا وذكرا جيلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة (سلام على نوح في العالمين) أي سلام عليه منافي العالمين وقيل تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه الى يوم القيامة (انا كذلك نجزي المحسنين) أي جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين (انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) يعني الكفار <sup>١</sup> قوله عز وجل (وان من شيعته) أي من شيعته نوح (لابراهيم) يعني انه على دينه وملتته ومنهاجه وسنته (اذ جاء ربه بقلب سليم) أي مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يجب للناس ما يحب لنفسه (اذ قال لاييه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (أنفكا آلهة دون الله تر يدون) أي أنافكون افكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله تعالى (فما ظنكم برب العالمين) يعني اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم (فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه أراد أن يكادهم في أصنامهم ليلزمهم الحجية في أنها غير معبودة وكان لهم من الغدع يد ومجمع فكانوا يدخلون على أصنامهم ويقرءون لهم القرابين ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم وزعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لابراهيم الأنخرج معنا الى عيدنا فنظر في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس أي مطعون وكانوا يقرءون من المطعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه متساقم وهو من معارض الكلام وقد تقدم الجواب عنه في سورة

قدم المفعول به على الفعل للعناية وقد تم المفعول له على المفعول به لانه كان الالهة عندهم أن يكافهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز أن يكون افكا مفعولا به أي أتر يدون افكا فسر الافك بقوله آلهة دون الله على انها افك في نفسها أو حالا أي أتر يدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) أي شيء ظنكم (برب العالمين) وأتم تعبدون غيره وما رف بالابتداء والخبر ظنكم (فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة في النجوم) أي نظر في النجوم راميا ببصره الى السماء متفكرا في نفسه كيف يحتمل أو أراهم انه ينظر في النجوم لاعتقادهم علم النجوم فاهمهم أنه استدلل بامارة على أنه سقيم (فقال اني سقيم) أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهر بوائمه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه أحد ففعل بالاصنام ما فعل وقالوا علم النجوم حتى تم نسخ الاشتغال بعرفته والكذب حرام الا اذا عرض والذي قاله ابراهيم عليه السلام معارض من الكلام أي سأسقم أو من الموت في عنقه سقيم ومنه المثل كفي بالسلامات داه ومات رجل فجأة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي صحيح من الموت في عنقه وأراد اني سقيم النفس لكفركم كما يقول أنما مريض القلب من كذا



(فتولوا) فاعرضوا (عنه مدبر بن) أي مولين الادبار (فراغ الى آلهتهم) قال الهمسرا (فقال) استهزاء (الاتا كلون) وكان عندها طعام (مالك لا تنطقون) والجمع بالواو والنون لما أنه خاطبها خطاب من يعقل (فراغ عليهم ضربا) فاقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضر بهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضر بهم أو فراغ عليهم بضر بهم ضربا أي ضار با (باليمين) أي ضربا بشديد بالقوة لان اليمين أقوى الجار حثين وأشد هما وأب بالقوة والمتانة أو بسبب الحلف الذي سبق منه وهو قوله نالته لا كيدن أصنامكم (فأقبوا اليه) الى ابراهيم (يزفون) يسرعون من الزيف وهو الاسراع يزفون حزمة من أزف اذا دخل في الزيف از فافا فانه قد رآه بعضهم يكسرهاو بعضهم لم يره فاقبل من رآه مسرعان حوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا بالهتتنا انه لمن الظالمين فاجابوه على سبيل التعريض بقولهم سمعنا فتي يذكرهم يقال له ابراهيم ثم قالوا (٢٢) باجمعهم نحن نعبدها وانت تكسرها فاجابهم بقوله (قال) أتعبدون ما نتعبدون) يابديكم

(والله خلقكم وما تعملون)

الانبياء وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم أشتكي رجلى (فتولوا عنه مدبر بن) أي الى عيدهم فدخل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى (فراغ) أي مال (الى آلهتهم) ميلة في خفية (فقال) أي للاصنام استهزاء بها (الاتا كلون) يعني الطعام الذي بين أيديكم (مالك لا تنطقون فراغ) أي مال (عليهم ضربا باليمين) أي ضربهم بيده اليمين لانها أقوى من الشمال في العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل أراد باليمين القسم وهو قوله ونالته لا كيدن أصنامكم (فأقبوا اليه) أي الى ابراهيم (يزفون) أي يسرعون وذلك انهم أخبروا بصنع ابراهيم بالهتهم فأسرعوا اليه ليأخذوه (قال) لهم ابراهيم على وجه الحجاج (أتعبدون ما نتعبدون) أي يابديكم من الاصنام (والله خلقكم وما تعملون) أي وعملكم وقيل وخلق الذي تعملونه يابديكم من الاصنام وفي الآيات دليل على ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (قالوا) ابناؤه بنيانا بالقوة في الحجيم) قيل انهم بنوا له حائطان من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الخطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله تعالى (فأرادوا به كيدا) أي شرا وهو ان يحرقوه (جعلناهم الاسفلين) أي المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم (وقال) يعني ابراهيم (اني ذاهب الى ربي) أي مهاجرا الى ربي وأهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار (سبهدين) أي الى حيث أمرني بالمصير اليه وهو أرض الشام فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لي من الصالحين) أي هب لي ولدا صالحا (فبشرناه بغلام حلیم) قيل غلام في صغره حلیم في كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهي في السن حتى يوصف بالحلم قوله تعالى (فلما بلغ معه السعي) قال ابن عباس يعني المشي معه الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعى مع ابراهيم والمعنى بلغ ان ينصرف معه ويعينه في عمله وقيل السعي العمل لله تعالى وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين (قال يابني اني أرى في المنام أني أذبحك) قيل انه لم يرفي منامه انه ذبحه وانما أمر بذبحه وقيل بل رأى انه يعاجل ذبحه ولم ير اراقه دمه ورؤيا الانبياء حق اذاروا شيئا فاعلوه واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أمر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق أهل الكتابين على انه اسحق فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي واختلفت الروايات عن ابن عباس فروى عنه انه اسحق وروى انه اسمعيل ومن ذهب الى انه اسحق قال كانت هذه القصة بالشام

وخلق ما تعملونه من الاصنام أو ما مصدرية أي وخلق أعمالكم وهو دليلنا في خالق الافعال أي الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره (قالوا) ابناؤه أي لاجله (بنيانا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فالتقوه في الحجيم) في النار الشديدة وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهي حجيم (فأرادوا به كيدا) بالقائه في النار (جعلناهم الاسفلين) المقهورين عند الالتقاء فخرج من النار (وقال اني ذاهب الى ربي) الى موضع أمرني بالذهاب اليه (سبهدين) سبهدين الى ما فيه صلاح في ديني و يعصمني ويوفقني سيهدين فيهما يعقوب

وروي

(رب هب لي من الصالحين) بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد (فبشرناه

بغلام حلیم) انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ أو ان الحلم لان الصبي لا يوصف بالحلم وانه يكون حلما وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك (فلما بلغ معه السعي) بلغ أن يسعي مع أبيه في أشغاله وحواسنجه ومعه لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغها مع عاهد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر نيه على السعي قيل مع من قال مع أبيه وكان اذ ذلك ابن ثلاث عشرة سنة (قال يابني) حفص والباقرن يكسر الياء (اني أرى في المنام أني أذبحك) و بفتح الياء فهما حجازي وأبو عمر وقيل له في المنام اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحى كالوحى في اليقظة وانما يقل رأيت لانه رأى مرة بعد مرة فقيل رأى ليلة التروية كان قائلا بقوله ان الله يامر بك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك

وروى عن سعيد بن جبير قال رأى ابراهيم ذبح اسحق في المنام وهو بالشام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحدر من منى فلما أمره الله بذبح الكبيش ذبحه وسار به مسيرة شهر في راحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثاني انه اسمعيل واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والسكابي ورواية عطاء بن أنى رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المقدي اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحق بقوله تعالى فدشرناه بغلام حلیم فلما بلغ معه السعی أمر بذبح من بشر به وليس في القرآن انه بشر بولد سوى اسحق كما قال تعالى في سورة هود فدشرناه باسحق وقوله و بشرناه باسحق نبيامن الصالحين بعد قصة الذبيح يدل على انه تعالى انما بشره بالنبوته لما تحمل من الشدائد في قصة الذبيح فثبت بما ذكرناه ان اول الآية وآخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح وبما ذكرنا في كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسمعيل بان الله تعالى ذكر البشارة باسحق بعد القراخ من قصة الذبيح فقال تعالى و بشرناه باسحق نبيامن الصالحين فدل على ان المذبح غيره وايضا فان الله تعالى قال في سورة هود فدشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يامر به ذبح اسحق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبيح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اياه من نفسه الصبر على الذبيح فوفى له بذلك وقال القرطبي سألت عمر بن عبد العزيز بزر جلا من علماء اليهود وكان أسلم وحسن اسلامه أي ابني ابراهيم أمره الله تعالى بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يامعشر العرب على أن يكون أبوكم هو الذي أمر الله تعالى بذبحه ويدعون انه اسحق أبوهم ومن الدليل أيضا ان قرني الكبيش كانا معلقين على الكعبة في أيدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رأيت قرني الكبيش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان رأس الكبيش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش يعني يبس وقال الاصمعي سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح أ اسحق كان أو اسمعيل فقال يا أصمعي أين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل وهو الذي بنى البيت مع أبيه والله تعالى أعلم

✽ ذكر الاشارة الى قصة الذبيح ✽

قال العلماء بالسيرة وأخبار الماضين لما دعا ابراهيم به فقال رب هب لي من الصالحين وبشر به قال هو ادا لله ذبيح فلما ولدو بلغ معه السعي قيل له أوف بندرك هذا هو السبب في أمر الله تعالى اياه بالذبيح فقال لا اسحق انطلق تقرب لله قربا نافعا خدسكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا أبت أين قر بانك فقال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو ومن الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرمانه أمر في المنام بذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامر بك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى في نفسه أي فكر من الصباح الى الراح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فن تمسمى ذلك اليوم يوم التروية فلما أمسى رأى في المنام ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمى ذلك اليوم يوم عرفة وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تبين ذلك أخبر به ابنه فقال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك ( فانظر ماذا ترى ) أي من الرأي على وجه المشاورة فان قلت لم تشاورة في أمر قد علم انه حتم من الله تعالى وما الحكمة في ذلك قلت لم يشاورة ليرجع الى رأيه وانما

من المصباح الى الراح  
أمن الله هذا الحلم أم من  
الشیطان فن تمسمى  
يوم التروية فلما أمسى  
رأى مثل ذلك فعرف  
انه من الله فن تمسمى يوم  
عرفة ثم رأى مثل ذلك في  
الليلة الثالثة فهم بنحره  
فسمى اليوم يوم النحر  
( فانظر ماذا ترى ) من  
الرأي على وجه المشاورة لا  
من رؤية العين ولم يشاورة  
ليرجع الى رأيه ومشورته  
ولكن ليعلم أن يجزع أم  
يصبر ترى على وحزة أي  
ماذا تبصر من رأيك وتبديبه

أى ماتومر به وقرى به  
(ستجدنى ان شاء الله من  
الصابرين) على الذبح  
روى أن الذبيح قال لايه  
يا بآبت خذ بناصيتى واجلس  
بين كتفى حتى لأوذيك  
إذا أصبتنى الشفرة ولا  
تذبحنى وأنت تنظر فى  
وجهى عسى أن ترحنى  
واجعل وجهى الى الارض  
ويروى اذبحنى وأنا ساجد  
واقرا على أى السلام وان  
رأيت ان تردقىصى على  
أى فافعل فانه عسى أن  
يكون أسهل لى (فاما  
أسما) انقاد الامر الله  
وخضعا وعن فتادة أسلم  
هذا ابنه وهذا نفسه (وتله  
للجيين) صرعه على  
جيينه ووضع السكين على  
حلقه فلم يعمل ثم وضع  
السكين على فقاء فانقلب  
السكين ونودى يا ابراهيم قد  
صدقت الرؤى ياروى ان ذلك  
المكان عند الصخرة التى  
بنى وجواب لما حذف  
تقديره فلما أسلم وتله  
للجيين (ونادىناه أن  
يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا)  
أى حققت ما أمرناك به فى  
المنام من تسليم الولد للذبح  
كان ما كان مما ينطق  
به الحال ولا يحيط به الوصف  
من استبشارهما وجدما  
لله وشكرهما على ما أنعم  
به عليهما من دفع البلاء  
العظيم بعد حواره أو الجواب قبلنا منه ونادىناه معطوف عليه

شاووره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على أمر الله وعزمه على طاعته ويثبت قدمه  
ويصبره ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها وبقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر  
الله تعالى قبل نزوله فان قلت لم كان ذلك فى المنام دون اليقظة وما الحكمة فى ذلك قلت ان هذا الامر كان  
فى نهاية المشقة على الذابح والمذبح فور دى المنام كالتوطئة له ثم تأكد حال النوم بأحوال اليقظة فاذا  
تظاهرت الحالتان كان ذلك أقوى فى الدلالة ورؤيا الانبياء وحى وحق (قال يا بآبت افعلى ماتومر) أى قال  
الغلام لايه افعلى ما امرت به قال ابن اسحق وغيره ما أمر ابراهيم بذلك قال لابنه يابنى خذ الحبل والمدينة  
وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه فى الشعب أخبره بما أمره الله به فقال افعلى ماتومر  
(ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية  
الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله (فاما أسما) يعنى انقاد او خضعا لامر الله  
وذلك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أسلم ابنه وأسلم الابن نفسه (وتله للجيين) أى صرعه على الارض قال  
ابن عباس أضجعه على جبينه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا بآبت اشد در باطى كيلا أضطرب وأكف  
عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها شئ من دمي فينقص أجرى وتراه أى فقعن واستعد شفرتك وأسرع مر  
السكين على حلقى ليكون أهون على فان الموت شديد واذا أتيت أى فاقرأ عليها السلام منى وان رأيت أن  
تردقىصى على أى فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عنى فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يابنى  
على أمر الله ففعل ابراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وهو يبكى وقد ربطه والابن يبكى ثم انه وضع  
السكين على حلقه فلم تحك شيئا ثم انه حدها مرتين أو ثلاثا بالجر كل ذلك لا يستطيع أن يقطع شيئا قبل ضرب  
الله تعالى صفحة من نحاس على حلقه والاول أبلغ فى القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند  
ذلك يا بآبت كبتنى لوجهى فانك اذا نظرت وجهى رحمتنى وأدر كنت رقت تحول بينك وبين أمر الله تعالى  
وأنا لا أنظر الى الشفرة فأجزع منها ففعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك ثم وضع السكين على فقاء فانقلبت  
ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤى ياروى عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجالة قالوا لما رأى ابراهيم عليه  
الصلاة والسلام ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم أفن عند هذا آل ابراهيم لأفئن منهم أحدا بدأ فتمثل الشيطان  
فى صورة رجل وأتى أم الغلام فقال لها هل ندرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا  
الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليدبحه قالت كلا هو أرحم به وأشده حباله من ذلك قال انه يزعم أن الله أمره  
بذلك قالت ان كان به أمره بذلك فقد أحسن أن يطيعر به فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن  
وهو عشى على أنراييه فقال له يا غلام هل ندرى أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا  
والله ما ير يد الأنا يذبحك قال ولم قال ان ربه أمره بذلك قال فليفعل ما أمره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع  
الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لى فيه قال والله انى لارى الشيطان  
قد جاءك فى منامك فامر بك بذبج ابنك هذا فعره ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال اليك عنى يا عبد الله  
فوالله لا مضين لامر ربى فرجع ابليس بغيطه لم يصب من ابراهيم وآله شيئا مما أراد وامتنعوا منه بعون الله  
تعالى وروى عن ابن عباس ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا  
المشعر فسابقه فسابقه ابراهيم ثم ذهب الى جرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم  
عرض له عند الجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجرة الكبرى فرماه بسبع حصيات  
حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله عز وجل وهو قوله تعالى فلما أسلما وتله للجيين (ونادىناه) أى فنودى  
من الجبل (أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أى حصل المقصود من تلك الرؤى بحيث ظهر منه كمال الطاعة  
والانقياد لامر الله تعالى وكذلك الولد فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قدر أى الذبح ولم يذبح وانما

(انا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لتخويل ما خوطم من الفرج بعد الشدة (ان هذا هو البلاء المبين) الاختبار البين الذي يتميز فيه  
 المحاصون من غيرهم أو المحنة البينة (وفديناه بذبح) هو ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قرب به هابيل فقبل منه وكان يرمي في الجنة  
 حتى فدى به اسمعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة لسارت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجنة سمين وهي السنة في الاضاحي وروى  
 أنه هرب من ابراهيم عند الجرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال  
 الذبيح لاله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر والله الحد فيقبي سنة وقد استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه  
 يلزمه ذبح شاة والاظهر أن الذبيح اسمعيل وهو قول أبي بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضي الله عنهم لقوله عليه السلام أنا ابن  
 الذبيحين فأحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك ان عبد المطلب نذر ان يلع بنوه عشرة ان يذبح آخر ولده تقر باو كان عبد الله آخر  
 ففداه بمائة من الابل ولان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني اسمعيل الى أن احترق البيت في زمن الحجاج وابن الزبير وعن  
 الاصمعي أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وإنما كان اسمعيل بمكة  
 وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحرف بمكة وعن علي وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضي الله عنهم انه اسحق ويدل عليه كتاب  
 يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح (٢٥) الله بن ابراهيم خليل الله وإنما

قيل وفديناه وان كان  
 القادى ابراهيم عليه  
 السلام والله تعالى هو  
 المفتدى منه لانه الامر  
 بالذبح لانه تعالى وهب له  
 الكبش ليفتدى به وههنا  
 اشكال وهو أنه لا يخلو اما  
 أن يكون ما أتى به ابراهيم  
 عليه السلام من بطحه على  
 شقه وامرار الشفرة على  
 حلقه في حكم الذبح أم لا  
 فان كان في حكم الذبح فما  
 معنى الفداء والفداء هو  
 التخليص من الذبح بيد  
 وان لم يكن فامعنى قوله

كان تصديقها الوصل منه الذبح قلت جعله مصدقاً لانه بذل وسعه ومجهدوه وأتى بما أمكنه وفعل ما يشهده الذابح  
 وقد حصل المطاوب وهو اسلامهما الامر الله تعالى وانقيادهما لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا يا انا  
 كذلك نجزي المحسنين) يعني جزاه الله باحسانه في طاعته العفوع عن ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده  
 كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا (ان هذا هو البلاء المبين) أي الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده  
 (وفديناه بذبح عظيم) قيل نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا فراء ابنك فاذبحه  
 دونه فكبرا ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذنه ابراهيم وأتى به المنحرف من منى فذبحه قال أكثر  
 المفسرين كان هذا الذبح كبشاً رعى في الجنة أو بعين خر يفاو قال ابن عباس الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو  
 الذي قرب به ابن آدم قيل حق له أن يكون عظيماً وقد تقبل مرتين وقيل سمي عظيماً لانه من عند الله تعالى  
 وقيل لعظمه في الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن ما فدى اسمعيل الابليس من الاروى أهبط عليه  
 من تبير (وتركنا عليه في الآخر بن) أي تركناه ثناء حسناً فيمن بعده (سلام على ابراهيم كذلك نجزي  
 المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) قوله تعالى (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أي بوجود اسحق  
 وهذا على قول من يقول ان الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره  
 ومن جعل الذبيح هو اسحق قال معنى الآية وبشرنا بنبوته اسحق وكذا روى عن ابن عباس قال بشر به  
 مرتين حين ولد وحين نبى (و باركنا عليه) يعني على ابراهيم في أولاده (وعلى اسحق) أي يكون أكثر  
 الانبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) أي مؤمن (وظالم لنفسه) أي كافر (مبين) أي ظاهر الكفر وفيه تنبيه

(٤ - خازن) - رابع) قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدقها الوصح منه الذبح أصلاً أو بدلا ولم يصح والجواب أنه عليه  
 السلام قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم وهب الله له الكبش  
 ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس اسماعيل بدلا منه وليس هذا ينسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتاً الا ان المحل الذي  
 أضيف اليه لم يحل الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء يستقر حكم الامر عند المخاطب في آخر الحال على ان المبتنى منه في حق  
 الولد ان يصير قرباناً بنسبة الحكم اليه مكرماً بالفداء الحاصل لمعرفة الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة الى حال المكاشفة وإنما النسخ بعد استقرار  
 المراد بالامر لاقبله وقد سمي فداء في الكتاب لانسخها (وتركنا عليه في الآخر بن) ولا وقف عليه لان (سلام على ابراهيم) مفعول وتركنا  
 (كذلك نجزي المحسنين) ولم يقل انا كذلك هنا كما في غيره لانه قد سبق في هذه القصة فاستغنى بطرحه اكتفاءً بذكره مرة عن ذكره  
 ثانية (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا) حال مقدره من اسحق ولا بد من تقدير مضاف محذوف وبشرناه أي بوجود اسحق  
 أي بان يوجد مقدر انبوته فالعامل في الحال الوجود لا البشارة (من الصالحين) حال ثانية ووردت على سبيل الثناء لان كل نبى لا بد وأن  
 يكون من الصالحين (و باركنا عليه وعلى اسحق) أي أفضنا عليه ما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على ابراهيم في أولاده وعلى اسحق  
 بان أخرجنا من صلبه ألف نبى أو لهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام (ومن ذريتهما محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين)

أمرهما على العرف والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبايع والعناصر وعلى ان الظلم في أعقابهما لم يعد عليهما بما يعيب ولا تقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت بداه لاعلى ما وجد من أصله وفرعه (ولقد مننا) أنعمنا (على موسى وهررون) بالنبوة (ونجيناها وقومهما) بنى اسرائيل (من الكرب العظيم) من الفرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) أي موسى وهررون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ في بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) صراط أهل الاسلام وهي صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (وتركنا عليهما في الآخريين) سلام على موسى وهررون انا كذلك نجزي المحسنين انهم امن عبادنا المؤمنين (وان الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين من ولد هررون أخي موسى وقيل هو ادريس النبي عليه

على انه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد مننا على موسى وهارون) أي أنعمنا عليهما بالنبوة والرسالة (ونجيناها وقومهما) يعني بنى اسرائيل (من الكرب العظيم) يعني الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاؤهم من الفرق (ونصرناهم) يعني موسى وهررون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) أي على القبط (وآتيناهما الكتاب) يعني التوراة (المستبين) المستنير (وهديناهما الصراط المستقيم) أي دللناهما على طريق الجنة (وتركنا عليهما في الآخريين) أي الثناء الحسن (سلام على موسى وهررون) انا كذلك نجزي المحسنين انهم امن عبادنا المؤمنين ﴿قوله عز وجل﴾ (وان الياس لمن المرسلين) روى عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وكذلك هو في مصحفه وقال أكثر المفسرين هو نبي من أنبياء بنى اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هررون بن عمران

### ﴿ذكر الاشارة الى القصة﴾

قال محمد بن اسحق وعلماء السير والخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام عظمت الاحداث في بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكان الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بنى اسرائيل بتجديدا ما تنسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بنى اسرائيل وان سبغ منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعابهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوا لهم أنبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها للناس وهم أهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدقه فكان لياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فقصبت من رجل مؤمن جنيته كان يتعيش منها فاخذتها وقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى الياس الى الملك وزوجه وأمره أن يخبرهما أن الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتل ظلما و آلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنعهما ويردا الجنيته على ورثة المقتول أهلكتها في جوف الجنيته ثم يدعهما جيفتين ملقائين فيها ولا يتمتعان فيها الا قليلا لاجاء الياس فاخبر الملك بما أوحى الله اليه في أمره وأمر امرأته والجنيته فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما أرى ما تدعون اليه الا باطلا وهم يتعدى الياس وقتله فلما حس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان بأوى الى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا ياكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستتره منهم فلما طال الامر على الياس وسكنى الكهوف في الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فاوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهد بالياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألسأ ميني على وحيي وحقني في أرضي وصفوتي من خلقي سلني أعطك فاني ذالرجة الواسعة والفضل العظيم قال يارب تيمنتي وتلحقني بآبائي فاني قد مللت بنى اسرائيل ومالوني فاوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا اليوم الذي أعرى منك الارض وأهلها وانما صلاحتها وقوامها بك وبشبابك وان كنتم قليلا ولكن سلني أعطك فقال الياس ان لم تمتني فاعطني ناري من بنى اسرائيل قال الله عز وجل وأي شيء تريد أن أعطيك قال تملكني خزائن السماء سبع سنين فلا تسير عليهم سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الا بسفاعةي فانه لا يذلم الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس انا أرحم بخلقي من ذلك وان

(اذ قال لقومه لاتتقون)  
 ألتخافون الله (أندعون)  
 أتعبدون (بعلا) هو علم  
 لصنم كان من ذهب وكان  
 طوله عشرين ذراعاً وله أربعة  
 أوجه فتنوا به وعظموه  
 حتى أخذوه وأربعمته  
 سادن وجعلوهم أنبياء  
 وكان موضعه يقال له بك  
 فركب وصار بعلبك وهو  
 من بلاد الشام وقيل في  
 الياس والخضر انهما حيان  
 وقيل الياس وكل بالفياني  
 كما وكل الخضر بالبحار  
 والحسن يقول قد هلك  
 الياس والخضر ولا نقول كما  
 يقول الناس انهما حيان  
 (وتذرون أحسن  
 الخالقين) وتتركون عبادة  
 الله الذي هو أحسن  
 المقدرين (الله ربكم ورب  
 آباءكم الاولين) ينصب الكل  
 عراقى غير أبي بكر وأبي عمرو  
 على البدل من أحسن  
 وغيرهم بالرفع على الابتداء  
 (فكذبوه فاتهم لمحضرون)  
 في النار (الاعباد الله  
 المخلصين) من قومه (وترك  
 عليه في الآخرة سلام  
 على الياسين) أى الياس  
 وقومه المؤمنين كقولهم  
 الخبيثون يعنى أبا خبيب  
 عبد الله بن الزبير وقومه  
 آل ياسين شامى ونافع لان  
 ياسين اسم أبى الياس  
 فاضيف اليه الآل

كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا رحم بخلقى من ذلك قال خمس سنين قال أنا أرحم بخلقى ولكن أعطيتك  
 نارك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فبأى شئ أعيش يارب قال أسخر لك جيشاً من الطير  
 ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قدر ضيت فامسك الله عز وجل عنهم  
 المطر حتى هلكت الماشية والحوام والشجر وجهد الناس جهداً شديداً والياس على حاله مستخفياً من قومه  
 بوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس أصاب بنى اسرائيل ثلاث سنين القحط ففر  
 الياس بهجوز فقال لها عندك طعام قالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل قال فدعابه ودعافيه بالبركة ومسه  
 حتى ملأ جرابها قيقاً وملا خواياها زيتاً فلما رأوا ذلك عند هاقوا لوان أين لك هذا قالت مربي رجل من حاله  
 كذا وكذا فوصفته بصفته ففر فوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم أنه أوى الى بيت امرأة  
 من بنى اسرائيل وطأ ابن يقال له اليسع بن اخطوب به ضرباً قاتلاً وتنه وأخفت أمره فدعاه لينا فغوى من الضر  
 الذى كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه وزمعه وذهب معه حينما ذهب وكان الياس قد كبر وأسن  
 واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس انك قد أهلك كثير من الخلق بمن لم يعص من البهائم  
 والدواب والطيور والحوام بحبس المطر فيزعمون ان الياس قال يارب دعنى اكن انما الذى ادعوا طم بالفرج مما  
 هم فيه من البلاء لعالمهم يرجعون عمائمهم فيه وينزعون عن عبادة غيرك فقال له نعم فجاء الياس الى بنى اسرائيل  
 فقال انكم قد هلكتم جوعاً وجهداً وهلكت البهائم والدواب والطيور والحوام والشجر بخطاياكم وانكم على  
 باطل فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل  
 علمتم أنكم على باطل فترعتم ودعوتم الله تعالى ففرج عنكم ما أتم فيه من البلاء فقالوا انصفت فخرجوا  
 باوثانهم ودعوا فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس اننا قد أهلكنا فداع الله لنا فدعا الياس  
 ومعه اليسع بالفرج فخرجت سبحانه مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الآفاق  
 ثم أرسل الله عز وجل عليهم المطر واغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر تقضوا العهد ولم  
 ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على ما أحببت ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعار به عز وجل ان يرحمه منهم  
 فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فاجاءك من شئ فاركبه ولا تنبهه فخرج  
 الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذى أمر به أقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي  
 الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما نأمرنى فقتل الياس بكسائه من الجوارح  
 الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بنى اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من  
 بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساء الریش فصار انسياً ملكياً أرضياً ما يواو يواو سلطان الله عز  
 وجل على أحب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رفقهم فقتل أحب وامرأته أرييل  
 في الجنينة التي اغتصبها امرأة الملك من ذلك المؤمن فلم تزل جثتا هما ملقائين في تلك الجنينة حتى بليت  
 لحومهما ورمت عظامهما ونبا الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولاً الى بنى اسرائيل وأوحى اليه وأيده  
 فأمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائماً الى ان فارقههم اليسع روى السدى عن يحيى  
 ابن عبد العزيز عن أبى رواد قال الياس والخضر يصومان رمضان بيت المقدس ويوفيان الموسم في كل عام  
 وقيل ان الياس موكل بالفياني والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين (اذ قال  
 لقومه لاتتقون أندعون بعلا) يعنى أتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولتلك سميت مدية بنتهم بعلبك  
 قيل البعل الرب بلغة أهل اليمن (وتذرون) أى وتتركون عبادة (أحسن الخالقين) فلا تعبدون (الله ربكم  
 ورب آباءكم الاولين) فكذبوه فاتهم لمحضرون (أى فى النار) (الاعباد الله المخلصين) أى من قومه الذين آمنوا به  
 فانهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه فى الآخرة سلام على الياسين) قرئ آل ياسين بالقطع قيل أراد آل

(انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا من المرسلين اذ نجيناها واهله اجمعين الايجوز في الغابرين) في الباقيين (ثم دمرنا) اهلكا (الآخرين وانكم) يا اهل مكة (تمرون عليه مصبحين) داخلين في الصباح (و بالليل) والوقف عليه مطلق (أفلا تعقلون) يعني تمرون على منازلهم في متاجرهم الى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول تعبرون بها وانما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لان الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين في آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفرد بالسلام (وان يونس لمن المرسلين اذ ابقى) الا باق الهرب الى حيث لا يهتدى (٢٨) اليه الطالب فسمى هر به من قومه بغير اذن ربه ابا قحجاز (الى الفلك المشحون) المملوء

وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمتور منهم فقصده البحر وركب السفينة فوفقت فقالتوا ههنا عبد ابي من سيده وفيما يزعم البصاريون ان السفينة اذا كان فيها ابق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا ابقى وزج بنفسه في الماء فذلك قوله (فساهم) فقارعههم مرة أو اثلاثا بالسهم والمسامحة القاء السهم على جهة القرعة (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة (فالتقمه الحوت) فابتاعه (وهو مليم) داخل في الملامة (فلولانه كان من المسيحين) من الذين اكره الله كثيرا بالتسبيح أو من القائلين لاله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين أو من المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القرآن فهو صلاة ويقال ان العمل

محمد صلى الله عليه وسلم وقيل آل القرآن لان ياسين من أسماء القرآن وفيه بعد وقرئ اليا سين بالوصل ومعناه الياس واتباعه من المؤمنين (انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) قوله تعالى (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناها واهله اجمعين الايجوز في الغابرين) أي الباقيين في العذاب (ثم دمرنا) أي اهلكنا (الآخرين وانكم) أي يا اهل مكة (تمرون عليهم) أي على آثارهم ومنازلهم (مصبحين) أي في وقت الصباح (و بالليل) أي وبالليل في أسفاركم (أفلا تعقلون) أي فتعتبرون بهم قوله عز وجل (وان يونس لمن المرسلين) أي من جملة رسل الله تعالى (اذ ابقى) أي هرب (الى الفلك المشحون) أي المملوء قال ابن عباس وذهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمتور منهم فقصده البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد ابي من سيده فاقترعوا فوفقت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهي تقع على يونس فقال انا ابقى وزج نفسه في الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأة أو ابنان له فجاءه مركب فاراد ان يركب معهم فقدم امره ليركب بعدها فخال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجة أخرى فاخذت ابنه الاكبر وجاءه ذئب فاخذ الابن الاصغر فبقى فريدا فجاء مركب آخر فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة في البحر ركبت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والام يحصل وقوف السفينة فيما نراه من غير عوج ولا سبب ظاهر فاقترعوا فخرج سهمه نغرقه فلان يفرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى (فساهم) أي فقارع (فكان من المدحضين) يعني من المقروعين المغلوبين وقد تقدمت القصة في سورة يونس والانبيا (فالتقمه الحوت) أي ابتلعه (وهو مليم) أي آت بما يلام عليه (فلولانه كان من المسيحين) أي من الذين اكره الله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكرو قال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة فان يونس كان عبدا صالحا اذا كره الله تعالى له طاعته القديمة في بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال فلولانه كان من المسيحين (اللبث في بطنه الى يوم يبعثون) وقيل لولانه كان يسبح في بطن الحوت بقوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين للبت في بطنه الى يوم يبعثون أي اصار بطن الحوت قبالة الى يوم القيامة قوله عز وجل (فتبذناه) أي طرحناه انما اضاف التبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النا بذلان أفعال العباد كلها محالوقه لله تعالى (بالعراء) أي بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل (وهو سقيم) أي عليل كالفرخ المعطوقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة قيل انه لبث في بطن الحوت ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل اربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية (وانبتنا عليه شجرة من يقطين) يعني القرع قيل ان كل نبت يمتد وينسط على وجه الارض كالقرع والقشع والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل أنبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفي شجر القرع فائدة وهي ان

الصالح يرفع صاحبه اذا عثر (اللبث في بطنه الى يوم يبعثون) الظاهر لبثه حيا الى يوم البعث وعن قتادة كان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وقد لبث في بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو اربعين يوما وعن الشعبي التقمه ضحوة ولفظه عشية (فتبذناه بالعراء) فالتبذنا به بل كان الخالي الذي لا شجر فيه ولا نبات (وهو سقيم) عليل مما ناله من التقام الحوت وروى انه عاد بدنه كبدين الصبي حين يولد (وانبتنا عليه شجرة) أي أنبتناها فوقه مظلة كما يظن البيت على الانسان (من يقطين) الجمهور على انه القرع وفائدة انه ان التباب لا يجتمع عنده وانه أسرع الاشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة أسمى يونس

(وأرسلناه الى مائة ألف) المراد به القوم الذين بعث اليهم قبل الانتقام فتكون قد مضرة (أو يز يدون) في مرآى الناظر أى اذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يز يدون قال لك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك (فآمنوا) به وبما أرسل به (فتعناهم الى حين) أى منتهى آجالهم (فاستفتهم أربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله في أول السورة أى على فاستفتهم أهم أشد خلقا وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسول الله باستفتاءه قر يش عن وجه انكار البعث وألام ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضري التي قسموها حيث جعلوا الله تعالى (٢٩) الاناث ولا نفهم المذكور في

قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن (أم خلقنا الملائكة انا وهم شاهدون) حاضر ون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لانهم كالم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلاف الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر أو معناه انهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لا فرط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) في قولهم (أصطفى البنات على البنين) بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذف همزة الوصل استغناء عنها همزة الاستفهام (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أفلا تدرون)

الذباب لا يجتمع عندها فكان بونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على الارض لم يكن أن يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشبة حتى اشتد لجه ونبت شعره وقوى فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة وأصابه حر الشمس فخن خن ناشد يدا وجعل يبكي فإرسله الله تعالى اليه جبريل وقال أنخزن على شجرة ولا تخزن على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وتابوا (وأرسلناه الى مائة ألف) قيل أرسله الى أهل بنينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه الى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت أمر أن يرجع اليهم ثانيا وقيل كان إرساله اليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز أن يكون إرساله الى قوم آخرين غير القوم الاولين (أو يز يدون) قال ابن عباس معناه يز يدون وقيل معناه بل يز يدون وقيل أى على أصلها والمعنى أو يز يدون في تقدير الرائي اذا رآهم قال هؤلاء مائة ألف أو يز يدون على ذلك فالشك على تقدير الخلقين والاصح هو قول ابن عباس الاول وأما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين ألفا وبعضه مائة ألفا وعن أبي بن كعب رضى الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يز يدون قال يز يدون عشرين ألفا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقيل يز يدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا (فآمنوا) يعنى الذين أرسل اليهم بونس بعد معاينة العذاب (فتعناهم الى حين) أى الى انقضاء آجالهم وقوله عز وجل (فاستفتهم) أى فسل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ (أربك البنات ولهم البنون) وذلك ان جهنمة بنى سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشئ الذى يستنكف منه المخالوق كيف ينسب للخالق (أم خلقنا الملائكة انا وهم شاهدون) أى حاضر ون خلقنا يا لهم (ألا انهم من افكهم) أى من كذبهم (ليقولون ولد الله) أى في زعمهم (وانهم لكاذبون) أى فيما زعموا (أصطفى البنات) أى في زعمكم (على البنين) وهو استفهام توبيخ وتقريع (مالكم كيف تحكمون) أى بالبنات لله ولكم بالبنين (أفلا تدرون) أى أفلا تتعظون (أم لكم سلطان مبين) أى برهان بين على ان لله ولدا (فاتوا بكتابكم) يعنى الذى لكم فيه حجة (ان كنتم صادقين) أى فى قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قيل أراد الجنة الملائكة سموها الجنة لاجتنانهم عن الاصل قال ابن عباس هم حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى أمهاتهم قالوا سموات الجن وقيل معنى النسب انهم أشركوا الشياطين فى عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الخبر من الله والشرك من الشيطان (ولقد علمت الجنة انهم) يعنى قائلى هذا القول (لمحضرون) أى فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما يقولون (الاعباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون (فانكم) يعنى يا أهل مكة (وماتعبدون) أى من الاصنام (ما أنتم عليه)

بالتخفيف جزرة وعلى وحفص (أم لكم سلطان مبين) حجة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله (فاتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه وبين الله) وبين الجنة (الملائكة لاستنابهم) (نسبا) وهو زعمهم انهم بنات الله وقالوا ان الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) (ولقد علمت الملائكة ان الذين قالوا هذا القول لمحضرون فى النار) (سبحان الله عما يصفون) نزه نفسه عن الولد والصاحبة (الاعباد الله المخلصين) استغناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من واوصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به (فانكم) يا أهل مكة (وماتعبدون) ومعبوديكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) على الله



(بفانين) بمضلين (الامن هو صال الحجيم) بكسر اللام أى لستم تضلون أحدا الاصحاب النار الذين سبق في علمه انهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوا بها يقال فتن فلان على فلان امر أنه كما تقول أفسدها عليه وقال الحسن فانكم أيها القائلون بهذا القول والذي تعبدونه من الاصنام ما تم على عبادة الاوثان بمضلين أحد الامن قدر عليه أن يصلى بالحجيم أى يدخل النار وقيل ما تم بمضلين الامن أو جبت عليه الضلال في السابقة وما في ما تم نافية ومن في وضع النصب بفانين وقرأ الحسن صال الحجيم بضم اللام ووجهه أن يكون جمعا خذفت النون للاضافة وخذفت الواو لالتقاء الساكنين هي واللام في الحجيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (ومامنا) أحد (الاله مقام معلوم) في العبادة لا يتجاوز خذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه (وانالحن الصافون) نصف أقدامنا في الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين (وانالحن المسبحون) المتزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحانه الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة قرب العزة وقالوا سبحانه (٣٥) الله فترهوه عن ذلك واستنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذ اصبح

أى على ما تعبدون (بفانين) أى بمضلين أحدا (الامن هو صال الحجيم) أى الامن سبق له في علم الله الشقاوة وانه سيدخل النار قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة (ومامنا الاله مقام معلوم) يعنى ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ومامنا عشر الملائكة ملك الاله مقام معلوم يعبد به فيه وقال ابن عباس ما في السموات موضع شبرا الاله عليه ملك يصلى أو يسبح وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اطت السماء وحق لها أن تظت والذي نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذى وهو طرف من حديث قيل الا يطيط أصوات الاقتاب وقيل أصوات الابل وحنانها ومعنى الحديث ما في السماء من الملائكة قد اطت حتى اطت وهذا مثل مؤذن بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم اطيط وقيل معنى الاله مقام معلوم أى في القرب والمشاهدة وقيل بعد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا (وانالحن الصافون) يعنى الملائكة صفا أقدامهم في عبادة الله تعالى كصوف الناس في الصلاة في الارض (وانالحن المسبحون) أى المصلون لله تعالى وقيل المتزهون لله تعالى عن كل سوء يخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بعبودين كإزعمت الكفار قوله عز وجل (وان كانوا يقولون) يعنى كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (لوان عندنا ذكرا من الاولين) يعنى كتابا مثل كتاب الاولين (لكننا عباد الله الخاصين) أى لاخلصنا العبادة لله (فكفروا به) أى فلما أناهم الكتاب كفروا به (فسوف يعامون) فيه تهديد لهم قوله عز وجل (واقدم سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) يعنى تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم (انهم لهم المنصورون) أى بالحجة البالغة (وان جندنا) أى حزبنا المؤمنين (لهم الغالبون) أى لهم النصر في العاقبة (فتول) أى عرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعنى الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى أمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل الى أن يأتيهم العذاب (وأبصرهم) أى اذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) أى ذلك فعند ذلك قالوا متى

ذلك فانكم وآلحكم لا تقدر وان تفتنوا على الله أحدا من خاتمه وتضاهوه الامن كان من أهل النار وكيف نكون مناصبين لرب العزة وما نحن الاعبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته ونحن الصافون أقدامنا لعبادته مسبحين بمجدين كما يحب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى وما من المسلمين أحد الاله مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر

هذا

أعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لا يجوز

عليه (وان كانوا يقولون) أى مشركو قريش قبل بعثته عليه السلام (ان عندنا ذكرا من الاولين) أى كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل (لكننا عباد الله الخاصين) لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فكفروا به فسوف يعامون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهي كامات لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة والمراد الموعد بعلاؤهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلاؤهم عليهم في الآخرة وعن الحسن ما غلب نبي في حرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في العقبى والحاصل ان قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعف ذلك شوب من الابتلاء والحننة والعبارة للغالب (فتول عنهم) فاعرض عنهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهي المدة التي أمهلوا فيها والى يوم بدر والى فتح مكة (وأبصرهم) أى أبصر ما ينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك وهو

للوعيد للتعبد أو انظر اليهم اذا عذبوا فسوف يبصرون ما أنكروا أو اعلمهم فسوف يعلمون (افبعذابنا يستجلبون) قبل حينه  
 (فاذا نزل) العذاب (بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذر بن) صباحهم واللام في المنذر بن مهم في جاس من أنذروا والآن ساء وبس  
 يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذروه فأنكروه بحيش أنذر  
 بهجومه قومه بعض نصابهم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى أتاهم بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة معاوية وهم ان يغيروا صباحا  
 فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) وانما اني ليكون تسليية على تسليية وتأكيذا  
 لوقوع الميعاد الى تأكيديه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معان التقييد بالفعل وانه يبصروهم يبصرون ما لا يحيط به الذكركم من  
 صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد احدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة)

(٣١)

أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد انه مامن عزة لاحد الا وهو ربها وما لكها كقوله نزع من نشاء (عما يصفون) من الولد والصاحبة والشريك (وسلام على المرسلين) عم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض في السورة لان في تخصيص كل بالذكر تطويلا (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوه اليه مما هو منزله عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم

هذا العذاب قال الله عز وجل (افبعذابنا يستجلبون فاذا نزل) يعني العذاب (بساحتهم) أي بحضرتهم وقيل بفنائهم (فساء صباح المنذر بن) أي فئس صباح الكافرين الذين أنذروا العذاب (ق) عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر انا انزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فاطل ثلاث مرات ثم كر ذكر ما تقدم تأكيذا للوعيد العذاب فقال تعالى (وتول عنهم حتى حين) وقيل المراد من الآية الاولى ذكر أحوالهم في الدنيا وهذه ذكر أحوالهم في الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار (وأبصر) أي العذاب اذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة) أي العلية والقدرة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانها القادر على جميع الحوادث (عما يصفون) أي عن اتخاذا شركاء والاولاد (وسلام على المرسلين) أي الذين باغوا عن الله عز وجل التوحيد والشرايع لان أعلى مراتب البشر أن يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا جرم يجب على كل أحد الاقتداء بهم والاهتداء بهم (والحمد لله رب العالمين) أي على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يخلو به ولا يغفلوا عنه لما روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال من أحب أن يكتال بالمكيال الا وفي من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله أعلم بما رده وأمر كتابه

تفسير سورة ص ﴿ ويقال لها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهي مكية وهي ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبع مائة واثنان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفا ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (ص) قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصدق والصدق والصدور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم (والقرآن ذي الذكر) قال ابن عباس أي ذي البيان وقيل ذي الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص أقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن ان محمد صلى الله عليه وسلم لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر ما الامر كما تقول السكندر على هذا المحذوف قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقيل بل الذين كفروا وموضع

نغمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قبض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلو به ولا يغفلوا عن مضمناات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه ومن أحب أن يكتال بالمكيال الا وفي من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية كوفي وتسع بصرى وست مدني) (بسم الله الرحمن الرحيم) (ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتبهيي على الاجازة ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال (والقرآن ذي الذكر) أي ذي الشرف انه لكلام معجز ويجوز أن يكون ص خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم للسورة كأنه قال هذه ص أي هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تر يد هذا هو المشهور بالسجاء والله وكذلك اذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال (بل الذين كفروا)

في عزة) تكبر عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق (وشقاق) خلاف لله ولرسوله والتسكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما  
 وقرى في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لدوى العزة والشقاق (من قبلهم) من قبل قومك (من  
 قرن) من أمة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب (ولات) هي لا المشبهة بليس زيدت عليها ناء التأنيث كزادت على رب وتم  
 للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الاعلى الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضيتها اما الاسم والخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب  
 الخليل وسينو به وعند الاخفش أنها النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنبي الاحيان وقوله (حين مناص) من جناس صوب بها كانتك  
 قلت ولا حين مناص لهم وعندهما أن النصب على تقدير ولات الحين حين مناص أي وليس الحين حين مناص (وعجبوا أن جاءهم) من  
 أن جاءهم (منذر منهم) رسول (٣٢) من أنفسهم ينذرهم يعني استبعدوا أن يكون النبي من البشر (وقال الكافرون هذا

ساحر كذاب أجعل  
 الآلهة الها واحدا  
 ان هذا لشيء عجاب) ولم  
 يقل وقالواظهار للغضب  
 عليهم ودلالة على أن هذا  
 القول لا يجسر عليه الا  
 الكافرون المتوغلون في  
 الكفر المنهمكون في النفي  
 اذ لا كفر أبلغ من أن  
 يسموا من صدقه الله  
 كاذبا ساحرا ويتعجبوا من  
 التوحيد وهو الحق الابلج  
 ولا يتعجبوا من الشرك  
 وهو باطل جليح وروى  
 ان عمر رضي الله عنه لما  
 أسلم فرح به المؤمنون  
 وشق على قريش فاجتمع  
 خمسة وعشرون نفسا من  
 صناديدهم ومشوا الى أبي  
 طالب وقالوا أنت كبرنا  
 وقد علمت ما فعل هؤلاء  
 السفهاء يريدون الذين  
 دخلوا في الاسلام وجئناك

القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (في عزة وشقاق) والقرآن ذى الذكر وقيل جوابه  
 ان كل الا كذب الرسل وقيل جوابه ان هذا الرزقنا وقيل ان ذلك لحنى تخصم أهل النار وهذا ضعيف لانه  
 تخلل بين القسم وهذا الجواب أفاضل وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي آخر ومجاز الآية ان الله  
 تعالى أقسم بصاد والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة في عزة أي حمية وجاهلية وتكبر عن  
 الحق وشقاق أي خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعني من الامم  
 الخالية (فنادوا) أي استغاثوا وعند نزول العذاب وحلول النقمة (ولات حين مناص) أي ليس الحين حين  
 قرار وتناخر قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص أي اهر بوا  
 وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب بيدروا وقالوا مناص فانزل الله عز وجل (ولات حين مناص أي ليس الحين  
 حين هذا القول (وعجبوا) يعني كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) يعني رسولا من أنفسهم ينذرهم (وقال  
 الكافرون هذا ساحر كذاب) قوله عز وجل (أجعل الآلهة الها واحدا) وذلك ان عمر بن الخطاب  
 رضى الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم  
 الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة مشوا الى أبي طالب فأتوا  
 الى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانما أتيناك لتتقضى بيننا وبين  
 ابن أخيك فارسل اليه أبو طالب فدعاه فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم اليه قال له يا ابن أخي هؤلاء قومك  
 يسألونك السواء فلا تم كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألونني قالوا ارفض  
 آهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضنا وندعك قالوا انما يسألونك السواء  
 فقال أبو جهل لله أبو جهل لله أبوك لنعطيكها وعشرة أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله  
 الا الله فنفر وامن ذلك وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد (ان هذا لشيء عجاب)  
 أي عجب (وانطلق الملا منهم) أي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب (ان امشوا) أي يقول بعضهم  
 لبعض امشوا (واصبر واعلى آهنتكم) أي ائبتوا على عبادة آهنتكم (ان هذا لشيء يراد) أي لا امر يراد بنا  
 وذلك ان عمر رضى الله عنه لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بما كانوا قالوا ان هذا لذي نراه من زيادة أصحاب محمد  
 صلى الله عليه وسلم لشيء يراد بنا وقيل يراد به اهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم ان يملك علينا

تتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي  
 هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تم كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا يسألونني فقالوا ارفضنا وندعك  
 والهك فقال عليه السلام ارفضنا وندعك قالوا انما يسألونك السواء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله  
 الا الله فقالوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا أي اصبر ان هذا لشيء عجاب أي بليغ في العجب وقيل العجب ماله مثل والعجاب  
 ما لا مثل له (وانطلق الملا منهم أن امشوا) وانطلق اشراف قريش عن مجلس أبي طالب بعد ما بكثرتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب  
 العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا وان معنى أي لان المنطلقين عن مجلس التناول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضا فيما جرى لهم  
 فكان انطلقهم متضمنا معنى القول (واصبر واعلى عبادة) (آهنتكم ان هذا) الامر (لشيء يراد) أي يراد به الله تعالى ويحكم بامضاته  
 فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وأن هذا الامر لشيء من نواب الدهر يراد بنا فلا تفككك لتامته

(ما سمعنا)

ماسمعنا بهذا) بالتوحيد (في الملة الآخرة) في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة وفي ملة قريش التي أدر كنا عليها  
 آباءنا (ان هذا) ما هذا (الاختلاق) كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه (أُنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) أنكروا أن يختص بالشرف  
 من بين أشرفهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا (بل هم في شك من ذكرى) من القرآن بل لما يذوقوا عذاب بل هم لم يذوقوا عذابي  
 بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ أي انهم لا يصدقون به الا ان يسهم العذاب فيصدقون حينئذ (أم عندهم خزائن  
 رحمة ربك العزيز الوهاب) يعني ما هم بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عن شاءوا ويتخير والنبوة بعض  
 صناديدهم ويرفعوا بها عن محمد وأما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواهبها الذي  
 الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته ثم شرح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) حتى يتكاملوا في الامور الربانية  
 والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم حكهم بما غاب عنهم (٣٣) فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق

والتصرف في قسمة الرحمة  
 (فليرتقوا في الاسباب)  
 فليصعدوا في المعارج  
 والطرق التي يتوصل بها  
 الى السماء حتى يدبروا امر  
 العالم وملكوت الله  
 وينزلوا الوحي الى من  
 يختارون ثم وعد نبيه عليه  
 السلام النصر عليهم  
 بقوله (جند مبتدأ) ما  
 صفة مقوية للسكر  
 المبتدأ (هنالك) اشارة  
 الى بدرو مصارعهم اولى  
 حيث وضعوا فيه انفسهم  
 من الاتسباب لمثل ذلك  
 القول العظيم من قولهم  
 لمن ينتدب لامر ليس من  
 أهله لست هنالك خبر  
 المبتدأ (مهزوم) مكسور  
 (من الاحزاب) متعلق  
 بجند أو مهزوم يريد

(ماسمعنا بهذا) أي بالذي يقوله محمد من التوحيد (في الملة الآخرة) قال ابن عباس يعنون النصارى لانها  
 آخر الملل وانهم لا يوحون الله بل يقولون ثلاث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهي دينهم الذي هم عليه (ان  
 هذا الاختلاق) أي كذب وافتعال (أُنزل عليه الذكر) أي القرآن (من بيننا) أي يقول أهل مكة ليس  
 هو باكرنا ولا أشرفنا قال الله تعالى (بل هم في شك من ذكرى) أي وحي وما أنزلت (بل لما  
 يذوقوا عذاب) أي لو ذاقوا ما قالوا هذا القول (أم عندهم خزائن رحمة ربك) يعني مفاتيح النبوة يعطونها  
 من شاءوا (العزيز) أي في ملكه (الوهاب) الذي وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (أم لهم ملك السموات  
 والارض وما بينهما) أي ليس لهم ذلك (فليرتقوا في الاسباب) يعني ان ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا في  
 الاسباب التي توصلهم الى السماء لياتوا منها بالوحي الى من يختاروا وقيل أراد بالاسباب أبواب السماء وطرقها  
 من سماء الى سماء وهذا أمر نوبيخ وتجهيز (جند ما هنالك) أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جندا  
 هنالك (مهزوم) أي مغلوب (من الاحزاب) يعني ان قريش من جملة الاجناد الذين تجتمعوا وتحزبوا على  
 الانبياء بالكذب فقهر واواهلكوا اخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم  
 جند المشركين فجاءت اولها يوم بدر وهنالك اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معز يا نبيه صلى الله  
 عليه وسلم (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد) قال ابن عباس ذوالبناء المحكم وقيل  
 ذوالملك الشديد الثابت والعرب تقول هو في عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك انه دائم شديد قال الاسود بن  
 يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة \* في ظل ملك ثابت الاوتاد  
 وقيل ذو قوة وأصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفي رواية عن ابن عباس رضى  
 الله عنهما ذوالجنود والجوع الكثيرة يعني انهم بقرون أمره و يشدون ملكه كما يقوى الوند الشيء وسميت  
 الاجناد اوتاد الكثرة المضارب التي كانوا يضر بونها و يوتدونها في أسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوند وكانت  
 له اوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على أحد من مستلقيا بين أربعة اوتاد يشد كل طرف منه الى  
 وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد واحبال وملاعب يلعب  
 عليها بين يديه (وممود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب) أي الذين تحزبوا على  
 الانبياء فاعلم الله تعالى ان مشركي قريش حزب من أولئك الاحزاب (ان كل الاكذب الرسل

(٥ - خازن) - رابع) ماهم الاجند من الكفار المتحزب بين على رسول الله مهزوم عما قريش  
 فلانبال بما يقولون ولا تكثرت لمابه يهزون (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وفرعون) موسى  
 (ذوالاوتاد) قيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة اوتاد في يديه ورجليه (وممود) وهم قوم صالح  
 صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الايكة) الغيضة شعيبا (أولئك الاحزاب) أراد بهذه الاشارة للاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند  
 المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب (ان كل الاكذب الرسل) ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام  
 حيث لم يبين الكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فوضحه فيها وبين المكذب وهم الرسل وذكر ان كل واحد من الاحزاب كذب جميع  
 الرسل لان في تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لان اتحاد دعوتهم وفي تكذيب واحد منهم تكذيب الجميع والتوزيع في تكذيبه  
 بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق

أشد العقاب وابلغه ثم قال (حق عقاب) أي فوجب لذلك أن أعاقبهم حتى عقابهم عن أبي وعقابي في الحالين يعقوب (وما ينظر هؤلاء) وما ينظر أهل مكة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب (الاصيحة واحدة) أي النسخة الأولى وهي الفزع الأكبر (ماطمان فواق) وبالضم جزوة على أي ما طمان توقف مقدار فواق وهو ما بين حلتبي الحالب أي إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما طمان رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقه ساعة يرجع الدر إلى ضرعها يريد أنها نفاخة واحدة فحسب لائشي ولا تردد (وقالوا ربنا عجل لنا قننا) حظنا من الجنة لأنه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقولهم ويستعجلونك بالعذاب وأصل القط القسط من الشيء لأنه قطعة منه من قطعه إذا قطعه ويقال لصحيفة (٣٤) الجائزة قطلانها قطعة من القرطاس (قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون) فيك

وصن نفسك ان تنزل فيما كفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم (واذ كرهنا داود) وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من عتاب الله مالتى (ذا الأيد) ذا القوة في الدين وما يدل على ان الأيد القوة في الدين قوله (انه أواب) أي رجع إلى مرضاة الله تعالى وهو تعليل والذي لا يدري انه كان يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل (اناسخرنا) ذلنا (الجبال معه) قيل كان تسخيرها انها تسير معه إذا أراد سيرها إلى حيث يريد (يسبحن) في معنى مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا

حق عقاب) يعني ان أولئك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين إذا نزل بهم العذاب وفي الآية زجر وتخويف للسامعين (وما ينظر) أي ينتظر (هؤلاء) يعني كفار مكة (الاصيحة واحدة ما طمان فواق) أي رجوع والمعنى ان تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف (وقالوا ربنا عجل لنا قننا) أي حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحارث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي حصرت كل شيء وقيل لما نزلت في الحاقه فأما من أوتى كتابه بيمينه وأما من أوتى كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا (قبل يوم الحساب) وقيل قننا أي حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجواز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (اصبر على ما يقولون) أي على ما يقول الكفار من التكذيب (واذ كرهنا داود ذا الأيد) قال ابن عباس ذا القوة في العبادة (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذا القوة في الملك (انه أواب) أي رجع إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله عز وجل وقيل مسبح باغة الحبشة (اناسخرنا الجبال معه يسبحن) أي بتسبيحه إذا سبح (بالعشي والاشراق) أي غدوة وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفيه ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله بالعشي والاشراق قال كنت أمس بهذه الآية لأدري ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال يا أم هانئ ان هذه صلاة الاشراق قلت والذي أخرجاه في الصحيحين من حديث أم هانئ في صلاة الضحى قالت أم هانئ ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستر به ثوب فسأمت عليه فقال من هذه قلت أنا أم هانئ بنت أبي طالب فقال مرحبا يا أم هانئ فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتصقا بثوب قالت أم هانئ وذلك نحيي ولها عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ما حدثنا أحدنا أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى غير أم هانئ فأنها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيته يوم فتح مكة فأغتسل وصلى ثمان ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود ﴿قوله تعالى والطيور﴾ أي وسخر ناله الطير (محشورة) أي مجموعة إليه تسبح معه (كل له أواب) أي رجع

بعد حال (بالعشي والاشراق) أي في طرفي النهار والعشي وقت العصر إلى الليل والاشراق وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء وهو وقت الضحى وأما شرحها لمطلوعها تقول شرفت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الإبهذه الآية (والطيور محشورة) وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان إذا سبح جاو بته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطيور لاجل داود أي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقدمه وقيل الضمير لله أي كل من داود والجبال والطيور لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح

(وشددنا ملكه) قوبناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل بحرسونه (وآييناه الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق (٣٥) والباطل والفصل هو التمييز بين

الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه (وشددنا ملكه) أي قوبناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان أشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل وروى عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم عند داود عليه الصلاة والسلام فقال ان هذا غصبي بقرة فسأله داود فجحده فسأل الآخر البيئته فلم يكن له دينه فقال له ما داود قوما حتى أنظر في أمر كما فوحي الله الى داود في منامه أن يقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل عليه حتى أتت فوحي اليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى اليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فأرسل اليه داود فقال ان الله عز وجل أوحى الى أن أقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم والله لا نفذن أمر الله فيك فمأعرف الرجل أنه قاتله قال لا تجمل حتى أخبرك اني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والده هذا فقتلته فبذلك أخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبته بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه (وآييناه الحكمة) يعني النبوة والاصابة في الامور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس يعني بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والتبصر بالقضاء وقال علي بن أبي طالب هو أن البيئته على المدعى واليمين على من أنكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال أبي بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أما بعد اذا أراد الشروع في كلام آخر وأول من قاله داود عليه الصلاة والسلام ﴿قوله عز وجل (وهل أتاك) أي وقد أتاك يا محمد (نبأ الخصم) أي خبر الخصم فاستمع له نقصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الاخبار الجيبة والتشويق الى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع (اذ تسوروا المحراب) أي صعدوا وعلوا المحراب أي البيت الذي كان يدخل فيه داود ويشغل بالطاعة والعبادة والمعنى أنهم أتوا المحراب من سورة وهو أعلاه وفي الآية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام \* واختلف العلماء باخبار الانبياء في سبب ذلك وسأذ كر ما قاله المفسرون ثم أتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عمال يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم لان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فلا ينسب اليها الا ما يليق بها وأما ما قاله المفسرون فهو ان داود عليه الصلاة والسلام تمي يوم من الايام منزلة آياته ابراهيم واسحق ويعقوب وذلك انه كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوقضي فيه بين الناس ويوم يخول فيه لعبادة به عز وجل . يوم لنفسه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يارب أرى الخير كله قد ذهب به أبائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله اليه أنهم ابتلوا بيباليم بتل بها فصر واعياها بتلي ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالخزن على يوسف فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لولا بتلتي بمثل ما بتلتيهم صبرت أيضا فأوحى الله عز وجل اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاكثر فلما كان اليوم الذي وعده الله به دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فينأها هو كذلك اذ جاءه الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجله فاجبه حسنها فغديده لياخذها ويرهبها بنى اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها لياخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب لياخذها فطارت من الكوة فنظر داود ابن تقع فيبعث من يصيدها له فأبصر امرأة في بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فراهها من أجل النساء خلقا فحبب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت

الشيتين وقيل للكلام  
البيئتين فصل بمعنى الموصول  
كضرب الامير وفصل  
الخطاب البيئتين من الكلام  
الملخص الذي يتبينه من  
يخطب به لا يلتبس عليه  
وجاز أن يكون الفصل بمعنى  
الفصل كالصوم والزور  
والمراد بفصل الخطاب  
الفصل من الخطاب الذي  
يفصل بين الصحيح والفاصد  
والحق والباطل وهو كلامه  
في القضايا والحكومات  
وتدابير الملك والمشورات  
وعن علي رضي الله عنه هو  
الحكم بالبينه على المدعى  
واليمين على المدعى عليه  
وهو من الفصل بين الحق  
والباطل وعن الشعبي هو  
قوله أما بعد وهو أول من  
قال أما بعد فان من تكلم في  
الامر الذي له شأن يفتتح  
بذكر الله وتحميده فاذا  
أراد أن يخرج الى الغرض  
المسوق له فصل بينه وبين  
ذكر الله بقوله أما بعد  
(وهل أتاك نبأ الخصم)  
ظاهره الاستفهام ومعناه  
الدلالة على أنه من الانبياء  
الجبية والخصم الخصماء  
وهو يقع على الواحد  
والجمع لانه مصدر في الاصل  
تقول خصمه خصما  
واتصاب (اذ) بمحذوف

تقديره وهل أتاك نبأ كما بالخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل (تسوروا المحراب) تصعدوا وسوره ونزلوا اليه والسور الحائظ  
المرتفع والمحراب الغرفة والمسجد أو صدر المسجد

(اذ) بدل من الاولى (دخلوا على داود ففرع منهم) روى ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبان يدخل عليه فوجده في يوم عبادته فنعهما الحرس فسوروا عليه الحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففرع منهم لانهم دخلوا عليه الحراب في غير يوم القضاء ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتحركون من يدخل عليه (قالوا لا تخف خصمان) خبر مبتدا محذوف أي نحن خصمان (بني بعضنا على بعض) تعدي وظلم (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق (واهدنا الى سواء الصراط) وارشدنا الى وسط (٣٦) الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه روى ان أهل زمان داود عليه السلام

كان يسأل بعضهم بعضا  
ينزل له عن امرأته فيتزوجها  
اذا ما عجبته وكان لهم عادة في  
المواساة بذلك وكان  
الانصار يواسون المهاجرين  
يمثل ذلك فاتفق ان داود  
عليه السلام وقعت عينه  
على امرأة أوريا فاحبها  
فسأله النزول له عنها فاستحى  
ان يرده ففعل فتزوجها  
وهي أم سليمان فقيل له انك  
مع عظم منزلتك وكثرة  
نسائك لم يكن ينبغي لك ان  
تسأل رجلا ليس له الا  
امرأة واحدة النزول عنها  
لك بل كان الواجب عليك  
مغالبة هواك وقهر نفسك  
والصبر على ما امتعنت به  
وقيل خطبها أوريا ثم خطبها  
داود فأثره أهلها فكانت  
زلته ان خطب على خطبة  
أخيه المؤمن مع كثره نسائه  
وما يحكى انه بعث مرة بعد  
مرة أوريا الى غزوة البقاء  
وأحب أن يقتل ليتزوجها  
فلا يليق من المتسمين  
بالصلاح من أفتاء المسلمين  
فضلا عن بعض اعلام

ظله فنقضت شهرها فطلى بدنهما فزاده ذلك اعجابها فأسأل عنها فاقيل هي تشابع بنت تشابع امرأة أوريا  
ابن حنانا وزوجها في غزاة بالبقاء مع أيوب بن صور يا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته ان ابعت  
أوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى  
يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا  
أشد منه بأسا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا  
فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انتقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي أم سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل  
ان داود أحب أن يقتل أوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه قال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من  
الرجل أن ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مما حاطم غير أن الله عز وجل لم يرض له داود ذلك لانه رغبة في  
الدنيا وازدياد من النساء وقد أغناه الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها وقيل في سبب امتحان داود انه كان جزأ  
الدهر أجزاء يوم النساءه و يوم العبادة و يوم الله حكيم بين بني اسرائيل و يوم ما يذاكرهم و يذاكرونه و يبكيهم  
و يبكونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في  
نفسه أنه سيطبق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فاضمر داود في نفسه أنه ان ابتلى اعتصم فلما كان يوم  
عبادته أغلق عليه الابواب وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على قراءة التوراة فينها هو يقرأ اذ دخلت  
حمامة وذ كرنحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله عز وجل الملكين اليه وقيل ان  
دارد عليه السلام مازال يجتهد في العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس بهم  
قال خبروني باي شيء أتم موكون قالوا نكتب صالح أعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال في نفسه  
ليت شعري كيف أكون لو خلوني ونفسي وتمني ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله تعالى الى الملكين أن يعتزلاه  
ليعلم أنه لا غنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جدوا واجتهدوا في العبادة الى أن ظن أنه قد غلب نفسه فاراد الله تعالى  
أن يعرفه ضعفه فارسل طائرا من طيور الجنة وذ كرنحو ما تقدم وقيل ان داود قال لبني اسرائيل لا عدلن  
بينكم ولم يستثن فابتلى وقيل انه أعجبه عمله فابتلى فبعث الله اليه ملكين في صورة رجلين وذلك في يوم عبادته  
فطلبان يدخل عليه فنعهما الحرس فسوروا عليه الحراب فاشعر الا وهما بين يديه جالسان وهو يصلي يقال  
كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسورا الحراب (اذ دخلوا على داود  
ففرع منهم) أي خاف منه محادين هجماعا عليه في محرابه بغير اذنه فقال لهما من أذخاكما على (قالوا لا تخف  
خصمان) أي نحن خصمان (بني بعضنا على بعض) أي تعدي وخرج عن الحد جئتلك لتقضي بيننا فان قلت  
اذا جعلتهم مملكين فكيف يتصور البني منهما والملائكة لا يبني بعضهم على بعض قلت هذا من معار يض  
الكلام لاعلى تحقيق البني من أحدهما والمعنى رأيت خصمين بني أحدهما على الآخر (فاحكم بيننا بالحق  
ولا تشطط) أي لا تجر في حكمك (واهدنا الى سواء الصراط) أي أرشدنا الى طريق الحق والصواب فقال

الانبياء وقال على رضى الله عنه من حدثكم حديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين لهما  
وهو حد القرية على الانبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة  
على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتبس خلفها أو أعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها ستر على نبيه فما ينبغي  
اظهارها عليه فقال عمر لسامعي هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله بقصته عليه السلام ليس  
الاطلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وانما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها بلغ في التوبيخ من قبل

أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أو وقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثر فيه مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة (ان هذا أختي) هو بدل من هذا وأخبر لان والمراد أخوة الدين وأخوة الصداقة والالفة وأخوة الشركة والخلطة لقوله وان كثيرا من الخطاء (له تسع وتسعون نجمة ولى نجمة واحدة) ولى حفص والنجمة كناية عن المرأة ولما كان هذا نصير للمسئلة وفرضا لها لا يمنع ان يفرض الملائكة في أنفسهم كما تقول لى أر بعون شاة ولك أر بعون غلظناها وما لك من الاربعين الاربعه ولا ربها (فقال أ كفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلني ا كفلها كما كفل ماتحت يدي وعن ابن عباس رضى الله عنهما (٣٧) اجعلها كفى لى أى نصيبي (وعزني) وغلبنى

يقال عزه ويعزه (فى الخطاب) فى الخصومة أى انه كان أقدر على الاحتجاج منى وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل وأراد خطبت المرأة وخطبها هو غلظتني خطابا أى غلبتني فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى ووجه التمثيل ان مثلت قصة أور يامع داود بقصه رجل له نجمة واحدة وغلظتني تسع وتسعون فاراد صاحبه تمة المائة فطمع فى نجمة خليطه وأراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه فى ذلك محاجه حر يص على بلوغ مراده وانما كان ذلك على وجه التعا كم اليه ليحكم بما حكم به من قوله (قال لقد ظلمك بسؤال نجمتك الى نجاجه) حتى يكون محجوجا بحكمه وهذا جواب قسم مخدوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول وقد ضمن معنى الاضافة فعدى تعديتها كانه قيل باضافة نجمتك الى

لما داود تسكما فقال أحدهما (ان هذا أختي) أى على ديني وطريقتي لامن جهة النسب (له تسع وتسعون نجمة) يعنى امرأة (ولى نجمة واحدة) أى امرأة واحدة والعرب تكنى بالنجمة عن المرأة وهذا على سبيل التعريض للتنبية والتفهيم لانه لم يكن هناك نجاج ولا بنى (فقال أ كفلنيها) قال ابن عباس أى أعطنيها وقيل معناه انزل لى عنها وضماها الى واجعلني كالفها والمعنى طلقها لا تزوجها (وعزني فى الخطاب) يعنى غلبنى وقهرنى فى القول لانه أفصح منى فى الكلام وان حارب كان أبطش منى لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له على لضعفى فى يده وان كان الحق معى وهذا كله تمثيل لامر داود مع أور يامع زوج المرأة التى تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولاور يامع امرأة واحدة فضمها داود الى نسائه (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نجمتك الى نجاجه) أى بضمها الى نجاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر قلت معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول (وان كثيرا من الخطاء) أى الشركاء (ليبنى بعضهم على بعض) أى يظلم بعضهم بعضا (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يظلمون أحدا (وقليل ما هم) أى هم قليل وماصلة والمعنى ان الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما الى صاحبه وضحك وصعد الى السماء فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى (وظن داود) أى أيقن وعلم (انما فتناه) أى ابتليناه وامتنعناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه نحو لافى صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود انه انما عنى به وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أنس ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فهم ففطع على بنى اسرائيل أوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقتل فلان يدين يدي التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان بقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فكت أر بعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض من جهته وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلأ بعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم تر رحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حد يثاقى الخلق من بعده فجاءه جبريل من بعد أر بعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك اللهم الذى عممت به فقال داود ان الرب قادر على أن يغفر لى اللهم الذى همت به وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال رب دعى الذى عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فخرج جبريل وسجد داود ماشاء الله تعالى ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله يا داود عن الذى أرسلتني فيه فقال قل لداود ان الله تعالى يجمعكم لى يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هولك يارب فيقول الله تعالى فان لك فى الجنة ماشئت وما شئت عوضا عن دمك فهذه أقوال السلف من أهل التفسير فى قصة امتحان داود

نجاجه على وجه السؤال والطلب وانما ظلم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لانه معلوم و يروى انه قال أنار يدا ان أخذها منه وأكل نجاجي مائة فقال داود ان رمت ذلك ضر بنامتك هذا وهذا وأشار الى طرف الانف والجهة فقال يا داود أنت أحسنى أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه (وان كثيرا من الخطاء) الشركاء والاصحاب (ليبنى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم (وقليل ما هم) مالا لاهم وهم مبتدأ وقليل خبره (وظن داود) أى علم وأيقن وانما استعير له لان الظن الغالب يدانى العلم (انما فتناه) ابتليناه



﴿فصل﴾ في تزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به وما ينسب اليه اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالاته وشرفه على كثير من خلقه وأثمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب اليه ما لو نسب الى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب الى بعض أعلام الانبياء والصفوة الامناء ذلك روى سعيد بن المسيب والحريث الاور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو جد القرية على الانبياء وقال القاضي عياض لا يجوز أن يلف الى ماسطره الاخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص عليه الله في قصة داود وظن داود انما افتناه وليس في قصة داود وأور يا خبر ثبات ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمر داود قال الامام غفر الدين حاصل القصة يرجع الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بـ داود عليه الصلاة والسلام هذا وقال غيره ان الله تعالى أثني على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس في كلامه لاستهجنه العقلاء وناقوا أنت في مدح شخص كيف تجرى ذمه اثناء مدحك والله تعالى منزعه عن مثل هذا في كلامه القديم فان قلت في الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود انما افتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأبواب وقوله فغفرنا له ذلك قلت ليس في هذه الالفاظ شيء مما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة أشرف المقامات وأعلىها فيطالبون باكمل الاخلاق والادب وأسنها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفر لهم كما قيل حسنات الابراسيات المقر بين فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان في الآية قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم في هذه القصة الى أن داود عليه الصلاة والسلام ما زاد على ان قال للرجل أنزل لي عن امرأتك واكفنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونهيه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود غنى أن تكون امرأة أو ربه فاتفق أن أور يا هلك في الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله تعالى وقيل ان أور يا كان قد خطب تلك المرأة وظن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فأغتم لذلك أور يا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة خطبها وعنده تسع وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزني في الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما في الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج أور يا لها فعونب داود بسببين أحدهما خطبته على خطبة أخيه والثاني اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب أور يا والمرأة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحد مما قبل سماع كلام الآخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نجبتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب اليه والله أعلم ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿فاستغفر ربه﴾ أي سأل ربه الغفران (وخورا كما) أي ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعدما كان راكعا والله تعالى أعلم بمراده

(فاستغفر ربه) لزلته  
(وخورا كما) أي سقط  
على وجهه ساجدا لله وفيه  
دليل على ان الركوع يقوم  
مقام السجود في الصلاة  
اذا نوى لان المراد مجرد  
ما يصلح نواضا عند هذه  
التلاوة والركوع في الصلاة  
يعمل هذا العمل بخلاف  
الركوع في غير الصلاة

﴿فصل﴾ اختلف العلماء في سجدة من هل هي من عزائم السجود فذهب الشافعي رحمه الله تعالى الى أنها ليست من عزائم سجود التلاوة قال لانها توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة وقال أبو حنيفة هي من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على ان الركوع يقوم مقام السجود في سجود التلاوة وعن أحمد في

سجدة ص رويتان وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما  
قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها قال مجاهد قلت لابن  
عباس أسجد في ص فقرأ من ذرته داود وسليمان حتى أتى فبهذا هم اقتده فقال بيبيكم من أمر أن يقتدى  
بهم فسجد داود فسجد هار رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنساء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه  
وسلم سجد في ص وقال سجدة داود توبة فسنجدها شكر اعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قرأ  
رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما  
كان في يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشوف الناس لسجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي  
توبة نبي ولكي رأيتم تشوفتم فنزل وسجد وسجد وأخرجه أبو داود قوله تشوف الناس يعني نهيووا  
وتأهبوا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله  
رأيتني الليلة وأنا نائم كافي أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعها تقول اللهم  
اكتب لي بها اجر وخطي بها وزر واجعلها لي عندك ذكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه  
الصلاة والسلام قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ما أخبره  
الرجل عن قول الشجرة أخرجه الترمذي قال المفسرون سجد داود أربعين يوما ليرفع رأسه الحاجة أو  
لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول  
رأسه وهو ينادي به عز وجل وبسأله التوبة وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يتلى  
الخطاي بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الخائل بين القلوب سبحان خالق النور الهى خلقت بيني وبين  
عدوي ابلبس فلم أقم لفتنته انزات في سبحان خالق النور الهى أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما نال به  
صائر سبحان خالق النور الهى الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطيء سبحان خالق  
النور الهى باى عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهى باى  
قدم أقوم أمامك يوم القيامة يوم نزل أقدم الخاطئين سبحان خالق النور الهى من أين يطلب العبد المغفرة  
الامن عند سيده سبحان خالق النور الهى انالاطيق حرم سمك فكيف أطيق حرم نارك سبحان خالق النور  
الهى انالاطيق صوت ردك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى الويل لداود من الذنب  
العظيم الذي اصابه سبحان خالق النور الهى كيف تستر الخطاؤن بخطاياهم دونك وأنت تشاهد هم حيث  
كانوا سبحان خالق النور الهى قد تعلم سرى وعلايتي فاقبل معذرتي سبحان خالق النور الهى اغفر لي ذنوبي  
ولا تباعدني من رحمتك هو اني سبحان خالق النور الهى أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي أو بقتني  
سبحان خالق النور الهى فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين  
سبحان خالق النور وقيل مكث داود أربعين يوما ليرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطي  
رأسه فنودي يا داود انا جائع أنت فتطمع أظمان أنت فتسقى أمظالم أنت فتنصر فاجيب في غير ما طلب ولم  
يجب في ذلك خطيئته بشئ فخرن حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله تعالى له  
التوبة والمغفرة قال وهب ان داود أتاه نداء اني قد غفرت لك قال يارب كيف وأنت لا تنظم أحد اذ ذهب  
الى قبر أو يافتاده وأنا اسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم  
نادى يا أور يا فاقم من هذا الذي قطع على لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ماجاء بك يا نبي الله قال أسألك أن  
تجعله لي في حل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال بل عرضتني للجنة فانت  
في حل فاروحى الله تعالى اليه يا داود ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضى بالنعنت إلا لأعلمته انك قد تزوجت امرأته  
قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذي قطع على لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ماجاء بك يا نبي الله أليس

(وأنا) ورجع الى الله  
 بالتوبة وقيل انه بقي ساجدا  
 أربعين يوما وليلة لا يرفع  
 رأسه الا للصلاة مكتوبة  
 أو ما لا بد منه ولا يرفأدمعه  
 حتى نبت العشب من دمه  
 ولم يشرب ماء الا وثلاثة  
 دمع (فغفر ناله ذلك) أي  
 زلته (وان له عندنا زاني)  
 لقر بي (وحسن ما ب)  
 مرجع وهو الجنة (يادود  
 انا جعلناك خليفة في  
 الارض) أي استخلفناك  
 على الملك في الارض  
 أو جعلناك خليفة عن  
 كان قبلك من الانبياء  
 القائمين بالحق وفيه دليل  
 على ان حاله بعد التوبة  
 بقيت على ما كانت عليه  
 لم تتغير (فاحكم بين الناس  
 بالحق) أي بحكم الله ان  
 كنت خليفة أو بالعدل  
 (ولا تتبع الهوى) أي  
 هوى النفس في قضائك

قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لما كان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعا  
 مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل  
 لداود اذا وضعت الموازين بالتقسط سببحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على  
 وجهه مع الخاطئين الى النار سببحان خالق النور فاتاه ندا من السماء يادود قد غفرت لك ذنبك ورحمت  
 بكاءك واستجبت دعائك وأقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحب لم يعف عني قال يادود أعطيه يوم القيامة  
 من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه فاقول له رضيت عبدى فيقول يارب من أين لى هذا ولم يبلغه عملى  
 فاقول هذا عوض من عبدى داود فاستوهبك منه فيهبك لى قال يارب الآن قد عرفت انك غفرت لى فذلك  
 قوله فاستغفر ربه وخزرا كما (وأنا) أي رجع (فغفر ناله ذلك) أي الذنب (وان له عندنا) أي يوم القيامة  
 بعد المغفرة (لزاني) أي لقر به ومكانة (وحسن ما ب) أي حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان  
 داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرفأدمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب  
 الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعين سنة لا يرفأدمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب  
 لنسائه ويوم يسبح في الجبال والفيافي والساحل ويوم يخوض في داره فيها أربعين ألف محراب فيجتمع اليه  
 الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي ويرفع  
 صوته بازا ميري فيبكي ويبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يحيى  
 الى الجبال ويرفع صوته ويبكي ويبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم  
 يحيى الى الساحل فيرفع صوته ويبكي ويبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء فاذا أمسى رجع فاذا كان  
 يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فايحضره من يساعده ويدخل الدار  
 التي فيها المحار يب فيسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشو هاليف فيجلس عليها ويحيى أربعين ألف  
 راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجاسون في تلك المحار يب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته  
 بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق القرش من دموعه ويقع  
 داود فيها مثل الفرخ يضرب فيعجى ابنة سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها  
 وجهه ويقول يارب اغفر ماترى فلو عادل بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله وعن الازاعى مرفوعا الى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ان مثل عيني داود عليه الصلاة والسلام كالقر يتين ينقطان ماء ولقد خدت الدموع في  
 وجهه تكديده الماء في الارض وقال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يارب غفرت لى فكيف لى أن لا أنسى  
 خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله تعالى خطيئته في يده اليمنى فزارع فيها طعاما  
 ولا شرابا لا يبكي اذا رآها وما قام خطيبا في الناس الا بسط راحته فاستقبل بها الناس لير واوسم خطيئته  
 وكان يبدا اذا دعا واستغفر بالخططين قبل نفسه وعن الحسن قال كان داود عليه الصلاة والسلام بعد  
 الخطيئة لا يجالس الا الخططين يقول تعالى الى داود الخطاطي ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان  
 يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذرع عليه الملح والرماد  
 فيأكله ويقول هذا كل الخططين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل  
 ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر  
 عقاب الله انخلت أو صاله فلا يشدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجت وقيل ان الوحوش والطير كانت  
 تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصنى الى قراءته وقيل انها قالت يادود ذهبت خطيئتك بحلاوة  
 صوتك قوله عز وجل (يادود انا جعلناك خليفة في الارض) أي لتدبر أمر الناس بأمرنا فقد الحكم  
 فهم (فاحكم بين الناس بالحق) أي بالعدل (ولا تتبع الهوى) أي لا تعمل مع ما تشتهى اذا خالف أمر الله تعالى

(فيضك) الهوى (عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله) دينه (لم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أي بنسيانهم يوم الحساب (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما) من الخلق (باطلا) خلقا باطلا لا لحكمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه أي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا ودعناها العقل ومنعناها التمكين وأزحنا عنها ثم عرضنا لها المنافع العظيمة بالتكليف وأعدنا لها عقوبة جزاء على حسب أعمالهم (ذلك) إشارة الى خلقها باطلا (ظن الذين كفروا) الظن بمعنى المظنون أي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا وإنما جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة مع اقرارهم بأنه خالق السموات والارض وما بينهما لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لانهما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها لعبت وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقب اليه الحكمة في خلق العالم فنسجده فقد مجد الحكمة في خلق (ع ٤١) العالم (فويل للذين كفروا

من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) أم منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد واتقى وجفروا ومن سوى بينهم كان سقيما ولم يكن حكما (كتاب) أي هذا كتاب (أزلائه) يعني القرآن (اليسك) يعني القرآن (مبارك) صفة أخرى (ليدبروا آياته) وأصله ليتدبروا قرآني به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به وعن الحسن - فقرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه

(فيضك عن سبيل الله) أي عن دين الله وطريقه (ان الذين يضلون عن سبيل الله لم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أي بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل في القضاء ﴿قوله تعالى﴾ (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) قال ابن عباس لا للثراب ولا لعقاب وقيل معناه وما خلقناهما عبثا لا لشيء (ذلك ظن الذين كفروا) يعني أهل مكة هم الذين ظنوا انما خلقناهم لغير شيء وأنه لا بعث ولا حساب (فويل للذين كفروا من النار) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض) قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انما تعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الآية (أم نجعل المتقين) يعني الذين اتقوا الشرك وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (كالفجار) يعني الكفار والمعنى لان جعل الفريقين سواء في الآخرة (كتاب أنزلناه اليك) أي هذا كتاب يعني القرآن أنزلناه اليك (مبارك) أي كثير خيره ونفعه (ليدبروا آياته) أي ليتدبروا ويتفكروا في أسرارها العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه في أوامره ونواهيه (وليتذكروا) أي وليتبعوا (أولوا الالباب) أي ذور العقول والبصائر ﴿قوله تعالى﴾ (وهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب) أذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد) قيل ان سليمان عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ما أصاب وهو ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها أجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الاولى التي هي الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فقتبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فاقبل فضرب سوقها وأعناقها بالسيف نقر بالي الله تعالى وطلب المرصاة حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما عليتنا بقي منها تسعمائة فرس فالذي في أيدي الناس من الخيل يقال انه من نسل تلك المائة فلما عقرها لله تعالى أبدله الله تعالى خيرا منها وأسرع وهي التي تجرى بأمره كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الاربعة على طرف الحافر من رجل أو يد وقيل الصافن القائمة وجاء في الحديث من سره أن يقوم له الناس صفوا فليقبوا مقعده من

(٦ - خازن) - رابع) وضيعوا حردته لتدبروا على الخطاب بخذف إحدى التاءين يزيد (وليتذكروا أولوا الالباب) وليتبعوا بالقرآن أولوا العقول (وهبنا لداود سليمان نعم العبد) أي سليمان وقيل داود وليس بالوجه فالنحو بالمدح محذوف (انه أواب) وعمل كونه ممدوحا بكونه أوابا أي كثير الرجوع الى الله تعالى (اذ عرض عليه) على سليمان (بالعشي) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف حافر (الجياد) السراع جمع جواد لانه يجود بالكس وصفها بالصفون لانه لا يكون في الهجان وإنما هو في العرب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجتمع لها بين الوصفين الحمودين واقفة وحارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا سرت كانت سراعا خفا في جريها وقيل الجياد الطوال الاعناق من الجياد وروى ان سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالق وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوم بعد ما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرضا عليه فاغتم لمافاته فاستردها وعقرها نقر بانه فبقى مائة في أيدي الناس من الجياد فنسلها وقيل لماعقرها أبدله الله خيرا منها وهي التي تجرى بأمره

النار أى قياما الجياد أى الخيار السراع فى الجرى واحده جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق (فقال انى أحببت حب الخير) أى آثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل سميت به لانه معقود فى نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعنى المال ومنه الخيل التى عرضت عليه (عن ذكر ربى) يعنى صلاة العصر (حتى توارت) أى استترت الشمس (بالحجاب) أى ما يحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من وراءه (ردوها على) أى رددوا الخيل على (فطفق مسح بالسوق) جمع ساق (والاعناق) أى جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس وأكثرت المفسرين وكان ذلك مباحا لانه لان نبى الله سليمان لم يكن ليقدّم على محرم ولم يكن ليمتدح عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحق لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل اذ كان ذلك أسفا على ما فاته من فر يضطر به عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها فى سبيل الله تعالى وكوى سوقها وأعناقها بكى الصدق وحكى عن على رضى الله تعالى عنه انه قال معنى ردها على يقول بامر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردها على فردوها عليه فصلى العصر فى وقتها قال الامام نضر الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان تقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما أنه كذلك فى ديننا ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج الى غزو وخلص وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكروا انى لأحبها الاجل الدنيا وأصيب النفس وانما أحبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربى ثم انه عليه الصلاة والسلام أمر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب أى غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل اليه وهو قوله ردها على فله عادت اليه طفق بمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمر بالاول نشر يفاطها لكونها من أعظم الاعوان فى دفع العدو والثانى انه أراد ان يظهر انه فى ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان أعلم باحوال الخيل وأمر اضها وعيمو بها من غيره فكان يسمح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزم مناشئ من تلك المنكرات والمحظورات والمجرب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل فالجهو وقد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لناهما مقامان الاول ان يدعى ان لفظ الآية لا يدل على شئ من تلك الوجوه التى ذكرها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كاذر ناظهورا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثانى ان يقال هب ان لفظ الآية يدل عليه الا أنه كلام ذكره الناس وان الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات ﴿ قوله عز وجل (ولقد فتنا سليمان) أى اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه فى البصر وكان الله تعالى قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ فى بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها وأصاب فيها أصاب بنتا لتلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسن اوجا لا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على جفاء منها ولة فقه وأحبا حبا لم يحبه شيأ من نساءه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعا فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقأ قالت انى أذكر أبى وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فى حزننى ذلك فقال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ملكه وسطانا أعظم من سلطانه وهذا كالى الاسلام وهو خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكنى اذا ذكرته أصابنى ما تراه من الحزن فلأؤئك أمرت الشياطين فصور والى صورته فى دارى التى أنافها أراها بكرة وعشيرة رجوت أن يذهب ذلك حزنى وأن يسلى عنى بعض ما أجد فى نفسى فامر ما كره فى شريعته فلم يكن اتلا فاقيل مسحها بيده استمسحنا لها واعجابها بها (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه سليمان

سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئا فثابره لها حتى نظرت إلى أيها  
 بعينه إلا أنه لاروح فيه فعمدت إليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبسها ثم كانت إذا خرج  
 سليمان من دارها تقعد إليه في ولائها فتنسجده له ويسجدن معها كما كانت تصنع في ملكه وتروح في كل  
 عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أر بعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا له وكان  
 لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل حاضر سليمان أو غائبا فأتاه فقال يا بني  
 الله كبر سني ورق عظمي ونفذ عمري وقد حان مني الذهاب وقد أحببت أن أقوم مقام قبل الموت إذ كرفيه  
 من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجولون من كثير أمرهم  
 فقال أفل جمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فقد كرم من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل  
 نبي بما فيه وذكر مفضله الله تعالى به حتى انتهى إلى سليمان فقال ما كان أحكمك في صفرك وأورعك  
 في صفرك وأفضلك في صفرك وأحكم أمرك في صفرك وأبعدك عن كل ما يكره الله تعالى في صفرك ثم  
 انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ملئ غصبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا آصف ذكرت  
 من مضى من أنبياء الله تعالى فأنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم فلما ذكرته  
 جعلت تنني على خيرا في صفري وسكت عموما سوى ذلك من أمرى في كبرى فما الذي أحدثت في آخر عمري  
 فقال آصف ان غير الله يعبد في دارك منذ أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في دارى قال في دارك  
 قال فأنالله وأنا اليه راجعون قد عرفت أنك ما قلت الذي قلت إلا عن شيء بلغك ثم رجعت سليمان إلى داره  
 فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة ولائها ثم أمر بثياب الظهيرة فأتى بها وهي ثياب لا يغزلها إلا الأباكار  
 ولا ينسجها إلا الأباكار ولا يغسلها إلا الأباكار لم تمسها يد امرأة فدرأت الدم فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض  
 وحده وأمر برماذ ففرش له ثم أقبل نائباً إلى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماذ وتعمك به في ثيابه تذللاً إلى  
 الله تعالى وتضرعاً إليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يوماً حتى أمسى ثم رجعت إلى داره  
 وكانت له أم ولد يقال لها أمينة كان إذا دخل الخلاء أو أراد إصابة امرأة من نساءه وضع خاتمه عندها حتى  
 يتطهر وكان لا يمسه خاتمه إلا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً عندها ثم دخل مذهبه فأنها شيطان  
 اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً فقال خاتمي أمينة فناولته إياه فجعله في يده ثم خرج حتى  
 جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فأتى أمينة وقد تغيرت  
 حالته وهيته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي قالت من أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء  
 سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على  
 الدار من دور بني إسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحشون عليه التراب ويقولون انظروا إلى هذا  
 المجنون أي شيء يقول يزعم أنه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر فكان ينقل الحيطان لاصحاب السوق  
 ويعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بآرغفة وبشوى الأخرى فيأكلها ثم يفتك على ذلك  
 أر بعين صباحاً عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم ان آصف وعظماء بني إسرائيل أنكروا وحكم عدو الله  
 الشيطان في تلك المدة فقال آصف يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم قالوا نعم  
 فقال امهلوني حتى أدخل على نساءه فأسألن هل أنكرن من خاصة امرأة ما أنكرنا في عامة الناس وعلايتهم  
 فدخل على نساءه فقال ويحك هل أنكرن من ابن داود ما أنكرنا فقلن أشد ما بدع امرأة منافى دمه ولا  
 يغتسل من الجنابة فقال انالله وأنا اليه راجعون قال الحسن ما كان لله سبحانه وتعالى ليسلط الشيطان على  
 نساء نبيه صلى الله عليه وسلم قال وهب ثم ان آصف خرج على بني إسرائيل فقال ما في الخاصة أشد مما في العامة  
 فلما مضى أر بعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقف الخاتم فيه فبلغته سمكة فاخذها بعض

الفتنة عشرين سنة وكان من فتنه أنه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم تنفك من السخرة فسيلنا ان نقتله أو نجعله فعلم ذلك سليمان عليه السلام فكان يغذوه في السحابة خوفا من مضرة الشياطين فالتى ولده ميتا على كرسيه فتنبه على زلته في ان لم يتوكل فيه على ربه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لا طوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الامراة واحدة جاءت بشق رجل فحى به على كرسيه فوضع في حجره فولد الذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فن اباطيل اليهود (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا) قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء عليهم السلام في تقديم الاستغفار على السؤال (لا ينبغي) لا يتسهل ولا يكون (لا حدم من بعدى)

الصيدان وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما أمسى أعطاه سمكته فباع سليمان احداهما بارغفة و بقر بطن الاخرى ليشوبها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذوه وجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف الذي كان دخل عليه لما كان أحدث في داره فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين ان يأتوه بصخر فطلبوه حتى أخذوه فأتى به فادخله في جوف صخرة وسد عليه باخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقتلوه في البحر \* وقيل في سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام ان جرادة كانت أبر نساته عنده وكان يأتئها على خاتمه فقالت له يوما ان أخي بينه وبين فلان خصومة فاحب ان تقضى له فقال نعم ولم يفعل فأتى بقوله نعم وذكروا نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فاعاده في يده فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة فأتاه آسف فقال انك مفتون بذلك والخاتم لا يتمسك في يدك ففر الى الله تائبا فأتى أقوم قمامك وأسير بسيرتك الى أن يتوب الله عليك ففر سليمان الى الله تعالى تائبا وأعطى آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت في يده فاقام آصف في ملك سليمان بسيرته أربعة عشر يوما الى ان رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره وأعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي أتى على كرسيه وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فوحي الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي فابتلاه الله تعالى وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما أخرجه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لا طوفن الليلة على تسعين امرأة كاهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الامراة واحدة جاءت بشق رايه الله الذي نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وفي رواية لا طوفن بمائة امرأة فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسى قال العلماء والشق هو الجسد الذي أتى على كرسيه وهي عقوبته ومحنته لانه لم يستن لما استغفره من الحرص وغلب عليه من التمتي وقيل نسي ان يستنني كما صح في الحديث لينفذ أمر الله وممراده فيه وقيل ان المراد بالجسد الذي أتى على كرسيه انه ولده ولدا فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم تنفك من البلاء فسيلنا ان نقتل ولده وأنجبله فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحملوه فكان ير بيه في السحاب خوفا من الشياطين فيبئها هو مشغول في بعض مهماته اذ أتى ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه في ذلك فتنبه لخطئه فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل (وألقينا على كرسيه جسدا اثم انا ب) أي رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما وقيل انا ب الى الاستغفار وهو قوله (قال رب اغفر لي) أي سأله ربه المغفرة (وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى) أي لا يكون لاحد من بعدى وقيل لا تسلبني في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري (انك أنت الوهاب) فان قلت قول سليمان لا ينبغي لاحد من بعدى مشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا نفاسة بها ولكن كان قصده في ذلك أن لا يسلط عليه الشيطان مرة أخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما واية لنبوته ومجزة دالة على رسالته ودالة على قبول توبته حيث أجاز الله تعالى دعاءه ورد ملكه اليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه أحب أن يخص بحاصية كما خص داود بالابنة الحديد وعيسى باحياء الموتى وبراء الاكهم والابرص

فَسأل

أي دوني وافتح الياء مدني وأبو عمرو وإنما سأل بهذه الصفة ليكون مجزة له لاحسدا وكان

قبل ذلك لم يسخر له الرج والشياطين فلما ساد عاب ذلك سخرت له الرج والشياطين ولم يكن مجزة حتى يخرق العادات (انك أنت الوهاب

فسخرناه الريح) الريح أبو جعفر (تجري) حال من الريح (بامر) بامر سليمان (رخاء) لينة طيبة لاتزعزع وهو حال من صمير تجري (حيث) ظرف تجري (أصاب) قصد وأراد والعرب تقول أصاب الصواب فاخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح أي سخرناه الشياطين (كل بناء) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما شاء من الابنية (وغواص) أي ويغوصون له في البحر لخراج اللؤلؤ وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر والمعنى وسخرناه كل بناء وغواص من الشياطين (وآخرين) عطف على كل بناء داخل في حكم البديل (مقرنين في الاصفاد) وكان يقرب من مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد وسمى به العطاء لانه ارتباط للمنع عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامتن) فاعطاه منه ما شئت من المنتهى العطاء (أو أمسك) عن العطاء وكان اذا أعطى أجر وان منع لم يأثم بخلاف غيره (بغير حساب) متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال أي هذا عطاؤنا كما كثير الايكاد (٤٥) يقدر على حصره وهذا التسخير

عطاؤنا فامتن على من شئت من الشياطين بالاطلاق أو أمسك من شئت منهم في الوثائق بغير حساب أي لا حساب عليك في ذلك (وان له عندنا لزي وحسن ما ب) لزي اسم ان والخبر له والعمل في عند الخبر (واذ كر عبدنا أيوب) هو بدل من عبدنا وعطف بيان (اذ) بدل اشتمال منه (نادى ربه) دعاه (أنى مسنى) بانى مسنى حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولولم يحك لقال بانه مسه لانه غائب (الشیطان بنصب) قراءة العامة بنصب يز يد تثقيل نصب ينصب كرشد وورشد يعقوب بنصب على أصل

فسأل شيئاً يختص به كإروى في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفر يتا من الجن تفلت على البارية ليقطع على صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظر واليه كلامكم فذكرت دعوة أختي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرددته خاسئا ﴿ قوله تعالى ﴾ (فسخرناه الريح تجري بامر رخواه) أي لينة ليست بعاصفة (حيث أصاب) أي حيث أراد (والشياطين) أي وسخرناه الشياطين (كل بناء) أي يبنون له ما يشاء (وغواص) يعني يستخرجون له اللؤلؤ من البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين) أي وسخرناه آخرين وهم مردة الشياطين (مقرنين في الاصفاد) أي مشدودين في القيود وسخرناه حتى قرنهم في الاصفاد (هذا عطاؤنا) أي قلنا له هذا عطاؤنا (فامتن) أي أحسن الى من شئت (أو أمسك) أي عن من شئت (بغير حساب) أي لا حرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة الا عليه تبعه الاسلام فانه ان أعطى أجر وان لم يعط لم تكن عليه تبعه وقيل هذا في أمر الشياطين يعني هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامتن على من شئت منهم نخل عنه أو أمسك أي احبس من شئت منهم في العمل وقيل في الوثائق لاتبعة عليك فيما تعاطاه (وان له عندنا لزي وحسن ما ب) لماذا ذكر الله تعالى ما أنعم به عليه في الدنيا أتبعه بما أنعم به عليه في الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واذ كر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب) أي بمشقة (وعذاب) أي ضره وذلك في المال والجسد وقد تقدمت قصة أيوب (اركض) يعني أنه لما انقضت مدة ابتلاءه قيل له اركض أي اضرب (برجلك) يعني الارض ففعل فنبعث عين ماء عذب (هذا مغتسل بارد) أمره الله تعالى أن يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الارض مرة أخرى فنبعث عين ماء عذب أخرى فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه وذلك قوله عز وجل (وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا) أي انما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم (وذكرى لاولى الالباب) يعني سلطنا البلاء عليه فصر ثم أنزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر

الصدر هيرة والمعنى واحد وهو التعب والمشقة (وعذاب) يريد مرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب وقيل أراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروى أنه كان يعود ثلاثه من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل أتى اليه الشيطان أن الله لا يتلى الانبياء والصالحين وذكري في سبب بلائه أنه ذبح شاة فاكلها وجاهر ثلاثه من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل أتى اليه الشيطان أن سبقت منه (أركض برجلك) حكاية ما أعجب به أيوب عليه السلام أي أرسلنا اليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أي اضرب برجلك الارض وهي أرض الجابية فصر بها فنبعث عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أي هذا ما تغتسل به وتشرب منه فيبرأ بطنك وظاهره وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احدهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله تعالى (وهبنا له أهله ومثلهم معهم) قيل أحياهم الله تعالى باعيانهم وزاد مثلهم (رحمة منا) ذكرى لاولى الالباب) مفعول لهما أي الهبة كانت للرحمة له ولتذكيرا لولى الالباب لانهم اذا سمعوا بما أنعمنا به عليه من الصبر رغبهم في الصبر على البلاء



(وخذ) معطوف على أركض (بيدك ضغنا) حزمة صغيرة من حبشش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر (فاضرب به ولا تحث) وكان حلف في مرضه ليضرب امرأته مائة إذا برأخلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه وهذه الرخصة باقية ويجب أن يصيب المصروب كل واحد من المائة والسبب في يمينه أنها بطأت عليه ذاهبة في حاجة فخرج صدره وقيل باعث ذؤابتها برغيقين وكاتبتم على يوب عليه السلام إذا قام (أنا وجدناه) عامناه (صابرا) على البلاء نعم قد شكنا إلى الله ما به واسترحه لكن الشكوى إلى الله لا تسمى جزاء فقد قال يعقوب عليه السلام إنما أشكو بني وحزني إلى الله على أنه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قوم من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم أنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به واردة لقوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان (نعم العبد) أي يوب (أنه أواب واذ كرعبادنا) عبدنا مكي (إبراهيم واسحق ويعقوب) فمن جمع فإبراهيم ومن بعده عطف بيان على عبادنا ومن وحد فإبراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت فقيل في كل عمل هذا ما عملت (٤٦) أيديهم وإن كان عملا لا تأتي فيه المباشرة بالأيدي أو كان العمال جنما لا أيدي لهم

وعلى هذا ورد قوله (أولى الأيدي والأبصار) أي أولى الأعمال الظاهرة والفكر الباطنة كان الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يتفكرون أفكار ذوى الديانات في حكم الزمى الذين لا يقدرن على أعمال جوارحهم والمسلوبون العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتو بيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منها (أنا أخلصناهم) جعلناهم لنا خالصين (بخالصة) بخالصة خالصة

فهو موعظة لذوى العقول والبصائر (وخذ بيدك ضغنا) أي ملء كفك من حبشش أو عيدان أو ريحان (فاضرب به ولا تحث) وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فافتاه في ضربها وسهل له الأمر وأمره بان يأخذ ضغنا يشتمل على مائة عود صغار فيضرب بها ضربة واحدة ففعل ولم يحث في يمينه وهذا ذلك لا يوب خاصة لم لا فيه قولان أحدهما أنه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والثاني أنه خاص بإيوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فمن حلف أن يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد وأحمد لا يبر وقال أبو حنيفة والشافعي إذا ضرب به ضربة واحدة فاصابه كل سوط على حدة فقدير واحتجوا بعموم هذه الآية (أنا وجدناه صابرا) أي على البلاء الذي ابتليناه به (نعم العبد أنه أواب) قوله تعالى (واذ كرعبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب) أي إذ كرصبرهم فإبراهيم أتى في النار فصبر واسحق أصبح للذبح في قول فصبر ويعقوب ابتلى بقتله ولده وذهاب بصره فصبر (أولى الأيدي) قال ابن عباس أولى القوة في طاعة الله تعالى (والأبصار) أي في المعرفة لله تعالى وقيل المراد باليد أكثر الأعمال والبصر أقوى الإدراكات فعبه ما عن العمل باليد وعن الإدراك بالبصر وللإنسان قوتان علمية وعاملية وأشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى وأشرف ما يصدر عن القوة العاملة طاعته وعبادته فعبه عن هاتين القوتين بالأيدي والأبصار (أنا أخلصناهم) أي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين (بخالصة ذكرى الدار) قيل معناه أخلصناهم بذكرى الآخرة فليس لهم ذكرى غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها وقيل كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله تعالى وقيل أخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم في القلب وقيل أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة (وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) يعني لمن الذين اختارهم الله تعالى واتخذهم صفوة وصفاهم من الأنداس والأكدار (واذ كر اسمعيل واليسع وهذا الكفل) أي إذ كرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم (وكل من الأخيار) قوله عز وجل (هذا ذكر) أي الذي يتلى عليكم

لا شوب فيها (ذكرى الدار) ذكرى في محل نصب أو الرفع باضمار أعني أوهي أو الجر على البدل ذكر من خالصة والمعنى أنا أخلصناهم بذكرى الدار والدار هنا الدار الآخرة يعني جعلناهم لنا خالصين بان جعلناهم بذكرى الناس الدار الآخرة ويرزقونهم في الدنيا كما هو ديدن الأنبياء عليهم السلام أو معناه أنهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع إلى الله وينسون ذكرى الدنيا بخالصة ذكرى الدار على الإضافة مدني ونافع وهي من إضافة الشيء إلى ما يبينه لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذلك مصدر مضاف إلى المقول أي بإخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة بمعنى خلوص فهي مضافة إلى الفاعل أي بان خلصت لهم ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر إنما همهم ذكرى الدار لا غير وقيل ذكرى الدار البناء الجميل في الدنيا وهذا شيء قد أخلصهم به فليس يذكرونها في الدنيا يمثل ما يذكرونها به يقويه قوله وجعلناهم لسان صدق عليا (وانهم عندنا لمن المصطفين) المختارين من بين أبناء جنسهم (الأخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كما موات في جمع ميت أو ميت (واذ كر اسمعيل واليسع) كان حرف التعريف دخل على يسع (وذا الكفل وكل) التنوين عوض عن المضاف إليه أي وكلهم (من الأخيار هذا ذكر

وان للمتقين لحسن ماآب) أى هذا شرف وذكركم جليل يذكرون به أبدأ وان لهم مع ذلك لحسن مرجع يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل و يرجعون فى الآخرة الى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع فقال (جنات عدن) بدل من حسن ماآب (مفتحة) حال من جنات لانها معرفة لا ضافتها الى عدن وهو علم والعامل فيها فى للمتقين من معنى الفعل (لهم الابواب) ارتفاع الابواب بانها فاعل مفتحة والعائد محذوف أى مفتحة لهم الابواب منها حذف كما حذف فى قوله فان الجحيم هى الماوى أى لهم أو ابوابها الا ان الاول أجد وأهى بدل من الضمير فى مفتحة وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هى الابواب وهو من بدل الاشتمال (متكئين) حال من المجرور فى لهم والعامل مفتحة (فيها يدعون فيها بما كرهت كثيرة وشراب) أى وشراب كثير حذف ا كتفاء بالاول (وعندهم قاصرات الطرف) أى قصرن طرفهن على أزواجهن (أتراب) لدات أسنانهن كاسنانهم لان التحاب بين الاقران أثبت كان اللدات سمين أتراب لان التراب مسهن فى وقت واحد (هذا ما توعدون) وبالبياء مكى وأبو عمرو (ليوم الحساب) أى ليوم تجزى كل نفس بما عملت (ان هذا الرزقنا له من نفاذ) من انقطاع والجملة جال من الرزق والعامل الاشارة (هذا) خبر المبتدأ محذوف أى الامر هذا (٤٧) وهذا كما ذكر (وان للطاغين

لشر ماآب) مرجع جهنم بدل منه (يصاونها) يدخلونها (فبئس المهاد) شبه ما تحتم من النار بل المهاد الذى يفترشه النائم (هنا) فليذوقوه حيم وغساق) أى هذا حيم وغساق فليذوقوه فهذا مبتدأ وحيم خبره وغساق عطف على الخبر فليذوقوه اعتراض أو العذاب هنا فليذوقوه ثم ابتداء فقال هو حيم وغساق بالتشديد حرة وعلى وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سال دفعها وقيل الحيم يحرق بحره والغساق

ذ كر وقيل شرف وقيل جليل تذكرون به (وان للمتقين لحسن ماآب) أى حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه فى الآخرة ثم ذ كر ذلك فقال تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) قيل تفتح أبوابها لهم بغير فتح طأ يبدل بالامر يقال طأ انفتحى انغلقى (متكئين فيها يدعون فيها ما كرهت كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب) أى مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل من آخيات لا يتباغضن ولا يتغيرون ولا يتحاسدن (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أى قيل للمؤمنين هذا ما توعدون وقيل هذا ما يوعده المتقون (ان هذا الرزقنا له من نفاذ) أى دائم ماله من نفاذ وانقطاع بل هو دائم كلما أخذ منه شئ عاد مثله فى مكانه قوله تعالى (هذا) أى الامر الذى ذكرناه (وان للطاغين) يعنى الكافرين (لشر ماآب) يعنى لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى (جهنم يصاونها) أى يدخلونها (فبئس المهاد) أى الفراش (هذا فليذوقوه حيم وغساق) معناه هذا حيم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم بيرده كاتحرقهم النار بحر ها وقيل هو ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار والحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين فى جهنم وقيل هو البارد المنخن والمعنى هذا حيم وغساق فليذوقوه (وأخر من شكاه) أى مثل الجحيم والغساق (أزواج) أى أصناف أخر من العذاب (هذا فوج مقتحم معكم) قال ابن عباس هو أن القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنى جماعة الاتباع مقتحم معكم النار أى داخلوها كما دخلتوها ثم قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة (لامر حياهم) أى الاتباع (انهم صالوا النار) أى داخلوها كما صاليناها نحن (قالوا) أى قال الاتباع للقادة (بل أتم لامر حياهم) أى لا رحبت بكم الارض والعرب تقول مر حيا وأهلا وسهلا أى أتيت رحبا وسعة (أتم قدمتموه لنا) يعنى ونقول الاتباع للقادة أتم بدم الكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر (فبئس القرار) أى فبئس دار القرار جهنم (قالوا) يعنى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا)

يعرق بيرده (وأخر) أى وعذاب آخر أو مذوق آخر (من شكاه) من مثل العذاب المذكور وأخر بصرى أى ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق فى الشدة والفظاعة (أزواج) صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضربا (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كئيف قد اقتحم معكم النار أى دخل النار فى صحبتكم والافتحام الدخول فى الشئ بشدة والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لامر حياهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعوه مر حيا أى أتيت رحبا من البلاد لاضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لافى دعاء السوء وهم بيان للمدعو عليهم (انهم صالوا النار) أى داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم ولامر حياهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أى الاتباع (بل أتم لامر حياهم) أى الدعاء الذى دعوتهم به علينا أتم أحق به وعللوا ذلك بقوله (أتم قدمتموه لنا) والضمير للعذاب أو لصلبهم أى انكم دعوتونا اليه فكفرنا باتباعكم (فبئس القرار) أى النار (قالوا) أى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا)

فزه هذا باضعفاً أي مضاعفاً (في النار) ومعناه اضعف ونحوه قوله ربنا هؤلاء أضلونا فآثمهم عذاباً ضعفاً وهو أن يز يد على عذابه مثله (وقالوا) الضمير لرؤساء الكفرة (مالتنا لنرى رجلاً) يعنون فقراء المسلمين (كننا نعدهم) في الدنيا (من الاشرار) من الارذال الذين لا خير فيهم ولا جدوى (اتخذناهم سخرى) بلفظ الاخبار عراقي غير عاصم على انه صفة لرجال مثل كنانة هم من الاشرار وبهمرة الاستفهام غيرهم على انه انكار على أنفسهم في الاستسخر منهم سخر يامدني وحزة وعلى وخلف والمفضل (أم زأغت) مالت (عنهم الابصار) هو متصل بقوله مالتنا أي مالتنا لانراهم في (٤٨) النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلانراهم وهم فيها قسموا أمرهم

أي شرعه وسننه لنا (فزه عذاباً ضعفاً في النار) أي ضعف عليه العذاب في النار قال ابن عباس حيات وأفاعي (وقالوا) يعني كفار قريش وصناديدهم وأشرافهم وهم في النار (مالتنا لنرى رجلاً كنانة هم) أي في الدنيا (من الاشرار) يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وأنما سموهم أشراراً لانهم كانوا على خلاف دينهم (اتخذناهم سخرى) أي زأغت عنهم الابصار) يعني ان الكفار اذا دخلوا النار نظر وافلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالتنا لنرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخرى يالم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزأغت عنهم الابصار أي أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه أم هم في النار ولكن احتجوا عن أبصارنا وقيل معناه أم كانوا اخيراً منا ونحن لانعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئاً (ان ذلك) أي الذي ذكر (لحق) ثم بين ذلك فقال تعالى (تخاصم أهل النار) أي في النار وأنما سماء تخاصم الان قول القادة للاتباع لامر حبابهم وقول الاتباع للقادة بل أتم لامر حبابكم من باب الخصومة قوله عز وجل (قل) أي يا محمد لمشركي مكة (انما أنا منذر) أي مخوف (ومامن الله الا الله الواحد) يعني الذي لا شريك له في ملكه (القهار) أي الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) فكونه رباً يشعر بالترية والاحسان والكرم والجود وكونه غفاراً يشعر بأنه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم (قل هو نبأ عظيم) يعني القرآن قاله ابن عباس وقيل يعني القيامة (أتم عنه معروضون) أي لا تتفكرون فيه فتعاصمون صدقي في نبوتي وان ماجئت به لم أعلمه الا بوحى من الله تعالى (ما كان لي من علم بالملا الأعلى) يعني الملائكة (اذ يختصمون) يعني في شان آدم حين قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء فان قلت كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك السماء والمخاصمة مع الله تعالى لا تليق ولا يمكن قلت لاشك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المجاز فلهمذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة (ان بوحى الي) أي انما علمت هذه المخاصمة بوحى من الله تعالى الى (الانما أنا نذير مبين) يعني الانا اناني أنذركم وأبين لكم ماتاتونہ وتجتنبونہ عن ابن عباس رضی اللہ عنہما قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم أنا نذير ربني في أحسن صورة قال أحسبه قال في المنام فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا الأعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين يدي وأقال في نحري فعلت ما في السموات وما في الارض قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا الأعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات المسكت في المساجد بعد الصلوات والمنشئ على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد اذ اصليت فقل اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بعبادتك فتنة فاقبضني اليك غير مقتون قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس

بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم (ان ذلك) التي حكينا عنهم (لحق) لصدق كائن لا محالة لا بد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو (تخاصم أهل النار) ولما شبه تقاوطهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين سماء تخاصموا ولان قول الرؤساء لامر حبابهم وقول اتباعهم بل أتم لامر حبابكم من باب الخصومة فسمى التقاوت كله تخاصماً لاشتماله على ذلك (قل) يا محمد لمشركي مكة (انما أنا منذر) ما أنا الا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالى (ومامن الله الا الله) وأقول لكم ان دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا اله الا الله (الواحد) بلانند ولا شريك (القهار) لكل شئ (رب السموات والارض وما

نيام

بينهما) له الملك والربوبية في العالم كله (العزيز) الذي لا يقبل اذا عاقب

(الغفار) لذنوب من التجأ اليه (قل هو) أي هذا الذي أنبأكم به من كوفي رسولاً منذر وان الله واحد لا شريك له (نبأ عظيم) لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم (أتم عنه معروضون) غافلون (ما كان لي) حفص (من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون) احتج اصحة نبوته بان ما ينبي به عن الملا الأعلى واختصاصهم أمر ما كان له به من علم قطم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم مالم يعلموا وهو الاخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له الا بالوحى من الله تعالى (ان بوحى الي الانما أنا نذير مبين) أي لا انما

نيام وفي رواية فقلت لبيك وسعديك في المرتين وفيها فعلت ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

فصل في الكلام على معنى هذا الحديث وللعلماء في هذا الحديث وفي أمثاله من أحاديث الصفات مذهبان \* أحدهما هو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكليف ولا تشبيه ولا تعطيل والإيمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد بان الله تعالى ليس كمثل شيء وهو السميع البصير \* المذهب الثاني هو تأويل الحديث وقيل الكلام على معنى الحديث تتكلم على اسناده فتقول قال البيهقي هذا حديث مختلف في اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن الحلاج عن عبد الرحمن بن عائش عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خاف العمري عن يحيى بن زيد عن جده مطور وهو أبو سلام عن ابن السكسكي عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك ورواه أبو أيوب عن قلابة عن ابن عباس وقال فيه أحسبه قال في المنام ورواه قتادة عن أنى قلابة عن خالد بن الحلاج عن ابن عباس قال البخاري عبد الرحمن بن عائش الحضرمي له حديث واحد الأهم يضطر بون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روى من طرق كلها ضعاف وفي ثبوته نظر وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على أن ذلك كان في المنام فإما تأويله فان الصورة هي التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز أن يكون الباري تبارك وتعالى مصورا ولا أن يكون له صورة لان الصورة مختلفة والهيئات متضادة ولا يجوز إضافة ذلك اليه سبحانه وتعالى فاستحال أن يكون مصورا وهو الخالق الباري المصور فقله أناني ربي في أحسن صورة يحتمل وجهين \* أحدهما وأناني أحسن صورة كانه زاده جلالا وكمالا وحسنا عند ربه وفائدة ذلك تعرفه لنا ان الله تعالى زين خلقه وحسن صورته عند ربه وتعلم به وإنما التغيير وقع بعد ذلك لشدة الوحي وثقله \* الوجه الثاني ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه في أحسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات الله تعالى انه جميل ومعناه انه مجمل في أفعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك من حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضا يرجع الى صفاته العلية من التناهي في العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا تنتهي ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند ربه يقر به عز وجل فأخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير \* وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يديه بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فتأويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لا يعرفه أحد حتى وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما في السموات وما في الارض باعلام الله تعالى اياه وإنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة أو مباشرة أو نقص وهذا هو أليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان في المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا الى التأويل ورواه الباري عز وجل في المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرأى وسبب اختصاص الملائكة الاعلى وهم الملائكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث في أيها أفضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسمه لازمه وانما سماه محاصمة لانه ورد مورد

أنا نذير مبين ومعناه ما يوحى الى الاللا نذار خذف اللام واتصبا بافضاء الفعل اليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى الى الالهذا وهو ان أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك أي ما أؤمر الالهذا الامر وحده وليس لي غير ذلك وبكسر انما يزيد على الحكاية أي الا هذا القول وهو ان أقول لكم انما أنا نذير مبين ولا أدعي شيئا آخر وقيل النبا العظيم قصص آدم والانبياء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس رضي الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة والمراد بالملائكة الاعلى أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكانوا يتناولون بينهم واذ يتختمون متعلق بمحذوف اذ المعنى ما كان لي من علم بكلام الملائكة الاعلى وقت اختصاصهم

(اذ قال ربك) بدل من اذ يختصمون أى فى شأن آدم حين قال تعالى على لسان ملك (للملائكة انى خالق بشر من طين) وقال انى جاعل فى الارض خليفة قالوا ان تجعل فيها من يفسد فيها (فاذا سويته) فاذا اتممت خلقته وعدلته (ونفخت فيه من روحي) الذى خلقته و اضافه اليه تخصيضا كبيت الله وناقة الله والمعنى احييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) امر من وقع يقع أى اسقطوا على الارض والمعنى اسجدوا (وله ساجدين) قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل كان سجدة لله أو كان سجدة التحية (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فاذا انهم سجدوا وعن آخرهم جميعهم فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (الابليس استكبر) تعظم عن السجود (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين بباء الامر (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد) ما منعك عن السجود (لما خلقت بيدي) أى بلا واسطة امتثالا لامرى واعظاما لخطاى وقد مر ان ذا اليمين يباشراً كثيراً عماله بيده فغلب العمل باليدى على سائر الاعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو (٥٠) ما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين الله يداك او كتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق

سؤال وجواب وذلك يشبه الخاصة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ الخاصة عليه والله تعالى أعلم قوله عز وجل (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشر من طين) يعنى آدم (فاذا سويته) أى اتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي) اضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف قدسى يسرى فى بدن الانسان سرى ان الضوء فى الفضاء وكسرى ان النار فى الفحم (فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر) أى تعظم (وكان من الكافرين) قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أى توليت خلقه (استكبرت) أى تعظمت بنفسك عن السجود له (أم كنتم من العالين) أى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله (قال أنا خير منه) يعنى لو كنت مساويا له فى الشرف لكان يقبح ان اسجده فكيف وأنا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار اشرف من الطين وأفضل منه واخطأ ابليس فى القياس لان مال النار الى الرماد الذى لا ينتفع به والطين أصل كل ماهونام ثابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسيبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة (قال فاخرج منها) أى من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلق التى كان فيها وذلك لان ابليس تجبر وافتخر بالخلق فغير الله تعالى خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته (فانك رجيم) أى مطرود (وان عليك لعنتى الى يوم الدين) فان قلت اذا كان الرجيم معنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق ان يحمل الرجيم على الطرد من الجنة والسماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون أبلغ وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الى لانه الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضى انقطاع اللعنة عنه عند محيى يوم الدين قلت معناها ان اللعنة باقية عليه فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة يزيله مع اللعنة من أنواع العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكانها انقطعت عنه (قال رب فأنظرنى الى يوم تبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعنى النفخة الاولى (قال فبعزتك لا غوينهم أجمعين منهم

بين قولك هذا ما عملته وهذا ما عملته يداك ومنه قوله ما عملت أيدينا ولما خلقت بيدي (استكبرت) استفهام انكار (أم كنت من العالين) ممن علوت ووقفت وقيل استكبرت الآن أم لم تزال منذ كنت من المستكبرين (قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) يعنى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق منسلى فكيف اسجد لمن هو دونى لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهى خلقتنى من نار مجرى المعطوف عطف البيان والايضاح (قال فاخرج منها) من الجنة أو من السموات

أومن الخلق التى أنت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنا والمخلصين وأظلم بعدما كان نورانيا (فانك رجيم) مرجوم أى مطرود تكبرا ابليس أن يسجد لمن خلقى من طين وزل عنه ان الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره اجلالا لخطابه وتعظما لامره فصار مرجوما لمعونا بترك أمره (وان عليك لعنتى) بفتح الياء مدنى أى ابعادى من كل الخير (الى يوم الدين) أى يوم الجزاء ولا يظن ان لعنته غايتها يوم الدين ثم تنقطع لان معناها ان عليه اللعنة فى الدنيا وحادها فاذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الاقتراد ولما كان عليه اللعنة فى أو ان الرحمة فالولى أن تكون عليه فى غيرا وانها وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (قال رب فأنظرنى) فامهلنى (الى يوم تبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) الوقت المعلوم الوقت الذى تقع فيه النفخة الاولى ويوم اليوم الذى هو وقت النفخة جزء من أجزاءه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر (قال فبعزتك لا غوينهم أجمعين) أى أقسم بعزة الله وهى سلطانه وقهره (الاعبادك منهم

المخلصين) وبكسر اللام مكى وبصرى وشامى (قال فالحقى) بالرفع كوفى غير على على الابتداء أى الحق منى أو على الخبر أى أنا الحق وغيرهم بالنصب على أنه مقسم به كقوله الله لافعلن كذا يعنى حذف عنه الباء فاتصّب وجوابه لا ملأ ن (والحقى أقول) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه وهو منصوب بأقول ومعناه ولا أقول الا الحق والمراد بالحقى اما اسمه عز وجل الذى فى قوله ان الله هو الحق أو الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله بأقسامه به (لاملأ ن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (ومن تبعك منهم) من ذرية آدم (أجمعين) أى لاملأ ن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحدا (قل ما أسئلكم عليه من أجر) الضمير للقرآن أولوحي (وما أنا من المتكافين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتمونى قط متصنعاً ولا مدعيها بما ليس عندى حتى اتحل النبوة واتقول القرآن (ان هو) ما القرآن (الاذكر) من الله (للعالمين) للتقلين أو حى الى (٥١) فأنأ بلغه وعن رسول الله صلى

الله عليه وسلم للمتكاف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم (ولتعلمن نبأه) نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكور البعث والنشور (بعد حين) بعد الموت أو يوم بدر أو يوم القيامة ختم السورة بالنذ كركا فافتتحها بالنذ كروا لله الموفق

سورة الزمر مكية وهى خمس وسبعون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (تنزيل الكتاب) أى القرآن مبتدأ خبره (من الله) أى نزل من عند الله أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة للتنزيل أو غير صلة بل هو خبر بعد خبراً وخبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله (العزير) فى سلطانه (الحكيم) فى تديره (انا

المخلصين قال فالحقى والحقى أقول) أى أنا أقول الحق وقيل الاول قسم يعنى فبالحق وهو الله تعالى أقسم بنفسه (لاملأ ن جهنم منك) أى بنفسك وذريتك (ومن تبعك منهم أجمعين) يعنى عن نبي آدم (قل ما أسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (من أجر) أى جعل (وما أنا من المتكافين) أى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى وكل من قال شيئاً من تلقاء نفسه فقد تكافى له (ق) عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى لئن صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكافين لفظ البخارى (ان هو) يعنى القرآن (الاذكر) أى موعظة (للعالمين) أى للعالمين (ولتعلمن) يعنى أتم يا أهل مكة (نبأه) أى خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقى علم بذلك اذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن بن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله تعالى أعلم بما رده وأسرار كتابه

﴿نفسير سورة الزمر﴾

نزلت بحكمة الاقوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم وقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وقيل قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا بكم عوضاً عن قوله الله نزل أحسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدينيات من قوله قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الى قوله لا تشعرون وهى اثنتان وقيل خمس وسبعون آية وألف ومائة واثنان وسبعون كلمة وأربعاً ألف وتسعمائة وثمانية أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (تنزيل الكتاب) أى هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل (من الله العزيز الحكيم) أى لا من غيره (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أى لم ينزله باطلاً لغير شئ (فاعبد الله مخلصاً له الدين) أى الطاعة (الالهة الدين الخالص) أى شهادة أن لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعنى الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذى أمر به لان رأس العبادات الاخلاص فى التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي (والذين اتخذوا من دونه) أى من دون الله (أولياء) يعنى الاصنام (مانعبدهم) أى قالوا مانعبدهم (الليقر بونا الى الله زلنى) يعنى قر به وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فقل لهم فامعنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلنى وتشفع لنا عنده (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) أى من أمر الدين (ان الله لا يهدي) أى يرشد

أزلنا اليك الكتاب بالحق) هذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان للكتاب والثانى لبيان ما فى الكتاب (فاعبد الله مخلصاً) حال (له الدين) أى مخلصاً له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السرفالدين منصوب بمخلصاً وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصاً (الالهة الدين الخالص) أى هو الذى وجب اختصاصه بان مخلص له الطاعة من كل شائبة كندر لاطلاع على الغيوب والاسرار وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى آلهة وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الاصنام يقولون (مانعبدهم الليقر بونا الى الله زلنى) مصدر رأى تقر بيا (ان الله يحكم بينهم) بين المسلمين والمشركين (فما هم فيه مختلفون) قيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا قالوا لهم فالىكم تعبدون الاصنام قالوا مانعبدهم الليقر بونا الى الله زلنى والمعنى ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين (ان الله لا يهدي

من هو كاذب كفار) أي لاهدي من هو في علمه أنه يختار الكفر يعني لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذه ولكنهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذاعقبه محتجاً عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولد الاصطفي مما يخلق ما يشاء) أي لوجاز اتخذ الولد على ما تظنون لا يختار مما يخلق ما يشاء لا ما يختارون أنتم وتساؤن (سبحانه) نزوه ذاته عن أن يكون له أخدمان سبوا اليه من الأولياء والاولاد ودل على ذلك بقوله (هو الله الواحد القهار) يعني أنه واحد متبرئ عن انضمام الاعداد متعال عن التجزؤ والاولاد قهار غلاب لكل شئ ومن الاشياء آطتهم فأني يكون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النبرين وجريهما لاجل (٥٢) مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على أنه واحد

لا يشارك قهار لا يغالب بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها والمعنى أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ما يغيبه عن مطامح الابصار وأن هذا يكر على هذا كرور امتتباعا فشبه ذلك بتتابع كوار العمامة بعضها على أثر بعض (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) أي يوم القيامة (الاهو العزيز) الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما (الغفار) لمن فكر واعتبر فأمن بمسخرهما (خلقكم من نفس واحدة)

لدينه (من هو كاذب) أي من قال ان الآطه تشفع له (كفار) أي باتخاذ الآطه دون الله تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولد الاصطفي) أي لا يختار (مما يخلق ما يشاء) يعني الملائكة ثم نزوه نفسه فقال تعالى (سبحانه) أي تزيها له عن ذلك وعملا يليق بطهارة قدسه (هو الله الواحد) أي في ملكه الذي لا شريك له والولد (القهار) أي الغالب الكامل القدرة ٥٢ قوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) يعني يغشى هذا هذا وقيل يدخل أحدهما على الآخر وقيل ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر فانقص من الليل زاد في النهار وما نقص من النهار زاد في الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكرأ أحدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهرهما (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) يعني الى يوم القيامة (الاهو العزيز الغفار) معناه ان خلق هذه الاشياء العظيمة يدل على كونه سبحانه وتعالى عز بزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان (خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم (ثم جعل منها زوجها) يعني حواء ولما ذكر الله تعالى آيات قدرته في خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم أتبعه بذ كخلق الانسان عقبه بذ كخلق الحيوان فقال تعالى (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) يعني الابل والبقر والغنم والمز والاراد بالازواج الذكرو الانثى من هذه الاصناف وفي تفسير الانزال وجوه قيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير أنزل الماء الذي تعيش به الانعام وقيل ان أصول هذه الاصناف خلقت في الجنة ثم أنزلت الى الارض (بخلقكم في بطون أمهاتكم) لما ذكر الله تعالى أصل خلق الانسان ثم أتبعه بذ كالانعام عقبه بذ كحالة مشتركة بين الانسان والحيوان وهي كونها مخلوقة في بطون الامهات وإنما قال في بطون أمهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق (خلقكم من بعد خلق) يعني نطفة ثم علقته ثم مضغه (في ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن (ذلكم الله ربكم) أي الذي خلق هذه الاشياء بكم (له الملك) أي لا تغيره (لا اله الا هو) أي لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله تعالى (فأني تصرفون) أي عن طريق الحق بعد هذا البيان ٥٢ قوله عز وجل (ان تكفروا فان الله غني عنكم) يعني انه تعالى ما كلف المكلفين ليحجر الى نفسه نفعا أو ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لانه تعالى غني عن الخلق على الاطلاق فيمنع في حقه من المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصانا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا أنه غني عن جميع

أي آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) أي حواء من قصيرا وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذئب ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزل لكم من الانعام) أي جعل عن الحسن أو خلقها في الجنة مع آدم عليه السلام ثم أنزلها لانها تعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد أنزل الماء فكانه أنزلها (ثمانية أزواج) ذكرو أنثى من الابل والبقر والضأن والمز كجاء في سورة الانعام والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر (بخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقته ثم مضغه ثم الى تمام الخلق (في ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة وظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) الذي هذه مغفولاته هو (الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأني تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ثم بين أنه غني عنهم بقوله (ان تكفروا فان الله غني عنكم) عن إيمانكم وانتم محتاجون اليه لتضرركم بالكفر واتفاعكم بالإيمان

(ولا يرضى لعباده الكفر) لان الكفر ليس برضا لله تعالى وان كان بارادته (وان تشكروا) فتؤمنوا (برضه لكم) أي برض الشكر لكم  
 لانه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة برضه بضم الهاء والاشباع مكى وعلى برضه بضم الهاء بدون الاشباع نافع وهشام وعاصم وغير محبي وجاد  
 وغيرهم برضه (ولانزر وازرة وزراخرى) أي لا يؤاخذ أحد بذنوب آخر (ثم الى ربكم مرجعكم) الى جزاء ربكم رجوعكم (فينبئكم بما  
 كنتم تعملون) فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها (انه علم بذات الصدور) (٥٣) بحفيات القلوب (واذا مس

الانسان) هو أبو جهل  
 أول كافر (ضر) بلاء وشدة  
 والمس في الاعراض مجاز  
 (دعاه به منيبا اليه) راجعا  
 الى الله بالدعاء لا يدع غيره  
 (ثم اذا خوله) أعطاه (نعمة  
 منه) من الله عز وجل  
 (نسى ما كان يدعو اليه  
 من قبل) أي نسي ربه الذي  
 كان يتضرع اليه وما معنى  
 من كقوله وما خلق الذكرك  
 والانتى أو نسي الضر الذي  
 كان يدع الله الى كشفه  
 (وجعل لله أندادا) أمثالا  
 (ليضل) ليضل مكى وأبو  
 عمرو ويعقوب (عن  
 سبيله) أي الاسلام (قل)  
 يا محمد (تمتع) أمر تهديد  
 (بكفرك قليلا) أي في  
 الدنيا (انك من أصحاب  
 النار) من أهلها (أمن)  
 قرى بالتخفيف مكى ونافع  
 وحزة على ادخال همزة  
 الاستفهام على من  
 وبالتشديد غيرهم على  
 ادخال أم عليه ومن مبتدأ  
 خبره محذوف تقديره أمن  
 (هو قانت) كغيره أي أمن  
 هو مطيع كمن هو عاص

العالمين فلو كفر واواصر واعليه فان الله تعالى غنى عنهم ثم قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) يعني  
 أنه تعالى وان كان لا ينفعه إيمان ولا يضره كفر إلا أنه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده  
 المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما في اللفظ  
 ناصيا للمعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله ير يد بعض عباد الله وأجزاء قوم على العموم وقال لا يرضى  
 لاحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده أن يكفروا به وهو قول الساف قالوا كفر الكافر غير  
 مرضى لله تعالى وان كان بارادته لان الرضا عبارة عن مدح الشيء والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر  
 ولا يثنى عليه ولا يكون في ملكه الاما أراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه وقد بان الفرق بين الارادة والرضا  
 (وان تشكروا) أي تؤمنوا بكم وتطيعوه (برضه لكم) فيثيبكم عليه (ولانزر وازرة وزراخرى) تقدم  
 بيانه (ثم الى ربكم مرجعكم) أي في الآخرة (فينبئكم بما كنتم تعملون) أي في الدنيا (انه علم بذات  
 الصدور) أي بما في القلوب قوله تعالى (واذا مس الانسان ضرا) أي بلاء وشدة (دعاه به منيبا) أي راجعا  
 (اليه) مستغيبا به (ثم اذا خوله) أي أعطاه (نعمة منه نسي) أي ترك (ما كان يدعو اليه من قبل) والمعنى  
 نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه (وجعل لله أندادا) يعني الاصنام (ليضل عن سبيله) أي ليرد عن دين  
 الله تعالى (قل) أي لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) أي في الدنيا الى انقضاء أجلك (انك من أصحاب النار)  
 قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقيل في أبي حذيفة الخزومي وقيل هو عام في كل كافر (أمن هو قانت) قيل  
 فيه حذف مجازة مكن هو غير قانت وقيل مجازة الذي جعل لله أندادا خبر أمن هو قانت وقيل معنى الآية تمتع  
 بكفرك انك من أصحاب النار ويامن هو قانت أنت من أصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت في أبي بكر وعمر  
 وعن بن عمر أنها نزلت في عثمان وقيل نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الآية عامة في كل قانت وهو  
 المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه (آناء  
 الليل) أي ساعات الليل أو له ووسطه وآخره (ساجدا واقائما) أي في الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل  
 على النهار وانه أفضل منه وذلك لان الليل أستر فيكون أبعدهن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهمة وتمتع  
 البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية ترجع الى المطلوب  
 الاصلى وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلى له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه  
 أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر (يحذر) أي يخاف (الآخرة) ويرجو رجته به) قيل المغفرة  
 وقيل الجنة وفيه فائدة وهي انه قال في مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يصف الحذر اليه تعالى وقال في مقام الرجاء  
 ويرجو رجته به وهذا يدل على ان جانب الرجاء أكمل وأولى أن ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ما روى  
 عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف  
 تجدك قال أرجو الله يارسول الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد  
 في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله تعالى ما يرجو منه وأمنه مما يخاف أخرجه الترمذى (قل هل يستوى الذين

والقانت المطيع لله وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جوى ذكرى الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون  
 (آناء الليل) ساعاته (ساجدا واقائما) حالان من الضمير في قانت (يحذر الآخرة) أي عذاب الآخرة (ويرجو رجته به) أي الجنة ودلت  
 الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء ويرجو رجته ليعمله ويحذر عقابه لتقسيه في عمله ثم الرجاء اذا جاوز حده يكون أمنا  
 والخوف اذا جاوز حده يكون اياسا وقد قال الله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال انه لا يأمن من روح الله الا القوم الكافرون  
 فيجب أن لا يجاوز أحدهما حده (قل هل يستوى الذين



يعلمون والذين لا يعلمون) أى يعلمون ويعلمون به كأنه جعل من لا يعمل غير عامل وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويعتقدون فيها ثم يقتنون بالدين فيفهم عند الله جهالة حيث جعل القاتنين هم العلماء وأرى بده التشبيه أى كالأستوى العالم والجاهل كذلك لا يستوى المطيع والمعاصي (أما يتذكر أولو الألباب) جمع لب أى أعمى تعظ بوعظ الله أولو العقول (قل يا عباد الذين آمنوا) بلاياء عند الأكثر (انقوار بكم) بامثال أو امره واجتناب نواهيه (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) أى أطاعوا الله في الدنيا وفي يتعلق بأحسنوا الأبحسمة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فالهم حسنة في الآخرة وهى دخول الجنة أى حسنة لا توصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية (54) ومعنى (وأرض الله واسعة) أى لا عذر للمفترطين فى الاحسان البتة حتى ان

اعتلوا بأنهم لا يتمكنون فى أوطانهم من التوفر على الاحسان قيل لهم فان أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا الى بلاد آخر واقصدوا بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم (أما يوفى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرهم من تجرع الغصص واحتمل البلاء فى طاعة الله وازدياد الخير (أجرهم بغير حساب) عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وهو حال من الاجر أى موفرا (قل انى أمرت أن أعبد الله) بان أعبد الله (مخلصه الدين) أى أمرت باخلاص الدين (وأمرت لان أكون أول المسلمين) وأمرت بذلك

يعلمون) أى ما عند الله من الثواب والعقاب (والذين لا يعلمون) ذلك وقيل الذين يعلمون عمار وأصحابه والذين لا يعلمون أبو حذيفة الخزرجى وقيل افتتح الله الآبى بالعمل وختمها بالعمل لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فأذا حصل للانسان دل ذلك على كماله وفضله (أما يتذكر أولو الألباب) قوله تعالى (قل يا عباد الذين آمنوا انقوار بكم) أى بطاعته واجتناب معاصيه (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يعنى للذين آمنوا وأحسنوا العمل حسنة يعنى الجنة وقيل الصحة والعافية فى هذه الدنيا (وأرض الله واسعة) قال ابن عباس يعنى ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذى يظهر فيه المعاصي وقيل من أمر بالمعاصي فى بلد فلينهرب منه وقيل نزلت فى مهاجر الحبشة وقيل نزلت فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء وصبروا وهاجروا (أما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال على بن أبى طالب كل مطيع بكاله كيلاو يوزن له وزنا الا الصابرون فانه يحثى لهم حثيا وروى أنه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى تمتى أهل العافية فى الدنيا لو أن أجسادهم تقرض بالمقار يض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل ﴿ قوله عز وجل (قل) يا محمد (انى أمرت أن أعبد الله مخلصه الدين) أى مخلصه التوحيد أى لا أشرك به شيئا (وأمرت لان أكون أول المسلمين) أى من هذه الامة قيل أمره أولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم أمره ثانيا بعمل الجوارح لان شرائع الله تعالى لا تستفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو أول الناس شروعا فيها خص الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر لينبه على أن غيره أحق بذلك فهو كالترغيب لغيره (قل انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما حلك على هذا الذى اتيتنا به ألا تنتظر الى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فتزل الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية تزجر الغير عن المعاصي لانه مع جلاله قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خافنا حذرنا من المعاصي لغيره أولى بذلك (قل الله أعبد مخلصه ديني) فان قلت ما معنى التكرار فى قوله قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصه الدين وفى قوله قل الله أعبد مخلصه ديني قلت هذا ليس بتكرار لان الاول الاخبار بانه مأمور من جهة الله تعالى بالاتباع بالعبادة والاخلاص والثانى انه اخبار بانه أمر أن يخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا يعبد أحد غيره مخلصه دينه لان قوله أمرت أن أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله أعبد يفيد الحصر والمعنى الله أعبد ولا أعبد أحد غيره ثم أتبعه بقوله (فأعبدوا ما شئتم من دونه) ليس أمر ابل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم

لاجل ان أكون أول المسلمين أى مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبق فى وأهلهم الدين فن أخلص كان سابقا فالاول أمر بالعبادة مع الاخلاص والثانى بالسبق فلا خلاف جهتهم ما تزل منزلة المختلفين فصح عطف أحدهما على الآخر (قل انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) لمن دعاك بالرجوع الى دين أبائك وذلك أن كفار قريش قالوا له عليه السلام ألا تنتظر الى أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت رد اعليهم (قل الله أعبد مخلصه ديني) وهذه الآية اخبار بانه يخص الله وحده بعبادته مخلصه دينه ودون غيره والاولى اخبار بانه مأمور بالعبادة والاخلاص فالكلام أولا واقع فى نفس الفعل واثباته وثانيا فىما يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله (فأعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا أمر تهديد وقيل له عليه السلام ان خالفت دين أبائك فقد خسرت فنزلت (قل ان الخاسرين) أى الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوه وأسبابه (الذين خسروا أنفسهم) باهلا كهما فى النار

(وأهلهم) أي وخسر وأهلهم (يوم القيامة) لانهم أضلوهم فصار والى النار ولقد وصف خسرتهم بغاية الفطاعة في قوله (الأذلك هو الخسران المبين) حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وذلك لانهم استبدلوا الجنة نارا وبالدرجات دركات (لم من فوقهم ظلل) أطباق (من النار ومن تحتهم ظلل) أطباق من النار وهي ظلل الآخرون أي النار محيطتهم (ذلك) الذي وصف من العذاب أي وذلك الظلل (بحرف الله به عباده) ليؤمنوا به ويحبتوا ما نهايه (بإعباد فاتقون) ولا تعرضوا لما يوجب سخطي خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه (والذين اجتنبوا الطاغوت) الشياطين فعلمت من الطغيان كالمسكوت والرحوت الآن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت

(٥٥)

مصدر أو فيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحوت الرحة الواسعة والمسكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرىء الطواغيت (أن يعبدوها) بدل الاشتغال من الطاغوت أي عبادتها (وأنا بوا) رجعوا (إلى الله لهم البشرى) هي البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة

عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) هم الذين اجتنبوا وأنا بوا وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والانا بوا على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا تقادا في الدين

وأهلهم) يعني أزواجهم وخدمهم (يوم القيامة) قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا واهلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله تعالى دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره من عمل بطاعة الله تعالى خسرت نفسه وأهله ومنزله وقيل خسرت النفس بدخول النار وخسران الاهل بان يفرق بينه وبين أهله (الأذلك هو الخسران المبين لم من فوقهم ظلل من النار) أي أطباق وسرادقات (ومن تحتهم ظلل) أي فراش ومهاد وقيل أحاطت النار بهم من جميع الجهات والجواب فان قلت الظلة ما فوق الانسان فكيف سمي ما تحته بالظلة قلت فيه وجوه الاول أنه من باب اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر الثاني أن الذي تحته من النار يكون ظلة لآخر تحته في النار لانها دركات الثالث أن الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الايداء والحرارة سميت باسمها الاجل المماثلة والمشابهة (ذلك يخوف الله به عباده) أي المؤمنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار في الآخرة خافوا فأخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل وهو قوله تعالى (يا عباد فاتقون) قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت) يعني الاوثان (أن يعبدوها وأنا بوا إلى الله) أي رجعوا إلى عبادة الله تعالى بالكيفية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره (لم البشرى) أي في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر وأما في الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة في كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان (فبشر عبادي الذين يستمعون القول) يعني القرآن (فيتبعون أحسنه) أي أحسن ما يؤمرون به فيعملون به وهو ان الله تعالى ذكر في القرآن الاتصاف من الظالمين ذكر العفو عنه والعفو أحسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لانه كانه حسن وقال ابن عباس رضى الله عنهم ما أسلم أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا فترلت فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو وأبو ذر وسلمان الفارسي (أولئك الذين هداهم الله) أي إلى عبادته وتوحيده (وأولئك هم أولو الابواب) فمن حق عليه كلمة العذاب قال ابن عباس سبق في علم الله تعالى انه في النار وقيل كلمة العذاب قوله لا ملأن جهنم وقيل هو لاء في النار ولا أبالي (أفانت تنقذ من في النار) أي لا تنقذ عليه قال ابن

يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم أمران واجب وندب اختار والواجب وكذا المباح والندب حر صاعلي ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن أو يستمعون أو امر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساويف حدث باحسن ماسمع وكف عما سواه (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الابواب) أي المنتفعون بعقولهم (أمن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ من في النار) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب أي وجب أفانت تنقذه جلة شرطية دخلت عليها همزة الانكار والفاء جزء ثم دخلت الفاء التي في أو طالعطف على محذوف تقديره أنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب ووضع من في النار موضع الضمير أي تنقذه فالآية على هذا اجلة واحدة ومعهناه أمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه فانت تنقذه أي لا يقدر أحد ان ينقذ من أصله الله وسبق في علمه انه من أهل النار

(لكن الذين اتقوا بهم لهم غرف من فوقها غرف) أى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها يعنى للكفار ظلل من النار وللمتقين غرف (مبنية تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت منازلها (وعد الله لا يتخلف الله الميعاد) وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر وقيل كل ماء فى الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله (فلسكه) (٥٦) فادخله (ينابيع فى الارض) عيوناً ومسالك ومجارى كالعروق فى الاجساد وينابيع

نصب على الحال أو على الظرف وفى الارض صفة لينابيع (ثم يخرج به) بالماء (زرعاً مختلفاً ألوانه) حيثانه من خضرة وحمرة وصفرة وبياض أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك (ثم يهيج) يهيج (فتراه مصفراً) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاماً) فتاتا متكسراً فالخطام ما تفتت وتكسر من النبات وغيره (ان فى ذلك) فى انزال الماء واخراج الزرع (لذكري لاولى الابواب) لذكريا وتنبها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدير لاعن اهمال وتعطيل (أفمن شرح الله صدره) أى وسع صدره (للاسلام) فاهتدى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح فقال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فليل فهل لذلك من علامة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (فهو على

عباس رضى الله عنهما يريد بأهلب وولده (لكن الذين اتقوا بهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل هى أرفع منها (تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يتخلف الله الميعاد) أى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعد الايتخلفه (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكواكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر أى الباقي فى الافق أى فى ناحية المشرق والمغرب ﴿ قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أى أدخل ذلك الماء (ينابيع فى الارض) أى عيوناً واوركيا ومسالك ومجارى فى الارض كالعروق فى الجسد قال الشعبي وكل ماء فى الارض فن السماء نزل (ثم يخرج به) أى بالماء (زرعاً مختلفاً ألوانه) أى مثل أصغرواً أخضر وأحمر وأبيض وقيل أصنافه مثل البر والشعير وسائر أنواع الحبوب (ثم يهيج) أى يبس (فتراه) أى بعد خضرته ونضرتة (مصفرأ ثم يجعله حطاماً) أى فتاتا متكسراً (ان فى ذلك لذكرى لاولى الابواب) قوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره) أى وسعه (للاسلام) وقبول الحق كمن طبع الله تعالى على قلبه فلم يهتد (فهو على نور من ربه) أى على يقين وبيان وهداية روى البغوى بإسناد التعلبي عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) القسوة جود وصلابة تحصل فى القلب فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت انهم كما تلى ذكر الله على الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرجة العنصر بعيدة عن قبول الحسنى فان سماعها لذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس بلبين الشمع وبعقد الملح فكذلك القرآن بلبين قلوب المؤمنين عند سماعه الا يزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة (أولئك فى ضلال مبين) قيل نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وفى أبى بن خلف وقيل فى على وحزرة وفى أبى لهب وولده وقيل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أبى جهل ﴿ قوله عز وجل (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل فى أسلوبه واما الوجه الثانى وهو كون القرآن من أحسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الاولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار ( كتاباً

نور من ربه) بيان وبصرة والمعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه حذف لان قوله (فويل للقاسية قلوبهم) يدل عليه (من ذكر الله) أى من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله أى اذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجساً الى رجسهم (أولئك فى ضلال مبين) غواية ظاهرة (الله نزل أحسن الحديث) فى ايقاع اسم الله مبتدأ و بناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث ( كتاباً) بدل من أحسن الحديث أو حال منه

متشابهاً

(متشابهها) يشبه بعضه بعضا في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وغير ذلك (مثنائي) نعت كتابا جمع مثنى بمعنى مررد ومكرر لما تثنى من قصصه وأنبأته وأحكامه وأوامره ونواهيته ووعده ووعدته ومواعظه فهو بيان لكونه متشابهها لان القصص المسكررة وغيرها لا تكون الامتثالية وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يعمل وانما جاز وصف الواحد بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفصيل الشيء هي جملة الأثر كقول القرآن اسبغ واخمس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام (٥٧) ومواعظ مكررات أو منصوب

على التمييز من متشابهها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثنائه (تقشع) تضطرب وتتحرك (منه جلود الذين يخشون ربهم) يقال اقشع الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وآيات وعيده أصابتهم خشية تقشع منها جلودهم وفي الحديث اذا اقشع جلد المؤمن من خشية الله تحات عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها (ثم نلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى اذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بهما من الخشية والقشعريرة وعدي بالى لتضمنه معنى فعل متعد بالى كأنه قيل اطمانت الى ذكر الله لينته غير منقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لان رحمة سبقت غضبه فلا صالة لرحمته اذا ذكر الله لم يخطر بالبال الا كونه رؤفا رحما وذكورت

متشابهها) أى يشبه بعضه بعضا (مثنائي) أى يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهي والاخبار والحكم (تقشع) أى تضطرب وتشمتر (منه جلود الذين يخشون ربهم) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أى قلوب الذين يخشون ربهم (ثم نلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى لئلا تكون آيات الرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشع عند الخوف وتلين عند الرجاء وروى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشع جلد العبد من خشية الله تعالى تحات عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وروى رواية حرمه الله تعالى على النار قال بعض العارفين السيارون في بيده جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا الاحلم جلال من عالم الجلال عاشوا وقال قتادة هذا نعت أولياء الله الذين نعتهم الله به ان تقشع جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كأنهم مغشوا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر اننا نخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف أحدكم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكورت عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال يبننا وبينهم ان يقعد أحدكم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من اوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكورت الجلود وحدها ولا في جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانيا في الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعد في اول وهلة واذا ذكر الله ومبني أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم وقيل ان المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطوب واذا حصل الخوف اقشعرت منه الجلود واذا حصل الرجاء اطمان اليه القلب ولان الجلد (ذلك) أى القرآن الذى هو أحسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء) أى هو الذى يشرح الله به صدره لقبول الهداية (ومن يضل الله) أى يجعل قلبه قاسيا مانفا يقبل الهداية (فقاله من هاد) أى يهديه قوله عز وجل (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) أى شدته (يوم القيامة) قيل يجر على وجهه في النار وقيل يرمى به في النار منكوسا فلول شيء تسمه النار ووجهه وقيل هو الكافر يرمى به منكوسا في النار مغلوله يده الى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه فرها ووجهها على

(٨ - (خازن) - رابع) الجلود وحدها ولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لان محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب (ذلك) إشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدى به من يشاء) من عباده وهو من علم منهم اختيار الهداء (ومن يضل الله) يخلق الضلالة فيه (فقاله من هاد) الى الحق (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) كمن أمن من العذاب خذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا اتقى مخوفامن المخاوف استقبله بيده وطلب أن يتقى بها وجهه لانه أعزأ أعضائه عليه والذى يلقى في النار يلقى مغلوله يده الى عنقه فلا يتهاى له ان يتقى النار ابوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه

(وقيل للظالمين) أى تقول له خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون) أى كسبكم (كذب الذين من قبلهم) من قبل قريش (فأناهم العذاب من حيث لا يشعرون) من الجهة التي لا يحسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر ياتهم منها يئناهم آمنون اذ فوجؤا من مأمنهم (فأذا فهم الله الخزي) النذل والصغار كالسخف والخسف والقتل والجلأ ونحو ذلك من عذاب الله (في الحياة الدنيا والعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) لآمنوا (واقدر بنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون) ليتعظوا (قرأ ناعربيا) حال مؤكدة كما تقول جاءني (٥٨) ز بدرجلا صالحا وانسانا عاقلا فتذكر رجلا وانسانا تو كيدا أو نصب على المدح

(غير ذى عوج) مستقيما  
بريثا من التناقض  
والاختلاف ولم يقل مستقيما  
للاشعار بان لا يكون فيه  
عوج قط وقيل المراد بالعوج  
الشك (لعلمهم يتقون)  
الكفر (ضرب الله مثلا  
رجلا) بدل (فيه شركاء  
متساكسون) متنازعون  
ومختلفون (ورجلا سامعا)  
مصدر سلم والمعنى ذاسلامه  
(لرجل) أى ذا خلوص له  
من الشركة سالما مكي وأبو  
عمر وأى خالصه (هل  
يستويان مثلا) صفة وهو  
تمييز والمعنى هل تستوي  
صفتاهما وحالهما وانما  
اقتصر في التمييز على  
الواحد لبيان الجنس وقرئ  
مثلين (الجدلثة) الذى  
لاله الا هو (بل أكثرهم  
لا يعلمون) فيشركون به  
غيره مثل الكافر ومعبود  
به يعبد اشترك فيه شركاء  
بينهم تنازع واختلاف وكل  
واحد منهم يدعى انه  
عبده فهم يتعابدونه

وجهه لا يطبق دفعها عنه للاغلال التي في يديه وعنقه ومعنى الآية أفن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن  
من العذاب (وقيل للظالمين) أى تقول لهم الخزنة (ذوقوا) أى وبال (ما كنتم تكسبون) أى فى الدنيا  
من المعاصي (كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فأناهم العذاب من حيث  
لا يشعرون) يعنى وهم غافلون آمنون من العذاب (فأذا فهم الله الخزي) أى العذاب والهوان (في الحياة  
الدنيا والعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) قوله عز وجل (واقدر بنا للناس في هذا القرآن  
من كل مثل لعلمهم يتذكرون) (قرأ ناعربيا) أى فصيحا محجرا فصحا والبلغاء عن معارضة  
(غير ذى عوج) أى منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذى لبس وقيل غير مخلوق  
و يروى ذلك عن مالك بن أنس وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق  
ولامخلوق (لعلمهم يتقون) أى الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكمة فى تقديم التذكرة فى الآية الاولى  
على التقوى فى هذه الآية قلت سبب تقديم التذكرة أن الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على خوى الشئ  
واختلط بعنايه اتقاه واحترز منه (قوله تعالى) (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متساكسون) أى  
متنازعون مختلفون سببته أخلاقهم والشكس السبب الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلا سلمه  
لرجل) أى خالصه لا يشريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب يا محمد لتقومك مثلا وقيل لهم ماتقولون فى رجل  
مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعى انه عبده وهم يتعابدونه فى مهن شتى  
فاذا غنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متعبد فى أمره لا يدري أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وفى  
رجل آخر مملوك قد سلم للمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه فى حاجاته فإى  
هذين العبدين أحسن حالا وأجدا شأنا وهذا مثل ضرب به الله تعالى للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى  
يعبد الله تعالى وحده فكان حال المؤمن الذى يعبد الله واحدا أحسن وأصلح من حال الكافر الذى يعبد  
آلهة شتى وهو قوله تعالى (هل يستويان مثلا) وهذا استفهام انكار أى لا يستويان فى الحال والصفة قال  
تعالى (الجدلثة) أى لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت انه لا اله الا الله الواحد الاحد  
ألحق بالدلائل الظاهرة والامثال الباهرة قال الجدلثة على حصول هذه البيئات وظهور هذه الدلالات (بل  
أكثرهم لا يعلمون) أى أن المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له (قوله تعالى) (انك ميت) أى  
سقموت (وانهم ميتون) أى سيموتون وذلك انهم كانوا يتر بصون برسول الله صلى الله عليه وسلم مونه فأخبر  
الله تعالى ان الموت يعدهم جميعا فلما معنى للتر بص وشهادة الفانى بالفانى وقيل نعى الى نبية نفسه واليكم أنفسكم  
والمعنى انك ميت وانهم ميتون وان كنتم أحياء فانكم فى عداد الموتى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم  
تخصمون) قال ابن عباس يعنى المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم

ويتعابدونه فى مهن شتى وهو متعبد لا يدري أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته  
ومن يطلب رزقه ومن يلمس رفقته فهمه شعاع وقلبه أوزاع والمؤمن يعبد له سيد واحد وفهمه واحد وقلبه مجتمع (انك ميت) أى ستموت  
(وانهم ميتون) وبالتخفيف من حل به الموت قال الخليل أنشد أبو عمرو ونسألتى تفسير ميت وميت فدونك قد فسرت ان كنت تعقل  
فمن كان ذار روح فذلك ميت \* ومالميت الا من الى القبر يحمل كانوا يتر بصون برسول الله صلى الله عليه وسلم مونه فأخبر ان الموت  
يعمهم فلامعنى للتر بص وشهادة الفانى بالفانى وعن قتادة نعى الى نبية نفسه ونعى اليكم أنفسكم أى انك وايهاهم فى عداد الموتى لان ما هو كائن  
فكان قد كان (ثم انكم) أى انك وايهاهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (يوم القيامة عند ربكم

القيامة

تختصمون) ففتحج أنت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العنادو يعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع أظننا سادتنا وكبراءنا ونقول السادات أغوتنا الشياطين وأباؤنا الاقدمون قال الصحابة رضی الله عنهم أجمعين ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضی الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة وذلك في السماء والمظالم التي بينهم والوجه هو الاقل الأتري الى قوله (فن أظلم من كذب على الله) وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة كذب على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالامر الذي هو الصدق (٥٩) بعينه وهو ما جاء به محمد صلى

الله عليه وسلم (اذ جاءه) فاجاه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لا عمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أي طهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين إشارة اليهم (والذي جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم بهتدون فلذا قال تعالى (أولئك هم المتقون) وقال الزجاج روى عن علي رضی الله عنه انه قال والذي جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر الصديق رضی الله عنه عز وجل (أليس الله بكاف عبده) يعني محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعني الانبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك

القيامة عندهم بكم تختصمون قال الزبير رسول الله أتكون علينا الخصومة بعد الذي كان يبتنا في الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا لشديد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضی الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكفايين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف تختصم وديننا واحد وكتابتنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف ففكرت بانها فينا نزلت وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد وبتينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت هذه الآية ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف تختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا (ح) عن أبي هريرة رضی الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظامة لآخيه من عرض أو مال فليتصله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظامته وان لم يكن له حسنة أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه (م) عن أبي هريرة رضی الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع قال ان المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسنة هذا من حسنة هذا فان فبت حسنة قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ﴿ قوله تعالى (فن أظلم من كذب على الله) فزعم ان له ولدا أو شريكا (وكذب بالصدق اذ جاءه) أي بالقرآن وقيل بالرسالة اليه (أليس في جهنم مثوى) أي منزلة ومقام (للكافرين) ﴿ قوله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به) أي والذي صدق به قال ابن عباس الذي جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ببلا الله والصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بلغة الى الخلق وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر الصديق رضی الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقيل الذي جاء بالصدق أهل القرآن وهو الصدق يحيون به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به (أولئك هم المتقون) أي الذين اتقوا الشرك (لهم ما يشاؤون عند ربهم) أي من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) أي في أقوالهم وأفعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا) أي يسره عليهم بالمغفرة (ويجزئهم أجرهم باحسن الذي كانوا يعملون) أي يجزئهم باحسن أفعالهم ولا يجزئهم بمساوئهم ﴿ قوله عز وجل (أليس الله بكاف عبده) يعني محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعني الانبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك

عليه وسلم والذي صدق به المؤمنون والسكل صحيح كذا قاله قالوا والوجه في العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التغاير يستدعي اضممار الذي وذا غير جائز أو اضممار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد (لهم ما يشاؤون عند ربهم) ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزئهم أجرهم باحسن الذي كانوا يعملون) اضافة أسوأ وأحسن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير تفصيل كقولك الاشج أعدل بني مروان (أليس الله بكاف) أدخلت همزة الانكار على كلمة النبي فايد معنى اثبات الكفاية وتقريرها (عبده) أي محمد صلى الله عليه وسلم عباده حمزة وعلى أي الانبياء والمؤمنين وهو مثل انا كفييناك المستهزئين (ويخوفونك بالذين من دونه) أي بالاورثان التي اتخذوها آلهة من دونه وذلك ان قر يشاقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان نخبلك أظننا وان نخشى عليك مضرتها

لعيبك اياها (ومن يضل الله فخاله من هاد ومن يهد الله فخاله من مضل أليس الله بعز يز) بغالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقر يش ووعده للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ثم أعلم بانهم مع عبادتهم الاوثان مقرون بان الله تعالى خلق السموات والارض بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله) بفتح الياء سوى حجة (بضر) مرض أوفقر أو غير ذلك (هل هن كاشفات ضره) دافعات شدته عنى (أو أرادني برحة) صححة أو غنى أو نحوهما (هل هن ممسكات رحته) كاشفات ضره وممسكات رحته بالتنوين على الاصل بصرى وفرض المسئلة في نفسه ودهم لانهم خوفوه معرفة الاوثان وتخييلها فامر بان يقررهم أو لابان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرر فان أرادني خالق العالم الذى أقررتم به بضر أو برحة هل يقدر ون على خلاف ذلك فلهذا أغمهم قال الله تعالى (قل حسبي الله) كافيالمعرة أو وانكم (عليه يتوكل المتوكلون) يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سأطهم فسكتوا فنزل قل حسبي (٦٠) الله وانما قال كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من

دونه لانهن اناث وهن اللات والعزى ومناة وفيه تهكم بهم وبعبوديتهم (قل يا قوم اعلموا على مكاتكم) على حالكم التى اتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمسكن منها والمكانة بمعنى المكان فاستعبرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان (انى عامل) أى على مكاتى وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والابذان بان حالته تزداد كل يوم قوة لان الله تعالى ناصره ومعينه الأترى الى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخز به ويحجل عليه عذاب مقيم) كيف توعددهم بكونه منصورا عليهم غالب عليهم فى الدنيا

انهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا وأليصينك منهم خبل أو جنون (ومن يضل الله فخاله من هاد ومن يهد الله فخاله من مضل أليس الله بعز يز) أى منيع فى ملكه (ذى انتقام) أى منتقم من أعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) يعنى ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلق فان فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فان من تأمل عجائب السموات والارض وما فيها من أنواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداء قادر حكيم ثم أمره الله تعالى ان يخبر عليهم بان ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب خيرا أو دفع ضر وهو قوله تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله) يعنى الاصنام (ان أرادني الله بضر) أى بشدة و بلاء (هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحة) أى بنعمة وخير وبركة (هل هن ممسكات رحته) فسأطهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل حسبي الله) أى هو ثقى وعليه اعتمادى (عليه يتوكل المتوكلون) أى عليه يثق الواثقون (قل يا قوم اعلموا على مكاتكم) أى اجهدوا فى أنواع مكرم وكيدكم وهو أمر تهديد وتقر يع (انى عامل) أى فيما أمرت به من اقامة الدين (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخز به) أى أنا وأتم (ويحجل عليه عذاب مقيم) أى دائم وهو تهديد وتخويف (انا أنزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (للناس بالحق) أى ليهتدى به كافة الخلق (فن اهتدى فلنفسه) أى ترجع فائدة هدايته اليه (ومن ضل فأنما يضل عماها) أى يرجع وبال ضلالته عليه (وما أنت عليهم بوكيل) أى لم توكل بهم ولم تؤاخذ عنهم قيل هذا منسوخ بآية القتال ﴿ قوله تعالى (الله يتوفى الانفس) أى الارواح (حين موتها) أى فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء أجالها وهو موت الاجساد (والتي لم تمت فى منامها) والنفس التى يتوفاها عند النوم وهى التى يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان نفس هى التى تكون بها الحياة وتفارقة عند الموت وتزول بزوالها والحياة والنفس الاخرى هى التى يكون بها التمييز وهى التى تفارقة عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس (فيمسك التى قضى عليها الموت) أى فلا يردها الى جسدها (ويرسل الاخرى) أى يردها الى النفس التى لم يقض عليها الموت الى جسدها (الى

الآخرة لانهم اذا اتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز يز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه ويخز به صفة للعذاب كقيم أى عذاب يخزله وهو يوم بدر وعذاب النار مكانكم أبو بكر وحجاد (انا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليشرروا وينذروا وتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية (بالحق فن اهتدى فلنفسه) فن اختار الهدى فقد نفع نفسه (ومن ضل فأنما يضل عليها) ومن اختار الضلالة فقد ضرها (وما أنت عليهم بوكيل) بحفظ ثم أخبر بانه الحفيظ القدير عليهم بقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها) الانفس الجلى كاهى وتوفىها ماتها وهو أن يسلب ما هى به حية حساسة دراكه (والتي لم تمت فى منامها) ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها أى يتوفاها حين تنام تشبها للنائم بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل (فيمسك) الانفس (التي قضى حجة وعلى (عليها الموت) الحقيقى أى لا يردها فى وقتها حية (ويرسل الاخرى) النائمة الى

اجل

أجل مسمى) الى وقت ضرب به لموتى وقيل بتوفى الانفس أى يستوفىها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحياة والحركة وتوفى  
الانفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس التميز قالوا قالتى تتوفى في المنام هي نفس التميز لانفس الحياة اذ لو زالت زال معها النفس والنائم  
يتنفس ولكل انسان نفسان احدهما نفس الحياة وهي التي تفارق عند الموت والاخرى نفس التميز وهي التي تفارق اذا نام وروى عن ابن  
عباس رضى الله عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس  
والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وعن علي رضى الله عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك  
يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده باسرع من لحظة وعنه ما رأت نفس النائم في السماء فهي الرؤيا الصادقة وما رأت بعد  
الارسال فيلقنها الشيطان فهي كاذبة وعن سعيد بن جبيران أرواح الاحياء وأرواح الاموات تلتقي في المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن  
يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجسادها الى انقضاء

(٦١)

مدة حياتها وروى أن أرواح  
المؤمنين تخرج عند النوم  
في السماء فمن كان منهم  
ظاهرا أذن له في السجود  
ومن لم يكن منهم طاهر الم  
يؤذن له فيه (ان في ذلك)  
ان في توفى الانفس مائة  
ونائمة وامسا كهوا وارساها  
الى أجل (آيات) على  
قدرة الله وعامه (لقوم  
يتفكرون) يجيئون فيه  
أفكارهم ويعتبرون (أم  
اتخذوا) بل اتخذ قر يش  
والهمزة للانكار (من  
دون الله) من دون اذنه  
(شفعاء) حين قالوا هؤلاء  
شفعاء ما عند الله ولا  
يشفع عنده أحد الا باذنه  
(قل اولو كانوا لا يملكون  
شيأ ولا يعقلون) معناه  
أيشفعون ولو كانوا لا يملكون  
شيأ قط ولا يعقل لهم  
(قل لله الشفاعة جميعا)

أجل مسمى) أى الى أن يأتي وقت موتهما وقيل ان للانسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى  
الروح وقال علي بن أبي طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه  
من النوم عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة وقيل ان أرواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف  
ما شاء الله تعالى فاذا أرادت الرجوع الى أجسادها أمسك الله تعالى أرواح الاموات عنده وأرسل أرواح  
الاحياء الى أجسادها الى حين انقضاء مدة آجالها (ق) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم الى فراسه فلينفذ فراسه بداخله اذاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول  
باسمك ربى وضعت جنبي وبك ارفعه ان أمسكت نفسي فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك  
الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت  
وبين قوله تعالى حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا قلت المتوفى في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو  
القباض للروح باذن الله تعالى وملك الموت أعوان وجنود من الملائكة ينزعون الروح من سائر البدن فاذا  
بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت (ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون) أى في البعث وذلك أن توفى نفس النائم  
وارساها بعد التوفى دليل على البعث وقيل ان في ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم تعطى امساك ما تمسك  
من الارواح وارسال ما نرسل منها ﴿ قوله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) يعنى الاصنام (قل) يا محمد  
(أولو كانوا) يعنى الآلهة (لا يملكون شيأ) أى من الشفاعة (ولا يعقلون) أى انكم تعبدونهم وان كانوا  
بهذه الصفة (قل لله الشفاعة جميعا) أى لا يشفع أحد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى لانه هو  
الشفيع في الحقيقة وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والارض) أى لا ملك لاحد  
فيها سواه (ثم اليه ترجعون) أى في الآخرة ﴿ قوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمازت) أى نفرت وقال  
ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) قيل اذا اشماز القلب  
من عظيم غمّه وغيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه أثر ذلك مثل الغبرة والظلمة (واذا ذكر الذين  
من دونه) يعنى الاصنام (اذا هم يستبشرون) أى بفرحون والاستبشار أن يمتلى القلب سرورا حتى يظهر  
على الوجه فيتهلل ﴿ قوله عز وجل (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) وصف نفسه

أى هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة الا باذنه واتصّب جميعا على الحال (له ملك السموات والارض) تقرير قوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا  
كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكها (ثم اليه ترجعون) متصل بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون  
يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة (واذا ذكر الله وحده) مدار المعنى على قوله وحده أى اذا فرّد الله بالذكر  
ولم تذكر معه آلهتهم (اشمازت) أى نفرت وانقبضت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) يعنى آلهتهم ذكروا الله  
معهم ولم يذكروا (اذا هم يستبشرون) لافتنانهم بها واذا قيل لاله الا الله وحده لا شريك له نفر والان فيه نفيا لآلهتهم ولقد تقابل الاستبشار  
والاشمتر اذ كل واحد منهما ما غاب في بابه فالاستبشار أن يمتلى قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه وتهلل والاشمتر ان يمتلى غمّا  
وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه والعمل في اذا ذكر هو العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأ وقت  
الاستبشار (قل اللهم فاطر السموات والارض) أى بافاطر وليس بوصف كما يقوله المبرد والقراء (عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية



(أنت تحكم) تقضى (بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة وقيل هذه محاسبة من النبي للمشركين الى الله وعن ابن المسيب لأعرف آية قرئت فدعى عندها الأوجب سواها وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الآن يتكلم فازاد ان قال آة أو قد فعلوا أو قرأ هذه الآية روى انه قال على آره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه (ولو أن للذين ظلموا من الأرض جميعا ومثله معه) اطاء تعود الى ما (لافتدوا به من سوء العذاب) شدته (يوم القيامة وبداهم من الله ما لم يكونوا يحسبون) وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا الأعمال الحسبوا حسنات فاذا هي سيئات وعن سفيان الثوري انه قرأها فقل ويل لادل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عنده فقبل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا أخشى أن يبدولى من الله ما لم أحسبه (وبداهم سيئات ما كسبوا) أى سيئات أعمالهم التي كسبوا أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وحاق بهم) وزول بهم وأحاط (ما كانوا يستهزؤن) جزاء هزئهم (فاذا مس الانسان ضر دعائنا ثم اذا خولناه) أى أعطيناه نفضلا يقال خولني اذا أعطاك على غير جزاء (نعمة منى) ولا تنفق عليه لان جواب اذا (قال انما أوتيته على علم) منى أى ساعطا ملائني من فضل واستحقاق أو على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى وانما (٦٢) ذكر الضمير في أوتيته وهو للنعمة نظرا الى المعنى لان قوله نعمة مناشيا من النعمة

وقبها منها وقيل ما في انما موصولة لا كافة فيرجع الضمير اليها أى ان الذى أوتيته على علم (بل هي فتنة) انكار له كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة أى ابتلاء وامتحان لك أن شكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤنثا أعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدأ لاجله وقرئ بل هو فتنة على وفق انما أوتيته (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انها فتنة والسبب في عطف

بكمال القدرة وكمال العلم (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أى من أمر الدين (م) عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن قال سألت عائشة رضي الله تعالى عنها باي شئ كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتخ صلواته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتخ صلواته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم قوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا من الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبداهم من الله ما لم يكونوا يحسبون) أى ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحسبوا أنه نازل بهم في الآخرة وقيل ظنوا ان لهم حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاضنام فاما عوقبوا عليها بداهم من الله ما لم يحسبوا وروى أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخشى أن يبدولى ما لم أكن أحسب (وبداهم سيئات ما كسبوا) أى مساوى أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله تعالى (وحاق) أى نزل (بهم ما كانوا يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر) أى شدة (دعائنا ثم اذا خولناه) أى أعطيناه (نعمة منى) أى أوتيته (على علم) أى من الله تعالى علم اني له أهل وقيل على خير عامه الله عنده (بل هي فتنة) يعنى تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى انها استدراج من الله تعالى (قد قالها الذين من قبلهم) يعنى قارون فاه قال انما أوتيته على علم عندى (فأعنى عنهم ما كانوا يكسبون)

هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في أول السورة بالواو ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمازت على معنى انهم يشتمون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة واذا مس أحدهم ضر دعامن اشماز بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض فان قلت حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما في الاعتراض من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم به باسر من الله وقوله أنت تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشتمازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدايد دون آهتهم كأنه قيل قل يارب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجرأة الا أنت وقوله ولو ان للذين ظلموا من الله ما لم يكونوا يحسبون (وبداهم من الله ما لم يكونوا يحسبون) وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا الأعمال الحسبوا حسنات فاذا هي سيئات وعن سفيان الثوري انه قرأها فقل ويل لادل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عنده فقبل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا أخشى أن يبدولى من الله ما لم أحسبه (وبداهم سيئات ما كسبوا) أى سيئات أعمالهم التي كسبوا أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وحاق بهم) وزول بهم وأحاط (ما كانوا يستهزؤن) جزاء هزئهم (فاذا مس الانسان ضر دعائنا ثم اذا خولناه) أى أعطيناه نفضلا يقال خولني اذا أعطاك على غير جزاء (نعمة منى) ولا تنفق عليه لان جواب اذا (قال انما أوتيته على علم) منى أى ساعطا ملائني من فضل واستحقاق أو على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى وانما (٦٢) ذكر الضمير في أوتيته وهو للنعمة نظرا الى المعنى لان قوله نعمة مناشيا من النعمة

مثلها (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء) أي من مشركي قومك سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أي سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم بيد ربهم وحبس عنهم الرزق ففحقوا سبع سنين (وما هم بمعجزين) يفاتنين من عذاب الله ثم بسط لهم فطره وسبع سنين فقبل لهم (أولم يعلموا أن الله ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) ويضيق وقيل يجعله على قدر القوت (ان في ذلك آيات لقوم يؤمنون) بانه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل (قل يا عبادي الذين) وبسكون الياء بصري وحزة وعلى (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها (لاتقنطوا) لاتياسوا وبكسر النون على وبصري (من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) بالغفر عنها الا الشرك وفي قراءة النبي عليه السلام يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظيره في المبالغة في الخوف في قوله ولا يخاف عقباها قيل نزلت في وحشي قاتل حذرة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أي فما أغنى الكفر من العذاب شيئا (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أي جزاؤها وهو العذاب ثم أوعده كفار مكة فقال تعالى (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين) أي يفاتنين لان مرجعهم الى الله تعالى (أولم يعلموا ان الله ييسر الرزق لمن يشاء) أي يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر) أي يقدر ويفيض على من يشاء (ان في ذلك آيات لقوم يؤمنون) أي يصدقون ﴿ قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية ان اناسا من أهل الشرك قتلوا قاتلا كثيرا وازنوا قاتلا كثيرا وانتهكوا الحرمات فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذالوا يا محمد ان الذي تقول وتدعو اليه الحسن لو تخبرنا بان لم نعلمنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله فالولئك سيئاتهم حسنات قال يبدل شركهم ايماننا وازناهم احسانا ونزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله أخرجه النسائي وعن ابن عباس أيضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشي يدعو الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني الى دينك وأنت تزعم ان من قتل أو أشرك أو زنى يلقى آثاما ايضا غفر له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فانزل الله تعالى الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي ارأني بعد في شبهة فلا أدري أيغفر لي أم لا فانزل الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا اجزاء فاسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآيات في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونقر من المساميين كانوا قد أساموا ثم فتنوا وعذبوا فافتنوا فكننا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرنا ولا عدلا أبدا قوم أساموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذوبه فانزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيده ثم بعث بها الى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد والي أولئك نفر فاساموا جميعا وهاجروا وعن ابن عمر أيضا قال كنا مع شرا محباب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو تقول ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبار والفواحش قال فكنا اذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا هالك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول في ذلك وكنا اذا رأينا من أصابنا من أصاب شيئا من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا رجونا له وقوله أسرفوا على أنفسهم أي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم قيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لاتقنطوا من رحمة الله أي لا تياسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله من الكبائر (ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) فان قلت حمل هذه الآية على ظاهرها يكون اضرأ بالمعاصي واطلاقا في الاقدام عليها وذلك لا يمكن قلت المراد منها التنبيه على أنه لا يجوز أن يظن العاصي أنه لا تحصل له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا أحد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة فعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا أي اذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل أن يتوب فهو موكول الى المشيئة الله تعالى فان شاء غفر له وعفاه عنه وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضل له ورحمة فالتوبة واجبة على كل أحد وخوف العقاب مطلوب فلعن الله تعالى يغفر عاقبا وعلاه يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله أعلم

ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية (انه هو الغفور) بستر عظام الذنوب (الرحيم) بكشف فظائع الكروب

تتوبوا قبل نزول العقاب  
(وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا نَزَلَ  
إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) مِثْلَ قَوْلِهِ  
الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ  
فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَقَوْلِهِ مَنْ  
قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ  
بِعْتَةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَى  
يَفْجَأُكُمْ وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ  
كَأَنَّمْ لَا تَخْشَوْنَ شَيْئاً  
لَفَرَطِ غَلَاكُمْ (أَنْ تَقُولَ)  
لِئَلَّا تَقُولَ (نَفْسٍ) إِنَّمَا  
نَكَرْتُ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا بَعْضُ  
الْأَنْفُسِ وَهِيَ نَفْسُ الْكَافِرِ  
وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ نَفْسٌ  
مُتَّبِعَةٌ مِنَ الْإِنْفُسِ أَمَا  
بَلِجَاجٍ فِي الْفِكَرِ شَدِيداً وَ  
بِعَذَابٍ عَظِيمٍ وَيَجُوزُ أَنْ  
يَرَادَ التَّكْثِيرُ (يَا حَسْرَتَا)  
الْأَلْفَ بَدَلَ مِنْ يَاءِ الْمُتَّكِمِ  
وَقَرِئَ يَا حَسْرَتِي عَلَى  
الْأَصْلِ وَيَا حَسْرَتَايَ عَلَى  
الْجَمْعِ بَيْنَ الْعَوْضِ وَالْمَعْوِضِ  
مِنْهُ (عَلَى مَا فَرَطْتَ)  
قَصُرَتْ وَمَا مَصْدَرِيَّةٌ  
مِثْلَهَا فِي بَمَارِ بَحْتِ (فِي  
جَنبِ اللَّهِ) أَمْرٌ لِلَّهِ أَوْ فِي  
طَاعَةِ اللَّهِ أَوْ فِي ذَاتِهِ وَفِي  
حَرْفِ عَبْدِ اللَّهِ فِي ذِكْرِ اللَّهِ  
وَالْجَنبِ الْجَانِبِ يُقَالُ  
أَنَا فِي جَنبِ فُلَانٍ وَجَانِبِهِ  
وَنَاحِيَتِهِ وَفُلَانٌ بَيْنَ الْجَانِبِ  
وَالْجَنبِ ثُمَّ قَالَ الْوَأَفْرَطُ فِي  
جَنبِهِ وَفِي جَانِبِهِ يَرِيدُونَ فِي  
حَقِّهِ وَهَذَا مِنْ بَابِ الْكَأْبَةِ  
لِأَنَّكَ إِذَا أَثَبْتَ الْأَمْرَ فِي

جَمِيعاً وَلَا يَبَالِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ قَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ (ق) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ  
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَاناً ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ هَلْ لَهُ تَوْبَةٌ فَأَتَى  
رَاهِباً فَسَأَلَهُ فَقَالَ هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ لَا فَقَتَلَهُ وَجَعَلَ يَسْأَلُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ أَتَتْ قَرِيْبَةً كَذَا وَكَذَا فَأَدْرَكَهَا الْمَوْتُ  
فَضْرَبَ صَدْرَهُ تَخَوُّفاً فَخَصِمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي  
وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبْعَدِي وَقَالَ قَيْسُوَامَا بَيْنَهُمَا فَوَجَدَ أَقْرَبَ إِلَى هَذِهِ بِشَبْرٍ فَغَفَرَ لَهُ لَفِظَ الْبُخَارِيُّ وَسَلَّمَ  
قَالَ فَدَلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَاتَاهُ فَقَالَ لَهُ أَنْ رَجُلًا قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَلَ بِهِ مِائَةَ  
ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ أَنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحْمُولُ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ أَنْطَلِقَ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَأَنْبَأَ بِهَا النَّاسَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَأَعْبَدَ اللَّهُ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى  
أَرْضِكَ فَاتَاهَا أَرْضٌ سَوَاءٌ فَأَنْطَلِقُ حَتَّى إِذَا كَانَ نِصْفَ الطَّرِيقِ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَخَصِمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ  
الْعَذَابِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي وَإِلَى هَذِهِ أَنْ تَبْعَدِي وَقَالَ قَيْسُوَامَا بَيْنَهُمَا فَاتَاهُمَ مَلَكٌ فِي صُورَةِ  
أَدْمَى فَعَلَوْهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قَيْسُوَامَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ قَالِي أَيْهَمَا كَانَ أَذْنِي فَهَوَلَهُ فَقَسَا وَأَوْجَدَ وَهُدَى إِلَى الْأَرْضِ  
الَّذِي أَرَادَ فَبَضَّتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ (ق) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ كَانَ رَجُلٌ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ وَفِي رِوَايَةٍ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ وَفِي رِوَايَةٍ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ فَامَّا حَضْرَةَ الْمَوْتِ  
قَالَ لَبْنِيهِ إِذَا أَمَاتَ فَاحْرَقُونِي ثُمَّ اطْحَنُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ فَوَاللَّهِ لَأَنْ قَدَّرَ عَلَيَّ رِيًّا لِي عَذِبِي عَذَابًا مَا عَذِبَهُ  
أَحَدٌ فَامَّا مَا مَاتَ فَعَمِلَ بِهِ ذَلِكَ فَامْرَأَتُهُ تَعَالَى الْأَرْضَ فَقَالَ اجْعَلِي مَا قِيْلَ مِنْهُ فَفَعَلَتْ فَذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ مَا حَالَكَ  
عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ خَشِيْتُكَ يَا رَبُّ أَوْ قَالَ مَخَافَتِكَ فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ وَعَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يَقُولُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلَانِ مَتَّعَابَانِ أَحَدُهُمَا ذَنْبٌ وَالْآخَرُ فِي الْعِبَادَةِ مَجْتَهِدٌ فَكَانَ الْمَجْتَهِدُ لَا يَزَالُ يَرَى  
الْآخَرَ عَلَى ذَنْبٍ فَيَقُولُ لَهُ أَقْصِرْ فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ أَقْصِرْ فَقَالَ خَلَنِي وَرَبِّي أَبْعَثَ عَلَيَّ رَقِيبًا فَقَالَ  
وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ أَوْ قَالَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَغَبِضَ اللَّهُ أَرْوَاهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ  
وَتَعَالَى لِمَجْتَهِدٍ كُنْتُ عَلَى مَا فِي بَدَنِ قَادِرًا وَقَالَ لِلذَّنْبِ أَذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَقَالَ لِلذَّنْبِ أَذْهَبْ بِرِوَايَةٍ  
إِلَى النَّارِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ تَنَكَّمُ وَاللَّهِ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقْتِ دُنْيَا وَآخِرَتِهِ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا بَنِي آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ  
مِنْكَ وَلَا يَبَالِي يَا بَنِي آدَمَ لَوْ بَلَغْتَ ذُنُوبَكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا يَبَالِي يَا بَنِي آدَمَ لَوْ أَنَّكَ أَتَيْتَنِي  
بِقِرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا لَمَقِيَّتِي لَا تَشْرِكُ فِي شَيْءٍ إِلَّا تَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةٌ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ قَوْلَهُ عَنَانَ السَّمَاءِ  
الْعَنَانَ السَّحَابَ وَقِيلَ هُوَ مَا عَنِ لَكَ مِنْهَا وَقِرَابِ الْأَرْضِ بَضْمُ الْقَافِ هُوَ مَا يَقْرَابُ مَلَأَهَا ﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ  
(وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ) أَى ارْجِعُوا إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ (وَأَسْمَؤُا) أَى أَخْصَاوَالَهُ التَّوْحِيدَ (مَنْ قَبْلَ أَنْ  
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ) أَى لَا تَمْنَعُونَ مِنْهُ (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا نَزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) يَعْنِي الْقُرْآنَ لِأَنَّهُ  
كَلِمَةُ حَسَنٍ وَمَعْنَى الْآيَةِ عَلَى مَا قَالَهُ الْحَسَنُ الزَّمَوِيُّ طَاعَةُ اللَّهِ وَاجْتِنَابُ مَعْصِيَتِهِ فَأَنَّهُ أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرَ الْقَبِيحِ  
لِيَجْتَنِبَ وَذِكْرَ الْأَدْوَانِ لِئَلَّا يَرْغَبَ فِيهِ وَذِكْرَ الْحَسَنِ لِتَوْثُرِهِ وَتَأْخُذِهِ وَقِيلَ الْإِحْسَانُ اتِّبَاعُ النَّاسِخِ وَتَرْكُ  
الْعَمَلِ بِالْمُنْسُوخِ (مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعْتَةٌ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) يَعْنِي غَافِلِينَ عَنْهُ (أَنْ تَقُولَ نَفْسٍ) أَى  
لِئَلَّا تَقُولَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ بَادِرًا وَوَأَحْذَرُوا أَنْ تَقُولَ وَقِيلَ خَوْفٌ أَنْ تَصِيرُوا إِلَى حَالِ أَنْ تَقُولَ نَفْسٍ (يَا حَسْرَتَا)  
أَى يَا نَدْمِي وَيَا حَزَنِي وَالتَّحَسُّرُ الْإِعْتِمَامُ وَالْحَزَنُ عَلَى مَا فَاتَ (عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي جَنبِ اللَّهِ) أَى عَلَى مَا قَصُرْتَ  
فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَقِيلَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَقِيلَ فِي حَقِّ اللَّهِ وَقِيلَ عَلَى مَا ضَيَعْتَ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ عَلَى مَا قَصُرْتَ فِي  
الْجَانِبِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى (وَأَنْ كُنْتَ لِمَنْ السَّخِرِينَ) أَى الْمُسْتَهْزِئِينَ بِدِينِ اللَّهِ وَبِكِتَابِهِ

مكان الرجل وحيزه فقد أثبت فيه ومنه الحديث من الشرك الخفي أن يصلي الرجل لمكان الرجل أي لاجله ورسوله

وقال الزجاج معناه فرط في طريق الله وهو توحيد والقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين قال قتادة لم

يكنه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وأنا ساخر أي فرطت في حال سخرتي (أو تقول لو أن الله هداني) أي أعطاني الهداية (لكنت من المتقين) من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الامام أبو منصور رحمه الله تعالى هذا الكافر يعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لا نابعهم لو هدانا الله هدينا كم يقولون لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لم نعلمنا كم اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتموا بالحاصل ان هدانا الله لطفًا من أعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استجابة العذاب وتضييعه الحق بعد ما يمكن من تحصيله لذلك (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة) رجعة الى الدنيا (فاكون من المحسنين) من الموحدين (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) بلى ردى من الله عليه فانه يقول بلى قد جاءتك آياتي وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وتضييعته واستكبرت عن قبوله وأثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما أمرت به فأنما جاء (٦٥) التضييع من قبلك فلا عذر لك وبلى

جواب لنفي تقديرى لان المعنى لو أن الله هداني ما هديت وانما لم يقرب الجواب به لانه لا بد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه من اضافة الشريك والولد اليه ونفي الصفات عنه (وجوههم مبتدأ مسودة) خبر والجملة في محل النصب على الحال ان كان ترى من رؤية البصر وان كان من رؤية القلب ففعل ثان (أليس في جهنم مثوى

ويرسوله وبالؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها (أو تقول لو أن الله هداني) أي أرشدني الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) أي الشرك (أو تقول حين ترى العذاب) أي عيانا (لو أن لي كرة) أي رجعة الى الدنيا (فاكون من المحسنين) أي الموحدين ثم أجاب الله تعالى هذا التأويل بان الاعتذار زائلة والتعلل باطل وهو قوله تعالى (بلى قد جاءتك آياتي) يعني القرآن (فكذبت بها) أي قلت ليست من الله (واستكبرت) أي تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين) ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) أي زعموا أن له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة) قيل هو سواد مخالف لسائر أنواع السواد (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) أي عن الايمان قوله تعالى (وينجي الله الذين اتقوا) أي الشرك (بمفازتهم) أي الطرق التي تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازتهم أي ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار (لا يمسهم السوء) أي لا يصيبهم المكروه (ولا هم يحزنون) الله خالق كل شيء) أي مما هو كائن أو يكون في الدنيا والآخرة (وهو على كل شيء وكيل) أي ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها (له مقاليد السموات والارض) أي مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلا مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسي معرب قال الرازي

لم يؤذها الديك بصوت تغريد \* ولم يعالج غلقها باقليد والمعنى ان الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزان ومدبر أمرها هو الله الذي يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات (والذين كفروا بآيات الله) أي سجدوا بآياته الظاهرة الباهرة (أولئك هم الخاسرون) قوله عز وجل

(٩ - خازن - رابع) (للمتكبرين) هو اشارة الى قوله واستكبرت (وينجي الله) وينجي روح (الذين اتقوا) من الشرك (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة (لا يمسهم السوء) النار (ولا هم يحزنون) كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والخزن عنهم أي لا يمسهم أي لا يمس أبدانهم أذى ولا قلوبهم خزي أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلاتحسبنهم بمفازة من العذاب أي منجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا افسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها ولا محل للايمسهم على التفسير الاول لانه كلام مستأنف ومحل النصب على الحال على الثاني بمفازاتهم كوفي غير حفص (الله خالق كل شيء) ردى على المعتزلة والثنوية (وهو على كل شيء وكيل) حافظ (له مقاليد السموات والارض) أي هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظا الخزان ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان يملك مقاليد الملك وهي المفاتيح واحدها اقليد وقيل لا واحد لها من لفظها والكلمة أصلها فارسية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) هو متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهم بانه خالق كل شيء فهو مهيمن عليه فلا

بغني عليه شيء من أعمال المكافين فيها وما يجوزون عليها أو بما يليه على أن كل شيء في السموات والارض فأنه خالقهم وقاتح بابه والذين كفروا  
 ووجدوا أن يكون الامر كذلك أو لئلك هم الخاسرون وقيل سألت عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى مقاليد السموات  
 والارض فقال يا عثمان ما سألتني عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله  
 وهو الاول والآخِر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا ان الله هذه الكلمات يوحدها ويمجد  
 وهي مفاتيح خيرات السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيدته وتمجيدته أولئك هم الخاسرون  
 (قل) لمن دعاك الى دين آباءك (أفغير الله تأمروني أعبد) تأمروني مكي تأمروني على الاصل شامى تأمروني مدنى واتصب أفغير الله بأعبد  
 وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بامركم بعد هذا البيان (أيها الجاهلون) بتوحيد الله (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك)  
 من الانبياء عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك) الذى عملت قبل الشرك (ولتكونن من الخاسرين) وانما قال لئن أشركت على  
 التوحيد والموحى اليهم جماعة لان معناه أوحى اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واللام الاولى موطنه للقسم  
 المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسدا للجوابين أعنى جوابي القسم والشروط وانما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بان  
 رساله لا يشركون لان الخطاب للنبى (٦٦) عليه السلام والمراد به غيره ولانه على سبيل الفرض والحالات يصح فرضها

وقيل لئن طالعت غيرى  
 فى السر ليحبطن ما بينى  
 وبينك من السر (بل الله  
 فاعبد) رداً لأمره وبه من  
 عبادة أهلهم كأنه قال لا تعبد  
 ما أمروك بعبادته بل ان  
 عبدى فاعبد الله خذف  
 الشرط وجعل تقسيم  
 المفعول عوضاً عنه  
 (وكن من الشاكرين)  
 على ما أنعم به عليك من  
 ان جعلك سيد ولد آدم  
 (وما قدروا الله حق قدره)  
 وما عظموه حق عظمتهم

(قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آباءه فوصفهم  
 بالجهل لان الدليل القاطع قد قام بأنه هو المستحق للعبادة فن عبد غيره فهو جاهل (ولقد أوحى اليك  
 والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) أى الذى عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه  
 تهديد لغيره (ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) أى لانعامه عليك ﴿ قوله  
 تعالى (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عظموه حق عظمتهم حين أشركوا به غيره ﴿ ثم أخبر عن عظمتهم  
 فقال (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)  
 (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد  
 ان الله يضع السماء على أصبع والارض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والانهار على أصبع  
 وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا الله حق  
 قدره وفى رواية والماء والترى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم بهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تهجوا وتصديقه ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره الآية (ق) أعنى  
 ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن  
 بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين

اددعوك الى عبادة غيره ولما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره فى  
 نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره ثم نههم على عظمتهم وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والارض  
 جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والمراد بهذا الكلام اذا أخذته كإهوى بجملة ومجموعه تصور عظمته والتوقيف على  
 كنهه جلالة لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعاً وقوله  
 والسموات ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والارض ممتدة وقبضته الخبير وجميعاً منصوب على الحال أى والارض اذا  
 كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة والقبضة المرة من القبض والقبضة المقدر المقبوض بالكف ويقال اعطني قبضة من كذا تر يد معنى  
 القبضة تسمية بالصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعاً قبضته أى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعنى ان الارضين مع  
 عظمهن وبسطهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضانه كأنه يقبضها قبضة بكف واحد كما تقول الجزوراً كات لقمان أى لاني الابا كاتة فذ  
 من أكلاته واذا أر يد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملة ما تقدر ما يقبضه بكف واحدة والمطويات من الطي الذى هو ضد  
 النشر كما قال يوم تطوى السماء كطى السجل للسكتب وعادة طوى السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلامد افع ولا منازع ويمينه  
 بقدرته وقيل مطويات بيمينه مقنيات بقسمه لانه أقسم أن يقبضها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد من هذه قدرته وعظمتهم  
 أعلاه عما يضاف اليه من الشركاء

(وتنسخ في الصور فصعق) مات (من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله) أي جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل هم  
سادة العرش أو رضوان والخور العين ومالك والزابانية (ثم نفع فيه أخرى) هي في محل الرفع لان المعنى ونفع في الصور نفعه واحدة ثم نفع فيه  
النسخة أخرى وانما حذف لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان (فاذا هم قيام ينظرون) يقبلون أبصارهم في الجهات  
نظر المبهوت اذا فاجأه خطب أو ينتظرون أمر الله فيهم ودلت الآية على أن النسخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على أنها  
ثلاث الاولى للفرع كقَالَ ونفع في الصور ففرع والثانية للموت والثالثة للاعادة (٦٧) (وأشرفت الارض) أضاءت (بنور

ربها) أي بعبده بطريق  
الاستعارة يقال للملك  
العادل أشرفت الآفاق  
بعذلك وأضاءت الدنيا  
بقسطك كما يقال أظلمت  
البلاد بجور فلان وقال  
عليه الصلاة والسلام  
الظلم ظلمات يوم القيامة  
واضافة اسمه الى الارض  
لانه يزنها حيث ينشر  
فيها عدله وينصب فيها  
موازين قسطه ويحكم  
بالحق بين أهلها ولا ترى  
أزين للبقاع من العدل  
ولا عمرها منه وقال الامام  
ابو منصور رحمه الله يجوز  
ان يخلق الله نورافينور به  
ارض الموقف واضافته  
اليه تعالى للتخصيص  
كعبادته وناقة الله (ووضع  
الكتاب) أي صحائف  
الاعمال ولكنه اكتفى  
باسم الجنس أو اللوح  
المحفوظ (وجي بالنبيين)  
ليسلطهم ربهم عن تبليغ  
الرسالة وما اجابهم قومهم  
(والشهداء) الحفظة وقيل

الجبارون ابن المتكبرون وفي رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول أنا الملك ابن الجبارون  
ابن المتكبرون وفي رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه أنا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل  
شيء منه حتى اني أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخاري ان الله يقبض يوم  
القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه وبقول أنا الملك (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه  
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك  
ابن ماوك الارض قال أبو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة اليد من شمال لان الشمال  
محل النقص والضعف وقدرى كتابا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هي صفة جاء بها التوقيف  
فانهم نطقها على ما جاءت ولا نكفيها وننتهي الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار الماثورة الصحيحة  
وهذا من ذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره ثلاثونه  
والسكوت عليه قوله عز وجل (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض) أي ما توامن الفرع  
وهي النفخة الاولى (الامن شاء الله) تقدم في سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن الامن شاء الله  
يعني الله وحده (ثم نفع فيه) أي في الصور (أخرى) مرة أخرى وهي النفخة الثانية (فاذا هم قيام) أي من  
فيورهم (ينظرون) أي ينتظرون أمر الله فيهم (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة أربعون بيت قالوا أربعون شهر قال  
أبو هريرة أربعون سنة قال أبيت ثم نزل الله عز وجل من السماء ماء فينبثون كما نبث البقل  
وايس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه ركب الخلق يوم القيامة ﴿ قوله تعالى  
(وأشرفت الارض بنور ربها) وذلك حين يسجد الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فإيضارون في  
نوره كالأيضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل يعدل ربها وأراد بالارض عرصات القيامة (ووضع  
الكتاب) أي كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه أعمال جميع الخلق من المبتدأ الى المنتهى  
(وجي بالنبيين) يعني ليكونوا شهداء على أممهم (والشهداء) قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسول  
بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة (وقضى بينهم بالحق) أي بالعدل (وهم  
لا يظلمون) أي لا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ما عملت) أي ثواب ما عملت  
(وهو أعلم بما يفعلون) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بما فعلهم لا يحتاج الى كاتب ولا الى شاهد ﴿ قوله تعالى  
(وسيق الذين كفروا الى جهنم) يعني سوقا عنيفا (زمرا) أفواج بعضهم على أثر بعض كل أمة على حدة وقيل  
جماعات متفرقة واحدة زمرة (حتى اذا جاؤا ففتحت أبوابها) يعني السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال  
لهم خزنتها) يعني تويعوا وتقرر يعال (ألم ياتكم رسل منكم) أي من أنفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات

هم الارباري كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق) بالعدل (وهم لا يظلمون) ختم الآية بنفي الظلم كما  
افتتحها بإثبات العدل (ووفيت كل نفس ما عملت) أي جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) من غير كتاب ولا شاهد وقيل هذه الآية تفسير قوله  
وهم لا يظلمون أي ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر لا يزداد في شر ولا ينقص من خير (وسيق الذين كفروا الى جهنم) سوقا عنيفا كما  
يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل (زمرا) حال أي أفواج متفرقة بعضها في أثر بعض (حتى اذا جاؤا  
ففتحت) بالتخفيف فيهما كوفي (أبوابها) وهي سبعة (وقال لهم خزنتها) أي حفظة جهنم وهم الملائكة الموكون بتعذيب أهلها (ألم  
يأتكم رسل منكم) من بني آدم (يتلون عليكم آيات

ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة (قالوا بلى) أتوانوا نوا علينا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أي ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملأن جهنم بسوء أعمالنا كما قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) حال مقدره أي مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس لأن مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف إليه مثله والمخصوص بالنم محذوف تقديره (٦٨) فبئس مثوى المتكبرين جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً) المراد

سوق مرا كبهم لانه لا يذهب بهم الارا كبين الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن بكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك (حتى اذا جاؤها) هي التي تحكي بعدها الجل والجملة المحكية بعدها هي الشريطة الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وقال الزجاج تقديره حتى اذا جاؤها (وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها خذف دخلوها لأن في الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها ففتحتهم جاؤها محذوف والمعنى اذا جاؤها وقع بجيؤهم مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب

ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) أي وجبت (على الكافرين) وهي قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) قوله عز وجل (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً) فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق أهل النار طردهم إلى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالأسير اذا سيق إلى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مرا كبهم لانهم يذهبون اليها راكبين أو المراد بذلك السوق اسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان فستان ما بين السوقين (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) فان قلت قال في أهل النار فتحت بغير واورها نازاد حرف الواو والفرق قلت فيه وجوه أحدها انها زائدة الثانية أنها واو الحال مجازة وقد فتحت أبوابها فادخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو في الآية الأولى لبيان ان أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة في ذلك ان أهل الجنة اذا جاؤها وجدوا أبوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك وأهل النار اذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان ان أبواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لان أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية فان قلت حتى اذا جاؤها شرط فان جوابه قلت فيه وجوه أحدها انه محذوف والمقصود من الحذف أن يدل على انه بلغ في الكمال الى حيث لا يمكن ذكره الثاني ان الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واور الثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها خذف دخلوها للدلالة الكلام عليه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أي بأشرب والسلامة من كل الآفات (طبتم) قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حسبوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأنحابه سلام عليكم طبتم (فادخلوها خالدين) وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه اذا سيقوا إلى الجنة فاذا اتهموا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) أي بالجنة (وأورثنا الارض) أي أرض الجنة تتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى (نتبوا) أي تنزل (من الجنة) أي في الجنة (حيث نشاء) فان قلت فما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوا أحدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف بسعة وحسنها وازيادة على الحاجة فيقبوا من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى غيره وقيل ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاؤهم تنزل الامم بعدهم فيها فضل منها قال الله عز وجل

الجنة فتقدم فتحها قوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلنلك جيء بابا وواو كانه قال

فتم

حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا وقال الزجاج أي كنتم طبيبين في الدنيا ولم تكونوا خبيثين أي لم تكونوا أصحاب خبثات وقال ابن عباس طاب لكم المقام وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطبيين ومثوى الطاهرين فطهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قدر فلا يدخلها الا مناسبا لها موصوف بصفتها (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) أنجزنا ما وعدنا في الدنيا من نعيم العقبى (وأورثنا الارض) أرض الجنة وقد أورثوها أي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤون تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه (نتبوا) حال (من الجنة حيث نشاء) أي يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف

سبعة وزيادة على الحاجة فينبوا أي فيتخذ متبوا ومقران من جنته حيث يشاء (فتم أجر العالمين) في الدنيا الجنة (وترى الملائكة حافين) حال من الملائكة (من حول العرش) أي محققين من حوله ومن لا ابتداء الغاية أي ابتداء خوفهم من حول العرش إلى حيث شاء الله (يسبحون) حال من الضمير في حافين (بمحمدر بهم) أي يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وأسبوح قدوس رب الملائكة والروح وذلك للتلذذ دون التعبد والالتكليف (وقضى بينهم بالحق) أي بين الأنبياء والامم أو بين أهل الجنة والنار (بالعدل) وقيل الحمد لله رب العالمين) أي يقول أهل الجنة شكر آحين دخولها وتم وعد الله لهم كما قال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بنبي إسرائيل والزمرو والحواشم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم) وما بعده بالماله حزة وعلى وخلف ويحي وحادو وبين الفتح والكسر مدني وغيرهم بالتفخيم وعن ابن عباس أنه اسم الله الأعظم (تنزيل الكتاب) أي هذا (٦٩) تنزيل الكتاب (من الله العزيز)

أي المنيع بسططانه عن أن يتقول عليه متقول (العليم) بمن صدق به وكذب فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) أي سائر ذنب المؤمنين (وقابل التوب) قابل توبة (الراجين) شديد العقاب على المخالفين (ذو الطول) ذي الفضل على العارفين أودى الغنى عن الكل وعن ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا إله إلا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا إله إلا الله والتوب والثوب والأوب أخوات في معنى الرجوع والطول الغنى والفضل فإن قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعرفها وتكبرها والموصوف معرفة قلت أما غافر الذنب وقابل التوب

(فتم أجر العالمين) أي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أي محققين محيطين بحافته وجوانبه (يسبحون بمحمدر بهم) وقيل هذا تسييح تليذ لا تسييح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم (وقضى بينهم بالحق) أي بين أهل الجنة وأهل النار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي يقوله أهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتداء الله ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وختم بالحمد في آخر الأمر وهو استقرار الرقيقين في منازلهم فبه بذلك على تحميده في بداية كل أمر وخاتمته والله تعالى أعلم بمrade وأسرار كتابه

﴿نفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر﴾

وهي مكية قيل غير آيتين وهما قوله تعالى الذين يجادلون في آيات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال إن مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق برتاد لاهله منزل آخر بأرغيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه أذهب على روضات دمئذ فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل له إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن وإن مثل هذه الروضات الدمئذ مثل آل حم في القرآن وعن ابن عباس قال لكل شيء لباب وللباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات الجنة أمانق فيهن وقال سعد بن إبراهيم كن آل حم تسمى العرائس

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (حم) قال ابن عباس رضي الله عنهما حم اسم الله الأعظم وعنه قال الرحمن ون حروف اسمه الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح أسماؤه حلیم وحيد وحكي وحنان والميم افتتاح أسماؤه ملك ومجيد وحنان وقيل حم معناه حم بضم الحاء أي قضى ما هو كائن (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أي الغالب القادر وقيل الذي لا مثل له (العليم) أي بكل المعلومات (غافر الذنب) أي سائر الذنب (وقابل التوب) أي التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله وقابل التوب عن قال لا إله إلا الله (شديد العقاب) لمن لم يقل لا إله إلا الله (ذو الطول) أي السعة والغنى وقيل ذي الفضل والنعم وأصل

فمر فتان لأنه لم يرد بها حدوث الفعلين كما يكون في تقدير الانفصال وتسكون أضافتها غير حقيقية وإنما أراد بثبوت ذلك ودوامه وأما شديد العقاب فهو في تقدير شديد عقابه فتسكون نكرة فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف أدت بان كلها أبدال غير أوصاف وأدخال الواو في وقابل التوب لتسكنة وهي أفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاة للذنوب كان لم يذنب كان قال جامع المغفرة والقبول وروى أن عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذابا من أشد من أهل الشام فقيل له تابع في هذا الشراب فقال عمر لكتابه كتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أجد عليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الرحمن الرحيم حم إلى قوله المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحباً ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فاسم بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا فدوعدني الله أن يغفر لي وحذرت في عقابه فلم يرح بردها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فاسم بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحاً كمنزل زلة فسد دوه ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكفوا أعوانا للشياطين عليه



(لا اله الا هو) صفة ايضا لذي الطول ويجوز ان يكون مستأنفا (اليه المصير) المرجع (ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا) ما يخصهم فيها بالتكذيب بها والانكار لها وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدل فيها الايضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد أهل الزيغ (٧٠) بها فاعظم جهاد في سبيل الله (فلا يفررك تقلبهم في البلاد) بالتجارات النافقة

والمكاسب المر بحة سالمين غامين فان عاقبة أمرهم الى العذاب ثم بين كيف ذلك فاعلم ان الامم الذين كذبت قبلهم أهلكت فقال (كذبت قبلهم قوم نوح) (نوح) (والاحزاب) أي الذين تحزبوا على الرسل وناصروهم وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (من بعدهم) من بعد قوم نوح (وهت كل أمة) من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب (برسولهم ليأخذوه) ليتمكنوا منه فيقتلوه والايخذ الاسير (وجادلوا بالباطل) بالكفر (ليدحضوا به الحق) ليطلوا به الايمان (فاخذتهم) مظهر مكي وحفص يعني انهم قصدوا واخذوه فعملت جزاءهم على ارادة أخذ الرسل ان أخذتهم فعاقتهم (فكيف كان عقاب) وبالبايع يعقوب أي فانكم تمرنون على بلادهم فتعاينون أو ذلك وهذا تقر رفيه معنى التعجب (وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا) كلمات ربك مدني وشامي

الطول الانعام الذي تطول مدته على صاحبه (لا اله الا هو) أي هو الموصوف بصفات الوحدة التي لا يوصف بها غيره (اليه المصير) أي مصير العباد اليه في الآخرة قوله تعالى (ما يجادل) أي ما يخصهم ويحاجج (في آيات الله) أي في دفع آيات الله بالتكذيب والانكار (الا الذين كفروا) قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جد الا في القرآن كفرة أخرجه أبو داود وقال المراد في القرآن كفرة وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قومًا يتأرون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما أنزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فاعلمت منه فقوله وما جهلتم منه فكلوه الى عالمه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمعت أصوات رجلين اختلفا في آية نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب (فلا يفررك تقلبهم) أي تصرفهم (في البلاد) للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) أي الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح (وهت كل أمة برسولهم ليأخذوه) قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه (وجادلوا) أي خاصموا (بالباطل ليدحضوا) أي ليطلوا (به الحق) الذي جاءت به الرسل (فاخذتهم فكيف كان عقاب) أي أنزلت بهم من الهلاك ما هموا به بانزاله بالرسول وقيل معناه فكيف كان عقابي اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا (وكذلك حقت) أي وجبت (كلمت ربك) أي كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكدبة حقت (على الذين كفروا) أي من قومك (انهم) أي بانهم (أصحاب النار) قوله عز وجل (الذين يحملون العرش) قيل حلة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أردد فهم الله تعالى باربعة آخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم أشرف الملائكة وأفضلهم تقر بهم من الله عز وجل وهم على صورة الاعدال وجاء في الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان منها على وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما في الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتعجب ما بين اظلالهم الى ربهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حلة العرش ما بين كعب أحدهم الى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام وروى أن آدمهم في تخوم الارض والارضون والسموات الى حجازهم تسبيحهم سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الخي الذي لا يموت سبحان قدوس رب الملائكة والروح وقيل ان أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من التي تليها والتي تليها أشد خوفا من التي تليها وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حلة العرش أن ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود وأما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من أعظم الخلق خلقا وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال ان ما بين القائم

(انهم أصحاب النار) في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكم في الدنيا بالعباد المستأصل كذلك وجب اهلاكم بعذاب النار في الآخرة وفي محل النصب يحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قرئش ومعناه كما وجب اهلاكم أولئك الامم كذلك وجب اهلاكم هؤلاء لان عللة واحدة تجمعهم انهم من أصحاب النار ويلزم الوقف على النار لانه لو وصل لصار (الذين يحملون العرش

ومن حوله) يعني حاملين العرش والحافين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة صفة لاصحاب النار وفساده ظاهر وروى ان حلة العرش  
أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفي الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا  
وبروحا بالسلام على حلة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل حول العرش سبعون ألفا من الملائكة يطوفون به مهلين  
مكبرين ومن رؤسهم سبعون ألفا من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم (٧١) على عواتقهم مهلون ويكبرون

ومن رؤسهم مائة ألف  
صف قد وضعوا الايمان  
على الشماثل امامهم أحد  
الاهو يسبح بما لا يسبح  
به الآخر (يسبحون)  
خير المبتدا وهو الذين  
(بمحمد ربهم) أي مع  
جده اذ الباء تدل على  
أن تسبيحهم بالجملة  
(ويؤمنون به) وفأئذ  
مع علمنا بان حلة العرش  
ومن حوله من الملائكة  
الذين يسبحون بحمده  
مؤمنون اظهروا شرف  
الايمان وفضله والترغيب  
فيه كما وصف الانبياء في غير  
موضع بالصلاح لذلك  
وكعقب أعمال الخير بقوله  
تم كان من الذين آمنوا  
فان ذلك فضل الايمان  
وقد روي التناسب في قوله  
ويؤمنون به (ويستغفرون  
لذاتهم آمنوا) كأنه قيل  
ويؤمنون به ويستغفرون  
لمن في مثل حالهم وفيه دليل  
على أن الاشتراك في الايمان  
يجب أن يكون أدعى شئ  
الى النصيحة والشفقة وان  
تباعدت الاجناس

من قوائم العرش والقائمة الثانية تحفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام ويكسى العرش كل يوم ألف  
لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها في العرش كحلقه في فلاة وقال  
بجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف سحابة نور وسحابة ظلمة ونور وسحابة ظلمة  
وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كان الكعبة قبلة لاهل الارض ﴿ قوله (ومن حوله) يعني الطائفتين به  
وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين ألفا من الملائكة  
صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويذبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هل هؤلاء وكبر هؤلاء  
ومن رؤسهم سبعون ألفا من الملائكة قيام أيديهم الى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير  
أو ثناء وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا اله غيرك  
أنت الاكبر واخلى كلهم اليك راجعون ومن وراء هؤلاء مائة ألفا من الملائكة  
قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الا ما بين جناحي أحدهم مسير  
ثلاثمائة عام وما بين شحمة أذنه الى عاتقه أربع مائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول  
العرش بسبعين سحابة من نار وسبعين سحابة من ظلمة وسبعين سحابة من نور وسبعين سحابة  
من درأبيض وسبعين سحابة من ياقوت أحمر وسبعين سحابة من زبرجد أخضر وسبعين سحابة  
من نبل وسبعين سحابة من ماء وسبعين سحابة من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل ﴿ قوله تعالى  
(يسبحون بحمد ربهم) أي يزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بأنه هو المنعم على  
الاطلاق (ويؤمنون به) أي يصدقون بأنه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قلت قدم قوله يسبحون  
بمحمد ربهم على قوله ويؤمنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فما الفائدة قوله ويؤمنون به قلت فأنذره  
التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكاله  
وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حلة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك  
الحمد على حملك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك  
قال وكانهم يرون ذنوب بني آدم (ويستغفرون للذين آمنوا) أي يسألون الله تعالى المغفرة لهم قيل هذا  
الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم أن جعل فيهم من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم أولا  
تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في أحد بشئ يكرهه أن يستغفر له  
(ر بنا) أي ويقولون ر بنا (وسعت كل شئ رحمة وعلمنا) أي وسعت رحمتك وعلمك كل شئ وفيه تنبيه على  
تقديم الثناء على الله تعالى بما هو أهله قبل المطالب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا (فاغفر للذين  
تابوا واتبعوا سبيلك) أي دينك (وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش  
الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ر بنا) وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم  
وذرياتهم أنك أنت العزيز الحكيم) قيل اذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبي وأين أمي وأين ولدي وأين زوجتي

والاما كن (ر بنا) أي يقولون ر بنا وهذا المحذوف حال (وسعت كل شئ رحمة وعلمنا) والرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شئ في المعنى اذ  
الاصل وسع كل شئ رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بان أسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم وأخر جامنصو بين على التمييز  
مبالغة في وصفه بالرحمة والعلم (فاغفر للذين تابوا) أي الذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم (واتبعوا سبيلك) أي طريق  
الهدى الذي دعوت اليه (وقهم عذاب الجحيم) ر بنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم) من في موضع نصب عطف على  
هم في وأدخلهم وفي وعدتهم والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح من آبائهم (وأزواجهم وذرياتهم أنك أنت العزيز الحكيم)

أى الملك الذى لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا خالبا عن الحكمة وموجب حكمتك أن تفي بوعدك (وقهـم السيآت) أى جزاء السيآت وهو عذاب النار (ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته وذلك) أى رفع العذاب (هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون) أى يوم القيامة اذ دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكركها مرة والمقت أشد البغض وانتصاب (اذ تدعون الى الايمان) بالمقت الاول عند الزمخشري والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهم اليوم وأتم في النار اذ اوقعتم فيها باتباعكم هواهن وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقولهم ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون لتعليل وقال جامع العلوم وغيره اذ منسوب بفعل مضمر دل عليه لمقت الله أى يمقتهم الله حين دعوا الى الايمان فكفروا ولا يتنصب بالمقت الاول لان قوله لمقت الله مبتدأ وهو مصدر وخبره أكبر من مقتكم أنفسكم فلا (٧٢) يعمل فى اذ تدعون لان المصدر اذا أخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شئ يكون فى صلته لان

فيقال انهم لم يعملوا عملك فيقول انى كنت أعمل لى ولهم فيقال اذ دخلوا الجنة فاذا اجتمع باهلها فى الجنة كان أكمل لسروره ولذته (وقهـم السيآت) أى عقوبات السيآت بان تصورهم عن الاعمال الفاسدة التى توجب العقاب (ومن تق السيآت يومئذ) أى من تقه فى الدنيا (فقد رحمته) أى فى القيامة (وذلك هو الفوز العظيم) أى النعيم الذى لا ينقطع فى جوار ملك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله ﴿ قوله تعالى (ان الذين كفروا ينادون) أى يوم القيامة وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعابنوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله) أى اياكم فى الدنيا (أ أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) أى اليوم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا أنتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فأحياهم الله تعالى فى الدنيا ثم أماتهم الموتة التى لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى القبر للسؤال ثم أميتوا فى قبورهم ثم أحيوا للبعث فى الآخرة وذلك أنهم عدوا أوقات البلاء والمحنة وهى أربعة الموتة الاولى ثم الحياة فى القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فاما الحياة الاولى التى هى من الدنيا فلم يعدوها لانهما ليست من أقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهى حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهى الموتة الاولى فى الدنيا ثم الموتة الثانية فى القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها (فاعترفنا بذنوبنا) يعنى انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سألوا الرجعة بقولهم (فهل الى خروج) أى من النار (من سبيل) والمعنى فهل الى رجوع الى الدنيا من سبيل لتصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وانما قالوا ذلك تعلا وتخييرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى (ذلكم باه اذ ادعى الله وحده كفرتم) معناه فاجيبوا أن لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود فى النار بانكم اذ ادعى الله وحده كفرتم يعنى اذ اقبيل لاله الا الله أنكرتم ذلك (وان يشرك به) أى غيره (تؤمنوا) أى تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلى)

الاخبار عنه يؤذن بتماه وما يتعلق به يؤذن به بنقصانه وبالثانى لاختلاف الزمانين وهذا لانهم مقتوا أنفسهم فى البار وقد دعوا الى الايمان فى الدنيا (فتكفرون) فتصرون على الكفر (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) أى اماتين واحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالاماتين خلقهم أمواتا أولا واماتهما عند انقضاء آجالهم وصح أن يسمى خلقهم أمواتا اماتة كما صح أن يقال سبحانه من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وليس ثمرة تقل من كبر الى صغور ولا من صغور الى كبر والسبب

فيه أن الصغور والكبر جائزان على المصنوع الواحد فاذا اختار الصانع أحدا للجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كمنقلبه منه وبالا حياء تين الاحياء الاولى فى الدنيا والاحياء الثانية البعث وبدل عليه قوله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقيل الموتة الاولى فى الدنيا والثانية فى القبر بعد الاحياء لسؤال والاحياء الاول احياؤه فى القبر بعد موته للسؤال والثانى للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) لما رأوا الامانة والاحياء قد تكرر اعليهم علموا أن الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التى اقرت فها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) من النار أى الى نوع من الخروج سريع أو بطيء لتتخلص (من سبيل) فقط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ذلك تخييرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم باه اذ ادعى الله وحده كفرتم وان يشرك به) أى ذلكم الذى أنتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج فقط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالاشراك به (فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد (العللى) شأنه فلا يرد قضاؤه

(الكبير) العظيم سلطانه فلا يحد جزاؤه وقيل كان الحرورية أخذوا فويلهم لاحكم الاله من هذا وقال قتادة لما خرج أهل حرورية قال على رضى الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون أى يقولون لاحكم الاله فقال على رضى الله عنه كلمة حق أريد بها باطل (هو الذى يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها (وينزل لكم من السماء) وبالتخفيف مكي وبصرى (رزقا) مطرا لانه سبب الرزق (وما يتذكر الامن يذنب) وما يتعظ وما يعتبر بايات الله الامن يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) فاعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) وان غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم (رفيع الدرجات ذوالعرش يلقى الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذى يريكم وأخبار (٧٣) مبتدأ محذوف ومعنى رفيع الدرجات

رافع السموات بعضها فوق بعض وأرفع درجات عبادته فى الدنيا بالمنزلة أو رافع منازلهم فى الجنة وذو العرش مالك عرشه الذى فوق السموات خلقه مطافا لللائكة اظهارا لعظمته مع استغفانه فى ملكته والروح جبريل عليه السلام أو الوحي الذى تحياه القلوب (من أمره) من أجل أمره أو بأمره (على) من يشاء من عباده لينذر أى الله أو الملقى عليه وهو النبي عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب لتنذر (يوم التلاق) يوم القيامة لانه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض والاولون والآخرين التلاق مكي ويعقوب (يوم هم بارزون) ظاهرهم لا يسترهم شئ من جبل أو أكفة أو بناء (لا يخفى على الله منهم شئ) أى من

أى الذى لأعلى منه (الكبير) أى الذى لا أكبر منه ﴿قوله عز وجل (هو الذى يريكم آياته) أى عجائب مصنوعاته التى تدل على كمال قدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) يعنى المطر الذى هو سبب الارزاق (وما يتذكر) أى يتعظ بهذه الآيات (الامن يذنب) أى يرجع الى الله تعالى فى جميع أموره (فادعوا الله مخلصين له الدين) أى الطاعة والعبادة (ولو كره الكافرون) قوله تعالى (رفيع الدرجات) أى رافع درجات الانبياء والاولياء والعلماء فى الجنة وقيل معناه المرتفع أى انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته فى صفات جلالة وكاله ووحدايته المستغنى عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه (ذوالعرش) أى خالقه ومالكه والفائدة فى تخصيص العرش بالذكر لانه أعظم الاجسام والمتصوديان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان أعظم كانت دلالاته على كمال القدرة أقوى (يلقى الروح) يعنى ينزل الوحي سماه روحا لأن به تحيا الارواح كما تحيا الابدان بالارواح (من أمره) قال ابن عباس من قضائه وقيل بأمره وقيل من قوله (على) من يشاء من عباده (يعنى الانبياء) لينذر يوم التلاق) يعنى لينذر النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض وقيل يلتقى الخلق والخالق وقيل يلتقى العابدون والمعبودون وقيل يلتقى المرء مع عمله وقيل يلتقى الظالم والظالم (يوم هم بارزون) أى خارجون من قبورهم ظاهرهم لا يسترهم شئ (لا يخفى على الله منهم شئ) أى من أعمالهم وأحوالهم فان قلت ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ فى سائر الايام فوجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون فى الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه أعمالهم وهم فى ذلك اليوم صارون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه فى الدنيا (لمن الملك اليوم) أى يقول الله عز وجل فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والآخرين فى يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق فى يوم القيامة لله الواحد القهار فالؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه فى الدنيا واولوا به المنزلة الرفيعة فى العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والتدامة حيث لم يقولوه فى الدنيا (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يعنى تجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته (لا ظلم اليوم) أى ان الخلق آمنون فى ذلك اليوم من الظلم لان الله تعالى ليس بظالم للعبيد (ان الله سريع الحساب) أى انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كلهم فى وقت واحد ﴿قوله تعالى (وأندرهم يوم الآزفة) يعنى يوم القيامة سميت آزفة اقرب وقتها وكل ما هو آت فهو قريب (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن أماكنها من الخوف

(١٠ - (خازن) - رابع) أعمالهم وأحوالهم (لمن الملك اليوم) أى يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه ثم يجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت وينصب اليوم بمدلول لمن أى لمن ثبت الملك فى هذا اليوم وقيل ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب) لما قرران الملك لله وحده فى ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهى ان كل نفس تجزى بما كسبت عملت فى الدنيا من خير وشر وان الظلم مأمون منه لانه ليس بظالم للعبيد وان الحساب لا يبطى لانه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله فى وقت واحد وهو أسرع الحاسبين (وأندرهم يوم الآزفة) أى القيامة سميت بالازوفها أى تقر بها أو يبدل من يوم الآزفة (اذ القلوب لدى الحناجر) أى التراقى يعنى ترفع قلوبهم عن مقارها فتلقى بحناجرهم فلا هى تخرج فيموتوا ولا ترجع الى موضعها فينفسوا ويترجوا

(كاذمين) مسكين بخناجرهم من كظم القر به سدر أسها وهو حال من القلوب محمول على أصحابها وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكاظم الذي هو من أفعال العقلاء (مالاظمين) الكافرين (من حميم) محب مشفق (ولاشفيع بطاع) أى يشفع وهو مجاز عن الطاعة لان الطاعة حقيقة لا تكون الا لمن فوقك والمرادنى الشفاعة والطاعة كما فى قوله \* ولا ترى الضب بها ينحجر يريد به نبي الضب وانحجاره وان احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة فمن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة (يعلم خائنة الاعين) مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل (وما تخفى الصدور) وما تسره من أمانة وخيانة وقيل هو أن ينظر الى أجنبية بشهوة مسارقة ثم يتفكر بقلبه فى جاهل ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كله و يعلم خائنة الاعين خبر من أخباره وفى قوله هو الذى يريدكم آياته مثل يلقى الروح ولكن يلقى الروح قد علل بقوله لينسدر يوم التلاق ثم استطرذ ذكر أحوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع بطاع فبعد ذلك عن أخواته (والله يقضى بالحق) أى والذى هذه صفاته لا يحكم الا بالعدل (والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ) وألهمهم لا يقضون بشئ وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال (٧٤) فيه يقضى وألا يقضى تدعون نافع (ان الله هو السميع البصير) تقرر بقوله يعلم

حتى تصير الى الخناجر فلاهى تعود الى أما كنهها ولاهى تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا (كاذمين) أى مكرو وبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى يضيق القلب عنه (مالاظمين من حميم) أى من قريب ينفعهم (ولاشفيع) أى يشفع لهم (بطاع) أى يفهم (يعلم خائنة الاعين) أى خيانتها وهى مسارقة النظر الى ما لا يحل وقيل هو نظر الاعين لما نهى الله عنه (وما تخفى الصدور) أى يعلم مضمرات القلوب (والله يقضى بالحق) أى يحكم بالعدل (والذين يدعون من دونه) يعنى الاصنام (لا يقضون بشئ) لانها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شئ (ان الله هو السميع) أى لا قوال الخلق (البصير) بأفعالهم (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الارض) أى المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم (فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) أى يدفع عنهم العذاب (ذلك) أى ذلك العذاب الذى نزل بهم (بانهم كانت تأتيمهم رسلاهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوى شديد العقاب) قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا) يعنى فرعون وقومه (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام أعاد القتل عليهم فعذاه أعيدهم القتل (واستحيوا نساءهم) أى استحيوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرتهم (وما كيد الكافرين) أى وما مكفر فرعون وقومه واحتياهم (الافى ضلال) أى يذهب كيدهم باطلا ويحقيق بهم ما يريد الله تعالى (وقال فرعون) أى ملئته (ذرونى أقتل موسى) وانما قال فرعون هذا لانه كان فى خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعه عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف فلا يقدر ان يغلب سحرنا وان قتله قالت العامة كان محقا صادقا وعجز واعن

خائنة الاعين وما تخفى الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وانها لا تسمع ولا تبصر (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أى آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم (كانوا هم أشد منهم قوة) هم فصل وحقه ان يقع بين معرفتين الا أن أشد منهم ضارع المعرفة فى انه لا يدخله الالف واللام فاجرى مجراه منكم كسأى (وأثارا فى الارض) أى حصونا وقصورا (فاخذهم الله

بذنوبهم) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) ولم يكن لهم شئ يقبهم من عذاب الله (ذلك بانهم) أى الاخذ بسبب انهم (كانت تأتيمهم رسلاهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوى) قادر على كل شئ (شديد العقاب) اذا عاقب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وبجدة ظاهرة (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذاب) فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة (من عندنا قالوا) (من عندنا قالوا) اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أى أعيدهم القتل كالذى كان أولا (واستحيوا نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافرين) (الافى ضلال) ضياع يعنى انهم بانسراقتلهم أولا فلما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهارهم من خافوه فما يغنى عنهم هذا القتل الثانى وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بانه قد وقع أعاده عليهم غيظا وظنما منه أنه يصددهم بذلك عن مظاهره موسى عليه السلام وما علم ان كيد ضائع فى الكرتين جميعا (وقال فرعون) ملئته (ذرونى أقتل موسى) كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى تخافوه وهو أقل من ذلك وما هو الا ساحر واذا قتله دخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت من معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن كان فيه خب وكان قتلا سفاكا للدماء فى أهون شئ فكيف لا يقتل من أحس بانه هو الذى يهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك

جوابه

وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى ثم يها على قومه وإيها ما منهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الاماني نفسه من هول الفزع (اني أخاف) ان لم أقتله (ان يبدل دينكم) أن يغير ما تم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام (أو ان يظهر) موسى (في الارض الفساد) بضم الياء ونصب الدال مدني وبصري وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال والاول اولى لموافقة يبدل والفساد في الارض التقائل والتهايج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعاش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال اني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتهم الي دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وقرأ غير أهل الكوفة وأن ومعناه اني أخاف فساد دينكم ودنياكم معا (وقال موسى) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (اني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وفي قوله وربكم بثلم على أن يقتدوا به فيعودوا بالله عيادته ويعتصموا بالتوكل عليه واعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو أقيح استكبار وأذل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة

(٧٥)

عظيمة الار تكبها وعدت ولدت اخوان وعدت بالادغام أبو عمرو وحزرة وعلى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) قيسل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ومن آل فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرا ئيليا ومن آل فرعون صلة ليكنتم أي يكتم إيمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب أو خزيبيل أو خزيبيل والظاهر الاول (أقتلون رجلا ان يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم كأنه قيل

جوابه فقتلوه (وليدع ربه) أي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه أرسله الينا فيمنعه منا (اني أخاف أن يبدل دينكم) يعني يقول فرعون أخاف أن يغير دينكم الذي أتم عليه (أو ان يظهر في الارض الفساد) يعني بذلك تغيير الدين ونبديله وعبادة غيره (وقال موسى) يعني لما توعد فرعون بالقتل (اني عدت بربي وربكم) يعني ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يأت في دفع الشدة الا بان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم أن صانه الله عن كل بلية (من كل متكبر) أي متعظم عن الايمان (لا يؤمن بيوم الحساب) قوله عز وجل (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بني اسرا ئيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزيبيل ٣ عند ابن عباس وأكثرا العلماء وقال ابن اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب (أقتلون رجلا ان يقول) أي لان يقول (ربي الله) وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد وقوله (وقد جاءكم بالبينات من ربيكم) فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه (وان يكاذبا فعليه كذبه) أي لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه (وان يك صادقا) أي فكذبتموه (يصبكم بعض الذي يعدكم) قيل معناه يصبكم الذي يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على أصلها ومعناه كأنه قاله على طريق الاحتجاج أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب لكل (ان الله لا يهدي) أي الى دينه (من هو مسرف كذاب) أي على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء الكعبة اذا قبل عقبة بن أبي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه وخنقه خنقا شديدا فقبل أبو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله

أرتكبون الفعل الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة في ارتكابها الا كلمة الحق وهي قوله (ربي الله) وهو ربكم أيضا لانه وحده (وقد جاءكم) بالبينات من ربيكم) يعني أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات من عنده من نسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به (وان يكاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) احتج عليهم بطريق التقسيم فانه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فان يكاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذي يعدكم مع انه وعدم من نبي صادق القول مسدراة لهم وسألو بالطريق الانصاف فجاء بما هو أقرب الى تسليمهم له وليس فيه نفي اصابه الكل فكانه قال لهم أقل ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذب العاجل وفي ذلك هلاككم وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة وتقدبم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضا وتفسير البعض بالكل مزيف (ان الله لا يهدي من هو مسرف مجاوز للحد) كذاب في ادعائه وهذا أيضا من باب المجاهلة والمعنى انه ان كان مسرفا كذبا خذله الله وأهلكه فنتخلصون منه اذ لو كان مسرفا كذبا لم يهداه الله

بالنبوة فلما عضده بالبينات وقيل أو هم انه عنى بالمسرف موسى وهو يعني به فرعون

٣ قوله حزيبيل كذبا بالاصل الطبع وفي نسخة خط يابدين حزيبيل وفي النسفي ما ترى مصحح

(يا قوم لكم الملك اليوم ظاهر بن) عاين وهو حال من كم في لكم (في الارض) في أرض مصر (فن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا للباس الله أي عذابه فإنه لا طاقة لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال ينصرنا وجاءنا لأنه منهم في القرابة وليعلمهم بأن الذي ينصحبهم به هو مساهم لهم فيه (قال فرعون ما أرىكم الا ما أرى) أي ما أشير عليكم برأي الابما أرى من قتله يعني لا أستصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب (وما أهدىكم (الاسبيل الرشاد) طريق الصواب والصلاح أو ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيئاً ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعر للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتعجلد ولو لا استشعاره لم يستشر أحد ولم يقف الامر على الاشارة (وقال الذي آمن يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أي مثل أيامهم لأنه لما أضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوله (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود الذين من بعدهم) ولم يلبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع ودأب هو لاءدؤ بهم في عملهم من (٧٦) الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائباً دائماً منهم ولا يفترون عنه ولا بد

عليه وسلم وقال أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قوله عز وجل (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهر بن في الارض) أي غالبين في الارض أي أرض مصر (فن ينصرنا) أي بمنعنا (من بأس الله ان جاءنا) والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا للعباد بالتيكذيب وقتل النبي فإنه لا مانع من عذاب الله تعالى ان حل بكم (قال فرعون ما أرىكم) أي من الرأي والنصيحة (الما أرى) أي لنفسى (وما أهدىكم الا سبيل الرشاد) أي ما أدعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكي الله تعالى ان مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه ان يحل به ما حل بالام قبله بقوله (وقال الذي آمن يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود الذين من بعدهم) أي مثل عاداتهم في الاقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب (وما الله ير يد ظلم العباد) أي لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجج عليهم (ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) يعني يوم القيامة تسمى يوم القيامة يوم التناد لأنه يدعى فيه كل أناس بامامهم وينادى بعضهم بعضاً فينادى أصحاب الجنة النار وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة وينادى فيه بالسعادة والشقاوة ألا ان فلان بن فلان سعيد سعيد لا يشقى بعدها بدأ فلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها بدأ وينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وقيل ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادى الكافر باليتنى لم أوت كتابيه وقيل يوم التناد يعني يوم التنافر من نداء البعير اذا نفروا هرب ذلك انهم اذا سمعوا زفير النار نذروا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفاً عليه فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه (يوم تولون مدبرين) أي منصرفين عن موقف الحساب الى النار (مالكم من الله من عاصم) أي يعصمكم من عذابه (ومن يضل الله فانه من هاد) أي يهديه (ولقد جاءكم يوسف) يعني يوسف ابن يعقوب (من قبل) أي من قبل موسى (بالبينات) يعني قوله أُر باب متفرقون خير أم الله الواحد القهار قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة ونبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر (فمازلم في شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم بقوا ساكنين في

من حذف مضاف أي مثل جزاء دأبهم واتصاف مثل الثاني بأنه عطف بيان لمثل الاول (وما الله ير يد ظلم العباد) أي وما ير يد الله أن يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب أو يز يد على قدر ما يستحقون من العذاب يعني ان تدبيرهم كان عدلاً لانهم استحقوه باعمالهم وهو أبلغ من قوله ومار بك بظلام للعبيد حيث جعل المنفى ارادة ظلم منكرو من بعد عن ارادة ظلم مالعباده كان عن الظلم أبعداً وبعد وتفسير المعترلة بأنه لا ير يد لهم أن يظلموا بعيدلان أهل اللغة قالوا اذ قال الرجل لا تخولأر يد ظلمك معناه لأر يد أن أظلمك وهذا تخويف بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) أي يوم القيامة التنادى مكى ويعقوب في الخالين واثبات الباء هو الاصل وحذفها حسن لان الكسرة تدل على الباء وآخر هذه الآية على الدال وهو ما حكي الله تعالى في سورة الاعراف ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف وقيل ينادى مناد ألا ان فلانا سعيد سعيد لا يشقى بعدها بدأ فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها بدأ (يوم تولون مدبرين) منصرفين عن مواقف الحساب الى النار (مالكم من الله) من عذاب الله (من عاصم) مانع ودافع (ومن يضل الله فانه من هاد) مرشد (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) هو يوسف بن يعقوب وقيل يوسف بن أقرانيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل فرعون آخر وبختم بان يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات (فمازلم في شك مما جاءكم به) فشككم فيها ولم نزلوا ساكنين

نبوته

لا تخولأر يد ظلمك معناه لأر يد أن أظلمك وهذا تخويف بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب

(حتى اذا هلك قلتم لن نبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان أى أقم على كفركم وظننتم انه لا يجدد عليكم ايجاب الحجية ( كذلك يضل الله من هو مسرف مرئى ) أى مثل هذا الاضلال يضل الله كل مسرف فى عصيانه مرئى شاك فى دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف و جاز ابداله منه وهو جوع لانه لا يريد مسرفا واحدا بل كل مسرف ( فى آيات الله ) فى دفعها و ابطالها ( بغير سلطان ) حجة ( اناهم كبر مقتا ) أى عظم بغضا و فاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جوع معنى و موحد لفظا فحمل البدل على معناه و الضمير الراجع اليه على لفظه و يجوز ان يرفع الذين على الابتداء و لا بد فى هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير فى كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ( عند الله و عند الذين آمنوا ) كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ( قلب بالتنوين أبو عمرو و انما وصف القلب بالتكبر و التجبر لانه منبهما كما تقول سمعت الاذن وهو كقوله فانه آثم قلبه و ان كان الآثم هو الجملة ( وقال فرعون ) تمومها على قومه و أجهلا منه ( ياها مان ابن لى صرحا ) أى قصر اوقيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى (VII) على الناظر و ان بعد و منه يقال

صرح الشئ اذا ظهر (على) و بفتح الياء سجازى و شامى و أبو عمرو (أبلغ) (الاسباب) ثم أبدل منها تفخيما لسانها و ابانة انه يقصد أمر اعظما (أسباب السموات) أى طرفها و أبوابها و ما يؤدى اليها و كل ما أدك الى شئ فهو سبب اليه كالرشاء و نحوه (فاطلع) بالنصب حفص على جواب الترجى تشبيها للترجى بالتمنى و غيره بالرفع عطفًا على أبلغ (الى الله موسى) والمعنى فانظر اليه (وانى لاطنه) أى موسى (كاذبا) فى قوله له اله غيرى (وكذلك) و مثل ذلك التزيين و ذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله و صد عن

نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التى جاءهم بها (حتى اذا هلك) يعنى مات (قلتم لن نبعث الله من بعده رسولا) أى أقم على كفركم و ظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجية و انما قالوا ذلك على سبيل التشهى و التمنى من غير حجة و لا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم أساسا فى تكذيب الانبياء الذين يأتون بعده و ليس قو لهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصد بقال رساله يوسف كيف و قد شكوا فيها و انما هو تكذيب رساله من بعده مضموم الى التكذيب لرسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف) أى فى شركه و عصيانه (مرئى) أى فى دينه (الذين يجادلون فى آيات الله) قيل هذا تفسير للمسرف المرئى الذين يجادلون فى ابطال آيات الله بالتكذيب (بغير سلطان) أى بغير حجة و برهان (اناهم) من الله (كبر) أى ذلك الجدال (مقتا عند الله) و عند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (وقال فرعون) يعنى لوزيره (ياها مان ابن لى صرحا) أى بناء ظاهر الا يخفى على الناظر ان بعد و قد تقدم ذكره فى سورة القصص (على أبلغ الاسباب أسباب السموات) أى طرفها و أبوابها من سماء الى السماء (فاطلع الى الله موسى و انى لاطنه) يعنى موسى (كاذبا) أى فيما يدعى و يقول ان له ربا غيرى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله و صد عن السبيل) قال ابن عباس رضى الله عنهما صده الله تعالى عن سبيل الهدى و قرى و صد بالفتح أى و صد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد فرعون الا فى تباب) أى و ما كيده فى ابطال آيات موسى الا فى خسار و هلاك قوله تعالى (وقال الذى آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد) أى طريق الهدى (يا قوم انما هذه الحيوه الدنيا متاع) أى متعة ينتفعون بهامدة ثم تنقطع (وان الآخرة هى دار القرار) أى التى لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة لا منفعة فيها و ان الآخرة باقية دائمة و الباقي خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهابا فانيا و الآخرة خز فاباقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف و الدنيا خزف فان الآخرة ذهب باقى (من عمل سيئة فلا يجزى الامثلها) قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها و من عمل بالمعاصى فجزاؤه العقوبة بقدرها (ومن عمل صالحا من ذكرا أو أنثى و هو مؤمن فالولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أى لاتبعة عليهم فيما يعطون فى الجنة من الخير و قيل يصب عليهم الرزق صبا بغير

السبيل) المستقيم و بفتح الصاد كوفى و يعقوب أى غيره صدا أو هو بنفسه صد و اذا مزى الشيطان بوسوسته كقوله و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى و مثل ذلك ينالهم أعمالهم فهم يعمهون (وما كيد فرعون الا فى تباب) خسار و هلاك (وقال الذى آمن يا قوم اتبعون) اتبعونى فى الحالين مكى و يعقوب و سهل (أهدكم سبيل الرشاد) وهو تقيض التى و فيه تعريض شبيهه بالتصريح ان ما عليه فرعون و قومه سبيل التى أجل أولانم فسرها فافتتح بدم الدنيا و تصغير شأنها بقوله (يا قوم انما هذه الحيوه الدنيا متاع) تمتع يسير فالأخلاق البها أصل الشر و منبع الفتن و ثنى بتعظيم الآخرة و بين انها هى الوطن و المستقر بقوله (وان الآخرة هى دار القرار) ثم ذكر الاعمال سببها و حسناتها و عاقبة كل منها يشبط عما يتلف و ينشط لما يزلف بقوله (من عمل سيئة فلا يجزى الامثلها و من عمل صالحا من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فالولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يدخلون مكى و بصرى و يز يد و أبو بكر ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذى ثمره الجنات و دعوتهم الى اتخاذ الأنداد الذى عاقبته النار بقوله



(ويأقوم مالي) و بفتح الياء مخجزي وأبو عمرو (أدعوكم الى النجاة) أي الجنة (تدعونني الى النار تدعونني لا كفر بالله) هو بدل من تدعونني الاول يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له (وأشرك به ما ليس لي به علم) أي بر بوبه والمراد بنبي العلم نبي المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بالله وما ليس به كيف يصح أن يعلم لها (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) وهو الله سبحانه وتعالى وتكسر ير النداء لزيادة التنبيه لهم والابقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وأنه من آل فرعون وحي بالواو في النداء الثالث دون الثاني لان الثاني داخل على كلامه هو بيان للمجمل وتفسيره بخلاف الثالث (لاجرم) عندي البصر بين لاردلما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته (أن ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) معناه ان ما يدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط أي من حق المعبود وبالحق (٧٨) أن يدعو العباد الى طاعته وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى

تقتير (ويأقوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار) معناه أنا أدعوكم الى الايمان الذي يوجب النجاة من النار وأتم تدعونني الى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر ذلك فقال (تدعونني لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم) أي لا أعلم ان الذي تدعونني اليه له وما ليس به كيف يعقل جعله شر كلاله الحق ولما بين انهم يدعونني الى الكفر والشرك بين انه يدعونهم الى الايمان بقوله (وأنا أدعوكم الى العزيز) أي في اتقاه ممن كفر (الغفار) أي لذنوب أهل التوحيد (لاجرم) يعني حقا (ان ما تدعونني اليه) يعني الصنم (ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) يعني ليست له استجابة دعوة لاحد في الدنيا ولا في الآخرة وقيل ليست له دعوة الى عبادته في الدنيا ولا في الآخرة لان الاصنام لا تدعى الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الآخرة تتبرأ من عابديها (وأن مردنا الى الله) أي مرجعنا الى الله فيجازي ككلام ما يستحقه (وأن المسرفين) يعني المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) أي اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر (وأفوض أمرى الى الله) أي أurd أمرى الى الله وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم (ان الله بصير بالعباد) يعني يعلم الحق من المبتطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أي ما أرادوا به من الشر قيل انه نجح مع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطيا (وحاق) أي نزل (بال فرعون سوء العذاب) يعني العرق في الدنيا والنار في الآخرة وذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) يعني صباحا ومساء قال ابن مسعود أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا ويستبدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر أعادنا الله تعالى منه بمنه وكرمه (ق) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة فن أهل الجنة وان كان من أهل النار فن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون) أي يقال لهم ادخلوا آل فرعون (أشد العذاب) قال ابن عباس ألوان من العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ أغرقوا قوله تعالى (واذ يتحاجون) أي واذا ذكر يا محمد تقومك اذ يتحاجون يعني أهل النار (في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم

ذلك ولا يدعى الربوبية أو معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كالدعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازي عليه بالجزاء في قوله كما تدن تدان (وأن مردنا الى الله) وأن رجوعنا اليه (وأن المسرفين) وأن المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) أي من النصيحة عند نزول العذاب (وأفوض وأسلم (أمرى) و بفتح الياء مسدني وأبو عمرو (الى الله) لانهم توعدوه (ان الله بصير بالعباد) باعماطهم وما لهم (فوقاه الله سيئات ما مكروا) شدا نذ مكرهم وما عموا به من الحاق أنواع العذاب

بمن خالفهم وقيل انه خرج من عندهم هربا الى جبل فبعث قريبا من ألف في طلبه فنهزم من أكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون (وحاق) ونزل (بال فرعون سوء العذاب النار) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار وأنبأ خبره (يعرضون عليها) وعرضهم عليها حرقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به (غدوا وعشيا) أي في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما ان يعذبون بحبس آخر أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن اللوام هذا في الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال لحزنه جهنم (أدخلوا آل فرعون) من الادخال مدني وحرقه وخلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا أي يقال لهم ادخلوا آل فرعون (أشد العذاب) أي عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر (واذ يتحاجون) واذا كروا فقتلوا نخاصمهم (في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا) يعني الرؤساء (انا كنا لكم

تبعاً) أتباعاً تخدّم في جمع خادم (فهل أتم مغنون) دافعون (عنا نصيباً) جزأً (من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها) التنوين عوض من المضاف إليه أي انا كلنا فيها لا يعني أحد عن أحد (ان الله قد حكم بين العباد) قضى بينهم بان أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (وقال الذين في النار خزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها وأعمالهم يقل خزنتها لان في ذكر جهنم تهو يلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي أبعاد النار قعرها من قولهم بئر جهنم بعيدة القعر وفيها عتي الكفار وأطعمهم فعمل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة زيادة قربهم من الله تعالى فلهاذا تممدهم أهل النار يطلب الدعوة منهم (أدعوا بهم يخفف عنا يوماً) بقدر يوم من الدنيا (من العذاب قالوا) أي الخزنة تو يبخلهم بعدمدة طويلة (أولم تك) أي أولم تك قصة وقوله (تأنيك) تفسير للقصة (رسلكم بالبينات) بالمهجرات (قالوا) أي الكفار (بلى قالوا) أي الخزنة تمكأ بهم (فادعوا) أتم ولا استجابة لدعائكم (ومادعاء الكافرين الا (٧٩) في ضلال) بطلان وهو من قول الله تعالى ويحتمل أن يكون

من كلام الخزنة (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) أي في الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعاً بالحجة والظفر على مخالفتهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحيان امتحاناً من الله والعاقبة لهم ويتبع الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين ويوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك أمس واليوم والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة والانبيا فالانبيا يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون على بني آدم بما عملوا من الاعمال

تبعاً) أي في الدنيا (فهل أتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا) يعني الرؤساء والقادة (انا كل فيها) يعني نحن وأتم (ان الله قد حكم بين العباد) أي قضى علينا وعليكم (وقال الذين في النار) يعني حين اشتد عليهم العذاب (خزنة جهنم ادعوا بهم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا) يعني الخزنة (أولم تك تأنيك رسلكم بالبينات) يعني لا عدركم بعد محي الرسل (قالوا بلى) أي اعترفوا بذلك (قالوا فادعوا) يعني أتم انا اندعوا لكم لانهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى (ومادعاء الكافرين الا في ضلال) يعني يبطل ويضل ولا ينفعهم قوله عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعداء في الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم وأهلك أعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين ألفاً (ويوم يقوم الاشهاد) يعني وتنتصرهم يوم القيامة يوم يقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) أي ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم (ولهم اللعنة) أي البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يعني جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) يعني النبوة وقيل التوراة (وأوردنا بني اسرائيل الكتاب) يعني التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على أنبيائهم (هدى وذكرى لاولى الالباب) قوله تعالى (فاصبر) أي يا محمد على أذاهم (ان وعد الله حق) أي في اظهار دينك واهلاك أعدائك قال الكافي نسخت آية القتال آية الصبر (واستغفر لذيك) يعني الصغار وهذا على قول من يجوزها على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل يعني على ترك الاولى والافضل وقيل على ما صدر منه قبل النبوة وعنده من لا يجوز الصغار على الانبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يزيده درجة وتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات محصورة في قسمين التوبة عملاً لنبني والاشتغال بما ينبي والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثاني الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى (وسبح بحمدر بك) أي تزهرك عملاً ليقابله وقيل صل شاكر لك (بالعشي والابكار) يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اناهم) يعني كفار قريش (ان في صدورهم) أي ما في قلوبهم (الاكبر)

تقوم بالتاء الرازي عن هشام (يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم) هذا بدل من يوم يقوم أي لا يقبل عندهم لا ينفذ كوفي ونافع (ولهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) أي سوء دار الآخرة وهو عذابها (ولقد آتينا موسى الهدى) يريد به جميع ما أتى به في باب الدين من المهجرات والتوراة والشرايع (وأوردنا بني اسرائيل الكتاب) أي التوراة والانجيل والزبور لان الكتاب جنس أي تركنا الكتاب من بعد هذا الى هذا (هدى وذكرى) ارشادا وتذكراً وانتصاهما على المفعول له أو على الحال (لاولى الالباب) لدوى العقول (فاصبر) على ما يجرك قومك من الغصص (ان وعد الله حق) يعني ان ما سبق به وعدى من نصرتك واعلاء كلمتك حق (واستغفر لذيك) أي لذنب أمتك (وسبح بحمدر بك بالعشي والابكار) أي دم على عبادة بك والشناء عليه وقيل هما صلوات الفجر والعصر وقيل قل سبحان الله وبحمده (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اناهم) لاوقف عليه لان خبر ان (ان في صدورهم الاكبر) تعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون أحد فوقهم فلهاذا عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لان النبوة تحتها كل

قال ابن عباس ما جعلهم على تكذيبك الاما في صدورهم من الكبر والعظمة (ما هم ببالغيه) يعني بالاني مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان في صدورهم الاكبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى (فاستعذ بالله) أي من فتنة الدجال (انه هو المسيح) أي لا قوا لهم (البصير) أي بأفعالهم ﴿ قوله عز وجل (خلق السموات والارض) أي مع عظمها (أ كبر من خلق الناس) أي من اعدائهم بعد الموت والمعنى أنهم مقررون ان الله تعالى خلق السموات والارض وذلك أعظم في الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت (ولكن أ كثر الناس لا يعلمون) يعني ان الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى أ كبر من خلق الناس أي أعظم من خلق الدجال ولكن أ كثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال

﴿ فصل في ذكر الدجال ﴾ (م) عن هشام بن عروة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أ كبر من الدجال معناه أ كبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال أنه أ عور العين اليمنى كانت اعنبة طافئة ولا يبي داود والترمذي عنه وقال قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فائتى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال اني أنذر كوه وما من نبي الاوقدا أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه تعامون أنه أ عور وان الله ليس بأعور (ق) عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الاوقدا نذرته الا عور الانه أ عور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية لسلم بين عينيه كافر ثم تهجى لك ف ر يقرؤه كل مسلم عن أسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطر ها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطر ها والارض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطر ها والارض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ضرس من البهائم الا هلكت ومن أشد فتنته أنه يأتي الاعرابي فيقول أ رأيت ان أحبيت لك ابلك أ لست تعلم أ نى ربك قال فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ابله كأحسن ما تكون ضرعا وأعظمه أسنمة و يأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أ رأيت ان أحبيت لك أخاك وأباك أ لست تعلم أ نى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو أخيه ونحو أبيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم قالت وأخذ بلعمني الباب فقال مهمم أسماء فقلت يا رسول الله لقد خلعت أفندي تنابذ كرا الدجال قال ان يخرج وأنا حي فانا حجيجه والا فان ربي خليفتي على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يا رسول الله والله انالنجمن عبيدنا فمنا حبيزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقدس وفي رواية عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار هذا حديث أخرجه البغوي بسنده والذي جاء في صحيح مسلم قال قلنا يا رسول الله ما لبث في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسأرا أيامه كأيامكم هذه قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة تكفينا له صلاة يوم قال لا أقدر وله قدره قلنا يا رسول الله وما السراعه في الارض قال كالغيث استدرته الريح وفي رواية أبي داود عنه فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جوارك من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرق دمشق فيدركه عند باب لدفيقتله (ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء ونار افاما

ملك ورياسة أو ارادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا و بغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه أو ارادة دفع الآيات بالجدال (ما هم ببالغيه) ببالغي موجب الكبر ومقتضاه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات (فاستعذ بالله) فالتجى اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (انه هو المسيح) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل و يعملون فهو ناصر ك عليهم وعاصمك من شرهم (خلق السموات والارض) أ كبر من خلق الناس) لما كانت مجادلتهم في آيات الله مشتملة على انكار البعث وهو أصل الجادلة ومدارها حجوا بخاق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها فان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهاتته أقدر (ولكن أ كثر الناس لا يعلمون) لانهم لا يتأملون

الذي يرى الناس انه نار فماء بارد والذي يرى الناس انه ماء فنار محرقة فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى انه نار فإنه ماء عذب بارد (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه أعور وأنه يحيى بمنال الجنة والنار فالتى يقول انها الجنة هي النار واتى أنذركم كما أنذر نوح قومه (ق) عن المغيرة بن شعبة قال ما سألت أحداً رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال ما سألته وأنه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع الدجال فليأمنه فوالله ان الرجل ليأمنه وهو يحسب أنه مؤمن فبينما يمشي به من الشبهات أو قال لما يبعث به من الشبهات أخرجه أبو داود (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطوه الدجال الامكة والمدينة ليس تقب من تقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج بارض بالمشرق يقال لها خر اسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود أصهان سبعون ألفاً عليهم الطياسة عن مجمع بن جارية الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال ببابل أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محي الدين النووي قال القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة للمذهب الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده فاقدره على أشياء من المقدرات من احياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والارض أن تثبت فتثبت ويقع كل ذلك بقدره الله تعالى وفتنته ثم يحجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافاً لمن أنكروه وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافاً للمعتزلة وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الاشياء التي يأتي بها زعموا أنها مخاريق وخيالات لا حقائق لها وزعموا أنها لو كانت حقاً لكانت معجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون مأمعه كالتصديق له وانما يدعي الربوبية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجوده لا دلالات الجذوت فيه وتقص صورته ويجزه عن ازالة العور الذي في عينه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذا الدلائل لا يفتقر به الاعوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة ورغبة في سد الرمي أو خوفاً من فتنته لان فتنته عظيمة جدا تهش العقول وتحير الالباب ولهذا احدثت الانبياء من فتنته فاما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بمأمعه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه ما زددت فيك الابصرة قوله قلت يا رسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك معناه هذا أهون على الله تعالى من أن يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضللاً للمؤمنين ومشككاً لقلوبهم بل انما جعله الله ليزداد الذين آمنوا ايماناً وتثبت الحجية على الكافر بين المنافقين وليس معناه أنه ليس معه شيء من ذلك لانه ثبت في الحديث ان معه ماء ونار افاؤه نار ونار ماء بارد والله تعالى أعلم ﴿ قوله عز وجل (وما يستوى الاعمي والبصير) أي الجاهل والعالم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ) أي

لغلبة الغفلة عليهم (وما يستوى الاعمي والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ) لا زائدة

(قليل ما تذكرون) تعظون بتأمين كوفي وبياء وتاء غيرهم وقليل صفة مصدر محذوف أي تذكروا قليلا يتدكرون وماصلة زائدة (ان الساعة لآتية لا ريب فيها) لا بد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء لثلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لا يصدقون بها (وقال ربكم ادعوني) اعبدوني (استجب لكم) أجبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن وبدل عليه قوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما وحذوفي أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتحديد وقيل سلوني أعطكم (سيد خلون جهنم) سيد خلون مكي وأبو عمرو (داخرين) صاغرين (الله الذي) (٨٢) جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) هو من الاسناد المجازي أي مبصر افيه

لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالخال ولم يكونا حالين أو مفعولا لما رعاية لحق المقابلة لانهما متقابلان يعني لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصر افيه فانت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكننا تميزا حقيقة من المجاز اذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى الى قولهم ليل ساج أي ساكن لا يرج فيه (ان الله لودفضل على الناس) ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لان المراد تكبير الفضل وأن يجعل فضلا لا يواز به فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لان

لا يستورون (قليل ما تذكرون ان الساعة) يعني القيامة (لا تية لا ريب فيها) أي لاشك في قيامها ومجيئها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أي لا يصدقون بالبعث بعد الموت ﴿ قوله تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) أي اعبدوني دون غيري أجبكم وأجبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاتانة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يفض عليه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن أنس بن مالك قال الدعاء مع العبادة أخرجه الترمذي وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذي وقال حديث غريب فان قلت كيف قال ادعوني استجب لكم وقد يدعوا الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعاء له شروط منها الاخلاص في الدعاء وأن لا يدعوه وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وأن يكون المطوب بالدعاء مصلحة للانسان وأن لا يكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما أن يجملها له واما أن يؤخره له يدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعوا الله تعالى بدعاء الاستجابة له فاما أن يجعل له به في الدنيا واما أن يدخر له في الآخرة واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا لم يدع بأثم أو قطيعة رحم أو يستجمل قالوا يا رسول الله وكيف يستجمل قال يقول دعوت ربني فما استجاب لي أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) أي عن توحيدى وقيل عن دعائى (سيد خلون جهنم داخرين) أي صاغرين دليلين ﴿ قوله عز وجل (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أي لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون (والنهار مبصرا) أي لتحصل لكم فيه مكنة التصرف في حوائجكم ومهماتكم (ان الله لودفضل على الناس) ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم) أي ذلك المميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم (خالق كل شيء لا اله الا هو) أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشياء كلها وأنه لا شريك له في ذلك (فاني توفكون) أي فاني تصرفون عن الحق (كذلك) أي كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا آيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا) أي فراشا لتستقروا عليهم او قيل منزل في حال الحياة وبعد الموت (والسما بناء) أي سقفا مرفوعا كالقبة (وصوركم فاحسن صوركم) أي خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا ياكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات)

في هذا التكرير بخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان قتل لكفور وقوله ان الانسان لظالم كفار (ذلكم) الذي خلق لكم الليل والنهار (الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو) أخبار مترادفة أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الربوبية والالهية وخلق كل شيء والوحدانية (فاني توفكون) فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادة اله الى عبادة الاوثان (كذلك يؤفك الذين كانوا آيات الله يجحدون) أي كل من مجد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق أفك كما أفكوا (الله الذي جعل لكم الارض قرارا) مستقرا (والسما بناء) سقفا فوقكم (وصوركم فاحسن صوركم) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منسوكسين كالبهائم (ورزقكم من الطيبات) اللذيذات

ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لاله الا هو فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لاله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ولما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الاوثان نزل (قل اني نهيت ان أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاء في البيئات من ربي) هي القرآن وقيل العقل والوحي (وأمرت ان أسلم) أستقيم وأتقاد (لرب العالمين هو الذي خلقكم) أي أصلكم (من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً) اقتصر على الواحد لان المراد بيان الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) متعلق بمحذوف تقديره ثم يبيحكم لتبلغوا وكذلك (ثم لتكونوا شيواً) وبكسر الشين مكى وجزرة وعلى وحجاد ويحي والاعشى (ومنكم من يتوفى من قبل) أي (٨٣) من قبل بلوغ الأشد أو من قبل

الشيخوخة (ولتبلغوا

قيل هو ما خلق الله تعالى لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب) ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي) وهذا يفيد الحصر أي لاسي الا هو فوجب أن يحمل ذلك على الذي يتمتع أن يموت امتناعاً تاماً ثابتاً وهو الله تعالى الذي لا يوصف بالحياة الكاملة الا هو والحي هو المدرك الفعال لما يريد وهذه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوجودانية بقوله (لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) أي فادعوه واحمدوه قال ابن عباس من قال لاله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين (قل اني نهيت ان أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاء في البيئات من ربي وأمرت ان أسلم لرب العالمين) وذلك حين دعي الى الكفر أمره الله تعالى أن يقول ذلك ﴿ قوله (هو الذي خلقكم من تراب) يعني أصلكم آدم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من النطفة وهي من الاغذية والاعذية من النبات والنبات من التراب (ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم تكونوا شيواً) يعني أن مراتب الانسان بعد خروجه من بطن امه ثلاث الطفولية وهي حالة النمو والزيادة الى أن يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم ينقص بعد ذلك وهي الشيخوخة (ومنكم من يتوفى من قبل) أي من قبل أن يصير شيخاً (ولتبلغوا) أي جميعاً (أجل مسمى) أي وقتاً محدوداً لا يتجاوزونه يعني أجل الحياة الى الموت (ولعكم تعقلون) أي مافي هذه الاحوال المحيية من القدرة الباهرة الدالة على توحيد وقدرته (هو الذي يحي ويميت فاذا قضى أمرافانما يقول له كن فيكون) أي يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحياء والامانة وسائر ما ذكر من الافعال الدالة على قدرته كانه قال من الاقتدار اذا قضى أمراً كان أهون شيء وأسرعه ﴿ قوله تعالى (لم ترالى الذين يجادلون في آيات الله) يعني القرآن (أني يصرفون) أي عن دين الحق وقيل نزات في القدرة (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسالتنا فسوف يعلمون) فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما وعدهم به فقال تعالى (اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون) أي يجرون بتلك السلاسل (في الحميم ثم في النار يسجرون) أي توقيهم النار (ثم قيل لهم ايها كنتم تشركون من دون الله) يعني الاصنام (قالوا ضلوا عنا) أي فقدناهم فلم نرهم (بل لم تكن تدعون من قبل شيئاً) قيل انهم أنكروا عبادتها وقيل لم تكن ندعو شيئاً ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكانا لم تكن ندعو من قبل شيئاً (كذلك يضل الله الكافرين) أي كما أضل هؤلاء (ذلكم) أي العذاب الذي نزل بكم (بما كنتم تفرحون) أي تبطرون وتاثرن (في الارض بغير الحق وبما كنتم

أجلامسمى) معناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلامسمى وهو وقت الموت أو يوم القيامة (وله انكم تعقلون) مافي ذلك من العبر والحجج (هو الذي يحي ويميت فاذا قضى أمرافانما يقول له كن فيكون) أي فانما يكونه سريعاً من غير كلفة (لم تر الى الذين يجادلون في آيات الله اني يصرفون) ذكر الجدل في هذه السورة في ثلاثة مواضع خازان يكون في ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصناف أولئك كيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسالتنا) من الكتب (فسوف يعلمون اذا الاغلال في أعناقهم) اذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال وهذا لان الامور المستقبل لما كانت

في أخبار الله تعالى مقطوعاً بما عبر عنها بلغظ ما كان ووجد المعنى على الاستقبال (والسلاسل) عطف على الاغلال والخبر في أعناقهم والمعنى اذا الاغلال والسلاسل في أعناقهم (يسحبون في الحميم) يجرون في الماء الحار (ثم في النار يسجرون) من سجر التنور اذا ملاءه بالوقود ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجرون بالنار ملأوا بها أجوافهم (ثم قيل لهم) أي تقول لهم الخزنة (أيها كنتم تشركون من دون الله) يعني الاصنام التي تعبدونها (قالوا ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا نتفجع بهم (بل لم تكن تدعون من قبل شيئاً) أي تبين اننا لم نكن ندعو شيئاً وما كنا نعبد بعبادتهم شيئاً كما تقول حسب ان فلان شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيراً (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة وطلبتهم الآلهة لم يتصادفوا أو كما أضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين (ذلكم) أي العذاب الذي نزل بكم (بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم

تمرحون) بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان فيقال لهم (ادخلوا ابواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالد بن فيها) مقدر بن الخلود (قبس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) باهلاك الكفار (حق) كائن (فاما نرينك) اصله فان نريك وما من يد لتوكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل الأتركة لاتقول ان تكبرني أكرمك ولكن امانك مني أكرمك (بعض الذي نعدهم أو توفينك فالينا يرجعون) هذا الجزاء متعلق بتوفينك وجزاء نريك محذوف وتقديره واما نريك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أو ان توفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فنذمهم أشد الانتقام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الى الأمم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا أسود فهو بمن لم تذكر قصته في القرآن (وما كان لرسول أن يأتي بأية الا باذن الله) وهذا جواب اقتراحهم الآيات عناد اي (٨٤) اننا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتي بأية الا باذن الله فمن أين لي بان

آتي بأية مما تقرحونه الا ان يشاء الله وياذن في الآيات بها (فاذا جاء أمر الله) أي يوم القيامة وهو وعيسى ورد عقيب اقتراحهم الآيات (قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون) المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادا (الله الذي جعل خلق لكم الانعام) الايل (لتركبو امنها ومنها تأكلون) أي لتركبو بعضها وتأكلوا بعضها (ولكم فيها منافع) أي الالبان والادبار (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم)

تمرحون) أي تحتلون وتفرحون به (ادخلوا ابواب جهنم) يعني السبعة (خالد بن فيها قبس مثوى المتكبرين) أي عن الايمان ﴿ قوله تعالى (فاصبر ان وعد الله حق) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي بنصرك على الاعداء (فاما نرينك بعض الذي نعدهم) أي من العذاب في حياتك (أو توفينك) أي قبل أن يحل ذلك بهم (فالينا يرجعون) ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) أي خبره وحاله في القرآن (ومنهم من لم نقصص عليك) أي ولم نذكر لك حال الباقيين منهم وليس منهم أحد الا أعطاه الله تعالى آيات ومعجزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك فصبر واهدنا تسليته لبيته صلى الله عليه وسلم (وما كان لرسول أن يأتي بأية الا باذن الله) أي بأمره وارا دته (فاذا جاء أمر الله) أي قضاؤه بين الانبياء والامم (قضى بالحق) أي بالعدل (وخسر هنالك المبطلون) أي الذين يجادلون في آيات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم ﴿ قوله تعالى (الله الذي جعل لكم الانعام لتركبو امنها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع) أي في اوصافها وأوبارها وأشعارها وألبانها (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) أي تحمل أثقالكم من بلد الى بلد في أسفاركم وحاجاتكم (وعليها وعلى الفلك تحملون) أي على الابل في البر وعلى السفن في البحر (ويرىكم آياته) أي دلائل قدرته (فأي آيات الله تنكرون) يعني ان هذه الآيات التي ذكرها ظاهرة باهرة فليس شيء منها يمكن انكاره ﴿ قوله تعالى (أفلم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض) يعني مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء في أطراف الارض لعرفوا ان عاقبة هؤلاء المنكرين المتمردين الهالك والبوار مع انهم كانوا أكثر عددا وأموالهم هؤلاء (فما أغنى عنهم) أي لم ينفعهم (ما كانوا يكسبون) أي أي شيء أغنى عنهم كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) أي رضوا (بما عندهم من العلم) قيل هو قوطهم لن نبعث

أي لتبلغوا عليها ما تحتاجون اليه من الامور (وعليها) وعلى الانعام (وعلى الفلك تحملون) ولن أي على الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر (ويرىكم آياته) أي آيات الله تنكرون) انها ليست من عند الله وأي نصب بنسكروا وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأي آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو جار وجماعة غريب وهي في أي أغرب لابهامه (أفلم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم) عددا (وأشد قوة) بدنا (وآثارا في الارض) قصور ومصانع (فما أغنى عنهم) ما نافية (ما كانوا يكسبون) فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) ير يد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعث شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزأوا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للقوائد من علمهم ففرحوا به أو علم الفلاسفة والهدى بين فانهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصعروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط أنه سمع موسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا والمراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح فحك منه واستهزأ به كأنه قال استهزأ بالبينات وبما جازأ به من علم الوحي فرحين به مرسحين

ويدل عليه قوله (وحاق بهم ما كانوا يستهزؤن) أو الفرح للرسول أي الرسول لما رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) أي فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم (سنت الله) بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة (التي قد خلت في عباده) أن الإيمان عند نزول العذاب لا ينفع وأن العذاب نازل بمكذبي الرسل (وخسر هنالك الكافرون) هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون في كل أو أن ولكن يبين خسرتهم إذا عابوا العذاب وفائدة ترادف الفا آت في هذه الآيات أن فما أغنى عنهم نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وقلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فضع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله والله أعلم (سورة فصلت مكية وهي ثلاث وخمسون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم) ان جعلته اسم للسورة كان مبتدأ (تنزيل) خبر وان جعلته تعديدا للحروف كان تنزيلا خبر المبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أو تنزيل مبتدأ (من) (٨٥) الرحمن الرحيم) صفته (كتاب) خبره (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعود ووعيد وغير ذلك (قرآن عريبا) نصب على الاختصاص والمدح أي أريد به هذا الكتاب المفصل قرآنا من صفة كيت وكيت أو على الحال أي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عريبا (لقوم يعلمون) أي لقوم عرب يعلمون منازل عليهم من الآيات المفصلة الميمنة بلسانهم العربي ولقوم يتعلق بتنزيل أو بفصلت أي تنزيل من الله لاجلهم أو فصلت آياته لهم والظاهر

وان نعذب وقيل هو علمهم بأحوال الدنيا يسمى ذلك عاما على ما يدعون به ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل (وحاق بهم ما كانوا يستهزؤن فلما رأوا بأسنا) أي عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أي تبرأنا مما كنا نعبد بالله (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده) يعني ان سنة الله قد جرت في الامم الخالية بعدم قبول الإيمان عند معاناة البأس وهو العذاب يعني بتلك السنة أنهم إذا رأوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم عند معاناة العذاب (وخسر هنالك الكافرون) أي بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يبين خسارته إذا رأى العذاب والله سبحانه وتعالى أعلم بما راده وأسرار كتابه ﴿تفسير سورة فصلت ونسعى سورة السجدة وسورة المصايح وهي مكية وهي أربع وخمسون آية وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفا﴾  
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾  
 ﴿قوله عز وجل (حم) تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته) أي بينت وميزت وجعلت معاني مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعود ووعيد (قرآن عريبا) أي باللسان العربي (لقوم يعلمون) أي إنما نزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم ما فهموه (بشيرا ونذيرا) نعمتان للقرآن أي بشيرا والاولياء الله بالثواب ونذيرا للاعداء بالعقاب (فاعرض أكثرهم) أي عنه (فهم لا يسمعون) أي لا يصغون اليه تكبرا (وقالوا) يعني مشركي مكة (قلو بنا في أكنة) أي أغطية (بما تدعوننا اليه) أي فلا فقه ما تقول (وفي آذاننا قفر) أي صمم فلانسمع ما تقول. والمعنى اناني ترك القبول منك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) أي خلاف في الدين وحاجز في الملة فلانوافقك على ما تقول (فاعمل) أي أنت على دينك (اننا عاملون) أي على ديننا (قل) يا محمد (انما أنا بشر مثلكم) أي كواحد منكم (يوحى الي) أي لولا الوحي ما دعوتكم قال الحسن عليه السلام تعالى التواضع (انما الحكم الواحد فاستقيموا اليه) أي

ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أي قرآن عريبا كأننا لقوم عرب (بشيرا ونذيرا) صفتان لقرآنا (فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) أي لا يقبلون من قولك تشفت إلى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعوا ولكنه لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه (وقالوا قلوا بنا في أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (بما تدعوننا اليه) من التوحيد (وفي آذاننا قفر) ثقل يمنع من استماع قولك (ومن بيننا وبينك حجاب) ستر وهذه تمثيلات لنسبوا قولهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذها وجميع أسماعهم له كان بها صمما عنه وتباعدا المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه بحجاب ساتر أو حاجز منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا وفاقم على ابطال أمرنا اننا عاملون في ابطال أمرك وفائدة زيادة من أن الحجاب ابتدأنا وابتدأنا منك فالمسافة المتوسطة لجهتكم واستوعبت بالحجاب لافراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين (قل) انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الحكم الواحد) هذا جواب لقولهم قلوا بنا في أكنة ووجهه أنه قال لهم اني لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحى الي دونكم فصحت نبوتى بالوحي الي وأنا بشر واذ صحت نبوتى وجب عليكم انبايعى وفيا يوحى الي أن الحكم الواحد (فاستقيموا اليه) فاستورا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين بيننا ولا شمالا ولا ملتفتين الي ما يسول لكم



الشیطان من اتخاذ الاولیاء والشفعاء (واستغفروه) من الشرك (وویل للمشرکین الذین لا یؤتون الزکاة) لا یؤمنون بوجوب الزکاة ولا یعطونها ولا یفعلون ما ینبغون به ازکیاء وهو الایمان (وهم بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (هم کافرون) وانما جعل منع الزکاة مقر ونابالکفر بالآخرة لان أحب الشئ الی الانسان ماله وهو شقیق روحه فاذا بذله فی سبیل الله فذلک أقوى دلیل علی استقامته وصدق نیته ونضوع طویته و ماخذع المؤلفه فلو بهم الابلمظة من الدنیا فقرت عصبیتهم ولا نت شکیمتهم ومارتدت بنوحنیفة الایمنع الزکاة وفیه بعث للمؤمنین علی أداء الزکاة ونحوه فشدید من منعها (ان الذین آمنوا و عملوا الصالحات لهم اجر غیر ممنون) مقطوع قیل نزلت فی المرضی والزمنی والهرمی اذا عجز واعن الطاعة کتب لهم الاجر کما صح ما کانوا یعملون (قل انکم لتکفرون بالذی خلق الارض فی یومین) الاحد والاثین تعلیماً للآئاة ولو (٨٦) أراد ان یخلقها فی لحظة لفعل (وتجعلون له اعداء) شرکاء و أشباها (ذلک) الذی

خلق ماسبق (رب العالمین) خالق جمیع الموجودات وسیدها ومریمها (وجعل فیها) فی الارض (رواسی) جبالاً ثوابت (من فوقها) انما اختار ارساءها فوق الارض لتکون منافع الجبال ظاهرة لتالیها ولیبصر ان الارض والجبال اتقال علی اتقال کلها مفتقرة الی تمسک وهو الله عزوجل (وبارك) بالماء والزرع والشجر والثمر (فيها) فی الارض وقیل وبارک فیها و اکثر خیرها (وقدر فیها اقواتها) أرزاق أهلها ومعایشهم وما یصلحهم وقرأ ابن مسعود رضی الله عنه وقسم فیها اقواتها (فی أربعة أيام) فی تمتة أربعة أيام یرید بالتتمة الیومین تقول سرت من البصرة الی بغداد فی

توجهوا الیه بطاعته ولا یمیلوا عن سبیله (واستغفروه) أي من ذنوبکم وشركکم (وویل للمشرکین الذین لا یؤتون الزکاة) قال ابن عباس لا یقولون لاله الا الله لا یهازکاة الانفس والمعنی لا یطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحید وقیل لا یفرون بالزکاة المفروضة ولا یرون آتیاها واجبا یقال الزکاة فنطرة الاسلام فمن قطعها نجما ومن تخلف عنها هلك وقیل معناه لا ینفقون فی طاعة الله ولا یتصدقون وقیل لا یزکون أعمالهم (وهم بالآخرة هم کافرون) أي جاحدون بالبعث بعد الموت (ان الذین آمنوا و عملوا الصالحات لهم اجر غیر ممنون) قال ابن عباس غیر مقطوع وقیل غیر منقوص وقیل غیر ممنون علیهم به وقیل غیر محسوب قیل نزلت هذه الآية فی المرضی والزمنی والهرمی اذا عجز واعن العمل والطاعة بکتب لهم الاجر کما صح ما کانوا یعملون فیہ (خ) عن أنى موسى الأشعری قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم غیر مرة ولا مرتین یقول اذا کان العبد یعمل عملاً صالحاً فشفعه عنه مرض أو سفر کتب الله تعالی له کصالح ما کان یعمل وهو صحیح مقیم ﴿قوله عزوجل﴾ (قل انکم) استفهام بمعنی الانکار وذکر عنهم شینین منکرین أحدهما الکفر بالله تعالی وهو قوله تعالی (لتکفرون بالذی خلق الارض فی یومین) وثانیهما (وتجعلون له اعداء) اثبات الشرکاء والاعداء والمعنی کیف یجوز جعل هذه الاصنام الخسیسة اعداء الله تعالی مع انه تعالی هو الذی خلق الارض فی یومین یعنی الاحد والاثین (ذلک رب العالمین) أي هورب العالمین وخالقهم المستعق للعبادة لا الاصنام المنحوتة من الخشب والحجر (وجعل فیها رواسی) أي جبالاً ثوابت (من فوقها) أي من فوق الارض (و بارک فیها) أي فی الارض بکثرة الخیرات الحاصلة فیها وهو ما خلق فیها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق اصناف الحیوانات وكل ما یمحتاج الیه (وقدر فیها اقواتها) أي قسم فی الارض أرزاق العباد والبهائم وقیل قدر فی کل بلدة ما لم یجعل فی الاخری لیبیش بعضهم من بعض بالتجارة وقیل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر والتمر لاهل قطر والسمن لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات وقیل ان الزراعة کثیر الحرف بركة لان الله تعالی وضع الاقوات فی الارض قال الله تعالی وقدر فیها اقواتها (فی أربعة أيام) أي مع الیومین الاولین خلق الارض فی یومین وقدر الاقوات فی یومین وهما یوم الثلاثاء و یوم الاربعاء فصارت أربعة أيام رد الآخر علی الاول فی الذکر (سواء لساثلین) معناه سواء لمن سأل عن ذلک أي فهكذا الامر سواء لایزاد فیہ ولا نقصان جواب لمن سأل فی کم خلقت الارض والاقوات

عشرة والی السکوقة فی خمسة عشرة أي تمتة خمسة عشر ولا بد من هذا التقدير لانه لو أجرى

علی الظاهر لکانت ثمانية أيام لانه قال خلق الارض فی یومین ثم قال وقدر فیها اقواتها فی أربعة أيام ثم قال فقضاهن سبع سموات فی یومین فیکون خلاف قوله فی ستة أيام فی موضع آخر وفى الحدیث ان الله تعالی خلق الارض یوم الاحد والاثین وخلق الجبال یوم الثلاثاء وخلق یوم الاربعاء الشجر والماء والعمران والخراب فتلک أربعة أيام وخلق یوم الخمیس السماء وخلق یوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وخلق آدم علیه السلام فی آخر ساعة من یوم الجمعة قیل هی الساعة الی تقوم فیها القيامة (سواء) یعقوب صفة للایام أي فی أربعة أيام مستویات تامات سواء بالرفع یرید أي هی سواء غیرهما سواء علی المصدر أي استوت سواء أي استواء أو علی الحال (للساثلین) متعلق بقدر أي قدر فیها الاقوات لاجل الطالبین لها والمحتاجین الیه لان کلما یطلب القوت یرسأله او یمجدوف کانه قیل هذا الحصر لاجل من سأل فی کم خلقت الارض وما فیها

(ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض انقيا طوعا وكرها قالتا ائبنا طاعتين) هو مجاز عن ايجاد الله تعالى السماء على ما أراد  
 تقول العرب ففعل فلان كذا ثم استوى الى عمل كذا يريدون أنه اكل الاول وابتدأ الثاني ويفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق  
 الارض وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما وعنه أنه قال أول ما خلق الله تعالى جوهره طوله وعرضها مسيرة ألف سنة في مسيرة عشرة  
 آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطر بت ثم نار منها دخان بتسلط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد  
 أرضا والدخان سماء ومعنى أمر السماء والارض بالانقيان وامتثالهما أنه أراد ان يكونهما فلم يمتنع عليهما ووجدتا كما أرادهما وكان اتى ذلك  
 كالأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الأمر المطاع وانما ذكر الارض مع السماء في الامر بالانقيان الارض مخلوقة قبل السماء بيومين لانه قد خلق  
 جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك (٨٧) دحاها فلم يمتنع ان انقياعا على ما ينبغي

عليه أن تأتي من الشكل  
 والوصف اثنى بأرض  
 مدحوة قبرا ومهادا  
 لأهلك واثني ياسماء مقبية  
 سقفا لهم ومعنى الاتيان  
 الحصول والوقوع كما  
 تقول اثنى عمله مرضيا  
 وقوله طوعا وكرها لبيان  
 تأثير قدرته فيهما وان  
 امتناعهما من تأثير قدرته  
 محال كما تقول لمن تحت  
 يدك لتفعلن هذا شئت  
 أو أبيت وتفعلنه طوعا أو  
 كرها واتصاهما على الحال  
 بمعنى طاعتين أو مكرهتين  
 وانما يقل طاعتين على  
 اللفظ أو طاعات على  
 المعنى لانهما سموات  
 وأرضون لانهم لما جعلن  
 مخاطبات ومحبيات ووصفهن  
 بالطوع الكره قيل  
 طاعتين في موضع طاعات  
 كقوله ساجدين (فقضاهن)  
 فاحكم خلقهن قال

(ثم استوى الى السماء) أي عمد الى خلق السماء (وهي دخان) ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش  
 قبل خلق السموات والارض على الماء فاما أراد الله تعالى أن يخلق السموات والارض أمر الريح فضربت  
 الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم أيس الماء فخلق أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعة فان  
 قلت هذه الآية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعرا بان خلق  
 الارض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور انه تعالى خلق الارض أولا ثم خلق السماء  
 بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدحا وجواب آخر وهو أن يقال ان خلق السماء مقدم على خلق  
 الارض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الارض في يومين وليس الخلق عبارة عن الابداد والتكوين فقط  
 بل هو عبارة عن التقدير أيضا فيكون المعنى قضى أن يحدث الارض في يومين بعد احداث السماء فعلى هذا  
 يزول الاشكال والله أعلم بالحقيقة (فقال لها وللارض انقيا طوعا وكرها) أي انقيا ما أمرتكما به أو افعلاه  
 وقيل افعلاهما أمرتكما طوعا والأجتماع الى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع (قالتا ائبنا طاعتين) معناه  
 ائبنا بما فينا طاعتين فاما وصفهما بالقول أجزاهما في الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما أخرجا  
 ما خلقت فيكما من المنافع لصالح العباد اما أنت ياسماء فاطلمي شمسك وقمرك ونجومك وأنت يا أرض فشق  
 أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك ﴿ وقوله تعالى ﴾ (فقضاهن سبع سموات) أي أتمهن وفرغ من خلقهن  
 (في يومين) وهما الخميس والجمعة (وأوحى في كل سماء أمرها) قال ابن عباس خلق في كل سماء خلقا من  
 الملائكة وقال وخلق ما فهمان البعار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل أوحى الى كل سماء ما أراد من  
 الامر والنهي (وزينا السماء الدنيا) أي التي تلى الارض (بمصابيح) أي بكواكب تشرق كالمصابيح  
 (وحفظا) أي وجعلناها بعين الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) أي  
 الذي ذكر من صنعه وخالقه (تقدير العزيز) أي في ملكه (العليم) أي بخلقه وفيه اشارة الى كمال القدرة والعلم  
 ﴿ قوله تعالى ﴾ (فان أعرضوا) يعني هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) أي  
 خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أي هلا كما مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شيء (اذ جاءتهم  
 الرسل) يعني الى عاد وثمود (من بين أيديهم) يعني الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم (ومن خلفهم) يعني ومن بعد  
 الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم وهم الرسل الذين أرسلوا اليهم وعما هو دوصالح وانما خص هاتين القبيلتين

وعليهما مسرودتان قضاهما والضمير يرجع الى السماء لان السماء لا جنس ويجوز أن يكون ضمير أمهما مفسرا بقوله (سبع سموات)  
 والفرق بين النصيبين في سبع سموات ان الاول على الحال والثاني على التمييز (في يومين) في يوم الخميس والجمعة (وأوحى في كل سماء أمرها)  
 ما أمر به فيها وادبره من خلق الملائكة والنبيران وغير ذلك (وزينا السماء الدنيا) القريبة من الارض (بمصابيح) بكواكب (وحفظا) وحفظناها  
 من المسترقة بالكواكب حفظا (ذلك تقدير العزيز) الغالب غير المغلوب (العليم) بمواقع الامور (فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا  
 البيان (فقل أنذرتكم) خوفتكم (صاعقة) عذابا شديد الوقوع كأنه صاعقة أو صلها عن مدعها نار (مثل صاعقة عاد وثمود) اذ جاءتهم الرسل من  
 بين أيديهم ومن خلفهم (أي أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن  
 قبلهم من الامم وعذاب الآخرة

(أن) بمعنى أي أو مخففة  
 من الثقبلة أصله بانه  
 (لتعبدوا الله قالوا) أي  
 القوم (لوشاعر بنا)  
 ارسال الرسل ففعل شاه  
 محذوف (لانزل ملائكة  
 فانابما أرسلتم به كافرون)  
 معناه فاذا أتم بشروا لستم  
 بملائكة فانان نؤمن بكم  
 وبما جئتم به وقوله أرسلتم  
 به ليس باقترار بالارسال  
 وانما هو على كلام الرسل  
 وفيه تهكم كما قال فرعون  
 ان رسولكم الذي أرسل  
 اليكم لجنون وقولهم فانابما  
 أرسلتم به كافرون خطاب  
 منهم لهود وصالح ولسائر  
 الانبياء الذين دعوا الى  
 الايمان بهم روى ان قريشا  
 بعثوا عتبة بن ربيعة  
 وكان أحسنهم حديثا  
 ليحكم رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وينظر ما يريد  
 فاتاه وهو في الحظيم فلم يسأل  
 شيئا الا أجابه ثم قرأ عليه  
 السلام السورة الى قوله  
 مثل صاعقة عاد وثمود  
 فناشده بالرحم وأمسك  
 على فيه ووثب مخافة أن  
 يصب عليهم العذاب  
 فاخبرهم به وقال لقد  
 عرفت السحر والشعر  
 فوالله ما هو بساحر ولا  
 بشاعر فقالوا لقد صبأت  
 أمافهمت منه كلمة فقال لا  
 ولم أهتد الى جوابه فقال  
 عثمان بن مظعون ذلك

لان قريشا كانوا يعرون على بلادهم (أن لا) أي بان لا (تعبدوا الا الله قالوا لوشاعر بنا لانزل ملائكة)  
 يعني لوشاعر بنادوة الخلق لانزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل (فانابما أرسلتم به كافرون) روى البيهقي  
 باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال الملاء من قريش وأبو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو انتمست  
 رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكامه ثم أنانا يبيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد  
 سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه  
 قال يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فم تشتم أمهنا وتضل آباءنا فان  
 كان مابك للرياسة عقد نالك ألويتنا فكنت رئيسا ما بقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة  
 تختارهن من أي بنات قريش وان كان بك المال جعلنا لك ما تستغي به أنت وعقبك من بعدك ورسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم  
 كتاب فصلت آياته الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على  
 فيه وناشده الرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله  
 ما نرى عتبة الا قد صبأ الى محمد وأعجب طعمه وما ذاك الا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه  
 فقال أبو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك صبوت الى محمد وأعجبك طعمه فان كانت بك حاجة جعلنا  
 لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أني  
 من أكثر قريش ما لا أوليكني آتيته وقصصت عليه القصة فاجابني بشي والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر  
 وقرأ السورة الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشده  
 الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيئا لم يكذب خفت أن ينزل بك العذاب وقال محمد بن كعب  
 القرظي حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدا علميا قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وحده في المسجد يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فكامه وأعرض عليه أمورا العله يقبل منا  
 بعضها فنهط عليه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثر  
 قالوا بلى يا بالوليد فقم اليه وكمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي انك  
 منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكانة في النسب وانك قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم  
 وسفقت أحلامهم وعيبت آلهتهم وكفرت من مضي من آياتهم فاستمع مني أعرض عليك أمور انظر  
 فيها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا بالوليد فقال يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت به ما لاجعلنا لك من  
 أموالنا حتى تكون من أكثرنا لا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذي بك ريثا تراه  
 لا تستطيع رده طلبنا لك الطب أو لعل هذا شعر جاش به صدرك فنعنرك فانكم لعمرى بنى عبد المطلب  
 تقدرون من ذلك على ما لا يقدر عليه أحد حتى اذا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقدر غت يا أبا  
 الوليد قال نعم قال فاستمع مني قال فافعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب  
 فصلت آياته ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت وأتقى يده خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى  
 انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال سمعت يا بالوليد فانت وذاك فقام عتبة الى  
 أصحابه فقال بعضهم لبعض نخلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جالس اليهم قالوا  
 ما وراءك يا بالوليد قال ورائي اني سمعت قولوا والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة يا معشر  
 قريش أطيعوني يا معشر قريش خاوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي  
 سمعت منه نبأ فان نصبه العرب فقد كفتيموه بغيركم وان يظهر على العرب فلكم ملككم وعزه عزكم وأتم  
 أسعد الناس به قالوا سحرك والله محمدا بالوليد بلسانه قال هذا رأيت لكم فاصنعوا ما بآدابكم قوله عز وجل

والله لتعلموا انه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال

(فاما)

(فاما عاد فاستكبر وافي الارض بغير الحق) أي تعظموافيهاعلى أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام أو استولوا على الارض بغير استحقاق للولاية (وقالوا من أشد مناقوة) كانوا ذرى أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده (أولم يروا) ألم يعلموا عما يقوم مقام العيان (أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) أوسع منهم قدرة لانه قادر على كل شيء وهم قادرون على بعض الاشياء بقدراره (وكانوا يا آياتنا يجحدون) معطوف على فاستكبروا أي كانوا يعترفون انها حق ولكنهم يجحدونها كما يجحد المودع الوديعه (فارسلنا عليهم محاصر صرا) عاصفة تصرصر أي تصوت في هبوبها من الصرير أو باردة تحرق بشدة بردها تكبر لبناء الصر وهو البرد قيل انها الدبور (في أيام نحسات) مشؤمات عليهم نحسات مكي وبصري ونافع ونحس نحسات قبيض سعد سعدا وهو نحس وأمانحس فاما مخفف نحس أو وصفه على فعل أو وصف بمصدر وكانت من الاربعاء في آخر شوال الى الاربعاء وما عذب قوم الا في الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) أضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على أنه وصف للعذاب كما أنه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء ويدل عليه قوله (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي بأبلغ من وصفهم به فستان ما بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر (وهم لا ينصرون) من الاصنام التي عبدوها على رجاء النصر

(٨٩)

لهم (وأما نوح) بالرفع على الابتداء وهو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء والخبر (فهديناهم) وبالنصب المفضل باضمار فعل يفسره فهديناهم أي بينا لهم الرشدا (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختروا الكفر على الايمان (فاخذتهم صاعقة العذاب) داهية العذاب (الهلون) الهوان وصف به العذاب مبالغة وأبدله منه (بما كانوا يكسبون) بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم وقال الشيخ أبو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين كما بينا

(فاما عاد فاستكبر وافي الارض بغير الحق وقالوا من أشد مناقوة) وذلك ان هو داهدهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذرى أجسام طوال قال الله تعالى رداعليهم (أولم يروا) أي أولم يعلموا (أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) وكانوا يا آياتنا يجحدون فارسلنا عليهم محاصر صرا) أي عاصفا شديدا الصوت وقيل هي الريح الباردة قيل ان الريح ثمانية فاربعة منها عذاب وهي الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم وأربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل أرسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فاهلكوا جميعا (في أيام نحسات) أي نكدات مشؤمات ذات نحس وقيل ذات غبار وتراب تأثر لا يكاد يبصر فيه وقيل أمسك الله عز وجل عنهم المطر ثلاث سنين ودأبت عليهم الريح من غير مطر (لنذيقهم عذاب الخزي) أي عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبر وافي الارض بغير الحق (في الحياة الدنيا) أي ذلك الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة أخزى) أي أشد اهانة (وهم لا ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب (وأما نوح فهديناهم) قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والنشر (فاستحبوا العمى على الهدى) أي اختاروا الكفر على الايمان (فاخذتهم صاعقة العذاب الهون) أي ذى الهوان (بما كانوا يكسبون) أي من الشرك (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) أي يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه (وقوله تعالى) (ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون) أي يساقون ويدفعون وقيل يحبس أولهم حتى يلحق آخرهم (حتى اذا ما جاؤها) يعني النار (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) أي بشراتهم وقيل فروجهم (بما كانوا يعملون) معناه ان الجوارح تنطق بما كتبت الالسن من عملهم (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل ندرون ماضحك قلنا الله

(١٢ - (خازن) - رابع)

ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فاما الهدى المضاف الى الخلق يكون بمعنى البيان لاغير وقال صاحب الكشاف فيه فان قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردهته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنتهم فإزاح عنهم ولم يبق لهم عذر فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها يقتضيها وانما حمل بهذا الالنه لا يمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد (ونجينا الذين آمنوا) أي اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة (وكانوا يتقون) اختيار العمى على الهدى (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) أي الكفار من الاولين والآخرين نحشر أعداء نافع ويعقوب (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أي كفته (حتى اذا ما جاؤها) صاروا يحضرتها وما مزيدة للتأكيذ ومعنى التأكيذ ان يكون وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يحلو منها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) شهادة الجلود بلامسة الحرام وقيل هي كناية عن الفروج

(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) لما تعاضهم من شهادتها عليهم (قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس  
 بجيب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وهو قادر على انشاءكم أول مرة وعلى اعادتكم  
 ورجوعكم الى جزائه (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أي انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند  
 ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين  
 بالبعث والجزاء أصلا (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) ولكنكم انما استترتم لظننكم أن الله

(٩٠)

لا يعلم كثيرا مما كنتم

ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه عز وجل يقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فاني  
 لأجيز اليوم على نفسي الا شاهد امني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والكرام الكاتبين  
 عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاعضائه انطقي فتتطرق باعماله ثم يخجل بينه وبين الكلام فيقول بعدا  
 لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (وقالوا) يعني الكفار الذين يجررون الى النار (جلودهم لم شهدتم علينا  
 قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) معناه ان القادر الذي خلقكم أول مرة في الدنيا وأنطقكم ثم أعادكم بعد  
 الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وقيل تم  
 الكلام عند قوله الذي أنطق كل شيء ثم ابتداء بقوله وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من  
 جواب الجلود (وما كنتم تستترون) أي تستخفون وقيل معناه تظنون (أن يشهد عليكم سمعكم ولا  
 أبصاركم ولا جلودكم) والمعنى انكم لا تقدررون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون أنها تشهد عليكم  
 (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الكفار يقولون ان الله  
 لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال اجتمع عند البيت  
 ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليلا ففقه قلوبهم فقال أحدهم أترون ان الله تعالى  
 يسمع ما تقول قال الآخر يسمع اذا جهرنا ولا يسمع ان أخصينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع  
 اذا أخصينا فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم  
 ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفى هو عبد البليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية <sup>قوله</sup>  
 تعالى (وذلك ظنكم الذي ظننتم بركم) أي ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (أرداكم) أي أهلككم  
 قال ابن عباس طرحكم في النار (فاصبحت من الخاسرين) ثم أخبر عن حالهم بقوله تعالى (فان يصبروا فالنار  
 مثوى لهم) أي مسكن (وان يستعجبوا) أي يسترضوا ويطلبوا العتبي والمعتب هو الذي قبل عتابه وأجيب  
 الى ما سأل (فاهم من المعتبين) أي المرضيين (وقيضنا لهم) أي بعثنا ووكنا وقيل هيأنا لهم وسببنا لهم (قرناء)  
 أي نظراء من الشياطين حتى أضاهوهم (فزينوا لهم ما بين أيديهم) أي من أمر الدنيا حتى آثروهم على الآخرة  
 (وما خلفهم) أي فدعوهم الى التكذيب بالآخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم أعمالهم الصالحة الماضية  
 والمستقبلة (وحق عليهم القول) أي وجب (في أمم) أي مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم  
 كانوا خاسرين) <sup>قوله</sup> تعالى (وقال الذين كفروا) يعني مشركي قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا  
 فيه) قال ابن عباس والغوا فيه من اللغظ وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصى الى بعض اذا رأيتهم محمدا  
 يقرأ فعارضوه بالرجز والشعرو قيل أ كثروا الكلام حتى يتخاط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء  
 والصغير وقيل صيحوافى وجهه (لعلكم تغلبون) يعني محمدا على قراءته (فلندينن الذين كفروا عذابا شديدا

لا يعلم كثيرا مما كنتم  
 تعملون وهو الخفيات  
 من أعمالكم (وذلكم  
 ظنكم الذي ظننتم بركم  
 أرداكم) وذلك الظن  
 هو الذي أهلككم وذلكم  
 مبتدأ وظنكم خبر والذي  
 ظننتم بركم صفة وأرداكم  
 خبر ثان وظننكم بدل  
 من ذلك وأرداكم  
 الخبر (فاصبحت من  
 الخاسرين فان يصبروا  
 فالنار مثوى لهم) أي فان  
 يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم  
 ينفكوا به من السواء في  
 النار (وان يستعجبوا  
 فاهم من المعتبين) وان  
 يطلبوا الرضا فاهم من  
 المرضيين وان يسألوا  
 العتبي وهو الرجوع  
 جزعناهم فيه لم يعتبوا  
 أي لم يعطوا العتبي ولم  
 يجابوا اليها (وقيضنا لهم)  
 أي قدرنا للمشركي مكة يقال  
 هذان ثوبان قيسان أي  
 مثلان والمقايضة المعاوضة  
 وقيل سلطنا عليهم (قرناء)

ولنجز ينهم

أخذنا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

(فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها وما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما  
 خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) كلمة العذاب (في أمم) في جملة أمم ومجمله انصب على الحال من الضمير  
 في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم (قد خلت من قبلهم) قبل أهل مكة (من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) هو تعليل  
 لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم (وقال الذين كفروا ولا تسمعوا لهذا القرآن) اذا قرئ (والغوا فيه لعلكم تغلبون) وعارضوه بكلام  
 ضير معهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته والغوا الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته (فلندينن الذين كفروا عذابا شديدا)

يجوز أن يز يد بالذين كفر واهؤلاء اللاعنين والأمر من لهم بالغوا خاصة ولكن يد سكر الذين كفر واعامة لينطو وان تحت ذكركم (ولنجز بهم أسوأ الذي كانوا يعملون) أي أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم وهو الكفر (ذلك جزاء أعداء الله) ذلك إشارة الى الاسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة (النار) عطف بيان للجزاء وأخبر مبتدأ محذوف (لهم فيها دار الخلد) أي النار في نفسهم اذ الخلد كقولك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها (جزاء) أي جوزوا بذلك جزاء (بما كانوا يأتنا يمحذون وقال الذين كفروا ربنا أرنا) وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في غنختمكي وشامى وأبو بكر وبالاختلاس أبو عمرو (الذين أضلانا) أي الشيطانين الذين أضلانا (من الجن والانس) لان الشيطان (٩١) على ضرب بين جنى وانسى قال الله تعالى

وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين (ان الذين أضلناهم ايانا في النار جزاء أضلناهم ايانا) (ان الذين قالوا ربنا الله) أي نطقوا بالتوحيد (ثم استقاموا) ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولاً وعنه انه تلاها ثم قال ماتقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حلتهم الامر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضى الله عنه لم يرجعوا روغان الثعلب أي لم يوافقوا وعن عثمان رضى الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضى الله عنه ادوا الفرائض وعن الفضيل زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار

ولنجز بهم أسوأ) يعني بأسوأ (الذي كانوا يعملون) أي في الدنيا وهو الشرك (ذلك) أي الذي ذكر من العذاب (جزاء أعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار لهم فيها دار الخلد) أي دار الاقامة لا انتقال لهم عنها (جزاء بما كانوا يأتنا يمحذون وقال الذين كفروا) أي في النار (ربنا) أي يقولون يا ربنا (أرنا) الذين أضلنا من الجن والانس) يعنون ابليس وقايل بن آدم الذي قتل أخاه لانهما سنا المعصية (نجعلهما تحت أقدامنا) أي في النار (ليكونا من الاسفلين) أي في الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا أشد عذاباً من قوله عز وجل (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال أهل التحقيق كمال الانسان أن يعرف الحق لذاته لا لاجل العمل به ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ورأس الاعمال الصالحة أن يحسب الانسان مستقيماً في الوسط غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط فتكون الاستقامة في امر الدين والتوحيد فتكون في الاعمال الصالحة مثل أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيئاً وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا ترغ وروغان الثعلب وقال عثمان رضى الله تعالى عنه استقاموا أخلصوا في العمل وقال علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ادوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على امر الله فعلموا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة أن لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة (تنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشري تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث (أن لا تخافوا) أي من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من امر الآخرة (ولا تخزنوا) أي على ما خلفتم من أهل وولد فانما خلفكم في ذلك كما وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تخزنوا فانما أغفرها لكم (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم) أي تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشري نحن أولياؤكم أي انصاركم واحباؤكم وقيل لهم الحفظة نحن كنا معكم (في الحيوة الدنيا) نحن أولياؤكم (في الآخرة) لانفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها) أي في الجنة (ما تشتهى أنفسكم) أي من الكرامات واللذات (ولكم فيها ما تدعون) أي تمنونه (نزلاً) أي رزقا والنزل رزق النزول والنزول هو الضيف (من غفور رحيم) قال أهل المعاني كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الآية جارية مجرى النزول والكريم اذا أعطى هذا النزول فاطنك بما بعد من اللطاف والكرامة (وقوله تعالى) (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله) أي الى طاعة الله تعالى قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة أن لا اله

بعد الاقرار بالقرار بعد الاقرار (تنزل عليهم الملائكة) عند الموت (ان) بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بانه (لا تخافوا) والهاء ضمير الشأن أي لا تخافوا ما تقدمون عليه (ولا تخزنوا) على ما خلفتم فالتخوف غم يلحق الانسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا وقال محمد بن علي الترمذي تنزل عليهم ملائكة الرحمة عند مفارقة الارواح الابدان أن لا تخافوا سلب الايمان ولا تخزنوا على ما كان من العصيان وأبشروا بدخول الجنان التي كنتم توعدون في سالف الزمان (نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة) كما أن الشياطين قرناء العصاة واخراهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين واحباؤهم في الدار بن (ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم) من النعيم (ولكم فيها ما تدعون) تمنون (نزلاً) هو رزق النزول وهو الضيف وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة أو من (من غفور رحيم) نعمته (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله)

الى عبادته هورسول الله دعالي التوحيد (وعمل صالحا) خالصا (وقال اني من المساهين) نفاخا بالاسلام ومعتمدا له أو صاحباه عليه السلام أو المؤذنون أو جميع الهداة والدعاة الى الله (ولانستوى الحسنة ولا السيئة اذ دفع بالتي هي أحسن) يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فدفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك كالأساء اليك رجل اساءة فالحسنة أن تغفوعنه والتي هي أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فانك اذا فعلت ذلك أنقلب عدوك المشاق مثل الولد الحميم مصافاة لك ثم قال (وما يلقاها) أي وما يلقى هذه الحسنة التي هي (٩٢) مقابلة الاساءة بالاحسان (الالذين صبروا) الأهل الصبر (وما يلقاها الا ذو حظ

عظيم) الرجل خير وفق  
 لحظ عظيم من الخير وانما  
 لم يقل دفع بالتي هي أحسن  
 لانه على تقدير قائل قال  
 فكيف اصنع فقال ادفع  
 بالتي هي أحسن وقيل  
 لامزجة للتاكيد والمعنى  
 لا يستوى الحسنة والسيئة  
 وكان القياس على هذا  
 التفسير ان يقال ادفع  
 بالتي هي حسنة ولكن  
 وضع التي هي أحسن موضع  
 الحسنة ليكون ابلغ في  
 الدفع بالحسنة لان من  
 دفع بالحسنى هان عليه  
 الدفع بمادونها وعن ابن  
 عباس رضى الله عنهما  
 بالتي هي أحسن الصبر عند  
 الغضب والحلم عند الجهل  
 والعدو عند الاساءة وفسر  
 الحظ بالتواب وعن الحسن  
 والله ما عظم حظ دون الجنة  
 وقيل نزلت في أبي سفيان  
 ابن حرب وكان عدوا مؤذيا  
 للنبي صلى الله عليه وسلم  
 فصار وليا مضافيا (وما

الاله وقيل هو المؤمن أجاز الله تعالى فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما أجاز اليه (وعمل صالحا) في اجابته  
 وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين وقيل ان كل من دعاه الى الله تعالى بطريق  
 من الطرق فهو داخل في هذه الآية وللدعوة الى الله تعالى مراتب \* الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة  
 والسلام الى الله تعالى بالهجات وبالحنج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الانبياء \* الرتبة  
 الثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالحنج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء  
 بأحكام الله \* المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين  
 الله وطاعته \* المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم أيضا دعاه الى الله تعالى الى طاعته وعمل صالحا  
 قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من أعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح  
 وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة (ق) عن عبد الله بن مغفل قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة وقال في الثالثة لمن  
 شاء \* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد أخرجه أبو داود والترمذى وقال  
 هذا حديث حسن (وقال اني من المسلمين) قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب  
 فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلقظ به ﴿ قوله تعالى (ولانستوى الحسنة ولا السيئة) يعني الصبر والغضب  
 والحلم والجهل والعدو والاساءة (ادفع بالتي هي أحسن) قال ابن عباس أمره بالصبر عند الغضب والحلم  
 عند الجهل والعدو عند الاساءة (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) أى صديق قريب قيل نزلت  
 في أبي سفيان بن حرب وذلك حيث لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى  
 الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام جيا بالقرابة (وما يلقاها) أى وما يلقى هذه الحسنة والفعلة وهي دفع  
 السيئة بالحسنة (الالذين صبروا) أى على تحمل المكروه وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام  
 (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أى من الخير والتواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعني ما يلقاها الامن وجبت له  
 الجنة (واما ينزغك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه أى يبعثه  
 الى ما لا ينبغي ومعنى الآية وان صرفك الشيطان عما وصبت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) أى  
 من شره (انه هو السميع) أى لاستعاذتك (العليم) باحوالك ﴿ قوله تعالى (ومن آياته) أى ومن دلائل  
 قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته (الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) أى  
 انهما مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان السجود عبادة عن نهاية التعظيم (واسجدوا لله الذى  
 خلقهن) أى المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر (ان كنتم اياه تعبدون)

ينزغك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي  
 وجعل النزغ نازعا كما قيل جد جده أو أريد وما ينزغك نازغ وصف للشيطان بالصدر أو لتسويبه والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصبت به  
 من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على حملك ولا تطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) ينزغ الشيطان (ومن  
 آياته) الدالة على وحدانيته (الليل والنهار) في تعاقبهما على حدم معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (والشمس والقمر) في اختصاصهما بسير  
 مقدر ونو ر مقرر (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) فانهما مخلوقان وان كثرت منافعهما (واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون)  
 الضمير في خلقهن للآيات أو الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الاتى أو الاناث تقول الاقلام بريتها ويريتها

واهل ناسامنهم كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فهو اعن هذه الواسطة وأمر وان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا لله (فان استكبر وقال الذين عند ربك) أي الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون والمعنى فان استكبر وأولم يمتثلوا لأمر ربه وأبوا الا الواسطة وأمر وان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا فدعهم وشأنهم فان الله تعالى لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن

(٩٣)

الزنى والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا لا يسأمون وعند الشافعي رجه الله عند تعبدون

والاول أحسوط (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) يابسة مغبرة والخشوع التذلل فاستعير

لحال الارض اذا كانت لحظة لانبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر

(اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) اتفتخت (ان الذي أحياها لمحبي الموتى

انه على كل شيء قدير) فيكون قادرا على البعث

ضرورة (ان الذين يلحدون في آياتنا) يميلون عن

الحق في أدلتنا بالظن يقال الحد الحافر والحد اذا

مال عن الاستقامة ففر في شق فاستعير لحال

الارض اذا كانت ملحودة فاستعير للانحراف في

تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة

يلحدون حمزة لا يخفون

يعني ان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون أن سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله عز وجل فهو اعن السجود لهذه الواسيط وأمر وبالسجود لله الذي خلق هذه الاشياء كلها (فان استكبر وا) أي عن السجود لله (فالذين عند ربك) يعني الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) أي لا يفترون ولا يملون

فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفي موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لأصحاب الشافعي أحدهما انه عند قوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه

الرافعي عن أبي حنيفة وأجدلان ذكر السجدة قبله والثاني وهو الاصح عند أصحاب الشافعي وكذلك نقله الرافعي انه عند قوله تعالى وهم لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمرو وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه

الزحشري عن أبي حنيفة لان عنده يتم الكلام (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحبي الموتى انه على كل شيء قدير) قوله تعالى (ان الذين يلحدون) أي

يميلون عن الحق (في آياتنا) أي في أدلتنا قيل بالمكاء والتصدي والغور واللغو وقيل يكذبون بآياتنا ويعاندون ويشاقون (لا يخفون علينا) تهديد ووعيد قيل نزلت في أبي جهل (أفمن بلقي في النار) هو

أبو جهل (خبرأ من يأتي أمنا يوم القيامة) المعنى الذين يلحدون في آياتنا بلقون في النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر (اعملوا ما شئتم) أمر تهديد

ووعيد (انه بما تعملون بصير) أي انه عالم بما عملكم فيجازيكم عليها (ان الذين كفروا بالذکر لما جاءهم) يعني القرآن وفي جواب ان وجهان أحدهما انه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذکر يجازون بكفرهم

والثاني جوابه أولئك ينادون من مكان بعيد ثم أخذ في وصف الذکر فقال تعالى (وانه لكتاب عزيز) قال ابن عباس كرم على الله تعالى وقيل العزيز القديم النظير وذلك أن الخلق مجزوا عن معارضته وقيل أعزه

الله بمعنى منعه فلا يجرد الباطل اليه سيلا وهو قوله تعالى (لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع أن يغيره وقيل انه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه

أو يزداد فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا ياتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه أن الباطل لا يتطرق اليه ولا يجرد اليه سيلا من

جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا ياتيه الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر (تنزيل من حكيم) أي في جميع أفعاله (حميد) أي الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه

وسلم على تكذيبهم اياه فقال عز وجل (ما يقال لك) أي من الأذى والتكذيب (الاما قد قيل للرسول من قبلك) يعني انه قد قيل للانباء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت (ان ربك لذو مغفرة) أي لمن

علينا) وعيد لهم على التحريف (أفمن بلقي في النار) خبر أم من يأتي أمنا يوم القيامة) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعملوا ما شئتم) هذا نهاية في التهديد ومبالغة في الوعيد (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (ان الذين كفروا بالذکر) بالقرآن لانهم لكفروا به طعنوا فيه وسرفوا

تأويله (لما جاءهم) حين جاءهم وخبر ان محذوف أي يعذبون أو هالكون أو أولئك ينادون من مكان بعيد وما بينهما اعتراض (وانه لكتاب عزيز) أي منيع محمي بحماية الله (لا ياتيه الباطل) التبديل أو التناقض (من بين يديه ولا من خلفه) أي بوجه من الوجوه (تنزيل من حكيم

حميد) مستحق للحمد (ما يقال لك) ما يقول لك كفار قومك (الاما قد قيل للرسول من قبلك) الامثل ما قال للرسول ككفار قومهم من الكلمات المؤذبة والمطاعنة في الكتب المتزلة (ان ربك لذو مغفرة) ورجح لآيابه



(وذوعقاب أليم) لأعدائهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله المثل ما قال للرسول من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (ولو جعلناه) أي الذكر (قرآناً عجمياً) أي بلغة العجم كانوا تتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل في جوابهم لو كان كما يقرحون (لقالوا لولا فصلت آياته) أي بينت بلسان العرب حتى نفهمها تعنتنا (أأعجمي وعربي) بهمزتين كوفي غير حفص والهمزة للأنكار يعني لانكروا وقالوا أقرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل اليه عربي الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه سواه كان من العجم والعرب والعجمي منسوب الى أمة العجم فصيحاً كان أو غير فصيح والمعنى ان آيات الله على أي طريقة جاءت فهم وجدوا فيها متعنتاً لانهم غير طالبين للحق وانما يتبعون أهواءهم وفيه إشارة على أنه لو أنزل بلسان العجم لكان قرآناً فيكون دليلاً لابي حنيفة رضي الله عنه في (٩٤) جواز الصلاة اذا قرأ بالفارسية (قل هو) أي القرآن (للذين آمنوا هدى)

تاب وآمن بك (وذوعقاب أليم) أي لمن أصر على التكذيب قوله عز وجل (ولو جعلناه) أي هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس (قرآناً عجمياً) أي بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) أي هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها (أأعجمي وعربي) أي أ كتاب أعجمي ورسول عربي وهذا استفهام انكار والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربياً والمنزل أعجمياً وقيل في معنى الآية انالوا نزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أنزل الكلام العجمي الى القوم العرب ولصح قولهم أن بة لو اقلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقرآنا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه وانما نزلنا هذا القرآن بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم أن يقولوا قلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقرآنا وقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهودياً أعجمياً يعني أبافكيمة فقال المشركون انما يعلمه يسار فصر به سيده وقال انك تعلم محمد فقال هو والله يعلمني فانزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا محمد (هو) يعني القرآن (للذين آمنوا هدى) أي من الضلالة (وشفاء) أي لما في القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الالوجاع والاسقام (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) أي صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلا ينتفعون به (أولئك ينادون من مكان بعيد) أي كان من دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) أي فصدق به ومكذب كما اختلف قومك في كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن (لنقض بينهم) أي لفرغ من عذابهم ومحل اهلاكهم (وانهم لفي شك منه مريب) أي من كتابك وصدقك (من عمل صالحاً فلنفسه) أي يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه (ومن أساء فعليها) أي ضرر اساءته أو كفره يعود على نفسه أيضاً (ومار بك بظلام للعبيد) يعني فيعذب غير المسيء قوله عز وجل (اليه يرد علم الساعة) يعني اذا سأل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة الا الله تعالى ولا سبيل للعالم الى معرفة ذلك (وماتخرج من ثمره من أكلها) أي من أوعيتها وقال ابن عباس هو السفري قبل أن ينشق (وماتحمل من أثني ولا تضع الا بعلمه) أي يعلم قدر أيام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذ كرا الحمل هو أم أثني ومعنى الآية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم ما يحدث من كل شيء كالثمار والنتاج وغيره فان قلت قد يقول الرجل الصالح من أصحاب الكشف قولاً فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون قلت أما أصحاب الكشف اذا قالوا قولاً فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه

ارشاد الى الحق (وشفاء) لما في الصدور من الشك اذا الشك مرض (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) في موضع الجر لكونه معطوفاً على للذين آمنوا أي هول الذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر أي صم الأن فيه عطفاً على عاملين وهو جارء عند الاخفش أو الرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المتبداً أو في آذانهم منه وقر (وهو) أي القرآن (عليهم عمى) ظلمة وشبهة (أولئك ينادون من مكان بعيد) يعني أنهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كأنهم ينادون الى الايمان بالقرآن من حيث لا يسمعون

لبعد المسافة وقيل ينادون في القيامة من مكان بعيد باقبح الاسماء (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فقال بعضهم فم كان هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك في كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب (لنقض بينهم) لاهلكهم اهلاك استئصال وقيل الكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لنقض بينهم في الدنيا (وانهم) وان الكفار (لني شك منه مريب) موقع في الريبة (من عمل صالحاً فلنفسه) فنفسه نفع (ومن أساء فعليها) فنفسه ضرر (ومار بك بظلام للعبيد) فيعذب غير المسيء (اليه يرد علم الساعة) أي علم قيامها يرد اليه أي يجب على المسؤل أن يقول الله يعلم ذلك (وماتخرج من ثمرات) مدني وشامي وحفص وغيرهم غير ألف (من أكلها) أوعيتها قبل أن تنشق جمع كم (وماتحمل من أثني) حملها (ولا تضع الا بعلمه) أي ما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والنذ كورة والانوثة

والحسن والقبح وغير ذلك (ويوم يناديهم أين شركائي) أضافهم الى نفسه على زعمهم ويبانه في قوله أين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم وتقرير  
 (قالوا أذنك) أعلمناك وقيل أخبرناك وهو الاظهر اذ الله تعالى كان علما بذلك واعلام العالم محال انما الاخبار للعالم بالشيء تحقق بما علم به الا ان  
 يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الآن اننا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعموه (مامن من شهيد) أي مامنا  
 أحد اليوم يشهد بان لك شر بكامنا الامن هو موحد لك أو مامن من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في  
 ساعة التوب ويخبر وقيل هو كلام الشركاء أي مامن من شهيد يشهد بما أضافوا اليها من الشرك (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل)  
 في الدنيا (وظنوا) وأيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب (لا يسأم) لا يمل (الانسان) الكافر بدليل قوله وما أظن الساعة قائمة (من دعاء الخير)  
 من طلب السعة في المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير خذف الفاعل وأضيف الى المفعول (وان مسه الشر) الفقر (فيؤس) من الخير  
 (قنوط) من الرجة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فاعول ومن طريق التكرير والقنوطان يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر  
 أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى (٩٥) انه لا يأس من روح الله الا القوم

الكافرون (ولئن أذقناه  
 رحمة منا من بعد ضراء  
 مسته ليقولن هذا الذي  
 واذ فرجنا عنه بصحة بعد  
 مرض أو سعة بعد ضيق  
 قال هذا الذي هذا حق  
 وصل الى لاني استوجبه  
 بما عندي من خير وفضل  
 وأعمال بر أو هذا الذي لا يزول  
 عنى (وما أظن الساعة قائمة)  
 أي ما أظنها تكون قائمة  
 (ولئن رجعت الى ربى) أي  
 كما يقول المسلمون (ان الى  
 عنده عند الله للحسنى)  
 أي الجنة أو الحالة الحسنى  
 من الكرامة والنعمة  
 فائسا أمر الآخرة على أمر  
 الدنيا) فانه يبين الذين كفروا  
 بما عملوا) فلنخبرهم

فكان من علمه الذي ير داليه وأمال الكهان والمنجمون فلا يمكنهم التقطع والحزم في شيء مما يقولونه البتة وانما غايته  
 ادعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله تعالى هو علم اليقين المقطوع به الذي لا يشركه فيه أحد (ويوم يناديهم)  
 أي ينادى الله تعالى المشركين فيقول (أين شركائي) أي الذين تدعون أنها آلهة (قالوا) يعني المشركين  
 (أذنك) أي أعلمناك (مامن من شهيد) أي يشهد أن لك شر يكاد ذلك الممارا والاعذاب تبرؤا من الاصنام  
 (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أي يعبدون في الدنيا (وظنوا ما لهم من محيص) أي مهرب (قوله)  
 تعالى (لا يسأم الانسان) أي لا يمل الكافر (من دعاء الخير) يعني لا يزال يسألر به الخير وهو المال والغنى  
 والصحة (وان مسه الشر) أي الشدة والفقر (فيؤس) أي من روح الله تعالى (قنوط) أي من رحمة (ولئن  
 أذقناه رحمة منا) أي آتيناها خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) أي من بعد شدة وبلاء أصابه (ليقولن  
 هذا الذي) أي أستحقه بعملى (وما أظن الساعة قائمة) أي ولست على يقين من البعث (ولئن رجعت الى ربى)  
 يقول هذا الكافر أي فان كان الامر على ذلك وردت الى ربى (ان الى عنده للحسنى) أي الجنة والمعنى كما  
 أعطاني في الدنيا سيغطيني في الآخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس لنوقفهم على مساوى  
 أعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) واذ انعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) أي ذهب بنفسه  
 وتكبر وتعتظم (واذا مسه الشر) أي الشدة والفقر (فدودعاء عرض) أي كثير (قل) أي قل يا محمد لكفار  
 مكة (أرايتم ان كان من عند الله) يعني هذا القرآن (ثم كفرتم به) أي سجدتموه (من أضل ممن هو في شقاق  
 بعيد) أي في خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا أضل منكم (سنريهم آياتنا في الآفاق) قال ابن عباس  
 يعني منازل الامم الخالية (وفي أنفسهم) أي بالبلاء والامراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل في الآفاق هو  
 ما يفتح من القرى والبلاد على محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفي أنفسهم وهو قبح مكة (حتى يبين لهم أنه  
 الحق) يعني دين الاسلام وقيل يبين القرآن انه من عند الله وقيل يبين لهم أن محمد صلى الله عليه وسلم مؤيد  
 من قبل الله تعالى وقيل في الآفاق يعني أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار

بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد لا يفتقر عنهم (واذا انعمنا على الانسان أعرض) هذا  
 ضرب آخر من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمة أبطرت النعمة ففسى المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) وتباعده عن  
 ذكر الله ودعائه أو ذهب بنفسه وتكبر وتعتظم وتحقيقه أن بوضع جانبه موضع نفسه لان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول  
 الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه (واذا مسه الشر) الضر والفقر (فدودعاء  
 عرض) كثيرا أي أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتها والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام كما  
 استعير الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيؤس قنوط وبين قوله فدودعاء عرض لان الاول في قوم والثاني في قوم أو قنوط في البرود  
 دعاء عرض في البحر أو قنوط بالقلب فدودعاء عرض باللسان أو قنوط من الصم فدودعاء الله تعالى (قل أرايتم) أخبروني (ان كان) القرآن  
 (من عند الله ثم كفرتم به) ثم سجدتم أنه من عند الله (من أضل) منكم الا انه وضع قوله (من هو في شقاق بعيد) موضع منكم بينا حالهم  
 وصفتهم (سنريهم آياتنا في الآفاق) من فتح البلاد شرقا وغربا (وفي أنفسهم) فتح مكة (حتى يبين لهم أنه الحق) أي القرآن والاسلام

(أولم يكف برك) موضع برك الرفع على أنه فاعل والمفعول محذوف وقوله (انه على كل شيء شهيد) بدل منه تقديره ولم يكفهم ان ر بك على كل شيء شهيد أى أولم تكفهم شهادة برك على كل شيء ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شيء شهيد (ألا انهم فى صرية) شك (من لقاء ربهم ألا انه بكل شيء محيط) عالم بحمل الاشياء وتفصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجاز بهم على كفرهم ومررتهم فى لقاء ربهم ﴿سورة شورى مكية وهى ثلاث وخمسون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) فصل (حم) من (عسق) كتابة مخالفا لكهيعص تلفيقا باخوانها ولانه آيتان وكهيعص (٩٦) آية واحدة (كذلك يوحى اليك) أى مثل ذلك الوحى أو مثل ذلك الكتاب يوحى

اليك (والى الذين من قبلك) والى الرسل من قبلك (الله) يعنى ان ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله اليك مثله فى غيرها من السور وأوحاه الى من قبلك يعنى الى رساله والمعنى ان الله كرر هذه المعانى فى القرآن فى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللاطف العظيم لعباده وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من نبى صاحب كتاب الا ووحى اليه بحم عسق يوحى بفتح الحاء مكى ورافع اسم الله على هذه القراءة ما دل عليه يوحى كان قال قال من الموحى فقيل الله (العزيز) الغالب بقهره (الحكيم) المصيب فى فعله وقوله (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكاً (وهو العلى) شأنه (العظيم) برهانه (تكاد السموات) وبالبياء

والانهار والنبات وفى أنفسهم يعنى من لطيف الحكمة وبداع الصنعة حتى يتبين لهم أنه الحق يعنى لا يقدر على هذه الاشياء الا الله تعالى (أولم يكف برك) أى أنه على كل شيء شهيد) يعنى يشهد ان القرآن من عند الله تعالى وقيل أولم يكفهم الدلائل الكثيرة التى أوضحتها الله لهم على التوحيد وأنه شاهد لا يغيب عنه شيء (ألا انهم فى صرية من لقاء ربهم) أى فى شك عظيم من البعث والقيامة (ألا انه بكل شيء محيط) أى عالم بجميع المعلومات التى لانها به طأ حاط بكل شيء علما وأوحى كل شيء عددا والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

### ﴿تفسير سورة حم عسق﴾

وتسمى سورة الشورى وهى مكية فى قول ابن عباس والجمهور ووحى عن ابن عباس الأربعة آيات نزلت بالمدينة أو طاق لا أسألكم عليه أجر أو قيل فيها من المدينى ذلك الذى يبشر الله عباده الى قوله تعالى بذات الصدور وقوله والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون الى قوله من سبيل وهى ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا والله تعالى أعلم

### ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سور أو لانها حم جرت مجرى نظائر هاف كان حم مبتدأ وعسق خبره لان حم عسق عدت آيتين وعدت أخواتها التى لم تقطع آية واحدة وقيل لان أهل التأويل لم يختلفوا فى كهيعص وأخواتها أنها حروف التهجى واختلفوا فى حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فاعلا فقال معناها حم الامر أى قضى وبقى عسق على أصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه م سنه ق قدرته أقسم الله عز وجل بها وقيل ان العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب فى قر يش يعز فيها الدليل ويذل فيها العز يز م ملك يتحول من قوم الى قوم عدو لقر يش يقصدهم م سنون كسنى يوسف ق قدره الله فى خلقه وقيل هذا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المورد والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سنازه المشهود والقاف قيامه فى المقام المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبى صاحب كتاب الا وقد أوحى اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك) وقيل معناه كذلك نوحى اليك أخبار الغيب كما أوحينا الى الذين من قبلك (الله العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه والمعنى كأنه قيل من يوحى فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أى من فوق الارضين وقيل تنفطر كل واحدة فوق التى تليها من عظمة الله تعالى وقيل

ناقع وعلى (يتفطرن من فوقهن) يتشققن بنفطرن بصرى وأبو بكر ومعناه يكدن يتفطرن من علوشأن الله وعظمته من

بدل عليه مجيشه بعد قوله العلى العظيم وقيل من دعائهم ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من فوقهن أى يتبدى الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان القياس أن يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها كامة الكفر لانها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه بولغ فى ذلك فجعلت مؤثرة فى جهة الفوق كأنه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الارض فالكتابة راجعة الى الارض لانه بمعنى الارضين وقيل يتشققن لسكرة ما على السموات من الملائكة قال عليه السلام أطت السماء أطاوحى طان تنط ما فيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم أورا كح أو ساجد

(والملائكة يسبحون بحمدهم) خضوع الملائكة من عظمته (ويستغفرون لمن في الارض) أي للمؤمنين منهم كقوله ويستغفرون  
 للذين آمنوا خوفاً عليهم من سطوانته أو يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات حامدين له على ما ولاهم من الطاعة متعجبين  
 بما رأوا من تعرضهم لسخط الله تعالى ويستغفرون لمؤمني أهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة أو يطلبون اليهم أن يحلم عن أهل  
 الارض ولا يعاجلهم بالعقاب (الا ان الله هو الغفور الرحيم) لهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أي جعلوا له شركاء وأن دادا (الله حفيظ  
 عليهم) رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفتوته منها شيء فيجازيهم عليها (وما أنت يا محمد عليهم بوكيل) (٩٧)

بموكل عليهم ولا مفوض  
 اليك أمرهم إنما أنت  
 منذر خשב (وكذلك)  
 ومثل ذلك (أوحينا اليك)  
 وذلك إشارة الى معنى  
 الآية التي قبلها من أن الله  
 رقيب عليهم لأن أنت بل أنت  
 منذر لأن هذا المعنى كرره  
 الله في كتبه وهو مفعول  
 به لا وحينئذ (قرأنا عريبا)  
 حال من المفعول به أي  
 أوحينا اليك وهو قرآن  
 عريبي بين (تنذر أم القرى)  
 أي مكة لأن الارض دحيث  
 من تحتها ولا نها أشرف  
 البقاع والمراد أهل أم  
 القرى (ومن حولها) من  
 العرب (وتنذر يوم الجمع)  
 يوم القيامة لأن الخلائق  
 تجتمع فيه (لأرب فيه)  
 اعتراض لا محل له يقال  
 أنذرت كذا وأنذرت كذا  
 وقد عدى لتنذر أم القرى  
 الى المفعول الاول وتنذر  
 يوم الجمع الى المفعول الثاني  
 (فريق في الجنة وفريق في  
 السعير) أي منهم فريق في

من قول المشركين اتخذ الله ولداً (والملائكة يسبحون بحمدهم) أي ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصاون  
 بأمر ربهم (ويستغفرون لمن في الارض) أي من المؤمنين دون الكفار لأن الكافر لا يستحق ان تستغفر له  
 الملائكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من في الارض أما في حق الكافرين فهو واسطة طلب الايمان لهم  
 ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب وأما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم  
 وقيل استغفارهم لمن في الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر (الا ان الله هو الغفور  
 الرحيم) يعني انه تعالى يعطي المغفرة لتي سألوها و يضم اليها بمنه وكرمه الرحمة العامة الشاملة ﴿قوله تعالى  
 (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أي جعلوا له شركاء وأن دادا (الله حفيظ عليهم) أي رقيب على أحوالهم  
 وأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) أي لم توكل بهم حتى تؤخذ بهم إنما أنت نذير (وكذلك) أي ومثل  
 ما ذكرنا (أوحينا اليك قرآنا عريبا لتنذر أم القرى) يعني مكة والمراد أهلها (ومن حولها) يعني قري  
 الارض كلها (وتنذر يوم الجمع) أي وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه  
 الاولين والآخريين وأهل السموات وأهل الارضين (لأرب فيه) أي لاشك في الجمع انه كائن ثم بعد ذلك  
 الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى (فريق في الجنة وفريق في السعير) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي  
 الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأبضا على كفه ومعه كتابان فقال أتدرون  
 ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال لا الذي في يده اليمين هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة  
 وأسماء آياتهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقر وانطق في الاصلاب وقيل أن يستقر وانطق في الارحام  
 اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة ثم قال للذي في  
 يساره هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل النار وأسماء آياتهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقر وا  
 انطق في الاصلاب وقيل أن يستقر وانطق في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص  
 منهم اجمال من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمرو وفقيم العمل اذا قال عملوا وسددوا  
 وفار بوفان صاحب الجنة تحتم له بعمل أهل الجنة وان عمل أي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير  
 عدل من الله تعالى أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ﴿قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة) قال ابن  
 عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام (ولكن يدخل من يشاء في رحمة) أي في دين الاسلام  
 (والظالمون) أي الكافرون (ما لهم من ولي) أي يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) أي يمنعهم من العذاب (أم  
 اتخذوا) يعنى الكفار (من دونه أولياء فالله هو الولي) قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك (وهو  
 يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) يعني ان من يكون بهذه الصفة فهو الحقيقي بان يتخذ وليا ومن لا يكون  
 بهذه الصفة فليس بولي (وما اختلفتم فيه من شيء) أي من أمر الدين (حكّمه الى الله) أي يقضى فيه وحكم

(١٣ - خازن) - رابع ( الجنة ومنهم فريق في السعير والنصير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق (ولو شاء الله لجعلهم امة  
 واحدة) أي مؤمنين كلهم (ولكن يدخل من يشاء في رحمة) أي يكرم من يشاء بالاسلام (والظالمون) والكافرون (ما لهم من ولي) شافع  
 (ولا نصير) دافع (ام اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي) الفاء لجواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان أرادوا أولياء بحق فالله  
 هو الولي بالحق وهو الذي يجب أن يتولى وحده لا ولي سواه (وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) فهو الحقيقي بان يتخذ وليا ودون من  
 لا يقدر على شيء (وما اختلفتم فيه من شيء) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أي ما اختلفتم فيه الكفار من أهل الكتاب  
 والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين (حكّمه) أي حكم ذلك المختلف فيه مفوض (الى الله) وهو اناة المحققين فيه من

المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم (الله ربى عليه توكلت) في رد كيد أعداء الدين (واليه أئيب) أرجع في كفاية شرهم وقبل  
وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم بكمه فة الروح وغيره (فاطر السموات  
والارض) ارتقاعه على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدأ محذوف (جعل لكم من أنفسكم) خلق لكم من جنسكم من الناس (أزواجاً ومن  
الانعام أزواجاً) أى وخلق للانعام أيضاً من أنفسها أزواجاً (يدروكم) يكثر كم يقال ذرأ الله الخلق بينهم وكثرهم (فيه) في هذا التدبير وهو  
أن جعل الناس والانعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم وأنثاهم التوالد والتناسل واختبر فيه على به لانه جعل هذا التدبير كالمنجع والمعدن  
لللبث والتكثير والضمير في يدروكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل (ليس كمثل شئ) قيل ان  
كلمة التشبيه كررت لتأكيد (٩٨) نفي التماثل وتقديره ليس مثله شئ وقيل المثلز زيادة وتقديره ليس كهو شئ كقوله تعالى

فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وهذا ان المراد نفي التماثل  
واذالم نجعل الكاف أو المثل  
زيادة كان اثبات المثل  
وقيل المراد ليس كذاته  
شئ لانهم يقولون مثلك  
لا يبخل يريدون به نفي  
البخل عن ذاته ويقصدون  
المبالغة في ذلك بساؤلك  
طريق الكناية لانهم اذا  
نقوه عمن يسد مسده فقد  
نقوه عنه فاذا علم أنه  
من باب الكناية لم يقع فرق  
بين قوله ليس كالله شئ  
و بين قوله ليس كمثل شئ الا  
ما تعطيه الكناية من فائدتها  
وكأنها معياران معتقتان  
على معنى واحد وهو نفي  
المماثلة عن ذاته ونحوه بل  
يداه مبسوطة فمعناه بل  
هو جواد من غير تصور  
يدولا بسط لالانها وقعت  
عبارة عن الجود حتى أنهم  
استعملوها فيمن لا يده

يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الرب وقبل علمه الى الله وقيل نحا كموافيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لان حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثر واحكومة غيره على حكمته (ذلكم الله) أى الذى يحكم بين المختلفين  
هو الله (ربى عليه توكلت) أى في جميع أمورى (واليه أئيب) أى واليه أرجع في كل المهات (فاطر السموات  
والارض جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجاً) أى حلائل وانما قال من أنفسكم لان الله تعالى  
خلق حواء من ضلع آدم (ومن الانعام أزواجاً) أى أصنافاً ذكرا واناثاً (يدروكم) أى يخلقكم وقيل يكثر كم  
(فيه) أى فى الرحم وقيل فى البطن لانه قد تقدم ذكر الأزواج وقيل نسل بعد نسل حتى كان بين ذكورهم  
وانثاهم التوالد والتناسل وقيل الضمير في يدروكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا أنه غاب جانب  
الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل فى معنى الباء أى يكثر كم بالترزويج (ليس كمثل  
شئ) المثل صلة أى ليس كهو شئ وقيل الكاف صلة مجازة ليس مثله شئ قال ابن عباس ليس له نظير فان قلت  
هذه الآية دالة على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى فى السموات والارض يقتضى اثبات المثل فما الفرق  
قلت المثل الذى يكون مساوياً فى بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثل شئ معناه ليس له نظير  
كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه وله الوصف  
الاعلى الذى ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه أحد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما  
(وهو السميع) أى لسائر السموعات (البصير) أى لسائر المبصرات (له مقاليد السموات والارض) أى  
مفاتيح الرزق فى السموات يعنى المطر وفى الارض يعنى النبات يدل عليه قوله تعالى (يسسط الرزق لمن يشاء  
ويقدر) يعنى أنه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده (انه بكل شئ عليم) أى من  
البسط والتضييق قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) أى بين وسن لكم طريقا وانحان من الدين أى ديننا  
تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله تعالى (ما وصى به نوحا) يعنى انه أول الانبياء أصحاب الشرائع والمعنى  
قد وصيناه واياك يا محمد ديننا واحدا (والذى أوحينا اليك) أى من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصيناه  
ابراهيم وموسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم أكابر الانبياء وأصحاب الشرائع  
المعظمة والاتباع الكثيرة وأولوا العزم ثم فسر المشروع الذى اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رساله بقوله  
تعالى (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد باقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورساله  
واليوم الآخر وطاعة الله فى أمره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح

فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له (وهو السميع) جميع السموعات بلا أذن (البصير) جميع  
المرئيات بلا حدقة وكأنه ذكرهما لثابتهم أنه لا صفة له كما لا مثل له (له مقاليد السموات والارض) مر فى الزمر (يسسط الرزق لمن يشاء  
ويقدر) أى يضييق (انه بكل شئ عليم شرع) بين وأظهر (لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصيناه ابراهيم وموسى  
وعيسى) أى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد وما بينهما من الانبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الاعلام من رساله فيه  
بقوله (أن أقيموا الدين) والمراد باقامة دين الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والايمان برساله وكتبه ويوم الجزاء وسائر ما يكون المرء  
باقامته مسلما ولم يرد به الشرائع فانها مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وحصل أن أقيموا نصب بدل من مفعول شرع  
والمعطوفين عليه أوقف على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين (ولا تتفرقوا فيه) ولا تتفرقوا فى الدين قال على رضى

الله عنه لا تنفروا فاجتمعوا حرة والفرقة عذاب (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ماتدعوهم اليه) من اقامة دين الله والثوحيد  
 (الله يجتبي) يجتلب ويجمع (اليه) الى الدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء ويهدي اليه من ينيب) يقبل على طاعته (وما تفرقوا) أى أهل  
 الكتاب بعد انبيائهم (الامن بعد ما جاءهم العلم) الامن بعد ان علموا أن الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على السنة الانبياء عليهم السلام  
 (بغيا بينهم) حسدا وطلب للرياسة والاستطالة بغير حق (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى) وهى بل الساعة موعدهم (لقضى بينهم)  
 لاهلكوا حين افرقوا العظم ما افرقوا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم (لن يشك منه) من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان (مر يب) مدخل في رية وقيل وما تفرق أهل الكتاب الامن بعد ما جاءهم  
 العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وما تفرق الذين أورثوا الكتاب الامن بعد ما جاءتهم البينة  
 (٩٩)

وان الذين أورثوا الكتاب  
 من بعدهم هم المشركون  
 أورثوا القرآن من بعد  
 ما أورث أهل الكتاب  
 التوراة والانجيل (فذلك)  
 فلا جل ذلك التفرق ولما  
 حدث بسببه من تشعب  
 الكفر شعبا (فادع) الى  
 الاتفاق والاتلاف على الملة  
 الخيفية القوية (واستقم)  
 عابها وعلى الدعوة اليها  
 (كأمرت) كأمر الله  
 (ولاتبغ أهواءهم) المختلفة  
 الباطلة (وقل آمنتم بما  
 أنزل الله من كتاب) باى  
 كتاب صح أن الله تعالى  
 أنزله يعنى الايمان بجميع  
 الكتب المنزلة لان المتفرقين  
 آمنوا ببعض وكفروا  
 ببعض كقوله ويقولون  
 تؤمن ببعض ونكفر  
 ببعض الى قوله أولئك هم  
 الكافرون حقا (وأمرت  
 لاعدل بينكم) فى الحكم

الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل أراد تحليل  
 الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه يجمع على محريمهن وقيل لم يبعث الله  
 نبيا الاوصاه باقام الصلاة وإيتاء الزكاة والاقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة  
 الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة (كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) أى من التوحيد ورفض الأوثان  
 (الله يجتبي اليه من يشاء) أى يصطفى لدينه من يشاء من عباده (ويهدى اليه من ينيب) أى يقبل على طاعته  
 (وما تفرقوا) يعنى أهل الأديان المختلفة وقال ابن عباس يعنى أهل الكتاب (الامن بعد ما جاءهم العلم) أى  
 بان الفرقة ضلالة (بغيا بينهم) أى ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم (ولولا  
 كلمة سبقت من ربك) أى فى تأخير العذاب عنهم (الى أجل مسمى) يعنى الى يوم القيامة (لقضى بينهم)  
 أى بين من آمن وكفر يعنى لانزل العذاب بالمكذبين فى الدنيا (وان الذين أورثوا الكتاب) يعنى اليهود  
 والنصارى (من بعدهم) أى من بعد انبيائهم وقيل من الامم الخالية (لن يشك منه) أى من أمر محمد صلى  
 الله عليه وسلم فلا يؤمنون به (مر يب) يعنى مر تاين شا كين فيه (فذلك) أى الى ذلك (فادع) أى  
 الى ما وصى الله تعالى به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ما حدث به من الاختلاف فى الدين الكثير فادع  
 أنت الى الاتفاق على الملة الخيفية (واستقم كأمرت) أى اثبت على الدين الذى أمرت به (ولاتبغ  
 أهواءهم) أى المختلفة الباطلة (وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب) أى آمنتم بكتب الله المنزلة كلها  
 وذلك لان المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض (وأمرت لاعدل بينكم) قال ابن عباس أمرت  
 ان لا أحيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم فى جميع الاحوال والاشياء  
 وقيل لاعدل بينكم فى الحكم اذا خصمتم وتحاكمتم الى (الله بناور بكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى  
 ان اله الكل واحد وكل أحد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله (لا تحجة) أى  
 لاختصومة (بيننا وبينكم) وهذه الآية منسوخة بآية القتال اذ لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة فلم يكن بينه  
 وبين من لا يجيب خصومة (الله يجمع بيننا) أى فى المعاد افضل القضاء (واليه المصير) قوله عز وجل  
 (والذين يحاجون فى الله) أى يخاصمون فى دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم  
 فنحن خير منكم فهذه خصومتهم (من بعد ما استجيب له) أى من بعد ما استجاب للناس لدين الله تعالى فاساموا  
 ودخلوا فى دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم (يحجتهم داحضة) أى خصومتهم باطلة (عند ربهم

اذا خصمتم فتحاكمتم الى (الله بناور بكم) أى كلنا عبيده (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هو كقوله لكم دينكم ولي دين ويجوز أن يكون  
 معناه ان لا تؤاخذوا بعملكم واتم لا تؤاخذون باعمالنا (لا تحجة بيننا وبينكم) أى لاختصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة  
 الى المحاجة ومعناه لا يراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا الحجة وهذا الحجة (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) المرجع لفصل  
 القضاء فيفضل بيننا ونقم لنا منكم (والذين يحاجون فى الله) يخاصمون فى دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا  
 فى الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى  
 يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجيب لمحمد عليه السلام دعاؤه  
 على المشركين يوم بدر (يحجتهم داحضة) باطلة وسماها حجة وان كانت شبهة لزمعهم انها حجة (عند ربهم

وعليهم غضب) بكفرهم (ولهم عذاب شديد) في الآخرة (الله الذي أنزل الكتاب) أي جنس الكتاب (بالحق) باصدق أو ملتبساً به (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل أنه أنزله في كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان أنزله في زمن نوح عليه السلام (وما يدريك لعل الساعة قريب) أي لعل الساعة قريب منك وأنت لا تدري والمراد مجيء الساعة والساعة في تأويل البعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع انزال الكتب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكانه قيل أمركم بالعدل والتسوية والعمل الصالح فاعملوا بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم (يستجمل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها) وجلون طوعاً (ويعلمون أنها الحق) الكائن لا محالة (ألا ان الذين يمارون في الساعة) الممارسة الملاحاة لان كل واحد منهما يمرى ما عند صاحبه (لن ضلال (١٠٠) بعيد) عن الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب

والسنة على وقوعها والعقول تشهد على أنه لا بد من دار جزاء (الله لطيف بعباده) في اصال المنافع وصرف البلاء من وجه يظن ادراكه وهو ير بليغ البر بهم وقد توصل بره الى جميعهم وقيل هو من لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حمله أو من ينشر المناقب ويستتر المثالب أو يعفو عن يهفو أو يعطي العبد الكفاية ويكفقه الطاعة دون الطاعة وعن الجنيد لطف باوليائه فعفره ولو لطف باعدائه ما يحسدوه (يرزق من يشاء) أي يوسع رزق من يشاء اذا علم مصلحته فيه في الحديث ان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من

وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) أي في الآخرة (الله الذي أنزل الكتاب بالحق) أي الكتاب المشتمل على أنواع الدلائل والاحكام (والميزان) أي العدل سمي العدل ميزاناً لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضي الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس (وما يدريك لعل الساعة قريب) أي وقت اتيها قريب وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذبتنا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى (يستجمل بها الذين لا يؤمنون بها) أي ظننا منهم انها غير آتية (والذين آمنوا مشفقون) أي خائفون (منها) يعلمون انها الحق) أي انها آتية لا شك فيها (ألا ان الذين يمارون) أي يخاصمون (في الساعة) وقيل يشكون فيها (لن ضلال بعيد) قوله عز وجل (الله لطيف بعباده) أي كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفي بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكوا جوعاً بما عصيهم بدل عليه قوله تعالى (يرزق من يشاء) يعني ان الاحسان والبر انعام في حق كل العباد وهو اعطاء ما لا بد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذو روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه وقيل لطفه في الرزق من وجهين أحدهما أنه جعل رزقكم من الطيبات والثاني انه لم يدفع اليكم مرة واحدة (وهو القوي) أي القادر على كل ما يشاء (العزيب) أي الذي لا يغالب ولا يدفع (من كان يريد حرث الآخرة) أي كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة (نزله في حشره) أي بالتضعيف الواحدة الى عشرة الى ما يشاء الله تعالى من الزيادة وقيل انا نزيدي في توفيقه وعاتته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات اليه (ومن كان يريد حرث الدنيا) يعني يريد بعمله الدنيا مؤثراً على الآخرة (نؤنه منها) أي ما قدر وقسم له منها (وماله في الآخرة من نصيب) يعني لانه لم يعمل لها عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسنة والرفعة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ذكره في جامع الاصول ولم يره الى أحد من الكتب الستة وأخرجه البغوي باسناده قوله تعالى (أم لهم) يعني كفار مكة (شركاء) يعني الاصنام وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين) قال ابن عباس شرعوا لهم ديناً غير دين الاسلام (مالم يأذن به الله) يعني ان تلك الشرائع يامر بها على خلاف دين الله تعالى الذي أمر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها (ولولا كلمة الفصل) يعني ان الله حكم بين الخلق بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة

لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك (وهو القوي) الباهر القدرة الغالب على كل شيء (العزيب) المنيع لقضى الذي لا يغلب (من كان يريد حرث الآخرة) سمي ما يعمل العامل مما يبتغي به الفائدة حراً مجازاً (نزله في حشره) بالتوفيق في عمله والتضعيف في احسانه أو بان يناله به الدنيا والآخرة (ومن كان يريد حرث الدنيا) أي من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نؤنه منها) أي شيأ منها لان من للتبعيض وهو رزقه الذي قسم له لا ما يريد وبتنقيه (وماله في الآخرة من نصيب) وماله نصيب قط في الآخرة وله في الدنيا نصيب ولم يندكر في عالم الآخرة ان رزقه المقسوم يصل اليه للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاه عمله وفوزه في المآب (أم لهم شركاء) قيل أم هي المنقطعة وتقديره بل أم لهم شركاء وقيل هي المعادلة لان الاستفهام وفي الكلام اضرار تقديره أيقبلون ما شرع الله من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) أي لم يامر به (ولولا كلمة الفصل) أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء أي ولولا العدة بان الفصل

يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين وألجأت لهم العقوبة (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وان المشركين لهم عذاب أليم في الآخرة وان آخر عنهم في دار الدنيا (تري الظالمين) المشركين في الآخرة (مشفقين) خائفين (عما كسبوا) من جزاء كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم لا محالة شفقوا أولم يشفقوا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) (١٠١) في روضات الجنات) كأن روضة

جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (لهم ما يشاؤون عند ربهم) عند نصب بالظرف لا يشاؤون (ذلك هو الفضل الكبير) على العمل القليل (ذلك) أي الكبير (الذي يبشر الله) يبشر مكي وأبو عمرو وجزءه وعلى (عبادة الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي به عبادة الذين آمنوا حذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الرجوع الى الموصول كقوله أهدا الذي بعث الله رسولا ولما قال المشركون أي نبئ محمد على تبليغ الرسالة أجزا نزل (قل لأستحكم عليه) على التبليغ (أجزا المودة في القرني) يجوز أن يكون استثناء متصلا ويجوز أن يكون منقطعا أي لأسألكم أجزا ولكني أسألكم أن تودوا قرابتي أو لأسألكم عليه أجزا الأهدا وهو أن تودوا أهل قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل المودة القرني أو المودة للقرني لانهم جعلوا

(لقضى بينهم) أي فرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا (وان الظالمين) يعني المشركين (لهم عذاب أليم) أي في الآخرة (تري الظالمين) يعني يوم القيامة (مشفقين) أي وجلين خائفين (عما كسبوا) أي من الشرك والاعمال الخبيثة (وهو واقع بهم) أي جزاء كسبهم واقع بهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) لان هذه الروضات أطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على أن في الجنة منازل غير الروضات هي لمن هودون هؤلاء الذين عملوا الصالحات من أهل القبلة (لهم ما يشاؤون عند ربهم) أي من الكرامة (ذلك هو الفضل الكبير ذلك) أي الذي ذكر من نعم الجنة (الذي يبشر الله) به (عبادة الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قوله عز وجل (قل لأستحكم عليه) أي على تبليغ الرسالة (أجزا) أي جزاء (المودة في القرني) (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله المودة في القرني فقال سعيد بن جبير قرني آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن بطن من قرنيش الأوله فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وعن ابن عباس أيضا في قوله المودة في القرني يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحي واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك (خ) عن ابن عمر أن أبابكر قال ارقبوا محمد صلى الله عليه وسلم في أهل بيته واختلفوا في قرابته فقيل على وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم وقيل أهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من أقر به وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفتقروا في جاهلية ولا في الاسلام (م) عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيته فقال له حصين من أهل بيته يازيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرمت عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس فان قلت غاب الأجر على تبليغ الرسالة والوحي لا يجوز لقوله في قصة نوح عليه السلام وغيره من الانبياء وما أسألكم عليه من أجزا أجرى الأعلى رب العالمين قلت لانزع في أنه لا يجوز طلب الأجر على تبليغ الرسالة بقى الجواب عن قوله المودة في القرني فالجواب عنه من وجهين الأول معناه لا أطلب منكم الأهدا وهذا في الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم \* بهن فلول من قراع الكتائب

معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم لان المودة بين المسامين أمر واجب واذا كان كذلك في حق جميع المسامين كان في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أولى فقوله قل لأستحكم عليه أجزا المودة في القرني المودة في القرني ليست أجزا في الحقيقة لان قرابته قرابته فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت ان لأجزا البتة والوجه الثاني أن هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لأستحكم عليه أجزا ثم ابتدأ فقال المودة في القرني أي لكن أذكركم المودة في قرابتي الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه الآية منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية فامرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلته رجه فلما هاجر الى المدينة

مكنا للمودة ومقراتها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصله للمودة كاللام اذا قلت المودة للقرني انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره المودة ثابتة في القرني وممكنة فيها والقرني مصدر كالزني والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القرني ورؤي أنه لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وبناتها وقيل معناه الا أن تودوني لقرابتي فيكم ولا تؤذوني ولا تهيجوا على اذلم يكن بطن من بطون قرنيش



الابن رسول الله وبينهم قرابه وقيل القرى بالتقرب الى الله تعالى أى الا أن يحبوا الله ورسوله في تقر بكم اليه بالطاعة والعمل الصالح (ومن يقترب حسنة) يكتب طاعة عن السدى انها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في أبي بكر رضى الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في أى حسنة كانت الا انها تناول المودة تناولا اوليالد كرها عقيب ذكر المودة في القرى (نزله فيها حسنا) أى تضاعفا كقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرى حسنى وهو مصدر كالشرى والضمير يعود الى الحسنه أو الى الجنة (ان الله غفور) لمن أذنب بطوله (شكور) (١٠٢) لمن أطاع بفضله وقيل قابل للتوبة حامل عليها وقيل الشكور في صفة الله

تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب (أم يقولون افترى على الله كذبا) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتما يكون أن ينسبوا مثله الى الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأخشها (فان يشأ الله يختم على قلبك) قال مجاهد أى بربط على قلبك بالصبر على اذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذبا ثلاثه مشقة بتكذيبهم (ويصح الله الباطل) أى الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على يختم لان محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع ويحق وانما سقطت الواو فى الخط كما سقطت فى ويدع الانسان بالشردعاء بالخير وسندع الزبانية على انها مثبتة فى مصحف نافع (ويحق الحق) ويظهر

وأواه الانصار ونصروه أحب الله تعالى ان يلحقه باخوانه من النبيين فانزل الله تعالى قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الاعلى الله فصارت هذه الآية ناسخة لقوله قل لأستلكنم عليه اجرا الا المودة فى القرى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الآية غير مرضى لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة أقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز ما صير الى نسخ هذه الآية وروى عن ابن عباس فى معنى الآية قول آخر قال الا أن توادوا الله وتقر بوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القرى الى الله بقول الا التقرب الى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح ﴿وقوله تعالى (ومن يقترب حسنة) أى يكتب طاعة (نزله فيها حسنا) أى بالتضعيف (ان الله غفور) للذنوب (شكور) أى للتقليل من الاعمال حتى يضاعفها (أم يقولون) أى بل يقول كفار مكة (افترى على الله كذبا) فيه توبيخ لهم معناه يقع فى قلوبهم ويجرى على لسانهم أن ينسبوا مثله الى الكذب وأنه افترى على الله كذبا وهو أقيح أنواع الكذب (فان يشأ الله يختم على قلبك) أى بربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسبك القرآن وما آتاك فاخبرهم أنه لو افترى على الله كذبا لفعلة به ما أخبر به فى هذه الآية (ويصح الله الباطل) أخبره الله تعالى أن ما يقولونه الباطل والله عز وجل بمحوه (ويحق الحق بكلماته) أى يحق الاسلام بما أنزل من كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فجحا باطلهم وأعلى كلمة الاسلام (انه علم بذات الصدور) قال ابن عباس لما نزلت قل لأستلكنم عليه اجرا الا المودة فى القرى وقع فى قلوب قوم منها شئ وقالوا يريد أن يختمنا على أقر به من بعده فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبرهم أنهم اتهموه وأنزل الله هذه الآية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد أنك صادق فنزل قوله عز وجل (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أولىاء وأهل طاعته ﴿فصل فى ذكر التوبة وحكمها﴾ قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لاتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط أحدها ان يقع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم أن لا يعود اليها أبدا فاذا حصلت هذه الشروط سححت التوبة وان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشر وطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة بالاتقال عن المعاصى نية وفعل الاقبال على الطاعات نية وفعلنا وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة بالاتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة (خ) عن أنى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة (م) عن الاغر بن بشار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معها رجلته عليها طعامة

وشرا به

الاسلام ويشته (بكلماته) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك

فجحا باطلهم واطهر الاسلام (انه علم بذات الصدور) أى علم بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الامر على حسب ذلك (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) يقال قبلت منه الشئ اذا أخذته منه وجعلته مبدأ قبولى ويقال قبلته عنه أى عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعود وان كان لعبد فيه حق لم يكن بدمن التقضى على طريقه وقال على رضى الله عنه هو اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذا به النفس فى الطاعة كإر بيتهافى

المعصية واذا فقه النفس ممرارة الطاعة كما ذقها حلوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وعن السدي هو صدق العزيمة على ترك الذنوب  
والإناية بالقلب الى عالم الغيوب وعن غيره هو ان لا يجد حلوة الذنوب في القلب عند ذكره وعن سهل هو الانتقال من الاحوال المذمومة الى  
الاحوال الحمودة وعن الجنيد هو الاعراض عمادون الله (ويعفوا عن) (١٠٣) السيئات وهو ما دون الشرك يعفون

وشرا به فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش أو ما شاء الله  
قال أرجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده لم يموت فاستيقظ فاذا راحلته  
عنده عليها طعامه وشرا به فالتة أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا راحلته وزاده الدوية الفلاة والمغارة  
(ق) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من  
أحدكم سقط على بعبه وقد أضله في أرض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحاً  
بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرا به فليس  
منها فاني شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فيينا هو كذلك اذ هو بها قائمته عنده فاخذ بخطامها ثم  
قال من شدة فرحه اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح **ع** عن صفوان بن عسال المرادي قال  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضة مسيرة سبعين عاماً للتوبة لا يغلق ما لم تطلع  
الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها الاية أخرجه الترمذي وقال  
حديث حسن صحيح وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقبل توبة  
العبد ما لم يفرغ أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار  
ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها **و** قوله عز وجل (ويعفو عن السيئات) أي يمحوها  
اذا تابوا (ويعلم ما تفعلون) يعني من خير وشرف يجازيهم عليه (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات)  
يعني يجيب المؤمنون الله تعالى فمادعاهم لطاعته وقيل معناه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذ دعوه  
وقال ابن عباس وبشيت الذين آمنوا (ويزيدهم من فضله) أي سوي ثواب أعمالهم تقضاه منه وقال ابن  
عباس يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال في اخوان اخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد)  
**و** قوله عز وجل (ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الارت فينازلت هذه الآية وذلك انا نظر نالي  
أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنينها فانزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده أي وسع الله  
الرزق لعباده (لبغوا) أي لظفوا وعتوا (في الارض) قال ابن عباس بغيمهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومر كبا بعد  
مركب ومبلسا بعد مبلس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدره ترجع الى مقتضى  
طبعه وهو التكبر واذا وقع في شدة ومكروه وفقرا انكسر فرجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان النبي مع  
القبض والفقرا أقل ومع البسط والغنى أكثر لان النفس مائلة الى الشرك لكنها اذا كانت فاقدة لآلانه كان  
الشرا أقل واذا كانت واجدة لها كان الشرا أكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان (ولكن ينزل  
بقدر ما يشاء) يعني الارزاق نظر للصالح عباده وهو قوله تعالى (انه بعباده خبير بصير) والمعنى انه تعالى عالم  
باحوال عباده وطلبائهم وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روى  
أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من اهان لي  
وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لا غضب لاوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الى عبدي المؤمن بمثل أداء  
ما اقترضت عليه وما يزال عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كنت له سمعاً وبصراً  
ويداً ومؤيداً ان دعاني أحبته وان سألتني أعطيتة وما ترددت في شيء أبأفعله ترددي في قبض روح عبدي

قارون وفرعون عبرة أمن النبي وهو الكبرياء لتكبروا في الارض (ولكن ينزل) بالتخفيف مكي وأبو عمرو (بقدر ما يشاء) بتقدير  
يقال قدره قدر او قدرا (انه بعباده خبير بصير) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكيمته فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط ولو  
أغناهم جميعاً لبغوا ولو أفقرهم لملكو اموالهم من البسط على من يبغى ومن يبغى بدون البسط فهو قليل ولا شك ان النبي مع الفقرا أقل

ومع البسط أكثر وأغلب (وهو الذي ينزل الغيث) وبالتشديد مدني وشامي وعاصم (من بعد ما قنطوا) وقرئ قنطوا (و ينشر رحته) أي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وقيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا أراد هذه الآية أو أراد رحته في كل شيء (وهو الولي) الذي يتولى باحسانه (الحمد) المحمود على ذلك بحمده أهل طاعته (ومن آياته) أي علامات قدرته (خلق السموات والارض) مع عظمهما (وما بث) فرق وما يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا على المضاف والمضاف اليه (فيهما) في السموات والارض (من دابة) الدواب تكون في الارض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشيء الى جميع المذكور وان كان متلبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وانما هو في (١٠٤) نغذ من أخذهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ولا يبعد أن يخلق في السموات حيوانات يشون فيها منى الاناس على الارض أو يكون للملائكة مشى مع الطيران فوصفوا بالديب كما وصف به الاناس (وهو على جمعهم) يوم القيامة (اذا يشاء قدير) اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى (وما أصابكم من مصيبة) غم وألم مكروه (فبما كسبت أيديكم) أي بجناية كسبتموها تقوية عليكم بما كسبت بغير الفاء مدني وشامي على أن ما مبتدأ وبما كسبت خبره من غير تضمين معنى الشرط ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط وتعلق به هذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لولم يكن للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما

المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك انى أدبر أمر عبادى بعلمى بقلوبهم انى علم خبير أخرجه البغوى باسناده قوله عز وجل (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) أى يسئ الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح يحصل النعمة بعد الشدة ثم (و ينشر رحته) أى يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب (وهو الولي) أى لاهل طاعته (الحمد) أى المحمود على ما يوصل الى الخلق من أقسام رحته (ومن آياته خالق السموات والارض وما بث) أى أوجد (فيهما) أى فى السموات والارض (من دابة) فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قات الديب فى اللغة المشى الخفيف على الارض فيحتمل أن يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفون بالديب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل أن الله تعالى خالق فى السموات أنواعا من الحيوانات يدبون بالديب الانسان (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) يعنى يوم القيامة قوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الوباء والاسقام والقحط والفناء والفرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت أيديكم من الذنوب والمعاصى (ويعفوا عن كثير) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفوا الله عنه أكثر وروى البغوى باسناد التلعلى عن أنى سحيلة قال قال على بن أبى طالب رضى الله عنه الا أخبركم بافضل آية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير وسأفسرها لكم يا على ما أصابكم من مصيبة أى من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يشئ عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نسكة أصابت عبدا فافوقها الا بذنب لم يكن الله يغفر له الا بها ودرجة لم يكن الله يرفعها الا بها (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فافوقها الا رفعه الله بهادرجة وحط عنه بها خطيئته (وما أنتم بمجزيين) أى بفاتنين (فى الارض) هر بايعنى لان تجزوتنى حيثما كنتم (وما

المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك انى أدبر أمر عبادى بعلمى بقلوبهم انى علم خبير أخرجه البغوى باسناده قوله عز وجل (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) أى يسئ الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح يحصل النعمة بعد الشدة ثم (و ينشر رحته) أى يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب (وهو الولي) أى لاهل طاعته (الحمد) أى المحمود على ما يوصل الى الخلق من أقسام رحته (ومن آياته خالق السموات والارض وما بث) أى أوجد (فيهما) أى فى السموات والارض (من دابة) فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قات الديب فى اللغة المشى الخفيف على الارض فيحتمل أن يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفون بالديب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل أن الله تعالى خالق فى السموات أنواعا من الحيوانات يدبون بالديب الانسان (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) يعنى يوم القيامة قوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الوباء والاسقام والقحط والفناء والفرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت أيديكم من الذنوب والمعاصى (ويعفوا عن كثير) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفوا الله عنه أكثر وروى البغوى باسناد التلعلى عن أنى سحيلة قال قال على بن أبى طالب رضى الله عنه الا أخبركم بافضل آية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير وسأفسرها لكم يا على ما أصابكم من مصيبة أى من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يشئ عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نسكة أصابت عبدا فافوقها الا بذنب لم يكن الله يغفر له الا بها ودرجة لم يكن الله يرفعها الا بها (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فافوقها الا رفعه الله بهادرجة وحط عنه بها خطيئته (وما أنتم بمجزيين) أى بفاتنين (فى الارض) هر بايعنى لان تجزوتنى حيثما كنتم (وما

نالوا وقلنا الآية مخصوصة بالكافرين والسياق والسباق وهو (ويعفوا عن كثير) أى من لكم الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال ابن عطاء من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر فى احسان ربه اليه وقال محمد بن حامد العبد ملازم للجنايات فى كل أوان وجناياته فى طاعته أكثر من جنايته فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يظهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه أثم الله فى القيامة ولولا عفوه ورحمته لم يكن فى أول خطوة وعن على رضى الله تعالى عنه هذه أرى آية للمؤمنين فى القرآن لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا واذا عفا لا يعود (وما أنتم بمجزيين فى الارض) أى بفاتنين ما قضى عليكم من المصائب (وما

لكم من دون الله من ولى) متول بالرحمة (ولانصير) ناصر يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم (ومن آياته الجوار) جمع جارية وهي السفينة الجوارى في الخالين مكي وسهل ويعقوب وافقه مدني وأبو عمرو في الوصل (في البحر كالأعلام) كالجبال (ان يشأ يسكن الريح) الريح مدني (فيظللن رواكد) نوابت لانجمرى (على ظهره) على ظهر البحر (ان في ذلك لآيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه أى لكل مؤمن مخلص فالإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر وأوصبار على طاعته شكور لنعمه (أوبو يقهن) بهلكين فهو عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (بما كسبوا) من الذنوب (ويعف عن كثير) فلا يجازى عليها وإنما أدخل العفو في حكم الإيقاق حيث جزم جزمه لان المعنى أو ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (ويعلم) بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره ليتنقم منهم ويعلم (الذين يجادلون في آياتنا) أى في إبطالها ودفعها ويعلم مدني وشامى عطف على الاستئناف (مالهم من محيص) مهرب من عذابه (فأؤتيتهم من شئ فتنازع الحيوه الدنيا وما عند الله) (١٠٥) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا

وعلى ربهم يتوكلون) ما الاولى ضمنت معنى الشرط بجماعات الفاء في جوابها بخلاف الثانية نزلت في أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذا ما بعده (كباثر الأثم) أى الكباثر من هذا الجنس كبير الأثم على وحزة وعن ابن عباس ككبير الأثم هو الشرك (والفواحش) قيل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا (وإذا ما غضبوا) من أمور دينها هم (هم يغفرون) أى هم الإحصاء بالغفران في حال الغضب والمجيء بهم وإيقاعه مبتدأ

لكم من دون الله من ولى ولا نصير) قوله عز وجل (ومن آياته الجوار) يعنى السفن وهي السيارة (في البحر كالأعلام) أى كالقصور وكل شئ مرتفع عند العرب فهو علم (ان يشأ يسكن الريح) أى التي تجرى بها السفن (فيظللن) يعنى السفن الجوارى (رواكد) أى نوابت (على ظهره) أى على ظهر البحر لان تجرى (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) وهذه صفة المؤمن لانه يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء (أوبو يقهن) أى يغرقهن ويهلكهن (بما كسبوا) أى بما كسبت ركابها من الذنوب (ويعف عن كثير) أى من ذنوبهم فلا يعاقب عليها (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص) يعنى يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله تعالى مالهم من مهرب من عذابه (فأؤتيتهم من شئ) أى من زينة الدنيا (فتنازع الحيوه الدنيا) أى ليس هو من زاد المعاد (وما عند الله) أى من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان في متاع الحياة الدنيا فاذا صار الى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيرا وأبقى للمؤمن (والذين يجتنبون كباثر الأثم) يعنى كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقه وشبه ذلك (والفواحش) يعنى ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) يعنى يكظمون الغيظ ويحكمون (والذين استجابوا لربهم) يعنى أجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته (وأقاموا الصلوة) يعنى المفروضة (وأمرهم شورى بينهم) يعنى يتشاورون فيما يريدونهم ولا يجاوزون ولا ينفردون برأى مالم يجتمعوا عليه قيل ماتشاور وقوم الاهدوا لأرشد أمرهم (ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغي) يعنى الظلم والعدوان (هم ينتصرون) يعنى ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يغفون عن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله تعالى وإذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فاذا قدروا عفووا وقيل ان العفو اغراء للسفیه وقال عطاءهم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكثهم الله عز وجل في الارض حتى انتصروا عن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان سرعة الانتصار مشروطة برعاية المماناة فقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثالا) سمي الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتساوهم في الصورة وقيل

(١٤ - خازن) - رابع

واسناد يغفرون اليه طهه الله ثمة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت في الانتصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس (وأمرهم شورى بينهم) أى ذوو شورى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ماتشاور وقوم الاهدوا لأرشد أمرهم والشورى مصدر كالتفتيا يعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والذين اذا أصابهم البغي) الظلم (هم ينتصرون) ينتقمون من ظلمهم أى يقتصرون في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدون وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق وإنما جسدوا على الانتصار لان من انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز في ذلك حد الله فلم يسرف في القتل ان كان ولي دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثالا) فالاولى سيئة حقيقة والثانية لا وإنما سميت سيئة لانها تجاوزت السوء ولا نها تسوء عن تنزل به ولانه لو لم تكن الاولى لكات الثانية سيئة لانها اضرار وإنما صارت حسنة لغيرها وفي تسمية الثانية سيئة إشارة الى أن العفو مندوب اليه والمعنى أنه يجب اذا

فولت الأساءة أن تقابل بمثلا من غير زيادة

(فن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعتق والاغضاء (فأجره على الله) عدة مهمة لا يقاس أمرهافي العظم (انه لا يحب الظالمين) الذين يبدؤن بالظلم أو الذين يجاوزون حد الانتصار في الحديث بنادى مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقيم فلا يقوم الامن عفا) ولئن انتصر يعدظلمه) أى أخذ حقه بعد ما ظلم على اضافة المصدر الى المفعول (فاولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ما عليهم من سبيل) للمعاقب ولللعنات والمعائب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبدؤنهم بالظلم (ويبعون في الارض) يتكبرون فيها ويعاونون ويسفدون (بغير الحق) اولئك لهم عذاب أليم) وفسر السبيل بالتبعية والحجة (ولئن صبر) على الظلم والاذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك) أى الصبر والغفران منه (لمن عزم الامور) أى من الامور التي تدب اليها أو مما ينبغي أن يوجهه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه وحذف الرجوع أى منه لانه مفهوم كما حذف من (١٠٦) قوله السم منوان بدرهم وقال أبو سعيد الصبر على المكاره من علامات

الانتباه فن صبر على  
مكروه يصيبه ولم يجزع  
أورثه الله تعالى حال الرضا  
وهو أجل الاحوال ومن  
جزع من المصيبات وشكا  
وكله الله تعالى الى نفسه ثم  
لم تنفعه شكواه (ومن  
يضل الله فاله من ولى من  
بعده) فاله من أحدي  
هدايته من بعد اضلال الله  
اياه ويمتعه من عذابه  
(وترى الظالمين) يوم القيامة  
(لمسأرو العذاب) حين  
يرون العذاب واختير لفظ  
الماضي للتحقيق) يقولون  
هل الى مرد من سبيل)  
يسألون ربهم الرجوع الى  
الذي نيا ليؤمنوا به (وتراهم  
يعرضون عابها) على النار  
اذ العذاب يدل عليها  
(خاشعين) متضائلين  
متقاصرين مما يلحقهم  
(من التل ينظرون) الى  
النار (من طرف خفي)  
ضعيف بمسارقة كما ترى

لان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح اذا قال أخراك الله فقل له أخراك الله ولا تزددوا اذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتدوقيل هو في القصاص في الجراحات والدماء يقتص بمثل ما جنى عليه وقيل ان الله تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو أولى بقوله تعالى (فن عفا) أى عمن ظلمه (وأصلح) أى بالعفو بينه وبين الظالم (فأجره على الله) قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقيم فلا يقوم الامن عفا ثم قرأ هذه الآية (انه لا يحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم (ولئن انتصر بعد ظلمه) أى بعد ظلم الظالم اياه (فاولئك) يعنى المنتصرين (ما عليهم من سبيل) أى بعقوبة ومؤاخذه (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) أى يبدؤن بالظلم (ويبعون في الارض بغير الحق) أى يعملون فيها بالمعاصي (اولئك لهم عذاب أليم ولئن صبر) أى لم ينتصر (وغفر) تجاوز عن ظلمه (ان ذلك) أى الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) يعنى تركه الانتصار لمن عزم الامور الجيدة التي أمر الله عز وجل بها وقيل ان الصابر يؤتى بصره الثواب فالرغبة في الثواب أم عزما (ومن يضل الله فاله من ولى من بعده) يعنى ماله من أحدي هدايته بعد اضلال الله اياه أو يمنعه من عذابه (وترى الظالمين لمسأروا العذاب) يعنى يوم القيامة (يقولون هل الى مرد من سبيل) يعنى انهم يسألون الرجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين من التل) أى خاضعين متواضعين (ينظرون من طرف خفي) يعنى يسارقون النظر الى النار خوفا منها واذلة في أنفسهم وقيل ينظرون بطرف خفي أى ضعيف من التل وقيل ينظرون الى النار يقولون لانهم يحشرون عيما والنظر بالقلب خفي (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) يعنى بان صاروا الى النار (وأهلهم يوم القيامة) يعنى وخسروا أهلهم بان صار والغيرهم في الجنة (ألان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضل الله فاله من سبيل) أى وصول الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى فقد استمدت عليهم طرق الخير (استجيبوا ربكم) أى أجبوا داعي الله يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أى لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت (مالكم من ملجأ يومئذ) أى مالكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت (ومالكم من نكير) أى ينكر حالكم وقيل النكير الانكار يعنى لا تقدر ان تنكروا من أعمالكم شيئا (فان أعرضوا) أى عن الاجابة (فأرسلناك عليهم حفيظا) أى تحفظا أعمالهم (ان عليك البلاغ) أى ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (وانا اذا أذقنا الانسان منارحة) قال ابن عباس يعنى الغنى

المصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة) والصحة  
يوم متعلق بخسروا وقول المؤمنين واقع في الدنيا أو يقال أى يقولون يوم القيامة اذ أراهم على تلك الصفة (ألان الظالمين في عذاب مقيم) دائم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) من دون عذابه (ومن يضل الله فاله من سبيل) الى النجاة (استجيبوا ربكم) أجبوا داعي الله الى مادعاه اليه (من قبل أن يأتي يوم) أى يوم القيامة (لا مرد له من الله) من يتصل بلا مرد أى لا يردده الله بعد ما حكم به أو يأتى أى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده (مالكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير) أى ليس لكم مخلص من العذاب ولا تقدر ان تنكروا شيئا مما أقرتموه وودون في صحائف أعمالكم والنكير الانكار (فان أعرضوا عن الايمان فأرسلناك عليهم حفيظا) رقيبنا (ان عليك البلاغ) ما عليك الا التبليغ الرسالة وقد فعلت (وانا اذا أذقنا الانسان) المراد الجمع لا الواحد (منارحة)

نعمة وسعة وأمن وصحة (فرح بها) بطر لاجلها (وان تصيهم سيئة) بلاء كل مرض والعقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع في وان  
 تصيهم باعتبار المعنى (بما قدمت أيديهم) بسبب معاصيهم (فان الانسان كفور) ولم يقل فانه كفور لسجل على أن هذا الجنس موسوم  
 بكفران النعم كما قال ان الانسان اظلم كفار والكفور البليغ الكفران والمعنى أنه يذ كر البلاء وينسى النعم ويغصمها قيل أر يديه كفيران  
 النعمة وقيل أر يديه الكفر بالله تعالى (لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم)  
 أي يقرنهم (ذكرا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) لما ذكرنا اذ اذ اذ اذ الانسان الرحمة واصابته بضرها اتبع ذلك ان له تعالى الملك وأنه  
 يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الاولاد ما يشاء فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل  
 البعض عقيما والعقيم التي لا تلد وكذلك رجل عقيم اذا كان لا يولد له وقدم الاناث أو لاعلى الذكور لان سياق الكلام أنه فاعل ما يشاءه لا  
 ما يشاءه الانسان فكان ذكرا الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاءه الانسان أهم والا هم واجب التقديم وليلى الجنس الذي كانت العرب تعده  
 بلاء ذكرا البلاء ولما أخر الذكور وهم أحق بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لان (١٠٧) التعريف تنويه وتشهير ثم  
 أعطى بعد ذلك كلا الجنسين

والصحة (فرح بها وان تصيهم سيئة) أي فحط (بما قدمت أيديهم) أي من الاعمال الخبيثة (فان الانسان  
 كفور) أي لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه قوله عز وجل (لله ملك السموات والارض) يعني له التصرف  
 فيها بما يريد (يخلق ما يشاء) أي لا يقدر أحد ان يعترض عليه في ملكه وارادنه (يهب لمن يشاء اناثا) أي  
 فلا يولد له ذكور (ويهب لمن يشاء الذكور) أي فلا يولد له أنثى (أو يزوجهم ذكرا واناثا) أي يجمع بينهما  
 فيولد له الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) أي فلا يولد له ولد وقيل هذا في الانبياء عليهم الصلاة  
 والسلام فقوله يهب لمن يشاء اناثا يعني لو طالم يولد له ذكرا ثم اولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني  
 ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرا واناثا يعني محمد صلى الله عليه وسلم ولده  
 أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا  
 على وجه التمثيل والافلاية عامة في جميع الناس (انه عليم) أي بما يخلق (قدر) أي على ما يريد ان يخلق  
 قوله تعالى (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) قيل في سبب نزولها ان اليهود قالوا لبي صلى الله عليه  
 وسلم الاتكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى صلى الله عليه وسلم ونظر اليه فقال لم ينظر موسى  
 الى الله تعالى فانزل الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أي يوحى اليه في المنام أو بالأطام كما رأى  
 ابراهيم في المنام ان يذبح ولده وهو وحى وكأطمت أم موسى أن تقذفه في البحر (أومن وراء حجاب) أي  
 يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام (أو يرسل رسولا) يعني من الملائكة  
 اما جبريل أو غيره (فيوحى باذنه ما يشاء) يعني يوحى ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الآية  
 محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء حجاب في الدنيا وأتى بيان هذه المسئلة ان شاء الله تعالى في سورة  
 النجم (انه على) أي عن صفات الخلقين (حكيم) أي في جميع أفعاله قوله عز وجل (وكذلك) أي وكما  
 أوحينا الى سائر رسلنا (أوحينا اليك روحا من أمرنا) قال ابن عباس نبوة وقيل قرأنا لان به حياة الارواح  
 وقيل رحمة وقيل جبريل (ما كنت تدري) أي قبل الوحي (ما الكتاب) يعني القرآن (ولا الايمان)

حقه من التقديم والتأخير  
 وعرف أن تقديمه لم يكن  
 لتقدمه وان لمقتض  
 آخر فقال ذكرا واناثا  
 وقيل نزلت في الانبياء  
 عليهم السلام حيث وهب  
 للوط وشعيب اناثا  
 ولابراهيم ذكورا ومحمد  
 صلى الله عليه وسلم ذكورا  
 واناثا وجعل يحيى وعيسى  
 عليهما السلام عقيمين  
 (انه عليم) بكل شيء (قدر)  
 قادر على كل شيء (وما كان  
 لبشر) وماصح لاحد من  
 البشر (أن يكلمه الله الا  
 وحيا) أي الهاما كما روى  
 نفي في روى أو رؤيا في المنام  
 كقوله عليه السلام رؤيا

الانبياء وحى وهو كما امر ابراهيم عليه السلام بذيح الولد (أومن وراء حجاب) أي يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير ان يبصر  
 السامع من يكلمه وليس المراد به حجاب الله تعالى لان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام من الحجاب ولكن المراد به ان السامع  
 محجوب عن الرؤية في الدنيا (أو يرسل رسولا) أي يرسل ملكا (فيوحى) أي الملك اليه وقيل وحيا كما أوحى الى الرسل بواسطة الملائكة  
 أو يرسل رسولا أي نبيا كما كلم أمم الانبياء على ألسنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أن يرسل في معنى ارسال  
 ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وماصح ان يكلم أحدا الاموحيا أو مسمعان من وراء حجاب أو مرسل  
 ويجوز أن يكون المعنى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا بان يوحى أو ان يسمع من وراء حجاب أو ان يرسل رسولا وهو اختيار الخليل أو يرسل  
 رسولا فيوحى بالرفع نافع على تقدير أو وهو يرسل (باذنه) باذن الله (ما يشاء) من الوحي (انه على) قاهر فلا يمانع (حكيم) مصيب في أقواله  
 وأفعاله فلا يعارض (وكذلك) أي كما أوحينا الى الرسل قبلك أو كما وصفنا لك (أوحينا اليك) ايحاء كذلك (روحا من أمرنا) ير بدما أوحى  
 اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح (ما كنت تدري) الجملة حال من الكافي في اليك (ما الكتاب) القرآن (ولا الايمان)

أى شرائعه أو ولا الإيمان بالكتاب لأنه إذا كان لا يعلم بان الكتاب ينزل عليه لم يكن عالماً بذلك الكتاب وقيل الإيمان يتناول أشياء بعضها الطريق إلى العقل وبعضها الطريق إليه السمع فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى (ولكن جعلناه) أى الكتاب (نوراً تهدي به من نشاء من عبادنا وانك تهدي) لتدعو وقرى به (الى صراط مستقيم) الاسلام (صراط الله) بدل (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكاً وملكاً (ألا الى الله تصير الامور) هو وعيد بالحجيم ووعيد بالنعيم والله أعلم بالصواب

﴿سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية﴾ (١٠٨) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب المبين

وهو القرآن وجعل قوله (انا جعلناه) صيرناه (قرآناً عربياً) جواب القسم وهو من الإيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأسألهم أو الواضح للتدبرين أو الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ما يحتاج اليه الامة فى أبواب الديانة (لعلكم تعقلون) لى تفهموا معانيه (وانه فى أم الكتاب لدينا) وان القرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ وسمى أم الكتاب لأنه الاصل الذى أُنبت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ أم الكتاب بكسر الالف على وجرزة (على) خبران أى فى أعلى طبقات البلاغة أو رفيع الشأن فى الكتب لكونه مجزاً من بينها (حكيم)

اختلاف العلماء فى هذه الآية مع اتفاقهم على أن الانبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقبل معناه ما كنت ندرى قبل الوحى شرائع الإيمان ومعامله وقال محمد بن اسحق عن ابن خزيمة الإيمان فى هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع إيمانكم يعنى صلواتكم ولم يرد به الإيمان الذى هو الاقرار بالله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة بوحد الله تعالى ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا يأكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يتبين له شرائع دينه الا بعد الوحى اليه (ولكن جعلناه نوراً) قال ابن عباس يعنى الإيمان وقيل القرآن لأنه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى (تهدى به من نشاء من عبادنا وانك تهدي) أى لتدعو (الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام (صراط الله) يعنى دين الله الذى شرعه لعباده (الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور) يعنى أمور الخلائق فى الآخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء والله سبحانه وتعالى أعلم برأيه وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الزخرف وهى مكية وهى تسع وثمانون آية وثلاث وثلاثون ٧ كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب وهو القرآن الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما يحتاج اليه الامة من الشرى بعة وقيل المبين يعنى الواضح للتدبرين وجواب القسم (انا جعلناه) أى صيرنا هذا الكتاب عربياً وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل أنزلناه (قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) يعنى معانيه وأحكامه (وانه) يعنى القرآن (فى أم الكتاب) أى فى اللوح المحفوظ قال ابن عباس أول ما خلق الله عز وجل القلم فامر به أن يكتب ما يريد أن يخلق فى الكتاب عنده ثم قرأ وأنه فى أم الكتاب (لدينا) أى عندنا فالقرآن مثبت عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ (على حكيم) أخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا أهل مكة بالقرآن فإنه عندنا على أى رفيع شريف وقيل على على جميع الكتب حكيم أى محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان ﴿قوله تعالى﴾ (أفمن ضرب عنكم الذكراً صفحاً) معناه أفترك عنكم الوحى ونسك عن انزال القرآن فلان امركم ولانها كم من أجل أنكم أسرفتم فى كفركم وتركتم الإيمان وهو قوله تعالى (أن كنتم) أى لان كنتم (قوماً مسرفين) والمعنى لان فعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أو اتل هذه الامة تملكوا ولكن الله عز وجل عاد بعائده وكرمه ورجته فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله وقيل معناه أفمن ضرب عنكم الذكراً صافين أى معرضين عنكم وقيل معناه أفمن طوى طياتكم فلا تدعون ولا تعظون وقيل أفمن ضرب عنكم فلا تعاقبكم على كفركم (ولم أرسلنا

من ذوحكمة بالغة) أفمن ضرب عنكم الذكر وتذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغراب عن الحوض والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهم لم يفتروا عنكم الذكراً انكار الان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وجعله قرآناً عربياً ليعقوا وليعملوا بما وجبه (صفحاً) مصدر من صفح عنه اذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفغزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراض عنكم ويجوز أن يكون مصدر على خلاف الصدر لانه يقال ضربت عنه أى أعرضت عنه كذا قاله الفراء (أن كنتم) لان كنتم مدنى وجزء وهو من باب الشرط الذى يصدر من المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفى حقى وهو عالم بذلك (قوماً مسرفين) مفرطين فى الجهالة مجاوزين الحد فى الضلالة (ولم أرسلنا

من نبي في الاولين) أي كثير من الرسل أرسلنا إلى من تقدمك (وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) هي حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه تسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه (فاهلك أشد منهم بطنا) تمييز والضمير للمشرفين لانه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبره عنهم (ومضى مثل الاولين) أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقا أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (ولئن سألتهم) أي المشركين (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا) كوفي (١٠٩) وغيره مهاده أي موضع قرار

(وجعل لكم فيها سبلا) طرفا (اعلمكم تهتدون) لكي تهتدوا في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تسلم معه العباد ويحتاج اليه البلاد (فانشرنا) فاحيينا عدول من المغيبة إلى الاخبار لعلم المخاطب بالمراد (به بلدة ميتا) ير يد ميتا) كذلك تخرجون) من قبوركم أحياء تخرجون حمزة وعلى ولا وقف على العليم لان الذي صفته وقد وقف عليه أبو حاتم على تقدير هو الذي لان هذه الارصاف ليست من مقول الكفار لانهم ينكرون الاخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم في انكار البعث (والذي خلق الأزواج) الاصناف (كها) وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) أي تركبونه يقال تركبوا

من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) يعني كاستهزاء قومك بك وفيه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم (فاهلك أشد منهم بطنا) أي أقوى من قومك قوة (ومضى مثل الاولين) أي صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة قوله عز وجل (ولئن سألتهم) أي ولئن سألت يا محمد قومك (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) يعني انهم أقروا بان الله تعالى خلقهما وأقر وبعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دال على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى (الذي جعل لكم الارض مهدا) معناه واقفة ساكنة يمكن الاتفاغ بها ولما كان المهدي موضع راحة الصبي فلذلك سمي الارض مهاده الكثرة ما فيها من الراحة للخلق (وجعل لكم فيها سبلا) أي طرفا (اعلمكم تهتدون) يعني إلى مقاصدكم في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أي بقدر حاجتكم اليه لا كما نزل على قوم نوح حتى أهلكتهم (فانشرنا) أي بالمطر (بلدة ميتا) أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر (كذلك تخرجون) أي من قبوركم أحياء (والذي خلق الأزواج كلها) أي الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ماسوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) يعني في البر والبحر (لتستروا على ظهوره) أي على ظهور الفلك والانعام (ثم تذكروا نعمه) بك إذا استويتم عليه) يعني بتسخير المركب في البر والبحر (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا) أي ذلل لنا هذا (وما كنا له مقرنين) أي مطيقين وقيل ضابطين) وأنا إلى ربنا المنقلبون) أي لنصرفون في المعاد (م) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجالا للسفر حمد الله تعالى وسبح وكبر فلا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وأنا إلى ربنا المنقلبون اللهم اننا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت صاحب السفر والخليفة في الأهل اللهم اني أعوذ بك من وعناء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الأهل والمال والولد واذا رجعت فاهلن وزاد فيهن آيبون ثابتون عابدون رينا حامدون قوله وعناء السفر يعني تعب وشدة ومشقة وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك أن يعود من سفره حزينا كئيبا أو يصادف ما يحزنه في أهل أو مال عن علي بن ربيعة قال شهدت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وأنا إلى ربنا المنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ثم ضحك فقلت يا أمير المؤمنين من ضحكك قال رأيت رسول الله

في الفلك وركبوا الانعام فغلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه (لتستروا على ظهوره) على ظهور ما تركبونه وهو الفلك والانعام (ثم تذكروا) بقولكم (نعمه) بك إذا استويتم عليه وتقولوا) بالسبحان (سبحان الذي سخر لنا هذا) ذلل لنا هذا المركوب (وما كنا له مقرنين) مطيقين يقال أقرن الشيء إذا أطاقه وحقيقته أقرنه وجدته قرينه لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف) وأنا إلى ربنا المنقلبون) لراجعون في المعاد قيل يذكرون عند ركوبهم مرابا كدنيا آخر من كبهم منها وهو الجنزة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا إذا ركب في السفينة قال بسم الله بحرا هو امر ساهان ربي لغفور رحيم وحكي ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الذي سخر



لنا هذا الآية وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هز الا فقال اني مقرن لهذه فسقط منها الوثبها وانثقت عنقه وبنيتي أن لا يكون ركوب العاقل  
 للتزهد والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده انه هالك لا محالة ومنفلت الى الله غير منفلت من قضائه (وجعلوا له من عباده جزءاً) متصل بقوله  
 ولئن سئلهم أي ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءاً أي قالوا الملائكة بنات  
 الله فجعلواهم جزءاً له وبعضهم كما يكون الولد جزءاً لوالده جزءاً أبو بكر وجماد (ان الانسان لكفور مبين) فجود للنعمة ظاهر بخوده لان  
 نسبة الولد اليه كفر والكفر أصل الكفر ان كله (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاً كم البنين) أي بل اتخذ والهزرة لانكار تجميعهم وتجميعها  
 من شأنهم حيث ادعوا أنه اختار لنفسه المنزلة الاذني ولهم الاعلى (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرجن مثلاً) بالجنس الذي جعله له مثلاً  
 أي شبهه لانه اذا جعل الملائكة جزءاً لله وبعضهم منه فقد جعله من جنسه وبما تلاله لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد (ظل وجهه مسوداً  
 وهو كظيم) يعني أنهم نسبو اليه (١١٠) هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم وار بد وجهه

صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من أي شيء فحكت قال ان ربك يجب من عبده اذا قال  
 رب اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب غيرك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى  
 (وجعلوا له من عباده جزءاً) يعني ولداً وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا  
 حكموا أو ثبتوا (ان الانسان لكفور مبين) أي فجود لنعم الله تعالى عليه (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا  
 استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ بك لنفسه البنات (وأصفاً كم) أي أخلصكم (بالبنين واذا بشر أحدهم  
 بما ضرب للرجن مثلاً) أي بالجنس الذي جعله للرجن شبهه لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى  
 انهم نسبو اليه البنات ومن حالهم أن أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم وتر بد وجهه غيظاً وأسفاً وهو  
 قوله تعالى (ظل وجهه) أي صار وجهه (مسوداً وهو كظيم) أي من الحزن والغيط قيل ان بعض العرب  
 ولده انثى فهجر بيت امرأته التي ولدت فيه الانثى فقالت المرأة

مالا بي حمزة لا يأتينا \* يظل في البيت الذي يلينا  
 غضبان أن لاند البينا \* ليس لنا من أمرنا ما شينا  
 وانما نأخذ ما أعطينا \* حكمة رب ذي اقتدار فينا

قوله عز وجل (أو من ينشأ) يعني أو من يترى (في الحلية) يعني الزينة والنعمة والمعنى أو يجعل للرجن  
 من الولد من هذه الصفة المدمومة صفته ولولا نقصانها المحتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها  
 بوجه آخر وهو قوله (وهو في الخصام) أي المخاصمة (غير مبين) للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلاها  
 قال قتادة فلما تكلمت امرأة فتر يد أن تتكلم بحجتها الانكسار بالحجة عليها (وجعلوا) أي وحكموا أو ثبتوا  
 (الملائكة الذين هم عباد) وقرئ عند (الرجن) انا أنا أشهدوا خلقهم أي حضر واخلقهم حين خلقوا وهذا  
 استفهام انكار أي لم يشهدوا ذلك (ستكتب شهادتهم) أي على الملائكة أنهم بنات الله (ويستلون) أي  
 عنها قيل لما قالوا هذا القول سأطعم النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما بدر يكمنها بنات الله قالوا سمعنا من  
 آباءنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويستلون عنها في الآخرة (وقالوا الوشاء  
 الرجن ما عبدناهم) يعني الملائكة وقيل الاصنام وانما يجعل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بذلك قال

غيظاً وأسفاً وهو مما  
 من الكرب والظلول بمعنى  
 الصيرورة (أو من ينشأ في  
 الحلية وهو في الخصام غير  
 مبين) أي أو يجعل للرجن  
 من الولد من هذه الصفة  
 المدمومة صفته وهو أنه  
 ينشأ في الحلية أي يترى في  
 الزينة والنعمة وهو اذا  
 احتاج الى مجازاة الخصوم  
 ومجازاة الرجال كان غير  
 مبين ليس عنده بيان ولا  
 يأتي ببرهان وذلك لضعف  
 عقولهن قال مقاتل لا تكلم  
 المرأة الا وتأتي بالحجة عليها  
 وفيه أنه جعل النشأة في  
 الزينة من المعايير فعلى  
 الرجل أن يجتنب ذلك  
 ويتزين بلباس التقوى ومن  
 منصوب المحل والمعنى أو  
 جعلوا من ينشأ في الحلية  
 يعني البنات لله عز وجل

ينشأ حمزة وعلى وحفص أي يري في قد جمعوا في كفرهم ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبو الى الله الولد ونسبو  
 اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرجن اناثاً) أي سموهم وقالوا انهم  
 اناث عند الرجن مكي ومدني وشامي أي عندية منزلة ومكانة لا منزل ومكان والعباد جمع عبد وهو ألزم في الحجاج مع أهل العناد لتضاد بين  
 العبودية والولاد (أشهدوا خلقهم) وهذا تكلمهم بمعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك  
 ولا نظر قوا اليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا  
 بها على الملائكة من أنوثتهم (ويستلون) عنها وهذا وعيد (وقالوا الوشاء الرجن ما عبدناهم) أي الملائكة تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية في  
 ان الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث  
 قالوا الوشاء الرجن ما عبدناهم أي لو شاء منا ترك عبادة الاصنام لنعناعن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم قولهم

واعتقادهم بقوله (ما لهم بذلك) المقول (من علم انهم لا يجزؤون) أى يكذبون ومعنى الآية عندنا أنهم أرادوا بالمشيئة الرضا وقالوا  
 لو لم يرض بذلك لاجل عقوبتنا ولننعنا عن عبادتهم قهر واضطرار واذ لم يفعل ذلك فقد رضى بذلك فدالله تعالى عليهم بقوله ما لهم بذلك  
 من علم الآية أو قالوا هذا القول استهزاء لاجدا واعتقادا كذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال سبحانه عنهم أنظم  
 من لو يشاء الله أطعمهم وهذا حق في الأصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله ان أنتم الا فى ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى  
 قالوا شهدناك رسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لأنهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم  
 وظنوا ان الله لا يعاقبهم على شئ فعلوه بمشيئته وجعلوا أنفسهم معذورين فى ذلك فدالله تعالى عليهم (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل  
 القرآن أو من قبل قولهم هذا (فهم به مستمسكون) آخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره أشهدوا خلقهم أم آتيناهم كتابا فيه ان  
 الملائكة انا (بل قالوا) بل لا حجة لهم بتسكون به الامن حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الا قولهم (انا وجدنا آباءنا على  
 أمة) على دين فقلدناهم وهي من الام وهو القصد فالامة الطريقة التى (١١١) تؤم أى تقصد (وانا على آثارهم

مهتدون) الطرف صلة  
 لمهتدون أو هما خبران  
 وكذلك ما أرسلنا من  
 قبلك فى قرية من نذير  
 نبي (الاقال مترفوها) أى  
 منعموها وهى الذين  
 أترفهم النعمة أبطرتهم  
 فلا يحبون الا الشهوات  
 والملاهي ويعافون مشاق  
 الدين وتكاليفه (انا وجدنا  
 آباءنا على أمة وانا على  
 آثارهم مقتدون) وهذه  
 تسلية للنبي صلى الله عليه  
 وسلم ويبان ان تقليد الآباء  
 داء قديم (قال) شامى  
 وحفص أى النذير قل غيرهما  
 أى قيل للنذير قل (أولو  
 جنتكم باهدى مما وجدتم  
 عليه آباءكم) أى أتبعون

الله تعالى ردا عليهم (ما لهم بذلك من علم) أى فيما يقولون (انهم لا يجزؤون) يعنى ما لهم الا كاذبون  
 فى قولهم ان الله رضى منا بعبادتها وقيل يكذبون فى قولهم ان الملائكة انا وانهم بنات الله (أم آتيناهم  
 كتابا من قبله) أى من قبل القرآن بان يعبدوا غير الله (فهم به مستمسكون) أى يأخذون بما فيه (بل قالوا  
 انا وجدنا آباءنا على أمة) أى على دين وملة (وانا على آثارهم مهتدون) يعنى انهم جعلوا أنفسهم مهتدين  
 باتباع آباءهم وتقليد هم من غير حجة ثم أخبر ان غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من  
 قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أى أغنياؤها ورؤساؤها (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم  
 مقتدون) أى هم (قل أولو جنتكم باهدى) أى بدىن هو أصوب (مما وجدتم عليه آباءكم) فابوا ان يقبلوا  
 (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فاتمقنمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) قوله تعالى (واذ قال  
 ابراهيم لأبيه وقومه انى براء) أى براء (مما تعبدون الا الذى فطرنى) معناه نأثرا مما تعبدون الا من الله  
 الذى خلقنى (فانه سيهدين) أى يرشدنى الى دينه (وجعلها) أى جعل ابراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى  
 لا اله الا الله (كلمة باقية فى عقبه) أى فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعوا الى توحيد (لعلمهم  
 يرجعون) أى لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحدهم وقيل لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين  
 ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام (بل متعت هؤلاء) يعنى كفار مكة  
 (وآباءهم) فى الدنيا بما دى العمر والنعمة ولم أعجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) يعنى  
 القرآن وقيل الاسلام (ورسول) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مبين) أى يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة  
 وأوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام أن يطيعوه ففعلوا بل كذبوا وعصوا  
 وسموه ساحرا وهو قوله تعالى (ولما جاءهم الحق) يعنى القرآن (قالوا هذا سحر وانابه كافرون) قوله عز  
 وجل (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) معناه انهم قالوا من نصب النبوة منصب

آباءكم ولوجنتكم بدىن أهدى من دين آباءكم (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) انا أتبعون على دين آباءنا وان جنتنا بما هو أهدى وأهدى  
 (فاتمقنمنا منهم) فعاقبناهم بما استحقوا على اصرارهم (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه) أى واذ كرأذ قال  
 (انى براء) أى براء وهو مصدر يستوى فيه الواحد والاثان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى  
 ذو عدل وذات عدل (مما تعبدون الا الذى فطرنى) استثناء منقطع كأنه قال لكن الذى فطرنى (فانه سيهدين) يثبتنى على الهداية  
 (وجعلها) وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله انى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى (كلمة باقية فى عقبه) فى  
 ذريته فلم يزل فيهم من يوحد الله ويدعوا الى توحيد (لعلمهم يرجعون) لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحدهم والرجحى لابراهيم (بل  
 متعت هؤلاء وآباءهم) يعنى أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمدى العمر والنعمة فاغتررا بالمهلة وشغلوا بالنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان  
 من كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) حتى جاءهم الحق (أى القرآن) (ورسول) محمد عليه السلام (مبين) واضح الرسالة بما معه من الآيات البينة (ولما جاءهم  
 الحق) القرآن (قالوا هذا سحر وانابه كافرون وقالوا) فيه متحكمين بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) فيه استهانة به (على رجل من  
 القريتين عظيم) أى رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من أحدهما والقريتان مكة والطائف وعنوا

بعظيم مكة الوليد بن المغيرة وبعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفي وأرادوا بالاعظيم من كان ذامال وذاجاه ولم يعرفوا ان العظيم من كان عند الله عظيما (أهم يقسمون رحمة ربك) أي النبوة والهمزة للانكار المستعمل بالتجھيل والتعجيب من تحكّمهم في اختيار من يصلح للنبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) ما يعيدشون به وهو أرزاقهم (في الحياة الدنيا) أي لم نجعل قسمة الادون البهم وهو الرزق فكيف النبوة أو كما فضلت البعض على البعض في الرزق فكذا أخص بالنبوة من أشاء (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) أي جعلنا البعض أقويا وأغنيا وموالي والبعض ضعفاء وفقراء (١١٢) وخدمنا (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم

عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا في هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمير الثقفي قال الله تعالى رد عليهم (أهم يقسمون رحمة ربك) معناه أبايديهم مفتاح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وفيه الانكار الدال على تجھيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكّمهم وأن يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثالا فقال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) أي نحن أوقفنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا اغنيا وهذا فقيرا وهذا امالكا وهذا املوا وهذا اقويا وهذا ضعيفا ثم ان أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجز واعن الاعتراض في حكمنا في أحوال الدنيا مع قتها وذلتها فكيف بقدرن على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) يعني لو اتسوا بنا بينهم في كل الاحوال لم يتخذ أحد أحدا ولم يصر أحد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يقضى ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا لو كنا فعلنا ذلك لستخدم بعضهم بعضا فسخر الاغنياء بما لهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بما له وهذا بعمله فيلتم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك (ورحمت ربك) يعني الجنة (خير) يعني للمؤمنين (مما يجتمعون) أي يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى أيدا الأبدين قوله عز وجل (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أي لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر وبرغبون فيه اذ أراوا الكفار في سعة من الخير والرزق لا عطيت الكفار أكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سققامن فضة ومعارج) يعني مصاعد ودرجات من فضة (عليها يظهرن) يعني يصعدون ويرتقون عليها (ولبيوتهم أبوابا) أي من فضة (وسررا) أي ولجعلنا لهم سررا من فضة (عليها يتكئون وزخرفا) أي ولجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شيء (وان كل ذلك للمتاع الحياة الدنيا) يعني ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضي لان الدنيا سريرة الزوال والذهاب (والآخرة عند ربك للمتقين) يعني الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا \* عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن المستور بن شداد جدي فمر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه هانت على أهلها حين أتقوها قالوا من هو أنها أتقوها يا رسول الله قال فان الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها أخرجه الترمذي

ويستخدموهم في مهتهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعاشوا ويصلوا الى منافعهم هذا بما له وهذا باعماله (ورحمت ربك) أي النبوة أو دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب (خير مما يجتمعون) مما يجمع هؤلاء من حظام الدنيا ولما قلل أمر الدنيا واصغرها أردفه بما يقرر رقة الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس امة واحدة) ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه (لجعلنا) لحقارة الدنيا عندنا (لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سققامن فضة ومعارج عليها يظهرن ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا) أي لجعلنا للكفار سقفا ومصاعدا وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أي زينة من كل شيء والزخرف الذهب والزينة ويجوز أن يكون الاصل سققامن

وقال

فضة وزخرف أي بعضا من فضة وبعضا من ذهب فنصب عطف على محل من فضة لبيوتهم بدل اشتمال من

امن يكفر سققا على الجنس مكي وأبو عمر ويزيد والمعارج جمع معراج وهي المصاعد الى العلى عليها يظهرن على المعارج يظهرن السطوح أي يعلونها (وان كل ذلك للمتاع الحياة الدنيا) ان نافية ولما معنى الا أي وما كل ذلك للمتاع الحياة الدنيا وقد قرئ به وقرئ الماغير عاصم وحزة على ان اللام هي الفارقة بين ان المنقفة والنافية وماصلة أي وان كل ذلك للمتاع الحياة الدنيا (والآخرة) أي ثواب الآخرة (عند ربك للمتقين) لمن يتقى الشرك

(ومن يعش) وقرئ ومن يعش والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشى يعشى واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا يعشوا ومعنى القراءة بالفتح ومن يعش (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن لقوله صم بكم عمى ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره أى يعرف انه الحق وهو يتجاهل كقوله وسجدوا لها واستيقننها أنفسهم (تقيض له شيطانا فهو له قرين) قال ابن عباس رضى الله عنهما نسلطه عليه فهو معه في الدنيا والآخرة يحمله على المعاصى وفيه اشارة الى ان من داوم عليه لم يقربه الشيطان (وانهم) أى الشياطين (ليصدونهم) ليعنوا العاشين (عن السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) أى العاشون (انهم مهتدون) وانما جع ضمير من وضمير الشيطان لان من مبهم في جنس العاشى وقد قبض له شيطان مبهم من جنسه فجاز ان يرجع الضمير اليهما مجوعا (حتى اذا جاءنا) على الواحد عراني غير أنى بكرأى العاشى جا أنا غيرهم أى العاشى وقرينه (قال) شيطانه باليت (بيني وبينك بعد (١٣) المشرقين) يريد المشرق والمغرب

فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق

من المغرب والمغرب من المشرق (فبئس القرين) أنت (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) اذ صح ظلمكم أى كفرتم وتبين ولم يبق لكم ولا احد شبيهة في انكم كنتم ظالمين واذا بدل من اليوم (انكم في العذاب مشتركون) انكم في محل الرفع على الفاعلية أى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب أو كونكم مشتركين في العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب في الدنيا كقول الخفساء ولولا كثرة البيا كين حولى على اخوانهم اقتلت نفسى ولا يكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالتأسي أما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم اعظم ما هم فيه وقيل

وقال حديث حسن هو عن قتادة بن النعمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا جاءه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيم الماء أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن أنى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الديناسجن المؤمن وجنة الكافر قوله تعالى (ومن يعش) أى يعرض (عن ذكر الرحمن) أى فلم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل بول ظهره عن القرآن (تقيض له شيطانا) أى نسب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه (فهو له قرين) يعنى لا يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى (وانهم) يعنى الشياطين (ليصدونهم عن السبيل) يعنى عنونهم عن الهدى (ويحسبون انهم مهتدون) يعنى ويحسب كفار بنى آدم انهم على الهدى (حتى اذا جاءنا) يعنى الكافر وحده وقرئ جا أنا على التثنية يعنى الكافر وقرينه وقد جعلنا في سلسلة واحدة (قال) الكافر لقرينه الشيطان (باليت بينى وبينك بعد المشرقين) أى بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولا يكر وعمر العمران وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الاول أصح (فبئس القرين) يعنى الشيطان قال أبو سعيد الخدرى اذا بعث الكافر زوج بقر ينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصبوا الى النار (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) يعنى أشركتم (انكم في العذاب مشتركون) يعنى لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيأ لأن كل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الا وفر من العذاب وقيل ان ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فاتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر (أفانت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان في ضلال مبين) يعنى الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب أنهم لا يؤمنون بقوله عز وجل (فأما نذهب بك) أى بان نميتك قبل أن نعدنهم (فأما منهم من تقمون) أى بالقتل بعدك (أونزيتك) أى في حياتك (الذى وعدناهم) أى من العذاب (فأنا عليهم مقتدرون) أى قادرون على ذلك متى شئنا عند بناهم وأرادهم مشركى مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يعيد التسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام له منهم اما حال حياته أو بعد وفاته وهذا قول أكثر المفسرين وقيل عني به ما يكون في أمته وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نعمة شديدة في أمته ولكن أكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره في أمته الا الذى تقر به عينه وأبقى النعمة بعده وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ما يصاب أمته بعده فاروى ضاحكا من بسط حتى قبضه الله تعالى (فاستمسك بالذى أوحى اليك) يعنى القرآن (انك على صراط مستقيم) أى على دين مستقيم لا يميل عنه الا

(١٥ - خازن) - رابع) الفاعل مضمراى ولا ينفعكم هذا التمنى أو الاعتذار لانكم في العذاب مشتركون لا اشتراككم في سببه وهو الكفر ويؤيده قراءة من قرأ انكم بالكسر (أفانت تسمع الصم) أى من فقد سمع القبول (أو تهدى العمى) أى من فقد البصر (ومن كان في ضلال مبين) ومن كان في علم الله انه يموت على الضلال (فأما) دخلت ما على ان تؤكد الشرط وكذا النون الثقيلة في (نذهب بك) أى توفيتك قبل ان تنصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم (فأما منهم من تقمون) أشد الانتقام في الآخرة (أونزيتك) الذى وعدناهم) قبل ان توفيتك يوم بدر (فأنا عليهم مقتدرون) قادرون وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال بقوله أفانت تسمع الصم الآية ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله فأما نذهب بك الآية (تستمسك) (بالذى أوحى اليك) وهو القرآن واعمل به (انك على صراط مستقيم) أى على الدين الذى لا عوج له

(وانه) وان الذي أوجى اليك (الذركك) لشرفك (لقومك) ولا تمك (وسوف تسئلون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ايس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن ملهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه نظر او خصا نظره في كتاب الله المجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لاجابة الى غير ها وقيل انه عليه السلام جمع له الانبياء ليلية الاسراء فاهم وقيل له سلم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين أى التوراة والانجيل (١١٤) وانما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فسكانه سأل الانبياء ومعنى هذا السؤال

التقرير لعبادة الاوثان انهم على الباطل وسل بلا همز مكي وعلى رسلنا ابو عمر و ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد أرسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملأه فقالت انى رسول رب العالمين) رسول رب العالمين ما اجابوه به عند قوله انى رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم باياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابرار الآيات (اذا هم منها يضحكون) يسخرون منها وهمزون بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجأة وهو جواب فاما لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب فى محل اذا كأنه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجوا وقت ضحكهم (وما نريهم من آية الاهى ا كبر من أختها) فريبتها واصحبتها التي كانت قبلها فى نقض العادة وظاهر النظم يدل على أن اللاحقة أعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام أنهم موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس يقال هما اخوان كل واحد منهما اكرم من الآخر (وأخذناهم بالعذاب) وهو ما قال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وأرسلنا عليهم الطوفان الآية (لعلهم يرجعون) عن الكفر الى اليمان (وقالوا يا ايه الساحر) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم اعلم الساحر بآية الساحر بضم الهاء بلا ألف شامى ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فاما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركتها ما قبلها (ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عن اهتدى

الضال (وانه) يعنى القرآن (لذكر) أى لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسئلون) يعنى عن حقه وأداء شكره وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يخبر بشئ حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر فى قريش ما بقى منهم اثنان (خ) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر فى قريش لا يعادىهم أحد الا كبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالأخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبنى هاشم وقيل ذلك أى ذلك شرف مما أعطاك الله من النبوة والحكمة ولقومك يعنى المؤمنين بما هداهم الله تعالى به وسوف تسئلون عن القرآن وعمما يلزمكم من القيام بحقه ﴿ قوله تعالى (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) اختلف العلماء من هؤلاء المسئولون فروى عن ابن عباس فى رواية عنه لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل له آدم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فاسافر غم من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أسأل قديا كفتيت وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبيرة وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلية أسرى به وأمر ان يسألهم فلم يشكك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلية أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال أكثر المفسرين معناه سل مؤمنى أهل الكتاب الذين أرسلت اليهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى أكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركى قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل ﴿ قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملأه فقالت انى رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذاهم منها يضحكون) أى يسخرون (ومانريهم من آية الاهى ا كبر من أختها) أى من قريبتها التي قبلها (وأخذناهم بالعذاب) أى بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات لموسى عليه الصلاة والسلام وعذابا لهم وكانت كل واحدة ا كبر من التي قبلها (لعلهم يرجعون) أى عن كفرهم (وقالوا) يعنى لموسى عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب (يا ايه الساحر) أى العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه يا ايها الذى غلبنا بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أى بما أخبرتنا عن عهدك اليك انا ان آمننا بكشف عنا

العذاب

من أختها) فريبتها واصحبتها التي كانت قبلها فى نقض العادة وظاهر النظم يدل على أن اللاحقة أعظم من

السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام أنهم موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس يقال هما اخوان كل واحد منهما اكرم من الآخر (وأخذناهم بالعذاب) وهو ما قال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وأرسلنا عليهم الطوفان الآية (لعلهم يرجعون) عن الكفر الى اليمان (وقالوا يا ايه الساحر) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم اعلم الساحر بآية الساحر بضم الهاء بلا ألف شامى ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فاما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركتها ما قبلها (ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عن اهتدى

(انما له تدون) مؤمنون به (فاما كشفنا عنهم العذاب اذا هم يشكثون) ينقضون العهد بالايمان ولا يفون به (ونادي فرعون) نادى بنفسه عظماء القبط أو امر مناد ينادى كقولك قطع الامير اللص اذا امر بقطعه (في قومه) جعلهم محال لندائه وموقعاه (قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار) أى أنهار النيل ومعظمها ربعة (تجري من تحتي) من تحت قصرى وقيل بين يدي فى جناتى والواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها والواو للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدأ وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاولينها أخس عبيدى فولاه الخصب وكان خادمه على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج اليها فلما اشار فيها قال أهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لى أقل عندى من أن أدخلها فثني عنانه (أفلاتبصرون) قوتى وضعف موسى وغناى وقره (أم أنا خير) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة كأنه قال أثبت عندكم واستقرأى أنا خير وهذه حالى (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير (ولا يكاد يبين) الكلام لما كان به من الرقة (فلولا) ألقى عليه أسورة) حفص و يعقوب وسهل جمع اسوار غيرهم أسورة جمع أسورة وأساو يرجع أسوار وهو السوار (١١٥) حذف الياء من أساو ير وعوض

منها التاء (من ذهب) أراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا أرادوا نسيبوا الرجل سوروه بسوار طوقوه بطوق من ذهب (أوجاء معه الملائكة مقترنين) يشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأضارده وأعوانه (فاستخف قومه) استخفهم بالقول واستزلمهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة فى الطاعة وهى الامراع (فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين من دين الله (فاما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقتناهم أجمعين) آسف منقول من أسف أسفا اذا اشتد غضبه

العذاب فاسأله أن يكشفه عنا (انما له تدون) أى المؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى (فاما كشفنا عنهم العذاب اذا هم يشكثون) أى ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (ونادي فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي) يعنى أنهار النيل الكبار وكانت تجري تحت قصره وقيل معناه تجري بين يدي جناتى وبساتينى وقيل تجري بأمرى (أفلاتبصرون) أى عظمتى وشدة ملكى (أم أنا) أى بل أنا (خير) وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقيل فيه اضمحار مجازة أفلاتبصرون أم تبصرون ثم ابتداء قول أنا خير (من هذا الذى هو مهين) أى ضعيف حقير يعنى موسى (ولا يكاد يبين) أى يفصح بكلامه للثغرة التي كانت فى لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه أولاد وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعى ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام (فلولا ألقى عليه) أى ان كان صادقا (أسورة من ذهب) قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته (أوجاء معه الملائكة مقترنين) أى متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره ﴿قال الله تعالى﴾ (فاستخف) يعنى فرعون (قومه) يعنى القبط أى وجددهم جهالا وقيل حلهم على الخفة والجهل (فاطاعوه) أى على تكذيب موسى (انهم كانوا قوما فاسقين) يعنى حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به (فاما آسفونا) أى أغضبونا وهو فى حق الله تعالى ارادته العقاب وهو قوله تعالى (انتقمنا منهم فاغرقتناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) يعنى جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجيى عن بعدهم ﴿قاله تعالى﴾ (ولما ضرب ابن مريم مثلا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى مجادلة عبد الله بن الزبيرى مع النبي صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره فى سورة الانبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبد الله بن الزبيرى

ومعناه انهم أفرطوا فى المعاصى فاستوجبوا أن يجعل لهم عذابنا واتتقانا وأن لا نحلم عنهم (جعلناهم سلفا) جمع سالف تكادم وخدم سلفا عزة وعلى جمع سليف أى فريق قد سلف (ومثلا) وحديثا عجيب الشأن سائر امسير المثل يضرب بهم الامثال ويقال مثلكم مثل قوم فرعون (للاخرين) ان يجيى بعدهم ومعناه جعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزولهم لانياتهم بمثل أفعالهم ومثلا يحدثون به (ولما ضرب بن مريم مثلا) لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم غضبوا فقال ابن الزبيرى يا محمد أخاصة لنا ولا آلتها أم لجميع الآم فقال عليه السلام هولكم ولا هلككم وجميع الام فقال ألتست تزعم ان عيسى بن مريم نبي وتثنى عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت ان النصارى يعبدونها وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآل هنتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الذين سبقتم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن الزبيرى عيسى بن مريم مثلا لأهلهم وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه

(اذا قومك) قر يش (منه) من هذا المثل (يصدون) يرتفع لهم جلبه وضجيج فرحوا وضججا باسماء معوامه من اسكات النبي صلى الله عليه وسلم يجده يصدون مدنى وشامى والاعشى وعلى من الصوداى من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبه وانهما الفتان نحو يعكف ويعكف (وقالوا آلتنا خير أم هو) يعنون ان آلتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حسب النار كان أمرا آلتنا هيئا (ماض بوه) أى ماض بوا هذا المثل (لك الاجدلا) الا لاجل الجدل والغلبة فى القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل (بل هم) (١١٦) قوم خصمون) لشدة ادا خصومة دأبهم اللجاج وذلك ان قوله تعالى انكم وما تعبدون لم

يرد به الا الاصنام لان ما لعبير العقلاء الا ان ابن الزبيرى بخداعه لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع عامه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقع فى ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه (ان هو) ما عيسى (الاعبد) كسائر العبيد (انعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلالبنى اسرائيل) وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبنى اسرائيل (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض) أى بدلا منكم وقال جامع العلوم لجعلنا بدلهم ومن بمعنى البدل (يتخلفون) يتخلفونكم فى الارض ويتخلف الملائكة

عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) يعنى قر يشا (منه) أى من المثل (يصدون) أى يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ان محمد امير يد منا الا ان نعبده وتتخذناه الها كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام (وقالوا آلتنا خير أم هو) يعنون محمد صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلتنا وقيل معنى أم هو يعنى عيسى والمعنى قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله فى النار فنحن قد رضينا ان نكون آلتنا مع عيسى وعزير والملائكة فى النار قال الله تعالى (ماض بوه) يعنى هذا المثل (لك الاجدلا) أى خصومة بالباطل وقد علموا ان المراد من قوله انكم وما تعبدون من دون الله حسب جهنم هؤلاء الاصنام (بل هم قوم خصمون) أى بالباطل ه عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماض قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدلا ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماض بوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى (ان هو) أى ما عيسى (الاعبد انعمنا عليه) أى بالنبوة (وجعلناه مثلا) أى آية وعبرة (لبنى اسرائيل) يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير أب (ولو نشاء لجعلنا منكم) الخطاب لاهل مكة (ملائكة) معناه لو نشاء لاهلكناكم ولجعلنا بدلنا منكم ملائكة (فى الارض يتخلفون) أى يكونون خلفا منكم يعمرون الارض ويعبدوننى ويطيعوننى وقيل يتخلف بعضهم بعضا (وانه) يعنى عيسى (لعم للساعة) يعنى نزوله من اشراط الساعة يعلم به قريبا (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وفى رواية أبى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بينى وبين عيسى نبي وانه نازل فيكم فاذا رأيتوه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الجرة والبياض ينزل بين مصرتين كان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله فى زمانه المال كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث فى الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسامون (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم وفى رواية فأممكم منكم قال ابن أبى ذؤيب فأممكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويرى انه ينزل عيسى ويده حربة وهى التى يقتل بها الدجال فى أى بيت المقدس والناس فى صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويحرب البيع والكائس ويقتل النصارى الامن آمن وقيل فى معنى الآية وانه أى وان القرآن لعم للساعة أى يعلم قيامها ويخبركم باحوالها وأحوالها (فلا تخرن بها) أى لا تشكون فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها (واتبعونى) أى على التوحيد (هذا) أى الذى أنا عليه (صراط مستقيم) لا يصدنكم

بعضهم بعضا وقيل ولو نشاء لقد رتنا على عجائب الامور لجعلنا منكم لولدا منكم اى يارجال ملائكة يتخلفونكم فى الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير خل لتعرفوا تميزنا بالقسرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة أجسام لا تتولد الا من أجسام والقديم متعال عن ذلك (وانه لعم للساعة) وان عيسى مما يعلم به محى الساعة وقرأ ابن عباس لعلم للساعة وهو العلامة أى وان نزوله لعم للساعة (فلا تخرن بها) فلا تشكن فيها من المريبة وهو الشك (واتبعون) وبالياء فيها سهول ويعقوب ابن واتبعوا هداى وشرعى أو رسولى أو هو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوله (هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى أدعوكم اليه (ولا يصدنكم)

الشیطان) عن الإیمان بالساعة وعن الاتباع (انه لكم عدو مبین) ظاهر العداوة اذا خرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (ولما جاء عیسی بالبینات) بالمحجزات أو آیات الانجیل والشرائع الیئنا الواححات (قال قد جئتكم بالحكمة) أى بالانجیل والشرائع (ولاین لكم بعض الذی تختلفون فیہ) وهو امر الدین لأمر الدنیا (فاتقوا الله وأطیعوا ان الله هو ربی وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقیم) هذا عام كلام عیسی علیه السلام (فاختلف الأحزاب) الفرق المتحزبة بعد عیسی وهم الیعقوبیة والنسطوریة والملكانیة والشعونیة (من بینهم) من بین النصارى (فویل للذین ظلموا) حیث قالوا فی عیسی ما كفروا به (من عذاب یوم الیم) وهو یوم القیامة (هل یظنون الا الساعة) الضمیر لقوم عیسی أو للكفار (أن تأتیبهم) بدل من الساعة أى هل یظنون الا یتیان الساعة (بغثة وهم لا یشعرون) أى وهم غافلون لا شغفوا لهم بامر دنیاهم كقولہ تأخذهم وهم یخصمون

(لا یشعرون) أى وهم غافلون لا شغفوا لهم بامر دنیاهم كقولہ تأخذهم وهم یخصمون (الاخلاء) جمع خلیل (یومئذ) یوم القیامة (بعضهم لبعض عدوا) المتقین) أى المؤمنین واتصاب یومئذ بعدوا أى تنقطع فی ذلك الیوم كل خلة بین المتخالین فی غیر ذوات الله وتنقلب عداوة ومعناه الاخلة المتصادقین فی الله فانها الخلة الباقیة (یا عبادى) بالیاء فی الوصل والوقف مدنی وشامی وأبو عمرو وینفتح الیاء أبو بكر الباقون بحذف الیاء (لاخوف علیكم الیوم ولا تم تحزنون) هو حكاية لما ینادی به المتقون المتعجبون فی الله یومئذ (الذین) منصوب المحل صفة لعیبادى لانه منادى مضاف (آمنوا بآیاتنا) صدقوا بآیاتنا (وكانوا

أى لا یصرفكم) الشیطان) أى عن دین الله الذی أمر به (انه) یعنى الشیطان (لكم عدو مبین ولما جاء عیسی بالبینات قال قد جئتكم بالحكمة) أى بالنبوة (ولاین لكم بعض الذی تختلفون فیہ) أى من أحكام التوراة وقیل من اختلاف الفرق الذین تحزبوا فی امر عیسی وقیل الذی جاء به عیسی الانجیل وهو بعض الذی اختلفوا فیہ بین لهم عیسی فی غیر الانجیل ما احتاجوا الیه (فاتقوا الله وأطیعوا) أى فیما أمركم به (ان الله هو ربی وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقیم فاختلف الأحزاب من بینهم) أى اختلف الفرق المتحزبة بعد عیسی (فویل للذین ظلموا من عذاب یوم الیم هل یظنون) أى ینظرون (الا الساعة أن تأتیبهم بغثة) أى خاة والمعنی انها تأتیبهم لا محالة (وهم لا یشعرون الاخلاء) أى على الكفر والمعصیة فی الدنیا (یومئذ) یعنى یوم القیامة (بعضهم لبعض عدو) أى ان الخلة اذا كانت كذلك صارت عداوة یوم القیامة (المتقین) أى الا الموحدین المتحابین فی الله عز وجل المجتمعین على طاعته وروی عن علی بن أبی طالب رضی الله عنه فی الآیة قال خلیلان مؤمنان وخیلان كافران مات أحد المؤمنین فقال یارب ان فلانا كان یأمرنی بطاعتك وطاعة رسولك صلى الله علیه وسلم ویأمرنی بالخیر وینهى عن الشر وینجبرنی فی غیر ملاقیک فیقول لیئن بعدى واهده كما هدیتنى وأكرمه كما كرمتنی فاذا مات خلیل المؤمن جمع بینهما فیقول لیئن كل منكما على صاحبه فیقول نعم الاخ ونعم الخلیل ونعم الصاحب قال ویموت أحد الكافرین فیقول رب ان فلانا كان ینهى عن طاعتك وطاعة رسولك ویأمرنی بالشر وینهى عن الخیر وینجبرنی فی غیر ملاقیک فیقول لیئن كل منكما على صاحبه فیقول بئس الاخ وبئس الخلیل وبئس الصاحب قوله تعالى (یا عبادى لاخوف علیكم الیوم ولا تم تحزنون) قیل ان الناس حین یمشون یدس أحد منهم الا فرع فینادى مناد یتعبدون لاخوف علیكم الیوم ولا تم تحزنون فیرجوها الناس كلها فیتبعها (الذین آمنوا بآیاتنا وكانوا مسلمین) (بطف علیهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (وأكواب) جمع كوب وهو اناء مستدیر بلا عروة (وفیها) أى فی الجنة (ما تشتهی الانفس وتلد الاعین) عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل یارسول الله هل فی الجنة خیل فانی أحب الخیل قال ان یدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرسا من یاقوته جراء فتطیر برك فی أى الجنة شئت الافلت رسأله آخر فقال یارسول الله هل فی الجنة من ابل فانی أحب الابل قال فلم یقل له ما قال لصاحبه فقال ان یدخلك الله الجنة یكن لك فیها ما تشتهت نفسك ولدت عینك أخرجه الترمذی (وأتم فیها خالدون وتلك الجنة التى أورتتموها بما كنتم تعملون لكم فیها فاكهة كثيرة منها ما كانون

مسلمین) لله منقادین له (ادخلوا الجنة أتم وأزواجكم) المؤمنات فی الدنیا (تحبرون) تسرون سرورا یظهر حیاره أى أثره على وجوهكم (بطف علیهم بصحاف) جمع صحفة (من ذهب وأكواب) أى من ذهب أيضا والكوب الكوز لا عروة له (وفیها) وفى الجنة (ما تشتهی الانفس) مدنی وشامی وحفص باثبات الهاء العائدة الى الموصول وحذفها غیرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول (وتلد الاعین) وهذا حصر لانواع النعم لانها ما مشتهيات فی القلوب ومستلذة فی العیون (وأتم فیها خالدون وتلك الجنة التى أورتتموها بما كنتم تعملون) تلك اشارة الى الجنة المذكورة وهى مبتدأ وجنة خبر والتی أورتتموها صفة الجنة والجنة صفة للمبتدأ الذی هو اسم الاشارة والتی أورتتموها صفة الجنة وبما كنتم تعملون الخبر والباء یتعلق بحذف أى حصلت وأكانت كافی الظروف التى تقع أخبارا وفى الوجه الاول یتعلق بأورتتموها وشبهت فی بقائها على أهلها بالمیراث الباقى على الورثة (لكم فیها فاكهة كثيرة منها ما كانون لا تأكلون الا بعضها



وأعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار أبد وفي الحديث لا ينزع أحد في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاًها (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون) خبر بعد خبر (لا يفتر عنهم) خبر آخر أي لا يخفف ولا ينقص (وهم فيه) في العذاب (مبلسون) أيسون من الفرج متحبرون (وما ظمناهم) بالعذاب (ولكن كانوا هم الظالمين) هم فصل (ونادوا يا مالك) لما أيسون من فتور العذاب نادوا يا مالك وهو خازن النار وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ مال فقال ما شغل أهل النار عن الترخيم (ليقض علينا ربك) ليمتنا من قضى عليه اذا ما نة فوكره موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضى علينا (قال انكم ما كثون) لا بشون في العذاب لا تتخلصون عنه بموت ولا فتور (لقد جئناكم بالحق) كلام الله تعالى ويجب أن يكون في قال ضمير الله لئلا يسألوا مالاً كأن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بكلام مالك والمراد بقوله جئناكم الملائكة اذ هم رسل الله وهو منهم (ولكن أكثركم للحق كارهون) لا تقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب (أم أبروا أمرا) (١١٨) أم أحكم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (فأنا

مبرمون) كيدنا كما أبروا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة (أم يحسبون أننا لانسع سرهم) حديث أنفسهم (ونجواهم) ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمعها ونطلع عليها (ورسلنا) أي الحفظة (لديهم يكتبون) عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لا تخفي عليه خافية فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من أمارات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وضح ذلك ببرهان (فأنا أول العابدين) فأنا أول

ورد في الحديث أنه لا ينزع أحد في الجنة من ثمرة الا نبت مكانها مثلاًها (ان المجرمين) يعني المشركين (في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم) أي لا يخفف عنهم (وهم فيه مبلسون) أي أيسون من رحمة الله تعالى (وما ظمناهم) أي وما عذبناهم بغير ذنب (ولكن كانوا هم الظالمين) أي لانفسهم بما جنوا عليها (ونادوا يا مالك) يعني يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون (ليقض علينا ربك) أي ليمتنا ربك فنستريح والمعنى أنهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد ألف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروى عن عبد الله بن عمر وابن العاص قال ان أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم (أر بعين عامتهم بردهم) (قال انكم ما كثون) قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ما كثون مقيمون في العذاب (لقد جئناكم بالحق) يقول أرسنا اليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق (ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبروا أمرا) أي أحكموا أمرا في المكر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فأنا مبرمون) أي محكمون أمرا في مجازاتهم ان كادوا شرا كدتهم بمثلهم (أم يحسبون أننا لانسع سرهم ونجواهم) أي ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك كله ونعلمه (ورسلنا) يعني الحفظة من الملائكة (لديهم يكتبون) قوله عز وجل (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) (معناه ان كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا أول من عبد الرحمن فإنه لا شريك له ولا ولد له وقال ابن عباس ان كان أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين أي أنا أول الجاحدين المنكرين لما قاتم وأنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد وقال الزمخشري في معنى الآية ان كان للرحمن ولد ووضح وثبت ببرهان صحيح نور دونه وحنة واضحة تدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكيونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق عليها محالاً مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون)

من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والاقية اليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه

وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والمراد في الولد وذلك انه علق العبادة بكيونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالاً مثلها ونظيره قول سعيد بن جبيرة للحجاج حين قال له والله لا بد لك بالدين انار انظري لوعرفت أن ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين أي الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتدأ فلهو عبد وعابد وقرئ العبدن وقيل هي ان النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحده وروى أن النضر قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الأترون أنه صدقني فقال له الولد ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له ولد جزء وعلى ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أي هو رب السموات والارض والعرش فلا يكون جسماً اذ لو كان جسماً لم يقدر على خلقها واذا لم يكن جسماً لا يكون له ولد لان التولد من صفة الاجسام

اي

(فذرهم يخوضوا) في باطلهم (و يلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي بوعدون) أي القيامة وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب (وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله) ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الأرض كما يقول هو حاتم في طي و حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهره كأنك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب و قرئ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله ومثله قوله وهو الله في السموات وفي الأرض فكانه ضمن معنى المعبود والراجع إلى الموصول محذوف أطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قائل لك شيئا والتقدير وهو الذي هو في السماء اله واله يرثع على أنه خير مبتدأ مضمرة ولا يرتفع اله بالابتداء وخبره في السماء لخالصه حينئذ من عائد يعود إلى الموصول (وهو الحكيم) في أقواله وأفعاله (العليم) بما كان ويكون (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون) واليه ترجعون (يرجعون مكي وحجزة وعلى (ولا يملك) ألتهم (الذين يدعون) يدعونهم (من دونه) من دون الله (الشفاعة) كازعموا أنهم (١١٩) شفاعتهم عند الله (الامن شهد

بالحق) أي ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد (وهم يعلمون) أن الله رهم حقوا ويعتقدون ذلك هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع أو متصل لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة (ولئن سألتهم أي المشركين (من خلقهم ليقولن الله) لا الاصنام والملائكة (فاني يؤفكون) فكيف أو من أين يصرفون عن التوحيد مع هذا الاقرار (وقيله) بالجر عاصم وحجزة أي وعنده علم الساعة وعلم قبله (يارب) والهاء يعود إلى محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره في قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين

أي عما يقولونه من الكذب (فذرهم يخوضوا) أي في باطلهم (و يلعبوا) أي في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي بوعدون) يعني يوم القيامة (وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله) أي هو الاله الذي يعبد في السماء وفي الأرض لاله الا هو (وهو الحكيم) أي في تدبير خلقه (العليم) أي بمصالحهم (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) قيل سبب نزولها ان النضر بن الحرث ونفر معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وأراد بالذين يدعون من دونه ألتهم ثم استثنى عيسى وعزير والملائكة بقوله (الامن شهد بالحق) لانهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة فان الله تعالى لا يملك لاحد من هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهي كلمة الاخلاص وهي لاله الا الله فمن شهدها قبله شفعوا له وهو قوله (وهم يعلمون) أي بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم وقيل يعلمون أن الله عز وجل خلق عيسى وعزير والملائكة ويعلمون أنهم عباده (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) يعني انهم اذا أقرؤا بان الله خالق العالم بأسره فكيف قدموا على عبادة غيره (فاني يؤفكون) أي يصرفون عن عبادته إلى غيره (وقيله يارب) يعني قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكي إلى ربه يارب (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال ابن عباس شكالي الله تعالى تخلف قومهم عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكوكوهم إلى ربه (فاصفح عنهم) أي أعرض عنهم وفي ضمنه منعه من أن يدعو عليهم بالعذاب (وقل سلام) معناه التاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم (فسوف يعلمون) أي عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق قال مقاتل نسخها آية السيف والله تعالى أعلم

تفسير سورة الدخان وهي مكية وهي سبع وقيل تسع وخمسون آية وثلاثمائة وست

وأربعون كلمة وألف وأربعمائة واحد وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) أي المبين ما يحتاج إليه الناس حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام (انا أنزلناه في ليلة مباركة) قيل هي ليلة القدر أنزل الله تعالى فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء

وبالنصب الباقون عطف على محل الساعة ويعلم قبله أي قيل محمد يارب والقبيل والقول والقال والمقال واحد ويجوز أن يكون الجر والنصب على اضماع حرف القسم وحذفه وجواب القسم (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) كأنه قيل وأقسم بقلبه يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون واقسام الله بقلبه رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه (فاصفح عنهم) فاعرض عن دعوتهم بانساعن ايمانهم ووداعهم وتاركهم (وقل لهم سلام) أي أسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسليته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبالهاء مدني وشامي سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم في الخبر من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورا له (حم والكتاب المبين) أي القرآن الواو في والكتاب وار القسم ان جعلت حم تعديد للحروف واسما للسورة صر فوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وجواب القسم (انا أنزلناه في ليلة مباركة) أي ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان وقيل بينها وبين ليلة القدر أر بعون ليلة والجمهور على الاول لقوله انا أنزلناه في ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وليلة القدر في أكثر الاقوال في شهر رمضان ثم قالوا أنزله جملة من

اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل في وقت وقوع الحاجة الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابتداء نزوله في ليلة القدر والمباركة  
الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولولم يوجد فيها الا نزال القرآن وحده لكتفى به بركة (انا كنا منذر بن  
فيها يفرق كل امر) هما جلتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كانه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب  
وكان انزالناياه في هذه الليلة خصوصاً لان انزال القرآن من الامور الحكمية وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل  
امر من أرزاق العباد وأجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة الى ليلة القدر التي تحي في السنة المقبلة (حكيم) ذي حكمة أي مفعول على  
ما تقتضيه الحكمة وهو من الاستناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجازاً (امر من عندنا) نصب على  
الاختصاص جعل كل امر جزاً لغما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزاً لغما بان قال أعني بهذا الامر امر احصاه من عندنا كما اقتضاه علمنا  
وتدبيرنا (انا كنا منسرين) (١٣٠) بدل من انا كنا منذر بن (رحمة من ربك) مفعول له على معنى انا أنزلنا القرآن لان

من شأننا وعادة انارسال  
الرسول بالكتب الى عبادنا  
لاجل الرحمة عليهم أو لتعليل  
لقوله امر من عندنا ورحمة  
مفعول به وقد وصف  
الرحمة بالارسال كما وصفها  
به في قوله وما يمسك فلا  
مرسل له من بعده والاصل  
انا كنا منسرين رحمة  
منافوض الظاهر موضع  
الضمير ايدنا بان الربوبية  
تقتضى الرحمة على الربوبية  
(انه هو السميع) لاقواهم  
(العليم) باحوالهم (رب)  
كوفي بدل من ربك وغيرهم  
بالرفع أي هو رب السموات  
والارض وما بينهما  
كنتم موقنين) ومعنى  
الشرط اهم كانوا يقرون  
بان للسموات والارض

الدنيا ثم نزل به جبريل بنجوم على حسب الوقائع في عشر بن سنة وقيل هي ليلة النصف من شعبان عن عائشة  
رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان  
الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب أخرجه الترمذي (انا كنا منذر بن) أي مخوفين  
عقابتنا (فيها) أي في تلك الليلة المباركة (يفرق) أي يفصل (كل امر حكيم) أي محكم قال ابن عباس  
يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحاج  
يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحياء من  
الاموات وروى البغوي بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى  
ان الرجل يستكبح ويولد له وقد خرج اسمه في الوقي وعن ابن عباس أن الله يقضي الاقضية في ليلة النصف  
من شعبان ويسامها الى أربابها في ليلة القدر (أمرا) أي أنزلناه أمرا (من عندنا انا كنا منسرين) يعني  
محمد اصلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رافة مبي بخاتي ونعمة عليهم  
بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل أنزلناه في ليلة مباركة رحمة من ربك (انه هو السميع) أي لاقواهم  
(العليم) أي باحوالهم (رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) أي ان الله رب السموات  
والارض وما بينهما (لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين) قوله تعالى (بل هم في شك)  
أي من هذا القرآن (يلعبون) أي بهزون به لا هون عنه (فارقب) أي يا محمد (يوم تأتي السماء بدخان  
مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) (ق) عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع  
بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان فأصاع عند باب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان نجيء فأتأخذ بانفاس  
الكفار وياخذ المؤمن منها كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله  
من علم منكم شيأ فليقل به ومن لا يعلم شيأ فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فان الله  
عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكافين ان رسول الله صلى

الله

ر باوخالقا فليلهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم

الذي أتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وإيقان كما نقول ان هذا انعام ز يد الذي تسامع  
الناس بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته (لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم) أي هو ربكم (ورب آبائكم الاولين) عطف عليه ثم رد أن  
يكونوا موقنين بقوله (بل هم في شك يلعبون) فان اقرارهم غير صادر عن علم وإيقان بل قول مخلوط بهز ووعب (فارقب) فانتظر (يوم تأتي  
السماء بدخان) يأتي دخان من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسمع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الخنيزد ويعتري المؤمن منه  
كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كيبب أو قد فيه لبس فيه خصاص وقيل ان قر يشالما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا  
عليهم فقال اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعاهز وكان الرجل يرى بين  
السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان (مبين) ظاهر جاله لا يشك أحد في أنه دخان

(يعشى الناس) يشملهم ولبسهم وهو في محل الجر صفة لدخان وقوله (هذا عذاب أليم بنا) كشف عنا العذاب انما مؤمنون) أى سنؤمن أن تكشف عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب المحل على الحال أى قائلين ذلك أى لهم الذى كرى كيف يذكرون ويتعظون ويقون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أى وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الاذكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عدا ساغلاماً مأجماً بالبعض ثقيف هو (١٢١) الذى علمه ونسبوه الى الجنون

(انا كاشفوا العذاب قليلاً) زما ناقليلاً أو كاشفاً قليلاً (انكم عائدون) الى الكفر الذى كنتم فيه أو الى العذاب (يوم نبطش البطشة الكبرى) هى يوم القيامة أو يوم بدر (انما ننتقمون) أى ننتقم منهم فى ذلك اليوم واتصاب يوم نبطش باذكاراً وبمادل عليه انما ننتقمون وهو ننتقم لا بمتة قون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها (ولقد فتنا قبلهم) قبل هؤلاء المشركين أى فعلنا بهم فعل المختبر لظهر منهم ما كان باطناً (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم فى نفسه حسب نسب لان الله تعالى لم يبعث نبياً الا من سرته قومه وكرامهم (أن أدوا الى) هى ان المفردة لان محيى الرسل الى من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا بشراً ونذيراً وداعياً

الله عليه وسلم لما رأى من الناس اذ بارأى الله سبعا كسبج يوسف ورواية للماد عاقر يشافكذ بوه واستصوا عليه قال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبج يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شئ حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم الى السماء فىرى كهيمته الدخان فاتاه أبو سفيان فقال يا محمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله عائدون قال عبد الله أفيكشف عذاب الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى انما منتقمون فالبطشة يوم بدر وفي رواية للبخارى قالوا (ر بنا) كشف عنا العذاب انما مؤمنون) فقيل له ان كشفناه عنهم عادوا فادعاهم فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله انما منتقمون قوله حصت كل شئ بالخاء والصاد المهملتين أى أهلكت واستأصلت كل شئ (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قدمضين الزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل أصابهم من الجوع كالظامة فى أضرارهم وسبب ذلك ان فى سنة القحط العظيم تيس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يحى عقبيل قيام الساعة ولم يات بعد فدخل فى اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيدى يعنى المشوى ويعترى المؤمن منه كهيمته الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ما روى البغوى باسناد الثعلبى عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين نسوق الناس الى المحشر ثقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تأتى السماء بدخان مبين بلا ما بين المشرق والمغرب يمكأر بعين يوم اوليلة أما المؤمن فيصيبة منه كهيمته الزكام وأما الكافر كنهزلة السكران يخرج من منخر به وأذنيه ودبره (أنى لهم الذى كرى) أى كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) معناه وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من المجزات الظاهرات والآيات البينات الباهرات (ثم تولوا عنه) أى عرضوا عنه (وقالوا معلم) أى يعلمه بشر (مجنون) أى تلقى اليه الجن هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشى (انا كاشفوا العذاب) أى الجوع (قليلاً) أى زماً يسيراً قيل الى يوم بدر (انكم عائدون) أى الى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (انما ننتقمون) أى منكم فى ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود وأكثرا العلماء وفي رواية عن ابن عباس أنه يوم القيامة قوله تعالى (ولقد فتنا قبلهم) أى قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) أى على الله وهو موسى بن عمران عليه السلام (أن أدوا الى عباد الله) أى اطلقوا الى بنى اسرائيل ولا تعذبوهم (انى لكم رسول أمين) أى على الوشى (وأن لاتعولوا على الله) أى لاتعجبوا واعليه بترك طاعته (انى آتيتكم بسطان مبين) أى يبرهان بين على صدق قولى فلما قال ذلك توعده بالقتل فقال (وانى عدت بربى وربكم

(١٦ - (خازن) - رابع) الى الله والخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشأن والحديث أدوا الى سلموا الى (عباد الله) هو مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول أدوهم الى وأرسلوهم معى كقوله أرسل معنابى اسرائيل ولا تعذبوهم ويجوز أن يكون نداء لهم على معنى أدوا الى يا عباد الله ما هو واجب عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بقوله (انى لكم رسول أمين) أى على رسالتى غير متهم (وأن لاتعولوا على الله) أن هذه مثل الاولى فى وجهها أى لاتستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووجهه ولا تستكبروا على نبي الله (انى آتيتكم بسطان مبين) بحجة واضحة تدل على أنى نبي (وانى عدت) مدغم أبو عمرو ووجهه على (ربى وربكم

أن ترجون) أن تقتلوني رجاء ومغناؤه أنه عانذب به مستك على أنه بعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل (وان لم تؤمنوا لي فاعتلون) أي ان لم تؤمنوا لي فلاموا الالة بيني وبين من لا يؤمن فتتحو اعنى أو غفلوني كيف اقالا لي ولا على ولا تتعرضوا لي بشركم واذا كم فليس جزء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك ترجوني فاعتلوني في الحالين يعقوب (فدعار به) شا كيفاقومه (ان هؤلاء قوم مجرمون) بان هؤلاء أي دعار به بذلك فيسل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجر امهم وقيل هو قوله بنالنا جعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرى ان هؤلاء بالكسر على اضرار القول أي فدعار به فقال ان هؤلاء (فاسر) من أسرى فاسر بالوصل حجازي من سرى والقول مضمرة بعد الفاء أي فقال اسر (بعبادي) أي بني اسرائيل (ايلا انكم متبعون) أي دبر الله أن تتقدموا وتتبعكم فرعون وجنوده فينحى المتقدمين ويفرق (١٢٢) التابعين (واترك البحر رهوا) سا كنا اراد موسى عليه السلام لما جاوز

أن ترجون) أي تقتلون وقال ابن عباس نشتمون وتقولوا هو ساحر وقيل ترجوني بالحجارة (وان لم تؤمنوا لي فاعتلون) أي فاتركون لامي ولا على وقال ابن عباس اعتزلوا اذا ذاب باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعار به) ان هؤلاء قوم مجرمون) أي مشركون (فاسر بعبادي ليلا) أي اجاب الله دعاؤه وأمره أن يسرى بني اسرائيل بالليل (انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) أي اذا قطعت أنت وأصحابك (رهوا) أي سا كنا والمعنى لان امره أن يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طر يقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتم وخاف أن يتبعه فرعون بجنوده فقبل لموسى اترك البحر كما هو (انهم جند مغرقون) يعني اخبر موسى بفرقهم ليطمئن قلبه في تركه البحر كما هو (كم تركوا) أي بعد العرق (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) أي مجلس شريف حسن (ونعمة) أي وعيش لين رغد (كانوا فيها) أي في تلك النعمة (فاهين) أي ناعمين وقرى فاهين أي أشرف بن بطر بن (كذلك) أي أفعل بمن عصاني (وأورثناها قوما آخرين) يعني بني اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والأرض) وذلك ان المؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والأرض أر بعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكى السماء على فقده ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكى الأرض عليه عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مؤمن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكاء عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب لان عرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حجرة أطرافها وقال مجاهد مات مؤمن الا بكت عليه السماء والأرض أر بعين صباحا فقيل أو تبكى فقال وما للأرض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوى كدوى النحل وقيل المراد أهل السماء وأهل الأرض (وما كانوا منظرين) أي لم يمهلوا حين أخذهم العذاب اتوبة ولا غيرها وقوله عز وجل (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين) أي من قتل الابناء واستعباء النساء والتعب في العمل (من فرعون انه كان عاليا) أي جبارا (من المسرفين ولقد اخترناهم على علم) أي علمه الله تعالى فيهم (على العالمين) أي عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) أي نعمة ينبت من فلق البحر وظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعيم التي أنعمنا بها عليهم وقيل ابتلاؤهم بالرءاء والشدة (ان هؤلاء) يعني مشركي مكة (ليقولون ان هي الامواتنا

البحر ان يضر به بعصاه فينطبق فاسر بان يتركه سا كنا على هيئته قادرا على حاله من اتصاب الماء وكون الطريق بابسا ليضر به بعصاه ولا يغير منه شيأ ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم وقيل الرهو الفجوة الواسعة أي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (انهم جند مغرقون) بعد خروجكم من البحر وقرى بالفتح أي لانهم (كم) عبارة عن الكثرة منصوب بقوله (تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) هو ما كان لهم من المنازل الحسنة وقيل المنابر (ونعمة) تنم (كانوا فيها فاهين) متنعمين (كذلك) أي الامر

كذلك قال كافي في موضع الرفع على انه خبر مبتدأ مضمرة (وأورثناها قوما آخرين) ليسوا منهم في شيء من قرابة الاولى ولادين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والأرض) لانهم ماتوا كفارا والمؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والأرض فيبكي على المؤمن من الأرض مصلاه ومن السماء مصعد عمله وعن الحسن أهل السماء والأرض (وما كانوا منظرين) أي لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين) أي الاستخدام والاستعباد وقتل الاولاد (من فرعون) بدل من العذاب المهين باعادة الجار كانه في نفسه كان عذابا مهينا لا فرطه بتعذيبهم واهانتهم وأخبر مبتدأ محذوف أي ذلك من فرعون (انه كان عاليا) متكبيرا (من المسرفين) خبر ثان أي كان متكبيرا مسرفا (ولقد اخترناهم) أي بني اسرائيل (على علم) حال من ضمير الفاعل أي عالمين بمكان الخيرة وبانهم أحقاء بان يختاروا (على العالمين) على عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك (ما فيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون (ان هؤلاء) يعني كفار قريش (ليقولون ان هي) ما المونة (الامواتنا

الكلام وقع في الحياة الثانية لاني الموت فم لا قيل ان هي الاحياتنا الدنيا وما معنى ذكر الولى كلهم وعدوا مودة اخرى حتى نجسدوها وأبتوا الولى والجواب انه قيل لهم انكم تموتون مودة تتعقبها حياة كما تقدمتكم مودة قد تعقبها حياة وذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الاموتنا الولى بر يدون ما المودة التي من شأنها أن يتعقبها حياة الاموتة الولى فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله الاحياتنا الدنيا في المعنى ويحتمل أن يكون هذا انكار لما في قوله بنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين يقال أنشرك الله الموتى ونشرهم اذ بعثهم (فأتوا بابائنا) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ان كنتم صادقين) أى ان صدقتم فيما تقولون فجاءوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ذلك حتى يكون دليلا على أن مات عدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حتى (أهم خير) في القوة والمنعة (أم قوم تبع) هو تبع الجبري كان مؤمنا وقومه كافر بن وقيل كان نبيا وفي الحديث ما أدري أى كان تبع نبيا أو غير نبى (والذين من قبلهم) مرفوع

الاولى) أى لاموتة لنا الالهة التي نؤمنها في الدنيا ولا بعث بعد ها وهو قوله (وما نحن بمنشرين) أى بمبعوثين بعد موتنا هذه (فأتوا بابائنا) أى الذين ماتوا قبل (ان كنتم صادقين) أى ان تبعث احياء بعد الموت قيل طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يحيي لهم قصي بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى (أهم خير أم قوم تبع) أى ليسوا خيرا من قوم تبع يعنى في الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الجبري وكان من ملوك اليمن سمي تبع لكثرة أتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبع لانه يتبع صاحبه الذي قبله كما سمي في الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم جبري الى الاسلام فكذبوه عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعافانه كان قد أسلم أخرجه أجد بن حنبل في مسنده وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدري أى كان تبع نبيا أو غير نبى وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لا تسبوا تبعافانه كان رجلا صالحا وكان من قصته على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره وذكره عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مديك وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حبر الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طر يقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابنه فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها فجتمع له هذا الخي من الانصار حين سمعوا بذلك من أمره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فيبيناهو كذلك اذ جاءه خبر ان عالمان من ابحار بنى قريظة وكانا ابني عم أحدهما كعب والآخر أسد حين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فاقبالاه أيها الملك لا تفعل فانك ان أبيت الامار يدهحيل يبنك وينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجرة نبي يخرج من هذا الخي من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذي أنت فيه يكون به من القتل والجراح أمر كبير في أصحابه وفي عدوهم قال تبع ومن يقاتله وهو نبى فاليسير اليه قومه فيقتلون ههنا فتنهاى لقولها عمما كان يريد بالمدينة ثم انهم ادعوا الى دينها فاجابها ما اتبعها على دينها وأكرمها وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فأناه في الطريق نفر من هذيل وقالوا له اننا نملك على بيت فيه كنز من لؤلؤ ووز بوجد وفضة قال أى يب هذا قالوا بئس بمكة وانما أراد هذيل هلاكه لانهم عرفوا أنه لم يردده أحد بسوء الالهك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم الله في الارض يتنا غير هذا البيت الذي بمكة فاتخذ مسجدا وانسك عنده وانحر واحرق رأسك وما أراد القوم الالهلاك وما نواه أحد قط الالهك فآكرمه واصنع عنده ما يصنع أهلها فمسا قالوا له ذلك أخذنا أولئك نفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة شرفها الله تعالى نزل بالشعب شعب المطامح وكسا البيت الوصائل وهي برود تصنع باليمن وهو أول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاق به وحلق وانصرف فاسادنا من اليمن ليدخلها حال جبر بينه وبين ذلك وقالوا له لاندخلها علينا وأنت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا الخاكننا الى النار وكانت باليمن نار في أسفل جبل تبعا كمن اليها فبما يخلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم قال تبع أنصفتم فخرج القوم باوائهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الخبران ومصاحفهما في أعناقهما حتى قعدوا للنار عند منخرجهما الذي نخرج منه فخرجت النار فاقبلت حتى غشبتهم فاكلت الاوتان وما قر بوامعها ومن جل ذلك من رجال جبر وخرج الخبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرف جباهم ما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت الى منخرجهما الذي خرجت منه فاصفقت عند ذلك جبر على دينها فن هناك كان أصل اليهودية باليمن وقال الرياشي كان أبو كرب أسعد الجبري من التبايعه ممن آمن بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبع مائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه  $\text{ﷺ}$  قوله تعالى (والذين من قبلهم) أى من الامم الكافرة تبع) هو تبع الجبري كان مؤمنا وقومه كافر بن وقيل كان نبيا وفي الحديث ما أدري أى كان تبع نبيا أو غير نبى (والذين من قبلهم) مرفوع

بالعطف على قوم تبع (أهلكناهم أنهم كانوا مجرمين) كافر بن منكر بن للبعث (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) أي وما بين الجنسين (لاعين) حال ولو لم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خالق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا (ما خلقناهما الا بالحق) بالجد ضد اللعب (ولكن أكرههم لا يعلمون) انه خالق لذلك (ان يوم الفصل) بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة (ميقاتهم أجمعين) وقت مواعدهم كلهم (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) أي ولي كان عن أي ولي كان شيئا من أغناء أي قليلا منه (ولا هم ينصرون) الضمير للمولى لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى (الامن رحم الله) في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب الامن رحمه الله (انه هو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) لا وليائه (ان شجرت الزقوم) هي على صورة شجرة الدنيا لكنها في النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل (طعام الاثيم) هو الفاجر الكثير الاثم وعن أبي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا استدلت (١٢٤) على ان ابدال الكلمة مكان الكلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو

حنيفة رضي الله عنه القراءة بالفارسية بشرط أن يؤدي القارئ المعاني كلها على كمالها من غير أن يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريعة تشهد أنها حازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو مجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والدقائق ما لا يستقل بادائه لسان من فارسية وغيرها ويروي رجوعه الى قولهما وعليه الاعتماد (كالمهل) هو دردى الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر (تغلى في البطون) وبالياء مكى وحفص فالتاء للشجرة والياء للطعام (كغلى

أهلكناهم أنهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا عين ما خلقناهما الا بالحق) أي بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن أكرههم لا يعلمون) قوله عز وجل (ان يوم الفصل) أي الذي يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم أجمعين) أي يوافي يوم القيامة الاولون والآخرون (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) أي لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا (ولا هم ينصرون) أي بمنعهم من عذاب الله (الامن رحم الله) يعني المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض (انه هو العزيز) أي في انتقامه من أعدائه (الرحيم) أي بوليائه المؤمنين (قوله تعالى) (ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) أي ذى الاثم وهو أبو جهل (كالمهل) أي كدردى الزيت الاسود (تغلى في البطون) أي في بطون الكفار (كغلى الجحيم) يعني كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه أخرجه الترمذي وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية بأبيها الذين آمنوا اتقوا الله حتى تقانه ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على أهل الدنيا عايشهم فكيف بمن تكون طعامه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (قوله تعالى) (خذوه) أي بقال للزبانية خذوه يعني الاثيم (فاعتلوه) أي ادفعوه وسوقوه بالعنف (الى سواء الجحيم) أي الى وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم) قيل ان خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حيا قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) أي هذا العذاب (انك أنت العزيز الكريم) أي عند قومك بزعمك وذلك ان أبا جهل لعنه الله كان يقول أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ (ان هذا ما كنتم به تمترون) أي تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى (ان المتقين في مقام أمين) أي في مجلس أمنوا فيه من الغير (في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق) قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو معرب استبرق فان قلت كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ

اعجبني

الجحيم) أي الماء الحار الذي انتهى غليانه ومعناه غليا كغلى الجحيم فالكاف منصوب المحل ثم

يقال للزبانية (خذوه) أي الاثيم (فاعتلوه) فقولوه بعنف وغلظة فاعتلوه مكى ونافع وشامى وسهل ويعقوب (الى سواء الجحيم) الى وسطها ومعظمها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم) المصبوب هو الجحيم لاعدابه الا أنه اذا صب عليه الجحيم فقد صب عليه عذابه وشده وصب العذاب استعارة ويقال له (ذق انك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزء والتعظيم انك أي لانك على (ان هذا) أي العذاب وهذا الامر هو (ما كنتم به تمترون) تشكون (ان المتقين في مقام) بالفتح وهو موضع القيام والمكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم مدنى وشامى وهو موضع الإقامة (أمين) من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان الخفيف كأنما يخوف صاحبه بما يلقي فيه من المسكاره (في جنات وعيون) بدل من مقام أمين (يلبسون من سندس) مارق من الديباج (واستبرق) ما غلظ منه وهو تعريب استبرق واللفظ اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن مناجاه واجرائه على أوجه الاعراب فساغ أن يقع في القرآن العربي

(متقابلين) في مجالسهم وهو أتم للانسان (كذلك) الكاف مرفوعة أى الامر كذلك (وزوجناهم) وقرانهم ولهذا اعدى بالباء (بحور) جمع حوراء وهى الشديدة سواد العين والشديدة بياضها (عين) جمع عيناء وهى واسعة العين (يدعون فيها) يطلبون فى الجنة (بكل فاكهة آمنين) من الزوال والانتقاع وتولد الضرر من الاكثار (لا يذوقون فيها) أى فى الجنة (الموت) البتة (الاموتة الاولى) أى سوى الموتة الاولى التى ذاقوها فى الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها فى الدنيا (ووقاهم عذاب) (١٢٥) الحليم فضلا من ربك) أى للفضل

فهو ومفعوله أو مصدر مؤكد لما قبله لان قوله ووقاهم عذاب الحليم تفضل منه لهم لان العبد لا يستحق على الله شيأ (ذلك) أى صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم فأنما يسرناه) أى الكتاب وقد جرى ذكره فى أول السورة (لسانك لعلمهم بتذكرون) يتعظون (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك من الدوائر

سورة الجاثية  
مكية وهى سبع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم  
(حم) ان جعلتها اسما للسورة فهى مرفوعة بالابتداء والخبر (تنزيل الكتاب من الله) صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبره (العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى تديره (ان فى السموات والارض آيات) للدلالات

أعجمى قلت اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن مناجه واجرائه على أوجه الاعراب (متقابلين) أى يقابل بعضهم بعضا (كذلك) أى كما كرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك (و) أكرمناهم بان (زوجناهم بحور عين) أى قرانهم بهن وليس هو من عقد التزوج وقيل جعلناهم أزواجا لمن أى جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات البيض وقيل بحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديديات بياض العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) يعنى أرادوها واشتهوها (آمنين) أى من نقادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والاصاب والشيطان (لا يذوقون فيها الموت الاموتة الاولى) أى لا يذوقون فى الجنة الموت البتة سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا وقيل الابغنى لكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها انما استثنى الموتة من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى أسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الدنيا كماه فى الجنة لاتصالهم بأسبابها ومشاهدتهم اياها (ووقاهم عذاب الحليم فضلا من ربك) يعنى كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم بذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فأنما يسرناه لسانك) أى سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور (لعلمهم بتذكرون) أى يتعظون (فارتقب) أى فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب (انهم مرتقبون) أى منتظرون فترك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعمر بن خنيم أحدر وانه وهو ضعيف وقال البخارى هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له أخرجه الترمذى وقال هشام أبو المقادام أحدر وانه ضعيف والله أعلم

سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة وهى مكية وهى سبع وثلاثون آية وأربع مائة وثمان وثمانون كلمة وألفان ومائة واحد وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (حم) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض) أى ان فى خلق السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله (آيات للمؤمنين وفى خلقكم) أى وفى خلق أنفسكم من تراب ثم من نطفة الى أن يصير انسانا ذاعقل وتمييز (وما يثبت من دابة) أى وما يفرق فى الارض من جميع الحيوانات على اختلاف أجناسها فى الخلق والشكل والصورة (آيات) دلالات تدل على وحدانية من خلقها وأنه الاله القادر المختار (لقوم يوقنون) يعنى انه لا اله غيره (واختلاف الليل والنهار) يعنى بالظلام والضياء والطول والقصر (وما أنزل الله من السماء من رزق) يعنى المطر الذى هو سبب أرزاق العباد (فأحياه) أى بالطرر (الارض بعد موتها) أى بعد يبسها (وتصرف الرياح) أى فى مهامها فمنها الصبا والدمبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك (آيات لقوم يعقلون) فان

على وحدانيته ويجوز أن يكون المعنى ان فى خلق السموات والارض آيات (للمؤمنين) دليله قوله (وفى خلقكم) ويعطف (وما يثبت من دابة) على الخلق المضاف لان المضاف اليه ضمير مجرور متصل يقبح العطف عليه (آيات) حزة وعلى بالنصب وغيرهما بالرفع مثل قوله ان زيدا فى الدار وعمر فى السوق أو عمرو فى السوق (لقوم يوقنون) واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) أى مطر وسمى به لانه سبب الرزق (فأحياه الارض بعد موتها وتصرف الرياح) الرزق حزة وعلى (آيات لقوم يعقلون) بالنصب على حزة



وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت ان وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف هذان مذهب الاخفش لأنه يجوز العطف على عاملين وأما سيبويه فإنه لا يجوز ونحوه الآية عنده أن يكون على اضمار في والذي حسنه تقديم ذكر في الآيتين قبل هذه الآية ورؤيته قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وفي اختلاف الليل والنهار ويجوز أن ينصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء الجزور ومعطوفا على ما قبله أو على التكرير تو كيد الآيات في الأولى كأنه قيل آيات وآيات ورفعتها باضمار هي والمعنى في تقديم الآيات على الايقان وتوسيطه وتأخير الآخر ان المنصفين من العباد اذا نظر وفي السموات والارض نظرا صحيحا علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله فإذا نظر وفي خالق أنفسهم وتنقلهم من حال الى حال وفي خلق ما ظهر على الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا واثباتا فآمنوا بالله فإذا نظر وفي سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولها ودر بواقيها واستحکام علمهم وخلص يقينهم تلك اشارة الى الآيات المتقدمة أي تلك الآيات (آيات الله) وقوله (تلاوها) في محل الحال أي متلاوة (عليك بالحق) والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة (فبأي حديث بعد الله وآياته) أي بعد آيات الله كقولهم ألم أعجبني زيد وكرمه يريدون أعجبني كرم زيد (يؤمنون) حجازي وأبو عمر وروسل وحفص وبالنساء غيرهم على تقدير قل يا محمد (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) يبالغ في اقرار الآثام (يسمع) (١٢٦) آيات الله) في موضع جر صفة (تتلى عليه) حال من آيات الله (ثم يبصر) يقبل على كفره

ويقوم عليه (مستكبرا) عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدرى بالهامم مجابا عنده قيل نزلت في النصر بن الحارث وما كان يشترى من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضار الدين الله وحيء بهم لان الاصرار على الضلالة والاستكبار عن الايمان عند سماع آيات القرآن مستبعد في

قلت ما وجه هذا الترتيب في قوله لا آيات للمؤمنين ولقوم يوفون ويعقلون قلت معناه ان المنصفين من العباد اذا نظر وفي هذه الدلائل النظر الصحيح عاموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا به وأقر والله القادر على كل شيء ثم اذا معنوا النظر ازدادوا ايمانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحکم علمهم وعدوا في زمرة العقلاء الذين عقلا وعقلا عن الله مراده في أسرار كتابه (تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله) أي بعد كتاب الله (وآياته يؤمنون) قوله تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) أي كذاب صاحب أثم يعني النصر بن الحارث (يسمع آيات الله) يعني آيات القرآن (تتلى عليه ثم يبصر مستكبرا) كان لم يسمعها فبشره بعذاب أليم واذا علم من آياتنا شيئا يعني آيات القرآن (اتخذها هزوا) أي سخر منها (أولئك) اشارة الى من هذه صفتهم (لم يصدقوا) ثم وصفهم فقال تعالى (من وراءهم جهنم) يعني امامهم جهنم وذلك خزيمهم في الدنيا ولهم في الآخرة النار (ولا يغني عنهم ما كسبوا) أي من الاموال (شيئا ولا اتخذوا من دون الله أولياء) أي ولا يغني عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة (ولهم عذاب عظيم هذا) يعني القرآن (هدى) أي هو هدى من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم ولم يؤمنوا بالله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامرهم ولتبتغوا من فضله) أي بسبب التجارة واستخراج منافعه (وعلكم تشكرون) نعمته على ذلك (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض) يعني أنه تعالى خلقها ومنافعها فهي مسخرة لنا من حيث أنان نتفقع بها (جميعا منه) قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسان

العقول (كان لم يسمعها) كان مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة حيث نصب على الحال أي بصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) فأخبره خبرا يظهر أثره على البشرية (واذا علم من آياتنا شيئا) واذن باع شيء من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذها للاشعار بأنه اذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز أن يرجع الضمير الى شيء لأنه في معنى الآية كقول أبي العتاهية نفسى بشيء من الدنيا معلقة \* الله والقائم المهدي يكفيها حيث أراد عتبه (أولئك) اشارة الى كل أفاك أثيم لشموله الافاكين (لم يصدقوا) سخر (من وراءهم) من قدامهم الورا اسم للجهة التي يوارى بها الشخص من خلف أو قدام (جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا) من الاموال (شيئا) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا) ما فيها مصدرية أو موصولة (من دون الله) من الاوثان (أولياء ولهم عذاب عظيم) في جهنم (هذا هدى) اشارة الى القرآن ويدل عليه (والذين كفروا بآيات ربهم) لان آيات ربهم هي القرآن أي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل أي كامل في الرجولية (لم يصدقوا) هو أشد العذاب (أليم) بالرفع مكى ويعقوب وحفص صفة العذاب وغيرها بالجر صفة لجزء (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامرهم) باذنه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على الثاؤل والمرجان واستخراج اللحم الطرى (وعلكم تشكرون) وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا (هو) كيد ما في السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال (منه) حال أي سخر هذه الاشياء كائنة منه حاصله من عنده أو خبر مبتدأ محذوف أي هذه النعم كلها منه أو صفة للمصدر أي تسخيرها منه

(ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا) أي قل لهم اغفروا يغفروا وحذف المقول لان الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يغفروا يصفحوا ويفعل انه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا وهو أمر مستأنف وحاز حذف اللام للدلالة على الامر (للذين لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قوهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يؤملون الاوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بني غفار فهم أن يببطش به (ليجزى) تعليل للامر بالمغفرة أي المغفرة أمر وابتان يغفروا ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة وتنكير (قوما) على المدح لهم كأنه قيل ليجزى إيمان قوم وقوم مخصوصين بصبرهم على أذى أعدائهم ليجزى شامح وجزوة وعلى ليجزى قوما يزيده أي ليجزى الخير قوما فاضمرا خير لدلالة الكلام عليه كما ضمير الشمس في قوله حتى توارت بالحجاب لان قوله اذ عرض عليه بالعشي دليل على توارى الشمس وليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لان المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح أما إقامة المفعول الثاني مقام الفاعل فخائر (١٢٧) وأنت تقول جزاك الله خيرا (بما

كانوا يكسبون) من الاحسان (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أي لها الثواب وعليها العقاب (ثم إلى ربكم ترجعون) أي إلى جزائه (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التوراة) (والحكم) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم (والنبوة) خصها بالذكر لكثرة الانبياء عليهم السلام فيهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله لهم وأطاب من الارزاق (وفضلناهم على العالمين) على عالمي زمانهم (وآتيناهم بينات من الامر) أي بيان الحلال والحرام وقيل العلم بعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين طم من أمره (فاختلفوا الامن بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) معناه التجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار محيى العلم بسبب حصول الاختلاف وذلك أنه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وإنما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا وأظهروا النزاع والحسد والاختلاف (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة) أي على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى (من الامر) أي من الدين (فاتبعها) أي اتبع شريعته الثابتة (ولاتتبع أهواء الذين لا يعلمون) يعني مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع إلى دين آباءك فانهم كانوا أفضل منك قال تعالى (انهم لن يغفوا عمنك من الله شيئا) أي لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبع أهواءهم (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) يعني ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولولا لهم في الآخرة (والله ولي المتقين) أي هو ناصرهم في الدنيا وليهم في الآخرة (هذا) يعني القرآن (بصائر للناس) أي معالم للناس في الحدود

(ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون) قوله عز وجل (قل للذين آمنوا يغفروا والذين لا يرجون أيام الله) أي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون بمقتسه قال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بني غفار شتمه بمكة فهم عمر أن يببطش به فانزل الله هذه الآية وأمره أن يغفوه عنه وقيل نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين قبل أن يؤمر بالقتال فشكلوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) أي من الاعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون) قوله تعالى (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب) يعني التوراة (والحكم) يعني معرفة أحكام الله (والنبوة ورزقناهم من الطيبات) أي الخلاصات وهو ما وسع عليهم في الدنيا وأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) أي على عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم (وآتيناهم بينات من الامر) أي بيان الحلال والحرام وقيل العلم بعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين طم من أمره (فاختلفوا الامن بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) معناه التجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار محيى العلم بسبب حصول الاختلاف وذلك أنه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وإنما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا وأظهروا النزاع والحسد والاختلاف (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة) أي على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى (من الامر) أي من الدين (فاتبعها) أي اتبع شريعته الثابتة (ولاتتبع أهواء الذين لا يعلمون) يعني مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع إلى دين آباءك فانهم كانوا أفضل منك قال تعالى (انهم لن يغفوا عمنك من الله شيئا) أي لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبع أهواءهم (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) يعني ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولولا لهم في الآخرة (والله ولي المتقين) أي هو ناصرهم في الدنيا وليهم في الآخرة (هذا) يعني القرآن (بصائر للناس) أي معالم للناس في الحدود

الاختلاف بينهم في الدين (الامن بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أي الامن بعد ما جاءهم ما هو موجب لزال الاختلاف وهو العلم وإنما اختلفوا لبعثي حدث بينهم أي لعداوة وحسد بينهم (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل المراد اختلافهم في أوامر الله ونواهيه في التوراة حسدا وطلبا للرياسة لاعن جهل يكون الانسان به معذورا (ثم جعلناك) (بصائر للناس) على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الامر) من أمر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعته الثابتة بالامر والدلائل (ولاتتبع أهواء الذين لا يعلمون) ولا تتبع المألجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع إلى دين آباءك (انهم) ان هؤلاء الكافرين (لن يغفوا عمنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) وهم موالوه وما بين الفضل بين الولايتين (هذا) أي القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة

(وهدى) من الضلالة (ورحة) من العذاب (لقوم يوقنون) لمن آمن وأيقن بالبعث (أم حسب الذين) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان (اجترحو السيئات) اكتسبوا المعاصي والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أي كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصبرهم وهو من جعل المتعدى الى مفعولين فاو لهما الضمير والثاني السكاف في (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) والجملة التي هي (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد سواء على وحزة وحقق بالنصب على الحال من الضمير في نجعلهم ويرفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الأعمش ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كما تقدم الحاج أي سواء في محياهم ومماتهم والمعنى انكار أن يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مما اتانا لا فتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعة وأولئك على اقتراف السيئات وممات حيث مات هؤلاء على البشرية بالرحمة والكرمة وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة وقيل معناه انكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة في الرزق والصحة وعن تميم الدار يرضى الله عنه أنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح (١٢٨) وعن الفضيل أنه بلغه ما جعل يردد هاهو يبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من أي

الفريقين أنت (ساء ما يحكمون) بش ما يقضون اذا حسبوا أنهم كالمؤمنين فليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقعد في مقام المخالفة بل تفرق بينهم فنعلى المؤمنين ونجزى الكافرين (وخلق الله السموات والارض بالحق) ليدل على قدرته (ولتجزى) معطوف على هذا المعلن المخذوف (كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) أفريت من اتخذ الله هواه فلا يهوى شيئا الا ركب لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ماتم هواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا رأوا شيئا أحسن من الاول رموه بالاول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل انما سمي هوى لانه يهوى بصاحبه في النار (وأضله الله على علم) أي علم الله بعاقبه أمره وقيل على ما سبق في علم الله انه ضال قبل أن يتخلقه (وختم على سمعه وقلبه) أي فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه (وجعل على بصره غشاوة) أي ظلمة فهو لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) أي من بعد أن أضله الله (أفلاتنكرون) قال الواحدى ليس يبقى لقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى أخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره (وقالوا) يعني منكر البعث (ما هي الاحياتنا الدنيا) أي ما الحياة الا حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) أي يموت الأباة ويحيا الابناء وقيل تقديره نحيا ونموت (وما يهلكنا الا الدهر)

الضلال على علم منه بذلك (وختم على سمعه) فلا يقبل وعظا (وقلبه) فلا يعتقد حقا (وجعل على بصره غشاوة) فلا يبصر عبرة غشوة جزوة وعلى (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلال الله اياه (أفلاتنكرون) بالتخفيف جزوة وعلى وحقق وغيرهم بالتشديد فاصل الشر متابعة الهوى والخير كله في مخالفته فتم ما قال اذا طلبت النفس يوما بشهوة وكان اليها الخلف طريق فدعها وخالف ما هويت فانما هو الكعد والخلاف صديق (وقالوا ما هي) أي ما الحياة لانهم وعدوا حياة ثانية (الاحياتنا الدنيا) التي نحن فيها (نموت ونحيا) نموت نحن ونحيا ببقاء أولادنا و نموت بعض ونحيا بعض أو نكون نطفة في الاصلاب أو انا ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الامر ان الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا والموت بعد هاهو ليس وراء ذلك حياة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ أي يموت الرجل ثم تجعل روحه في موات فيحيا به (وما يهلكنا الا الدهر) كانوا يزعمون أن مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك النفس وينكرون ملك الموت وقبض الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة يشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر أي فان الله هو الاق بالحوادث لا الدهر

(وما لهم بذلك من علم ان هم الايظنون) وما يقولون ذلك من علم و يقين ولكن من ظن وتخمين (واذ اتلى عليهم عليهم آياتنا) أى القرآن  
 يعنى ما فيه من ذكر البعث (بينات ما كان يحجتهم) وسمى قو لهم حجة وان لم يكن حجة لانه في زعمهم حجة (الآن قالوا اثوابا بائنا) أى أحيوهم  
 (ان كنتم صادقين) في دعوى البعث و حجتهم خبر كان واسمها أن قالوا والمعنى ما كان يحجتهم الامقالتهم اثوابا آ باننا وقرى يحجتهم بالرفع  
 على أنها اسم كان وان قالوا الخبر (قل الله يحييكم) في الدنيا (ثم يميتكم) فيها عند انتهاء أعمالكم (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) أى يبعثكم يوم  
 القيامة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بأبائكم (١٢٩) ضرورة (لا ريب فيه) أى في الجمع

(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قدرة الله على البعث لا عرضهم عن التفكير في الدلائل (ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم (وترى كل أمة جاثية) جالسة على الركب يقال جثا فلان يجثو اذا جلس على ركبته وقيل جاثية مجتمعة (كل أمة) بالرفع على الابتداء كل بالفتح يعقوب على الابدال من كل أمة (تدعى الى كتابها) الى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا (هذا كتابنا) أضيف الكتاب اليهم للاستهواهم لان أعمالهم مثبتة فيه والى الله تعالى لانه مالكه والامر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عبادهم (ينطق عليكم) يشهد عليكم

أى وما يقيننا الامر الزمان واختلاف الليل والنهار (وما لهم بذلك من علم) أى لم يقولوه عن علم علموه (ان هم الايظنون) (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر أقلب الليل والنهار وفي رواية يؤذني ابن آدم ويقول يا خبيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خبيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضته ما وفي رواية يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار ومعنى هذه الاحاديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند التوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر فاذا أضافوا الى الدهر ما نا لهم من الشدائد وسبوا فاعلمها كان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر لا الدهر فهو اعن سب الدهر وقيل لهم لان سبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر متصرف فيه يقع به التأثير كما يقع بكم والله أعلم ﴿ قوله تعالى (واذ اتلى عليهم آياتنا بينات ما كان يحجتهم الا أن قالوا اثوابا بائنا ان كنتم صادقين) معناه ان منكري البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فاثوابا بائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعنى في ذلك اليوم يظهر خسران أصحاب الاباطيل وهم الكافرون بصيرون الى النار (وترى كل أمة جاثية) أى باركة على الركب وهي جلسة المتخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشرين سنين يخسر الناس فيها جثاة على الركب حتى ابراهيم بنادى ربه لا أسألك الا نفسي (كل أمة تدعى الى كتابها) أى الذى فيه أعمالها ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أى من خير وشر (هذا كتابنا) يعنى ديوان الحفظه فان قلت كيف أضاف الكتاب اليهم ولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت لا منافاة بينهما فافاضته اليهم لانه كتاب أعمالهم وافاضته اليه لانه تعالى هو أمر الحفظه بكتبه (ينطق عليكم بالحق) أى يشهد عليكم ببيان شاف كانه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أى نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قو لهم ولم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم والاستنساخ لا يكون الا من أصل فينسخ كتاب من كتاب (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) أى جنته (ذلك هو الفوز المبين) أى الظفر الظاهر (وأما الذين كفروا) أى يقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) يعنى آيات القرآن (فاستكبرتم) أى عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) يعنى كافرين منكريين ﴿ قوله عز وجل (واذا قيل ان وعد الله حق) أى البعث

(١٧ - خازن - رابع)

بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى نستكتب الملائكة أعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وايس ذلك بنقل من كتاب بل معناه ثبت (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) جنته (ذلك هو الفوز المبين) وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتي تتلى عليكم تحذف المعطوف عليه (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) كافرين (واذا قيل ان وعد الله) بالجزء (حق)

والساعة) بالرفع عطف على محل ان واسمها والساعة جزء عطف على وعد الله (لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة) أي شيء الساعة (ان نظن الاظنا) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيداً بقوله (وما نحن بمستيقنين وبداهم) ظهر لهؤلاء الكفار (سببنا ما عملوا) قبائح أعمالهم وأعقوبات أعمالهم السيئات كقوله وجزاء سببنا سببنا مثلها (وحاق) بهم ما كانوا يستهزؤن (ونزل بهم جزاء استهزؤهم) وقيل اليوم ننسأكم كما نسيتم

لقاء يومكم هذا) أي ترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهي الطاعة وإضافة اللقاء إلى اليوم كإضافة المكرب في قوله بل مكر الليل والنهار أي نسيتم لقاء الله تعالى في يومكم هذا ولقاء جزائه (وما أوأكم النار) أي منزلتكم (وما لكم من ناصر بن ذلكم) العذاب (بانكم) بسبب انكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتم الحياة الدنيا فالיום لا يخرجون منها) لا يخرجون حزمة وعلى (ولا هم يستعقبون) ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه (فقلته الحدوب السموات ورب الارض رب العالمين) أي فاجد والله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مر بوب (وله الكبرياء في السموات والارض) وكبروه فقد أظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والارض (وهو

كأن) (والساعة لا ريب فيها) أي لاشك في انها كائنة (قلتم ما ندري ما الساعة) أي أنكرتموها وقلتم (ان نظن الاظنا) أي ما نعلم ذلك الاحساس وتوهمنا (وما نحن بمستيقنين) أي انها كائنة (و بداهم) أي في الآخرة (سببنا ما عملوا) أي في الدنيا والمعنى بداهم جزاء سيئاتهم (وحاق بهم) أي نزل بهم (ما كانوا يستهزؤن وقيل اليوم ننسأكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم (وما أوأكم النار وما لكم من ناصر بن) أي مالكم من مانعين يمعونكم من العذاب (ذلكم) أي هذا الجزاء (بانكم) اتخذتم آيات الله هزوا وغرتم الحياة الدنيا (يعني حين قلتم لا بعث ولا حساب) (فالיום لا يخرجون منها) أي من النار (ولا هم يستعقبون) أي لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله والايمان به لانه لا يقبل ذلك اليوم غدو ولا نوبة (فقلته الحدوب السموات ورب الارض رب العالمين) معناه فاجد والله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل حال (وله الكبرياء) أي وكبروه فان له الكبرياء والعظمة (في السموات والارض) (وحق لمثله أن يكبر ويعظم) (وهو العزيز الحكيم) (م) عن أبي سعيد وأبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العزازرة والكبرياء رداؤه قال الله تعالى فمن ينازعني عذبتة لفظ مسلم وأخرجه البرقاني ٧ وأبو مسعود رضي الله عنهم يقول الله عز وجل العزازرة والكبرياء رداؤه فن نازعني شيئا منهم ما عذبتة ولا بي داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء رداؤه والعظمة ازارى فن نازعني في واحد منهما فذفته في النار \* شرح غريب ألفاظ الحديث قيل هذا الكلام خرج على ما تعاده العرب في بديع استعاراتهم وذلك أنهم يكتنون عن الصفة اللازمة بالثياب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والرداء مثله في انفراد سمحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى انهما إيسا كسائر الصفات التي يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والرداء لان المتصف بهما يشملان كما يشمل الرداء الانسان ولانه لا يشاركه في ازاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لا ينبغي ان يشاركه فيهما أحد لانهم من صفاته اللازمة له المختصة به التي لا تليق بغيره والله أعلم

﴿تفسير سورة الاحقاف وهي مكية﴾

قيل غير قوله قل رأيتم وقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فانهم امتازوا بالدينه وهي أربع وقيل خمس وثلاثون آية وستائة وأربع وعشرون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أي بالعدل (وأجل مسمى) يعني يوم القيامة وهو الاجل الذي ينتهي اليه فناء السموات والارض (والذين كفروا عما أنذروا) أي خوفوا به في القرآن من البعث والحساب (معرضون) أي لا يؤمنون به (قل رأيتم ما تدعون من دون الله) يعني الاصنام (أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك

العزيز) في انتقامه (الحكيم) في أحكامه ﴿سورة الاحقاف مكية وهي خمس وثلاثون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) ملتبساً بالحق (وأجل مسمى) وبتقدير أجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) عما أنذروه من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل مخلوق من انتهاه اليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن انذارهم ذلك اليوم (قل رأيتم) أخبروني (ما تدعون من دون الله) تعبدونه من الاصنام (أروني ماذا خلقوا من الارض) أي شيء خلقوا مما في الارض ان كانوا آلهة (أم لهم شرك

في السموات) شركة مع الله في خلق السموات والارض (اتنوني بكتاب من قبل هذا) أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما تم عليه من عبادة غير الله (أو إثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين (ان كنتم صادقين) ان الله أمركم بعبادة الاوثان (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) أي أبدا (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أي الاصنام لعبدتها (وكانوا) أي الاصنام (بعبادتهم) بعبادة عبدتهم (كافرين) يقولون مادعوناهم الى عبادةتنا ومعنى الاستفهام في من أضل انكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتكون دعاء السميع المجيب القادر على كل شيء و يدعون من دونه جادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة أحد منهم مادامت الدنيا والى أن تقوم القيامة وإذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضد افليسوا في الدارين (١٣١) الاعلى نكد ومضرة لا تتولاها

في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديتهم وتبجدهم عبادتهم ولما أسند اليهم ما يسند الى أولى العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريق التهمك بها وعبادتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) وإذا اتلى عليهم آياتنا ينات جمع بينة وهي الحجية والشاهد أو واضحات مبيّنات (الذين كفروا للحق) المراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتأول عليهم فوضع الظاهر ان موضع الضمير ين للتسجيل عليهم بالكفر وللتأول

في السموات اتنوني بكتاب من قبل هذا) أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون (أو إثارة من علم) أي بقية من علم يؤثر عن الاولين ويستند اليهم وقيل برواية عن علم الانبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه في الارض (ان كنتم صادقين) أي في أن الله شر بكا (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) يعني الاصنام لا تجيب عابديها الى شيء يسألونها (الي يوم القيامة) يعني لا تجيب أبدا مادامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) يعني لانها جادات لا تسمع ولا تفهم (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) أي جاحدين (وإذا اتلى عليهم آياتنا ينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) سمو القرآن سحرا (أم يقولون افتراء) أي اختلق القرآن محمد من قبل نفسه قال الله عز وجل (قل) يا محمد (ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا) أي لا تقدر ان تردوا عني عذابه ان عذبي على افترائي فكيف افتري على الله من أجلكم (هو أعلم) أي الله أعلم (بما تفيضون فيه) أي تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر (كفي به شهيدا بيني وبينكم) أي ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) أي في تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاءهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به ﴿قوله تعالى﴾ (قل) يا محمد (ما كنت بدعا) أي بديعا (من الرسل) أي لست باول مرسل قد بعث قبلي كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتي (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) اختلف العلماء في معنى هذه الآية فقيل معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما أمرنا أمر محمد عند الله الا واحد وما له علينا من منزة وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لا خبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيئلك يا نبي الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليبدل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الآية وأنزل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وانما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (سخ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان أم العلاء امرأة من

بالحق (لما جاءهم) أي بادؤهم بالجود ساعة أنهم وأول ما سمعوه من غير اجالة ففكر ولا إعادة نظر (هذا سحر مبين) ظاهرا أمره في البطلان لاشبهة فيه (أم يقولون افتراء) اضرب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمد اعليه السلام افتراء أي اختلقه وأضافه الى الله كذبا والضمير للحق والمراد به الآيات (قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا) أي ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدر ان على كفه عن معاجلتني ولا تطيقون دفع شيء من عقابه فكيف افتريه وأعرض لعقابه (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والظن في آياته وتسميته سحرا اثاره وقرية أخرى (كفي به شهيدا بيني وبينكم) يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالجود والانكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان تابوا عن الكفر وآمنوا (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي بديعا كالخفيف والمعنى اني لست باول مرسل فتشكر وانبوتني (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجر وامن أذى المشركين حتى متى اسكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أترك بمكة أم أخرج من أرض قد رفعت لي ورأيته يعني في منامه ذات تحميل وشجر

وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون اسنهماية مرفوعة وانما دخل لافي قوله ولا بكم مع ان يفعل مثبت غير منفي لتناول النفي فيما ادري ما وما في حيزه (ان اتبع الامايوسى الى وما انا الانذير مبين قل ارايتم ان كان) القرآن (من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل) هو عبدالله (١٣٣) بن سلام عند الجمهور وهذا قيل ان هذه الآية مدنية لان اسلام ابن سلام

بالمدينة روى انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعمل انه ليس بوجه كذاب وقال له انى سالتك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه اوالى امه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعه فقال أشهد أنك رسول الله حقا (على مثله) الضمير للقرآن أى مثله فى المعنى وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد بنحو ذلك يعنى كونه من عند الله (فآمن) الشاهد (واستكبرتم) عن الايمان به وجواب الشرط محذوف

الانصار وكانت بايعت النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته انه اقتسم المهاجر ون قرعة قالت قطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه فى أيباننا فوجع وجعه الذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى أتوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رجعة الله عليك أبا السائب فشهدا فى عليك لقد أكرمك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله أكرمته فقلت باني أنت يا رسول الله فن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين والله انى لارجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بى قالت فوالله لأزكى بعده أحد يا رسول الله قالت وأريت لعثمان فى النوم عينا تجرى فحنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذلك عمله وفى رواية غير البخارى قالت لما قدم المهاجر ون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت قطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم وقيل فى معنى قوله ما أدري ما يفعل بى ولا بكم هذا فى الدنيا ما فى الآخرة فقد علم انه فى الجنة وأن من كذبه فى النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو بمكة أراضا ذات سباح ونخل رفعت له مهاجر اليها فقال له أصحابه متى تهاجر الى الارض التى رأيت فسكت فانزل الله هذه الآية وما أدري ما يفعل بى ولا بكم أترك فى مكاني أم أخرج أنا وأتم الى الارض التى رفعت لى وقيل لأدري الى ما ذا يصير أمرى وأمركم فى الدنيا أما أنا فلا أدري أخرج كما أخرجت الانبياء من قبلى أم أقتل كما قتل بعض الانبياء من قبلى وأما تم أيها المصدقون فلا أدري أن يخرجون معى أم يتركون أم ما ذا يفعل بكم ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون أرمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أى شئ يفعل بكم مما فعل بالام المكذبة ثم أخبره الله عز وجل انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال فى أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه ما يصنع به وبأتمه وقيل معناه لا أدري الى ما ذا يصير أمرى وأمركم ومن الغالب والمغلوب ثم أخبره انه يظهر دينه على الاديان وأتمه على سائر الامم ﴿وقوله﴾ (ان اتبع الامايوسى الى) معناه ما اتبع غير القرآن الذى يوسى الى ولا ابتدع من عندى شيأ (وما انا الانذير مبين) أى أنذركم العذاب وأبين لكم الشرائع (قل ارايتم) أى اخبرنى وماذا تقولون (ان كان من عند الله) يعنى القرآن (وكفرتم به) أيها المشركون (وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله) أى انه من عند الله (فآمن) يعنى الشاهد (واستكبرتم) أى عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك أليس قد ظلمتم وتعديتم (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) واختلفوا فى هذا الشاهد فقيل هو عبدالله بن سلام آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا بدله عليه ماروى عن أنس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو فى أرض يخترق النخل فاتاه وقال انى سالتك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله أهل الجنة ومن أى شئ ينزع الولد الى ابيه ومن أى شئ ينزع الى أخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى بى من أتفاجر بى قال فقال عبد الله ذلك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد

تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به أستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) والواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو فى وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى قل أخبرونى ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى اسرائيل على نزول مثله فإيمان به مع استكباركم عنه وعن الايمان به

أسم أهل الناس وأظلمهم (وقال الذين كفروا والذين آمنوا) أي لاجلهم وهو كلام كفر مكة قالوا ان عامتهم يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) لو كان ماجاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء (واذ لم يهتدوا به) العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسيب عنه وقولهم افك قديم أي كذب متقدم كقولهم أساطير الاولين (ومن قبله) أي القرآن (كتاب موسى) أي التوراة وهو مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال نحو في الدار زيد قائما ومعنى اماما (١٣٣) قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما

يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أولما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق أو من كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أي يصدق ذالسان عربي وهو الرسول (لينذر) أي الكتاب لتنذر بحجازي وشامه (الذين ظلموا) كفروا (وبشرى) في محل نصب معطوف على محل لتنذره لانه مفعول له (للمحسنين) المؤمنين المطيعين (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على توحيد الله وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم (فلا خوف عليهم) في القيامة (ولا هم يحزنون) عند الموت (أولئك اصحاب الجنة

الحيات وأما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشى المرأة فسبقتهما وانه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال أشهد أنك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قد قوم بهت ان اعلمو باسلامي قبل ان تسألهم عنى يهتوني عندك بقاء اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا أعمنا وابن أعمنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاده الله من ذلك زاد في رواية فاعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال نخرج عبد الله اليهم فقال أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرا وابن شرا ووقعوا فيه زاد في رواية فقال يعني عبد الله بن سلام هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله أخرجه البخاري في صحيحه (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لحي عشي على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قال الراوي لا أدري قال مالك الآيه أوفى الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق في هذه الآيه والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بركة وانما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الآيه في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التي هي مثل القرآن انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن أنه كلام الله فآمن من آمن بموسى والتوراة واستكبرتم آثم يامعشر العرب ان تؤمنوا بمحمد والقرآن ان الله لا يهدي القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير فقل أرايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لانكونون مهتدين بل تكونون ضالين قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعني من اليهود (للذين آمنوا لو كان خيرا) يعني دين محمد صلى الله عليه وسلم (ما سبقونا اليه) يعنون عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل نزلت في مشركي مكة قالوا لو كان ما يدعوننا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وقيل الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة لو كان ماجاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه ربهم ﷺ قال الله تعالى (واذ لم يهتدوا به) أي بالقرآن كما هتدى به أهل الايمان (فسيقولون هذا افك قديم) أي كذب متقدم (ومن قبله) أي من قبل القرآن (كتاب موسى) يعني التوراة (اماما) أي جعلناه اماما يقتدى به (ورحمة) أي من الله لمن آمن به (وهذا كتاب) يعني القرآن (مصدق) أي للكتاب التي قبله (لسان عربيا) يعني مشركي مكة (وبشرى) للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك اصحاب الجنة خالدون فيها جزاء بما كانوا يعملون) تقدم تفسيره ﷺ قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أي بوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة (جملته أمه كرها) يعني حين أتقلت وتقل عليها الولد (ووضعتة كرها) يريد شدة الطلق (وجله وفصاله ثلاثون شهرا) يعني ومدة جله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا

خالدون فيها) حال من اصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة التي دل عليه أولئك (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أي جوزوا جزاء (ووصينا الانسان بوالديه احسانا) كوفي أي وصينا بان يحسن بوالديه احسانا غيرهم أي وصينا بوالديه أمرا إذا حسن أي بامر ذي حسن فهو في موضع البدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتمال (جملته أمه كرها) وفتح الكافين بحجازي وابوعمر ووهما اللتان في معنى المشقة واتصابه على الحال أي ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أي جلادا كره (وجله وفصاله) ومدة جله وفطامه (ثلاثون شهرا) وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين بقيت



للحمل ستة أشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال أبو حنيفة رضي الله عنه المراد به الحمل بالكف وفصله يعقوب والفصل والفصل كالعظم والعظام بناء ومعنى (حتى إذا بلغ أشده) هوجع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحد شدة وبلوغ الاشد ان يكتمل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وذلك اذا أناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الاشد وغايته الاربعون (وبلغ أر بعين سنة قال رب أوزعني) ألهني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) المراد به نعمة التوحيد والاسلام وجع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه (وأن أعمل صالحا ترضاه) قيل هي الصلوات الخمس (وأصلح لي في ذريتي) أى اجعل (١٣٤) ذريتي موقعا للصالح ومظنة له (اني تبث اليك) من كل ذنب (واني من المسلمين)

المخلصين (أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم) جزء وعلى وحفص يتقبل ويتجاوز وأحسن غيرهم (في أصحاب الجنة) هو كقولك أكرمى الاميرى ناس من أصحابى تريد أكرمى فى جله من أكرم منهم ونظمتى فى عدادهم ومحلله النصب على الحال على معنى كائنين فى أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى آية أبى خافة وأمهم الخير وفى خافة وأمهم الخير بن عمرو وأمهم الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبى عتيق محمد فهؤلاء أربعة أبوبكر وأبوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأسماؤهم مجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير أبى بكر وقوله (انى تبث اليك) أى رجعت اليك الى كل مانح (واني من المسلمين) أى وأسلمت بقلبي ولساني (أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا) يعنى أعمالهم الصالحة التي عملوها فى الدنيا وكلها حسن فالحسن بمعنى الحسن فينبههم عليها (ويتجاوز عن سيئاتهم) فلا يؤاخذهم بها (فى أصحاب الجنة) أى مع أصحاب الجنة (وعد الصدق) أى الذى وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ووعد صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة (الذى كانوا يعدون) أى فى الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (والذى قال لوالديه) يعنى اذ دعوا الى الايمان بالله والاقرار بالبعث

أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم) جزء وعلى وحفص يتقبل ويتجاوز وأحسن غيرهم (فى أصحاب الجنة) هو كقولك أكرمى الاميرى ناس من أصحابى تريد أكرمى فى جله من أكرم منهم ونظمتى فى عدادهم ومحلله النصب على الحال على معنى كائنين فى أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى آية أبى خافة وأمهم الخير وفى خافة وأمهم الخير بن عمرو وأمهم الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبى عتيق محمد فهؤلاء أربعة أبوبكر وأبوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأسماؤهم مجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير أبى بكر وقوله (انى تبث اليك) أى رجعت اليك الى كل مانح (واني من المسلمين) أى وأسلمت بقلبي ولساني (أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا) يعنى أعمالهم الصالحة التي عملوها فى الدنيا وكلها حسن فالحسن بمعنى الحسن فينبههم عليها (ويتجاوز عن سيئاتهم) فلا يؤاخذهم بها (فى أصحاب الجنة) أى مع أصحاب الجنة (وعد الصدق) أى الذى وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ووعد صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة (الذى كانوا يعدون) أى فى الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (والذى قال لوالديه) يعنى اذ دعوا الى الايمان بالله والاقرار بالبعث

المهاجر من منهم والانصار أسلم هو والداه وبنوه وبناته غير أبى بكر رضى الله عنهم (الذى كانوا يعدون) فى الدنيا (والذى قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه قبل اسلامه ويشهد لبطالانه كتاب معاوية الى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن أبى بكر لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هذا الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة رضى الله عنها افغضت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن أبالك وأنت فى صلبه فانت فضض من لعنة الله

بعد

(أف لكما) مدني وحفص أف مكي وشامى أف غيرهم وهو صوت اذا صوت به الانسان علم أنه متضرر كما اذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان أي هذا التأفيف لكما خاصة ولا جلكما دون غيركما (أعداني أن أخرج) أن أبعث وأخرج من الارض (وقد خلت القرون من قبلي) ولم يبعث منهم أحد (وهما) أبواه (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له (وبلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحرير على الايمان لاحقيقة الهلاك (آمن) بالله (١٣٥) وبالبعث (ان وعد الله) بالبعث

(حق) صدق (فيقول) (لها) (ما هذا) القول (الأساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول) أي لأملائن جهنم (في أمم) في جلة أمم (قد خلت) مضت (من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل) من الجنسين المذكورين الابرار والفيحار (درجات مما عملوا) أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو من أجل ما عملوا منهما وإنما قال درجات وقد جاء الجنة درجات والنار درجات على وجه التغليب (وليوفيهم أعمالهم) بالياء مكي وبصري وعاصم (وهم لا يظلمون) أي وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فحصل الثواب درجات والعقبات درجات واللام متعلق بمحذوف (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) عرضهم على النار تعذيبهم بها من قوطم

بعد الموت (أف لكما) وهي كلمة كراهية (أعداني أن أخرج) أي من قبري حيا (وقد خلت القرون من قبلي) أي فلم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) أي يستصرخان بالله عليه ويقولان له (وبلك آمن ان وعد الله حق) أي بالبعث (فيقول ما هذا) أي الذي تدعونني اليه (الأساطير الاولين) قال ابن عباس نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل اسلامه وكان أبواه يدعوانه الى الاسلام وهو يابى ويقول احيواي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشاجم قريش حتى أسألمهم عما تقولون وانكرت عائشة أن يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن بن أبي بكر (رخ) عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدر وا عليه فقال مروان هذا الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن الا ما أنزل الله في سورة النور من براءتي والقول الصحيح انه ليس المراد من الآية شخصا معينا بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه الى الدين الصحيح والايان بالبعث فأبى وانكروا قيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل اسلامه بيطله قوله تعالى (وأولئك الذين حق عليهم القول) أعلم الله ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب أي وجب عليهم العذاب (في أمم) أي مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس يريد من سيق الى الاسلام فهو أفضل ممن يخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجازيهم عليها قيل درجات الجنة تذهب الى علو ودرجات النار تذهب الى أسفل (وليوفيهم أعمالهم) أي جزاء أعمالهم (وهم لا يظلمون) قوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أي يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) يعني ان كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد أفنتموه في الدنيا وتمتعتم به فلم يسبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شيء (فاليوم تجزون عذاب الهون) أي الذي فيه ذل وخزي (بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) علق هذا العذاب بامر من أحدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل أن يكون عن الايمان والثاني الفسق وهو المعاصي والاول من عمل القلوب والثاني من عمل الجوارح

فصل لما وجع الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة (ق) عن عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حمير قد أثر في جنبه فقلت استانس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت ادع الله أن يوسع على أمتك

عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا (أذهبتم) أي يقال لهم أذهبتم وهو ناصب الظرف (طيباتكم في حياتكم الدنيا) أي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما فقد أصبتموه في الدنيا كم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكني استبقى طيباتي وقوله (واستمعتم بها) بالطيبات (فاليوم تجزون عذاب الهون) أي الهوان وقرئ به (بما كنتم تستكبرون) في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون (أي باستكباركم وفسقكم)

(واذ كرا عاغا) أي هودا (اذ أنذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقو قف الشيء اذا اعوج عن ابن عباس رضى الله عنهما هو (١٣٦) واد بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) جمع نذير بمعنى المنذر والانداز (من بين

وقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالساً ثم قال في شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طبيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله (ق) عن عائشة قالت ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عنها قالت كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً انما هو الاسودان التمر والماء الا ان نؤتى باللحيم وفي رواية أخرى قالت انا كنا ننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ناراً قال عروة قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيننا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجردون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير أخرجه الترمذي وله عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت في الله ما لم يخف أحد وأوذيت في الله ما لم يؤذ أحد ولقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولسلال طعام الا شيء يوارى ابط بلال (خ) عن أبي هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما زاروا ما كساء قدر بطوا في أعناقهم فنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته (خ) عن ابراهيم بن عبد الرحمن ان عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائماً فقال قتل مصعب ابن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطى رجلاه بدت رأسه قال وراه قال قتل حزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسطنا من الدنيا ما بسط وقد خشيت أن تكون عجبت لنا طبيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لما معلقا في بدي فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر أوكلما اشتهيت يا جابر اشتريت أما تخاف هذه الآية أذهبت طبيباتكم في حياتكم الدنيا ﴿ قوله تعالى (واذ كرا عاغا) يعني هودا عليه السلام (اذ أنذر قومه بالاحقاف) قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمل سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا احياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيشة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل (وقد خلت النذر) أي مضت الرسل (من بين يديه) أي من قبل هود (ومن خلفه) أي من بعده (الاتعبدوا الا الله) أي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (والمعنى ان هودا قد أنذرهم بذلك وأعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره (قالوا أجنثنا لتأفكنا) أي لتصرفنا (عن آلهتنا) أي عبادتها (فأنا بما تعدنا) أي من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعني أن العذاب نازل بنا (قال) يعني هودا (انما العلم عند الله) يعني هو يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ما أرسلت به) يعني من الوحي الذي أنزله الله على وأمرني بتبليغه اليكم (ولكني أراكم قوماتجهلون) يعني قدر العذاب الذي ينزل بكم (فأما رآه) يعني رأوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى (عارضاً) يعني رأوا سبحانه عارضاً وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السماء ثم يطبق السماء (مستقبل أوديتهم) وذلك انه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما رأوا

بيده ومن خلقه) من قبل هود ومن خلف هود وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه وقع اعتراض بين انذر قومه وبين (الاتعبدوا الا الله) أي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (والمعنى واذا كرا انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك (قالوا) أي قومه هود (أجنثنا لتأفكنا) لتصرفنا فالأفك الصرف يقال افك عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأنا بما تعدنا) من معاملة العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) في وعيدك (قال انما العلم) بوقت مجي العذاب (عند الله) ولا علم لي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم (وأبلغكم ما أرسلت به) اليكم وبالتخفيف أبو عمر رأى الذي من شأنه أن أبلغكم ما أرسلت به من الانذار والتخويف (ولكني أراكم قوماتجهلون) أي ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان

الرسل بعثوا منذر بين لامقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فأما رآه) الضمير يرجع الى ما تعدنا وهو مبهم وضع أمره بقوله (عارضاً) اما تميزاً أو حالاً والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء (مستقبل أوديتهم)

قالوا هذا عارض ممطرنا) روى ان المطر قد احتبس عنهم فراءوا سحابة استقبلت اوديتهم فقالوا هذا سحاب ياتينا بالمطر واظهر وامن ذلك فرحا  
 وازافة مستقبل ومطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وعماماضافان الى معرفتين وصف للسكر (بل هو) أى قال هود بل هو يدل عليه  
 قراءة من قرأ قال هود بل هو (ما استجلمتم به) من العذاب ثم فسر ه فقال (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ) تهلك من نفوس عاد و أمواطم  
 الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكناية (بامر ربها) رب الريح (فاصبحوا ليرى) (۱۳۷) الامسا كنهم) عاصم وحزة

وخلف أى لا يرى شئ الا  
 مسا كنهم غيرهم لا ترى  
 الامسا كنهم والخطاب  
 للرائى من كان (كذلك  
 نجزى القوم المجرمين)  
 أى مثل ذلك نجزى من  
 أجرم مثل جرمهم وهو  
 تحذير لمشركى العرب عن  
 ابن عباس رضى الله عنهما  
 اعتزل هود عليه السلام  
 ومن معه في حظيرة ما يصيبهم  
 من الريح الا ما نلته الانفس  
 وانها لتمر من عاد بالظعن بين  
 السماء والارض وتدمغهم  
 بالحجارة (ولقد مكناهم فيما ان  
 مكناكم فيه) ان نافية أى  
 فيما مكناكم فيه الا ان  
 أحسن في اللفظ لما فى  
 جماعة ما مثلها من التكرير  
 المستبشع ألا ترى ان الاصل  
 فى مهماماما فلبشاعة  
 التكرير قلبوا الالف  
 هاء وقد جعلت ان صلة  
 وتوول بانامكناهم فى مثل  
 ما مكناكم فيه والوجه هو  
 الاول لقوله تعالى هم أحسن  
 أنا ورنيا كانوا أكثر  
 منهم وأشد قوة وآثارا وما  
 بعنى الذى أو نكرة

تلك السحابة استبشر وابتهاثم (قالوا هذا عارض ممطرنا) قال الله رد عليهم (بل هو ما استجلمتم به) يعنى  
 من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى (ريح فيها عذاب أليم) ثم وصف تلك الريح فقال تعالى  
 (تدمر كل شئ بامر ربها) يعنى تهلك كل شئ مررت به من رجال عاد و أمواطم يقال ان تلك الريح كانت تحمل  
 الفسفاط وتحمل الطعينة حتى ترى كأنها جردة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح  
 فقلعت الابواب وصر عنهم وأمر الله الريح فاهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام  
 لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم فى البحر وقيل ان هود اعليه السلام لما  
 أحس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التى  
 تصيب قومهم شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة هود عليه السلام وقيل ان الله تعالى أمر خازن الريح  
 أن يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا القدر وفى هذا اظهار كمال القدرة (ق) عن عائشة قالت  
 ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه طوارة انما كان يتيسم زاد فى رواية  
 وكان اذا رأى غيما عرف فى وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر  
 وأراك اذا رأى غيما عرف فى وجهك الكراهة فقال يا عائشة وما يؤمننى ان يكون فيه عذاب وقد عذب  
 قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفى رواية قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا  
 رأى مخيلة فى السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا أمطرت السماء سرى عنه ففرقت عائشة  
 ذلك فقال وما أدرى لعله كما قال قوم هود فلما رأوه عارضا مستقبلا اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية وفى  
 رواية أخرى قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم انى أسألك خيرا وخيرا ما فيها وخيرا  
 ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل  
 وأقبل وأدبر فاذا أمطرت السماء سرى عنه ففرقت ذلك عائشة فسأته فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما  
 رأوه عارضا مستقبلا اوديتهم قال هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذى يظن فيه مطر وتخيلت السماء اذا  
 تقيمت وقولها سرى عنه أى كشف وأزيل عنه ما كان به من الغم والحزن ﴿قوله تعالى﴾ (فاصبحوا ليرى  
 الامسا كنهم) قرى بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ما ترى يا محمد الامسا كنهم  
 خاوية عاطلة من السكان ليس فيها أحد وقرى بالياء المضمومة والمعنى لا يرى الا آثار مسا كنهم لان الريح لم  
 تبق منها الا الآثار والمسا كن معطلة (كذلك نجزى القوم المجرمين) يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى  
 (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) الخطاب لاهل مكة يعنى مكناهم فيما لم مكناكم فيه من قوة الابدان وطول  
 الاعمار وكثرة الاموال (وجعلناهم سمعا وبصارا أفئدة) يعنى انا أعطيتناهم هذه الحواس ليستعملوها  
 فيما ينفعهم فى أمر الدين فما استعملوها الا فى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم (فأغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم  
 ولا أفئدتهم من شئ) يعنى انه لما نزل بهم العذاب ما أغنى ذلك منهم شئ (اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحق  
 بهم ما كانوا يستهزؤن) يعنى ونزل بهم العذاب الذى كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء (ولقد أهلكنا

(۱۸ - خازن) - رابع) موصوفة (وجعلناهم سمعا وبصارا أفئدة) أى آلات الدرك والفهم (فأغنى عنهم سمعهم  
 ولا ابصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أى من شئ من الاغناء وهو القليل منه (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) اذ نصب بقوله فما أغنى وجرى  
 مجرى التعليل والظرف فى قولك ضربته لاساءته وضرته اذ ساءلناك اذا ضربته فى وقت اساءته فاعترض به فيه لوجود اساءته فيه الا  
 ان اذ وحيت غلبت اذون سائر الظروف فى ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم (ما كانوا يستهزؤن) جزاء استهزؤهم وهذا تهديد لكفار مكة  
 زادهم تهديدا بقوله (ولقد أهلكنا

ماحولكم (من القرى) الخطاب لاهل مكة يعني اهل كنفقرى ديار نمودوهى الحجر وسدوم وهى قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف اهل مكة بذلك (وصرفنا الآيات) يعنى ويينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد (اعلمهم يرجعون) يعنى عن كفرهم فلم يرجعوا فاهل كنفقرى بسبب كفرهم ونقادهم فى الكفر (فلولا) يعنى فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرىانا آلهة) يعنى انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى والقرىبان كل ما يتقرب به الى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) يعنى بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) يعنى كذبهم الذى كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم عنده (وما كانوا يفترون) يعنى يكذبون بقولهم انها آلهة وانها تشفع لهم ﴿ قوله عز وجل (واذ صرفنا اليك نفر من الجن) الآية ﴾

قال المقسرون لمات أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى حياته يحوطه وينصره ويمنعه من يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصر له والمنعة من قومه فروى محمد بن اسحق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من قريش من بنى جحج جلس اليهم فدعاهم الى الله وكلهم بما جاءه من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحداهم هو يربط ثياب السكبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحد ابرس له غيرك وقال الثالث لا أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لآنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغى لى أن أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد شمس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلتم ما فعلتم فاكتسبوا على وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه فيز يد ذلك فى تجرهم عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونوه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس وألجؤوا الى حائط لعنبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبله من عنب فجلس فيه وابنار بيعة ينظران اليه ويريان مالتى من سفهاء ثقيف وقد اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التى من بنى جحج فقال لها ماذا لقينا من أجنائك فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس فأنت رؤف وأنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلى الى بعيد يتجهمنى الى ألى عدو ملكته امرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما رأى ابنار بيعة مالتى تحركت له رجها فعدوا غلاما طمنا نصرانيا يقال له عداس فقال له خذ قطعا من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له ياكل منه ففعل عداس ذلك ثم أقبل بالطبق حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقول أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت يا عداس وما دينك فقال أنا نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخى كان نبيا وأنا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقد ميه قال فقال أحد ابني ربيعة أم غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قال له ويا لك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقد ميه قال يا سيدي ما فى

ماحولكم (من القرى) الخطاب لاهل مكة يعنى اهل كنفقرى ديار نمودوهى الحجر وسدوم وهى قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف اهل مكة بذلك (وصرفنا الآيات) يعنى ويينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد (اعلمهم يرجعون) يعنى عن كفرهم فلم يرجعوا فاهل كنفقرى بسبب كفرهم ونقادهم فى الكفر (فلولا) يعنى فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرىانا آلهة) يعنى انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى والقرىبان كل ما يتقرب به الى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) يعنى بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) يعنى كذبهم الذى كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم عنده (وما كانوا يفترون) يعنى يكذبون بقولهم انها آلهة وانها تشفع لهم ﴿ قوله عز وجل (واذ صرفنا اليك نفر من الجن) الآية ﴾

قال المقسرون لمات أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى حياته يحوطه وينصره ويمنعه من يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصر له والمنعة من قومه فروى محمد بن اسحق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من قريش من بنى جحج جلس اليهم فدعاهم الى الله وكلهم بما جاءه من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحداهم هو يربط ثياب السكبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحد ابرس له غيرك وقال الثالث لا أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لآنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغى لى أن أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد شمس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلتم ما فعلتم فاكتسبوا على وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه فيز يد ذلك فى تجرهم عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونوه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس وألجؤوا الى حائط لعنبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبله من عنب فجلس فيه وابنار بيعة ينظران اليه ويريان مالتى من سفهاء ثقيف وقد اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التى من بنى جحج فقال لها ماذا لقينا من أجنائك فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس فأنت رؤف وأنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلى الى بعيد يتجهمنى الى ألى عدو ملكته امرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما رأى ابنار بيعة مالتى تحركت له رجها فعدوا غلاما طمنا نصرانيا يقال له عداس فقال له خذ قطعا من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له ياكل منه ففعل عداس ذلك ثم أقبل بالطبق حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقول أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت يا عداس وما دينك فقال أنا نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخى كان نبيا وأنا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقد ميه قال فقال أحد ابني ربيعة أم غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قال له ويا لك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقد ميه قال يا سيدي ما فى

الارض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بامر ما يعمله الانبي فقال له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك  
 فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يش  
 من خير تقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فرب به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين  
 اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء وروا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته  
 ولوا الى قومهم منذرين وقد آمنوا به وأجابوا بالسموعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذا  
 صرفنا اليك نفر من الجن وفي الآية قول آخر وسيا في سورة الجن وهو حديث مخرج في الصحيحين من  
 حديث ابن عباس وروى ان الجن لما رجوا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث من  
 أهل نصيبين وهم أشرف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال أبو حزة بلغنا انهم من بني الشيبان وهم  
 أكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا اننا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل  
 أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يندرجوا ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز  
 وجل اليه نفر من الجن وهم من أهل بنو ورجعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحابه اني أمرت  
 أن أقرأ على الجن اليلة فايتكم يتبعني فاطر قوائم استنبعهم فاطر قوائم استنبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن  
 مسعود قال عبد الله بن مسعود لم يحضر معي احد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى  
 الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الجحون وخط لي خطا ثم أمرني أن أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود  
 اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى مثال النور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت  
 على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيتة اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لا أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون  
 مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر فانطلق الى فقال لي تمت فقلت  
 لا والله يا رسول الله قد عممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك ترقعهم بعصاك تقول طم اجلسوا  
 فقال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب  
 بيض قال أولئك جن نصيبين سألونني المتاع والمتاع الزاد فتعنتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول  
 الله يقدرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله وما  
 يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجردون عظام الا وادعوا عليه لجه يوم أكل ولا روثه الا وادعوا فيها جه يوم أكلت  
 فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت في قتيل فقتل بينهم فتحا كمو الى فقتضت  
 بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاني فقال هل معك ماء قلت يا رسول الله معي اداة  
 فيها شئ من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ وقال ثمرة طيبة وماء طهور قال فتادة ذكر لنا ان ابن  
 مسعود قدم الكوفة رأى شيئا شامسا من الزط فافترقه حين رآهم ثم قال اظهر واقيل له ان هؤلاء قوم من  
 الزط فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضؤ  
 بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات باسانيد وأجاب عنها كلها والنبي صح عن علقمة قال  
 قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد قال ما صحبه منا أحد ولكننا مع  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطيرأ واغتيل فبتنا بشر  
 ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر  
 ليلة بات بها قوم قال أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار  
 نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أو فرما يكون لجاوكل بعرة علف  
 له وابتكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال  
 الشعبي وكانوا من جن الجزيرة أخرجه مسلم في صحيحه وهو ما تفسير الآية فقوله تعالى واذا صرفنا اليك

(يستمعون القرآن) منه عليه الصلاة والسلام (فلما حضره) أي الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن أي كانوا منه بحيث يسمعون (قالوا) أي قال بعضهم لبعض (أنتوا) استكتموا مستمعين روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حوست السماء وجوا بالشهب قالوا ما هذا إلا نبياً حدث فنهض سبعة نفر وأتسعة (١٤٠) من أشرف جن نصيبين وأبنوى منهم زو بعة فضر بوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا

الى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلى أو في صلاة الفجر فاستمعوا الصراخ وعنه سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فروا به فوقهم واستمعين وهو لا يشعر فأنباه الله باستماعهم وقيل بل الله أمر رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفر منهم فقال انى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فننبتني قاطئاً ثلاثاً فطرقوا الأعداء الله بن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيرى فأنطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون خط لى خطأ وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لفظاً شديداً فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئاً قلت نعم رجالاً أسوداً فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفاً والسورة التى

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى واذا ذكرنا بعننا اليك يا محمد نفر من الجن واختلجوا فى عدد أولئك نفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله رسلاً الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروى عن زر بن حبيش قال كان زو بعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروى أن الجن ثلاثة أصناف صنف منهم لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظنون ونقل بعضهم أن أولئك الجن كانوا يهوداً فأسلموا وقالوا فى الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفى مساعدهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع وأطبق المحققون من العلماء على أن الكل مكفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب (يستمعون القرآن فلما حضره) الضمير يعود الى القرآن يعنى فلما حضره القرآن وقيل يحتمل أنه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن (قالوا أنتوا) يعنى قال بعضهم لبعض استكتموا النسمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شئ فأنتصوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه (فلما قضى) أى فرغ من قراءته (ولوا) أى رجعوا (الى قومهم مندرين) يعنى داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وذلك بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القرآن والتصديق الا بعد ايمانهم به وتصديقهم له (وقالوا يا قومنا اناسمنا اناسمنا كتاباً نزل من بعد موسى مصداقاً قال عطاء كان دينهم اليهودية ولذلك قالوا اناسمنا كتاباً نزل من بعد موسى مصداقاً (لما بين يديه) يعنى من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك أن كتب الانبياء كانت مشتبهة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب (يهدى الى الحق والى طريق مستقيم) يعنى يهدى الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدى الى طريق الجنة (يا قومنا أجيئوا داعى الله) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفى الآية دليل على أنه مبعوث الى الانس والجن جميعاً قال مقاتل لم يعث الله نبياً الى الانس والجن قبله (وآمنوا به) فان قلت قوله تعالى أجيئوا داعى الله أمر باجابهته فى كل ما أمر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم أعاد ذكره بلفظ التعيين قلت انما أعاده لان الايمان أهم أقسام المأمور به وأثر فيها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه أشرف أنواعه (يعفركم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم) قال بعضهم لفظه من هنا زائدة والتقدير يعفركم من ذنوبكم وقيل هى على أصلها وذلك ان الله يعفركم من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا أسلموا جرت عليهم أحكام الاسلام فنأتى بذبذب أخذ به ما لم يتب منه أو يبقى تحت خطر المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء أخذ به ذنبه واختلف العلماء فى حكم مؤمنى الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الانجاتهم من النار وتأولوا قوله يعفركم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم واليه ذهب أبو حنيفة وحكى عن الليث قال ثوابهم أن يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترائب مثل البهائم وعن أنى الزناد قال اذا قضى بين الناس قيل لمؤمنى الجن عودوا ترائب فاعودون ترائب فاعند ذلك يقول الكافر باليتنى كنت ترائبوا وقال الآخرون لهم الثواب فى الاحسان كما يكون عليهم العقاب فى الاساءة كالانس وهذا هو

قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فلما قضى) أى فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من القراءة (ولوا الى) قومهم مندرين (اياهم) قالوا يا قومنا اناسمنا كتاباً نزل من بعد موسى) وانما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام (مصداقاً لما بين يديه) من الكتب (يهدى الى الحق) الى الله تعالى (والى طريق مستقيم) يا قومنا أجيئوا داعى الله) أى محمد صلى الله عليه وسلم (وآمنوا به) يعفركم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم) قال

أبو حنيفة رضي الله عنه لأثواب لهم إلا النجاة من النار هذه الآية وقال مالك وابن أبي ليلى وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن الضحاك أنهم يدخلون الجنة ويا كلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمئنه (١٤١) انس قبلهم ولا جان (ومن لا يجب

داعي الله فليس بمجزي في الارض) أي لا ينجي منه مهرب (وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي مخلقهن) هو كقوله وما مستامن لغوب ويقول عيبت بالامر اذالم تعرف وجهه (بقادر) محله الرفع لانه خبر يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الياء لاشتمال النفي في أول الآية على ان وما في خبرها وقال الزجاج لو قالت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر الأتري الى وقوع بلى مقرررة للقدرة على كل شئ من البعث وغيره لا لرؤيتهم (على أن يحيي الموتى بلى) هو جواب للنفي (انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يقال لهم (أليس هذا بالحق) وناصب الظرف القول الماضر وهذا اشارة الى العذاب (قالوا بلى) وز بنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (فاصبر كما بكفركم في الدنيا) (فاصبر كما صبرا أولو العزم) أو أولو الجند

الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن أبي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويا كلون ويشربون وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمئنه انس قبلهم ولا جان قال فالانسيت للانس والجنيت للجن وقال عمر بن عبد العزيز مؤمنى الجن حول الجنة في روض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) يعني لا يعجز الله فيفوته (وليس له من دونه أولياء) يعني أنصارا ينعونه من الله (أولئك) يعني الذين لم يجيبوا داعي الله (في ضلال مبين) قوله تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي مخلقهن) يعني أنه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه (بقادر على أن يحيي الموتى) يعني ان إعادة الخلق واحياءه بعد الموت أهون عليه من ابداعه وخلقته فالكل عليه هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله (بلى انه على كل شئ قدير) يعني من امانة الخلق واحياهم لانه قادر على كل شئ (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيه اضرار تقديره فيقال لهم (أليس هذا بالحق) يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق (قالوا بلى ورونا) هذا اعتراف منهم على أنفسهم بعدما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقرير لهم فعند ذلك (قال لهم) فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (قوله عز وجل) (فاصبر كما صبرا أولو العزم من الرسل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالافتداء بأولى العزم من الرسل في الصبر على أذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجند والصبر واختلفوا في أولى العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكال عقيل وهذا القول هو اختيار الامام غفر الدين الرازي قال لان لفظه من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كأنه قيل له اصابركم صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم وصفهم بالعزم بقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو العزم الا يونس لهجلة كانت فيه الأتري أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الخوت وقال قوم أولو العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشرة لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وهو ود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه و ابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح في قول يعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الحب والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح و ابراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية روى البيهقي بسنده عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبئني لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولى العزم الا بالصبر على مكر وهما والصبر عن محبوها ولم يرض الا أن كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبرا أولو العزم من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته والله لا صبرن كما صبروا ولا جهدن ولا قوة الا بالله (قوله تعالى) (ولا تستجمل لهم) يعني اصابر على أذاهم ولا تستجمل بنزول العذاب عليهم فانه ما زال بهم لا محالة كأنه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبي منهم فامر الله تعالى بالصبر وترك الاستجمل ثم أخبر بقرب

والثبات والصبر (من الرسل) من للتبعيض والمراد بأولى العزم ما ذكر في الاحزاب واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ويونس ليس منهم لقوله ولا تكن كصاحب الخوت وكذا آدم لقوله ولم نجده عزما ولييان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم (ولا تستجمل لهم) لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتجليله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر



( كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ) أي أنهم يستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوا ساعة من نهار (بلاغ) هذا بلاغ أي هذا الذي وعظّم به كفاية في الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول (فهل هلك) هلاك عذاب والمعنى قلن يهلك بعذاب الله (الاقوم الفاسقون) أي المشركون (١٤٢) الخارجون عن الاعتاض به والعمل بما وجبه قال عليه السلام من قرأ سورة

العذاب فقال تعالى ( كأنهم يوم يرون ما يوعدون ) يعني من العذاب في الآخرة ( لم يلبثوا ) يعني في الدنيا ( إلا ساعة من نهار ) يعني أنهم إذا عابنوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لأن ماضى وإن كان طويلاً فهو يسيراً إلى ما يدوم عليهم من العذاب وهو أبد الآبدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى ( بلاغ ) أي هذا القرآن وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ ( فهل هلك ) يعني بالعذاب إذا نزل ( الألقوم الفاسقون ) يعني الخارجين عن الإيمان بالله وطاعته قال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الألقوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية والله أعلم

﴿ تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهي مدنية وهي ثمان وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل ( الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ) يعني أبطلها ولم يتقبلها منهم وأراد بالأعمال ما كانوا يفعلون من أعمال البر من اطعام الطعام وصلة الأرحام وفك العاني وهو الأسير وجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الاحقاف المتقدمة كان قائلاً قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الأعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فأخبر بان الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم يعني أبطلها لانها لم تكن لله ولا بامر الله فاعلواها من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك فهذا السبب أبطلها الله تعالى وقال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤس كفار قریش منهم أبو جهل والحرب بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قریش وقيل هم كفار أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعني ومنعوا غيرهم عن الدخول في دين الله وهو الاسلام أو منعوا أنفسهم من الدخول في الاسلام أضل أعمالهم يعني أبطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقد منال ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات ) قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قریش والذين آمنوا هم الانصار وقيل مؤمنوا أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الاولي لبشمل جميع المؤمنين ( و ) الذين ( آمنوا بما نزل على محمد ) يعني القرآن الذي أنزله الله على محمد وما ذكره بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعظيماً الشأن القرآن الكريم وتنبها على انه لا يتم الإيمان الا به وأ ك ذلك بقوله ( وهو الحق من ربهم ) وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثوري في قوله وآمنوا بما نزل على محمد يعني لم يخالفوه في شيء ( كفر عنهم سيئاتهم ) يعني ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم ( وأصلح باهم ) يعني حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق في أمور الدين والتسليط على أمور الدنيا بما أعطاهم من النصر على أعدائهم وقيل أصلح باهم يعني قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد

الاحقاف كتب الله له عشر حسنات بعد ذلك رملة في الدنيا ﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل سورة القتال مدنية وقيل مكية وهي ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ( الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ) أي أعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام أو صدوا غيرهم عنه قال الجوهري صدعته يصد صدوداً أي أعرض وصدته عن الامر صداه منعه وصرفه عنه وهم المطعمون يوم بدر وأهل الكتاب أو عام في كل من كفر وصد ( أضل أعمالهم ) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالأضالة من الابل وأعمالهم ما عملوه في كفرهم من صلة الأرحام واطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام أو ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات ) هم ناس من قریش أو من

وقال

الانصار أو من أهل الكتاب أو عام ( وآمنوا بما نزل على محمد ) وهو القرآن ونخصيص الإيمان

بالمتر على رسوله من بين ما يجب الإيمان به لتعظيم شأنه وأ ك ذلك بالجملة الاعتراضية وهي قوله ( وهو الحق من ربهم ) أي القرآن وقيل ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره ( كفر عنهم سيئاتهم ) ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم ( وأصلح باهم ) أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصر والتأييد

(ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) ذلك مبتدأ وما بعده خبره أي ذلك الامر وهو اضلال أعمال  
أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني والاصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن (كذلك) مثل  
ذلك الضرب (يضرب الله) أي بين الله (للناس أمثالهم) والضمير راجع الى الناس أو الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب  
أمثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثالا لعمل الكافرين واتباع الحق مثالا لعمل المؤمنين أو جعل الاضلال مثالا لخيبة  
الكفار وتكفير السيئات مثالا لنفوز الابرار (فاذا القيمت الذين كفروا) من اللقاء (١٤٣) وهو الحرب (فضرب الرقاب)

أصله فاضر بوا الرقاب  
ضرب باخذف الفعل وقدم  
المصدر فانيب منابه مضافا  
الى المفعول وفيه اختصار  
مع اعطاء معنى التوكيد  
لانك نذكر المصدر وتدل  
على الفعل بالنسبة التي  
فيه وضرب الرقاب عبارة  
عن القتل لأن الواجب  
أن تضرب الرقاب خاصة  
دون غيرها من الاعضاء  
ولان قتل الانسان أكثر  
ما يكون بضرب رقبته فوقع  
عبارة عن القتل وان  
ضرب غير رقبته (حتى  
إذا تختمتموهم) أكثرتم  
فيهم القتل (فشدوا الوثاق)  
فأسروهم والوثاق بالفتح  
والكسر اسم ما يوثق به  
والمعنى فشدوا وثاق  
الاسارى حتى لا يفلتوا منكم  
(فاما منابعد) أي بعد ان  
تأسروهم (واما فداء)  
منافداء منصوبان  
بفعلهما مضمرين أي فاما  
تمنون منا أو تفقدون فداء  
والمعنى التخيير بين الامرين

وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم يعني أن هذا الاصلاح يعود الى اصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا (ذلك  
بان الذين كفروا اتبعوا الباطل) يعني الشيطان (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) يعني القرآن  
ومعنى الآية ذلك الامر وهو اضلال أعمال الكفار وتكفير سيئات المؤمنين كائن بسبب اتباع الكفار  
الباطل واتباع المؤمنين الحق من ربهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) الضمير في أمثالهم راجع الى  
الناس على أنه تعالى يضرب للناس أمثال أنفسهم أو انه راجع الى الفريقين على معنى أنه تعالى يضرب أمثال  
الفريقين للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله أمثال حسنات المؤمنين وأمثال أعمال  
الكافر بن للناس قوله تعالى (فاذا القيمت الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) يعني  
فاضر بوا رقابهم ضربوا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضاء  
وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان أشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكري الامر  
بالقتل ولان الرأس من أشرف أعضاء البدن فاذا أبين عن بدنه كان أسرع الى الموت والهلاك بخلاف  
غيره من الاعضاء (حتى إذا تختمتموهم) يعني بالغنم في القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشيء التخيخ الغليظ  
والمعنى حتى إذا أقتلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة (فشدوا الوثاق) يعني في الاسرى  
والمعنى فأسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم ما يوثق به أي يشد به (فاما منابعد واما فداء)  
يعني بعد الاسر ان تمنوا عليهم مناباطلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم فداء  
فصل في حكم الآية واختلاف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة بقوله فاما تنقضهم في الحرب  
فشردهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدي وابن  
جرير واليه ذهب الاوزاعي وأصحاب الرأي قالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفداء بل  
اما القتل والاسترقاق أيهما رأى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء انما  
هو الاسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يكون المراد أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم  
فيخلوا لقبول الجزية ان كانوا من أهل الذمة ويراد بالفداء أن يفادى بأسراهم أسرى المسلمين فقد رواه  
الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور عنه أنه لا يرى فداءهم لابل ولا بغيره خيفة أن يعودوا حرا  
للمسلمين وذهب أكثر العلماء الى ان الآية محكمة والامام بالخيار في الرجال المبالغين من الكفار اذا أسروا  
بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطقتهم بلا عوض أو يقادهم بالمال أو بأسارى المسلمين واليه  
ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي وأحمد واسحق  
قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل في الاسارى فاما منابعد واما فداء وهذا  
القول هو الصحيح ولانه به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده (ق) عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى  
الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه في سارية من سواري

بعد الاسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق والمن والفداء المذكور  
في الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لان سورة براءة من آخر ما نزل وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق أو  
المراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية والفداء أن يفادى بأسراهم أسارى المسلمين فقد رواه  
الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة رحمه الله وهو قولهما والمشهور أنه لا يرى فداءهم لابل ولا بغيره لثلايودوا حرا باعينا وعند الشافعي رحمه  
الله تعالى للامام أن يختار أحد الامور الاربع القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن

(حتى تضع الحرب أوزارها) أتقالها وألاتها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكرراع وقيل أوزارها آتاما يعني حتى يترك أهل الحرب وهم  
المشركون شركهم بان يسلموا (١٤٤) وحتى لا يخالوا من ان يتعلق بالضرب والشدا أو الممن والغداء فالمعنى على كلا التعلقين

المسجد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا نمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل  
ذادم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تر يد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى  
اذا كان من الغد قال ما عندك يا نمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذادم وان كنت  
تر يد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك  
يا نمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذادم وان كنت تر يد المال فسل تعط  
منه ماشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا نمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم  
دخل المسجد فقال أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض أبغض الى  
من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى والله ما كان من دين أبغض الى من دينك فاصبح دينك  
أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فاصبح بلدك أحب البلاد كلها الى وان خيلك  
أخذتني وأنا تر يد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتز فاما اقدم مكة قال له قائل  
أصبوت قال لا ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من النمامة حبة حنطة حتى  
يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران بن حصين قال أسر  
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فوثقوه وكانت ثقيف فدا سرت رجلين من أصحاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف أخرجه  
الشافعي في مسنده وأخرجه مسلم وأبو داود بلفظ أطول من هذا وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) يعنى  
أتقالها وأجملها والمراد أهل الحرب يعنى حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا عن القتال وأصل الوزر ما يحمله  
الانسان فسمى الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم الحار بون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار  
الآتام ومعناه حتى يضع الحار بون أوزارهم بان يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع  
حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقيل أعمالهم بان يسلموا ومعنى الآية أن تخنوا المشركين بالقتل والاسر  
حتى يدخل أهل المال كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول  
عيسى بن مريم عليه السلام وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثنى الله الى أن  
يقاتل آخر أمي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال السكبي معناه حتى يسلموا أو يسلموا اقال الفراء  
حتى لا يبقى الا مسلم أو مسلم (ذلك) يعنى الذي ذكره بين من حكم الكفار (ولو يشاء الله لا تتصر منهم)  
يعنى ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاهم أمرهم (ولكن) يعنى ولكن أمرهم بالقتال (ليبلو بعضكم  
ببعض) يعنى فيصبر من قتل من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافر بن الى العذاب (والذين قتلوا  
في سبيل الله) يعنى الشهداء وقري قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله (فلن يضل أعمالهم) يعنى فلن يبطلها  
بل يوفهم نواب أعمالهم التي عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم أحد وقد فشت في  
المسلمين الجراحات والقتل (سيهد بهم) يعنى أيام حياتهم في الدنيا الى أرشد الامور وفي الآخرة الى  
الدرجات العلى (و يصلح باهم) و يرضى أعمالهم و يقبلها (و يدخلهم الجنة عرفها لهم) بين لهم منازلهم في  
الجنة حتى اهتدوا الى مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون عليها كأنهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن  
أهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله وأهلها في الدنيا هذا قول أكثر المفسرين ونقل عن  
ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الریح الطيبة وطعام معرف أى مطيب قوله عز وجل (يا أيها

عند الشافعي رحمه الله  
انهم لا يزالون على ذلك  
أبدا الى أن لا يكون حرب  
مع المشركين وذلك اذا لم  
يبقى لهم شوكة وقيل اذا  
نزل عيسى عليه السلام  
وعند أبي حنيفة رحمه الله  
اذا علق بالضرب والشدا  
فالمعنى انهم يقتلون  
ويأسرون حتى تضع جنس  
الحرب الاوزار وذلك حين  
لا تبقى شوكة للمشركين  
واذا علق بالممن والغداء  
فالمعنى انه يمن عليهم ويقادون  
حتى تضع حرب بدر أوزارها  
الآن يتأول الممن والغداء  
بما ذكرنا من التأويل  
(ذلك) أى الامر ذلك  
فهو مبتدأ وخبر وأفعالهم  
ذلك فهو في محل نصب  
(ولو يشاء الله لا تتصر  
منهم) لا تتقم منهم بغير  
قتال ببعض أسباب الهلاك  
كالخسف أو الرجفة أو  
غير ذلك (ولكن) أمرهم  
بالقتال (ليبلو بعضكم  
ببعض) أى المؤمنين  
بالكافرين تمحيصا للمؤمنين  
وتمحيصا للكافرين  
(والذين قتلوا) بصرى  
وحفص قاتلوا غيرهم  
(في سبيل الله فلن يضل  
أعمالهم سيهد بهم) الى  
طريق الجنة أو الى الصواب

الدين

في جواب منكر ونكير (و يصلح باهم) يرضى خصماءهم و يقبل أعمالهم (و يدخلهم الجنة عرفها لهم)  
عن مجاهل عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجوا أن يسألوا أو يطيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (يا أيها

الذين آمنوا ان تنصروا الله (أي دين الله ورسوله) ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) في مواطن الحرب وأعلى نخبة الاسلام (والذين كفروا) في موضع رفع بالابتداء والخبر (فتعسالمهم) وعطف قوله (وأضل أعمالهم) على الفعل الذي نصب تعسالان المعنى فيقال تعسالمهم والتعس العشور وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد في (١٤٥) الدنيا القتل وفي الآخرة التردى في النار (ذلك) أي التعس

والضلال (بانهم كرهوا ما أنزل الله) أي القرآن (فأحبط أعمالهم أفلم يسروا في الارض) يعني كفار أمتك (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أهلكتهم هلاك استئصال (وللكافرين) مشركي قريش (أمثالها) أمثال تلك الهلكة لان التسدير يدل عليها (ذلك) أي نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين (بان الله مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم (وان الكافرين لامولى لهم) أي لاناصرهم فأنه مولى العباد جميعا من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم والنصرة فهو مولى المؤمنين والكافرين من جهة الاختراع والتصرف فيهم ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة (ان الله يدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قليلا (وبأكلون) غافلين غير

الذين آمنوا ان تنصروا الله) يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا أولياء الله وحزبه (ينصركم) يعني على عدوكم (ويثبت أقدامكم) يعني عند القتال وعلى الصراط (والذين كفروا فتعسالمهم) قال ابن عباس يعني بعد لهم او قال ابو العالية سقوط لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس في الدنيا العثرة وفي الآخرة التردى في النار يقال للعائر تعسا اذا دعوا عليه ولم يردوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وأرادوا قيامه وفي هذا اشارة جلية وهي انه تعالى لما قال في حق المؤمنين ويثبت أقدامكم يعني في الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافرا أيضا يصيرو ثبت قدمه في الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان لكم الثبات أيها المؤمنون وطم العثار والزوال والهلاك وقال في حق المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شيء وقال في حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم (وأضل أعمالهم) يعني أبطل أعمالهم لانها كانت في طاعة الشيطان (ذلك) يعني التعس والضلال (بانهم كرهوا ما أنزل الله) يعني القرآن الذي فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد ألفوا الاعمال والاطلاق العنان في الشهوات والملاذفت عابهم ترك ذلك والاختد بالجد والاجتهاد في طاعة الله فهذا السبب كرهوا ما أنزل الله (فأحبط أعمالهم) يعني فابطل أعمالهم التي عملوها في غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى (أفلم يسروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعني من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة (دمر الله عليهم) يقال دمره الله يعني أهلكه ودمر عليه اذا أهلك ما يختص به والمعنى أهلك الله عليهم ما يختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وللكافرين) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (أمثالها) يعني ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون في الآخرة (ذلك) يعني الالهلاك والهوان (بان) أي بسبب ان (الله مولى الذين آمنوا) يعني هو ناصرهم ووليهم ومتولى أمورهم (وان الكافرين لامولى لهم) يعني لاناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لم يعبدوا الا صنما وهي جناد لا تنصر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لاناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لامولى لهم وبين قوله ثم رددوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هنا بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين في الدنيا ذكر حالهم في الآخرة فقال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) يعني هذا لهم في الآخرة (والذين كفروا يمتعون) يعني في الدنيا يشبهوا لذاتها (وبأكلون كأننا كل الانعام) يعني ليس لهم همة الا بطونهم وفر وجههم وهم مع ذلك لاهون ساهون عمالير ادبهم في غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبده ما يضره ولا ينفعه قيل المؤمن في الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع في الدنيا لانها جنته وهي سجن المؤمن بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من النعم العظيم الدائم (والنار مثوى لهم) يعني مقام الكافر في الآخرة والثواء المقام في المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم ﴿ قوله تعالى (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) يعني أخرجك أهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هي أشد قوة من أهل مكة أهلكتهم الله يدل عليه قوله (أهلكناهم) ولم يقل

(١٩ - خازن) - رابع) متفكرين في العاقبة (كأننا كل الانعام) في معالقيها ومسارحها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية) أي وكم من قرية للتكثير وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكتناهم (هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) أي وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أي كانوا سبب خروجك (أهلكناهم)

من عنده و برهان وهو القرآن المجيز وسائر المجيزات يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ممن زين له سوء عمله) هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله (واتبعوا أهواءهم) للحمل على لفظ من ومعناه (مثل الجنة) صفة الجنة الجيبية الشأن (التي وعد المتقون) عن الشرك (فيها أنهار) داخل في حكم الصلة كالسكرير لها الأثرى الى صحة قولك التي فيها أنهار أوحال أى مستقرة فيها أنهار (من ماء غير آسن) غير متغير اللون والريح والطعم يقال آسن الماء اذا تغير طعمه وريحه آسن مكي (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألوان الدنيا الى الجوضة وغيرها (وأنهار من خمر لذة) تأتيت لسوء هو اللذيد (للشاربين) أى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خجار ولا صداع ولا آفة من آفة الخمر (وأنهار من عسل مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) مثل مبتدأ خبره (ممن زين له سوء عمله) كمن هو خالد بن الوليد

أهل كذاها (فلانصر لهم) يعنى فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذى حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال أنت أحب بلاد الله تعالى الى الله وأحب بلاد الله الى ولوان المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك فانزل الله هذه الآية (أفمن كان على بينة من ربه) يعنى على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه (ممن زين له سوء عمله) وهو الكافر أبو جهل ومن معه من المشركين (واتبعوا أهواءهم) يعنى فى عبادة الاوثان قوله عز وجل (مثل الجنة التي وعد المتقون) لما بين الله عز وجل حال الفريقين فى الاهتداء والضلال بين فى هذه الآية ما أعد لكل واحد من الفريقين فبين أولام أعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون يعنى صفة الجنة قال سيبويه المثل هو الوصف فعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضى مشهابه وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشئ عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله مكن هو خالد بن الوليد (فيها) يعنى الجنة التي وعد المتقون (أنهار من ماء غير آسن) يعنى غير متغير ولا متآسن يقال آسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) يعنى كما تتغير ألوان الدنيا فلا يعود حامضاً ولا قارصاً ولا ما يكره من الطعوم (وأنهار من خمر لذة للشاربين) يعنى ليس فيها حوضة ولا عفصة ولا ممرارة ولم يندسها الارجل بالدوس ولا الايدى بالعصر وليس مع شرابها ذهاب عقل ولا صداع ولا خجار بل هى مجرد التلذذ فقط (وأنهار من عسل مصفى) يعنى ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحلته بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقى الأنهار بعد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة قال الشيخ محي الدين النووي فى شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحان وجيحان فاما سيحان وجيحان المذكوران فى الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فهما فى بلاد الارمن فسيحان نهر اردنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جداً أكبرهما جيحان هذا هو الصواب فى موضعهما ثم ذكر كلاماً بعد هذا طويلاً قال فلما كون هذه الأنهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثانى وهو الصحيح انها على ظاهرها وان طامادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا من ذهب أهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الأنهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوى عنه  $\text{ﷺ}$  وقوله تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات) فى ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى أن ما كول أهل الجنة للذة لا الحاجة فلهذا ذكر الثمرات بعد المشروب لانها للتفكه واللذة (ومغفرة من ربهم) فان قات المؤمن المتقى لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس بل لازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة فيها لان الواو لا تقتضى الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب آخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكايف عنهم فيما ياكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان ما كوها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه  $\text{ﷺ}$  قوله تعالى (ممن زين له سوء عمله) يعنى من هو فى هذا النعيم المقيم الدائم مكن هو خالد بن الوليد يتجرع من حميمها وهو قوله (وسقوا ماء حيا) يعنى شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا أدنى منهم شوى وجوههم ووقعت فروع رؤسهم (ف) اذا شربوه (قطع أمعاءهم) يعنى فخرجت من أديبارهم والامعاء جمع ميم وهو جميع ما فى البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله مكن هو خالد بن الوليد ارجع الى ما تقدم كأنه تعالى قال أفمن كان على بينة من ربه مكن زين له سوء عمله وهو خالد بن الوليد وسقوا ماء حيميا فقطع أمعاءهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب

من هو خالد في النار وهو  
وهو كلام في صورة الاثبات  
ومعناه النسي في لفظه  
تحت حكم كلام مصدر  
بحرف الانكار ودخوله  
في حيزه وهو قوله أفن كان  
على ينة من ربه مكن زين  
له سوء عمله وفائدة حذف  
حرف الانكار زيادة  
تصوير لمكابرة من  
يسوى بين المنسك بالينة  
والتابع لهما وانه بمنزلة من  
يثبت التسوية بين الجنة  
التي تجرى فيها تلك الانهار  
وبين النار التي يسقى أهلها  
الجيم (ومنهم من يستمع  
اليك حتى اذا خرجوا  
من عندك قالوا الذين أوتوا  
العلم ماذا قال أنفا) هم  
المنافقون كانوا يحضرون  
مجلس رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فيسمعون  
كلامه ولا يعوبه ولا يلقون  
له بالاتها وانهم اذا خرجوا  
قالوا اولي العلم من الصحابة  
ماذا قال الساعة على جهة  
الاستهزاء (أولئك الذين  
طبع الله على قلوبهم  
واتبعوا أهواءهم والذين  
اهدوا) بالايمان واستماع  
القرآن (زادهم) الله (هدى)  
أي بصيرة وعلماً أو شرح  
صدورهم (وأتاهم  
تقواهم) أعانهم عليها أو  
آتاهم جزاء تقواهم  
أو بين لهم ما يتقون (فهل  
ينظرون الا الساعة) أي

على رؤسهم فينفذ الجيم حتى يخلص الى جوفه فليست ما في جوفه حتى يبرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما  
كان أخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله  
يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا  
شرب به قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره قال الله تعالى وسقوا ماء حميما مقطوع أمعاءهم ويقول وان يستغينوا  
يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى (ومنهم) يعني ومن  
هو لاء الكفار (من يستمع اليك) وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونابه وتغافل  
عنه (حتى اذا خرجوا من عندك) يعني ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك  
فاذا خرجوا من عندك (قالوا) يعني المنافقين (الذين أوتوا العلم) يعني من الصحابة (ماذا قال أنفا) يعني  
ما الذي قال محمد الآن وهو من الانتفا يقال انتفت الامر أي ابتدأته قال مقاتل وذلك أن النبي صلى الله  
عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألو ابا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال  
محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئلت (أولئك) يعني المنافقين (الذين طبع الله  
على قلوبهم) يعني فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم)  
يعني في الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق أمات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا  
أهواءهم في الباطل (والذين اهدوا) يعني المؤمنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على  
متابعة أهوى بين حال المؤمن المهتدى الذي ينتفع بما يستمع فقال تعالى والذين اهدوا يعني بهداية الله اياهم  
الى الايمان (زادهم هدى) يعني انهم كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به عن الله عز وجل  
آمنوا بما سمعوا منه وصدقوه فبذلك هدى مع هدايتهم وايمانهم ايمانهم (وأتاهم تقواهم) يعني  
وفقههم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبيرة أتاهم ثواب تقواهم وقيل أتاهم نفس تقواهم  
بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى قوله عز وجل (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة) يعني الكافر ين  
والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يؤمنوا فالساعة تأتيهم بغتة تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم فقيه  
وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة آتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها  
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يادروا بالاعمال سبعاهل تنتظرون الا فقرا منسيا أو  
غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هراما مفندا أو موتا مجيها أو الدجال فشر غائب ينتظرون والساعة والساعة  
أدهى وأمر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى (فقد جاء أشراطها) أي أماراتها وعلاماتها  
واحد هاشرط ولما كان قيام الساعة أمرا مستبظا في النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون الا الساعة  
أن تأتيهم بغتة فكان قالوا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء أشراطها قال المفسرون من  
أشراط الساعة انشقاق القمر وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن سهل بن سعد قال رأيت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا الوسطى والتي تلى الابهام وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وفي  
رواية قال بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدحها (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال  
بعثت في نفس الساعة فسبققتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد ان ما بين مبعثه صلى  
الله عليه وسلم وقيام الساعة شيء يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة (ق) عن  
أنس قال عند قرب وفاته ألا حدثكم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة أو قال من أشرط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل  
و يشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون الخمسين امرأة فيم وفي رواية يظهر  
ينظرون (أن تأتيهم) أي اتيانها فهو بدل اشتمال من الساعة (بغتة) فجأة (فقد جاء أشراطها) غلاماتها وهو مبعث محمد صلى الله

عليه وسلم وأنشاق القمر  
والدخان وقيل قطع الارحام  
وقلة الكرام وكثرة اللثام  
(فاني طم اذا جاءتهم  
ذكراهم) قال الاخفش  
والتقدير فاني طم ذكراهم  
اذا جاءتهم (فاعلم انه) ان  
الشان (لا اله الا الله  
واستغفر لذنبك وللمؤمنين  
والمؤمنات) والمعنى فاني  
على ما أنت عليه من العلم  
بوحداية الله وعلى التواضع  
وهضم النفس باستغفار  
ذنبك وذنوب من على  
دينك وفي شرح  
التأويلات جاز ان يكون  
له ذنب فامر بالاستغفاره  
ولكن لا نعلمه غير ان ذنب  
الانبياء ترك الافضل  
دون مباشرة القبيح  
وذنو بنامباشرة القبايح  
من الصغار والكبار وقيل  
الفاآت في هذه الآيات  
لعطف جملة على جملة بينهما  
اتصال (والله يعلم متقلبكم)  
في معاشكم ومتاجرکم  
(ومثواکم) ويعلم حيث  
تستقرون من منازلکم  
أو متقلبكم في حياتکم  
ومثواکم في القبور أو  
متقلبكم في أعمالکم  
ومثواکم في الجنة والنار  
ومثله حقيق بان يتقى  
ويخشى وأن يستغفر وستر  
سفيان بن عيينة عن فضل  
العلم فقال ألم تسمع قوله فاعلم  
أنه لا اله الا الله واستغفر

الزناو يقل الرجال ويكثر النساء (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط  
الساعة أن يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الطرح قالوا وما الطرح قال  
القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل أو قال ويظهر الجهل (خ) عن أبي هريرة قال بنا رسول الله صلى  
الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكلمه ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال ابن  
السائل عن الساعة قال ها أنا ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا  
وسد الامر الى غير أهلها فانتظر الساعة ﴿ وقوله تعالى (فاني طم اذا جاءتهم ذكراهم) يعني فن أين طم  
التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة فلا  
تنفعهم الذكري ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايان في ذلك الوقت (فاعلم انه لا اله الا الله) الخطاب  
للنبي صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان علما بالله وانه لا اله الا هو فإنة هذا  
الامر واجب عنه بان معناه دم على ما أنت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس أي دم على ما  
أنت عليه من الجلوس أو يكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه  
وسلم فالمراد به غيره من أمته قال أبو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم فاعلم انه  
لا ملجأ ولا منجى ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذي لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه لا اله الا الله وان جميع  
الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا لله الذي لا اله الا هو (واستغفر لذنبك) أمر الله عز وجل  
نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع أنه مغفور له ليستن به أمته وليقتدوا به في ذلك (م) عن الاغر المزني  
أغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي حتى أستغفر في اليوم مائة  
مرة وفي رواية قال توبوا الى ربكم فوالله اني لا توب الى ربى عز وجل مائة مرة في اليوم (خ) عن أبي هريرة  
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية  
أكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر أي يلبس على قلبي ويغطي بسبب  
ذلك ما أطلع الله عليه من أحوال أمته بعده فأخزته ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر  
في أمور المسامين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من أعظم طاعة وأشرف عبادة عن أرفع  
مقام بما هو فيه وهو التفرد بر به عز وجل وصفا وقته معه وخلوص همه من كل شيء سواه فلهذا السبب  
كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات الابراشيات المقر بين وقيل هو مأخوذ من الغين وهو  
الغيم الرقيق الذي يغشى السماء فكان هذا الشغل والهلم يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن  
غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكان سبب  
استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكي الشح محي الدين النووي عن القاضي عياض  
ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذي كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر أو غفل  
عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحرث الحاسبى خوف الانبياء  
والملائكة خوف اعظام واجلال وان كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة  
حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال أفلاأكون عبدا شكورا وقيل في معنى  
الآية استغفر لذنبك أي لذنوب أهل بيتك (وللمؤمنين والمؤمنات) يعني من غير أهل بيته وهذا اكرام  
من الله عز وجل لهذه الامة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المحاب  
فيهم (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني متصرفكم ومنشركم في أعمالكم  
في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم الى الجنة أو الى النار وقيل متقلبكم في أشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل

لذنبك فامر بالعمل بعد العلم (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) فيها ذكر (١٤٩) الجهاد (فاذا أنزلت سورة) في معنى

الجهاد (محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجهها الاوجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة (وذكر فيها القتال) أي أمر فيها بالجهاد (رأيت الذين في قلوبهم مرض) نفاق أي رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (ينظرون اليك) ينظرون اليك نظر الغشبي عليه من الموت) أي تشخص ابصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من أصابته الغشبية عند الموت (فاولي لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفضل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يلهم المكر وه (طاعة وقول معروف) مستأنف أي طاعة وقول معروف خبر لهم (فاذا عزم الامر) فاذا وجد الامر ولزمهم فرض القتال (فاو صدقوا الله) في الايمان والطاعة (لكان) الصدق (خير لهم) من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة الى الخطاب بضرب من التوبيخ والارهاب فقال

الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات و بطونهم ومثوا كم في الدنيا وفي القبور المعنى انه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها وان دق وخفي \* قوله تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) وذلك ان المؤمنين كانوا حراصا على الجهاد في سبيل الله فقالوا لولا أنزلت سورة تامرنا بالجهاد لكي نجاهد (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين (رأيت الذين في قلوبهم مرض) يعني نفاقا وهم المنافقون (ينظرون اليك) يعني شزرا وكرهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو (نظر الغشبي عليه من الموت) يعني كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت (فاولي لهم) فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم في التهديد ويك وقار بك ما تكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدأ بقوله (طاعة وقول معروف) فعلى هذا هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم وأولى بهم والمعنى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثلا وأحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام في لهم بمعنى الباء مجازة فاولي بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو أطاعوا وأجابوا كانت الطاعة والاجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء عنه (فاذا عزم الامر) فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على أصله مجازة كقولنا جاء الامر ودنا الوقت وهذا أمر متوقع ومعنى الآية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذا فيما وعدوا به (فاو صدقوا الله لكان خيرا لهم) يعني الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم (فهل عسيتم) أي فلعلكم (ان توليتهم) يعني أعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم أحكامه (ان تفسدوا في الارض) يعني تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفساد في الارض بالعصية والبغي وسفك الدم وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام (وتقطعوا أرحامكم) قال قتادة كيف رأيت القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فاخذت بحقو الرحمن فقال له فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم وأعمى ابصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الشجنة القرابة المشنكة كاشتبك العروق والحقوم مشد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار وما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمسك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسب من نسبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتهما والعائذ اللاتذ المستجير قال القاضي عياض الرحم التي توصل وتقطع وتبرأ نماهي معنى من المعاني وليست بجسم وانما هي قرابة ونسب يجمعهم رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رجاء والمعاني لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلاها وعظيم اثم قطعها ولهذا سمي العقوق قطعاً كما انه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز أن يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش ونكاح على لسانها هذا امر الله عز وجل هذا كلام القاضي عياض في معنى هذا الحديث والله أعلم وقيل في الآية في قوله ان توليتهم هو من الولاية يعني فهل عسيتم ان توليتهم أمر الناس أن تفسدوا في الارض يعني بالظلم وتقطعوا أرحامكم ومعنى الاستفهام في قوله فهل عسيتم للتقرير والمدكور والمعنى هل يتوقع منكم الافساد فان قلت عسى طمع وترج

(فهل عسيتم ان توليتهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) فلعلكم ان أعرضتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقتاة بعض الاقارب بعضا وأد البنات وخير



ان توليتهم (أولئك) إشارة الى المدكورين (الذين لعنهم الله) أبعدهم عن رحمة (فأصمهم) عن استماع الموعظة (وأعمى أبصارهم) عن ابصارهم طريق الهدى (أفلا يتدبرون القرآن) فيعرفوا ما فيه من المواعظ والزاجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي (أم على قلوب أفعالها) بمعنى بل وعمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر ونكرت القلوب لان المراد على قلوب قاسية منهم يمرها في ذلك والمراد بعض قلوب وهي قلوب المنافقين وأضيفت الافعال الى القلوب لان المراد الافعال المختصة بها وهي أفعال الكفر التي استغلت فلا تفتح نحو الرين والختم والطبع (ان الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) أي المنافقون رجعوا الى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم (الشیطان سول) زين لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبر الان نحو ان زيدا عمر ومربه (وأملی لهم) ومد لهم في الآمال والاماني وأملی أبو عمرو

وتوقع وذلك على الله محال لانه تعالى عالم بكل شيء فإمعناه قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجي المبتي وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشري معناه انه لما عهد منكم أحقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف عمر يصكم ورجاوة عقدكم في الايمان ياهو لا عما تر ون هل يتوقع منكم ان توليتهم أمور الناس وتأمرتم عليهم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الملك وتها الكاعلى الدنيا (أولئك) إشارة الى من اذا تولى أفسد في الارض وقطع الارحام (الذين لعنهم الله) يعني أبعدهم من رحمة وطردهم عن جنته (فأصمهم) يعني عن سماع الحق (وأعمى أبصارهم) يعني عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وأبصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم ينبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمى وان كان لهم اسماع وابصار في الظاهر (أفلا يتدبرون القرآن) يعني يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره وأصل التدبر التفكير في عاقبة الشيء وما يؤول اليه أمره وتدبر القرآن لا يكون الامع حضور القلب وجع الهم وقت تلاوته ويستمر في تقليل الغناء من الحلال الصرف وخلوص النية (أم على قلوب أفعالها) يعني بل على قلوب أفعالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطي فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه فان قلت اذا كان الله تعالى قد أصمهم وأعمى أبصارهم وأقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف ما لا يطاق جائز عندنا لان الله أمر بالايمان لمن سبق في علمه انه لا يؤمن فكذلك هنا والله يفعل ما يريد لا اعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله أفلا يتدبرون القرآن المراد به التأسي وقيل ان هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم فكان قوله أفلا يتدبرون القرآن كالتوبيخ لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة وكالتبكييت لهم على اصرارهم على الكفر والله أعلم بمراده وروى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن الزبير قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أفعالها فتقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب أفعالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به هذا حديث مرسل وعروة بن الزبير تابعي من كبار التابعين وأجلهم لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنتين وعشرين وقيل غير ذلك قوله عز وجل (ان الذين ارتدوا على أديبارهم) يعني رجعوا القهقري كفارا (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعني من بعد ما وضع لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه ووجدوا نعتهم في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون آمنوا أو لانم كفروا نانيا (الشیطان سول لهم) يعني زين لهم القبيح حتى رأوه حسنا (وأملی لهم) قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله يعني أمهلوا ومد لهم في العمر وقرئ وأملی لهم بفتح الالف واللام بمعنى وأملی لهم الشيطان بان مد لهم في الامل فان قلت الاملاء والامهال لا يكونان الا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب أهل السنة فإمعنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملی هو الله تعالى في الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما أسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا بدينكم ورياستكم الى آخر العمر (ذلك) إشارة الى التسويل والاملاء (بأهم) يعني بان أهل الكتاب والمنافقين (قالوا الذين كرهوا ما نزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم في بعض الامر) يعني من التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك

(والله يعلم أسرارهم) على المصدر من أسرحزة وعلى وحفص أسرارهم غيرهم جمع سر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) أي فكيف يعملون وما حيايتهم حينئذ (يضربون وجوههم وأدبارهم) عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (بانهم) بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) من معاونة الكافر بن (وكرهوا رضوانه) من نصره المؤمنين (فاحبط أعمالهم أم حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله

(١٥١)

المنافقون ان الله تعالى لا يبرز بعضهم وعداوتهم للمؤمنين (ولو نشاء لارينا لكم) لعرفتهم ودللتناك عليهم (فلعرفتهم بسماهم) بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن أنس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية أحد من المنافقين كان يعرفهم بسماهم (ولتعرفتم في لحن القول) في نحوه وأسأله الحسن من خوى كلامهم لانهم كانوا لا يتقرون على كتمان ما في أنفسهم واللام في فلعرفتهم داخله في جواب لو كالتي في لارينا لكم كررت في المعطوف وأما اللام في ولتعرفتم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف (والله يعلم أعمالكم) فيميز خيرها من شرها (ولنبأونكم) بالقتال اعلاما لاستعلاما أو تعاملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ في اظهار العدل (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على

الجهاد معه والتعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فآخبر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم قال (والله يعلم أسرارهم) يعني انه تعالى لا تخفى عليه خافية من أمرهم (فكيف اذا توفتهم الملائكة) يعني فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة (يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك) يعني ذلك الضرب (بانهم) يعني بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) يعني ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتبو من التوراة وكفروا بما محمد صلى الله عليه وسلم (وكرهوا رضوانه) يعني كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاحبط أعمالهم) التي عملوها من أعمال البر لانهم لم تكن لله ولا باره (أم حسب الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق وهم المنافقون (ان لن يخرج الله أضغانهم) يعني يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبيدها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدا ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لاريناكم فلعرفتهم بسماهم) لما قال تعالى أم حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله أضغانهم فكان قالوا قال لم يخرج أضغانهم ويظهرها فآخبر تعالى انه انما أخر ذلك للحض المبيته لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لاريناكم أي لا مانع لنا من ذلك والاراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزادة فائدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفناكم تعرفت عرفهم به فيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذي لا يقع معه اشتباه وقوله بسماهم يعني بعلامتهم أي نجعل لك علامة تعرفهم بها قال أنس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين وكان يعرفهم بسماهم (ولتعرفتم في لحن القول) يعني في معنى القول وخفاوه ومقصده وللحن معنيين صواب وخطأ صرف الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريف وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم ألحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفتم في لحن القول وأما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب الى الخطا بازالة الاعراب والتصحيف ومعنى الآية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين أمرك وأمر المسلمين وتقصيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ثم قال تعالى (والله يعلم أعمالكم) يعني أعمال جميع عباده فيجازي كلا على قدر عمله وقوله تعالى (ولنبأونكم) يعني ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها ووجودها (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) يعني انا انما أمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهدون يقين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم أي على الوجود والظهور (ولنبأونكم) يعني نظهرها ونكشفها ليقين من يأتي القتال ولا يصبر على الجهاد (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) يعني خالفوه فيما أمرهم به من الجهاد وغيره (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعني من بعد ما ظهر لهم أدلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم (ان يضروا الله شيئا) يعني انما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى منزعه عن ذلك (وسيحبط أعمالهم) يعني

الجهاد أي نعلم كأننا معلماناه أن سيكون (ولنبأونكم) أسراركم وليبأونكم حتى يعلم ونبأوا بوبكر وعن الفضيل أنه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبأنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبنا (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه يعني المعلمين يوم بدر وقد مر (من بعد ما تبين لهم الهدى) من بعد ما ظهر لهم أنه الحق وعرفوا الرسول (ان يضروا الله شيئا) وسيحبط أعمالهم التي عملوها في مشاققة الرسول أي سيبتلها فلا يصالون منها الى أغراضهم

وسبطل أعمالهم فلا يرون طنائوا باقى الآخرة لانها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر  
 قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) لما ذكر الله عز وجل الكفار بسبب  
 مشافتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى  
 (ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء بن رباح معنى داوموا على ما أتمم عليه من الإيمان والطاعة  
 ولا تشركوها فتبطل أعمالكم وقيل لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كما بطل أهل  
 الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبي لا تبطلوا أعمالكم بالرياء  
 والسمعة لان الله لا يقبل من الأعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي  
 والكبائر قال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضرهم مع الإيمان ذنب كما لا  
 ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية تخافون من الكبائر بعد أن تحبط أعمالهم واستدل بهذه الآية من  
 يرى احباط الطاعات بالمعاصي ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن  
 يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فالله تعالى أعدل  
 وأكرم من ان يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروى عن ابن عمر انه قال كنا نرى انه لا شيء من  
 حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش  
 حتى نزل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففتنا عن ذلك القول وكنا نحاف على  
 من أصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصيبها واستدل بهذه الآية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل في صلاة  
 تطوع أو صوم أو صوم يتلوه لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم في الآية ولا حجة لان السنة  
 مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم أصبح صائما فلما رجع الى البيت وجد  
 حيا فقال لعائشة قريه فلقد أصبحت صائما فكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفي الصحيحين أيضا  
 ان سلمان زار أبا الدرداء فصنع طعاما فلما قرب اليه قال كل فاني صائم قال لست بأكل حتى تأكل فأكل معه  
 وقال مقاتل في معنى الآية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل أعمالكم نزلت في بني أسد وسندكر  
 القصة في تفسير سورة الحجرات ان شاء الله تعالى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار  
 فلن يغفر الله لهم) قيل نزلت في أهل القلوب وهم أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا بيدروا لقوا في قلب بدر  
 وحكمها عام في كل كافر مات على كفره فالله لا يغفر له لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك  
 لمن يشاء (فلاتهنوا) الخطاب فيه لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعني فلاتضعفوا أيها  
 المؤمنون (وتدعوا الى السلم) يعني ولا تدعوا الكفار الى الصلح أبدا مع الله المسلمين ان بدعوا الكفار الى  
 الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا (وأتم الاعلون) يعني وأتم الغالبون لهم والعالون عليهم أخبر الله  
 تعالى ان الامر للمسلمين والنصر والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين في بعض الاوقات (والله معكم)  
 يعني ان النصر والمعونة ومن كان الله معه فهو العالى الغالب (وان يترككم أعمالكم) يعني ان ينقصكم  
 شيئا من ثواب أعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن ينقصكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها ثم حض على  
 الآخرة بذم الدنيا فقال تعالى (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) أي باطل وغرور يعني كيف تمنعكم الدنيا عن  
 طلب الآخرة وقد علمتم ان الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان منها في عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب  
 ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المال ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه  
 أشغاله المهمة فهو اللعب وان أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم)  
 يعني يؤتكم جزاء أعمالكم في الآخرة (ولا يسألكم أموالكم) يعني ان الله تعالى لا يسأل من العباد أموالهم  
 لا لئلا الاجر عليها بل يامرهم بالإيمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسألكم محمد

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا  
 الله وأطيعوا الرسول ولا  
 تبطلوا أعمالكم) بالنفاق  
 أو بالرياء (ان الذين كفروا  
 وصدوا عن سبيل الله ثم  
 ماتوا وهم كفار فلن يغفر  
 الله لهم) قيل هم أصحاب  
 القلب والظاهر العموم  
 (فلاتهنوا) فلاتضعفوا  
 ولا تذلو للعدو (وتدعوا  
 الى السلم) وبالكسر حزة  
 وأبو بكر وهما المسألة أى  
 ولا تدعوا الكفار الى الصلح  
 (وأتم الاعلون) أى  
 الاغلبون وتدعوا مجزوم  
 لدخوله في حكم النهي (والله  
 معكم) بالنصرة أى ناصركم  
 (وان يترككم أعمالكم) وان  
 ينقصكم أجر أعمالكم  
 (انما الحياة الدنيا لعب  
 ولهو) تنقطع في أسرع  
 مدة (وان تؤمنوا) بالله  
 ورسوله (وتتقوا) الشرك  
 (يؤتكم أجوركم) ثواب  
 إيمانكم وتقواكم (ولا  
 يسألكم أموالكم) أى  
 لا يسألكم جميعها بل ربع  
 العشر والفاعل الله أو  
 الرسول وقال سفيان بن  
 عيينة غيضا من فيض

(ان يسئلكموها في حنككم) أي يجهدكم ويطلبه كما ولا يحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال أحفاء في المسئلة اذ الم يترك شيئا من الاحط  
وأحفي شاربه اذا استأصله (تبخلوا و يخرج) أي الله أو البخل (أضغانكم) عند (١٥٣) الامتناع أو عند سؤال الجميع

لان عند مسئلة المال

نظهر العداوة والحنق

(ها أتم) هالتنبيه (هؤلاء)

موصول بمعنى الذين صلته

(تدعون) أي أتم الذين

تدعون (لتنفقوا في

سبيل الله) هي النفقة في

الغزوا والزكاة كانه قيل

الدليل على انه لو أحفكم

لبخلتم وكرهتم العطاء

انكم تدعون الى أداء ربع

العشر (فمنكم من يبخل)

بالرفع لان من هذه

ليست للشرط أي فمنكم

ناس يبخلون به ومن يبخل

بالصدقة وأداء الفريضة

(فانما يبخل عن نفسه)

أي يبخل عن داعي نفسه

لا عن داعي ربه وقيل

يبخل على نفسه يقال

بخلت عليه وعنه (والله

الغني وأتم الفقراء) أي

انه لا يأمر بذلك لحاجته

اليه لانه غني عن الحاجات

ولكن لحاجتكم وفقركم

الى الثواب (وان تتولوا)

وان تعرضوا أي العرب

عن طاعته وطاعة رسوله

والانفاق في سبيله وهو

معطوف على وان

تؤمنوا وتنفقوا (يستبدل

صلى الله عليه وسلم أموالكم وقيل معناه لا يسألكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أموالكم كما هي  
الصدقات انما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من أموالكم وهو زكاة أموالكم ثم ترد عليكم ليس  
لله ورسوله فيها حاجة انما فرضها الله تعالى في أموال الاغنياء وورد على الفقراء فطيبوا باخراج الزكاة انفسكم  
والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (ان يسئلكموها) الضمير  
عائد الى الاموال (في حنككم) يعني يجهدكم ويطلبها كلها والاحفاء المبالغة في المسئلة وبلوغ الغاية في كل  
شيء يقال أحفاء في المسئلة اذ الم يترك شيئا من الاحط (تبخلوا) يعني بالمال فلا تعطوه (ويخرج أضغانكم)  
يعني بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم لالاموال قال قتادة علم الله أن الاحفاء بمسئلة الاموال مخرج للاضغان  
(ها أتم هؤلاء) يعني أتم يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استأنف وصفهم فقال تعالى (تدعون لتنفقوا  
في سبيل الله) قيل أراد به النفقة في الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل في  
سبيل الله (فمنكم من يبخل) يعني بما فرض عليه اخرجه من الزكاة وتدب الى انفاقه في وجوه البر (ومن  
يبخل) يعني بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه بخله وهو قوله تعالى (فانما يبخل عن نفسه) أي على  
نفسه (والله الغني) يعني عن صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغني المطلق الذي له ملك السموات والارض (وأتم  
الفقراء) يعني اليه والى ما عنده من الخيرات والثواب في الدنيا والآخرة (وان تتولوا) يعني عن طاعة الله  
تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما أمركم به وألزمكم اياه (يستبدل قومًا غيركم) لا يكونوا  
أمثالكم) يعني يكونون أطوع لله ورسوله صلى الله عليه وسلم منكم قال السكبي هم كندة والنخع من عرب  
اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال تلا رسول  
الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قومًا غيركم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل  
بنا قال ف ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وأصحابه أخرجه الترمذي وقال  
حديث غريب وفي اسناده مقال وله في رواية أخرى عن أبي هريرة قال قال ناس من أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله عز وجل ان تولينا استبدلوا منا ثم لا يكونوا أمثالنا قال  
وكان سلمان يجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ف ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا  
وأصحابه والذي نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثر يا تناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق في  
الصحيح ترد في سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الفتح وهي مدنية ﴾

(خ) عن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه  
ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر تكلمت أمك يا عمر كرت على رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فخرت بعيرى حتى تقدمت أمام الناس  
وخشيت أن ينزل في قرآن فالبنت أن سمعت صار خا يصرخ بي فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن  
فخشت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت عليه فقال لقد أنزل على الليلة سورة طهى أحب الى مما طلعت  
عليه الشمس ثم قرأنا فتحنالك فتحناميينا وأخرجه الترمذي وزاد فيه وكان في بعض أسفاره بالحد يديه  
(ق) عن أنس قال لما نزلت انافتحنالك فتحناميينا يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله فوزا  
عظيما رجمه من الحد يديه وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدى بالحد يديه قال رسول الله صلى الله

(٢٠ - (خازن) - رابع)

منكم وأطوع وهم فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التوم وكان سلمان

الى جنبه ف ضرب على نغده وقال هذا وقومه والذي نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثر يا تناوله رجال من فارس (ثم لا يكونوا أمثالكم) أي

ثم لا يكونوا في الطاعة أمثالكم بل أطوع منكم

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿أَنَا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مَبِينًا﴾ الفتح الظفر بالبلدة  
عنوة أو صلحاً بحرب أو بغير حرب لأنه مغلق بالم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه  
وسلم من مكة عام الحديبية عدة (١٥٤) بالفتح وحيء به على لفظ الماضي لأنها في تحقها بمنزلة الكائنة وفي ذلك من الفحامة

والدلالة على علو شأن المنجز  
عليه وسلم لقد أنزلت على آية هي أحب إلى من الدنيا جميعاً لفظ مسلم ولفظ البخاري أنا فتحنالك فتحنا ميئنا  
قال الحديبية فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئاً من يشا فأنزلنا نزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين  
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار قال شعبة فقد تمت الكوفة فحدث هذا كله عن قتادة ثم رجعت  
فذكرت له فقال أما أنا فتحنالك فتحنا ميئنا فمن أنس وأما هنيئاً من يشا فمن عكرمة وأخرجه الترمذي عن  
قتادة عن أنس قال أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر من جمعه من  
الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على الليلة آية أحب إلى مما على الأرض ثم قرأ النبي صلى الله  
عليه وسلم فصاوا هنيئاً من يشا يا رسول الله لقد بين لك ما يفعل بك فإذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل  
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار حتى بلغ فوزاً عظيماً

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قوله عز وجل (أنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى أنا قضينا وحكمنا  
لك فتحاً مبيناً ظاهر بغير قتال ولا تعب واختلاف في هذا الفتح فروى قتادة عن أنس أنه فتح مكة وقال مجاهد  
أنه فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الإسلام التي يفتحها الله عز وجل له فان قلت على هذه  
الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت فكيف قال تعالى أنا فتحنا لك فتحاً مبيناً بلفظ الماضي قلت  
وعد الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وحيء به بلفظ الماضي جرياً على عادة الله تعالى في أخباره لأنها في  
تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كأنه تعالى قال أنا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو  
كأن لا محالة وقال أكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن أنس  
ومعنى الفتح فتح الملقى المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعباً متعذراً حتى فتحه الله عز  
وجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه عن البراء قال تعدون أتم الفتح فتح مكة واقد كان فتح مكة فتحاً ونحن  
نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحادوية بشر  
فترحنها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاناها جلس على شفيرها ثم دعا بآباء من ماء  
فوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صب فيها فتركنها غير بعيد ثم أنها أصدرت ما مشيتنا وركبنا وقال الشعبي في قوله أنا  
فتحنا لك فتحاً مبيناً قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله  
وظهرت الروم على فارس وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على الجوس وقال الزهري لم يكن فتح أعظم  
من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم فأسلم  
في ثلاث سنين خلق كثير فجز الإسلام بذلك وأكرم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل  
(ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحاً مبيناً  
أسكى يجتمع لك من المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسن بن الفضل هو مردود إلى قوله تعالى واستغفر  
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ولیدخل المؤمنین والمؤمنات جنات  
وقال ابن جرير وهو راجع إلى قوله في سورة النصر واستغفره أنه كان توابعاً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك  
وقيل ان الفتح لم يجعل سبباً للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة  
واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك

عنه وهو الفتح ما لا يخفى  
وقيل هو فتح الحديبية ولم  
يكن فيه قتال شديد ولكن  
ترام بين القوم بسهام  
وحجارة فرمى المسلمون  
المشركين حتى أدخلوهم  
ديارهم وسألوا الصلح فكان  
فتحاً مبيناً وقال الزجاج  
كان في فتح الحديبية آية  
عظيمة وذلك انه نزع  
ماؤها ولم يبق فيها قطرة  
فتمضمض رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ثم جبه في البئر  
فدرت بالماء حتى شرب  
جميع الناس وقيل هو فتح  
خيبر وقيل معناه قضينا لك  
قضاء يسأ على أهل مكة ان  
تدخلها أنت واصحابك من  
قابل لتطوفوا بالبيت من  
الفتاحة وهي الحكومة  
(ليغفر لك الله) قيل الفتح  
ليس بسبب للمغفرة والتقدير  
أنا فتحنا لك فتحاً مبيناً  
فاستغفر ليغفر لك الله ومثله  
اذا جاء نصر الله والفتح إلى  
قوله فسيح بحمد ربك  
واستغفره ويجوز أن يكون  
فتح مكة من حيث انه جهاد  
للعُدو وسبباً للغفران وقيل  
الفتح لم يكن ليغفر له بل  
التمام النعمة وهداية

الصراط المستقيم والنصر العزيز ولو لكانت له ما عد عليه هذه النعم وصلها بما هو اعظم النعم كأنه قيل يسرنا لك

وغيرنا فتح مكة أو كذا النجم لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك او ما تقدم من  
حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد

وغفر نالك ذنبك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين وأغراض العاجل والآجل وقيل يجوز أن يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد للعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية ليغفر لك الله جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة وما تأخر يعني بعدها وهذا على قول من يجوز الصغائر على الانبياء وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب أبويك آدم وحواء يركتك وما تأخر من ذنوب أمك بدعائك لهم وقال سفيان الثوري ما تقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وما تأخر يعني كل شيء لم تعمله وندكر مثل هذا على طريق التأكيد كما نقول أعظم من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتأول لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ما عسى أن يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيئات المقر بين فساه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفوره فاعلمه الله عز وجل بذلك وأنه مغفور له ليم نعمته عليه وهو قوله تعالى (و يتم نعمته عليك) يعني بالنبوة وما أعطاك من الفتح والنصر والتمكين (ويهديك صراطا مستقيما) يعني ويهديك الى صراط مستقيم وهو الاسلام ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمعفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدى بك الى صراط مستقيم (وينصرك الله نصر اعز يز) يعني غالب اذا عز ومنعة وظهور على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى فان قلت وصف الله تعالى النصر بكونه عز يز او العزيز هو المنصور صاحب النصر فمعناه قلت معناه ذاعزة كقوله عبثة راضية أي ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازا يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصر اعز يز صاحبه خذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذه التقديرات اذا كانت العزة من الغلبة والعز يز الغالب ما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل أو العديم النظر فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذي هو من الله تعالى عز يز في نفسه لكونه من الله تعالى فصح وصف كونه نصر اعز يز قوله تعالى (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) يعني الطمأنينة والوقار في قلوبهم لثلاث نزع نفوسهم قال ابن عباس اكل سكينة في القرآن طمأنينة الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها ولما قال الله تعالى وينصرك الله نصر اعز يز اي بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التي هي الطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء في الحروب وغيرها فكان ذلك من أسباب النصر الذي وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ليردادوا ايمانهم) وذلك انه تعالى جعل السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين سببا لزيادة الايمان في قلوبهم وذلك انه كما ورد عليهم أمر أو نهى آمنوا به وعملوا بعمته فمضاه فكان ذلك زيادة في ايمانهم وقال ابن عباس بعث الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا اله الا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل دينهم فكلموا أمر وادبى وصدقوه از دادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الصحاك يقيمهم يقيمهم وقال السكبي هذا في أمر الحديدية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل لما آمنوا بالاصول وهو التوحيد وتصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله عز وجل وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهو جميع التكليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة في ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصر اعز يز او كان المؤمنون في قلبه من العدد والعدد فكان قال كيف ينصره فآخبره الله عز وجل أن له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على أن يهلك عدوه بصيحة

(و يتم نعمته عليك)  
 باعلاء ديك وفتح البلاد  
 على يدك (ويهديك  
 صراطا مستقيما) ويثبتك  
 على الدين المرضي  
 (وينصرك الله نصر اعز يز)  
 قويا منيعا لاذل بعده أبدا  
 (هو الذي أنزل السكينة في  
 قلوب المؤمنين ليردادوا  
 ايمانهم) السكينة  
 للسكون كالبهيمة للبهتان  
 أي أنزل الله في قلوبهم  
 السكون والطمأنينة بسبب  
 الصلح ليردادوا يقيمنا على  
 يقيمهم وقيل السكينة الصبر  
 على أمر الله والثقة بوعد  
 الله والتعظيم لأمر الله  
 (ولله جنود السموات  
 والارض)

وكان الله عليا حكيمًا يدخل  
وكان ذلك عند الله فوزًا  
عظيمًا ويعذب المنافقين  
والمناققات والمشركين  
والمشركات) أي والله جنود  
السموات والأرض يسלט  
بعضها على بعض كما يقتضيه  
علمه وحكمته ومن قضيته  
أن سكن قلوب المؤمنين  
بصلح الحديدية ووعدهم  
أن يفتح لهم وانما قضى  
ذلك ليعرف المؤمنون  
نعمة الله وشكرها فيثيهم  
ويعذب الكافرين  
والمناققين لما غاظهم من  
ذلك وكرهه (الظانين بالله  
ظن السوء) وقع السوء  
عبارة عن رداءة وفساد  
يقال فعل سوء أي مسخوط  
فاسد والمراد ظنهم أن الله  
تعالى لا ينصر الرسول  
والمؤمنين ولا يرجعهم إلى  
مكة ظاهرين فاتحها عنوة  
وقهرا (عليهم دائرة  
السوء) مكى وأبو عمرو  
أي ما يظنونه ويتر بصونه  
بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر  
عليهم والسوء اهلاك والدمار  
وغيرها ما دائرة السوء بالفتح  
أي الدائرة التي يذمونها  
ويستخطونها والسوء  
والسوء كالكرم والكرم  
والضعف والضعف الآن  
المفتوح غلب في أن يضاف  
إليه ما يراد منه من كل  
شيء وأما السوء فخارج مجرى

ورحمة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل أنزل سكينته في قلوبكم أيها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك أعدائه على أيديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفي جنود السموات والأرض وجوه الأول أنهم ملائكة السموات والأرض الثاني أن جنود السموات الملائكة وجنود الأرض جميع الحيوانات الثالث أن جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الأرض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك (وكان الله عليا) يعني بجميع جنوده الذين في السموات والأرض (حكيمًا) يعني في تدبيرهم وقيل عليا بما في قلوبكم أيها المؤمنون حكيمًا حيث جعل النصر لكم على أعدائكم قوله عز وجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) يستدعي سابقا تقديره هو الذي أنزل السكينته في قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره أن من علمه وحكمته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديدية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار وقد تقدم ما روي عن أنس أنه لما نزل قوله تعالى انافتحنا لك فتحا مينا يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال الصحابة هديا مريئا قديين الله تعالى ما يفعل بك فإذا يفعل بنا فأنزل الله عز وجل الآية التي بعد هاليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ولا يكفر عنهم سيئاتهم) فإن قلت تكفير السيئات إنما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الوار لا يقتضي الترتيب وقيل إن تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الإدخال بالذكرة بمعنى أنه من أهل الجنة (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) يعني أن ذلك الإدخال والتكفير كان في علم الله تعالى فوزا عظيما (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يعني المنافقين والمنافقات من أهل المدينة المشركين والمشركات من أهل مكة وانما قدم المنافقين على الشركين هنا وفي غيره من المواضع لأن المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من الكافرين لأن الكافر يمكن أن يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن أن يحترز منه ولا يجاهد فلماذا كان شره أكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكرة أولى (الظانين بالله ظن السوء) يعني أنهم ظنوا أن الله تعالى لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) يعني عليهم دائرة العذاب والهلاك (وغضب الله عليهم) زيادة في تعذيبهم وهلاكهم (ولعنهم) يعني وأبعدهم وطردهم عن رحمة (وأعد لهم جهنم) يعني في الآخرة (وساءت مصيرا) يعني ساءت جهنم منقلبا (ولله جنود السموات والأرض) تقدم تفسيره بقى ما فائدة التكرير ولم تقدم ذكر جنود السموات والأرض على ادخال المؤمنين الجنة ولم أخرج ذكر جنود السموات والأرض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار لتأكيد جنود السموات والأرض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والأرض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فإذا دخلوا الجنة أفضوا إلى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك إلى شيء وأخرج ذكر جنود السموات والأرض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم أبداً فإن قلت قال في الآية الأولى وكان الله عليا حكيمًا وقال في هذه الآية (وكان الله عزير حكيمًا) فامعناه قلت لما كان في جنود السموات والأرض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب أن تكون خاتمة الآية الأولى وكان الله عليا حكيمًا ولما بالغ في وصف تعذيب الكافرين والمنافقين وشدة ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزير حكيمًا فهو كقولهم أليس الله بعزير ذي انتقام وقوله أخذناهم أخذ عزير مقتدر ﴿ قوله تعالى

الشر الذي هو تقيض الخير) وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والأرض) في دفع كيد من عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها (وكان الله عزير) غالبًا فلا يرد بأسه (حكيمًا) فيما دبر

(انا أرسلناك شاهدا)

تشهد على أمتك يوم القيامة  
وهذه حال مقدرة (ومبشرا)  
للمؤمنين بالجنة (ونذيرا)  
للكافرين من النار  
(لتؤمنوا بالله ورسوله)  
واخطاب لرسول الله صلى  
الله عليه وسلم ولأمته  
(وتعززوه) وتقووه  
بالنصر (وتوقرووه)  
وتعظموه (وتسبحوه)  
من التسبيح أو من السبحة  
والضماير لله عز وجل  
والمراد بتعزز الله تعزز بر  
دينه ورسوله ومن فرق  
الضماير جعل الأولين للنبي  
صلى الله عليه وسلم فقد  
أبعد ليؤمنوا مكي وأبو  
عمر والضمير للناس وكذا  
الثلاثة الأخيرة بالياء عندهما  
(بكرة) صلاة الفجر  
(وأصيلا) الصلوات الأربع  
(ان الذين يبايعونك)  
أي بيعة الرضوان ولما قال  
(انما يبايعون الله) أكد  
تأكيدا على طريقة  
التخييل فقال (بدا لله  
فوق أيديهم) يريدان يد  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم التي تعلا أيدي المبايعين  
هي يد الله والله منزّه عن  
الجوارح وعن صفات  
الاجسام وانما المعنى تقرير  
ان عقد الميثاق مع  
الرسول كعقد مع الله من  
غير تفاوت بينهما كقوله  
من بطع الرسول فقد اطاع  
الله وانما يبايعون الله خير

(انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث  
شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على أعمال أمته ومبشرا يعني لمن آمن به وأطاعه بالثواب ونذيرا يعني  
لمن خالفه وعصى أمره بالعقاب ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى (ليؤمنوا بالله ورسوله) فالضمير فيه للناس  
المرسل اليهم (ويعززوه) يعني ويقووه وينصروه والتعزز بر نصير مع تعظيم (وتوقرووه) يعني ويعظموه  
والتوقير التعظيم والتبجيل (ويسبحوه) من التسبيح الذي هو التزويه من جميع النقائص أو من السبحة  
وهي الصلاة قال الزمخشري والضماير لله تعالى والمراد بتعزز بر الله تعالى تعزز بر دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم  
ومن فرق الضماير فقد أبعده وقال غيره الكفايات في قوله ويعززوه ويقووه وراجعنا الى الرسول صلى الله عليه  
وسلم وعند هاتم الكلام فالوقف على ويقووه وقف تام ثم يتبدى بقوله ويسبحوه (بكرة وأصيلا) على ان  
الكفاية في ويسبحوه راجعة الى الله تعالى يعني ويصلوا لله أو يسبحوا الله بالعادة والعشى وقوله عز وجل  
(ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) يعني ان الذين يبايعونك يا محمد بالحدبية على أن لا يفر وا انما  
يبايعون الله لانهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل بالجنحة وأصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان على  
نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهود الذي التزمه له والمراد بهذه البيعة البيعة الرضوان بالحدبية  
وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببيرها هناك وقد جاء في الحديث ان  
الحدبية بئر قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحدبية التخفيف والتشديد  
والتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيد قال قلت لسامة بن الاكوع على أي شيء  
بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت (م) عن معقل بن يسار قال لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي  
صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأثار فرفع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال لم يبايعه  
على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناها صحيح بايعه جماعة منهم  
سامة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقتلون بين يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن  
يسار على ان لا يفر وا (خ) عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحدبية تفرقوا  
في ظلال الشجر فاذا الناس محذقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر يا عبد الله انظر ماشأنا الناس  
أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله  
تعالى (بدا لله فوق أيديهم) قال ابن عباس بدأ الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدي كانوا  
ياخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه وبدأ الله فوق أيديهم كذا نقله البغوي عنه وقال السكبي  
نعمة الله عليهم في الهداية فوق بايعوا من البيعة وقال الامام خنفر الدين الرازي بدأ الله فوق أيديهم بمحتمل  
وجوها وذلك لان اليد في الموضعين اما أن تكون بمعنى واحد واما أن تكون بمعنىين فان قلنا انها بمعنى  
واحد ففيه وجهان أحدهما بدأ الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم كما قال بل الله بمن عليكم ان هذا كم  
للإيمان وثانيهما بدأ الله فوق أيديهم أي نصرته اياهم أقوى وأعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لثقلان أي  
الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنىين فنقول اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى  
الجارحة فيكون المعنى بدأ الله فوق أيديهم بالحفظ وقال الزمخشري لما قال انما يبايعون الله أكد تأكيدا  
على طريقة التخييل فقال بدأ الله فوق أيديهم يريدان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلا أيدي المبايعين  
هي يد الله والله منزّه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى  
الله عليه وسلم كعقد مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من بطع الرسول فقد اطاع الله  
هذا مذهب أهل التأويل وكلامهم في هذه الآية ومذهب السلف السكوت عن التأويل وامر آيات  
الصفات كما جاءت وتفسيرها فاعرها والإيمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ﴿ قوله تعالى ﴾ (فن



ان (فن نكت) نقض العهد ولم يف بالبيعة (فانما ينكت على نفسه) فلا يعود ضرر نكته به الا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فنانكت احد منا البيعة الا جدين قيس وكان منافقا اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر مع القوم (ومن أوفى بما عاهد) يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله وأفوا بعهد الله والموفون بعهدهم (عليه الله) حفص (فسيوته) وبالتون سجزي وشامي (أجر عظيم) الجنة (سيقول لك) اذ رجعت من الحديبية (المخلفون من الاعراب) هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومنزينة وجهينة وأسلم وأشجع والدليل وذلك انه عليه السلام حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل (١٥٨) البوادي يخرج جوامع حذر من قر يش ان يعرضوا له محرب أو يصدوه عن

البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا فتناقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم غزوه في عقرداره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب الى المدينة (شغلنا أموالنا وأهلونا) عى جمع أهل اعتلوا بالشغل باهاليهم وأموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم (فاستغفر لنا) ليغفر لنا الله تخلفنا عنك (يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم) تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس ما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق فطلبهم الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (قل فن يملك لكم من الله شيا) فن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (ان أرادكم ضرا) ما يضركم من قتل أو هزيمة ضرا حزة وعلى (أو

نكت فانما ينكت على نفسه) يعني فن نقض العهد الذي عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكت البيعة فان وبال ذلك وضره يرجع اليه ولا يضر الانفسه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) يعني من البيعة (فسيوته) أجر عظيم) يعني في الآخرة وهو الجنة قوله تعالى (سيقول لك المخلفون من الاعراب) قال ابن عباس وبجاهد يعني اعراب غفار ومنزينة وجهينة وأشجع والنخع وأسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذر من قر يش ان يعرضوا له محرب أو يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتناقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله تعالى فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك اذ رجعت اليهم من عمرتك هذه وعانتهم على التخلف عنك (شغلنا أموالنا وأهلونا) يعني النساء والذراري يعني لم يكن لنا من يتخلفنا فيهم فلذا تخلفنا عنك (فاستغفر لنا) أي انامع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال (يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم) يعني انهم في طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يباليون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم أم لا (قل فن يملك لكم من الله شيا) يعني سوا (أو أرادكم نفعاً) وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضرا ويجعل لهم النفع بالسلامة لهم في أنفسهم وأموالهم فآخبرهم الله عز وجل انه ان أراد شيا من ذلك لم يقدر احد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيراً) يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفاكم النفاق (بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) يعني ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون الى أهليهم (وزين ذلك في قلوبكم) يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس في قلب الانسان بالشيء ويزينه له حتى يقطع به (وظننتم ظن السوء) يعني وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمد أو أصحابه أمكة رأس بريدون بذلك فلتهم فلا يرجعون فابن تذهبون معهم انظر واما يتكون من أمرهم (وكنتم قوما بورا) يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيراً) لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يقضى بصاحبه الى الكفر حرصهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر واما أعتدنا للكافرين سعيراً (ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء أخبر ان له ملك السموات

أرادكم نفعاً) من غنيمة وظفر (بل كان الله بما تعملون خبيراً بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) زين ذلك في قلوبكم) زين الشيطان (وظننتم ظن السوء) من علو الكفر وظهور الفساد (وكنتم قوما بورا) جمع باء ركعاً تدعوذ من بار الشئ هلك وفسد أي وكنتم قوما فاسدين في أنفسكم وقالوا بكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين) أي لهم فاقم الظاهر مقام الضمير للايدان بان من لم يجمع بين الايمان بالله والايمان برسوله فهو كافر ونكر (سعيراً) لانها نار مخصوصة كما نكر وانارنا لظني (ولله ملك السموات والارض) يدبره تدبير قادر حكيم (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته والمغفرة لاؤمنين والتعذيب للكافرين

إلى معانم خيبر (لتأخذوها  
ذرونا تتبعكم يريدون  
أن يبدلوا كلام الله) كالم  
الله حجة وعلى أي يريدون  
أن يغيروا موعد الله  
لاهل الحديدية وذلك أنه  
وعدهم أن يعرضهم من  
معانم مكة معانم خيبر إذا  
قفلوا مواعيد عين لا يصيبون  
منهم شيئاً (قل لن تتبعونا)  
إلى خيبر وهو اخبار من  
الله بعدم اتباعهم ولا يبدل  
القول لديه (كذلكم  
قال الله من قبل) من  
قبل انصرفهم إلى المدينة  
ان غنيمه خيبر لمن شهد  
الحديبية دون غيرهم  
(فسيقولون بل تحسدوننا)  
أي لم يأمركم الله به بل  
تحسدوننا ان نشارككم  
في الغنيمه (بل كانوا  
لا يفقهون) من كلام الله  
(الاقليلا) الاشيا قليلا  
يعنى مجرد القول والفرق  
بين الاضرايين ان الاول  
رد ان يكون حكم الله ان  
لا يتبعوهم واثبات الحسد  
والثاني اضراب عن وصفهم  
باضافة الحسد الى المؤمنين  
الى وصفهم بما هو اعظم منه  
وهو الجهل وقلة الفقه  
(قل للمخلفين من  
الاعراب) هم الذين تخلفوا  
عن الحديبية (ستدعون  
الى قوم اولى باس شديد)  
يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة

والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته اعم واشمل  
وامموا بكل واليه الاشارة بقوله تعالى (وكان الله غفوراً رحيمًا) قوله عز وجل (سيقول المخلفون) يعنى  
الذين تخلفوا عن الحديبية (إذا انطلقتم) يعنى اذا سرتهم وذهبت ايمانهم المؤمنين (الى معانم لتأخذوها) يعنى  
غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئاً  
وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً عن غنائم أهل مكة حيث  
انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئاً (ذرونا تتبعكم) يعنى الى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها وفي هذا بيان كذب  
المخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلنا أموالنا وأهلنا اذ لم يكن لهم هناك طمع في غنيمته وهنا قالوا ذرونا  
تتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمه (يريدون أن يبدلوا كلام الله) يعنى يريدون أن يغيروا ويبدلوا  
مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمه خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل  
يعنى أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث أمره أن لا يسير منهم أحد الى خيبر وقال ابن زبده هو قول  
الله تعالى فاستأذنوك للخروج فقل لن نخرجوا معي أبداً والقول الاول أصوب (قل) أى قل لهم يا محمد (لن  
تتبعونا) يعنى الى خيبر (كذلكم قال الله من قبل) يعنى من قبل مر جعنا اليكم ان غنيمه خيبر لمن شهد  
الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (فسيقولون بل تحسدوننا) يعنى يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم  
شيئاً (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) يعنى لا يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا  
منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله قوله عز وجل (قل للمخلفين من الاعراب) لما قال الله للنبي  
صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعاً كثيراً من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى نوبته  
وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله عز وجل لقبول نوبتهم علامة وهي انهم  
يدعون الى قوم اولى باس شديد فان أطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله أجراً حسناً وهو الجنة وان  
تولوا وأعرضوا عمداً عوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذاباً أليماً واختلفوا في المشار اليهم بقوله  
(ستدعون الى قوم اولى باس شديد) من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب هم الروم  
وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هو ازن وثقيف وقال قتادة هو ازن وغطفان يوم حنين  
وقال الزهري وجاعة هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ  
هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى قتال بنى حنيفة فعايننا منهم وهم  
جرح دعاهم عمر رضى الله عنه الى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد وأقوى هذه  
الاقوال قول من قال انهم هو ازن وثقيف لان الداعى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعد ما قول من قال  
انهم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب أما الدليل على صحة القول الاول فهو ان العرب كان قد ظهر أمرهم  
في آخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا من نقي طاهر أو كافر مجاهر وأما المنافقون  
فكان قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعى هو رسول الله صلى الله  
عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هو ازن وثقيف من أشد العرب باسا وكذلك غطفان  
فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبنى المصطلق فصحب هذا البيان ان الداعى هو النبي  
صلى الله عليه وسلم فان قيل هذا امتنع لوجهين أحدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن  
نخرجوا معي أبداً فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهى الوجه الثانى قوله اولى باس شديد ولم يبق للنبي صلى  
الله عليه وسلم مع قوم اولى باس شديد لان الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن  
الوجه الاول من وجهين أحدهما أن يكون قوله قل لن تتبعونا ولن نخرجوا معي أبداً مقيد بقيد هو ان يكون  
تقديره قل لن تتبعونا ولن نخرجوا معي أبداً مادمت على ما أتم عليه من النفاق والخالفة وهذا القيد لا بد

وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضى الله عنه لان مشركى العرب والمرتين الذين لا يقبل منهم الا الاسلام والسيف وقيل

هم فارس وقد دعاهم عمر  
رضي الله عنه (تقاتلونهم  
أو يسلمون) أي يكون  
أحد الأمرين إما المقاتلة  
أو الإسلام ومعنى يسلمون  
على هذا التأويل  
ينقادون لأن فارس مجوس  
تقبل منهم الجزية وفي  
الآية دلالة صريحة خلافة  
الشيخين حيث وعدهم  
الثواب على طاعة الداهي  
عند دعوته بقوله (فان  
تطيعوا) من دعاكم إلى  
قتاله (يؤتكم الله أجرا  
حسنا) فوجب أن يكون  
الداهي مفترض الطاعة  
(وان تتولوا كما توليتم من  
قبل) أي عن الحديبية  
(يعذبكم عذابا أليما) في  
الآخرة (ليس على الأعمى  
حرج ولا على الأعرج  
حرج ولا على المريض  
حرج) ففي الحرج عن  
ذوي العاهات في التخلف  
عن الغزو (ومن يطع الله  
ورسوله) في الجهاد وغير  
ذلك (يدخله جنات تجري  
من تحتها الأنهار ومن  
يتول) يعرض عن الطاعة  
(يعذبه عذابا أليما) ندخله  
ونعذبه مدني وشامي (لقد  
رضي الله عن المؤمنين إذ  
يباعونك تحت الشجرة)  
هي بيعة الرضوان سميت  
بهذه الآية وقصتها ان  
النبى صلى الله عليه وسلم  
حين نزل بالحديبية بعث

منه لان من أسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي صلى الله  
عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب عن الوجه الاول أن المراد من قوله لن تبعونا ولن نخرجوا معي أبايعني  
في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بن شديدة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم تقول ان النبي صلى الله  
عليه وسلم لو لم يدعهم الى الجهاد معهم أو منعهم من الخروج الى الجهاد معه لامتنع أبو بكر وعمر من الأذن  
لهم في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنع من أخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من أخذها  
وأما الجواب عن الوجه الثاني وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرج مع قوم أولى بأب شديد فغير  
مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم أولو بأس شديد فثبت بهذا البيان أن  
الداهي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم وأما قول من قال ان أبا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة أصحاب  
مسيئة الكذاب وأن عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهم لان  
الله تعالى وعد على طاعتها الجنة وعلى مخالفتها النار <sup>و</sup> وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) فيه اشارة الى  
وقوع أحد الأمرين إما الاسلام أو القتل (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) يعني الجنة (وان تتولوا) يعني  
تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) يعني عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) يعني النار ولما نزلت هذه الآية  
قال أهل الزمان والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فانزل الله عز وجل (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج  
حرج ولا على المريض حرج) يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في جواز ترك الجهاد لان  
أصحابها لا يقدر على الكر والفر لان الأعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه  
والهرب وكذلك الأعرج والمريض وفي معنى الأعرج الزمن المقسود والقاطع وفي معنى المريض صاحب  
السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدر على الكر والفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة  
ومن وراء ذلك اعذار أخرى دون ما ذكره وهي الفقر الذي لا يمكن صاحبه أن يستصحب معه ما يحتاج اليه  
من مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق عن الجهاد كتمر يض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه  
ونحو ذلك وانما قدم الأعمى على الأعرج لان عذر الأعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا غيره  
بخلاف الأعرج لانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الأعرج على المريض لان عذره أشد من  
عذر المريض لانه لا يمكن زوال المرض عن قريش (ومن يطع الله ورسوله) يعني في أمر الجهاد وغيره (يدخله  
جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول) يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه  
عذابا أليما) يعني في الآخرة <sup>و</sup> وقوله عز وجل (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك) يعني بالحديبية على  
أن يبايعوا قريشا ولا يفرروا (تحت الشجرة) وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن  
قال انطلقت حاجا فررت بقوم يبايعون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث يبايع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان أبي ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا  
من العام المقبل نسبناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلموها  
وعامتوها فأتتم أعلم فضحك وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام  
فلم أعرفها وروى أن عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا  
وبعضهم يقول ههنا فلما كثرا اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة (خ) عن ابن عمر قال رجعا من العام المقبل  
فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي يبايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن أبي الزبير أنه سمع جابرا  
يسئلكم كانوا يوم الحديبية قال كما أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر أخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه  
جميعا غير جند بن قيس الأنصاري اختفى تحت بطن بعيره زاد في رواية قال يبايعناه على أن لا نفر ولم يبايعه على  
الموت واخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة قال يبايعنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يفروا لبيعة على الموت (ق) عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال انار رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أتم اليوم خير أهل الأرض وكنا ألقا وأر بعمانه قال ولو كنت أبصر اليوم لارتبتم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان أصحاب الشجرة ألقا وثلاثمائة وكانت أسلم ممن المهاجر بن وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكر محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جل يقال له الثعلب ليبلغ أشرفهم عنه ما جاءه فمقر واجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فذبحهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله فآخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة فقال يا رسول الله أتى أخاف على نفسي قريشا وليس بمكة من بني عدى بن كعب أحد وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغاظتني عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بهامنى عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشرف قريش يخبرهم أنهم لم يأتوا حرب وإنما جاءوا زائر لهذا البيت معظما لحرمة نجرح عثمان إلى مكة فلقبه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة وأقبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أن نطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبرح حتى تناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون يايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكبير بن الأشج يايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعاقل بن يسار انهما قالوا لم يبايعه على الموت ولكن يبايعناه على أن لا نفر وقد تقدم أيضا الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع يبايعناه على الموت وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان أحد من المسلمين حضرها الا جابر بن قيس أخو بني سلمة قال جابر فكانى أنظر اليه لاصقا بابنا فته يستتر بهما من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى ذكر من أمر عثمان باطل (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجبل الاحمر أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقوله تعالى (فعلم ما فى قلوبهم) يعنى من الصدق والاخلاص والوفاء كما علم ما فى قلوب المنافقين من المرض والنفاق (فانزل السكينة) يعنى الطمأنينة (عليهم) يعنى على المؤمنين المخلصين حتى يثبوا ويايعوك على الموت وعلى ان لا يفروا فى هذه الآية لطيفة وهى ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى فى الآية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار فثبت بهذا البيان أن أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم فان قات الفاء فى فعل التعقيب وعلم الله قبل الرضا لانه تعالى علم ما فى قلوبهم من الصدق والايمان فرضى عنهم فكيف يفهم التعقيب فى قوله فعل ما فى قلوبهم قلت قوله فعل ما فى قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما فى قلوبهم من الصدق اشارة الى أن الرضالم يكن عند المبايعه حسب بل عند المبايعه التى عندها علم الله بصدقهم والقضاء فى قوله فانزل السكينة للتعقيب لانه تعالى لما علم ما فى قلوبهم رضى عنهم فانزل السكينة عليهم ﴿ وقوله تعالى

خراش بن أمية الخزاعي  
رسولا إلى مكة فهموا به  
فبغى الاحابيش فلما رجع  
دعا عمر لبيعته فقال اتى  
أخافهم على نفسى لما عرف  
من عداوتى اياهم فبعث  
عثمان بن عفان يخبرهم  
أنهم لم يأتوا الحرب وإنما جاءوا  
زائرا للبيت فوقسروه  
واحتبس عندهم فأرجف  
بانهم قتلوه فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لا تبرح  
حتى تناجز القوم ودعا الناس  
إلى البيعة فبايعوه على أن  
يनाجزوا قريشا ولا يفروا  
تحت الشجرة وكانت  
سكرة وكان عدد المبايعين  
ألفاوار بعمانه (فعل ما فى  
قلوبهم) من الاخلاص  
وصدق الضمائر فيما بايعوه  
عليه (فانزل السكينة  
عليهم) أى الطمأنينة  
والامن بسبب الصلح على

(وأناهم فقصار يبا) يعني خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعني من أموال أهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار وأموال فقسما رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله عز ورا) يعني منيعا كامل العزة غنيا عن اعانتكم (حكيا) حيث حكم لكم بالغنائم ولاعدائكم بالهلاك على أيديكم ﴿قوله تعالى (وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها) يعني المغنم التي تغنمونها من الفتوح التي تفتح لكم الى يوم القيامة (فجعل لكم هذه) يعني مغنم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوح والغنائم التي يعطيهم الله عز وجل في المستقبل وانما جعل لهم هذه كجبال الراكب مجلها الله لكم وهي في جنب ما وعدكم الله به من الغنائم كالتليل من الكثير (وكف أيدي الناس عنكم) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصرها أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذرارهم بالمدينة فكف الله عز وجل أيديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل المعنى أن الله عز وجل كف أيدي أهل مكة بالصلاح عنكم لتمنم الله عليكم (ولتكون آية للمؤمنين) هو وعطف على ما تقدم تقديره فجعل لكم الغنائم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعني ولتحصل من بعدكم آية تدلهم على أن ما وهبكم الله يحصل مثله لهم وقيل لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم ويعلموا أن الله هو المتولى حياتهم وحراستهم في مشيهم ومغيبيهم (ويهدىكم صراطا مستقيما) يعني ويهديكم الى دين الاسلام ويثبتكم ويزيدكم بصيرة ويقينا بالصلاح الحديبية وفتح خيبر

### (ذ كرزوة خيبر)

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع (ق) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر فان سمع أذانا كف عنهم وان لم يسمع أذانا غار عليهم قال نخر جننا الى خيبر فلما اتيننا بهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبي طلحة وان قدمي تلمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال نخر جوا علينا بكاتلهم ومساحيهم فلما ساروا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا الحمد والحميس فلما سارهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر انا اذنزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (م) عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم تالله لولا الله ما اهتدينا \* ولا تصدقنا ولا صلينا \* ونحن عن فضلك ما استغنيانا

فثبت الاقدام ان لاقينا \* وأنزلن سكينتنا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الاستشهد قال فنأدى عمر بن الخطاب وهو على جبل له يابني الله لولا امتعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يحظر بسيفه يقول

قد علمت خيبر أتي مرحب \* شاكي السلاح بطل مجرب \* اذا الحروب أقبلت تلتهب

قال وبرزله عمي عامر فقال قد علمت خيبر أتي عامر \* شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضر بئين فوق سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكله فكانت فيها نفسه قال سلمة فرجت فاذا نقر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فآيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أجي فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم أرسلني الى علي وهو أرمد فقال لا عطين الراية لجلايب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله قال فآيت عليا

قلوبهم (وأناهم) وجزاهاهم (فقصار يبا) هو فتح خيبر غلب انصارهم من مكة (ومغانم كثيرة يأخذونها) هي مغنم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسما لها لهم (وكان الله عز ورا) منيعا فلا يغالب (حكيا) فيما يحكم فلا يعارض (وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها) هي ما أصابوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده الى يوم القيامة (فجعل لكم هذه) المغنم يعني مغنم خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقدف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلاح (ولتكون) هذه الكفة (آية للمؤمنين) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله عز وجل بمكان وأنه ضامن نصرتهم والفتح عليهم فعل ذلك (ويهدىكم صراطا مستقيما) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله

جئت به أفوده وهو أرمده حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية  
وخرج مرحب فقال

قد علمت خيبر أتى مرحب \* شاكي السلاح بطل مجرب \* اذا الحروب أقبلت تلتهم

فقال علي رضي الله عنه

أنا الذي سمتني أمي حيدره \* كليت غابات كرية المنظره \* أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحباً فقتله ثم كان الفتح على يده أخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد أخرج البخاري طرفاً منه قال  
البعوي وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبو هريرة يزيدون وينقصون  
وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر راية  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من  
القتال الأول ثم رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله  
ورسوله ويحبه الله ورسوله ويقبض الله على يديه فدعا علياً فأعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح  
الله على يدك فأتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى رأسه مغفر من حجر قد نعبه مثل البيضة وهو  
يرتجزئ فخرج إليه علي بن أبي طالب فضرب به ففقد الحجر والمغفر وفاق رأسه حتى أخذ السيف في الأرض  
ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج إليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب  
يقتل ابني يا رسول الله قال ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل مقاتلة ويسبي الثرية ويحوز الأموال قال محمد بن اسحق  
فكان أول حصونهم ثم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مساعة ألقى اليهود عليه حجر فقتله ثم فتح  
القموص حصن ابن أبي الحقيق فأصاب سبباً منهم صفية بنت حبي بن أخطب جاء بها بلال وباخرى معها فر  
بهما على قتلى من قتلى يهود فلعسا رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما  
رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفيّة فجهزت خلفه وألقى عليها رداءه  
فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بأمر أتيت علي قتلى رجلاً  
وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ان قرأ وقع في حجرها فعرضت  
رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تمتنين ملك الحجاز محمد ثم اطم وجهها الطمة اخضرت منها عيني فأتى بها  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منها فسطأها عن ذلك ما هو فآخبرته الخبر وأتى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم بزوجه كنانة بن الربيع وكان عنده كثر بني النضير فسأله فجحد أن يكون يعلم مكانه فأتى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة  
كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أ رأيت ان وجدناه عندك أ تقتلك قال نعم فأمر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فخمرت فأخرج منها بعض كثرهم ثم سأله ما بقي فأتى أن يؤديه إليه فأمر به رسول  
الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يستأصل ما عنده فكان الزبير يقده بزنده على  
صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه إلى محمد بن مساعة فضرب عنقه باخيه محمود بن مساعة (ق) عن أنس بن  
مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله صلى الله  
عليه وسلم وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة فاجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في رفاق خيبر وان ركبتني  
لتمس نخدي نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر الازرار عن نخده حتى اني أنظر بياض نخدي نبي الله صلى الله عليه  
وسلم فلما دخل القرية قال الله أكبر خرب خيبر انا انزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثاً قال

وخرج التوم الى اعماسهم فقالوا الحمد والحمد والحمد يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال  
 يا رسول الله اعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فاخذ دحية بنت حيي فجاء رجل الى النبي صلى الله  
 عليه وسلم فقال يا نبي الله اعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قرظة والنضير لا تصلح الا لك قال ادعوه فجاء بها  
 فاما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم  
 وزوجها فقال له ثابت يا باجزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها أم سليم  
 فاهنتها من الليل وأصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروا وساق قال من كان عنده شيء فليجئ به وبسطا فاعمل  
 الرجل يحيى بالتمر وجعل الآخر يحيى بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فاسوا حبسا فكانت وليمة رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى قال أصابتنا جماعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في  
 الجرا اهلية فاتتحرنا فلما غلبت بها القدور نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكلوا القدور  
 ولاننا كلوا من لحوم الجرحى فقال اناس انما همى عنها لانهم تخمس وقال آخرون انما همى عنها البتة  
 (ق) عن انس ان امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فحفي بها الى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فسأطاع عن ذلك فقالت أردت لاقتلك فقال ما كان الله ليلسلك على ذلك أو قال على قالوا  
 أنقلها قال لا تخالزت أعرفها في طوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسمعيل قال بونس عن  
 الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما أزال  
 أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم (خ) عن عائشة قالت  
 لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر (ق) عن ابن عمر أن عمر أجلي اليهود والنصارى من أرض الحجاز  
 وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر أراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها الله  
 ورسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فأراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أن يقرهم بها على أن يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرم بها على  
 ذلك ما شئنا فقررنا بها حتى أجلاهم عمر في امارته الى تباه وأرى يحاء قال محمد بن اسحق لما سمع أهل فدك بما  
 صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن دماءهم  
 وأن يسيرهم ويخاواله الاموال ففعل بهم ثم ان أهل خيبر سأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم على  
 النصف ففعل على ان لنا اذا شئنا اخراجكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت  
 فدك خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحرث امرأة اسلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعني مشوية وسألت أي  
 عضو من الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الترعاع فاكثر فيها السم وسمت سائر الشاة  
 ثم جاءت بها فاما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الترعاع فاخذها فلاك منها قطعة فلم يسعها  
 ومعه بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بشر فاساغها يعني ابتلعها  
 وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فللفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعابها فاعترفت فقال ما  
 حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لا يخفى عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيء خبر  
 ف تجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه فقال يا أم بشر ما زالت أكلة  
 خيبر التي أكلت مع ابنتك تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم مات شهيدا مع ما كرمه الله تعالى به من النبوة وعن عبيد الله بن سامان ان رجلا من أصحاب النبي  
 صلى الله عليه وسلم قال لما قمنا خيبراً خرجوا غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء  
 رجل فقال يا رسول الله لقد رحمت اليوم رحمة يوم رحمت بحماري بحمد من أهل هذا الوادي قال وبحمك وما رحمت قال

(وأخرى) معطوفة على هذه أي فجهل لكم هذه المغنم ومغنم أخرى هي مغنم هوازن في غزوة حنين (لم تقدر واعليها) لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أي قدر عليها واستولى وأظهركم عليها ويجوز في أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدر واعليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء (١٦٥) لكونها موصوفة لم تقدر وأوقدا أحاط

الله بها خبر المبتدأ (وكان الله على كل شيء قديرا) قادرا (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا أو من حلفاء أهل خيبر (لولا الأديار) لغلبوا وانهمزوا (ثم لا يجحدون وليا) يلي أمرهم (ولا نصبرا) ينصرهم (سنة الله) في موضع المصدر المؤكد أي سنة الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله لا غلبنا أنا ورسلي (التي قد دخلت من قبل ولن تجدد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذي كف أيديهم عنكم) أي أيدي أهل مكة (وأيديكم عنهم) عن أهل مكة يعني قضى بينهم وبينكم المكافاة والمجازة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه على أن مكة فتحت عنوة لاصلحا وقيل كان في غزوة الحديبية لما روى أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس

مازلت أبيع وأبتاع حتى رحمت ثلاثمائة أوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أبتئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتان بعد الصلاة أخرجه أبو داود رضي الله عنه قوله تعالى (وأخرى لم تقدر واعليها) يعني وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدر واعليها (قد أحاط الله بها) يعني حفظها لكم حتى تقهوها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها وقال ابن عباس علم الله أنه يفتحها لكم واختلقوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى أقدرهم الله عليها بشرف الإسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ولم يكونوا يربحونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون أو يفتحونه إلى آخر الزمان (وكان الله على كل شيء قديرا) أي من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك (ولو قاتلكم الذين كفروا) أي أسد وغطفان وأهل خيبر (لولا الأديار) أي لانهمزوا عنكم (ثم لا يجحدون وليا ولا نصبرا) يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد (سنة الله التي قد دخلت من قبل) يعني هذه سنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه (ولن تجدد لسنة الله تبديلا) رضي الله عنه قوله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) سبب نزول هذه الآية ما روى عن أنس ابن مالك أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فاخذهم سلمان فاستحياهم فانزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم انفراد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلى بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فناروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بإصابعهم فقمنا إليهم فاخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد أهل جعل لكم أحد أمانا قالوا اللهم لا تخلي سبيلهم ومعنى الآية أن الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان أعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم يعني أيدي أهل مكة وأيديكم عنهم أي قضى بينهم وبينكم المكافاة والمجازة (ببطن مكة) قيل أراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة (من بعد أن أظفركم عليهم) أي مكنتكم منهم حتى ظفركم بهم (وكان الله بما تعملون بصيرا) رضي الله عنه قوله عز وجل ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾

﴿ذكر صلح الحديبية﴾ روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه فالأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في بضعة عشرة مائة من أصحابه يريد يذرية البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمره وبعث عيناه من خزاعة بخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريبا من عسفان أتى عتبة الخزاعي وقال إن قريشا قد جمعوا لك جوعا وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلونك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس أتروا إن أميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا فعدوا وامتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله وأتروا إن نؤم البيت لا نريد

رضي الله عنهما أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلواهم البيوت (ببطن مكة) أي بمكة أو بالحديبية لان بعضها منسوب إلى الحرم (من بعد أن أظفركم عليهم) أي أقدركم وسلطكم (وكان الله بما تعملون بصيرا) وبالبياء أبو عمرو (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام)



قتال أحد ولا حر باقر صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر يا رسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا تر يد قتال  
أحد ولا حر باقر صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فتخذوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان  
خاله بن الوليد بالغيم في خييل لقر يش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة  
الجيش فانطلق يركض نذيرا لقر يش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي مهبط عليهم  
منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحل فالحل فقالوا اخلاص القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلاص  
القصواء وما ذاك لها بخانق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا تدعون في قر يش اليوم الى  
خطه يعظمون فيها حرمت الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتم اياها ثم زجرها فوثبت قال فمدل عنهم حتى نزل  
باقصى الحد بيته على عمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس ان تزحوه وشكوا الناس الى النبي صلى  
الله عليه وسلم العطش فزغ سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن  
النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البئر فغرز في جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدر واعنه فيناهم  
كذلك اذا جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصحر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم من أهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزول اعلى اعداد مياه الحد بيته معهم العوذ  
المطافيل وهم مقاتلونك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انتم نجي لقتال أحد ولكننا جئنا  
معتمرين وان قر يشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤا ماددتهم ونخلوا بيني وبين الناس فان  
أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فماد دخل الناس فيه فعملوا والافقد جوارا وهم ابوا فوالذي نفسي بيده لا قاتلهم  
على أمرى هذا حتى تنفردس الفتى ولينفذن الله أمره فقال بديل سأ بلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قر يشا  
فقال ان اقد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولانا فان شئتم أن نرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم  
لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشئ وقال ذو والرأى منهم هات ما سمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فخذتمهم بما قال  
النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال أي قوم أستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد  
قالوا بلى قال فهل تهمنى قالوا لا قال أستم تعلمون أي استنشرت أهل عكاظ فلما بلغ حوا على جئتمكم باهلى  
وولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطه رشدا فاقبلوا هوادعونى آتية قالوا  
الله فاناه جعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحو من قوله لبديل فقال عروة عند  
ذلك يا محمد أ رأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الاخرى  
فانى والله لارى وجوها وانى لارى أشوايا من الناس خليقا ان يفر واو يدعوك فقال له أبو بكر رضى الله عنه  
امص بظفر اللات أ نحن نفر عنه وندعه فقال من ذاقوا أبو بكر قال ما والذى نفسي بيده لو لا يدلك عندى  
ولم أجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على  
رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكما أهوى عروة بيده الى لحيته رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال آخر يدك عن لحيته رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة  
رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر أ لست أسعى في غدرتك وكان المغيرة قد سحب قوماني  
الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فاقبل وأما المال فلست  
منه في شئ ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه قال فوالله ما نخم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه ووجده واذا أمر ابتدروا أمره واذا تواضأ  
كادوا يقتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما لفرج عروة الى  
أصحابه وقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت  
ملك كاعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمد والله ما نخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه

وجلده واذا أمرهم بتدروا أمره واذا توضحا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا نكحكم خفضوا أصواتهم  
 عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطه رشدا فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني آتته  
 فقالوا اتته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو  
 من قوم يعظمون البدن فابعدوه فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي  
 طولا أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال قد رأيت البدن قد قلت وأشعرت فما أرى أن يصدوا  
 عن البيت ثم بعثوا إليه الخليل بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قال ان هذا من قوم يتأطون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل اليه من عرض الوادي  
 في قلانه قدأ كل أو ياره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم اعظما لما رأى فقال يامعشر قريش اني قد رأيت ما لا يحل صد الهدى في قلانه قدأ كل أو ياره من  
 طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فاعلم أنت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الخليل عند ذلك وقال يامعشر  
 قريش والله ما على هذا حالنا كم ولا على هذا عاقبنا كم أصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس  
 الخليل بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاءه أو لا تفرن بالا حابيش نفر قره رجل واحد فقالوا ما كفا عينا يا خليل  
 حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتته فقالوا اتته فلما أشرف  
 عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل قاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فينهاهوا بكلمه  
 اذ جاء سهيل بن عمرو وقال معمر فاخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد  
 سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهري في حديثه جاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم  
 كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل  
 أما الرحمن والله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كتبت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها  
 الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال له اكتب هذا ما قاضى  
 عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صدناك عن هذا البيت ولا قائلناك ولكن  
 اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتهموني اكتب محمد  
 ابن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لا يسألوني خطه يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم  
 اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحوا على وضع الحرب عن الناس عشر  
 سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أن تخلوا بيننا وبين  
 البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا نتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب  
 فقال سهيل وعلى ان لا ياتيك منار رجل وان كان على دينك الا ردته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف  
 يرد إلى المشركين من جاء مسلما وروى عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيئا  
 ولكن أنت محمد بن عبد الله قال ان رسول الله وأنا محمد بن عبد الله قال ثم قال اعلى اح رسول الله قال لا والله  
 لا أمحوك أبدا قال فاريسه قاراه اياه فحجاه النبي بيده وفي رواية فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب  
 وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة أشياء على أن من أتاه  
 من المشركين رده اليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلهم من قابل ويقيم ثلاثة أيام ولا يدخلها  
 بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن أنس ان قرىشا صلحوا النبي صلى الله عليه وسلم  
 فاشترطوا أن من جاءنا منكم لم يردنا عليه ومن جاءكم منا ردتموه علينا فقالوا يا رسول الله انك تكتب هذا قال نعم  
 انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعتنا إلى حديث الزهري قال  
 بينهاهم كذلك اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو ورسف في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى

بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أفاضك عليه ان ترده الى فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا الاصلحك على شيء ابدأ قال النبي صلى الله عليه وسلم فأجره لي قال ما أنا بجزيرته لك قال بلي فافعل قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل بحره ليرده الى فر يش فقال أبو جندل أي معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسالماً إلا لآرون ما لقيت وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أباجندل احتسب فإن الله جاعل لك ولبن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انما قد عقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحوا وانالنا نغدر فوثب عمر الى جنب أبي جندل وجعل يقول اصبر يا أباجندل فانما هم المشركون ودم أحدهم دم كلب ويدي في السيف منه قال عمر ورجوت أن ياخذ السيف فيضرب به به فغن الرجل بابه وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون الفتح لروى يارأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم أمر أبي جندل شر الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ أسلمت الا يومئذ قال الزهري في حديثه عن مروان والمسور ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألتستني النبي الله حقا قال بلي قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلي قلت أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار قال بلي قلت فلم تعطى الدنيا في ديننا اذا قال اني رشول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أولست كنت تحذنا اناسنا في البيت فنطوف به قال بلي فأخبرتك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتية وتطوف به قال فانيت أبابكر فقلت يا أبابكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلي قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلي قلت فلم تعطى الدنيا في ديننا قال أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحذنا انه سيأتي البيت ويطوف به قال بلي فأخبرك أنه آتية العام قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به قال عمر فعملت لذلك أعمالاً فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابه قوموا فاحمروا ثم اخلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد منهم قام صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس قالت أم سلمة يانبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحد منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحاقق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا ثم قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله فظهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تر بص قوم وقالوا لعنا تطوف بالبيت قال ابن عباس وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في هداياه جلالا في جهل في رأسه بره من فضة ليغيب المشركين بذلك قال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم السكوا فزطلق عمر امرأتين يومئذ كاتتني الشرك فتزوج احداهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية قال فنهاهم أن يردوا النساء وأمرهم ان يردوا الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهري بن عبد عوف والاخنس بن شريق التثقي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثاني طلبه رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقد ما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال العهد الذي جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباصير انما قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا النغدر وان الله تعالى جاعل لك ولبن معك من المستضعفين

فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخر جابه حتى اذا بلغا ذا الخليفة نزلوا يا كلون من تمر لهم فقال أبو بصير  
 لاحد الرجلين والله اني لارى سيفك هذا جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله انه لجيد لقد جرت به ثم جرت  
 به فقال أبو بصير اني انظر اليه فاخذنه منه فضر به حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد بعد  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا عرا فلما اتهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قال ويلك مالك قال قتل والله صاحبي وانى لتقول فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا بالسيف حتى وقف  
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله اوفى الله ذمتك قدر دنتي اليهم فانجاني الله تعالى منهم فقال  
 النبي صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان معاً أحد فلما سمع ذلك عرف أنه برده اليهم فخرج حتى  
 أتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسو بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني بصير ويل أمه  
 مسعر حرب لو كان معاً أحد فخرج عصابة منهم اليه فانقلت أبو جندل فلحق باني بصير حتى اجتمع اليه قريب  
 من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون به غير خرجت لقر يش الى الشام الا اعتراضوا لها فقتلواهم وأخذوا أموالهم  
 فارسلت قر يش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فن أتاه فهو آمن فارسل اليهم  
 النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا اليه المدينة وأنزل الله عز وجل وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيدكم عنهم  
 حتى بلغ حية الجاهلية وكانت حيتهم أنهم لم يقرؤا انه نبي الله ولم يقرؤا باسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه  
 وبين هذا البيت أخرجه البخاري بطوله سوى ألفاظ منه وهي مستثناة في الحديث منها قوله فتزعسهما  
 من كناتيه وأعطاه رجلا من أصحابه الى قوله فوالله ما زال يجيش لهم بالرى ومنها قوله ثم بعثوا الخليس  
 ابن علقمة الى قوله فقالوا كف عنا يا خليس حتى نأخذنا نفسا بما ترضى به ومنها قوله هذا ما قاضى عليه  
 محمد بن عبد الله الى قوله وعلى أن يخلو بيننا وبين البيت ومنها قوله وروى عن البراء قصة الصلح الى قوله  
 رجعت الى حديث الزهري ومنها قوله وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل الى قوله  
 قال عمر فأنيت النبي صلى الله عليه وسلم فمئت ألت نبي الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله  
 وقال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فهذه الالفاظ لم يخرجها البخاري في صحيحه شرحه غريب  
 ألفاظ الحديث قوله بضع عشرة البضع في العدد بالكسر وقد يفتح هو ما بين الثلاثة الى التسعة وقيل ما بين  
 الواحد الى العشرة قوله وبعث عينه الى أي جاسوسا قوله وقد جمعوا الك الاحياء هم أحياء من القارة انضموا  
 الى بني ليث في محاربتهم قر يشا وقيل هم حلفاء قر يش وهم بنو الهون بن خزيمه وبنو الحرث بن عبد مناة  
 وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبش فسموا بذلك وقيل هو اسم واد باسفل مكة وقيل  
 سموا بذلك لتجمعهم والتحبيش التجمع قوله فان فعدوا فعدوا وامتورين أي منقوصين قوله فنفذوا  
 أي مضوا وتخلصوا قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم وقوله طليعة الطليعة  
 الجماعة يعثون بين يدي الجيش ليطلعوا على أخبار العدو وقوله وفترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد  
 قوله يركض نذير النذير الذي يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خللات القصوا  
 يعني انها الماتوقعت عن المشى وتقهقرت ظنوا ذلك خلافا في خلقها وهو كالخرن للفرس فقال النبي صلى الله  
 عليه وسلم ما خللات أي ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل أي منعها عن السير الذي  
 منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصوا اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصوا وهو شق  
 الاذن قوله خطة أي حاله وقضية يعظمون فيها حرمت الله جمع حرمة وهي فروضه وما يجب القيام به  
 ير يد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل باقصى الحديدية بتخفيف الياء وتشد يدها وهي قرية ليست  
 بالكبيرة سميت ببرها هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديدية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع  
 مراحل وقال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاية في المطالع والتمر الماء القليل الذي

لا مادة له والتبرص أخذ الشيء قليلا قليلا وقوله فإزال يجيش بالرى يقال جاشت البئر بالماء إذا ارتفعت  
 وفاضت والرى ضد العطش والصد الرجوع بعد الورود وقوله وكانت خزاعة عيبة نصحر رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يقال فلان عيبة نصحر فلان إذا كان موضع سره وثقته في ذلك قوله نزلوا على أعداد مياه الحديدية  
 الماء العد الكثير الذي لا انقطاع له كالعيون وجمعه أعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عائد وهي  
 الناقة إذا وضعت إلى أن يقوى ولدها وقيل هي كل أنثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل  
 وهي الناقة معها فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك للناس وأراد بهم إن معهم النساء والصبيان قوله وإن  
 قر يشاقدتهنكم الحرب أي أضرت بهم وأثرت فيهم وقوله ماددتهم أي جعلت بيني وبينهم مدة قوله والافتقد  
 جوا أي استراحوا والجوام بالجم الراحة بعد التعب قوله تنفرت سالفتي السالفة الصفة والسالفتان صفحتا  
 العنق وقيل السالفة جبل العنق وهو ما بينه وبين السكتف وهو كناية عن الموت لأنها لا تنفرد عنه إلا بالموت  
 قوله إنى استنفرت يقال استنفر القوم إذا دعاهم إلى ذال العدو وعكاظ اسم سوق كانت في الجاهلية  
 معروفة وقوله بلعوا على فيه لغتان التخفيف والتشديد وأصل التبليغ الإعياء والفتور والمراد امتناعهم  
 من إجابته وتقاعدهم عنه قوله استأصلت قومك واجتاح أصله من الاجتياح إيقاع المكر وه بالإنسان  
 ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان في مبالغة الأذى قوله إنى لارى وجوها وأشوا بالاشواب  
 مثل الأوباش وهم الأخطا من الناس والرعايق يقال فلان خليق بذلك أي جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله  
 امصص بظر اللات وهو اسم صنم كانوا يعبدونه لحم والبظر ما تقطعه الخافضة وهي الخائنة من الهنئة التي  
 تكون في فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور في أسنتهم قوله لولا يدلك عندى اليد النعمة وما يمتن به  
 الإنسان على غيره قوله أي غدر معدول عن غادر وهو للمباغاة وقوله قد عرض عليكم خطة رشدي يقال خطة  
 رشدي وخطة غي والرشد والرشاد خلاف الغي والمراد منه قد طلب منكم طريقا وصحفا في هدى واستقامة  
 قوله وهو من قوم يعظمون البدن أي الأبل تهدي إلى البيت في حج أو عمرة وتقليدها هو أن يجعل في رقابها  
 شئ كالقلادة من لحاء الشجر أو نعل أو غيره ليعلم بذلك أنه هدى والاشعار هو أن يشق جانب السنم فيسيل  
 دمه عليه وقوله لمارأى الهدى يسيل عليه أي يقبل عليه كالسيل من عرض الوادي أي جانبه وقوله هذا  
 مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث في شرفه وفجور قوله هذا ما قاضى عليه أي فاعل  
 من القضاء وهو أحكام الأمر والمنازعة وهو في اللغة على وجوه مر جمعها إلى انقضاء الشئ وانما قوله ضغطة  
 هو كناية عن القهر والضيق قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى  
 بضم اللام أيضا مع التشديد وهو وعاء من آدم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا ويلقى في مؤخرة  
 الرجل قوله يرسف بضم السين وكسرهما لغتان وهو مشي المقيد قوله فاجر لى قال ابن الأثير يجوز أن يكون  
 بالزاي من الإجازة أي اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم وأطلقه لى وإن كان بالراء المهملة فهو من الإجازة  
 والحماية والحفظ وكلاهما صالح في هذا الموضع قوله فلم نعط الدنيا أي القضية التي لا ترضى بها أي لم ترضى  
 بالادون والأقل في ديننا قوله فاستسك بغرزه الغرزال كور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى فاستمسك  
 به ولاتفارقه ساعة كالاتفاق رجل الزاكب غر زرحه فإنه على الحق الذي لا يجوز لاحد تركه قوله ويل  
 أمه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب بها أيضا ومسر حرب أي موقدها يقال سعرت النار وأسعرتها  
 إذا أوقدها والمسر الخشب الذي توقده به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله أعلم وأما تفسير  
 الآية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعني كفار مكة وصدوكم أي منعوكم عن المسجد الحرام أن تطوفوا  
 به (والهدى) أي وصدوا الهدى وهو البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة  
 (معكروفا) أي محبوسا (أن يبلغ محله) أي منجره وحيث يحل نجره وهو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء

والهدى) هو ما يهدى إلى  
 الكعبة ونصبه عطفًا على  
 كم في صدوكم أي وصدوا  
 الهدى (معكروفاً يبلغ)  
 محبوساً أن يبلغ ومعكروفاً  
 حال وكان عليه السلام  
 ساق سبعين بدنة (محله)  
 مكانه الذي يحل فيه نجره  
 أي يجب وهذا دليل على  
 أن المحصر محل هديه الحرم  
 والمراد المحل المعهود وهو  
 منى (ولولا رجال مؤمنون  
 ونساء

مؤمنات بمكة (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا (ان تطوؤهم) بدل اشتغالهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم (فتصيبكم منهم معرفة) ثم وشدده وهي مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكره ويشق عليه وهو الكفارة اذا قتله خطأ وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والاثم اذا قصر (بغير علم) متعلق بان تطوؤهم يعني ان تطوؤهم غير الملتزم بهم والوطء عبارة عن الابقاع والابادة والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين محتاطون بالمشركين غير متميزين منهم فقال ولولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين واتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلا كهم مكره ومشفقة لما كف ايديكم عنهم وقوله (ليدخل الله في رحمته من يشاء) تعليل لمادلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع عن قتلهم صوتا لما بين اظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنهم أو ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم (لوتز يلاوا) لوتز قوا وتميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف أغنى عنه جواب لو ويجوز أن (١٧١) يكون لوتز يلاوا كالتسكير برك ولا

رجال مؤمنون لرجعها الى معنى واحد ويكون (لعذبا الذين كفروا) هو الجواب تقديره ولولا ان تطوؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف (منهم) من اهل مكة (عذبا بالآل) والعامل في (اذ جعل الذين كفروا) أي قريش لعذبنا أي لعذبناهم في ذلك الوقت أو اذ كره في قلوبهم الجمية حجة الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين المراد بحمية الدين كفروا هي الانفة وسكينته المؤمنين وهي الوفاق ما يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث

مؤمنات) يعني المستضعفين بمكة (لم تعلموهم) أي لم تعرفوهم (أن تطوؤهم) أي بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرفة بغير علم) أي ثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطا لان الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذ لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركين يعتبرونكم ويقرولون قتلوا اهل دينهم والمعرفة المشقة يقول لولا ان تطوؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم به كفارة أو سيئة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك السبب (ليدخل الله في رحمته من يشاء) أي في دين الاسلام من يشاء أي من اهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها (لوتز يلاوا) أي لوتمكن المؤمنون من الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم عذبا بالآل) أي بالسبي والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب للكلامين أحدهما لولا رجال والثاني لوتز يلاوا ثم قال ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني المؤمنين والمؤمنات في رحمته أي في جنته قال قتادة في الآية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة قوله تعالى (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الجمية) أي الانفة والغضب وذلك حين صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت ومنعوا الهدى محله ولم يقر وايسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا أن يكون محمد رسول الله وقيل قال اهل مكة قد قتلوا أبناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتحدثت العرب انهم دخلوا علينا على رغم منا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه (جمية الجاهلية) التي دخلت قلوبهم (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أي حتى لا يدخلهم ما دخلهم من الجمية فيعضون الله في قنابلهم (وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس كلمة التقوى لاله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر كلمة التقوى لاله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال عطاء الخراساني هي لاله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم (وكانوا أحق بها) أي من كفار مكة (وأهلها) أي كانوا أهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أهل الخير والصلاح (وكان الله بكل شيء عليما) يعني من أمر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وأمر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير ﴿ قوله

قريش سهيل بن عمرو وحو يطب بن عبد العزى ومكر زين حفص على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو نعم انك رسول الله ما صدناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فاننا أشهد اني رسول الله وأحمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يباؤوا ذلك ويشمروا منه فانك الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا (وألزمهم كلمة التقوى) الجمهور على انها كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم والاضافة الى التقوى باعتبار انها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى (وكانوا) أي المؤمنون (أحق بها) من غيرهم (وأهلها) يتأهل الله اياهم (وكان الله بكل شيء عليما) فتجري الامور على مصالحها

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أي صدق في رؤياه ولم يكذب به تعالى الله عن الكذب بخلاف الجار وأوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم دخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وغيره والله ما حلقنا ولا قصرنا (١٧٢) ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت (بالحق) متعاقب صدق أي صدق في رؤياه وفي كونه

وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أي بالحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من في قلبه مرض ويجوز أن يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل أو بالحق الذي هو من أمانته وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وعلى الاول هو جواب قسم محذوف (ان شاء الله) حكاية من الله تعالى ما قال رسوله لأصحابه وقص عليهم أو تعلم لعباده أن يقولوا في عبادتهم مثل ذلك متأدين بآداب الله ومقتدين بسنته (آمنين) حال والشروط معترض (مخلفين) حال من الضمير في آمنين (رؤسكم) أي جميع شعورها (ومقصرين) بعض شعورها (لا تخافون) حال مؤكدة (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة في تأخير فتح مكة الى العام القابل (جعل من دون ذلك) أي من دون فتح مكة (فتحاقربا) وهو

تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج الى الحديبية أنه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه آمنين ويحلقون رؤسهم فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم دخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون أين رؤياه التي رآها فانزل الله هذه الآية ودخلوا في العام المقبل وروى عن مجمع ابن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قال أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغيم فلما اجتمع الناس قرأنا فاتحنا لك فتحا ميمنا فقال عمر أهو فتح يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل على أن المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أخبر أن الرؤيا التي أراه اياها في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام وصدق بالحق أي الذي رآه حق وصدق وقيل يجوز أن يكون بالحق قسما لان الحق من أسماء الله تعالى أو قسما بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك (ان شاء الله آمنين) قيل انما استثنى مع علمه بدخوله لتعلم العباده الادب وتأكيد قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وقيل ان معنى اذبحازه اذ شاء الله وقيل لما يقع الدخول في عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول وياون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام لا بقوتكم وادارتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الامن لاعلى الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لا يشك في الموت (مخلفين رؤسكم) أي كاهها (ومقصرين) أي ناخذون بعض شعوركهم (لا تخافون) أي من عدو في رجوعكم لان قوله آمنين في حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع الى كمال الامن بعد الاحرام وفي حال الرجوع (فعلم ما لم تعلموا) يعني علم أن الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول وكان ذلك سببا لوطء المؤمنين والمؤمنات وقيل علم أن دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا أتم فظننتم انه في السنة الاولى (جعل من دون ذلك) أي من قبل دخولكم الحرم (فتحاقربا) يعني صلح الحديبية قاله الا كثرون وقيل هو فتح خيبر ﷺ قوله عز وجل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) هذا البيان صدق الرؤيا وذلك ان الله تعالى لا يرى رسوله صلى الله عليه وسلم مالا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون سببا للضلال فحقق الله أمر الرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وبقوله هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) أي يعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه (وكفى بالله شهيدا) أي في انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك انهم تأذوا من قول الكفار لو تعلم انه رسول الله ما صدقناه عن مكة (فتحاقربا) وهو

فتح خيبر يستريح اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الفتح الموعود (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) البيت

بالتوحيد (ودين الحق) أي الاسلام (ليظهره) ليظهره على الدين ير يد الاديان المختلفة من اديان المشركين وأهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا فقط الا للاسلام دونه العزوة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحج والآيات (وكفى بالله شهيدا) على ان ما وعده كائن وعن الحسن شهيدا على نفسه انه سيظهر

دينه والتقدير وكفاه الله شهيدا وشهيدا آمين وأحوال (محمد) خبر مبتدأ أي هو محمد لتقدم قوله هو الذي أرسل رسوله أو مبتدأ خبره (رسول الله) وقف عليه نصير (والذين معه) أي أصحابه مبتدأ والخبر (أشداء على الكفار) أو محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على المبتدأ وأشداء خبر عن الجميع ومعناه غلاظ (رحماء بينهم) متعاطفون وهو خبر ثان وهما جمع اسديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وبلغ من تشدهم على الكفار أنهم كانوا (١٧٣) يتحرزون من نياهم أن تلتق بشياهم

ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترجمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صاحبه وعاقبه (تراهم ركعا) راكعين (سجدا) ساجدين (يتبعون) حال كأن ركعا وسجدا كذلك (فضلا من الله ورضوانا سيماهم) علامتهم (في وجوههم من أثر السجود) أي من التأثير الذي يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ماصوا بالليل لقوله عليه السلام من أكثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) أي المذكور (مثلهم) صفتهم (في التوراة) وعليه وقف (ومثلهم في الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع أشطاه) فرأخه يقال أشطأ الزرع إذا فرخ (فآزره) قواه فازره شامى (فاستغلف) فصار من الرقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق (يجب الزراع) يتجهبون من قوته وقيل

البيت فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا أي في أنه رسول الله ثم قال تعالى (محمد رسول الله) أي هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في قوله أرسل رسوله قال ابن عباس شهده بالرسالة ثم ابتداء فقال (والذين معه) يعني أصحابه المؤمنين (أشداء على الكفار) أي غلاظ أقوياء كالأسد على فريسته لآنا أخذهم فيهم راقه (رحماء بينهم) أي متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالوالد من الولد كما قال في حقهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) أخبر عن كثرة صلاتهم ومداوتهم عليها (يتبعون) أي يطلبون (فضلا من الله) يعني الجنة (ورضوانا) أي ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله يطلب أجره من الله تعالى والمرأى بعمله لا يبتغى له أجر وذكر بعضهم في قوله والذين معه يعني ابا بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رجاء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا على بن أبي طالب يتبعون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة (سيماهم) أي علامتهم (في وجوههم من أثر السجود) واختلفوا في هذه السيماء على قولين أحدهما أن المراد في يوم القيامة قيل هي نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيامة أنهم سجدوا لله في الدنيا وهي رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود في وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يعنون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثاني ان ذلك في الدنيا وذلك أنهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السميت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل ويعرف ذلك في رجلين أحدهما سهر الليل في الصلاة والعبادة والآخر في اللهو واللعب فاذا أصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر في وجه المصلى نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وقيل هو أثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب لاعلى الأتواب قال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك مثلهم في التوراة) يعني ذلك الذي ذكر صفتهم في التوراة وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ بذكر نعمهم وصفتهم في الانجيل فقال تعالى (ومثلهم) أي صفتهم (في الانجيل كزرع أشطاه) أي افرطه قبل فراخه قيل هو نبت فخرج بعد فهو شطوه (فآزره) أي قواه وأعانه وشدازره (فاستغلف) أي غلظ ذلك الزرع وقوى (فاستوى) أي تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) جمع ساق أي على أصوله (يجب الزراع) أي يجب ذلك الزرع زراعه وهو مثل ضر به الله عز وجل لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل أنهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطاء أصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطاه أبو بكر فآزره عمر فاستغلف عثمان فاستوى على سوقه على بن أبي طالب يجب الزراع يعني جميع المؤمنين (ليغيظ بهم الكفار) قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعد ما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن أنس من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية

مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطاه باني بكر فآزره بعمر فاستغلف بعثمان فاستوى على سوقه على رسول الله عليهم وهذا مثل ضر به الله تعالى لبدء الاسلام وترقيه في الزيادة الى أن قوى واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله تعالى عن أمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يختلف بها مما يتولد منها حتى يجب الزراع (ليغيظ بهم الكفار)



(فصل في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) (ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم (م) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير الناس قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم يعني الصحابة ثم التابعين ونابعيهم والقرن كل أهل زمان قيل هو أبو بكر في السنة وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة وعثمان بن عفان في الجنة وعلي بن أبي طالب في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعيد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة أخرجه الترمذي وأخرج عن سعيد بن زيد بنحوه وقال هذا أصح من الحديث الأول عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بمتي أبو بكر وأشد هم في أمر الله عمر وأشد هم حياء عثمان وأفضاهم علي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفضاهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب ولكل قوم أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء وأصدق طهجة من أبي ذر أشبه عيسى في ورعه قال عمر فعرف له ذلك يارسول الله قال نعم أخرجه الترمذي مرفقاً في موضعين أحدهما إلى قوله أبو عبيدة بن الجراح والآخر إلى أبي ذر (خ) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أحدنا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال أثبت أحدنا راه ضربه برجله فأتنا عليك نبي وصديق وشهيدان عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتدوا بالذين بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عثمان وتسكوا بعهد عبد الله بن مسعود أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في جيش ذات السلاسل قال فأتته فقلت أي الناس أحب إليك قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعذر رجلاً عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجتي ابنته وحماني إلى دار الهجرة وصحبتني في الغار وأعتق بلا من ماله رحم الله عمر ليقولن الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صدق رحم الله عثمان نستحي منه الملائكة رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن زر بن حبیش قال سمعت علياً يقول والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنه لعهد النبي الأمي إلى أنه لا يجتنبني المؤمن ولا يبغضني إلا منافق عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت من أصحابي يارض إلا بعثه الله قائداً ونورا لهم يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقدرى عن أبي بريدة مرسل وهو أصح (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مداً أحدهم ولا نصيفه وعن أبي هريرة نحوه أخرجه مسلم عن عبد الله بن مغفل المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب **قوله تعالى** (وعبد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) لفظه من في قوله منهم لبيان الجنس لا لتبعض كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان فيكون معنى الآية وعبد الله الذين آمنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعني من الشطاء الذي أخرجه الزرع وهم الداخلون في الإسلام إلى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطاء لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة وأجر عظيم) يعني الجنة وقيل إن المغفرة جزاء الإيمان فإن لكل مؤمن مغفرة والأجر العظيم جزاء العمل الصالح والله تعالى أعلم بمراده

تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نعمتهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز أن يعلى به (وعبد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجر عظيم) لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومن في منهم للبيان كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان يعني فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان وقبولك انفق من الدراهم أي اجعل نفقتك هذا الجنس وهذه الآية ترد قول الرافض أنهم كفروا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إذ الوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم إنما يكون أن لو ثبتوا على ما كانوا عليه في حياته

(سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله - موا) قدمه وأقدمه منقولان بتثقيب الحشو والهمزة من قدمه إذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه وحذف المفعول ليتناول كل ما وقع في النفس مما يقدم من القول أو الفعل وجزان لا يقصد مفعول والنهي متوجه الى نفس التقدم كقوله هو الذي يحيي ويميت وهو من قدم بمعنى تقدم كوجه بمعنى توجه ومنه مقدمة الجيش وهي الجماعة المتقدمة منه ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا بحذف إحدى يدي تقدموا (بين يدي الله ورسوله) حقيقة قولهم جلست بين يدي فلان أن تجلس بين الجهتين المسامتين ليمينه وشماله فربما منته فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوزه وفي هذه العبارة ضرب من (١٧٥) المجاز الذي يسمى تمثيلا وفيه فائدة

جليلة وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما هو اعنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة ويجوز أن يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله أي سرني حسن حال زيد فكذلك هنا المعنى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به هذا المسلك وفي هذا تمهيد لما تقدم منهم من رفع أصواتهم فوق صوته عليه السلام لان من فضله الله بهذه الأثرة واختصه هذا الاختصاص كان أدنى ما يجب له من التهيب والاجلال أن يخفض صوته بين يديه وعن الحسن ان ناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل

﴿تفسير سورة الحجرات﴾  
 (وهي مدنية وهي ثمان عشرة آية وثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة وأربع مائة وستة وسبعون حرفا)  
 ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾  
 قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ورسوله) من التقديم أي لا ينبغي لكم أن يصدر منكم تقديم أصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي أمر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا أنفسكم تقدم ما عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه إشارة الى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والافتقار لاوامره ونواهيه والمعنى لا تجعلوا بقول أو فعل قبل أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قبل أن يفعله وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى الآية فروى عن جابر أنه في الذبح يوم الاضحى أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فأمروا أن يعيدوا الذبح (ق) عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل أن يصلي فأما هو لحم مجله لاهله ليس من النسك في شيء زاد الترمذي في أوله قال خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروى عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك أي لا تصوموا قبل نبيكم عن عامر بن ياسر قال من صام في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقيل في سبب نزول هذه الآية ما روى عن عبد الله بن الزبير أنه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت الا خلافي وقال عمر ما أردت خلافاك فثار يا حيا ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ورسوله حتى انقضت زاد في رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده حتى يستفهمه أخرجه البخاري وقيل نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو نزل في كذا أو صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل في معنى الآية لا تقتنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ حتى يقضيه الله على لسانه وقيل في القتال وشرائع الدين أي لا تقضوا أمرا من دون الله ورسوله (واتقوا الله) أي في تضييع حقه بمخالفة أمره (ان الله سميع) أي لا قوالكم (عليم) أي بأفعالكم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهى عن فعل وقوله لا ترفعوا أصواتكم نهى عن قول (ولا تجهروا بالقول كجهر بعضهم

الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر وعن عائشة رضي الله عنها أنها ترات في النهي عن صوم يوم الشك (واتقوا الله) فانكم ان تضييعوا عاقبتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها (ان الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون وحق لمثله أن يتق (يا أيها الذين آمنوا) إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجدد الاستبصار عند كل خطاب وارتدو نحر بك منهم ثلاثا يغفلوا عن تأملهم (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي اذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا على كلامكم وجهه باهر الجهر كما حتى تكون مزبته عمليكم لا تخف وسابقته ليدكم واضحة (ولا تجهروا بالقول كجهر بعضهم

لبعض) أي إذا كاتموه وهو صامت فأياكم والعدول عما نهيتهم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا في مخاطبة القول للين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر أو لا تقولوا يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة والسكينة

والتعظيم ولما نزلت هذه الآية ما كالم النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر إلا كاخى السرار وعين ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت في نابت بن قيس ابن شماس وكان في أذنه وقر وكان جهورى الصوت وكان إذا كالم رفع صوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وكاف التشبيه في محل النصب أي لا تجهر والله جهر أمثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالمخافتة وإنما هو عن جهر مخصوص أعنى الجهر المعتد بماتلة ما قد اعتادوه فيما بينهم وهو الخلو عن مراعاة أهبة النبوة وجلالة مقدارها ( أن تحبب أعمالكم) منصوب الموضوع على أنه المفعول له متعلق بمعنى السهوى والمعنى انتهوا عما نهيتهم عنه لحبوط أعمالكم أي خشية حبوطها على تقدير حذف المضاف (وأتم لان شعرون ان الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله) ثم اسم

لبعض) أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادى بعضهم بعضا فيقولوا يا محمد بل يقولون يا رسول الله يابني الله (أن تحبب أعمالكم) أي لئلا تحبب وقيل مخافة أن تحبب حسناتكم (وأتم لان شعرون) أي بذلك (ق) عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية يأبها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية جلس نابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمر وما شأن نابت أي شتى فقال سعد أنه لجارى وما علمت له شكوى قال فأنا سعد فقد كر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من أهل النار فذ ك ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة فزاد في رواية فكانراه عيسى بن أظهر نارجل من أهل الجنة لفظ مسلم وللبخارى نحوه وروى لما نزلت هذه الآية فعد نابت في الطريق يبكي فربه عاصم بن عدى فقال ما يبكيك يا نابت قال هذه الآية أتخوف أن تكون أنزلت في وأنا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبب عملي وأن أكون من أهل النار فضى عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب نابت البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله ابن أبي بن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرسى فشدى على الضية بمسما فصر بهنساء مسمار وقال لا أخرج حتى يتوفانى الله أو يرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره قال اذهب فادع عاصم إلى المكان الذى رأى فيه فلم يجده فجاء إلى أهله فوجدوه في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال كسر الضية فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا نابت فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترى أن تعيش حريدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لأرفع صوتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا فانزل الله تعالى (ان الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله) الآية قال أنس فكانت نظر إلى رجل من أهل الجنة عيسى بن أيدى فلما كان يوم القيامة في حرب مسيلة رأى نابت من المسلمين بعض انكسار وانهمزمت طائفة منهم فقال أف طؤلاء ثم قال نابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم أتوا قاتلا حتى قتلوا واستشهد نابت وعليه درع فرأه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وأنه قال له اعلم أن فلانا رجلا من المسلمين نزع درعى فذهب به وهو فى ناحية من العسكر عند فرس يستن فى طيله وقد وضع على درعى برمه فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعى وأت أبابكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان على دين حتى يقضيه عنى وفلان من رقيق عتيق فاخبر الرجل خالد افوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبابكر بتلك الرؤيا فاجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس لأعلم وصية أجزت بعد موت صاحبها الا هذه قال أبو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخى السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفف صوته فانزل الله تعالى ان الذين يعضون أى يخفضون أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أى اجلاله وتعظيما (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أى اختبرها وأخاصها كما يتعن الذهب

بالنار

ان عند قوله رسول الله والمعنى يخفضون أصواتهم فى مجلسه تعظيما له (أولئك) مبتدأ خبره

(الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وتم صلة الذين عند قوله للتقوى وأولئك مع خبره خبران والمعنى أخلصها للتقوى من قلوبهم امتحن الذهب وفتنه إذا دأبه بخلص إبريزه من خبثه ونقاؤه وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصه وعن عمر رضى الله عنه أذهب الشهوات

عنها والامتحان افتعال من منحها وهو اختبار ببلغ أو بلا جهيد (لم مغفرة وأجر عظيم) جملة أخرى قيل نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت وهذه الآية بنظمها الذي رتب عليه من ايقاع الغاضين أصواتهم اسمالان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء منكرة مبهما أمره الة على غاية الاعتماد والارتضاء بفعل الخافضين أصواتهم وفيها تعريض لعظم ما ارتكب الرافعون أصواتهم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) نزلت في وفد بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته وقالوا اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زبن وذمننا شين فاستيقظ وخرج والوراء الجهة التي يوار بها عنك الشخص بظالمه من خلف أو قدام ومن لا يتساء الغاية وان المنادات نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بمحاطة يحوط عليها وهي فعلة بمعنى مفعولة كالتبضة وجمعها الحجرات بضم تين والحجرات بفتح الجيم وهي قراءة يزد والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل منهن شجرة ومناداتهم من وراءها عليهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له (١٧٧) أو ناده من وراء الحجر التي كان

عليه السلام فيها ولكنها جعلت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقيون راضين فكانهم تولوه جميعا (أكثرهم لا يعقلون) يحتمل أن يكون فيهم من قصد استنناؤه ويحتمل أن يكون المراد النبي العام اذا قلته تقع موقع النبي وورد الآية على النقط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى من اجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصالحين به بالسفه والجهل ومنها ايقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خواتمه

بالنار ليخرج خالصه (لم مغفرة وأجر عظيم) قوله عز وجل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسيبهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم يندون الزراري فقدموا وقت الظهيرة واقفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في أهلها فدارتهم الزراري اجهشوا الى آبائهم ليكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم شجرة فاجلوا أن يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى أيقظوه من نومهم فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة أنا لا أحكم وعمي شاهد وهو الاور بن بشامة فرضوا به فقال الاور أرى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرضيت ففادي نصفهم وأعتق نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (أكثرهم لا يعقلون) وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الآية أكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لا يرجع فبستمر على حاله وهم الاكثر (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم) فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاؤا به من سوء الادب وطلب الجهلة في الخروج (لكان خيرا لهم) أي الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان حسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا لهم وقيل نزلت الآية في ناس من اعراب تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزرقان بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا فان مدحنا زبن وذمننا شين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحهم زين وذمهم شين قالوا نحن ناس من تميم جدا بشاعرنا وخطيبنا جئنا نسا عرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر

(٢٣ - (خازن) - رابع) ومقيله مع بعض نساءه ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولو تأمل متأمل من أول السورة الى آخر هذه الآية لوجدها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بيجاب أن تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهركان الاول بساطا للثاني ثم أتى على الغاضين أصواتهم ليدل على عظم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو أطم وهجته ثم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خواتمه من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدر النبيه على فطاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان صنع هو لاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا (ولو أنهم صبروا) أي ولو ثبت صبرهم ومحل انهم صبروا الرفع على الفاعلية والصبر حبس النفس عن أن تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وقيل الصبر ممر لا يتجرعه الاخر وقوله (حتى تخرج اليهم) يفيد انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولا جملهم للزمهم أن يصروا الى أن يعاموا أن خروجه اليهم (لكان) الصبر (خيرا لهم) في دينهم

(والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن ينسيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا أو انا بوا (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أجمعوا انها نزلت في الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقاً قالى بنى المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة في الجاهلية فلما اشار فديارهم ركبو واستقبلين اليه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم (١٧٨) يصلون فسلموا اليه الصدقات ورجع وفي تكبير الفاسق والنبأ شيباع في

أمرت ولكن هاتوا افقاهم منهم شاب فند كرفضه وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس ابن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فقام فاجابه وقام شاعرهم فذ كراياً ناق فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمد الموثوق لي تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولاً وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أحسن شعراً وقولاً ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمر بن الاثم لحدائة سنة فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم فازرى به بعضهم وارفعت الاصوات وكثر اللفظ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا لا ترتفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآيات الى قوله (والله غفور رحيم) أي لمن تاب منهم وقال زيد بن الارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبياً فنحن أسعد الناس به وان يكن ملكاً نعش في جنازه جفاً وجعلوا ينادونه يا محمداً يا محمداً فانزل الله هذه الآيات ﴿قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق بعد الواقعة مصداقاً وكان بينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيماً الامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب غضبه الشيطان انهم يريدون قتله فها بهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوه فبلغ القوم رجوع الوليد فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله سمعنا برسولك غفر جئاته فاهم ونكرمه ونؤدده لما قبلنا من حق الله فبدله الرجوع نخشينا أنه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك غضب غضبه علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدمه وقال انظر فان رأيت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة أو مواطهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما نستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم فسمع منهم أذان المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وقرئ فتبينوا أي فتقو فاقوا وطلبوا بيان الامر يعني الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو أولى من حكم الآية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم فاختأ فعلى هذا يكون معنى الآية ان جاءكم فاسق بنبأ أي بخبر فتبينوا وقرئ فتبينوا أي فتقو فاقوا وطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمد واعي قول الفاسق (أن تصيبوا) أي كيلا تصيبوا بالقتل والسبي (قوماً بجهالة) أي جاهلين حالهم وحقيقة أمرهم (فتصبحوا على ما فعلتم) أي من اصابتكم بالخطأ (نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله) أي فاتقوا الله أن تقولوا باطلاً وتكذبوا فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا (لو يطيعكم) أي الرسول (في كثير من الامر) أي مما يخبرونه به فيحكم بركم (لعنتم) أي لا نتممهم وهلكنتم \* عن أبي

انفساق والانباء كأنه قال أي فاستق جاءكم بنبأ فتبينوا فتقو فاقوا فيه وطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمد واقول الفاسق لان من لا يتحاشى جنس الفسوق ولا يتحاشى الكذب الذي هو نوع منه وفي الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لانالو توقفنا في خبره لسوينا بينه وبين الفاسق وخلا التخصيص به عن الفائدة والفسوق الخروج من الشيء يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقابله فقست البيضة اذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقابله أيضاً فقست الشيء اذا أخرجته من يد مالكه معتصم به عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد بركوب الكائن جزء وعلى فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف (أن تصيبوا قوماً) ائلا تصيبوا (بجهالة) حال يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة (فتصبحوا) فتصبروا (على ما فعلتم نادمين) الندم ضرب من الغم وهو أن نعلم على ما وقع منك تمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام (واعلموا أن فيكم رسول الله) فلان تكذبوا فان الله يخبره فينتهك ستر الكاذب وأفارجعوا اليه واطلبوا آراءه ثم قال مستأنفاً (لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) لوقعتم في الجهد والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينو الرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع بيني المصطلق وتصديق قول الوليد وان بعضهم كانوا يتصوتون ويزعمهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين

سعيد  
الانسان صحبة لها دوام (واعلموا أن فيكم رسول الله) فلان تكذبوا فان الله يخبره فينتهك ستر الكاذب وأفارجعوا اليه واطلبوا آراءه ثم قال مستأنفاً (لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) لوقعتم في الجهد والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينو الرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع بيني المصطلق وتصديق قول الوليد وان بعضهم كانوا يتصوتون ويزعمهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين

سعيد الخدرى انه قرأ واعاموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم قال هذا انبيكم يوحى اليه وخياراً أتمتكم لو أطاعهم في كثير من الامر لعنتموا فكيف بكم اليوم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب (ولكن الله حبيب اليكم الايمان) أى جعله أحب الاديان اليكم (وزينه) أى حسنه وقر به منكم وأدخله (في قلوبكم) حتى اخترتموه لان من أحب شيئاً اذا طال عليه قد يسأم منه والايمن في كل يوم يزداد في القلب حسناً وثباتاً وبذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكره اليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصى الله تعالى وفي هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الاشياء في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب المحب اليه والايمن الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة أمور تصديق بالجنان وقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر في مقابلة قوله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود وحبيب اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهو لاله الا الله والعصيان في مقابلة العمل بالاركان فكره اليه العصيان وحبيب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى (أولئك هم الراشدون) اشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين في قلوبهم أى أولئك هم المهتدون الى محاسن الاعمال ومكارم الاخلاق (فضلا من الله) أى فعل ذلك بكم فضلا منه (ونعمة) عليكم (والله عليم) أى بكم وبما في قلوبكم (حكيم) فى أمره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما فى خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم ﴿ قوله عز وجل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) (ق) عن أنس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبى فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب جماراً وانطلق المسامون يشون معه وهى أرض سبخة فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عنى والله لقد آذانى نثن جارك فقال رجل من الانصار والله لجار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ربحاً منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فقتلتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجر يد واليدى والنعال فبلغنا انها زلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصحوا بينهما وبروى انها لما زلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض (ق) عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه كاف تحته قطيفة فدية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعوّد سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى صر على مجلس فيه عبد الله بن أبى بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبى واذ فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاصنام واليهودى والمسلمين عبد الله بن راحة فلما غشيت المجلس بمحاجة الدابة خر عبد الله بن أبى انقه بردانه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبى بن سلول أيها المرء انه لأحسن مما تقول ان كان حقاً فلا تؤذونا به فى مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن راحة بلى يا رسول الله فاغشيتنا فى مجالسنا فانحجب ذلك واستبب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يبتشرونون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته وقال فتادة نزلت فى رجلين من الانصار كان بينهما مارة فى حق بينهما فقال أحدهما للآخر لا تخذنى حتى منك عنوة لكثرة عسبرته وأن الآخذ عامه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعا وتناول بعضهم بعضاً باليدى والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيدت تحت رجل وكان بينهما وبين زوجها شئ فرقى بها الى عليه فبسطها فيها فبلغ ذلك قومها فجاءوا جماعة معه قومه فاقتتلوا باليدى والنعال فانزل الله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل المراد من الطائفتين الاوس

استثناهم بقوله (ولكن الله حبيب اليكم الايمان) وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت صفة الذين حبيب الله اليهم الايمان غيرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت لكن فى حال موقعها من الاستدراك وهو مخالفة ما بعدها لما قبلها نقياً واثباتاً (وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر) وهو تعظية نعم الله ونعمتها بالجحود (والفسوق) وهو الخروج عن محبة الايمان بركوب الكبائر (والعصيان) وهو ترك الاتقياء لما أمر به الشارع (أولئك هم الراشدون) أى أولئك المستنون هم الراشدون يعنى أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة (فضلا من الله ونعمة) الفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والاتصاب على المفعول له أى حبيب وكره الفضل والنعمة (والله عليم) باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وضم بالتوفيق على الافضال (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)

فأصلحو ايتهما) وقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك ابن أبي بنه وقال خل سبييل حمار فقد آذانا ننته فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لا طيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبأ وتجادوا وجاء قوما هما الاوس والخزرج فتجادوا بالعصى وقيل بالايدي والتعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصلحو بينهم ونزلت وجمع (١٨٠) اقتتلوا حلالا على المعنى لان الطائفتين في معنى القوم والناس وثني في فأصلحو

والخزرج (فأصلحو ايتهما) أي بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه طمأنا وعليهما (فان بغت) أي تعدت (احدهما على الاخرى) وأبت الاجابة الى حكم كتاب الله (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء) أي ترجع (الى أمر الله) أي الى كتابه الذي جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته في الصلح الذي أمرت به (فان فاءت) أي رجعت الى الحق (فأصلحو ايتهما بالعدل) أي الذي يحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله (وأقسطوا) أي اعدلوا (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين (انما المؤمنون اخوة) أي في الدين والولاية وذلك أن الايمان قد عقد بين أهل من السبب والقرباة كعقد النسب الملاصق وأن بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كلاب قال بعضهم

أبي الاسلام لأبلى سواه \* اذا افتخروا بقرىس أو تيم

(فأصلحو ايتهما) أي اذا اختلفوا واقتتلا (واتقوا الله) أي فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره (لعلكم ترجون) \* (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بهاعنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسامنا ستره الله تعالى يوم القيامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

فصل في حكم قتال البغاة قال العلماء في هاتين الآيتين دليل على أن النبي لا يزل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين و يدل عليه ما روى عن علي بن أبي طالب وهو القدوة في قتال أهل البغي وقد سئل عن أهل الجمل وصفين أمشركون هم فقال لا انهم من الشرك فر وافقيل أمنافقون هم فقال لان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم أن يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان أظهر وامظلمة أزالها عنهم وان لم يذكروا ومظلمة وأصر واعل البغي فقاتلهم الامام حتى يفيوا الى طاعته ثم الحكم في قتلهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذقق على جرحهم ولا يذقق على جرحهم ولا يذقق على الجرح وتتميمه وأتى على يوم صفين بأسير فقال لا أقتلك صبرا اني أخاف الله رب العالمين وما أتلفت احدى الطائفتين على الاخرى في حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول وأتلف فيها أموال ثم صار الناس الى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فخارأيته اقتص من أحد ولا أعزم مالا أمان لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بان كانوا جماعة قليلين لامنعة لهم ولم يكن لهم تأويل أو لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم اذ لم ينصبوا وقتلوا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق في الحكم وروى أن عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال علي كلمة حتى أريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا تمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا تمنعكم النبي مادامت أيديكم مع

بينهما نظر الى اللفظ (فان بغت احداهما على الاخرى) البني الاستطالة والظلم و ابا الصلح (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء) أي ترجع والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار الى المسلمين وحكم الفتنة الباغية وجوب قتلها ما قاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب أيدها تاركت (الى أمر الله) المذكور في كتابه من الصلح وزوال الشحنة (فان فاءت) عن النبي الى أمر الله (فأصلحو ايتهما بالعدل) بالانصاف (وأقسطوا) واعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في اصلاح ذات البين (ان الله يحب المقسطين) العادلين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه أقسط وعمرته للسلب أي زال القسط وهو الجور (انما المؤمنون اخوة) فأصلحو ايتهما (أخويكم)

أبدينا

هدا تقرر يرلما ألزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقفة من المؤمنين و بيان أن الايمان

قد عقد بين أهل من السبب القرب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد سورت العادة على أنه اذا نسب مثل ذلك بين الاخوين ولا دالزم السائر أن يتناهضوا في رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة في الدين أحق بذلك اخوتكم يعقوب (واتقوا الله لعلكم ترجون) أي واتقوا الله فالتقوى تحملكم على التواصل والاتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم مر جوار الآية تدل على ان النبي لا يزل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود النبي

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) القوم الرجال خاصة لانهم قوام بأمور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية اذ لو كانت النساء داخلية في قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير في قوله وما أدري ولست أخال أدري \* أقوم آل حصن أم نساء وأما قوطم في قوم فرعون وقوم عادهم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفرقيين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن تواج لرجالهن وتسكر القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشيعان وان يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستغناء اللسان الذي كانوا عليه وقوله عسى (١٨١) أن يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف

ورد مورد جواب المستخبر عن علة الهى والافقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد ان المستخور منه بما كان عند الله خيرا من الساخر اذ لا اطلاع للناس الاعلى الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذي يزن عند الله خلوص الضمان فينبغي ان لا يجترأ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذ ارآه رث الحال أو ذاعاهة في بدنه أو غير ايبقى في محادثته فاعلمه أخاص ضميرا وارتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقيق من وقره الله تعالى وعن ابن مسعود رضى الله عنه البلاء م وكل بالقول لو سخرت من كاب لخشت أن أحول كلبا (ولا تلمزوا أنفسكم) ولا

أيد بنا ولا نبذكم بقتال قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) الآية نزلت في ثلاثة أسباب السبب الاول من أو طه الى قوله خير انهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في أذنه وقر فكان اذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أو سعه والحقى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فا قبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه بمجالسهم فظل كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لحد وكان الرجل اذا جاء فلم يجدهم يجلسون قائم كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخطى رقاب الناس ثم يقول نفسحو وانفسحو واجعلوا بنفسحو له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له نفسح فقال له الرجل أصبت مجلسا فجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال أنا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكرا ماله كان يعبر بهما في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين ذكراهم وكانوا يستهزؤن بفقره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى حذيفة لمارأوه من رثائه حالهم فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم أى لا يستهزؤن غنى بفقر ولا مستور عليه ذنبه من لم يستر ولا ذو حسب بانيهم واشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله خير منه وهو قوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) السبب الثاني قوله (ولا نساء من نساء) أى لا يستهزؤن نساء من نساء (عسى أن يكن خيرا منهن) روى عن أنس انها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عبرن أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت في صفة بنت حبي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن أنس بلغ صفة أن حفصة قالت بنت يهودية فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت قلت لي حفصة انى بنت يهودية فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي وعمك لنبي وانك لتحت نبي ففيم تقتخر عليك ثم قال اتقى الله يا حفصة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب والسبب الثالث قوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنازروا باللقاب) عن أبي جبير بن الضحاك هو أخو ثابت بن الضحاك الانصارى قال فينا نزلت هذه الآية في نبي سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فانزل الله هذه الآية ولا تنازروا

تظعنوا أهل دينكم واللمز الطعن والضرب باللسان ولا تلمزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن عاب المؤمن فكما تمعاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لزم نفسه حقيقة (ولا تنازروا باللقاب) التنازير باللقاب التداعى بها والنزلقب السوء والتلقب المنهى عنه هو ما يتداخل المدعوب به كراهة لكونه تقصيرا به وذكوره فاما ما يحبه فلا بأس به وروى ان قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت حزيمة وكانت قصيرة وعن أنس رضى الله عنه عبرت نساء النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وروى انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول نفسحو واحتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تمنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد ما كان يعبر بهما في الجاهلية فنجل الرجل



من قوه لم طار اسمه في الناس بالكرم أو بالقوم وحقيقة ما سماه من ذكره وارتفع بين الناس كأنه قيل بش الذي كثر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق وقوله بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان والفسق الذي يحظره الايمان كما تقول بش الشأن بعد الكبرة الصبوة وقيل كان في شتامهم لمن أسلم من اليهود يهودى يافاسق فهو اعنه وقيل لم بش الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فأولئك هم الظالمون) وحد وجع للفظ من ومعناه (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثير من الظن) يقال جنبه الشر اذا أبعد عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبني وني أن نعبد الاصنام ومطاوله اجنب الشر فنقص مفعولا والمأمور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى الى قوله (ان بعض الظن اثم) قال الزجاج هو ظنك بأهل الخير سواء فأما أهل الفسق

باللقاب بش الاسم الفسوق بعد الايمان أخرجه أبو داود في الترمذي قال كان الرجل منيا يكون له اسمان وثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الآية ولاتتنازروا باللقاب قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى ولاتتنازروا أنفسكم أى لا يعب بعضكم بعضا ولا يظن بعضكم في بعض والمراد بالانفس الاخوان هنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كانوا عابا عابا عابا عابا فكلما عاب نفسه وقيل لا يتخلوا أحد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكلما عاب هو العاب لنفسه ولاتتنازروا باللقاب أى لا تدعوا الانسان بغير ما سمي به وقال ابن عباس التنازير باللقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى أن يعبر بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر قيل كان الرجل اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد اسلامه يهودى يا نصرانى فهو اعن ذلك وقيل هو أن تقول لاختيك يا كلب يا حمار يا خنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه الالقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذمها فالالقاب التي صارت كالاعلام لصاحبها كالاعمش والاعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها اذا لم يكرهها المدعو بها أو ما باللقاب التي تكسب حمد او مدحا وتكون حقا وصدقا فلا تذكروا كقيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعنان ذو النورين ولعلي أبو تراب وللخالد سيف الله ونحو ذلك (بش الاسم الفسوق بعد الايمان) أى بش الاسم أن تقولوا له يهودى أو نصرانى بعد ما أسلم أو يافاسق بعد ما تاب وقيل معناه أن من فعل ما نهى عنه من السخرية والمزج والتبرؤ فهو فاسق وبش الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فستحق اسم الفسوق (ومن لم يتب) أى من ذلك كله (فأولئك هم الظالمون) أى الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل ظلموا الذين قالوا لهم ذلك بقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثير من الظن) قيل نزلت في رجلين اختلفا بارقية هما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر فزم الرجل المحتاج الى الرجلين موسر بن مخنفهما يتقدمهما الى المنزل فيبهى لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يبهى شيئا لهما فلما قاما قال له ما صنعت شيئا قال لا غلبتني عيناي فتمت قال له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى أسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام وأدم فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فانه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن نحل فبعنا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما جع قالوا بعنا الى بئر سبيعة لغار ما زهائم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جا آ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما الى أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالوا والله يا رسول الله ماتنا ولنا يومنا هذا الجأف قال ظللنا ما تاكلان لحم سلمان وأسامة فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثير من الظن يعنى ان يظن بأهل الخير سوء نهى الله المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شر او قيل هو أن يسمع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوء أو يدخل مدخلا لا يريد به سوء أو يراه أخوه المسلم فيظن شره لان بعض الفعل قد يكون في الصورة فيصحوا في نفس الامر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائي مخطئا فأما أهل السوء والفسق المجاهرون بذلك فلننا ان يظن فيهم مثل الذي يظهر منهم (ان بعض الظن اثم) قال سفيان الثوري الظن ظنان أحد هما ثم وهو ان يظن ويتكلم به والآخرة ليس بأثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن أنواع فنه واجب وما مور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالآخر المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن

فالناس بالكرم أو بالقوم وحقيقة ما سماه من ذكره وارتفع بين الناس كأنه قيل بش الذي كثر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق وقوله بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان والفسق الذي يحظره الايمان كما تقول بش الشأن بعد الكبرة الصبوة وقيل كان في شتامهم لمن أسلم من اليهود يهودى يافاسق فهو اعنه وقيل لم بش الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فأولئك هم الظالمون) وحد وجع للفظ من ومعناه (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثير من الظن) يقال جنبه الشر اذا أبعد عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبني وني أن نعبد الاصنام ومطاوله اجنب الشر فنقص مفعولا والمأمور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى الى قوله (ان بعض الظن اثم) قال الزجاج هو ظنك بأهل الخير سواء فأما أهل الفسق

وعن مجاهد خذ واماظهر  
 ودعوا ماسترالله وقال  
 سهل لا تبخشوا عن طلب  
 معايب ماسترالله على  
 عباده (ولا يغتب بعضكم  
 بعضا) الغيبة الذ كر بالغيب  
 في ظهر الغيب وهي من  
 الاغتيال كالغيلة من  
 الاغلال وفي الحديث هو  
 أن تذكرك بما يكره  
 فان كان فيه فهو غيبة  
 والا فهو بهتان وعن ابن  
 عباس الغيبة ادم كلام  
 الناس (أوجب أحدكم أن  
 يأكل لحم أخيه ميتا) ميتا  
 مدني وهذا تمثيل وتصوير  
 لما يناله المقتاب من عرض  
 الغتاب على الخش وجه  
 وفيه مبالغات منها الاستفهام  
 الذي معناه التكرير  
 ومنها جعل ما هو في الغاية  
 من الكراهة موصولا  
 بالحبة ومنها اسناد الفعل  
 الى أحدكم والاشعار بان  
 أحد من الاحدين لا يجب  
 ذلك ومنها ان لم يقتصر  
 على تمثيل الاغتيال يا كل  
 لحم الانسان حتى جعل  
 الانسان أخا ومنها ان لم  
 يقتصر على لحم الاخ حتى  
 جعل ميتا وعن قتادة كما  
 نكره ان وجدت جيفة  
 مدودة أن تأكل منها  
 كذلك فأكراه لحم أخيك  
 وهو حي فاتصبت ميتا على

بالاخ المسلم (ولا تجسسوا) أي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من أمور الناس  
 وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ماستر الله منها (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
 اياكم والظن لان الظن أ كذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تنافسوا ولا تنافسوا ولا تنافسوا ولا  
 تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يتخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى  
 ههنا التقوى ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام  
 دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس  
 بالجيم التفتيش عن بواطن الامور وكثير ما يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى حديث  
 الغير وقيل معناها واحد وهو طلب الاخبار وقوله ولا تنافسوا أي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من أسباب  
 الدنيا وحظوظها والحسد تمنى زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا أي لا يعطى كل واحد منكم أخاه دبره  
 وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع  
 يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من  
 تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر  
 يوما الى الكعبة فقال ما أعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك أخرجه الترمذي وقال  
 حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال أتى ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خراف قال عبد الله  
 ان انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر الينا شيء نأخذ به أخرجه ابوداود وله عن عقبه بن عامر أن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مؤودة (م) عن أبي هريرة أن النبي صلى  
 الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبد في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة قوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) أي  
 لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
 أتدرون ما الغيبة قلت الله ورسوله أعلم قال ذكرك بما يكره قلت وان كان في أخي ما أقول قال ان  
 كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته أخرجه مسلم عن عائشة قالت قلت للنبي صلى الله عليه  
 وسلم حسبك من صفة كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر  
 لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما أحب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا أخرجه ابوداود والترمذي  
 وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته أي خالطته مخالطة بتغيرها طعمه ويربحه لشدة نيتها وقبحها وهذا  
 الحديث من أبلغ الزاوج عن الغيبة قوله تعالى (أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) قال  
 مجاهد لما قيل أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا  
 ذكروه بسوءه غائب قيل تاويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوءه بمنزلة كل لحم وهو ميت لانه لا يحس بذلك  
 وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كالحمة ودمه لان الانسان يتالم قلبه اذا ذكر بسوءه كما يتالم جسده اذا قطع  
 لحمه والعرض أشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الناس فترك أعراضهم أولى وقوله لحم  
 أخيه آكد في المنع لان العدو قد يحمله الغضب على أكل لحم عدوه وقوله ميتا أبلغ في الزجر عن أنس قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرجي من مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي  
 نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم  
 أخرجه ابوداود وقال ميمون بن سيار بيننا أنا نائم اذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل يا عبد الله قلت وما آكل  
 قال كل بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان  
 ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب أحدا عنده قوله تعالى (واتقوا الله) أي في أمر الغيبة

الحال من اللحم أمن أخيه ولما قررهم بان أحد منهم لا يجب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله (فكرهتموه) أي فنهتكم كراهتكم له  
 باستقامة العقل فليتحقق أيضا أن نكروها ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الدين (واتقوا الله



رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاماً أسود يقول من اشتراني فعلى شرط أن لا يعنى من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه بعضهم فرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفي فحضر دفنه فقالوا في ذلك شيئاً فنزلت (ان الله عليم) كرم القلوب وتقواها (خير) بهم النفوس في هواها (قالت الاعراب) أي بعض الاعراب لان من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر وهم أعراب بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة فآظفروا الشهادة يريدون الصدقة (١٨٥) و يمتنون عليه (آمننا) أي ظاهراً

و باطنا (قل) لهم يا محمد (لم تؤمنوا) تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) فالإيمان هو التصديق والاسلام الدخول في السلم والخروج من أن يكون حراً بالموثنيين باظهار الشهادة التي الأتري الى قوله (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) فأعلم أن ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطاة القلب فهو اسلام وما وطأ فيه القلب باللسان فهو إيمان وهذا من حيث اللغة وأما في الشرع فالإيمان والاسلام واحد لما عرف وفي لما معنى التوقع وقد دل على أن بعض هؤلاء قد آمنوا قلوباً بعد الآية تنقض على الكرامية مذهبهم أن الإيمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان فان قلت مقتضى نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمننا ولكن قولوا أسلمنا وقل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم قلت أفادهذا النظم تكذيب دعواهم أولاً فقيس لم

المشهور وحكي كسرهما ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد منا خافزل على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذي أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس ان الناس رجلا ن يرتقى كرم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنتى ثم قال أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والمحجن عصا محنية الرأس كالصولجان وقوله عيبة الجاهلية يعني كبرها ونفرها (ان الله عليم) أي بطواهر كم ويعلم أنسابكم (خير) أي ببواطنكم لا تخفي عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل التقى هو العالم بالله المواظب على الوقوف بيبابه المتقرب الى جنبه وقيل حد التقوى أن يجتنب العبد المناهي ويأتي بالأمور والفضائل ولا يغتر ولا يامن فان اتفق أن يرتكب منهيها لا يامن ولا يتكلم بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيها لم يتب في الحال واتكلم على المهلة وغره طول الأمل فليس يمتق لان المتق لم يترك ما أمر به ويترك ما نهى عنه وهو مع ذلك خاش لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت لحظة الى نفسه وأهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه وجعله توبة جعلنا الله واياكم من المتقين ﴿ قوله تعالى ﴾ (قالت الاعراب آمننا) الآية نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمه قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فآظفروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فآفسدوا طرق المدينة بالقدرات وأغلوأ أسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أنتك العرب بانفسهم على ظهورهم واحلها وجشناك بالاتقال والعيال والذراري ولم تقانك كما قالتك بنو فلان وبنو فلان يمتنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فانزل الله فيهم هذه الآية وقيل نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم جهيمة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون آمننا لمنواعي أنفسهم وأموالهم فلما استغفر والمحدثين تخلفوا عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب آمننا أي صدقنا (قل لم تؤمنوا) أي لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) أي استسلمنا واتقنا مخافة القتل والسبي (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) أخبر أن حقيقة الإيمان هو التصديق بالقلب وأن الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا يكون إيماناً دون التصديق بالقلب والاخلاص (ق) عن سعد ابن أبي وقاص قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً وأنا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً منهم هو أعجبهم الى فقلت مالك عن فلان والله اني لأراه مؤمناً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أر مسلماً ذلك سعد ثلاثاً وأجابهم بذلك ثم قال اني لأعطي الرجل وغبره أحب الى منه خشية أن يكذب في النار على وجهه زاد في رواية قال الزهري فترى أن الاسلام الكامة والإيمان والعمل الصالح لفظا لحيدى اعلم أن الاسلام هو الدخول في السلم وهو الاتقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله لا يراهم عليه السلام أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ما هو اتقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا أسلمنا وما يدخل الإيمان في قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة

(٢٤ - (خازن) - رابع) تؤمنوا مع أدب حسن فلم يقل كذبتم تصریحاً ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما دعوا اثباته موضعه واستغنى بقوله لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمننا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالإيمان ولم يقل ولكن أسلمتم ايكون خارجاً مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمننا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان كالسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به وليس قوله ولما يدخل الإيمان في قلوبكم تكبر بالمعنى قوله لم تؤمنوا فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب لدعواهم وقوله ولما يدخل الإيمان في قلوبكم نوقيت لما أمر به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حيث لم تثبت مواطاة قلوبكم لأنك لا تستطيعون كلام واقع موقع الحال

من الضمير في قوله (وان تطيعوا الله ورسوله) في السر بترك النفاق (لا يلبتكم) لا يأتكم بصرى (من أعمالكم شيئاً) أى لا ينقصكم من ثواب حسناتكم شيئاً يأت يات والأت يلبت ولات يلبت بمعنى وهو النقص (ان الله غفور) بستر الذنوب (رحيم) يهدايتهم للتوبة عن العيوب ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه في الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه ولما كان الايقان وزوال الريب ملك الايمان أفرد بالذكر بعد تقدم الايمان تبيينها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي اشعاراً باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضاضاً جديداً (وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) يجوز أن يكون المجاهد منوياً وهو العدو والحارب والشيطان أو

الطوى وأن يكون جاهد مبالغته في جهده ويجوز أن يراد المجاهدة بالنفس الغزوة وأن يتناول العبادات باجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عمان في جيش العسرة وأن يتناول الزكاة وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر وخبر المبتدأ الذي هو المؤمنون (اولئك هم الصادقون) أى الذين صدقوا في قولهم آمنوا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني أسد وهم الذين ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاؤا وحلقوا انهم مخلصون فنزل (قل اتعابون الله بدينكم) أى اتخبرونه بتصديقي قلوبكم (والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شئ عليم) من النفاق والاخلاص وغير ذلك (يؤمنون عليكم أن) أى بان (أسماوا) يعنى

وطمأنينة النفس عليه والاسلام هو الدخول في السلم والخروج من أن يكون حراً بالمسلمين مع اظهار الشهادتين فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالإيمان لا يحصل الا بالقلب والالتقاد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام أعم والإيمان أخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمراً غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم والخصوص متحدان في الوجود فذلك المؤمن والمسلم ﴿ وقوله تعالى (وان تطيعوا الله ورسوله) أى ظاهر او باطن اسرار وعلائية وقال ابن عباس تخلصوا له الايمان (لا يلبتكم) أى لا ينقصكم (من أعمالكم شيئاً) أى من ثواب أعمالكم (ان الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أى يشكوا في دينهم (وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون) أى في ايمانهم ولما نزلت هاتان الآيتان أتمت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله عز وجل (قل أنعلمون الله بدينكم) أى تخبرون الله بدينكم الذى أتم عليه (والله يعلم ما في السموات وما في الارض) أى لا تخفى عليه خافية (والله بكل شئ عليم) أى لا يحتاج الى اخباركم (يؤمنون عليكم أن أسماوا) هو قولهم أسماوا ولم نحاربك بمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك أن اسلامهم لم يكن خالصاً (قل لا آمنوا على اسلامكم) أى نعتدوا على اسلامكم (بل الله بمن عليكم أن هذا لكم للإيمان) أى الله المنة عليكم أن أرشدكم وأمدكم بتوفيقه حيث هذا لكم للإيمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى (ان كنتم صادقين) انكم مؤمنون (ان الله يعلم غيب السموات والارض) أى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ في السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلايتكم (والله بصير بما تعملون) أى بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى أعلم

### ﴿ تفسير سورة ق ﴾

وهي مكية وهي خمس وأربعون آية وثلاثمائة وسبع وخمسون كلمة وألف وأربع مائة وأربع وتسعون حرفاً

### ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل (ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من أسماء الله وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضى الامر أو قضى ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كتفاها وخضرة

باسلامهم والمن تذكر الايدى تعريضاً للشكر (قل لا آمنوا على اسلامكم بل الله بمن عليكم) أى المنة الله عليكم

(أن هذا لكم) بان هذا لكم أولان (للإيمان ان كنتم صادقين) ان صح زعمكم وصدقت دعواكم إلا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان بالله فله المنة عليكم وقرئ أن هذا لكم (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) وبالبياء مكى وهذا بيان اسكونهم غير صادقين في دعواهم يعنى أنه تعالى يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلايتكم لا يخفى عليه منه شئ فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وهو علام الغيوب

﴿ سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) الكلام في (ق)

والقرآن المجيد بل عجبوا) كالكلام في ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا سوءا بسوءا لانتقامها في أسلوب واحد المجيد ذو الحمد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علمها بما فيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقوله بل عجبوا أى كنفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) أى محمد صلى الله عليه وسلم انكار لتعجبهم مما ليس بحجيب وهو أن ينذرهم بالخوف رجل منهم قد عرف فواعده الله وأماته ومن كان كذلك لم يكن الا ناصحا قوم خائفين ان ينالهم مكرهه واذا علم أن مخوفوا اظهروا لهم لزمه أن ينذرهم فكيف هو غاية المخاوف وانكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدره الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شئ واقرارهم بالنشأة الاولى مع شهادة العقل بانه لا بد من الجزاء ثم عول على أحد الانكارين بقوله (فقال الكافرون هذا شئ عجب انذمتنا وكننا اربابا) دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجوع واذا منصوب بمضمرة معناه أحيان نموت وبلى (١٨٧) نرجع متنافاع وعلى وجزوه وحفص

(ذلك رجع بعيد) مستبعد  
مستنكر كقولك هذا  
قول بعيد أى بعيد من  
الوهم والعادة ويجوز أن  
يكون الرجوع بمعنى الرجوع  
وهو الجواب ويكون  
من كلام الله تعالى استبعادا  
الانكارهم ما أنذروا به  
من البعث والوقف على  
ترابا على هذا حسن وناسب  
الظرف اذا كان الرجوع  
بمعنى الرجوع ما دل عليه  
المنذر من المنذر به وهو  
البعث (قد علمنا ما تنقص  
الارض منهم) رد لاستبعادهم  
الرجوع لان من لطف علمه  
حتى علم ما تنقص الارض  
من أجساد الموتى وتاكله  
من لحومهم وعظامهم كان  
قادرا على رجوعهم أحياء كما  
كانوا (وعندنا كتاب

السماء منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراءه الا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة (والقرآن المجيد) أى الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في جواب القسم قيل جوابه محذوف تقديره تبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بحجيب وهو أن يخوفهم رجل منهم قد عرف فواعده الله وأماته وصدق (فقال الكافرون هذا شئ عجب) أى محجب غريب (أنذمتنا وكننا اربابا) أى أحيان نموت ونبلى نبعت وترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه (ذلك رجع بعيد) أى بعد أن نبعت بعد الموت قال الله تعالى (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) أى ما نأكل الارض من لحومهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شئ (وعندنا) أى مع علمنا بذلك (كتاب حفيظ) بمعنى محفوظ أى من التبدل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ أى حافظ لعدددهم وأسمائهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد أثبت فيه ما يكون (بل كذبوا بالحق) أى بالقرآن (لما جاءهم) قيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم (فهم فى أمر مريب) أى مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط أمرهم قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ومرة مجنون ويقولون فى القرآن مرة سحر ومرة جحيم ومرة مفرى فكان أمرهم مختلطا ما بساعليهم وقيل فى هذه الآية من رك الحق مرجع عليه أمره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك يوم الحق الامرج عليهم أمرهم ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) أى بغير عمد (وزيناها) أى بالكواكب (وما لها من فروج) أى شقوق وصدوع (والارض مددناها) أى بسطناها على وجه الماء (والقينا فيها رواسي) أى جبالا ثوابت (وأثبتنا فيها من كل زوج هبيج) أى من كل صنف حسن كريم يتهيج به أى يسر به (تبصرة) أى جعلنا ذلك تبصرة (وذكري) أى تذكرة (لكل عبد منيب) أى راجع الى الله تعالى والمعنى ليتبصروا يتذكروا به من أناب (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أى كثيرا الخير والبركة فيه حياة كل شئ وهو المطر (فأبنتنا به) أى بذلك الماء (جنات) أى بساتين (وحب الحصيد) يعنى البر

حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) اضرب اتبع الاضراب الاول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أقطع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة الثابتة بالهجرات فى أول وهلة من غير تفكير ولا تدبر (فهم فى أمر مريب) مضطرب يقال مرج الخاتم فى الاصبع اذا اضطرب من سعته فيقولون تارة شاعر وطور ساحر ومرة كاهن لا يثبتون على شئ واحد وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بغير عمد (وزيناها) بالنيرات (وما لها من فروج) من فتوق وشقوق أى انها سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل (والارض مددناها) دحونها (والقينا فيها رواسي) جبالا ثوابت لولاها لاهى لمالت (وأثبتنا فيها من كل زوج) صنف (هبيج) يتهيج به لحسنه (تبصرة وذكري) ليتبصروا ويتذكروا (لكل عبد منيب) راجع الى ربه مفكر فى بدائع خلقه (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثيرا المنافع (فأبنتنا به جنات وحب الحصيد) أى وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما

(والنخل باسقات) طوالأى السماء (لهاطلع) هوكل مايطلع من ثمرالنخيل (نضيد) منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكمه  
 أولكثرة ما فيه من الثمر (رزق للعباد) أى أنبتناها رزق العباد لان الانبات فى معنى الرزق فيكون رزقا مصدر امن غير لفظه وهو مفعول  
 له أى أنبتناها لرزقهم (وأحيينا به) بذلك الماء (بلد ممتا) قد جيف نباتها (كذلك الخروج) أى كما حيت هذه البلدة الميتة كذلك  
 نخرجون أحياء بعد موتكم لان احياء الموات كاحياء الاموات والكاف فى محل الرفع على الابتداء (كذبت قبلهم) قبل قريش  
 (قوم نوح وأصحاب الرس) هو برلم تطوورهم قوم باليمامة وقيل أصحاب الاخدود (وثمود وعاد وفرعون) أراد بفرعون قومه كقوله من  
 فرعون وملئهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (واخوان لوط وأصحاب الايكة) سماهم اخوانه لان بينهم وبينه نسبا قريبا  
 (وقوم تبع) هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وسمى به لكثرة تبعه (كل) أى كل واحد منهم (كذب الرسل) لان من  
 كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم (حق وعيد) فوجب وحل وعيدى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفيعينا)  
 عى بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله (١٨٨) والهمزة لانكار (بالخلق الاول) أى انالم نهجز عن الخلق الاول فكيف نهجز عن

الثانى والاعتراف بذلك  
 اعتراف بالاعادة (بل هم  
 فى لبس) فى خلط وشبهة قد  
 لبس عليهم الشيطان وحيرهم  
 وذلك تسوية اليهم ان  
 احياء الموتى امر خارج  
 عن العادة فتركوا لذلك  
 الاستدلال الصحيح وهو  
 ان من قدر على الانشاء  
 كان على الاعادة اقدر (من  
 خلق جديد) بعد الموت  
 وانما تكر الخلق الجديد  
 ليدل على عظمة شأنه وان  
 حق من سمع به أن يخاف  
 ويهتم به (ولقد خلقنا  
 الانسان ونعلم ما توسوس  
 به نفسه) الوسوسة الصوت  
 الخفى ووسوسة النفس  
 ما يحطس ببال الانسان  
 ويهجس فى ضميره من

والشعر وسائر الجيوب التى تحصد (والنخل باسقات) أى طوالاوقيل مستويات (لهاطلع) أى ثمر يطلع  
 و يظهر و يسمى طلعا قبل أن يتشقق (نضيد) أى متراكب بعضه على بعض فى أكامه فاذا تشقق وخرج من  
 أكامه فلبس بنضيد (رزقا) أى جعلنا ذلك رزقا (للعباد أو أحيينا به) أى بالمر (بلد ممتا) فانبثنا فيها  
 الكلا والعشب (كذلك الخروج) أى من القبور أحياء بعد الموت قوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح  
 وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة) قيل كان لوط مرسلا ٦ الى طائفة من  
 قوم ابراهيم ولذلك قال واخوان لوط (وقوم تبع) هو أبو كروب أسعد تبع الجبرى وقد تقدم قصص جميعهم  
 قيل ذم الله عز وجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف لقومه فلهاذا خص بالذكر  
 دونهم (كل كذب الرسل حق وعيد) أى كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلاهم حق وعيدى أى وجب لهم  
 عذابى وقيل حق وعيدى للرسول بالنصر (أفيعينا بالخلق الاول) هذا جواب لقولهم ذلك رجوع بعيد والمعنى  
 أعجزنا حين خلقناهم ولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وأنكروا البعث (بل هم فى  
 لبس) أى شك (من خلق جديد) وهو البعث قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به  
 نفسه) أى ما يحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائره وضمائره (ونحن أقرب اليه من جبل الورد) بيان لكمال  
 علمه أى نحن أعلم به منه والورد يد العرق الذى يجرى فيه الدم ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن وهو بين  
 الخلقوم والعلباوين ومعنى الآية ان أجزاء الانسان وأعضائه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شئ  
 وقيل يحتمل أن يكون المعنى ونحن أقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجرى فيه أمرنا كما يجرى الدم فى عروقها (اذ  
 يتلقى المتلقين) أى يتلقن الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه (عن اليمن وعن  
 الشمال) يعنى ان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمن يكتب الحسنات وصاحب الشمال  
 يكتب السيئات (فعيد) أى قاعد وكل واحد منهما فعيد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل أراد

بالقعيد

حديث النفس والباء مثلها فى قوله صوت بكذا (ونحن أقرب اليه) المراد

قرب علمه منه (من جبل الورد) هو مثل فى فرط القرب والورد يد عرق فى باطن العنق والجبل العرق والاضافة للبيان كقولهم بعير سانية  
 (اذ يتلقى المتلقين) يعنى الملكين الحافظين (عن اليمن وعن الشمال قعيد) التلقى بال حفظ والكتابة والعقيد المقاعد كالجليس بمعنى  
 لجالس وتقديره عن اليمن قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقين فترك أحدهما للدلالة الثانية عليه كقوله رمانى بأمر كنت منه والذى  
 برىثا ومن أجل الطوى رمانى أى رمانى بأمر كنت منه برىثا وكان والذى منه برىثا واذ منصوب بأقرب لما فيه من معنى وما يقرب ٣ والمعنى  
 انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس ولا شئ أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ابدا  
 يان استحقاق الملكين أمر هو غنى عنه وكيف لا يستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وانما ذلك للحكمة وهو ما فى كتبه للملكين  
 وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة طافله فى الاتهاء عن السيئات والرغبة فى الحسنات

٦ قوله الى طائفة من قوم ابراهيم كذا بالاصول ولعل الظاهر الى طائفة من قومه بدليل تعليقه وعبارة النسب بالهاتم واضحه اه

(ما يلفظ من قول) ما يتكلم به وما يرمى به من فيه (الالديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضر ثم قيل يكتبان كل شئ حتى أينته في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما فيه أجر أو وزر وقيل ان الملكين لا يجتنبانه الا عند الغائط والجماع لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه أعلمهم ان ما أنكروه هم لا قوه عن قريب عندهم وهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله (وجاءت سكرة الموت) أي شدته الداهية بالعقل ملتبسة (بالحق) أي بحقيقة الامر أو بالحكمة (ذلك ما كنت منه) الاشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات (تحيد) تنفرو وتمهرب (ونفخ في الصور) يعني نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أي وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) أي ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله ومحل معه سائق النصب على الحال من كل (١٨٩) تعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم

المعرفة (لقد كنت) أي يقال لها لقد كنت (في غفلة من هذا) النازل بك اليوم (فكشفتنا عنك غطاء) أي فازلنا غفلك بما تشاهده (فبصرك اليوم حديد) جعلت الغفلة كأنها غطاء غطي بها جسده كله أو غشاوة غطي بها عينيه فهو لا يبصر شيئاً فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديداً لتيقظه (وقال قرينه) الجمهور على انه الملك الكاتب الشهيد عليه (هذا) أي ديوان عمله مجاهد شيطانه الذي فيض له في قوله تقيض له شيطاناً فهو له قرين هذا أي الذي وكلت به (مالدي عتيد) هذا مبتدأ وما نكرة بمعنى

بالعتيد الملازم الذي لا يبرح (ما يلفظ من قول) أي ما يتكلم من كلام يخرج من فيه (الالديه رقيب) أي حافظ (عتيد) أي حاضر أي ما كان سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما يتأخران عنه فلا يجوز للانسان أن يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يؤذي الملائكة بدنوهم منه وهو على تلك الحالة حتى يكتب ما يتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شئ يتكلم به حتى أينته في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما له أجر او ثواب أو عليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الخنك وكان الحسن البصري يحجه أن ينظف عنقه حتى روى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشر او اذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر <sup>١</sup> قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت) أي غمرته وشده التي تغشى الانسان وتغلب على عقله (بالحق) أي حقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة (ذلك ما كنت منه تحيد) أي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه تميل وقيل تمهرب وقال ابن عباس نكره (ونفخ في الصور) يعني نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أي ذلك اليوم الذي وعد الله الكفار أن يعذبهم فيه (وجاءت) أي في ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) أي يسوقها الى المحشر (وشهيد) أي يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهدين أنفسهم الايدي والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس (لقد كنت في غفلة من هذا) أي من هذا اليوم في الدنيا (فكشفتنا عنك غطاءك) أي الذي كان على قلبك وسمعك وبصرك في الدنيا (فبصرك اليوم حديد) أي قوى ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به في الدنيا وقيل ترى ما كان محجوباً عنك وقيل نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك (وقال قرينه) يعني الملك الموكل به (هذا مالدي) أي عتدي (عتيد) أي معد محضرو وقيل يقول الملك هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله (القيافي جهنم) أي يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا أمر للسائق والشهيد (كل كفار) أي شديد الكفر (عتيد) أي عاص معرض عن الحق معاند لله فيما أمر به (منع للخير) أي لازكاة المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله (معتد) أي ظالم لا يقرب بتوحيد الله (مريب) أي شاك في التوحيد (الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد) يعني النار (قال قرينه)

شئ والظرف بعده وصف له وكذلك عتيد وما وصفها خبر هذا والتقدير هذا شئ ثابت لدى عتيد ثم يقول الله تعالى (ألقيا) والخطاب للسائق والشهيد أو لملك وكان الاصل ألقى ألقى فتاب ألقيا عن ألقى لان الفاعل كالجزم من الفعل فكانت تشنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل وقيل أصله ألقين والالف بدل من النون اجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن ألقين (في جهنم كل كفار) بالنعم والمنعم (عتيد) معاند بجانب للحق معاد لاهله (منع للخير) كثير المنع للعمال عن حقوقه أو مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله (معتد) ظالم متعطل للحق (مريب) شاك في الله وفي دينه (الذي جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره (فالقياه في العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار والقياه تكرير للتوكيد ولا يجوز ان يكون صفة لكفار لان النكرة لا توصف بالوصول (قال قرينه) أي شيطانه الذي قرن به وهو شاهد لمجاهد وانما أخلت هذه الجملة عن الواو دون الاولى لان الاولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني محي



كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قاله وأما هذه فهي مستأنفة كما استأنف الجبل الواقعة في حكاية التقاويل كما في مقابلة موسى وفرعون فكان الكافر قال رب هو أطعاني فقال قرينه (ر بنا ما أطعيتي ولكن كان في ضلال بعيد) أي ما وقعته في الطغيان ولكنه طغي واختار الضلالة على الهدى (قال لا تختصموا) (١٩٠) هو استئناف مثل قوله تعالى قال قرينه كأن قال قال الله فقيل قال

يعني الشيطان الذي قبض لهذا الكافر (ر بنا ما أطعيتي) قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقي في النار يقول ر بنا أطعاني شيطاني فيقول الشيطان ر بنا ما أطعيتي أي ما ضللته وما أغويته (ولكن كان في ضلال بعيد) أي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعني الملك يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الحكمة فيقول الملك ر بنا ما أطعيتي أي ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد أي طويبل لا يرجع عنه الى الحق (قال) الله تعالى (لا تختصموا لدي) أي لا تعتدروا واعتدي بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أي بالقرآن وأنذرتكم على أسن الرسل وحذرتكم عذابي في الآخرة لمن كفر (ما يبدل القول لدي) أي لا تبدل لقولي وهو قوله عز وجل لا ملان جهنم ونقضت عليكم ما أنقض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندي ولا يغير القول عن وجهه لاني علام الغيوب وأعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الذي يدل عليه انه قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل قولي (وما أنا بظلام للعبيد) أي فاعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فاز يد على اساءة المسيء أو نقص من احسان المحسن قوله عز وجل (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده (وتقول) يعني جهنم (هل من مزيد) يعني تقول قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلي فهو استفهام انكاري وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها فيها وروى عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لا ملان جهنم من الجنة والناس أجمعين فاما سبق أعداء الله اليها ليلقي فيها فوج الاذهب فيها ولا يملؤها شيء فتقول ألسنت قد أقسمت لئلا في يوضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول قط قد امتلأت وليس في مزيد (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفي رايه العزة فيها قدمه فيزوي بعضها الى بعض وتقول قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولا في هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه أحدا **فصل** هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين انه لا يتكلم في تأويلها بل تؤمن بانها حق على ما أراد الله ورسوله ونجربها على ظاهرها وطائفة من ابيقها وظاهرها شيء مراد والمذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انها تأويل بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المقدم وهو سائغ في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان في المخلوقات من تسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضي عياض أظهر التأويل انهم قوم استحقوا وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى والله أعلم قوله قط أي حسبي حسبي قد استفتيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرهما منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه أحد أي انه يستحيل الظلم في حق الله تعالى فمن عذبه بذنب أو بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى **فصل** قوله تعالى (وأزلفت الجنة) أي قربت وأذنبت (للمتقين) أي الذين اتقوا الشرك (غير بعيد) يعني

لا تختصموا (لدي) وقد قدمت اليكم بالوعيد) أي لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصاصكم ولا طائل تحتته وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبتي وعلى السنة رسلي فانركت لكم حجة على والباء في بالوعيد مزيدة كما في قوله ولا تلقوا بأيديكم أو معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم (ما يبدل القول لدي) أي لا تطعموا ان أبدل قولي ووعيدي بادخال الكفار في النار (وما أنا بظلام للعبيد) فلا أعذب عبدا بغير ذنب وقال بظلام على لغة المبالغة لانه من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده (يوم) نصب بظلام أو بمضمر هو ذكر وأنذر (يقول) نافع وابوبكر أي يقول الله (جهنم هل امتلأت) وتقول هل من مزيد) وهو مصدر كالمجيد أي انها تقول بعد امتلائها هل من مزيد أي هل يبق في موضع لم يمتلي يعني قد امتلأت وانها تستزيد وفيها موضع

انها

للمزيد وهذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كناطق الجوارح والسؤال لتوبيخ

الكفرة لعله تعالى بانها امتلأت أم لا (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) غير نصب على الظرف أي مكانا غير بعيدا وعلى الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالصليب والمصدر يستوي في الوصف بالمدكر والمؤنث وعلى حذف الموصوف أي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما

تقول هو قريب غير بعيد وعزير غير ذليل (هذا) مبتدأ وهو إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر أزلفت (ما توعدون) صفة وبالياء مكى (لكل أواب) رجاء إلى ذكر الله خبره (حفيظ) حافظ لحدوده في الحديث من حافظ على أربع ركعات في أول النهار كان أو باحفيظ (من) مجرور المحل بدل من أواب أو رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لأن من في معنى الجمع (خشى الرحمن) الخشية ازعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسم الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أتى عليه بأنه خاش مع أن الخشي منه غائب (بالغيب) حال من المفعول أي خشيه وهو غائب (١٩١) أو صفة لمصدر خشى أي خشيه

خشية مذبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب الحسن اذا أغلق الباب وأرخى الستر وجاء بقلب منيب) راجع إلى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة (ادخلوها بسلام) أي سالمين من زوال النعم وحلول النقم (ذلك يوم الخلود) أي يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالد بن أي مقدرى الخلود (لهم ما يشاؤون فيها ولدنا مزيد) وقيل المز يد هو النظر إلى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة في دار كرامته فهذا هو المز يد ﴿ قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم) أي قبل كفار مكة (من قرن هم أشد منهم بطشا) يعني سطوة والبطش الاخذ بصولة وعنق (فنقبوا في البلاد) أي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق (هل من محيص) أي فلم يجدوا لهم محيصاً أي مهر يامن أمر الله وقيل لا يجدون لهم مفر من الموت بل يموتون فيصرون إلى عذاب الله وفيه تخويف لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم (ان في ذلك لذكرى) أي ان فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله (وألقى السمع) أي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره (وهو شهيد) أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه ﴿ قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) أي اعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض وما بينهما في ستة أيام أو لها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فانزل الله تعالى هذه الآية رد عليهم وتكذيباً لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الامام غفر الدين الرازي في تفسيره والظاهر ان المراد رد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما فاقوله وما مسنا من لغوب أي ما تعبنا بالخلق الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانياً كما قال الله تعالى أفعيننا بالخلق الاول الآية وأما ما قاله اليهود وثقوا به من التوراة فهو ما تحريف منهم أولم يعاونا تأويله وذلك ان الاحد والاثنين أزمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والارض ابتدئ يوم الاحد لكان

انها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل ان يدخلوها (هذا ما توعدون) أي يقال لهم هذا الذي وعدتم به في الدنيا على السنة الانبياء (لكل أواب) أي رجاء عن المعصية إلى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذي يذنب ثم يتوب في الخلافة فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسيح وقيل هو المصلح (حفيظ) قال ابن عباس الحافظ لا امر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو المحافظ على نفسه المتمهد لها المراقب لها وقيل هو المحافظ على الطاعات والامور (من خشى الرحمن بالغيب) أي خاف الرحمن فاطاعه وان لم يره وقيل خافه في الخلوة بحيث لا يراه أحد الا في الستر وأغلق الباب (وجاء بقلب منيب) أي مخلص مقبل على طاعة الله (ادخلوها) أي يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة (بسلام) أي بسلامة من العذاب والطموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم. وقيل بسلامة من زوال النعم (ذلك يوم الخلود) أي في الجنة لانه لا موت فيها (لهم ما يشاؤون فيها) وذلك انهم يسألون الله حتى تنتهي مستلتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيد الله عبيده ما لم يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى (ولدنا مزيد) وقيل المز يد هو النظر إلى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة في دار كرامته فهذا هو المز يد ﴿ قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم) أي قبل كفار مكة (من قرن هم أشد منهم بطشا) يعني سطوة والبطش الاخذ بصولة وعنق (فنقبوا في البلاد) أي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق (هل من محيص) أي فلم يجدوا لهم محيصاً أي مهر يامن أمر الله وقيل لا يجدون لهم مفر من الموت بل يموتون فيصرون إلى عذاب الله وفيه تخويف لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم (ان في ذلك لذكرى) أي ان فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله (وألقى السمع) أي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره (وهو شهيد) أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه ﴿ قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) أي اعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض وما بينهما في ستة أيام أو لها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فانزل الله تعالى هذه الآية رد عليهم وتكذيباً لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الامام غفر الدين الرازي في تفسيره والظاهر ان المراد رد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما فاقوله وما مسنا من لغوب أي ما تعبنا بالخلق الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانياً كما قال الله تعالى أفعيننا بالخلق الاول الآية وأما ما قاله اليهود وثقوا به من التوراة فهو ما تحريف منهم أولم يعاونا تأويله وذلك ان الاحد والاثنين أزمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والارض ابتدئ يوم الاحد لكان

على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسائرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصاً حتى يؤموا مثله لانفسهم ويدل عليه قراءة من قرأ فنقبوا على الامر (هل من محيص) بهرب من الله أو الموت (ان في ذلك) المذكور (لذكري) تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) واع لان من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له (وألقى السمع) أصنى إلى المواعظ (وهو شهيد) حاضر بفتنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) اعياء قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيباً لقولهم خلق الله السموات والارض في ستة أيام أو لها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذي وقع

من التشبيه في هذه الامتلاء ارفع من اليهود ومنهم اخذوا نكر اليهود التبريع في الجلوس وزعموا انه جلس تلك الجلسة يوم السبت (فاصبر على ما يقولون) أي على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه أو على ما يقول المشركون في أمر البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم (وسبح بحمد ربك) حامد اربك والتسبيح محمول على طاهره أو على الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر (١٩٢) والعصر (ومن الليل فسبحه) العشاء أن أو التهجد (وادبار السجود) التسبيح

في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات أو الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وادبار مجازي وحزرة وخلف من أدبرت الصلاة اذا انقضت وعت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيتك خفوق النجم (واستمع) لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن الخبر به وقد وقف يعقوب عليه واتصّب (يوم ينادى المنادى) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أي يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور وقيل تقديره واستمع حديث يوم ينادى المنادى بالياء في الحالين مكى وسهل ويعقوب وفي الوصل مدنى وأبو عمرو وغيرهم بغير ياء فيهما والمنادى اسرافيل ينفخ في الصور وينادي أي بها العظام بالياء والواصل المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله

الزمان قبل الاجسام والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام لان اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات والارض لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان أي مدة كانت قوله عز وجل (فاصبر على ما يقولون) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اصبر يا محمد على ما يقولون أي من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم (وسبح بحمد ربك) أي صل حامد الله (قبل طلوع الشمس) أي صلاة الصبح (وقبل الغروب) يعني صلاة المغرب قال ابن عباس صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعني صلاة المغرب والعشاء وقيل يعني صلاة الليل أي وقت صلى (وادبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية عن ابن عباس وروى مرفوعا عن عائشة رضی الله تعالى عنها قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر (م) عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما أخصى ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في قوله وادبار السجود التسبيح باللسان في ادبار الصلوات المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح في ادبار الصلوات كلها يعني قوله وادبار السجود (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر (خ) عنه ان فقراء المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدنور بالبرجات والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا صلوا كما صلينا واجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم ولبست لنا أموال قال أفلا أخبركم بما مر نذركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرة وتسبحون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل (واستمع يوم ينادى المنادى) يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادى المنادى وقيل معناه انتظر صيحة القيامة والنشور قال المفسرون المنادى هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادى في الحشر فيقول يا أيها العظام الالية والواصل المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامر كن أن تجتمعن لفصل القضاء وهو قوله تعالى (من مكان قريب) قيل ان صخرة بيت المقدس أقرب الارض الى السماء ثمانية عشر ميلا وقيل هي في وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة بالحق) أي الصيحة الاخيرة (ذلك يوم الخروج) أي من القبور (اننا نحن نحيا) أي في الدنيا (ونميت) يعني عند انقضاء الاجل (والينا المصير) أي في الآخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيا للبعث والينا المصير بعد البعث (يوم

يامر كن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (من مكان قريب) من تشقق صخرة بيت المقدس وهي أقرب من الارض الى السماء اثني عشر ميلا وهي وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادى الصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر والجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور (اننا نحن نحيا) الخلق (ونميت) أي نميتهم في الدنيا (والينا المصير) أي مصيرهم (يوم

نشقق) خفيف كوفي وأبو عمرو وغيرهم بالتشديد (الارض عنهم) أي تتصدع الارض فتخرج الموتي من صدوعها (سراعا) حال من  
 الجرور أي مسرعين (ذلك حشر علينا يسير) هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص أي لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الاعلى القادر  
 الذي لا يشغله شأن عن شأن (نحن أعلم بما يقولون) فيك وفينا تهديدهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنت عليهم بحبار)  
 كقوله بمسيطر أي ما أنت بسلط عليهم انه أنت داع وياعث وقيل هو من جبره على الامر بمعنى أجبره أي ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الايمان  
 (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كقوله انما أنت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه والله أعلم ﴿سورة النازيات مكية وهي ستون آية﴾  
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (النازيات) الرياح لانها تذر والتراب وغيره (١٩٣) وبادغام التاء في النذال حزة وأبو عمرو

(ذروا) مصدر والعامل فيه  
 اسم الفاعل (فالحاملات)  
 السحاب لانها تحمل المطر  
 (وقرا) مفعول الحاملات  
 (فالجاريات) الفلك (يسرا)  
 جر يذا يسر أي داسهولة  
 (فالقسمات أمرا) الملائكة  
 لانها تقسم الامور من  
 الامطار والارزاق وغيرهما  
 أو تفعل التقسيم مأمورة  
 بذلك أو تتولى تقسيم أمر  
 العباد فخيريل للعاظمة وميكائيل  
 للرحمة وملك الموت لقبض  
 الارواح واسرافيل للنفخ  
 ويجوز أن يراد الرياح  
 لا غير لانها تنشي السحاب  
 وتقله وتصرفه وتجري في  
 الجو جر يسهل وتقسم  
 الامطار بتصريف السحاب  
 ومعنى انفاء على الاول انه  
 أقسم بالرياح فبالسحاب  
 التي تسوقه فبالفلك التي  
 تجرها بهن وسها فباللائكة  
 التي تقسم الارزاق بأذن  
 الله من الامطار وتجارات

نشقق الارض عنهم سراعا) أي يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله تعالى (ذلك حشر علينا يسير) أي هين  
 (نحن أعلم بما يقولون) يعني كفار مكة في تكذيبك (وما أنت عليهم بحبار) أي بمسلط تجبرهم على الاسلام  
 انه أبعث منذر او ذلك قبل ان يؤمر بقتالهم (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أي ما وعدت به من  
 عصا من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خو فتننا فتنات فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أي عظ  
 بالقرآن من يخاف وعيد والله أعلم بمراه

﴿تفسير سورة النازيات وهي مكية وهي ستون آية وثلاثمائة وستون

كلمة وألف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (النازيات ذروا) يعني الرياح التي تذر والتراب (فالحاملات وقرا) يعني السحاب يحمل  
 ثقلا من الماء (فالجاريات يسرا) يعني السفن تجري في الماء جر يسهل (فالقسمات أمرا) يعني الملائكة  
 يتقسمون الامور بين الخلق على ما أمروا به وقيل هم أربعة جبريل صاحب الوحي الى الانبياء الامين عليه  
 وصاحب العاظمة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب  
 قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربع في الرياح لانها نشئ السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجري به  
 جر يسهل ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب أقسم الله تعالى بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من  
 الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى أقسم بالنازيات وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمرة تقديره ورب  
 النازيات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى (ان ما توعدون) أي من الثواب والعقاب يوم القيامة (صادق)  
 أي لحق (وان الدين) أي الحساب والجزاء (لواقع) أي لكائن ثم ابتدأ قسما آخر فقال تعالى (والسما ذات  
 الحجب) قال ابن عباس ذات الخاق الحسن المستوي وقيل ذات الزينة حجبك بالنجوم وقيل ذات البنين  
 المتقن وقيل ذات الطرائق كحجبك الماء اذا ضربته الريح وحجبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس  
 وجواب القسم قوله (انكم) يعني يا أهل مكة (لني قول مختلف) يعني في القرآن وفي محمد صلى الله عليه وسلم  
 يقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون  
 وقيل لني قول مختلف أي مصدق ومكذب (يؤفك عنه من أفك) أي بصرف عن الايمان به من صرف حتى  
 يكذب به وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل اذا  
 أراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان به

(٢٥ - (خازن) - رابع)

البحر ومنافعها وعلى الثاني انها تنسدى في الهبوب فتذر والتراب والحصباء  
 فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر (ان ما توعدون) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود بالبعث  
 (صادق) وعد صادق كعبشة راضية أي ذات رضا (وان الدين) الجزاء على الاعمال (لواقع) لكائن (والسما ذات  
 الحجب) الطرائق الحسنه مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حجب الشعرا آثار تنفيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق  
 ويقال ان خاقسة السماء كذلك وعن الحسن حجبها نجومها جمع حباك (انكم لني قول مختلف) أي قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون  
 وفي القرآن سحر وشاعر وأساطير الاولين (يؤفك عنه من أفك) الضمير للقرآن أو الرسول أي بصرف عنه من صرف الضمير الذي  
 لا صرف أشد منه وأعظم أو بصرف عنه من صرف في سابق علم الله أي علم فيما لم يزل انه ما فوك عن الحق لا يعوى ويجوز أن يكون الضمير

لمنا وعدون أولادهم أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك (قتل) لعن وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن (الخراصون) الكذابون المقدرين ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام إشارة إليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون (الذين هم في غمرة) في جهل يغمرهم (سأهون) غافلون عماء مرابيه (يسألون) فيقولون (أبان يوم الدين) أي متى يوم الجزاء وتقديره أي بان وقوع يوم الدين لأنه إنما يقع الاحيان ظروفا للحدثان واتصبا (١٩٤) اليوم الواقع في الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال أي يقع (يوم هم على

النار يفتنون) ويجوز أن يكون مفتوحا لضافته إلى غير متمكن وهو الجلالة ومحل نصب بالمضمر الذي هو يقع أو رفع على هو يوم هم على النار يفتنون يجرقون ويعذبون (ذوقوا فتنتكم) أي تذوقوا عذابكم (هذا الذي كنتم به تستعجلون) أي في الدنيا تكذبوا به ﴿قوله تعالى﴾ (ان المتقين في جنات وعيون) يعني في خلال الجنات عيون جارية (آخذين ما آتاهم) أي ما أعطاهم (رهم) أي من الخير والكرامة (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) أي قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين في الدنيا ﴿ثم وصف احسانهم فقال تعالى﴾ (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أي كانوا ينامون قليلا من الليل ويصاؤون أكثره وقال ابن عباس كانوا قبل ليلة تم لهم الاصلوا فيها شيئا ما من أولها ومن أوسطها وعن أنس بن مالك في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصاؤون بين المغرب والعشاء أخرجه أبو داود وقيل كانوا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة أنت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا أي من الناس ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون أي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله في الصلاة والعبادة (وبالاسحار هم يستغفرون) أي ر بما مدوا عبادتهم الى وقت السحر ثم أخذوا في الاستغفار وقيل معناه يستغفرون من تقصيرهم في العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصاؤون بالاسحار لطلب المغفرة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له ولمسلم قال فيقول أنا الملك أنا الملك وذكر الحديث وفيه حتى بضى الفجر وزاد في رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

(قتل الخراصون) أي الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة (الذين هم في غمرة) أي في غفلة وعمى وجهالة (سأهون) أي لاهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو والغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه (يسألون أيان يوم الدين) أي يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعني يوم القيامة تكذبا واستهزاء قال الله تعالى (يوم هم) أي يكون هذا الجزاء في يوم هم (على النار يفتنون) أي يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) أي عذابكم (هذا الذي كنتم به تستعجلون) أي في الدنيا تكذبوا به ﴿قوله تعالى﴾ (ان المتقين في جنات وعيون) يعني في خلال الجنات عيون جارية (آخذين ما آتاهم) أي ما أعطاهم (رهم) أي من الخير والكرامة (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) أي قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين في الدنيا ﴿ثم وصف احسانهم فقال تعالى﴾ (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أي كانوا ينامون قليلا من الليل ويصاؤون أكثره وقال ابن عباس كانوا قبل ليلة تم لهم الاصلوا فيها شيئا ما من أولها ومن أوسطها وعن أنس بن مالك في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصاؤون بين المغرب والعشاء أخرجه أبو داود وقيل كانوا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة أنت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا أي من الناس ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون أي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله في الصلاة والعبادة (وبالاسحار هم يستغفرون) أي ر بما مدوا عبادتهم الى وقت السحر ثم أخذوا في الاستغفار وقيل معناه يستغفرون من تقصيرهم في العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصاؤون بالاسحار لطلب المغفرة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له ولمسلم قال فيقول أنا الملك أنا الملك وذكر الحديث وفيه حتى بضى الفجر وزاد في رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

فصل في هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان أحدهما وهو مذهب السلف وغيرهم أنه يمر كما جاء من غير تاويل ولا تعطيل ويترك الكلام فيه وفي أمثاله مع الايمان به وتنزيهه الرب تبارك وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم أن الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقر بهما من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة والالطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة أكثر الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفي ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله تعالى متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله تعالى أعلم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات

قليلامن الليل ما يهجعون) ينامون وما مزيدة للتوكيد ويهجعون خبر كان والمعنى كانوا يهجعون في الارض طائفة قليلة من الليل أو مصدر به والتقدير كانوا قليلا من الليل هجعوا فارتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو في كانوا بالقليل لانه صار موصوفا بقوله من الليل خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة أي كان هجوعهم قليلا من الليل ولا يجوز أن تكون مانافية على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا وبحيونه كما لان مانافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لاتقول زيدا ما ضربت (و بالاسحار هم يستغفرون) وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فاذا أسحروا أخذوا في الاستغفار كأنهم أسلفوا في ليالهم الجرائم والسحر السدس الاخير من الليل

(وفي أموالهم حق للسائل) لمن يسأل حاجته (والمحروم) أي الذي يشعر ولا يسأل حياء (وفي الارض آيات) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبره حيث هي مدحوة كاللباط لما فوقها وفيها المسالك والفتوح للمتقنين فيها وهي مجزأة فمن سهل ومن جبل وصلبة ورخوة وعذبة وسبخة وفيها عيون منفجرة ومعادن مفننة ودواب منبثة مخنثة الصور والاشكال متباينة الهيئات والافعال (للموقنين) للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كما مر أو آية عرفوا وجه تاملها فازدادوا ايقاناً على ايقانهم (وفي أنفسكم) في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطرو بدائع الخلق ما نتج حيرته الاذهان وحسبك بالقلوب وماركز فيها من العقول وباللسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبيئات القاطعة على حكمة مدبرها ووصافه اذع الاسماع (١٩٥) والابصار والاطراف وسائر الجوارح

وتأنيها ما خلقت له وما سوى  
في الاعضاء من المفاصل  
للانعطاف والتثني فانه اذا  
جسامنها شئ جاء العجز  
واذا استرخى أتاح الذل  
فتبارك الله أحسن الخالقين  
وما قيل ان التقدير أقل  
نبصرون في أنفسكم صعي  
لانه يفضى الى تقديم ما في  
حيز الاستفهام على حرف  
لاستفهام (أفلا تبصرون)  
تنظرون نظر من يعتبر  
(وفي السماء رزقكم) أي  
المطر لانه سبب الاقوات  
وعن الحسن انه كان اذا  
رأى السحاب قال لاصحابه  
فيه والله رزقكم  
ولكنكم تحرمونه بخطاياكم  
(وماتوعدون) الجنة فهي  
على ظهر السماء السابعة  
نحت العرش أو أراد ان  
مات رزقونه في الدنيا وما  
نوعونه في العقبى كله مقدور

والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسمت و بك أمنت و عليك توكلت و اليك أنبت و بك خاصمت و اليك حاكت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت زاد في رواية وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت أولاه غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (خ) عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي أو قال دعاء استجيب له فان نوضا وصلى قبلت صلته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا انقبه وله صوت قول له عز وجل (وفي أموالهم حق) أي نصيب قيل انه ما يصلون به رجاءاً ويقرون به ضيفاً أو يحملون به كلاً أو يعينون به محروماً وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة (للسائل) أي الذي يسأل الناس ويطلب منهم (والمحروم) قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجزى عليه من الفئ شيء قال ابن عباس رضي الله عنهما المحروم الذي ليس له في الفئ الاسلام سهم وقيل معناه الذي حرم الخير والعتاء وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسأل وقيل هو صاحب الجائحة الذي أصيب زرعه وأثمره وأنسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب وأظهر الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وانما يقطن له متيقظ (وفي الارض آيات) أي عبر من البحار والجلال والاشجار والثمار وأنواع النبات (للموقنين) أي بالله الذي يعرفونه ويستدلون عليه بصنائه (وفي أنفسكم) أي آيات اذ كنتم نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظاما الى أن تنفخ الروح وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد باختلاف الالسنة والصور والالوان والطباع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يا كل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعني تقويم الادوات السمع والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم (أفلا تبصرون) يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث (وفي السماء رزقكم) قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الارزاق (وماتوعدون) يعني من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال (فورب السماء والارض انه لحق) أي ما ذكر من الرزق وغيره (مثل ما أنكم تنطقون) أي بلا اله الا الله

مكتوب في السماء (فورب السماء والارض انه لحق) الضمير يعود الى الرزق أو الى ماتوعدون (مثل ما أنكم تنطقون) بالرفع كوفي غير حفص صفة للحق أي حتى مثل نطقكم وغيرهم بالنسب أي انه لحق حقاً مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحاً لاضافته الى غير متمكن وما من بده وعن الاصمعي انه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال من الرجل فقلت من بني أصم قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الله قال اتل على فتلوت والداريات فلما بلغت وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فزحها وزرعها على من أقبل وأدير وعمد الى سيفه وقوسه فكسر عمادولى فلما حججت مع الرشيد وطفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بصوت رقيق فالتفت فاذا أنا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ما وعدنا من غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف قائلنا لا نخرجت معها نفسها

(هل أتاك) تفخيم للحديث وتنبية على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما عرفه بالوحى وانتظامها بما قبلها باعتبار أنه قال وفي الأرض آيات وقال في آخر هذه القصة وتركنا فيها آية (حديث ضيف إبراهيم) الضيف للواحد والجماعة كاصوم والزور لأنه في الأصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عشر هم جبريل وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حين أضافهم إبراهيم وأولاهم كانوا في حسابه كذلك (المكرمين) عند الله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لأنه خدمهم بنفسه وأخدمهم أمر أنه ويجعل لهم القرى (اذ دخلوا عليه) نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام إبراهيم لهم والافياض اراذكر (فقالوا سلاما) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما (قال سلام) أى عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره مخدوف والعدول الى الرفع للدلالة على اثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم باحسن مما حيوه به أخذنا (١٩٦) بادب الله وهذا أيضا من اكرامه لهم حزة وعلى سلم والسلم السلام (قوم منكرون) أى أتم قوم

وقيل شبه تحقق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي ومعناه انه لحق كما أنك تتكلم وقيل ان معناه في صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره قوله تعالى (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم) يعنى هل أتاك يا محمد حديث الذين جاؤا إبراهيم بالبشرى فاستمع لقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصصهم في سورة هود (المكرمين) قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا ضيف إبراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لان إبراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتحويل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما سماهم مكرمين لانهم كانوا غير مدعوين (ق) عن أبى شريح العدوى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) أى غرباء لانهم لم يأتوا من قبلهم قال ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم لانهم فهم وقيل انما أنكر أمرهم لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض (فراغ) أى عدل ومال (الى أهله فجاء بجمل سمين) أى جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال إبراهيم البقر فجاء بجمل (فقر به اليهم) لياكلوا منه (قال أنا كلون) أنكر عليهم ترك الأكل أو حنهم عليه (فأوجس) فاضمر (منهم خيفة) خوفا فان من لم يأكل طعامك لا يحفظ ذمامك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقع في نفسه انهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) انارسل الله وقيل مسح جبريل المجل فقام ولحق بامه (وبشروه بغلام

منكرون) أى أتم قوم منكرون فعر فونى من أتم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف ان يخفى أمره وان يبادر بالتقرى من غير ان يشعر به الضيف حذر ان يكفه وكان عامة مال إبراهيم عليه السلام البقر (جاء بجمل سمين فقر به اليهم) لياكلوا منه (قال أنا كلون) أنكر عليهم ترك الأكل أو حنهم عليه (فأوجس) فاضمر (منهم خيفة) خوفا فان من لم يأكل طعامك لا يحفظ ذمامك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقع في نفسه انهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) انارسل الله وقيل مسح جبريل المجل فقام ولحق بامه (وبشروه بغلام

الآجر

عليه) أى يبايع ويعلم والمبشر به اسحق عند الجمهور (فاقبلت امرأته في صرة) في صيحة من

صر القلم والباب قال الزجاج اصره شدة الصياح ههنا ومحله النصب على الحال أى جاءت صارة وقيل فاخذت في صياح وصرتها قوطها يا ويلتا (فصكت وجهها) فلطمت يديها وقيل فصر بت باطراف أصابعها جبهتها ففعل المتعجب (وقالت عجوز عقيم) أى أنا عجوز فكيف ألد كما قال في موضع آخر ألدوا أنا عجوز وهذا يعنى شيخا (قالوا كذلك) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أى انما تخبرك عن الله تعالى والله قادر على ما تستبعدين (انه هو الحكيم) في فعله (العليم) فلا يخفى عليه شئ وروى ان جبريل قال لها حين استبعدت انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جنود مورقة مفرقة ولما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا بامر الله رسلا في بعض الامور (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وما طلبتكم وفيم أرسلتم (أيها المرسلون) أرسلتم بالبشارة خاصة أو لامر آخر ولهما (قالوا انارسلنا الى قوم مجرمين) أى قوم لوط (لنرسل عليهم نجارة من طين) أريد السجيل وهو طين طبع كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة

(مسومة) معامة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به (عندر بك) في ملكه وسلطانه (للمسرفين) سباهم مسرفين كما سباهم عادين أي لاسرافهم وعدواتهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما أبيع لهم (فاخر جنا من كان فيها) في القرية ولم يجرح طأذ كر لكونها معاومة (من المؤمنين) يعني لوطا ومن آمن به (فاوجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أي غير أهل بيت وفيه دليل على ان الإيمان والاسلام واحد لان الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا (وتركنا فيها) في قراهم (آية للذين يخافون العذاب الاليم) علامة يعتبر بها الخاقون دون القاسية قلوبهم قيل هي ماء أسود منقن (وفي موسى) معطوف على وفي الارض آيات أو على قوله وتركنا فيها به على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علقها تبتا وماء باردا (اذا أرسلناه الى فرعون بساطان مبين) بحجة ظاهرة وهي اليد والعصا (فتولى) فأعرض عن الإيمان (بركنه) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن ما يركن (١٩٧) اليه الانسان من مال وجند (وقال

ساحر) أي هو ساحر (أو مجنون فأخذناه وجزوده فنبتناهم في اليم وهو مليم) أت بما يلام عليه من كفره وعناده وانما وصف يونس عليه السلام به في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لان موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والزلة كذلك والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه (وفي عاد اذا أرسلنا عليهم الريح العقيم) هي التي لاخير فيها من انشاء مطر أو القاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها والظاهر انها الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (مانذر من شيء أنت عليه الاجلته كالريم) هو كل

الآجر (مسومة) أي معامة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معامة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا (عندر بك للمسرفين) قال ابن عباس يعني المشركين لان الشرك أسرف الذنوب وأعظمها (فاخر جنا من كان فيها) أي في قرى قوم لوط (من المؤمنين) فاوجدنا فيها غير بيت (أي أهل بيت) من المسلمين (يعني لوطا وابتتيه وصفهم الله تعالى بالإيمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم لان الاسلام أعم من الإيمان واطلاق العام على الخاص لا مانع منه فاذا سحى المؤمن مساما لا يدل على اتحاد مفهوميهما) (وتركنا فيها) أي في مدينة قوم لوط (آية) أي عبرة (للذين يخافون العذاب الاليم) والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين نذهم على ان الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم (وقوله عز وجل (وفي موسى) أي وتركنا في ارسال موسى آية وعبرة (اذا أرسلناه الى فرعون بساطان مبين) أي بحجة ظاهرة (فتولى) أي أعرض عن الإيمان (بركنه) أي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم (وقال ساحر) ومجنون فأخذناه وجنوده فنبتناهم في اليم) أي فاغر قناهم في البحر (وهو مليم) أي أت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل (وفي عاد) أي وفي اهلاك عاد أيضا آية وعبرة (اذا أرسلنا عليهم الريح العقيم) يعني التي لاخير فيها ولا بركة فلا تلقح شجر ولا تحمل مطرا (مانذر من شيء أنت عليه) أي من أنفسهم وأموالهم وأنعامهم (الاجلته كالريم) أي كالشيء الهالك البالي وهو ما يبس وديس من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه وأصله من رم العظم اذا بلى (وفي نودا ذليل لم تمتعوا حتى حين) يعني الى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فمتعوا عن أمر ربهم) أي تكبروا عن طاعة ربهم (فاخذتهم الساعة) أي بعد مضي ثلاثة أيام من بعد عقر الناقة وهي الموت في قول ابن عباس وقيل أخذهم العذاب والساعة كل عذاب مهلك (وهم ينظرون) أي يرون ذلك العذاب عيانا (فاستطاعوا من قيام) أي فاقاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك السرعة (وما كانوا منتصرين) أي ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله (وقوم نوح) قرى بكر الميم ومعناه وفي قوم نوح وقرى بنصبها ومعناه وأغر قنا قوم نوح (من قبل) أي من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن الطاعة قوله تعالى (والسما بيننا هابيد) أي بقوة وقدرة (وانا وسعون) قيل هو من السعة أي وأسعنا السماء بحيث صارت الارض وما يحيط بها من الهواء والقضاء بالنسبة الى سعة السماء كالحلقة الملقاة في القلاة (وقال ابن عباس معناه قادرين على بنائها كذلك وعنده

مارم أي بلى ونفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك والمعنى ما ترك من شيء هبت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم الأهلكته (وفي نود) آية أيضا (اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فمتعوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فاخذتهم الساعة) العذاب وكل عذاب مهلك ساعة الصعقة على وهي الردة من مصدر صعقتهم الساعة (وهم ينظرون) لانها كانت نهارا يعاينونها (فاستطاعوا من قيام) أي هربوا وهم من قوهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين من العذاب ولم يتمكنهم مقابلتها بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة (وقوم نوح) أي وأهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه أو واذا كرقوم نوح وبالجر أبو عمرو وعلى وحزة أي وفي قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبد الله وفي قوم نوح (من قبل) هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (والسما) نصب بفعل يفسره (بيننا هابيد) بقوة والايدي القوة (وانا وسعون) لتأدرون من الوسع وهو الطاق والموسع القوى على الانفاق



أولوسعون ما بين السماء والارض (والارض فرشناها) بسطانها ومهدناها وهي منصوبة بفعل مضمر أى فرشنا الارض فرشناها (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ) من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكر أو أنثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وأشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الأزواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبده (ففرروا الى الله) أى من الشرك الى الايمان بالله أو من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن أو مما سواه اليه (انى لكم منه نذير مبين ولا تتبعوا مع الله الها آخر اى لكم منه نذير مبين) والتكرير للتوكيد والاطاله فى الوعيد أبلغ (كذلك) الامر (١٩٨) مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أو مجنوناً

لموسعون أى الرزق على خلقنا وقيل معناه وناذرو السعة والغنى (والارض فرشناها) أى بسطانها ومهدناها لكم (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ خلقنا زوجين) أى صنفين ونوعين مختلفين كالسما والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والانس والذ كرو الانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض (لعلكم تذكرون) أى فتعلموا أن خالق الأزواج فرد لا نظيره ولا شريك معه (ففرروا الى الله) أى قل يا محمد ففرروا الى الله أى فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة له وقال ابن عباس ففررنا منه اليه وعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففررنا مسوى الله الى الله (انى لكم منه نذير) أى مخوف (مبين) أى بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمجزة الباهرة والبرهان القاطع (ولا تتبعوا مع الله الها آخر) أى وحدوه ولا تشركوا به شيئاً (انى لكم منه نذير مبين) قيل انما كرر قوله انى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم أن الايمان لا ينفع الامع العمل كأن العمل لا ينفع الامع الايمان وأنه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما (كذلك) أى كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك (ماتى الذين من قبلهم) أى من قيل كفار مكة وهم الامم الخالية (من رسول) يعنى يدعوهم الى الايمان والطاعة (الاقالوا ساحر أو مجنون) قال الله تعالى (أتوا صوابه) أى أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضاً بالتكذيب وتواطؤا عليه وفيه تو بيخ لهم (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعهم على ذلك علة واحدة وهى الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول (فتول عنهم) أى أعرض عنهم (فأنت بما لوم) أى لا لوم عليك فقد أدت الرسالة وبذات المجهود وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد على أصحابه وظنوا أن الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر إذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم فانزل الله عز وجل (وذكرى فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله أنه يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم ﴿ قوله عز وجل (وما خلقت الجن والانس) أى من المؤمنين (الاياعبدون) قيل هذا خاص باهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والانس من المؤمنين السعداء وما خلقت السعداء من الجن والانس الالعبادنى والاشقياء منهم الالاعصبي وهو ما جابوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على بن أبى طالب الاليعبدون أى الالامرهم أن يعبدونى وادعوهم الى عبادتى وقيل معناه الاليعرفونى وهذا حسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف عملهم (وما خلقت الجن والانس الاليعبدون) العباداة ان جلست على حقيقةها فلا تكون الآية عامة بل المراد وجوده

فسر ما أجل بقوله (ماتى الذين من قبلهم) من قبل قومك (من رسول الا قالوا) هو (ساحر أو مجنون) ربه وهم بالسحر أو الجنون الجهلهم (أتوا صوابه) الضمير للقول أى أتوا صوابه الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعاً متفقين عليه (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعهم العلة الواحدة وهى الطغيان والظغيان هو الحامل عليه (فتول عنهم) فاعرض عن الذين كرت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عناداً (فأنت بما لوم) فلاك عليك فى اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذات مجهدودك فى البلاغ والدعوة (وذكرى) وعظ بالقرآن (فان الذكرى تنفع المؤمنين) بان ترى

بها المؤمنون من الفريقين دليله السياق أعنى وذكرى فان الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وهذا لانه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة لانه اذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلا بد أن توجد منهم فاذا لم يؤمنوا علم أنه خلقهم لجهنم كما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس وقيل الالامرهم بالعبادة وهو منقول عن على رضى الله عنه وقيل الالايكونوا عبادى الى الوجه أن تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة فى القرآن فهى توحيد والكل يوحده فى الآخرة كما عرف أن الكفار كهم مؤمنون موحدون فى الآخرة دليله قوله لم تكن فتنهم الا أن قالوا والله بنا ما كنا مشركين نعم قد أشرك البعض فى الدنيا لكن مدة الدنيا بالاضافة الى الابد أقل من يوم ومن اشترى غلاماً وقال ما اشترىته الاللسكابة

كان صادقا في قوله ما اشترى به الا لكاتبه وان استعمله في يوم من عمره لعمل آخر (ما أريد منهم من رزق) ما خلقهم ليرزقوا أنفسهم أو واحدا من عبادي (وما أريد أن يطعمون) قال ثعلب ان يطعموا عبادي وهي اضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرا عن الله تعالى من أكرم مؤمنا فقد أكرمني ومن آذى مؤمنا فقد آذاني (ان الله هو الرزاق) (١٩٩) ذوالقوة المتين) الشديدا للقوة والمتين بالرفع

صفة لتووق الأعمش بالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار (فان للذين ظاهروا رسول الله بالكذب من أهل مكة (ذنو بمثل ذنوب أصحابهم) نصيبا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظر أئمتهم من القرون المهلكة قال الزجاج الذنوب في اللغة النصيب (فلا يستجيبون) نزل العذاب وهذا جواب للنصر وأصحابه حين استجابوا العذاب (فويل للذين كفروا من يومهم الذين يوعدون) أي من يوم القيامة وقيل من يوم بدر

وجوده وتوحيده وقيل معناه الال خضعوا لي ويتدللوا لان معنى العبادة في اللغة التذلل والالتقاد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متدلل للمشيئة لا يملك أحد لنفسه خيرا وجاعا مما خلق له وقيل معناه الال يوجد في فاما المؤمن فيوحده اختيارا في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده اضطرارا في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء (ما أريد منهم من رزق) أي ما أريد أن يرزقوا أحدا من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم لاني أنا الرزاق المتكفل لعبادي بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها (وما أريد أن يطعمون) أي أن يطعموا أحدا من خلقي وإنما سئلتهم الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيالا أحد فقد أطعمه لما صح من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمتك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي أخرجه مسلم ثم بين أن الرزاق هو لا غيره فقال تعالى (ان الله هو الرزاق) أي لجميع خلقه (ذوالقوة المتين) يعني هو القوي الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذي لا يلحقه في أفعاله مشقة (فان للذين ظاهروا) أي من أهل مكة (ذنوبا) أي نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) أي مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود (فلا يستجيبون) أي بالعذاب لأنهم أخرخوا الى يوم القيامة بدل عليه قوله عز وجل (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر والله تعالى أعلم بما رآه

ليعبدوني أن يطعموني فلا يستجيبون في الباء في الخالين يعقوب وافقه سهل في الوصل الباقون بغير ياء والله أعلم

﴿ تفسير سورة الطور ﴾  
 (مكية وهي تسع وأربعون آية وثلاثون كلمة وألف وخمسة عشر حرف)  
 ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾  
 ﴿ قوله عز وجل (والطور) أراه الجبل الذي كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام عليه بالارض المقدسة وقيل بمدين (وكتاب مسطور) أي مكتوب (في رق) يعني الاديم الذي يكتب فيه المصحف (منشور) أي مبسوط واختلفوا في السكاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير الاقلام وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظه يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فأخذ جيمينه وأخذ بشماله وقيل هو القرآن (والبيت المعمور) يعني بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت في السماء السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرته في السماء كحرمة الكعبة في الارض وصح في حديث المعراج من افراد مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور في السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه وفي رواية أخرى قال فاتته الى بناء فقلت للملك ما هذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون يسبحون الله ويقدمونه وفي افراد البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك (والسقف المرفوع) يعني السماء (والبحر المسجور) يعني الموقف المحمي بمنزلة التنوير

الصحيفة أو الجاد الذي يكتب فيه (منشور) مفتوح لا ختم عليه ولا تخ (والبيت المعمور) أي الضراح وهو بيت في السماء بحيال الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة روى أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لا يعودون اليه بدأ وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار (والسقف المرفوع) أي السماء أو العرش (والبحر المسجور) المملوء والموقد والاولى للقسم والبواقي للعطف

وجواب القسم (ان عذاب ربك) أي الذي أوعد الكفار به (لواقع) لنازل قال جبير بن معتم أنبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكامه في الاسارى فلقيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع أسلمت خوفاً من أن ينزل العذاب (ماله من دافع) لا يمنع مانع والجملة صفت لواقع أي واقع غير مدفوع والعامل في يوم لواقع أي يقع في ذلك اليوم أو ذكر (يوم تمور) تدور كالرحى مضطربة (السماء مورا وتسير الجبال سيرا) في الهواء كالسحاب تصير هباء منثورا (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض بلعون) غلب الخوض في الاندفاع في الباطل (٢٠٠) والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وببديل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) من يوم تمور والدع

المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركن رجل البحر الا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نار وتحت النار بحر او قيل المسجور المملوء وقيل هو اليايس الذي ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالمح وروى عن علي أنه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كباين سبع السموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يطر العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحا فينبئون من قبورهم أقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى (ان عذاب ربك لواقع) يعني انه لحق وكائن ونازل بالمشركين في الآخرة (ماله من دافع) أي مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فدفعت له وهو يصلي بالصحابة المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعتة يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكأنما صدع قلبي حين سمعت ولم يكن أسلم يومئذ فأسلمت خوفاً من نزول العذاب وما كنت أظن أني أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين أنه متى يقع فقال تعالى (يوم تمور السماء مورا) أي تدور كدور الرحى وتتكفأ بأهلها تنكفأ السفينة وقيل تتحرك وتختلف أجزاءها بعضها من بعض وتضطرب (وتسير الجبال سيرا) أي نزول عن أما كتبها وتصير هباء منثورا والحكمة في مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك إنما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع نبي آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها أزالها الله تعالى وذلك لحراب الدنيا وعمارة الآخرة (فويل) أي شدة عذاب (يومئذ للمكذبين) أي يوم القيامة (الذين هم في خوض) أي يخوضون في الباطل (بلعون) أي غافلون لاهون عما يراهم (يوم يدعون) أي يدفعون (الى نار جهنم دعا) يعني دفعوا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغفلون أي يبدون الكفار الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعون بهم دفعا الى النار على وجوههم وزخا في أفتينهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أي في الدنيا (أفسح هذا) وذلك انهم كانوا يذنبون محمد صلى الله عليه وسلم الى السحر وأنه يغطي على الابصار فو نحو بذلك وقيل لهم أفسح هذا (أم أنتم لا تبصرون اصلوها) أي قاسوا شذنها (فاصبروا) أي على العذاب (أولنا صبروا) أي عليه (سواء عليكم) أي الصبر والجزع (انما تجزع ما كنتم تعملون) أي من الكفر والتكذيب في الدنيا قوله تعالى (ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين) أي مجيبين بذلك ناعمين (بما آتاهم ربهم) أي من الخير والكرامة (وروقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا) أي يقال لهم كلوا (واشر بواهنيا) أي ما مومن العاقبة من اتخمته والسقم (بما كنتم تعملون) أي في الدنيا من الإيمان والطاعة (متكئين على سرر

دعا) من يوم تمور والدع المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركن رجل البحر الا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نار وتحت النار بحر او قيل المسجور المملوء وقيل هو اليايس الذي ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالمح وروى عن علي أنه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كباين سبع السموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يطر العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحا فينبئون من قبورهم أقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى (ان عذاب ربك لواقع) يعني انه لحق وكائن ونازل بالمشركين في الآخرة (ماله من دافع) أي مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فدفعت له وهو يصلي بالصحابة المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعتة يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكأنما صدع قلبي حين سمعت ولم يكن أسلم يومئذ فأسلمت خوفاً من نزول العذاب وما كنت أظن أني أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين أنه متى يقع فقال تعالى (يوم تمور السماء مورا) أي تدور كدور الرحى وتتكفأ بأهلها تنكفأ السفينة وقيل تتحرك وتختلف أجزاءها بعضها من بعض وتضطرب (وتسير الجبال سيرا) أي نزول عن أما كتبها وتصير هباء منثورا والحكمة في مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك إنما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع نبي آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها أزالها الله تعالى وذلك لحراب الدنيا وعمارة الآخرة (فويل) أي شدة عذاب (يومئذ للمكذبين) أي يوم القيامة (الذين هم في خوض) أي يخوضون في الباطل (بلعون) أي غافلون لاهون عما يراهم (يوم يدعون) أي يدفعون (الى نار جهنم دعا) يعني دفعوا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغفلون أي يبدون الكفار الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعون بهم دفعا الى النار على وجوههم وزخا في أفتينهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أي في الدنيا (أفسح هذا) وذلك انهم كانوا يذنبون محمد صلى الله عليه وسلم الى السحر وأنه يغطي على الابصار فو نحو بذلك وقيل لهم أفسح هذا (أم أنتم لا تبصرون اصلوها) أي قاسوا شذنها (فاصبروا) أي على العذاب (أولنا صبروا) أي عليه (سواء عليكم) أي الصبر والجزع (انما تجزع ما كنتم تعملون) أي من الكفر والتكذيب في الدنيا قوله تعالى (ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين) أي مجيبين بذلك ناعمين (بما آتاهم ربهم) أي من الخير والكرامة (وروقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا) أي يقال لهم كلوا (واشر بواهنيا) أي ما مومن العاقبة من اتخمته والسقم (بما كنتم تعملون) أي في الدنيا من الإيمان والطاعة (متكئين على سرر

تعملون) لان الصبر انما يكون له منزلة على الجزع لثمنه في العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا منزلة له على الجزع (ان المتقين في جنات) في أي ونعيم) أي وأي نعيم بمعنى الكمال في الصفة أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة (فاكهين) حال من الضمير في الظرف والظرف خبر أي مثله الذين (بما آتاهم ربهم) وعطف قوله (وروقاهم ربهم) على في جنات أي ان المتقين استقروا في جنات ووقاهم ربهم أو على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقائهم (عذاب الجحيم) أو الواو للحال وقد بعدها مضمره يقال لهم (كلوا واشربوا هنيا بما كنتم تعملون) أو كلا وشر باهنيا أو طعما وشر باهنيا وهو الذي لا تنغيص فيه (متكئين) حال من الضمير في كلوا واشربوا (على سرر) جمع سرر

(مصفوفة) موصول بعضها ببعض (وزوجناهم) وقرناهم (محمور) جمع حوراء (عين) عظام الاعين حسنها (والذين آمنوا) مبتدأ وألحقنا بهم خبره (واتبعهم) وأتبعناهم أبو عمرو (ذريتهم) أولادهم (بايمان) حال من الفاعل (ألحقناهم ذريتهم) أي نلحق الأولاد بايمانهم وأعمالهم درجات الآباء وان قصرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء وقيل ان الذرية وان لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الايمان استدلالا وانما نلقنوا منهم تقليدا فهم يلحقون بالآباء (١) ذريتهم ذريتهم مدني ذريتهم ذريتهم ذريتهم شامح (وما ألتناهم من عملهم من شيء وما) نقصناهم من ثواب عملهم من شيء ألتناهم مكى الت يالت والت يالت لغتان من الاولى متعلقة (٢٠١) بالتناهم والثانية زائدة (كل امرئ بما كسب رهين)

أي مرهون فنفس المؤمن مرهونه بعمله وتجازى به (وأمددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت (بفا كمة ولحم مما يشتهون) وان لم يفتقروا (يتنازعون فيها كأسا) خيرا يتعاطون ويتعاورونهم وجلساؤهم من أقرابهم يتناول هذا الكأس من يدهذا وهذا من يدهذا (لا تعوفها) في شربها (ولا تأثم) أي لا يجرى بينهم ما يلغى في معنى لا يجرى بينهم باطل ولا مافية أم لوفعله فاعل في دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما كشاربي خمر الدنيا لان عقولهم ثابتة فيستكلمون بالحكم والكلام الحسن لا تعوفها ولا تأثم مكى وبصرى (ويطوف عليهم) أي للخدمة (غلمان لهم كأنهم) أي في الحسن والبياض والصفاء (لؤلؤم مكنون) أي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال عبد الله بن عمر وما من أحد من أهل الجنة الا يسبى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال يا بني الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فصل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (وقوله تعالى) وأقبل بعضهم على بعض يتسألون) يعني يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتنازعون مافية من الخوف والتعب في الدنيا (قالوا انا كنا قبل في أهلنا) أي في الدنيا (مشفقين) أي خائفين من العذاب (فن الله علينا) أي أو مخزونون لانه لا يخزن الا

مصفوفة) أي موضوعه بعضها الى بعض (وزوجناهم محور عين والذين آمنوا واتبعناهم ذريتهم بايمان) يعني ألحقنا أولادهم الصغار والكبار بايمانهم فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آباؤهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعالا لآبائه (ذريتهم) (ألحقناهم ذريتهم) يعني المؤمنين في الجنة بدرجات آباؤهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات آباؤهم تكريما لآبائهم لتقر بذلك أعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه ان معنى الآية والذين آمنوا واتبعناهم ذريتهم يعني البالغين بايمان ألحقناهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آباؤهم أخبر الله تعالى أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا اليه فيدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمله من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئا وذلك قوله تعالى (وما ألتناهم من عملهم من شيء) يعني وما نقصنا الآباء من أعمالهم شيئا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عيناه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعناهم ذريتهم بايمان ألحقناهم ذريتهم الى آخر الآية عن علي قال سألت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمافي النار فلما رأى الكراهة في وجهها قال لو رأيت مكانها ما لبغضتها ما قالت يا رسول الله فولى منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين وأولادهم في الجنة وان المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا أتبعناهم ذريتهم بايمان ألحقناهم ذريتهم أخرج هذين الحديثين البغوي باسناد الثعلبي (كل امرئ) أي كافر (بما كسب) أي عمل من الشرك (رهين) أي مرتين بعمله في النار والمؤمن لا يكون مرتين بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى (وأمددناهم بفا كمة) يعني زيادة عما كان لهم (ولحم مما يشتهون) أي من أنواع اللحوم (يتنازعون) أي يتعاطون ويتناولون (فيها) أي في الجنة (كأسا) لا تعوفها) أي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا نذهب عقولهم فيلغوا ويرفتوا (ولا تأثم) أي لا يكون فيها ما يؤثمهم ولا يجرى بينهم مافية لغواهم كما يجرى بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا يأثمون في شربها (ويطوف عليهم) أي للخدمة (غلمان لهم كأنهم) أي في الحسن والبياض والصفاء (لؤلؤم مكنون) أي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال عبد الله بن عمر وما من أحد من أهل الجنة الا يسبى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال يا بني الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فصل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (وقوله تعالى) وأقبل بعضهم على بعض يتسألون) يعني يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتنازعون مافية من الخوف والتعب في الدنيا (قالوا انا كنا قبل في أهلنا) أي في الدنيا (مشفقين) أي خائفين من العذاب (فن الله علينا) أي

(٢٦ - (خازن) - رابع) السمين الغالي القيمة في الحديث ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه اذ يباهه لبيك لبيك (وأقبل بعضهم على بعض يتسألون) يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله (قالوا انا كنا قبل) أي في الدنيا (في أهلنا مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله وأخائفين من نزع الايمان وفوت الامان أو من رد الحسنات والاخذ بالسيئات (فن الله علينا) بل المقفرة والرحمة (١) قوله ذريتهم ذريتهم مدني الخ كذا بالاصل وفي الخطيب وقرأ ذريتهم بايمان وألحقناهم ذريتهم نافع بالقصر في الاولى والجمع في الثانية مع كسر التاء وقرأ أن كثير والكوفيون بالقصر فيهما مع ضم التاء وقرأ أبو عمرو بالجمع فيهما مع كسر التاء وقرأ ابن عامر بالجمع فيهما الا انه يرفع التاء في الاولى ويكسر في الثانية اه تأمل اه مصحح

(ووقانا عذاب السموم) هي الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لأنها بهذه الصفة (انا كنا من قبل) من قبل لقاء الله تعالى والمصير اليه يعنون في الدنيا (ندعوه) نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الوفاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذي اذا عيب اثناب واذا سئل اجاب انه بالفتح مدني وعلى أي بانه أولانه (فذكر) فاثبات على تذكير الناس وموعظتهم (فأنت بنعمت ربك) برحمتك وانعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كازعموا وهو في موضع الحال والتقدير لست كاهنوا ولا مجنوناً ملتبساً بنعمت ربك (أم يقولون) هو (شاعر نتر بص به) (٢٠٢) ريب المنون) حوادث الدهر أي ننظر نواب الزمان فيه لك كاهلك من

قبله من الشعراء زهير  
والنايفة وأم في أوائل هذه  
الأي منقطعة بمعنى بل  
والهمزة (قل تر بصوا فاني  
معكم من المتر بصين) أثر بص  
هلاكم كما تر بصون  
هلاكي (أم تأمرهم  
أحلامهم) عقولهم (بهذا)  
التناقض في القول وهو  
قولهم كاهن وشاعر مع  
قولهم مجنون وكانت قر يش  
يدعون أهل الاحلام  
والنهي (أم هم قوم طاغون)  
مجاز وزن الحد في العناد  
مع ظهور الحق لهم واسناد  
الامر الى الاحلام مجاز  
(أم يقولون تقوله) اختلقه  
محمد من تلقاء نفسه (بل)  
رد عليهم أي ليس الامر  
كأزعموا (لا يؤمنون)  
فكفرهم وعنادهم يرمون  
بهذه المطاعن مع عامهم  
ببطلان قولهم وانه ليس  
بمتقول لجز العرب عنه  
وما محمد الا واحد من العرب  
(فليأتوا بحديث) مختلق  
(مثله) مثل القرآن (ان)

بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) يعني عذاب النار وقيل هو اسم من أسماء جهنم (انا كنا من قبل) أي في  
الدنيا (ندعوه) أي نخلص الدعاء والعبادة له (انه هو البر) قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما  
وعد وقيل البر العظوف على عباده المحسن اليهم الذي عم به جميع خلقه (الرحيم) بعبيده ﴿ قوله عز وجل  
(فذكر) يعني فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة (فأنت بنعمت ربك) أي برحمته وعصمته وقيل بانعامه  
عليك بالنبوة (بكاهن ولا مجنون) الكاهن هو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحى  
والعني انك لست كما يقول كفار مكة أنه كاهن أو مجنون اغتاطق بالوحى نزلت في الذين اقتسموا أعقاب  
مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون (أم يقولون) يعني هؤلاء  
المقتسمين (شاعر) أي هو شاعر (نتر بص به) أي ننظر به (ريب المنون) يعني حوادث الدهر وصروفه  
فيموت ويهلك كاهلك من كان قبله من الشعراء أو يتفرق عنه أصحابه وان أباه مات وهو شاب ونحن نرجو  
أن يكون موته موت أبيه والمنون اسم للموت والدهر وأصله القطع سمي بذلك لانهما باق طعان الاجل  
(قل تر بصوا) أي انتظروا بي الموت (فاني معكم من المتر بصين) أي من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم  
فعدبوا يوم بدر بالقتل والسبي (أم تأمرهم أحلامهم) أي عقولهم (بهذا) وذلك ان عظامه قر يش كانوا  
يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حين لم تترطم معرفة الحق من الباطل (أم هم قوم طاغون)  
أي يتجاوزون الحد في الطغيان والكفر (أم يقولون تقوله) أي اختلق القرآن من تلقاء نفسه  
والتقول التكلف ولا يستعمل الا في الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا (بل لا يؤمنون) أي بالقرآن  
استكبارهم ألزمهم الحجة فقال تعالى (فليأتوا بحديث مثله) أي مثل القرآن في نظمه وحسنه وبيانه  
(ان كانوا صادقين) يعني ان محمد اتقوله من قبل نفسه (أم خلقوا من غير شيء) قال ابن عباس من غير رب  
خالق والمعنى أم خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لان تعلق الخلق  
بالخالق من ضرورة الاسم فان أنكر الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) أي لانفسهم  
وذلك في البطلان أشد لان ما لا وجود له كيف يتخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا  
فليؤمنوا به وليوحده وليعبده وقيل في معنى الآية أخلقوا بلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون  
أم هم الخالقون أي لانفسهم فلا يجب عليهم لله أمر (أم خلقوا السموات والارض) يعني ليس الامر كذلك  
(بل لا يؤمنون) أي بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وان الله تعالى هو خالقهم وخالق  
السموات والارض فليؤمنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم (أم عندهم خزائن ربك) يعني النبوة ومفاتيح  
الرسالة فيضعونها حيث شاءوا وقيل خزائن المطر والرزق (أم هم المسيطرون) أي المسلطون الجبارون  
وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت أمر ولا نهى ويفعلون ما يشاؤون (أم لهم سلم) يعني صرقي ومصعد

كانوا صادقين) في أن محمد اتقوله من تلقاء نفسه لانه بلسانهم وهم فصحاء (أم خلقوا) أم أحد ثوا وقد روا  
التقدير الذي عليه فطرتهم (من غير شيء) من غير مة در (أم هم الخالقون) أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق وقيل أخلقوا  
من أجل لاشي من جزاء ولا حساب أم هم الخالقون فلا يأمرون (أم خلقوا السموات والارض) فلا يعبدون خالقهما (بل لا يؤمنون) أي  
لا يتدبرون في الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والارض (أم عندهم خزائن ربك) من النبوة والرزق وغيرهما في خصوص من شاءوا  
بما شاءوا (أم هم المسيطرون) الارباب الغالبون حتى يدبر وأمر الربوبية وينتوا الامور على مشيئتهم وبالسين مكى وشامى (أم لهم سلم)  
منسوب يرتقون به الى السماء

(يستمعون فيه) كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو وكان من تقدمه هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة  
دونه كما يزعمون قال الزجاج يستمعون فيه أي عليه (فليأت مستمعهم بسلطان مبین) بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم (أم له البنات  
ولكم البنون) ثم سفا حلامهم حيث اختار والله ما يكرهون وهم حكماء عند أنفسهم (أم تستلهم أجرا) على التبليغ والانداز (فهم من مغرم  
مثقلون) الغرم أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه أي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك (٢٠٣) في اتباعك (أم عندهم الغيب)

أي اللوح المحفوظ (فهم  
يكتبون) ما فيه حتى يقولوا  
لا نبعت وإن بعثنا لم نعتب  
(أم يريدون كيدا) وهو  
كيدهم في دار الندوة برسول  
الله والمؤمنين (فالذين  
كفروا) إشارة اليهم وأريد  
بهم كل من كفر بالله تعالى  
(هم المكيدون) هم  
الذين يعدون عليهم وبال  
كيدهم ويحقيق بهم مكرهم  
وذلك أنهم قتلوا يوم بدر أو  
المغلوبون في الكيد من  
كأيدته فكأيدته (أم لهم اله  
غير الله) يمنعهم من عذاب  
الله (سبحان الله عما  
يشركون وإن يروا كسفا  
من السماء ساقطا يقولوا  
سحاب الكسف القطعة  
وهو جواب قولهم أو تسقط  
السماء كما زعمت علينا كسفا  
يريد أنهم لشدة طغيانهم  
وعنادهم لو أسقطناه  
عليهم لقالوا هذا سحاب  
(مركوم) قدرهم أي جمع  
بعضه على بعض بمطر ناوالم  
يصدقوا أنه كسف ساقط  
للعذاب (قدرهم حتى  
يلاقوا يومهم الذي فيه  
يصعقون) يضم الياء عاصم

إلى السماء (يستمعون فيه) أي يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون أن ما هم عليه حق فهم به  
مستمسكون (فليأت مستمعهم) أي أن ادعوا ذلك (بسلطان مبین) أي بحجة بينة (أم له البنات ولكم  
البنون) هذا إنكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون لأنفسهم (أم تستلهم أجرا) أي جعلوا على ما جنتهم  
به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين (فهم من مغرم مثقلون) يعني أثقلهم ذلك المغرم الذي سألتهم فنعهم  
عن الاسلام (أم عندهم الغيب) أي علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم به الرسول من أمر  
القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نترصد به رب المنون والمعنى أعلموا أن محمدا يموت قبلهم  
(فهم يكتبون) أي يحكمون قال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون  
الناس به (أم يريدون كيدا) أي مكرابك ابهلكوك (فالذين كفروا هم المكيدون) أي المجرمون بكيدهم  
والمعنى أن ضرر كيدهم يعود عليهم ويحقيق مكرهم بهم وهو أنهم مكرروا به في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر  
(أم لهم اله غير الله) يعني برزقهم وينصرهم (سبحان الله عما يشركون) المعنى أنه نزه نفسه عما يقولون  
وقوله تعالى (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا) هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء  
يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم (يقولوا) لمعاندتهم هذا (سحاب  
مركوم) أي بعضه على بعض يسقينا (قدرهم حتى يلاقوا) أي يعاينوا (يومهم الذي فيه يصعقون) أي  
يموتون ويهلكون (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ومنعهم  
من العذاب مانع (وإن للذين ظلموا) أي كفر (وإن عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة  
قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر) ولكن  
أكثرهم لا يعلمون) أي إن العذاب نازل بهم ﴿ قوله عز وجل (واصبر لحكم ربك) أي إلى أن يقع بهم  
العذاب الذي حكمنا عليهم به (فإنك باعينا) أي برأى مناقل ابن عباس يرى ما يعمل بك وقيل معناه أنك  
بميت نراك ونحفظك فلا يصلون إليك بمكروه (وسبح بحمدي ربك حين تقوم) أي وقل حين تقوم من  
مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فإن كان المجلس خيرا زددت بذلك احسانا وإن كان غير ذلك كان كفارة  
له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال  
قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك الا كان كفارة لما  
بينهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو  
ذكرك الله بالليل من حين تقوم من الفراش إلى أن تدخل في الصلاة وعن عاصم بن حنيد قال سألت عائشة  
بأى شيء كان يفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك كان  
إذا قام كبر عشر أو حمد الله عشر أو سبح عشر أو همل عشر أو استغفر عشر أو قال اللهم اغفر لي وارحمني  
وأهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي وقيل إذا قلت إلى  
الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك بدل عليه ما روى عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا افتتح  
الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك أخرجه الترمذي

وشامى الباقون بفتح الياء يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعقة (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وإن  
للذين ظلموا) وإن طؤوا الظامة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة وهو القتل يوم بدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر (ولكن  
أكثرهم لا يعلمون) ذلك ثم أمره بالصبر إلى أن يقع بهم العذاب فقال (واصبر لحكم ربك) بأهلهم وبما يلحقك فيه من المشقة (فإنك  
باعينا) أي بحيث نراك ونكفؤك وجمع العين لأن الضمير بلفظ الجماعة لأن ترى إلى قوله وتضع على عيني (وسبح بحمدي ربك حين تقوم)

للصلاة وهو ما يقال بعد التكبير سبحانك اللهم وبحمدك أو من أي مكان وقت أو من منامك (ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم) وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل وأدبار زبد أي في أعقاب النجوم وأثارها إذا غربت والمراد الأمر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة إذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاء وأدبار النجوم صلاة الفجر وبالله التوفيق (سورة النجم اثنتان وستون آية مكية) ﴿بسم الله﴾ (٢٠٤) الرحمن الرحيم ﴿والنجم﴾ أقسم بالثرى أو يجنس النجوم (إذا هوى) إذا غرب أو

انتربوم القيامة وجواب القسم (ماض) عن قصد الحق (صاحبكم) أي محمد صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش (وماغوى) في اتباع الباطل وقيل الضلال تقيض الهوى والتي تقيض الرشد أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والتي (وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى) وما أتاكم به من القرآن ليس ينطق بصدر عن هواه ورأيه انما هو وحى من عند الله يوحى اليه ويحتج به هذه الآيات من لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام ومجانبان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحي لانطقا عن الهوى (علمه) علم محمد عليه السلام (شديد القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور ومن قوته انه اقتلع

أبوداود وقد تكلم في أحاديثه ﴿وقوله تعالى﴾ (ومن الليل فسبحه) أي فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء (وأدبار النجوم) يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدير النجوم أي تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين يدل عليه ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أدبار النجوم الركعتان قبل الفجر وأدبار السجود الركعتان بعد المغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل أدبار النجوم هي فريضة صلاة الصبح (ق) عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة النجم﴾

﴿وهي مكية وهي اثنتان وستون آية وثلاثون كلمة وألفا وأربعمائة وخمسة وأحرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والنجم إذا هوى) قال ابن عباس يعني الثريا إذا سقطت وغابت والعرب تسمى الثريا نجما ومنه قولهم إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وجاء في الحديث عن أبي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء الارتفاع أراد بالنجم الثريا وقيل هي نجوم السماء كلها وهو يهاجر وبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وروى عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم وهي ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هي النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل أراد بالنجم القرآن سمي نجما لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضا وقيل النجم هو الثبت الذي لا ساق له وهو به سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو به نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى (ماض صاحبكم) يعني محمد صلى الله عليه وسلم ماضل عن طريق الهدى (وماغوى) أي ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والتي ان الضلال هو أن لا يجد السالك الى مقصده طريقا أصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى مقصده مستقيما وقيل ان الضلال أكثر استعمالا من الغواية (وما ينطق عن الهوى) أي بالهوى والمعنى لا يشككم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمد يقول القرآن من تلقاء نفسه (ان هو) أي ما هو يعني القرآن وقيل نطقه في الدين (الوحى) من الله (يوحى) اليه (علمه شديد القوى) يعني جبريل علم محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله اليه عز وجل وكونه شديد القوى انه اقتلع قري قوم لوط وجعلها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة ثمود فاصبحوا اجاثمين وكان هبوطه بالوحى على الانبياء أسرع من رجعة الطرف (ذومرة) أي ذو قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن (فاستوى) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام (وهو) يعني محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج (بالافق الاعلى) عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل أيضا قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك أن جبريل عليه الصلاة والسلام كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة آدميين كما كان يأتي الانبياء قبله فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم

في

قري قوم لوط من الماء الاسود وجعلها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة ثمود

فاصبحوا اجاثمين (ذومرة) ذو منظر حسن عن ابن عباس (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يمثلها كما هبط بالوحى وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو أفق الشمس فلا الأفق وقيل ما رآه أحد من الانبياء عليهم السلام في صورته الحقيقية سوى محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء (وهو) أي جبريل عليه السلام (بالافق الاعلى) مطلع الشمس

قاب قوسين) مقدار قوسين عريتين وقد جاء التقدير بالقوس والريح والسطوح والفرع والباع ومنه لاصلاة ولا كلام الى أن ترتفع الشمس مقدار رحمتين وفي الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قدمه خير من الدنيا وما فيها والقدر السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قمر به مثل قاب قوسين خذفت المضافات (وأدنى) أى على تقدير كم كقوله أوزيدون هذا لانهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رحمتين أو ناقص وقيل بل أدنى (فاوحى) جبريل عليه السلام (الى عبده) الى عبدالله وان لم يجر لاسمه ذلك لانه لا يلتبس كقوله ماترك على ظهرها (ماوحى) تفخيم للوحى الذى أوحى اليه قيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك (ما كذب القواد) فؤاد محمد (مارأى) مارأه بصره من صورة جبريل عليه السلام أى ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولوقال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه

أن يرى نفسه على صورته التى جبل عليها فآراه نفسه مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء فاما التى فى الارض فبالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة آدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى ثم دنا فتدلى وأما التى فى السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الانبياء على تلك الصورة التى خلق عليها الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فروى عن مسروق بن الاعدع قال قلت لعائشة فابن قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قالت ذلك جبريل كان ياتيه فى صورة الرجل وانه أتاه فى هذه المرة فى صورته التى هى صورته فسد الافق أخرجاه فى الصحيحين وعن زر بن حبيش فى قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى وفى قوله ما كذب القواد مارأى وفى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كماها ان ابن مسعود قال رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح زادنى فى رواية أخرى رأى جبريل فى صورته أخرجه مسلم والبحارى فى قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أو أدنى أى بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل فى الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدانان التدلى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى أى فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وقد ورد فى الصحيحين فى حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن أبى عمير عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية أبى سلمة عن ابن عباس والتدلى هو النزول الى النبى صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث أنس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معرفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب ونابت البنائى وقتادة يعنى عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به وفى رواية شريك قدم وأخرو زادون ناقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك فى الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى أى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى والقاب القدر والقوس النبى يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فاخبر انه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذه اشارة الى تأكيد القرب وأصله ان الخليفتين من العرب كانا اذا أرادا عقد الصفاء والعهد بينهما خراجا بقوسيهما فالصفا بينهما يراى يدان بذلك انهما متظاهران بحماى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبدالله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التى يقاس بها من قاس يقبس أو أدنى بل أقرب (فاوحى) أى فاوحى الله (الى عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ما أوحى) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى اليه ربه عز وجل وقال سعيد بن جبيرة أوحى اليه لم يجذبك يتما فآوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها أنت وعلى الامم حتى تدخلها أمتك قوله عز وجل (ما كذب القواد) قرئ بالتشديد أى ما كذب قاب محمد صلى الله عليه وسلم (مارأى) أى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه قرئ بالتخفيف أى ما كذب فؤاد محمد الذى رآه بل صدقه والمعنى ما كذب القواد فيما رأى واختلفوا فى الذى رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا فى معنى الرؤية فقيل جعل بصره فى فؤاده وهو قول ابن عباس (م) عن ابن عباس ما كذب القواد مارأى ولقد رآه نزل أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة الى أنه رآه بعينه حقيقة وهو قول أنس بن

يعنى رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى ان مارأه حق وقيل المرئى هو الله سبحانه رآه بعين رأسه وقيل بقلبه



(أقبارونه) أفتجد أوله من المرء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كل واحد من المتجادلين يرمى ما عند صاحبه أفتمرونه حزة  
وعلى وخلفو يعقوب أفتغلبونه (٢٠٦) في المرء من ماريته فريته ولما فيه من معنى الغلبة قال (علي ما يرى) فعدي

بعلى كما تقول غلبته على  
كذا وقيل أفتمرونه  
أفتجدونه يقال مرته  
حقه اذا حججه وتعديته  
بعلى لانصح الاعلى مذهب  
التصنيف (ولقد رآه) رأى  
محمد جبريل عليهما السلام  
(نزلة أخرى) مرة أخرى من  
النزول نصبت النزلة نصب  
الظرف الذي هو مرة لان  
الفعلة اسم للمرة من الفعل  
فكانت في حكمها أي  
نزل عليه جبريل  
عليه السلام نزلة أخرى في  
صورة نفسه فرآه عليها  
وذلك ليلة المعراج (عند  
سدرة المنتهى) الجمهور  
على انها شجرة تنبثق في  
السما السابعة عن عرش  
العرش والمنتهى بمعنى  
موضع الانتهاء أو الانتهاء  
كأنها في منتهى الجنة وآخرها  
وقيل لم يجاوزها أحد واليهما  
ينتهي علم الملائكة وغيرهم  
ولا يعلم أحد ما وراءها  
وقيل تنتهي إليها أرواح  
الشهداء (عندها جنة  
المأوى) أي الجنة التي  
يصيروا إليها المتقون وقيل  
تأوى إليها أرواح الشهداء  
(اذ يغشى السدرة ما يغشى)  
أي رآه اذ يغشى السدرة  
ما يغشى وهو تعظيم وتكبير

مالك والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد به عز وجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عز وجل اصطفى  
ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمد بالرؤية وقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد  
وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين أخرجه الترمذي باطول من هذا وكانت عائشة تقول لم ير  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة يا أمه هل رأى  
محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثنهن فقد كذب من حدثك أن محمد رأى  
ربه فقد كذب ثم قرأت لاندركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله  
الا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا  
وما تدرى نفس باي أرض تموت ومن حدثك أن محمد أكرم أمر فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل  
اليك من ربك ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين أخرجه في الصحيحين (م) عن أبي ذر قال سألت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نوراً في آراءه قوله عز وجل (أقبارونه على ما يرى) يعني  
أفتجد أوله على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين أسرى به وقالوا صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عبرنا  
في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى أفتجد أوله جداوله جداوله جداوله جداوله جداوله (ولقد رآه نزلة  
أخرى) يعني رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلاً من السماء نزلة أخرى وذلك انه رآه في صورته مرتين  
مرة في الأرض ومرة عند سدرة المنتهى (م) عن أبي هريرة ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل وعلى قول  
ابن عباس يعني نزلة أخرى هو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات لمسئلة التخفيف من  
اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه عز وجل في بعضها وروى عن ابن عباس انه رأى ربه  
بفؤاده مرتين وعنه انه رآه بعينه (عند سدرة المنتهى) (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما أسرى  
برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة واليهما انتهى ما يرجع من  
الأرض فيقبض منها واليهما انتهى ما يهب من فوقها فيقبض منها وقال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فرأى من  
ذهب وفي رواية الترمذي اليها انتهى علم الخلاق لا علم لهم فوق ذلك وفي حديث المعراج المخرج في الصحيحين  
ثم صعدني الى السماء السابعة ثم قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا بنقها مثل قلال هجر واذا ورقها كآذان  
القبيلة قال هذه سدرة المنتهى وفي أفراد مسلم من حديث أنس قال ثم عرج بنا الى السماء السابعة وذكره  
الى ان قال فيه ثم ذهب في الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان القبيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشها  
من نور الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سأل ابن  
عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب انها سدرة في أصل العرش على رؤس حلة العرش واليهما  
ينتهي علم الخلاق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله عز وجل وعن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب في ظل الفئتين منها مائة سنة وقال يستظل بظلها  
مائة ألف مرة كعب فيها فرأى الذهب كأن ثمرها القلال أخرجه الترمذي وقال مقاتل هي شجرة تحمل الحلى  
والحلل والتمار من جميع الألوان ولوان ورقه وضعت منها في الأرض لاضاءت لاهل الأرض وهي شجرة طوبى  
التي ذكرها الله في سورة الرعد (عندها جنة المأوى) قال ابن عباس جنة المأوى بأوى البهاجر بل والملائكة  
وقيل بأوى البها أرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) قال ابن مسعود فرأى من ذهب وقيل يغشاها  
ملائكة أمثال الغراب وقيل أمثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل غشها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من  
حب الله تعالى أمثال الغراب حتى يقعن عليها وقيل هو نور رب العزة و يروى في الحديث قال رأيت على

كل

لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلاق الدالة على عظمة

الله تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يغشاها أش الذهب

كل ورقة منها مل كاقا ما يسبح الله عز وجل (ما زاغ البصر وما طغى) أى مامل بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة يميننا وشمالنا لا جاوز ما رأى وقيل ما أمر به وهذا وصف أدبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف اذ لم يلتفت الى شئ سوى ما أمر به وفي معنى الآية ان قلنا ان الذي يغشى السدرة فراش من ذهب أى لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه بيان أدبه صلى الله عليه وسلم اذ لم يقطع بصره عن المقصود وان قلنا الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه بمنه ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثاني ما زاغ البصر بصعقة ولا غشية كما أخبر عن موسى بقوله وخز موسى صعقا وذلك أنه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل قطع نظره وغشى عليه ونبين صلى الله عليه وسلم ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحارف فيه العقول وتزل فيه الاقدام وتميل فيه الابصار فوصف الله عز وجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وقوله تعالى (ولقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعنى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى (م) عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح (خ) عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرقا أخضر سدأفق السماء

فصل من كلام الشيخ محي الدين النواوى في معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسراء قال القاضي عياض اختلاف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء فانكرته عائشة كما وقع في صحيح مسلم وجاء مثله عن أنى هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروى عن ابن عباس أنه رآه بعينه ومثله عن أنى ذر وكعب والحسن وكان يخلف على ذلك وحكى مثله عن ابن مسعود وأنى هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أنى الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل في الدنيا جائزة وسؤال موسى إياه دليل على جوازها اذ لا يبطل نبي ما يجوز أو يمنع على ربه واختلقوا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه ليلة الاسراء بغير واسطة أم لا حكى عن الأشعري وقوم من المتكلمين انه كلمه وعز بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله ثم دنا فتدلى قال أكثر على أن هذا الدنو والتدلى منقسم بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم أو مختص باحد هما من الآخر أو من سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه أو من الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلى متأولا وليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لاحدله ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقر به منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له اظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين أو أدنى هنا عبارة عن لطف المحل وإيضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة وابانة المنزلة هذا آخر كلام القاضي عياض قال الشيخ محي الدين وأما صاحب التحري فإنه اختار اثبات الرؤية وقال والحجج في المسئلة وان كانت كثيرة ولكن لا نقسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس أنه يحبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روى باسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال رأى محمد ربه عز وجل وكان الحسن يخلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل والاصل في المسئلة حديث

(ما زاغ البصر) بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدل عن رؤيته المجانب التي أمر برؤيتها ومكن منها (وما طغى) وما جاوز ما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من آيات ربه الكبرى) الآيات التي هي كبرها وعظماها يعنى حين رقى به الى السماء فأرى مجانب الملكوت

ابن عباس جبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسئلة وارسله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فاخبره أنه رآه ولا يقدح في هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر بأنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي وإنما ذكر ما ذكرته متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا قد سححت الروايات عن ابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة باثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يتلقى بالسمع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا باعلم من ابن عباس ثم ان ابن عباس أثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحري في اثبات الرؤية قال الشيخ محي الدين فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بعيني رأسه ليلية الاسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا الاخذونه الا بالسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وإنما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها فنقول أما احتجاج عائشة رضي الله تعالى عنها بقوله تعالى لا تدركه الابصار فخوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره وأما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا الآية فالجواب عنه من أوجه أحدها انه لا يلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الوجه الثاني انه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة الوجه الثالث ما قاله بعض العلماء ان المراد بالوحى الكلام من غير واسطة وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على أن المراد بالوحى هنا الالهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيا أو ما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال الواحدى وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع و يدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة في أول الحديث لقد فقه شعري فمعناه قام شعري من الفرع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يقال تقول العرب عند انكار الشيء فف شعري واقشر جلدى واشمأزت نفسى وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر نور أنى أراه فهو بنور نور وبتفتح الهمزة فى أى وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجاب نور فكيف أراه قال الماوردى الضمير فى أراه عائدة على الله تعالى والمعنى أن النور بمعنى من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار ومنعها من ادراك ما حلت بين الرأى وبينه وفى رواية رأيت نوراً معناه رأيت النور غسب ولم أر غيره وفى رواية ذاته نور أنى أراه ومعناه هو خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل أن تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع ائمة المسلمين والله أعلم ﴿ قوله عز وجل (أفرأيتم اللات والعزى) هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها واشتقوا لها أسماء من أسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز والمعنى أخبرونا عن هذه الآلهة التى تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة شئ وكان اللات بالطائف وقيل بنحلة كانت قرىش تعبده وقرى اللات بالتشديد (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان اللات رجلا يلبث السوق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان فى رأس جبل له غنيمة يسلا منها السمى و يأخذ منها لقط ويجمع رسلها ثم يتخذ حيسا فيطعم الحاج وكان يلبث نحلة فلما مات عبده وهو

ومائة الثالثة) أي أخبرونا عن هذه الاشياء التي تعبدونها من دون الله عز وجل هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بهارب العزة اللات والعزى ومائة أصنام لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لتقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلبون عليها ويعكفون للعبادة والعزى كانت لغطفان وهي سمرة وأصلها تأنث الاعز (٢٠٩) وقطعها خالد بن الوليد ومائة صخرة

كانت لطبيل وخزاعة وقيل لتقيف وكانها سميت مائة لان دماء النساء كانت تمني عندها أي تراق ومائة مكي مفعلة من النوه كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركاتها (الاشري) هي صفة ذم أي المتأخرة الوضعية المقدار وقالت كقوله وقالت أخراهم لاولاهم أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرفهم ويجوز أن تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم لمن فقيل لهم (ألكم الذكرو له الاتي تلك اذا قسمة ضيزى) أي جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى أي جائرة من ضازره يضيزره اذا ضامه وضيزى فعلى اذا لا فعلى في النعوت فكسرت الضاد للياء كما قيل بيض وهو بوض مثل حجر وسود ضزى بالهمز مكي مثل ضازره مثل ضازره (ان هي)

اللات وقيل كان رجلا من سقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلا السمن فيضعه على صخرة فتأنيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حوانتها تقيف الى منازل طافرت الطائف على موضع اللات وأما العزى فقيل هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضر بها بالفأس ويقول يا عز كفرناك لاسبحناك \* اني رأيت الله قد أهانك فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالد ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعناها فقال ما رأيت شيئا فقال ما رأيت شيئا فقال ما قطعنا فعاودها ومعها المول فقطعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وقيل هي صنم لغطفان وضعاؤها لم سعد بن ظالم الغطفاني وقيل انه قدم مكة فرأى الصفا والمرور رأى أهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمرور وليست لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فإنا نأمرنا قال أنا صنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المرور ونقلهما الى نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا وهذا الصفا ثم وضع الذي أخذ من المرور وقال هذه المرور ثم أخذ ثلاثة أشجار وأسندها الى شجرة وقال هذا بكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجر الثلاثة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأمر برفع الحجارة وأمر خالد بن الوليد بالعزى فقطعها وقيل هي بيت بالطائف كانت تعبده تقيف وقوله (ومائة) قيل هي لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها في الانصار كانوا يهاون لمائة وكانت حدوقيد وقيل هي بيت بالمشل كانت تعبده بنو كعب وقيل مائة صنم لطبيل وخزاعة وكانت تعبدها أهل مكة وقيل اللات والعزى ومائة أصنام من الحجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها (الثالثة الاخرى) الثالثة نعت لمائة اذ هي الثالثة في الذكرو وأما الاخرى فان العرب لا تقول الثالثة الاخرى وانما الاخرى هنا نعت للثلاثة قال الخليل قاله الوفاق رؤس الآي كقوله ما رب أخرى ولم يقل آخر وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره أفرأيتم اللات والعزى الاخرى ومائة الثالثة وقيل هي صفة ذم كأنه تعالى قال ومائة الثالثة المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتب مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة آدمى والعزى شجرة فهي نبات ومائة صخرة فهي جاد وهي في آخر مراتب ومعنى الآية هل رأيتم هذه الاصنام حق الرزية واذا رأيتوها علمتم انها لا تصلح للعبادة لانها لا تنفع وقيل أفرأيتم أيها الزاعمون ان اللات والعزى ومائة بنات الله ألكم الذكرو له الاتي وقيل كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذا بشر بالاتي كره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم (ألكم الذكرو له الاتي تلك اذا قسمة ضيزى) قال ابن عباس أي قسمة جائرة حيث جعلتم لكم ما تنكرون لانفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة (ان هي) أي ما هذه الاصنام (الاسماء سميتوهما أنتم وآباؤكم) والمعنى انكم سميتوهما آلهة وليست بآله حقيقة ولا بعبودة حقيقة وقيل معناه قائم لبعضها عزى ولا عزة لها فلا يكون لها مسمى حقيقة (ما أنزل الله بهما من سلطان) أي حجة بما تقولون انها آلهة (ان يتبعون الا الظن) أي في قولهم انها آلهة (وما تهوى الانفس) يعني هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعاؤهم بمقتضى شهواتهم والذي ينبغي ان تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بتابعة هوى النفس (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أي البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل أن الاصنام

(٢٧ - خازن) - رابع) ما الاصنام (الاسماء) ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية

لها وبعثت منها واشد منافاة لها (سميتوهما) أي سميت بهما يقال سميت زيد او سميت به زيد (أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بهما من سلطان) حجة (ان يتبعون الا الظن) لانهم ان ما هم عليه حق (وما تهوى الانفس) وما تشبهه أنفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول

والكتاب فتركوه ولم يعملوا به (أم للانسان ماعنى) هي أم المنقطعة ومعنى الهزمة فيها الانكار أى ليس للانسان يعنى الكافر ماعنى من شفاعته الاصنام أو من قوله وإن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقيل وهو مسمى بعضهم أن يكون هو النبي (فئة الآخرة والاولى) أى هو مالسكهما وله الحكم فيهما يعطى النبوة والشفاعة من شاء وارضى لامن تسمى (وكم من ملك فى السموات لانغنى شفاعتهم شيئاً الامن بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) يعنى أن (٢١٠) أمر الشفاعة ضيق فان الملائكة مع قريهم وكثرتهم لوشفعوا بجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم قط ولم تنفع الا

اذا شفعوا ومن بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة أى كل واحد منهم) تسمية الاتى لانهم اذا قالوا للملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الاتى (وما لهم به من علم) أى بما يقولون وقرئ بها أى بالملائكة أو بالتسمية (ان يتبعون الا الظن) هو تقليد الآباء (وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً) أى انما يعرف الحق الذى هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) فاعرض عمن رأيت معراض عن ذكر الله أى القرآن (ولم يرد الا الحيوة الدنيا) هو

ليست بألهة وأن العبادة لا تصلح للاله الواحد القهار وقوله تعالى (أم للانسان ماعنى) معناه أظن الكافر أن له ما تمنى ويشتهى من شفاعته الاصنام أى ليس الامر كما يظن ويتمنى (فئة الآخرة والاولى) أى لا يملك أحد فيهما شيئاً أبداً ابداً وقيل معناه أن الانسان اذا اختار معبودا على مآمنه واشتهاه ففئة الآخرة والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء فى الدنيا والآخرة وان شاء أمهله الى الآخرة (وكم من ملك فى السموات) أى ممن يعبدهم هؤلاء يرجون شفاعتهم عند الله (لانغنى شفاعتهم شيئاً) يعنى ان الملائكة مع علمهم تغن شفاعتهم لانغنى شفاعتهم شيئاً فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم أخبر ان الشفاعة لا تكون الا بذنه فقال تعالى (الامن بعد أن يأذن الله) أى فى الشفاعة (لمن يشاء ويرضى) أى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لانشفع الملائكة الامن رضى الله عنه وقيل الامن بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة فى الشفاعة لمن شاء الشفاعة له (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعنى الكفار الذين أنكروا البعث (ابسمون الملائكة تسمية الاتى) أى بتسمية الاتى حيث قالوا انهم بنات الله فان قلت كيف قال تسمية الاتى ولم يقل تسمية الاناث قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ ألقى بهذا الموضوع لمناسبته رؤس الآى وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الاتى وذلك لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الاتى (وما لهم به من علم) أى بالله فيبشركون به ويجمعون له ولداً وقيل ما يستيقنون أن الملائكة أناث (ان يتبعون الا الظن) أى فى تسمية الملائكة بالاناث (وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً) أى لا يقوم الظن مقام العلم الذى هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشيء بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) يعنى القرآن وقيل عن الايمان (ولم يرد الا الحياة الدنيا) يعنى انهم لا يؤمنون بالآخرة حتى يردوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى (ذلك مبالغهم من العلم) أى ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم أن آرد الدنيا على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الاظنهم أن الملائكة بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن والايمان (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو عالم بالفرقيين وبجوازهم بعمالمهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض) وهذه اشاوة الى كمال قدرته وغناؤه وهو معترض بين الآيات الاولى وبين قوله (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا) والمعنى اذا كان أعلم بهم جازى كل أحد بما يستحقه فيجزى الذين أساءوا أى اشر كوا بما عملوا من الشرك (ويجزى الذين أحسنوا) أى وحدوا بهم (بالحسنى) يعنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء اذا كان كثير الملاك كامل القدره فلذلك قال (ولله ما فى السموات وما فى الارض) ثم وصف المحسنين فقال عز وجل (الذين يحبون كبار الامم) قيل الامم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطنه عن الملوك وقيل هو فعل ما لا يحل وقيل الامم جنس يشتمل على كبار ووصفاً ورجعه آثم والكبيرة متعارفة فى كل ذنب تعظم عقوبته ووجهه كبار (والفواحش) جمع فاحشة وهى ما عظم قبحه من الافعال والاقوال

وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو أعلم بالضال والمهتدى وبجوازهم ما (ولله ما فى السموات وما فى الارض) وقيل ليجزى الذين أساءوا بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء أو بسبب ما عملوا من السوء (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بسبب الاعمال الحسنى والمعنى ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذا الملكوت ليجزى المحسن من المكافئين والمسيء منهم اذا ملك أهل لنصر الاولياء وقهر الاعداء (الذين) بدل أوفى موضع رفع على المدح أى هم الذين (يحبون كبار الامم) أى الكبار من الامم لان الامم جنس يشتمل على كبار أو صغار والكبار الذنوب التى يكبر عقابها كبير حجة وعلى أى النوع الكبير منه (والفواحش)

وقيل هي ماخس من الكبائر (الالمام) أي الاماقل وصغر من الذنوب وقيل هي مقارنة المعصية من قولك  
 أملت بكذا اذا قار به من غير موافقة واختلفوا في معنى الآية فقيل هذا استثناء صحيح والمام من الكبائر  
 والقواحش ومعنى الآية الآن يل بالفاحشة مرة ثم يتوب أو يقع الواقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة  
 ومجاهد والحسن ورواية عن ابن عباس وقال عبد الله بن عمر وبن العاص الممام مادون الشرك وقال أبو  
 صالح سئلت عن قول الله عز وجل الالمام فقات هو الرجل يل بالذنب ثم لا يعاود فذكرت ذلك لابن عباس  
 فقال أعانك عابها ملك كريم عن ابن عباس في قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والقواحش الا  
 الممام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر لنا \* وأي عبد لك لألما  
 أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقيل أصل الممام والمام ما يعمله الانسان الحين بعد  
 الحين ولا يكون له إعادة ولا اقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن الممام ولم يجعلوا الممام من الكبائر  
 والقواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو ما ساف في الجاهلية فلا يؤخذهم به في الاسلام وذلك ان المشركين  
 قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معناه فانزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن  
 أسلم وقيل الممام هو صغار الذنوب كالنظرة والعمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود  
 وأبي هريرة ومسروق والشعبي والرواية الاخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا  
 أشبه بالممام مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من  
 الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمتن وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو  
 يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما  
 الاستماع واللسان زناه الكلام واليدان زناهما البطش والرجل زناهما الخطا والقلب بهوى ويمتنى ويصدق ذلك  
 الفرج أو يكذبه وقيل الممام على وجهين أحدهما أنه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حد في الدنيا ولا  
 عذاب في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والقواحش الوجه  
 الثاني هو الذنب العظيم يل به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم يعل على القلب أي خطر وقيل اللهم  
 النظر من غير عمد فهو مغفور فان أعاد النظر فليس بهم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى أعلم  
 فصل في بيان الكبيرة ورحدها وتمييزها عن الصغيرة قال العلماء كبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر  
 لاخفاء به لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويايه القتل بغير حق فأما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر  
 وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف  
 وأكل الربو غير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل وأحكام تعرف بها مراتبها ويختلف  
 أمرها باختلاف الاحوال والمفاسد المرتبة عليها فعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي من أكبر الكبائر  
 بالنسبة الى مادونها وقد جاء عن ابن عباس أنه سئل عن الكبائر أسبع هي قال هي الى السبعين أقرب وفي  
 رواية الى سبع مائة أقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل  
 شيء نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين  
 واحتج القائلون بهذا بان كل مخالفة فهي بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذبح الجاهل من السلف والخلف  
 من جميع النواصب الى انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة  
 واستعمال سلف الأمة واذ ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقد اختلف في ضبطها فروى عن ابن  
 عباس أنه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنارا وغضب أو لعنة أو عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هي  
 ما وعد الله عليه بنار في الآخرة أو وحدي الدنيا وقال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة ان  
 كل معصية يقدم عليها المرء من غير استسهار خوف أو استعداء ندم كالمهاون في ارتكابها والمستجري

ماخس من الكبائر كأنه  
 قال والقواحش منها خاصة  
 قيل الكبائر ما وعد عليه  
 النار والقواحش ما شرع  
 فيها الحد (الالمام) أي  
 الصغائر والاستثناء منقطع  
 لأنه ليس من الكبائر  
 والقواحش وهو كالنظرة  
 والقبلة واللمسة والعمزة

واذا أنتم أجنة) جمع جنين  
 (في بطون امهاتكم فلا  
 تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوا  
 الى زكاه العمل وزيادة  
 الخير والطاعات وأولى الزكاة  
 والطهارة من المعاصي ولا  
 تنسبوا عليها واهضموها  
 فقد علم الله الزكي منكم  
 والتقى أولاً وآخر قبل أن  
 يخرجكم من صلب آدم عليه  
 السلام وقبل أن تخرجوا  
 من بطون امهاتكم وقيل  
 كان ناس يعملون أعمالاً  
 حسنة ثم يقولون صلاتنا  
 وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا  
 اذا كان على سبيل الإعجاب  
 او الرياء لا على سبيل  
 الاعتراف بالنعمة فانه  
 جائز لان المسرة بالطاعة  
 طاعة وذكرا شكر (هو  
 أعلم من اتقى) فاكتفوا  
 بعلمه عن علم الناس وبجزائه  
 عن ثناء الناس (أفرايت  
 الذي تولى) أعرض عن  
 الايمان (وأعطى قليلاً  
 وأكدي) قطع عطيته  
 وأمسك وأصلها كداء  
 الحافر وهو أن تلقاه كدية  
 وهي صلابه كالصخرة  
 فيمسك عن الحفر عن  
 ابن عباس رضي الله عنهما  
 فيمن كفر بعد الايمان  
 وقيل في الوليد بن المغيرة  
 وكان قد اتبع رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فغيره

علها اعتياداً فاشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة  
 التقوى ولا ينفك عن ندم يترج به تنغيص التلذذ بالعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز  
 الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد اذا أردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فأعرض مفسدة  
 الذنب على مفسدات الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن أقل مفسدات الكبائر فهمي من الصغائر وان  
 سارت أدنى مفسدات الكبائر أو زادت عليه فهمي من الكبائر فمن أمسك امرأة محصنة لم يزن بها وأمسك  
 مسلماً لم يقتله فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم من أكل درهمين من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو  
 دل الكفار على عورة المسلمين مع عامه بانهم يستأصرونهم بدلالته فان تسببه الى هذه المفسدة أعظم من توبه  
 يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب على انسان كذبا يعلم أنه يقتل بسببه ولو كذب  
 على انسان كذبا يعلم أنه يؤخذ منه ثمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح  
 في فتاويه الكبيرة كل ذنب كبير وعظم عظماً بحيث يصح معه أنه يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيماً  
 على الاطلاق فهذا احد الكبيرة ولها أمارات منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب  
 أو السنة ومنها ما وصف فاعلمها بالفسق أو يضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله  
 أعلم وقوله تعالى (ان ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس ان فعل ذلك ثم تاب وأتاب وروى عن عمر بن  
 الخطاب وابن عباس قال لا كبيرة في الاسلام أي لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه أن الكبيرة  
 أيضاً تحي بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل في حد الاصرار هو أن يسكر ومنه  
 الصغيرة تكرار يشعر بقلة مبالاة بذنبه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال تعالى  
 (هو أعلم بكم) أي قبل أن يخلقكم وهو قوله (اذنشأكم من الارض) أي خلق أباكم آدم من التراب (واذا أنتم  
 أجنة) جمع جنين (في بطون امهاتكم) سمي جنينا لاستناره في بطن أمه (فلا تزكوا أنفسكم) قال ابن  
 عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ماهي صانعة والى ماهي صائرة فلا تزكوا أنفسكم  
 فلا تبرؤوا من الآثام ولا تمدحون بحسن الاعمال وقيل في معنى الآية هو أعلم بكم أيها المؤمنون علم حالكم  
 من أول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم براء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم يعرفوا حقيقته أنا خير منكم  
 أو أنا زكي منك أو أتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة  
 من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هو أعلم من اتقى) أي بمن بر وأطاع وأخلص العمل وقيل في معنى  
 الآية فلا تزكوا أنفسكم أي لا تنسبوا الى زكاه العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوا الى الزكاة  
 والطهارة من المعاصي ولا تنسبوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقى أولاً وآخر قبل أن يخرجكم  
 من صلب آدم وقبل أن تخرجوا من بطون امهاتكم قيل نزلت في ناس كانوا يعملون أعمالاً حسنة  
 ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله هذه الآية ﴿ قوله عز وجل (أفرايت الذي تولى) نزلت في  
 الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فغيره بعض المشركين وقالوا أتركت دين  
 الاشياخ وضلت قال اني خشيت عذاب الله فضمن له الذي عاتبه ان أعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك ان  
 يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك وأعطى للذي عبره بعض الذي ضمن له من المال ومنعه تمامه  
 فانزل الله أفرايت الذي تولى أي أدبر وأعرض عن الايمان (وأعطى) أي لصاحبه الذي عبره (قليلاً  
 وأكدي) أي بخل بالباقي وقيل أعطى قليلاً أي من الخير بلسانه وأكدي أي قطعه وأمسك ولم يعم بالعطية  
 وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه كان ريباً وافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور  
 وقيل نزلت في أبي جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد الا بما كرم الاخلاق فذلك قوله وأعطى قليلاً وأكدي

بعض الكافر بن وقال له تركت دين الاشياخ وزعمت أنهم في النار قال اني خشيت عذاب الله فضمن له ان هو اعطاه شيئاً اي  
 من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل وأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه

(أعنده علم الغيب فهو يرى) أهو يعلم أن ماضيه من عذاب الله حتى (أم لم ينبا) يخبر (بما في صحف موسى) أي التوراة (وابراهيم) أي وفي صحف ابراهيم (الذي وفي) أي وفروا ثم كقولهم فاتهن واطلاقه ليتناول كل وفاة وتوفية وقرى مخفقا والتشديد مبالغة في الوفاء وعن الحسن ما أمره الله بشئ الا وفي به وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل محالوقا فاصا قنف (٢١٣) في النار وقال له جبريل أنك حاجة

فقال أما اليك فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفي عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروى الأخرى لم يسمي الله خليله الذي وفي كان يقول اذا أصبح واذا أمسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل وفي سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة والتائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد أفتح المؤمنون ثم أعلم بما في صحف موسى و ابراهيم فقال (الأترز وازرة وزر أخرى) تتر من وزر يتر اذا اكتسب وزرا وهو الائم وان مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تتر واضمير ضمير الشأن ومحل ان وما بعدها الجريد لا بما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تتر كان قالوا قال وما في صحف موسى و ابراهيم فقيل الأترز وازرة وزر أخرى أي لا تحمّل نفس ذنب نفس (وأن لبس للانسان الاماسي) أي سعيه وهذه أيضا ما في صحف ابراهيم وموسى وأما

أي لم يؤمن به، وعنى الآية أكدي أي قطع وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الخفر (أعنده علم الغيب فهو يرى) أي ما غاب عنه أي أن صاحبه يتحمل عنه عذابه (أم لم ينبا) أي يخبر (بما في صحف موسى) يعني أسفار التوراة (وابراهيم) أي ويخبر بما في صحف ابراهيم (الذي وفي) أي أكمل وعم ما أمر به وقيل عمل مما أمر به وبلغ رسالاته الى خلقه وقيل وفي بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفي بما فرض عليه في سهام الاسلام وهو قوله واذا أتى ابراهيم ربه بكلمات فاتهن والتوفية الاتمام وقيل وفي شأن المناسك وروى البغوي بسنده عن ابى امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذي وفي عمله كل يوم باربع ركعات أول النهار عن أبي الدرء وأبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم عن الله تبارك وتعالى أنه قال ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما فقال تعالى (الأترز وازرة وزر أخرى) أي لا تحمّل نفس حاملة حل نفس أخرى والمعنى لا تؤخذ نفس بآثم غيره وفي هذا الباطل قول من ضمن للوليد ابن المغيرة انه يحتمل عنه الائم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل يقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبدته حتى كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى الأترز وازرة وزر أخرى (وأن لبس للانسان الاماسي) أي عمل وهذا في صحف ابراهيم وموسى أيضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى ألقنابهم ذرياتهم فادخل الابناء الجنة بصالح الآباء وقيل كان ذلك تقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فلها ما سعو واماسي لهم غيرهم لاروى عن ابن عباس ان امرأة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر أخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمي توفيت أينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفي رواية أن سعد بن عبادة أتاني سعدة وذكر نحوه وأخرجه البخاري وعن عائشة رضي الله عنها قالت ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمي اقتلته نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر ان تصدقت عنها قال نعم أخرجه في الصحيحين وفي حديث ابن عباس دليل للذهب الشافعي ومالك وأحمد وجاهير العلماء ان حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لا يجز به عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا قال أبو حنيفة لا يصح حجه وانما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديثين الآخران دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلماء وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذلك الوأصى بحج تطوع على الاصح عند الشافعي واختلاف العلماء في العموم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعي ان قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة من أصحابه يصله ثوابها وبه قال أحمد بن حنبل وأما الصلوات وسائر التطوعات فلا يصله عند الشافعي والجمهور وقال أحمد يصله ثواب الجميع والله أعلم وقيل أراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل هو في ثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه ويعاني في بدنه حتى لا يبقى له في الآخرة خير وروى أن عبد الله بن أبي بن سلول كان أعطى العباس قيصا ألبسه اياه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيصه ليكفن فيه فلم يبق له في الآخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الاماسي هو من باب العدل فاما من باب الفضل لجائز أن يزيد الله ما يشاء من فضله وكرمه (وان سعيه سوف يرى)

ما صح في الاخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل ان سعى غيره لم ينفعه الا مبيعا على سعى نفسه وهو ان يكون مؤمنا كان سعى غيره كأنه سعى نفسه لكونه تابعه وقائما بقيامه ولان سعى غيره لا ينفعه اذا عمل لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالثاب عنه والوكيل القائم مقامه (وان سعيه سوف يرى) أي يرى سعيه هو يوم القيامة في ميزانه



(ثم يجزيه) ثم يجزي العبد  
سعيه يقال جزاه الله عمله  
وجزاه على عمله بخذف  
الجار وإيصال الفعل ويجوز  
أن يكون الضمير للجزاء  
ثم فسره بقوله (الجزاء  
الاولى) أو أبده عنده  
(وأن الى ربك المنتهى)  
هذا كله في الصحف الاولى  
المنتهى مصدر بمعنى الانتهاء  
أى ينتهى اليه الخلق  
ويرجعون اليه كقوله والى  
الله المصير (وأنه هو أضحك  
وأبكى) خلق الضحك  
والبكاء وقيل خلق الفرح  
والحزن وقيل أضحك  
المؤمنين فى العقبى بالمواهب  
وابكاهم فى الدنيا بالنواب  
(وأنه هو أمات وأحيى)  
قيل أمات الآباء وأحيى  
الابناء أو أمات بالكفر  
وأحيى بالإيمان أو أمات  
هنا وأحياتمة (وأنه خلق  
الزوجين الذكور والاثنى  
من نطفة اذ أنثى) اذا  
تدفق فى الرحم يقال منى  
وأمنى (وأن عليه النشأة  
الاشرى) الاحياء بعد  
الموت (وأنه هو أغنى وأفنى)  
وأعطى القنية وهى المال  
ناثله وعزمت ان لا يخرج  
من ذلك (وأنه هو رب  
الشعري) هو كوكب  
يطلع بعد الجوزاء فى شدة  
الحر وكانت خزاعة تعبدها  
فاعلم الله انه رب معبودهم  
هذا

أى يراه فى ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك ان الله تعالى بربه أعماله الصالحة ليفرح بها ويجزن  
الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غمها (ثم يجزاه) أى السعى (الجزاء الاولى) أى الاتم الاكمل والمعنى ان  
الانسان يجزى جزاء سعيه الجزاء الاولى قوله عز وجل (وأن الى ربك المنتهى) أى اليه منتهى الخلق  
ومصيرهم اليه فى الآخرة وهو مجاز بهم بأعمالهم وفى الخطاب بهذا وجهان أحدهما انه عام تقديره وأن  
الى ربك أى السامع أو العاقل كائن من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسىء وحث شديد للمحسن  
ليقع المسىء عن اساءته ويزداد المحسن فى احسانه الوجه الثانى ان الخطاب بهذا هو النبي صلى الله عليه  
وسلم فعلى هذا فسيه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فان الى ربك المنتهى وقيل فى معنى الآية  
منه ابتداء المنه واليه انتهاء الآمال وروى البيهقي باسناد الثعلبى عن أبى بن كعب عن النبي صلى الله عليه  
وسلم فى قوله وأن الى ربك المنتهى قال لافكرة فى الرب وهذا مثل ما روى عن أبى هريرة مر فوعا تفكر وفى  
الخلق ولا تفكر وفى الخلق فإنه لا يحيط به الفكرة ومعناه لافكرة فى الرب أى انتهى الامر اليه لانك اذا  
نظرت الى سائر الموجودات الممكنة علمت أنه لا بد لها من موجد واذا علمت أن موجدها هو الله تعالى فقد  
انتهى الامر اليه فهو إشارة الى وجوده ووحده انبته سبحانه وتعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) أى هو القادر  
على ايجاد الضدين فى محل واحد الضحك والبكاء وفيه دليل على ان جميع ما يعمله الانسان فبقضاء الله وقدره  
وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل أضحك أهل الجنة فى الجنة وأبكى أهل النار فى النار وقيل أضحك الارض  
بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقيل أفرح وأحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن  
سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتنادون  
أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت ور بما تبسم معهم اذا ضحكوا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن  
صحيح وفى رواية سمك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وسئل ابن  
عمر هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والإيمان فى قلوبهم أعظم من الجبل (ق)  
عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلهما فقلت لو تعلمون ما أعلم لضحكتم  
قليلا ولبكيتم كثيرا فغضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخاء المعجمة أى بكاء  
مع صوت يخرج من الأنف (وأنه هو أمات وأحيى) أى أمات فى الدنيا وأحيى للبعث وقيل أمات الآباء وأحيى  
الابناء وقيل أمات الكافر بالسكر وأحيى المؤمن بالمعرفة (وأنه خلق الزوجين الذكور والاثنى) أى من  
كل حيوان وهو أيضا من جملة المتضادات التى تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها أنثى وهذا  
شئ لا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعاونه وانما هو بقدره الله تعالى وخلقته لا بفعل الطبيعة (من نطفة اذ أنثى)  
أى أصب فى الرحم وقيل تقدر وفى هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شئ واحد خلق الله منها أعضاء مختلفة  
وطبعا متباينة وخلق منها الذكور والاثنى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وأنه  
هو خالق لأنه لم يدع أحدا يمجدها ولا خلقها ولا خلق غيره كالم بقدر أحد أن يدعى خالق السموات والارض  
(وأن عليه النشأة الاخرى) أى الخلق الثانى بعد الموت للبعث يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأفنى) أى أغنى  
الناس بالاموال وأعطى القنية وهى أصول الاموال وما يدخر منه بعد الكفاية وقيل أغنى بالذهب والفضة  
وهو نواف الاموال وما يدخر منه بعد الكفاية وأفنى بالابل والبقر والغنم وقيل أفنى أى اخدم وقال ابن  
عباس أغنى وأفنى أى أعطى فرضى وقيل أغنى يعنى رفع حاجته ولم يتركه محتاجا لى شئ لان الغنى ضد الفقر  
وأفنى أى زاد فوق الغنى (وأنه هو رب الشعري) أى انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعري وأول من  
سن لهم ذلك رجل من أشرفهم يقال له أبو كسبة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعري  
تقطعها طولا فهى مخالفة لها فعبدوا وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف

(وأنه أهلك عاد الأولى) هم قوم لوط وهود وعاد الأخرى ارم عاد لولى مدنى وبصرى غير سهل بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة الأولى ونقل ضمها الى لام التعرف (ونود فأتقى) حزة وعاصم الباقون ونودوا وهو معطوف على عادوا ولا ينصب بقما أتقى لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبله لا تقول زيد فاضربت وكذا ما بعد التنى لا يعمل فيما قبله والمعنى وأهلك نودوا فأتى بقاهم (وقوم نوح) أى وأهلك قوم نوح (من قبل) من قبل عاد ونود (انهم كانوا هم أظلم وأظنى) من عاد ونود لانهم كانوا (٢١٥) يضر بونه حتى لا يكون به حراك

وينفرون عنه حتى كانوا  
يحذرون صبيانهم أن  
يسمعوا منه (والمؤتسكة)  
والقبرى التى انتفكت  
بأهلها أى انقلبت وهم قوم  
لوط يقال أفكك فأنفك  
(أهوى) أى رفعها الى  
السماء على جناح جبريل  
ثم أهواها الى الارض أى  
أسقطها والمؤتسكة منصوب  
بأهوى (فغشاها) ألبسها  
(ماغشى) نهويل وتعظيم  
لمصاب عليها من العذاب  
وأمطر عليها من الصخر  
المنضود (فبأى الأمر بك)  
أيها المخاطب (تمارى)  
تشكك أى بما أولاك من  
النعم أو بما كفاك من  
النقم أو باى نعم بك الدالة  
على وحدانيته وربوبيته  
تشكك (هذانذير) أى  
مجد منذر (من المنذر  
الأولى) من المنذر  
الأولى وقال الأولى على  
تأويل الجماعة أو هذا  
القرآن نذير من النذر  
الأولى أى انذار من جنس  
الانذارات الأولى التى أنذر

العرب فى الدين سموه ابن أذى كسبة تشبها به فى خلافة اياهم كما خالفهم أبو كسبة وعبد الشعرى وهو كوكب  
يضى من خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار أيضا وهما اثنتان يمانية وشامية يقال لاحداهما العبور والأخرى  
الغميصاء سميت بذلك لانها أخفى من العبور والمجزرة بينهما وأراد بالشعرى هنا العبور (وأنه أهلك عادا  
الأولى) وهم قوم هود أهل كوابر يحصر صر وكان لهم عقب فكانوا عادا اخرى وقيل الاخرى ارم وقيل  
الأولى يعنى أول الخلق هلا كابعاد قوم نوح (ونود) وهم قوم صالح أهل كهم الله بالصيحة (فما أتقى) يعنى  
منهم أحدا (وقوم نوح من قبل) يعنى أهلك قوم نوح من قبل عاد ونود بالفرق (انهم كانوا هم أظلم وأظنى)  
يعنى أطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب (والمؤتسكة) يعنى قرى قوم لوط  
(أهوى) أى أسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم أهوى بها (فغشاها) أى ألبسها الله (ماغشى)  
يعنى الحجارة المنضودة المسومة (فبأى الأمر بك تمارى) أى تشكك أيها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة  
وقال ابن عباس تمارى أى تكذب (هذانذير) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (من المنذر الأولى) أى  
رسول من الرسل المتقدمة أرسل اليك كما أرسلت الرسل الى قومهم وقيل أنذر محمد كما أنذرت الرسل من قبله  
(أزفت الآزفة) أى قربت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى مظهره ومبينه متى  
تقوم وقيل معناها ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر  
يعنى الكشف كالعافية والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناها ليس لها رد يعنى اذا غشبت الخلق  
أهو اطاشد أنداهم يكشفها ولم يرد هاء عنهم أحدى قوله تعالى (أفمن هذا الحديث) يعنى القرآن  
(نحجبون) تنكرون (وتضحكون) أى استهزاء (ولا تبكون) أى مفايه من الوعيد (وأتم سامدون)  
أى لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغناء بلفظة أهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا  
ولعبوا وأصل السمود فى اللغة رفع الرأس ماخوذ من سمد البعير اذا رفع رأسه وجد فى سيره والسامد اللاهى  
والمعنى وقيل معناها شرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون قيل له وما البرطمة قال الاعراض  
(فأسجدوا لله) يعنى أيها المؤمنون شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على  
سجود الفرض فى الصلاة (واعبدوا) أى عبدوا الله وانما قال واعبدوا امالكونه معلوما وامالان العبادة  
فى الحقيقة لان تكون الا لله تعالى (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم  
فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيبخامن قر يش أخذ كفا من حصبا أو تراب فرفعه الى جبهته  
وقال يكفينى هذا قال عبد الله فلقدرأيته بعد قتل كافرا زاد البخارى فى روايه له قال أول سورة نزلت فيها  
سجدة النجم وذكره وقال فى آخره وهو أمية بن خلف (ح) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس (ق) عن زيد بن ثابت قال قرأت على  
رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها فى هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب  
وهو قول الشافعى وأجد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا أن نشاء وذهب قوم الى وجوبها على

بها من قبلكم (أزفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب فى قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى ليس لها نفس  
كاشفة أى مبيته متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو وأليس لها نفس كاشفة أى قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير انه لا يكشفها  
(أفمن هذا الحديث) أى القرآن (نحجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) خشوعا (وأتم سامدون) غافلون لاهون  
لاعبون وكانوا اذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه (فأسجدوا لله واعبدوه ولا  
تعبدوا الا الله والله أعلم

﴿سورة القمر خمس وخسون آية مكية﴾  
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾  
 (اقتربت الساعة) قربت القيامة (وانشق القمر) نصفين وقرئ وقد انشق أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول أقبل الأمير وقد جاء البشر بقدمه قال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وقيل معناه ينشق يوم القيامة والجهور على الاول وهو المروي في الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفي على أهل الاقطار ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترا لان الطباع جبات على نشر المجائب لانه يجوز أن يحجبه الله عنهم بنعيم (وان يروا) يعني أهل مكة (آية) تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (يعرضوا) عن الايمان به (ويقولوا سحر مستمر) محكم قوي من المرة القسوة وأدائم مطرد أومار ذاهب يزول ولا يبقى  
 ٦ قوله عن ابن عمر الخ الذي في مسلم عن عبد الله ابن مسعود وقال في آخره اشهد بضمه المفسرد فليحرقه

القارئ والمستمع وهو قول سفيان وأصحاب الرأي والله سبحانه وتعالى أعلم  
 ﴿تفسير سورة القمر وهي مكية وهي خمس وخسون آية وثلاثمائة واثنان وأربعون كلمة﴾  
 ﴿وأنف وأر بعائة وثلاثة وعشرون حرفا﴾  
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (اقتربت الساعة) أي دنت القيامة (وانشق القمر) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومجزم انه الباهرة يدل عليه ما روى عن أنس ان أهل مكة سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرهم آية فأرهم انشقاق القمر مرتين أخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا في رواية أخرى قال بيننا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متى اذ انفاق القمر فلتقتين فلقه فوق الجبل وفلقه دونه فقال لئلا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (م) ٦ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتقتين فلتقتين فاسترا الجبل فلقه وكانت فلقه فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت فلتقتين فقالت قر يش سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما استطيع أن يسحر الناس كلهم أخرجه الترمذي وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بانهم قد رأوه فيمكنذبونهم قال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قر يش سحر كرم ابن أبي كبشة فسألوا السفار فقالوا نعم قد رأينا فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فانه أدل دليل وأقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه وقال الشيخ محي الدين النووي في شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفين الملة وذلك لما عصى الله قلبه ولا انكار لعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر امره فاما قول بعض الملاحة لوقوع هذا لنقل متواتر واشترك أهل الارض كلهم في رؤيتهم له ومعرفة ولم يحتج بها أهل مكة فأجاب العلماء عن هذا بان هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بتيابهم فقل من يتفكر في السماء أو ينظر اليها الا الساذج النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل من المجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت في الليل تقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهر القوم غائبين عن قوم وكما يجحد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم وقيل في معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجتماع المفسرين على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضي وحل الماضي على المستقبل بعيد يقتقر الى قرينة تنقله أو دليل يدل عليه وفي قوله تعالى (وان يروا آية يعرضوا) دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وان يروا آية أي تدل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية هذا انشقاق القمر يعرضوا أي عن التصديق بها (ويقولوا سحر مستمر) أي دائم مطرد وكل شيء دائم حاله قيل فيه

(وكذبوا) النبي صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) وماز بن لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر) وعدهم الله (مستقر) كائن في وقته وقيل كل ما قدر واقع وقيل كل أمر من أمرهم واقع مستقر أي سببت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب (ولقد جاءهم) أهل مكة (من الانبياء) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية وأنبياء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (ما فيه مزدجر) ازدجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته أي منعه وأصله ازجر وكن التاء إذا وقعت بعد زاي سا كنة أبدلت الالان التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور فابدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليناسبها وهذا في آخر كتاب سبويه (حكمة) بدل من مأد على هو حكمة (بالغة) نهاية الصواب أو بالغة من الله اليهم (فما تفي النذر) ما تفي والنذر جمع نذير وهم الرسل أو المنذر به أو النذر مصدر بمعنى الإنذار (فتقول عنهم) لعلمك ان الإنذار لا يفي فيهم نصب (يوم يدع الداع) يبحر جون أو باضمار إذ كر الداعي إلى الداعي سهل وبعقب ومكي فيهما وافق مدني وأبو عمرو في الوصل ومن أسقط الياء ا كتفي بالكسرة عنها وحذف الواو (٢١٧) من بدعوى في الكتابة لتابعة اللفظ والداعي

اسرافيل عليه السلام (الى شئ نكر) منكر فطبع تنكرة النفوس لانها لم تهد بمنشله وهو هول يوم القيامة نكر بالتخفيف مكي (خاشعاً أبصارهم) عراق غير عاصم وهو حال من الخارج حين وهو فصل للابصار وذ كر كاتسول يخشع أبصارهم غيرهم خشعا على يخشعن أبصارهم وهي لفظة من يقول أكلوني البراغيث ويجوز أن يكون في خشعاضيرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار كناية عن الذلة لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما (يخرجون من الاجداث) من القبور (كانهم) جراد منتشر) في كثرتهم

مستمر وذلك لما رأوا وتابع المجزات وترادف الآيات فقالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر أي قوى محكم شديد بعاوله يعالو كل سحر وقيل مستمر أي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعميلا (وكذبوا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم وما عابوا من قدرة الله (واتبعوا أهواءهم) أي ماز بن لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قوطم انه سحر القمر (وكل أمر مستقر) أي لكل أمر حقيقة فما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيصرف وقيل كل أمر مستقر فآخر مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذابين حين يعرفون حقيقة الثواب أو العقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس أمره بذاهب كما زعمتم بل كل أمر من أمور مستقر وان أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق (واقدم جاءهم) يعني أهل مكة (من الانبياء) أي من أخبار الامم الماضية المكذبة في القرآن (ما فيه مزدجر) أي منتهى وهو وعظة (حكمة بالغة) يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية (فما تفي النذر) يعني أي غنى تفي النذر اذا خالفوهم وكذبوهم (فتقول عنهم) أي أعرض عنهم نسختها آية القتال (يوم يدع الداع) أي اذ كر يا محمد يوم يدع الداعي وهو اسرافيل ينفخ في الصور قائما على صخرة بيت المقدس (الى شئ نكر) أي منكر فطبع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما له (خاشعاً) وقرئ خشعاً (أبصارهم) أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب (يخرجون من الاجداث) أي من القبور (كانهم) جراد منتشر) مثل في كثرتهم وتزوج بعضهم في بعض حيارى فزعين (مهطعين) مسرعين مادي أعناقهم مقبلين (الى الداع) أي الى صوت الداعي وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بأبصارهم (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أي صعب شديد وفيه اشارة الى أن ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لاعلى المؤمنين ﴿قوله تعالى﴾ (كذبت قبلهم) أي قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) يعني نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) أي زجره على دعونه ومقاتلته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح اتكونن من المرجومين (فدعا) يعني نوحا (ربه) وقال (أني مغلوب) أي مقهور (فاتنصر) أي فاتنقم لي منهم (ففتحنا أبواب السماء) قيل هو على ظاهره وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا يسد بعد ذلك لانه قد صرح في

(٢٨ - خازن) - رابع

وتفرقهم في كل جهة والجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المتأرجع بعضه في بعض جاذا كالجراد (مهطعين الى الداع) مسرعين مادي أعناقهم اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب شديد (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا عليه السلام ومعنى تكرار التكذيب انهم كذبوه تكديبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل (وقالوا مجنون) أي هو مجنون (وازدجر) زجر عن أداء الرسالة بالشتم وهدد بالقتل أو هو من جملة قبيهم أي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه (فدعاه أني) أي بأنني (مغلوب) غلبني قومي فلم يسمعوا بي واستحكم اليأس من اجابتهم لي (فاتنصر) فاتنقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم (ففتحنا أبواب السماء) ففتحنا شامى ويزيد وسهل وبعقب

(بماء منهم) منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أر بعين بوما (وَجَرْنَا الْأَرْضَ عَيْنُونَا) وجعلنا الأرض كلها عيوننا كأنها عيون تنفجر وهو أبلغ من قولك وجبرنا عيون الأرض (فالتقى الماء) أي مياه السماء والأرض وفري المآن أي النوعان من الماء السماوي والأرضي (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء وعلى أمر قد قدر في اللوح المحفوظ أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وجعلناه على ذات ألواح ودسر) أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤاها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قيصى مسرودة من حديد أراد ولكن قيصى درع الأتري أنك لو جعلت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام وديعه والدمر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره إذا دفعه لأنه يدسر به منفذه (تجري بأعيننا) برأى منا وبمحافظةنا وبأعيننا حال من الضمير في تجري أي محفوفة بنا (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كافر) وهو نوح عليه السلام وجعله (٢١٨) مكفورا لأن النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة

الحديث أن للسماء أبوابا وقيل هو على الاستعارة فإن الظاهر أن يكون المطر من السحاب (بماء منهم) أي منصب انصبابا شديد لم ينقطع أر بعين بوما (وَجَرْنَا الْأَرْضَ عَيْنُونَا) أي وجعلنا الأرض كلها عيوننا نسيل بالماء (فالتقى الماء) يعني ماء السماء وماء الأرض (على أمر قد قدر) أي قضى عليهم في أم الكتاب وقيل قدر الله أن يكون المآن سواء فكان على ما قدر (وجعلناه) يعني نوحا (على ذات ألواح) أي سفينة ذات ألواح وأراد بالألواح خشب السفينة العريضة (ودسر) هي المسامير التي تشد بها الألواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هي عوارض السفينة وأضلاعها وقيل الألواح جانب السفينة والدسر أصلها وطرفاها (تجري) يعني السفينة (بأعيننا) أي برأى منا وقيل بمحفظنا وقيل بإسرها (جزاء) أي فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه نواب النوح لأنه كان كافر به وبجدا أمره وقيل لمن بمعنى لما أي جزاء ما كان كافر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح وأصحابه (ولقد تركناها آية) يعني الفعلة التي فعلناهم آية يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة عبرة حتى نظر إليها وأمثل هذه الأمة (فهل من مدكر) أي متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدكر فدعا على وفي رواية أخرى سمعته يقول مدكر دالا (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذارى (ولقد يسرنا القرآن) أي سهلنا القرآن (لذكري) أي ليتذكروا ويعتبروا به قال سعيد بن جبيرة يسرناه للمحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن (فهل من مدكر) أي متعظ بما وعظه وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لأنه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم قوله تعالى (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر) أي انذارى لهم بالعذاب (انا أرسلنا عليهم محاصرا صرا) أي شديدة الهبوب (في يوم نحس) أي في يوم شؤم (مستمر) أي دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسته فلم يبق منهم أحد إلا هلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء في آخر الشهر (تنزع الناس) أي الريح تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤسهم فتندق رقابهم قيل كانت تنزعهم من حفرهم (كأنهم أمجاز نخل) قال ابن عباس أصول نخل (منقعر) أي منقطع من مكانه ساقط على الأرض قيل كانت الريح تبين رؤسهم من أجسامهم

للعالمين فكان نوح نعمة مكفورة (ولقد تركناها) أي السفينة أو الفعلة التي جعلناها (آية) يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودي دهر اطو يلا حتى نظر إليها وأمثل هذه الأمة (فهل من مدكر) متعظ يتعظ ويعتبر وأصله مذنكر بالذال والتاء ولكن التاء أبدلت منها الدال والذال والذال من موضع فادغمت الذال في الدال (فكيف كان عذابي ونذر) جمع نذير وهو الانذار ونذري يعقوب فيهما وافقه سهل في الوصل غيرهما بغير ياء وعلى هذا الاختلاف ما بعده إلى آخر السورة (ولقد يسرنا القرآن لذكري) سهلناه

للادكار والاعتاظ بان شجناه بالمواعظ الشافية وصر فنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من

مدكر) متعظ يتعظ وقيل ولقد سهلناه للمحفظ وأعان عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويروي أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل والزبور لا يتلوها أهلها الا نظر ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر) أي وانذارى لهم بالعذاب قيل نزوله أو وانذارى في تعذيبهم لمن بعدهم (انا أرسلنا عليهم محاصرا صرا) باردة أو شديدة الصوت (في يوم نحس) شؤم (مستمر) دائم الشرف قد استمر عليهم حتى أهلكتهم وكان في أربعاء في آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم عن أما كنهم وكانوا يسطفون أخذنا بعضهم بأيدي بعض ويتداخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتزعهم وتسكبهم وتندق رقابهم (كأنهم) حال (أمجاز نخل منقعر) أصول نخل منقطع عن مغارسه وشبهوا بأمجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤس فينساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طول كأنهم أمجاز نخل وهي أصولها بلا فروع وذ كرصفة نخل على اللفظ ولو جعلها على المعنى لانت كما قال كأنها

فتبقى

أعجاز نحل خاوية ( فكيف كان عذابي ونذروا لقد يسرنا القرآن للذکر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أ بشرنا منا واحدا ) انتصب بشرا بفعل يفسره ( نبعه ) تقديره أتبع بشرا منا واحدا ( اناذني ضلال وسعر ) كان يقول ان لم تبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر و نيران جمع سعير فمكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون وقولهم أ بشرنا انكار لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكونوا من الملائكة فقالوا مثلا انه اذا كان منهم كانت الملائكة أقوى وقالوا واحدا انكار لان يتبع الامر رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من افئدتهم وليس من أشرفهم وأفضلهم وبدل عليه قوله ( أ أتق الذکر عليه من بيننا ) أي أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة ( بل هو كذاب أشرف ) بطر متكبر جله بطره وطابه التعظم علينا على ادعاء ذلك ( سيعلمون غدا ) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة ( من الكذاب الاشر ) ( ٢١٩ ) أصالح أم من كذبه ستعلمون شامى

وحزة على حكاية ما قال  
طم صالح مجيبا لهم أو هو  
كلام الله على سبيل الالتفات  
( انا مرسلوا الناقة )  
باعثوها ومخر جوها من  
الفضة كما سألوها ( فتنة طم )  
امتحانا لهم وابتلاء وهو  
مفعول له أو حال ( فارتقبهم )  
فاتتظرهم وتبصر ما هم  
صانعون ( واصطبر ) على  
أذاهم ولا تجمل حتى  
يأتيك أمرى ( وبنيتهم  
أن الماء قسمة بينهم )  
مقسوم بينهم لها شرب  
يوم وطم شرب يوم وقال  
بينهم تغليبا للعلاء ( كل  
شرب محتضر ) محذور  
يحضر القوم الشرب يوما  
وتحضر الناقة يوما ( فنادوا  
صاحبهم ) قدار بن سالف  
أحيمر ثمود ( فتعاطى )  
فاجترأ على تعاطى الامر  
العظيم غير مكثرت له ( فعقر  
الناقة أو فتعاطى الناقة

فتبقى أجسامهم بالرؤس كعجز النخلة الملقاة ( فكيف كان عذابي ونذروا لقد يسرنا القرآن للذکر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر ) أي بالانذار الذي جاء به صالح ( فقالوا أ بشرنا منا واحدا ) يعني آدميا واحدا منا ( نبعه ) أي ونحن جماعة كثيرون ( اناذني ضلال ) أي خطأ وذهاب عن الصواب ( وسعر ) قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انال في عناء وعذاب مما يميز منا من طاعته وقيل لني جنون وقيل لني بعد عن الحق ( أ أتق الذکر عليه ) يعني أنزل عليه الوحي ( من بيننا بل هو كذاب أشرف ) أي بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة ( سيعلمون غدا ) أي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيامة وانما ذكر الغد للتقريب ( من الكذاب الاشر ) أي صالح لم من كذبه ( انا مرسلوا الناقة ) أي باعثوها ومخر جوها من الفضة التي سألوها وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة حراء ناقة عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة ( فتنة ) أي محنة واختبارا ( لهم فارتقبهم ) أي فاتتظر ما هم صانعون ( واصطبر ) أي على أذاهم ( وبنيتهم ) أي أخبرهم ( أن الماء قسمة بينهم ) أي بين الناقة وبينهم لها يوم وطم يوم وانما قال تعالى بينهم تغليبا للعلاء ( كل شرب ) أي نصيب من الماء ( محتضر ) أي يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضر واشربهم وقيل يعني يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن ( فنادوا صاحبهم ) يعني قدار بن سالف ( فتعاطى ) أي فتناول الناقة بسيفه ( فعقر ) يعني الناقة ( فكيف كان عذابي ونذروا ) ثم بين عذابهم فقال تعالى ( انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ) يعني صيحة جبريل ( فكانوا كهشيم المحتظر ) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يحنر لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فاسقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالي الذي بهشم حين تذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبس الشجر اذا بلى وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط ( ولقد يسرنا القرآن للذکر فهل من مدكر ) قوله تعالى ( كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا ) يعني الحصبا وهي الحجارة التي دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامى فعلى هذا يكون المعنى انا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم أي يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى ( الا آل لوط ) يعني لوطا وابنتيه ( نجيناهم ) يعني من العذاب ( بسحر نعمة من عندنا ) أي جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم ( كذلك نجزي ) أي كما أنعمنا على آل لوط كذلك نجزي ( من شكر ) يعني أن من وحده الله لم يعد به مع المشركين

فعقرها وفتعاطى السيف وانما قال فعقروا الناقة في آية أخرى لرضاهم به أو لانه عقر بموتهم ( فكيف كان عذابي ونذروا ) انا أرسلنا عليهم ( في اليوم الرابع من عقرها ) صيحة واحدة ( صاحبهم جبريل عليه السلام ) ( فكانوا كهشيم المحتظر ) الهشيم الشجر اليابس المتشتم المتكسر والمحتظر الذي يعد مل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم وبتشتم وقرأ الحسن بفتح الظاهر وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة ( ولقد يسرنا القرآن للذکر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم ) يعني على قوم لوط ( حاصبا ) ريمحاصبهم بالحجارة أي ترميهم ( الا آل لوط ) ابنتيه ومن آمن معه ( نجيناهم بسحر ) من الاسحار ولذا صرفه ويقال لقيته بسحر اذ لقيته في سحر يومه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه ( نعمة ) مفعول له أي انعاما ( من عندنا كذلك نجزي من شكر ) نعمة الله بما يمانه وطاعته

(ولقد أنذرهم) أي لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فمازوا بالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فطمسنا أعينهم) أعميناهم وقيل مسحناها وجعلناها كسائر الوجوه لا يرى لها شق روى أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلفهم يدخلوا انارسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط (فذوقوا) فقلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة (عذابي ونذر) ولقد صبحهم بكرة (أول النهار عذاب مستقر) ثابت قد استقر (٢٢٠) عليهم الى ان يقضى بهم الى عذاب الآخرة وفائدة تكرير (فذوقوا عذابي ونذر

ولقد يسرنا القرآن للذكر  
 فهل من مدكر) أن  
 يجددوا عند استماع كل  
 نبأ من أنباء الأولين ادكارا  
 وانعظا وان يستأنفوا تيقظا  
 وانثابها اذا سمعوا الخ  
 على ذلك والبعض عليه  
 وهذا حكم التكرير في  
 قوله فبأى آلام بكما  
 تكذبان عند كل نعمة  
 عدها وقوله ويل يومئذ  
 للمكذبين عند كل آية  
 أوردها وكذلك تكرير  
 الانباء والقصص في أنفسها  
 لتكون تلك العبرة حاضرة  
 للقلوب مصورة للاذهان  
 مذكورة غير منسية في كل  
 أوان (ولقد جاء آل  
 فرعون النذر) موسى  
 وهرون وغيرهما من  
 الانبياء وهو جمع نذير  
 وهو الانذار (كذبوا  
 بآياتنا كلها) بالآيات التسع  
 (فاخذناهم أخذ عزيز)  
 لا يغالب (مقتدر) لا يبجزه  
 شيء (أ كفاركم) يا أهل  
 مكة (خير من أولئكم)

(ولقد أنذرهم) أي لوط (بطشتنا) يعني أخذنا إياهم بالعقوبة (فمازوا بالنذر) أي شكوا بالانذار ولم  
 يصدقوا وكذبوا (ولقد راودوه عن ضيفه) أي طلبوا منه أن يسلم اليهم أضيافه (فطمسنا أعينهم) وذلك  
 أنهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل  
 ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحيه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين  
 لا يهتدون الى الباب وأخرجهم لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا أعينهم أي صيرناها كسائر الوجوه لا يرى  
 لها شق وقيل طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فأين ذهبوا فلم يروه هم  
 (فذوقوا عذابي ونذر) يعني ما نذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) أي جاءهم وقت الصبح  
 (عذاب مستقر) أي دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم الى عذاب الآخرة (فذوقوا عذابي ونذر) ولقد يسرنا  
 القرآن للذكر فهل من مدكر) قوله عز وجل (ولقد جاء آل فرعون النذر) يعني موسى وهرون عليهما  
 الصلاة والسلام وقيل النذر الآيات التي أنذرهم بها موسى (كذبوا بآياتنا كلها) يعني الآيات التسع  
 (فاخذناهم) أي بالعذاب (أخذ عزير مقتدر) أي غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم لا يبجزه عمأرادهم  
 خوف كفار مكة فقال تعالى (أ كفاركم خير من أولئكم) يعني أقوى وأشد من الذين أحلت بهم نعمتي مثل  
 قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام انكار أي ليسوا بأقوى منهم (أم لكم براءة) يعني  
 من العذاب (في الزبر) أي في الكتاب أنه لن يصيبكم ما أصاب الامم الخالية (أم يقولون) يعني كفار مكة نحن  
 جميع أي أمرنا (منتصر) أي من أعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرون ممن عادانا ولم  
 يقل منتصرون لموافق رؤس الآي وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم أي كل واحد منهم  
 عالم قال الله تعالى (سيهزم الجمع) يعني كفار مكة (ويولون الدبر) أي الادبار فوجد لاجل رؤس الآي  
 وقيل في الافراد اشارة الى أنهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الهزيمة ولا يثبت  
 أحد للزحف فهم في ذلك كرجل واحد (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة  
 يوم بدر اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد هذا اليوم أبدا فاخذ أبو بكر بيده فقال  
 حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر (بل  
 الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر  
 ابن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت  
 النبي صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ففعلت تأويلها بل الساعة موعدهم  
 يعني جميعا والساعة أدهى وأمر أي أعظم داهية وأشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر ﴿ قوله عز وجل

(ان)  
 الكفار المعدودين قوم نوح وهو دوصالح و لوط وآل فرعون أي أهم خير قوة وآلة ومكانة في  
 الدنيا وأقل كفر واعناد يعني ان كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أم لكم براءة في الزبر) أم أنزلت اليكم يا أهل مكة براءة في الكتب  
 المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمن من عذاب الله فأنتم بتلك البراءة (أم يقولون نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع  
 (منتصر) ممنوع لانرام ولا نضام (سيهزم الجمع) جمع أهل مكة (ويولون الدبر) أي الادبار كما قالوا كلوا في بعض بطونكم تغفوا أي ينصرفون  
 منهزمين يعني يوم بدر وهذه من علامات النبوة (بل الساعة موعدهم) موعدهم عذابهم بعد بدر (والساعة أدهى) أشد من موقف بدر  
 والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه (وأمر) مذاق من عذاب الدنيا وأشد من المرة

(على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) كقوله وجد مس الحى وذاق طعم الضرب لان النار اذا أصابتهم بحرها فكأنها تسهم مسابذلك وسقر غير منصرف للتأنيث

والتعريف لانها علم لجهنم من سقرته النار اذا لوحته (انا كل شئ خلقناه بقدر) كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقسرى بالرفع شاذا والنصب أولى لانه لو رفع لا يمكن أن يكون خلقناه في موضع الجر وصفا لشيء ويكون الخبر مقدرنا وتقديره انا كل شئ مخلوق لنا كائن بقدر ويحتمل أن يكون خلقناه هو الخبر وتقديره انا كل شئ مخلوق لنا بقدر فلما تردد الامر في الرفع عدل الى النصب وتقديره انا خلقنا كل شئ بقدر فيكون الخلق عامالكل شئ وهو المراد بالآية ولا يجوز في النصب أن يكون خلقناه صفة لشيء لانه تفسير الناصب والصفة لا تعمل في الموصوف والقدر والقدر التقدير أى بتقدير سابق أو خلقنا كل شئ مقدر محكامر تباعلى حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدر امكتوب بافى اللوح

(ان المجرمين) يعنى المشركين (في ضلال وسعر) قيل فى بعد عن الحق وسعر أى نار تسعر عليهم وقيل فى ضلال فى الدنيا ونار مسخرة فى الآخرة وقيل فى ضلال أى عن طريق الجنة وسعر أى عذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى (يوم يسحبون) أى يجرون (فى النار على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) أى ذوقوا أهبها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر (انا كل شئ خلقناه بقدر) أى مقدر مكتوب فى اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شئ من خلقه قدره الذى ينبئ له وقال ابن عباس كل شئ بقدر حتى وضعك يدك على خدك

فصل فى سبب نزول الآية وما ورد فى القدر وما قيل فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرضه على الماء (م) عن أبى هريرة قال جاءت مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونهم فى القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر (م) عن طاوس قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى الحجر والكيس أو الكيس والحجر عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله يعنى بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر أخرجه الترمذى وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله ابن ميمون وهو منكر الحديث وفى حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت فيه ذم القدرية عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم من شيعة الدجال وحتى على الله أن يلحقهم بالدجال أخرجه أبو داود وله عن أبى هريرة من زاده فلا تجالسوهم ولا تفاحسوهم فى الكلام وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتى ليس لهما فى الاسلام نصيب المرجة والقدرية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وروى ابن الجوزى فى تفسيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر مناديا فينادى نداء يسمعه الاولون والآخرين أبى خصماء الله فتقوم القدرية فيأمر بهم الى النار يقول الله ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال ابن الجوزى وانما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون فى انه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم بعد ذلك عليه وروى عن الحسن قال والله لو أن قدر يا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم أخذ ظمأ حتى يذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه فى سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله اعلم أن مذهب أهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وأنكرت القدرية هذه وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وأنما استأنفة العلم أى انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال أصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية فى الأزمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخبر من الله والنار من

معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال أبو هريرة جاءت مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونهم فى القدر فنزلت الآية وكان

عمر يخلف انها نزلت فى القدرية



غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا \* وحكى أبو محمد بن قتيبة في كتابه غريب الحديث وأبو المعالي امام  
الخرميين في كتابه الارشاد في أصول الدين ان بعض القدرية قالوا لنا بقدرية بل أتم القدرية لا اعتقادكم  
اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الخرميين هذا ما يؤيد من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتوافق فان أهل الحق  
يقفون أمورهم الى الله تعالى ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى  
أنفسهم ومدعى الشيء لنفسه ومضيفه اليها أولى بان ينسب اليه من يعتقد لغيره وينفيه عن نفسه قال امام  
الخرميين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر  
في حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى أهرمن ولا خفاء باختصاص هذا  
الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وأخرجه أبو داود في سننه والحاكم أبو عبد الله في المستدرک على الصحيحين وقال صحيح على شرط  
الشيخين ان صح سماع أبي حازم عن ابن عمر وقال الخطابي انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم  
مذهب المجوس لقولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا  
ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شيء الخير والشر  
جميعا لا يكون شيء منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا ويجادا والى الفاعلين لهما من  
عباده فعلاوا وكتسابا قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد  
وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون  
من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرا وشرها قال والقدر اسم لمصدر مقدر عن  
فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيب بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله  
تعالى فقضاهن سبع سموات أي خلقهن وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة  
وأهل العقد والخل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك أئمة المتكلمين  
أحسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية والله أعلم \* وأمام معاني الاحاديث المتقدمة فقوله جاء  
مشركو قريش الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله وقضاه  
وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر في الازل معلوم لله تعالى مرادله وكذلك قوله كتب الله مقادير  
الخلايق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة  
في اللوح المحفوظ أو غيره لأصل القدر فان ذلك أزلي لا أول له وقوله وعرشه على الماء أي قبل أن يخلق  
السموات والارض وقوله كل شيء بقدر حتى الحجر والكيس أو قال الكيس والحجر المحجز عدم القدرة وقيل  
هو ترك ما يجب فعله بالتسوية به وتأخيره عن وقته وقيل يحتمل المحجز عن الطاعات ويحتمل العموم في أمور  
الدينا والآخرة والكيس ضد المحجز وهو النشاط والحندق بالامور ومعنى الحديث ان العاجز قدر محجزه  
والكيس قدر كيبسه ﴿ قوله تعالى ﴾ (وما أمرنا الا واحدة) أي وما أمرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما  
أمرنا للشيء اذا أردنا تكويبه الا كلمة واحدة كن فيكون لامر اجماعه فيه فعلى هذا اذا أراد الله سبحانه  
وتعالى شيئا قال له كن فيكون فهنا بان فرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة فيه  
بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر ( كما صح بالبصر ) قال ابن عباس يريد ان  
تقضائي في خلقي أسرع من لمح البصر وعن ابن عباس أيضا معناه وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة الا  
كطرف البصر ( ولقد أهلكنا أشياعكم ) أي أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الامم السالفة ( فهل من  
مدكر ) أي متعظ بان ذلك حق فيخاف ويعتبر ( وكل شيء فعلاوه ) يعني الاشياع من خير وشر ( في الزبر ) أي  
في كتب الحفظه وقيل في اللوح المحفوظ ( وكل صغير وكبير ) أي من الخلق وأعمالهم وأجالهم ( مستطر )

( وما أمرنا الا واحدة )  
الا كلمة واحدة أي وما  
أمرنا للشيء تريد تكويبه  
الا أن تقول له كن فيكون  
( كما صح بالبصر ) على قدر  
ما يلمح أحدكم ببصره  
وقيل المراد بامرنا القيامة  
كقوله وما أمر الساعة  
الا كما صح البصر ( ولقد  
أهلكنا أشياعكم ) أشباهكم  
في الكفر من الامم ( فهل  
من مدكر ) متعظ ( وكل  
شيء فعلاوه ) أي أولئك  
الكفار أي وكل شيء مفعول  
لهم ثابت ( في الزبر ) في  
دواوين الحفظه ففعلاوه في  
موضع جرت لشيء وفي  
الزبر خبر لكل ( وكل  
صغير وكبير ) من الاعمال  
ومن كل ما هو وكان  
( مستطر ) مستطوري اللوح

(ان المتقين في جنات ونهر) وأنهارا كتفي باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء ومنه النهار (في مقعد صدق) في مكان مرضى (عند ملك) عندية منزلة وكرامة لامسافة ومماساة (مقتدر) قادر وقائدة التشكير فيها ان يعلم ان لاشئ الا هو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شئ قدير ﴿سورة الرحمن جل وعلا وهي ست وسبعون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الرحمن علم القرآن خلق الانسان) أي الجنس أو آدم أو محمد عليهما السلام (علمه البيان) عدد الله عز وجل آلاءه فأراد أن يقدم أول شئ ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه ووصوف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو سنام في أعلى مراتبها وأقصى مراتبها وهو (٢٢٣) انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه

لانه أعظم وحى الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثره وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخذ كره خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه آياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوجبه وكتبه وقدم ما خلق الانسان من أجله عليه ثم ذكر ما يبرزه عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عمافي الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها أخبار مترادفة وأخلاقها من العاطف لمحيثها على نمط التعبد بكما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كترك بعد قلة فعل بك مالم يفعل أحد باحد فأتسكروا من احسانه (الشمس والقمر بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوى يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع

أي مكتوب ﴿قوله عز وجل (ان المتقين في جنات) أي بساتين (ونهر) أي أنهار وانما واحد ملوا فقرة رؤس الآي وأراد أنهار الجنة من الماء والحجر واللبن والعسل وقيل معناه في ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لاليل عندهم (في مقعد صدق) أي في مجلس حق لا لغوفيه ولا تأنيم وقيل في مجلس حسن وقيل في مقعد لا كذب فيه لان الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو في مقعد صدق (عند ملك) قيل معناه قرب المنزلة والتشريف للمعنى المكان (مقتدر) أي قادر لا يجزمه شئ وقيل مقر بين عند ملك أمره في الملك والافتقار أعظم شئ فلا شئ الا هو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا أهل الصدق والله أعلم

### ﴿تفسير سورة الرحمن علا وعز وجل﴾

وهي مكية وذكر ابن الجوزي انها مدينية في قول من قولين عن ابن عباس وهي ست وسبعون آية وثلاثمائة واحد وخمسون كلمة وألف وستمائة وستون وثلاثون حرفا

### ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (الرحمن علم القرآن) قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لانعرف الرحمن فانزل الله الرحمن يعني الذي أنكرتموه وهو الذي علم القرآن وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعني علم محمد القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكري ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم أعظمها نعمة وأعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لانه أعظم وحى الله الى أنبيائه وأشرفه منزلة عند أوليائه واصفيائه وأكثره ذكره وأحسنه في أبواب الدين أثره وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على أفضل البرية (خلق الانسان) يعني آدم عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس (علمه البيان) يعني أسماء كل شئ وقيل علمه اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعماتة لغة أفضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس وأراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان أي النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوانات وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل أراد بالانسان محمد صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان ما يكون وما كان لانه صلى الله عليه وسلم نبي عن خبر الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام (الشمس والقمر بحسبان) قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل لا يتعديانها وقيل يعني بهما حساب الاوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدرا أحد كيف يحسب ما يريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرشي وهو ما يدور الحجر بدورانه (والنجم والشجر يسجدان) قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء

للناس منها علم السنين والحساب (والنجم) النبات الذي ينجم من الارض لاساق له كالبقول (والشجر) الذي له ساق وقيل ان نجم نجوم السماء (يسجدان) ينقادان لله تعالى فيما خلق له تشبيها بالساجد من المكلفين في اتقياده واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ولم يذكر العاطف في الجمل الاول ثم حى به بعد لان الاول وردت على سبيل التعديد تشبيها بالشمس والقمر بحسبان الرشي وهو ما يدور الحجر بدورانه المقال المذكور ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبيكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف وبيان التناسب ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فيبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وأن السماء والارض لا تنزلان نذكر ان قرينتين

وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الاقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر (والسما رفعها) خلقها من فوعة مسموكة حيث جعلها منشأ حكامه ومصدر قضايه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه ونبيه بذلك على كبرياء شأنه وملكوته وسلطانه (ووضع الميزان) أى كل ما توزن به أشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أى خلقه موضوعا على الارض حيث علق به أحكام (٢٢٤) عبادته من التسوية والتعديل فى أخذهم واعطائهم (الأتظفوا فى الميزان) لثلاث تظفوا وهى ان

وسجودها سجود ظلها وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول أظهر لونه ذكره مع الشجر فى مقابلة الشمس والقمر ولانهما أرضيان فى مقابلة سمائيين (والسما رفعها) أى فوق الارض (ووضع الميزان) قيل أراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى أنه أمر بالعدل بدل عايه قوله (الأتظفوا فى الميزان) أى لا تتجاوزوا العدل وقيل أراد به الآلة التى يوزن بها للتوصل الى الانصاف والاتصاف وأصل الوزن التقدير أن لاتظفوا فى الميزان أى لثلاث تظفوا وتجاوزوا الحق فى الميزان (وأقيموا الوزن بالقسط) أى بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقاب (ولانحسروا) أى لاتنقصوا (الميزان) أى لاتظفوا فى الكيل والوزن أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف وتقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه (والارض وضعا) أى خففها مدحوة على الماء (للا نام) أى للخلق الذين بنم فيها وهو كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للانسان والجن فهى كالمهاد لهم هو تصرفون فوقها (فيا كفة) أى من أنواع الكفة وقيل ما يتفكهون به من النعم التى لاتحصى (والنخل ذات الاكمام) يعنى الاوعية التى يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون فى غلاف وهو الطلع ما لم ينشق وكل شئ ستر شيا فهو كم وقيل اكمامها ليقفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانه أعظمها وأكثرها بركة (والحب) يعنى جميع الحبوب التى يقات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما أخرج ذكر الحب على سبيل الارتقاء الى الاعلى لان الحب أنفع من النخل وأعم وجودا فى الاماكن (ذوالعصف) قال ابن عباس يعنى التبن وعنه أنه ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويس وقيل هو ورق كل شئ يخرج منه الحب بيد وصلاحه ولا ورق وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه أكماما ثم يحدث فى الاكمام الحب (والريحان) يعنى الرزق قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ريحان فى القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذى يشم وقيل العصف التبن والريحان ثم رنه فند كقوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانسان فقال تعالى (فبأى آلاء ربكم اتكذبان) يعنى أيها الثقلان يرده هذه الاشياء المندكورة وكرر هذه الآية فى هذه السورة فى أحد وثلاثين موضعا تقرير النعمة وتأكيدا فى التذكير بها ثم عدد على الخلق آلاءه وفضل بين كل نعمتين بما ينبتهم عليها ليفهمهم النعم وقررهم بها كقول الرجل لمن أحسن اليه وتابع اليه بالايدي وهو ينكرها ويكفرها ألم تكن فقيرا فأغنيك أفتنكر هذا ألم تكن عريا فأفكسوك أفتنكر هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفتنكر هذا ومثل هذا الكلام شائع فى كلام العرب حسن تقريرا وذلك لان الله تعالى ذكر فى هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك مما أنعم به على خلقه وخاطب الجن والانسان فقال فبأى آلاء ربكم اتكذبان من الاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم عن جابر رضى الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كما أنيت على قوله فبأى آلاء ربكم اتكذبان قالوا لا بشئ من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد أخرجه

المفسرة (وأقيموا الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل (ولانحسروا الميزان) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف وتقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه (والارض وضعا) أى خففها مدحوة على الماء (للا نام) للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانسان والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيا كفة) أى من أنواع الكفة وقيل ما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) هى أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف أو كل ما يك أى يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وكفه منتفع به كما ينتفع بالمكثوم من ثمره وجاراه وجذوعه (والحب ذوالعصف) هو ورق الزرع أو التبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى

وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب والريحان بالجر حزة وعلى أى والحب ذوالعصف الذى هو علف الانعام والريحان الذى هو مطعم الانام والرفع على وذوالريحان لخصف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذى يشم والحب ذوالعصف والريحان شامى أى وخلق الحب والريحان أو أخص الحب والريحان (فبأى آلاء) أى النعم مما عدا من أول السورة جمع إلى والى (ربكم اتكذبان) الخطاب للثقلين لهدالة الانام عليهم

الترمذى

(خلق الانسان من صلصال) طين يابس له صلصلة (كالفخار) أى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف ولا اختلاف فى هذا وفى قوله من حما مسنون من طين لازب من تراب لا نقاها معنى لانه يفيد انه خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حامسونا ثم صلصالا (وخاق الجان) أبالحن قيل هو ابليس (من مارج) هو الاله الصافى الذى لادخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشئ اذا اضطرب واختلط (من نار) هو بيان للمارج كانه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصه كقوله (٢٢٥) فاندر تكم بارانمظى (فبأى آلاء رب يكما

تكدبان رب المشرقين ورب المغربين) أراد مشرق الشمس فى الصيف والشتاء ومغربها (فبأى آلاء رب يكما تكدبان مرج البحرين يلتقيان) أى أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقين لافصل بين الماءين فى مرأى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالمجاز حسة (فبأى آلاء رب يكما تكدبان يخرج البحر من البحر ولا يخرج من البحر) مدنى وبصرى (منهما اللؤلؤ) بلاهمز أبو بكر ويزيد وهو كبار الدر (والمرجان) وصغاره وانما قال منهما وهما يخرجان من الملح لانهم الملتقيا وصارا كالشئ الواحد جازان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يقال يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محله وقيل

الترمذى وقال حديث غريب فى رواية غيره كانوا أحسن منكم ردوا فيه ولا بشئ ﴿قوله تعالى﴾ (خلق الانسان من صلصال) يعنى من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر (كالفخار) يعنى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات فى صفة خاق الانسان الذى هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حامسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ايس فى هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه أولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حامسونا وهو الطين الاسود المنتمى فلما يابس صار صلصالا كالفخار (وخاق الجان) وهو أبو الجن وقيل هو ابليس (من مارج من نار) يعنى الصافى من طب النار الذى لادخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من الاله الاحمر والاصفر والاخضر الذى بعلو النار اذا أوقدت (فبأى آلاء رب يكما تكدبان رب المشرقين) يعنى مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس (ورب المغربين) يعنى مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعنى مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر (فبأى آلاء رب يكما تكدبان مرج البحرين) يعنى أرسل البحر بن العذب والملح متجاورين متلاقين لافضل بين الماءين لان من شأنهما الاختلاط وهو قوله (يلتقيان) لكن الله تعالى منعهما عمداً فى طبيعتهما بالبرزخ وهو قوله (بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله (لا يبغيان) أى لا يبغي أحدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يبغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعنى بحر الروم وبحر الهند وأتم الحاجز بينهما ما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعنى الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان فى كل عام (فبأى آلاء رب يكما تكدبان يخرج من البحر من البحر ولا يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله وجعل القمر فى نورا وقيل أراد يخرج من أحدهما خذف المضاف وقيل لما التقي البحران فصارا كالشئ الواحد جازان يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا أمطرت السماء تفتح الاصداف أفواهاها غيما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر التطرة ﴿قوله تعالى﴾ (اللؤلؤ) قيل هو ما عظم من الدر (والمرجان) صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر (فبأى آلاء رب يكما تكدبان وله الجوار) يعنى السفن الكبار (المنشآت) أى المرفوعات التى يرفع خشبها بعضه على بعض وقيل هى مرفوع قلعهما من السفن اماما لم يرفع قلعهما فليست من المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات الخلوقات المسخرات (فى البحر كالاعلام) أى كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن فى البحر بالجبل فى البر (فبأى آلاء رب يكما تكدبان) ﴿قوله عز وجل﴾ (كل من عليها) أى على الارض من حيوان وانما ذكره بلفظة من تعليما للعتلاء (فان) أى هالك لان وجود الانسان فى الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس باق فهو فان فقيه الحث على العبادة وصرف الزمن اليسرى الى الطاعة (ويبقى وجه ربك) يعنى ذاته الوجه يعبر به عن الجملة وفى الخطاب وجهان أحدهما انه كراحد والمعنى ويبقى وجه ربك أى بها الانسان السامع والوجه الثانى انه يحتمل ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم (ذوالجلال) أى ذو العظمة

(٢٩ - خازن) رابع (لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب) (فبأى آلاء رب يكما تكدبان وله) والله (الجوار) السفن جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء والاختيار وصلها وان وقف عليها بغير ياء فجاز على بعد وان كان يروم الكسرى الراء ليدل على حذف الياء (المنشآت) المرفوعات الشرع المنشآت بكسر الشين حمزة ويحى الرافعات الشرع أو اللادى ينشئن الامواج بجرهين (فى البحر كالاعلام) جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأى آلاء رب يكما تكدبان كل من عليها) على الارض (فان ويبقى وجه ربك) ذاته (ذوالجلال)

ذوالعظمة والساطان وهو صفة الوجه (والاكرام) بالتجاوز والاحسان وهذه الصفة من عظيم صفات الله وفي الحديث الطوايا اذا الجلال والاكرام روى أنه عليه السلام من رجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجب لك (فبأى آلاءه بكما تكذبان) والنعمة في الفناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون الى النعيم السرمد وقال يحيى بن معاذ حبذا الموت فهو الذي يقرب الحبيب الى الحبيب (يسئله من في السموات والارض) وقف عليها نافع كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل الارض ما يتعلق بدينهم ودينهاهم وينتصب (كل يوم) ظرفا بما دل عليه (هو في شأن) أى كل وقت وحين يحدث أمور او يحدث أهوا الا كما روى أنه عليه السلام تلاها فقبل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويرفع كرابا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم (٢٢٦) الذى هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي والاحياء والامانة والاعطاء والمنع

والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شأننا وسأل بعض المسالك وزيره عن الآفة فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يامولاي اخبرني ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال أنا أفسر هالملك فاعلمه فقال أيها الملك شأن الله انه يوبخ الليل في النهار ويوبخ النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيا ويسقم سلبا ويبتلى معاني ويعاقب مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويفشى فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يامولاي هذا

والكبر ياء ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه (والاكرام) أى المكرم لانبيائه وأوليائه وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته (فبأى آلاءه بكما تكذبان) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطوايا اذا الجلال والاكرام أخرجه الترمذى وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى الطوايا الزموا هذه الدعوة وأكثر وانها قول تعالى (يسئله من في السموات والارض) يعنى من ملك وانس وجن فلا يستغنى عن فضله أهل السموات والارض قال ابن عباس فاهل السموات يستأونه المغفرة وأهل الارض يستأونه الرزق والمغفرة وقيل كل أحد يسأله الرحمة وما يحتاج اليه في دينه أو دنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وأن كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه مقتدر الى الله تعالى (كل يوم هو في شأن) قيل نزلت رد اعلى اليهود حيث قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا قال المفسرون من شأنه أنه يحيى ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مريضا ويمرض صحيفا ويفك عانيا ويرفع عن مكروب ويوجب دعا عياو يعطى سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله واحداثه في خلقه ما يشاء سبحانه وتعالى وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحة من درة بيضاء دفنتها من ياقوته حمراء قلته نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يتخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة والشان الذى هو في اليوم الذى في مدة أيام الدنيا الاختيار بالامر والنهي والاحياء والامانة والاعطاء والمنع وشان يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون في كل يوم وقدر ما هو كائن فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجد في ذلك الوقت وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية له في كل يوم الى العبيد برجد يدوقيل شأنه تعالى انه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكر من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وعسكر من الارحام الى الدنيا وعسكر من الدنيا الى القبور ثم يخرجون جميعا الى الله تعالى (فبأى آلاءه بكما تكذبان سنفرغ لكم أيه الثقلان) قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغ عن شغل لان الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن فهو كقول القائل لمن يريد تهديده لا تفرغ عنك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن ذكر هذا الفراغ

من شأن الله وقيل سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان عبد الله ابن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له من شأن الله وقيل سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان عبد الله ابن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له من شأن الله وقيل سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان عبد الله ابن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له من شأن الله وقيل سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان عبد الله ابن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له من شأن الله

أسكت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها الى قوله فاصح من النادمين وقد صرح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وأن ليس للانسان الاماسى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامتة وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وكذا قيل وأن ليس للانسان الاماسى مخصوص بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام وأما قوله كل يوم هو في شأن فانها شئون يبدىها لاشئون يبتدئها فقام عبد الله وقيل رأسه وسوغ خراجه (فبأى آلاءه بكما تكذبان سنفرغ لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك يريد سألجرد لا يقع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكابة فيه والاتقام منه ويجوز أن يراد استنهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شئون الخلق التي أرادها بقوله كل يوم هو في شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فاعلم على طريق المثل سيفرغ حزة وعلى أى الله تعالى (أيه الثقلان) الانس والجن سمي بذلك لانهم اتقوا الارض

لسبق

(فبأى آلاء ربك تكذبان يا معشر الجن والانس) هو كالترجمة لقوله أيها الثقلان (ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) أى ان قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هر بامن قضائى فأخرجوا ثم قال (لانفذون) لانفذون على النفوذ (الاس سلطان) بقوة وقهر وغلبة وأتى اسم ذلك وقيل دلم على العجز عن قوتهم (٢٢٧) للحساب غدا بالهجر عن نفوذ الاقطار

اليوم وقيل يقال لم هذا يوم القيامة حين تحدى بهم الملائكة فاذا رآهم الجن والانس هر بوا فلا ياتون وجهها الا وجسدا والملائكة احتاطت به (فبأى آلاء ربك تكذبان يرسل عليكم اشواظ من نار) وبكسر الشين مكى وكلاهما الاله الخالص (ونحاس) أى دخان ونحاس مكى وأبو عمرو فالرفع عطف على شواظ والجر على نار والمعنى اذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكم طيب خالص من النار ودخان يسوقكم الى المحشر (فلا تنتصرون) فلا تمتنعن منها (فبأى آلاء ربك تكذبان فاذا انشقت السماء انفك بعضهما من بعض لقيام الساعة (فكانت وردة) فصارت كلون الورد الاحمر وقيل اصل لون السماء الحجره ولكن من بعد هاترى زرقاء (كالدهان) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن وقيل الدهان الاديم الاحمر (فبأى آلاء ربك تكذبان فيومئذ) أى فيوم

لسبق ذكر الشان وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال وناخذ في امركم فهو كقول القائل الذى لا شغل له قد فرغت لك وقيل معناه ان الله وعد اهل التقوى وأعد اهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدنا كم وأخبرنا كم فنحاسبكم ونجازكم فنجز لكم ما وعدنا كم فنتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل وأراد بالثقلين الانس والجن سميتا ثقلين لانهما متفلا على الارض أحياء وأمواتا وقيل كل شئ له قدر ووزن بنافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ائى نارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى فجعلهما ثقلين اعظاما للقدر هما وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الانس والجن ثقلين لانهما متقلان بالذنوب (فبأى الآلاء ربك تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا) أى تخرجوا (من أقطار السموات والأرض) أى جوانبها وأطرافها (فانفذوا) أى فأخرجوا والمعنى ان استطعتم أن تهربوا من الموت بالخر وج من أقطار السموات والأرض فأهر بوا واخر جوا منها غيما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والأرض فتخرجوا راكم حتى لا يقدر عليكم فأخرجوا وقيل معناه ان استطعتم أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكى ومن سمانى وأرضى فافعلوا وقدم الجن على الانس فى هذه الآية لانهم أقدر على النفوذ والهرب من الانس وأقوى على ذلك ثم قال تعالى (لانفذون الاسطان) يعنى لانفذون على النفوذ بالبقوة وقهر وغلبة وأتى لكم ذلك لانكم حينما توجهتم كنتم فى ملكى وسلطانى وقال ابن عباس معناه ان استطعتم أن تعملوا ما فى السموات والأرض فاعلموا وان تعملوا الاسطان أى بينة من الله تعالى (فبأى آلاء ربك تكذبان) وفى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادى يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض الآية فذلك قوله تعالى (يرسل عليكم اشواظ من نار) قال أكثر المفسرين هو الاله الذى لا دخان فيه وقيل هو الاله الاخضر المنقطع من النار (ونحاس) قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود والنحاس المهمل وقيل يرسل عليهم هذامرة وهذامرة وقيل يحوزان برسلا معامن غير ان يمتزج أحدهما بالآخر (فلا تنتصرون) أى فلا تمتنعن من الله ولا يكون لكم ناصر منه (فبأى آلاء ربك تكذبان فاذا انشقت السماء) أى انفرجت فصارت أبوابا لنزول الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى أهل الارض ذكر فى هذه الآية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه اشارة الى ما هو أعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى (فكانت وردة كالدهان) جمع دهن شبه تالون السماء عند انشقاقها بتالون الفرس الورد وهو الابيض الذى يضرب الى الحجره وقيل ان السماء تتلون يومئذ ألوانا كالوان الفرس الورد يكون فى الربيع أصفر وفى أول الشتاء أحمر فاذا اشتد البرد صار أعبر فشببه السماء فى تالونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تالونه وقيل كالدهان أى كعصير الزيت لانه يتلون فى الساعة ألوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصلها حر جهنم وقيل كالدهان أى كالاديم الاحمر (فبأى آلاء ربك تكذبان فيومئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان) قيل لا يستلون عن ذنوبهم لتعلم من جهنم لان الله له الى علمها منهم وكتبها الحفظة عليهم

تشق السماء (لايستل عن ذنبه انس ولا جان) أى ولا جن فوضع الجان الذى هو ابوالجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والتقدير لايستل انس ولا جان عن ذنبه والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله فور بك لفسئت منهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسئولون ان ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيستلون فى موطن ولايستلون فى آخر وقال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم ونكمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لايستل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يستل للتوبيخ

أى يؤخذ تارة بالنواصي وتارة بالاقدام (فبأى آلاء ربك تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) ماء حار قد انتهى حره أى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم (فبأى آلاء ربك تكذبان) النعمة في هذا نجاة الناجي منه بفضلها ورحمته وما في الانذار به من التنبيه (ولن خاف مقام ربه) موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة فترك المعاصي أو فادى الفرائض وقيل هر مقحم كقوله ونفيت عنه مقام الذنب أى نفيت عنه الذنب (جنتان) جنة الانس وجنة الجن لان الخطاب للثقلين وكأنه قيل لكل خائفين منك جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى (فبأى آلاء ربك تكذبان ذواتنا أفنان) أغصان جمع فتن وخص الافنان لانهاهى التي تورق وتثمر فتأخذ الظلال ومنها تجتنبى الثمار وألوان جمع فن أى له فيها ما تشهى الانفس وتلذذ الاعين قال ومن كل أفنان اللذادة والصبيا

وهذه رواية عن ابن عباس وعنه لانسأل الملائكة المجرمين لانهم يعرفون بسياهم دليله ما بعده وعن ابن عباس أيضا في الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فور بك لنسئلتهم أجمعين عما كانوا يعملون قال لا يسألهم هل علمت كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكنه يسألهم لم علمت كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسئل في بعضها ولا يسئل في بعضها وعن ابن عباس أيضا قال لا يسألون سؤال شفقة ورجة انما يسألون سؤال تفریح وتوخيح وقيل لا يسئل غير المجرم عن ذنب المجرم (فبأى آلاء ربك تكذبان يعرف المجرمون بسياهم) يعنى بسواد وجوههم وزرقة عيونهم (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصي من خلف ظهره وقيل تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم في أصابع أرجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصي وبعضهم بالاقدام ثم يلقون في النار (فبأى آلاء ربك تكذبان هذه جهنم) أى يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها (التي يكذب بها المجرمون) يعنى المشركين (يطوفون بينها وبين حميم آن) يعنى قد انتهى حره والمعنى انهم يسعون بين الحميم وبين الجحيم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الجحيم الآنى الذي قد صار كالهلل وقال كعب الاحبار أن واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخاع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (فبأى آلاء ربك تكذبان) فان قلت هذه الامور المذكورة في هذه الآيات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعماء فكيف عقبا بقوله فبأى آلاء ربك تكذبان قلت المذكور في هذه الآيات مواظ وواجر وتحويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزيح العبد عن المعاصي فصارت نعماء حسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فبأى آلاء ربك تكذبان ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه من عبادته المؤمنين فقال تعالى (ولن خاف مقام ربه) يعنى مقامه بين يدي ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعنى اطلاعه عليه وهو الذى بهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله وقيل ان راقب الله في السر والعلانية بعمله فاعرض له من محرم تركه من خشيته وما عمل من خيرا أخلصه لله ولا يجب أن يطلع عليه أحد قيل ان المؤمنين خافوا ذلك اقام فعلموا لله مع الاخلاص ودأبوا الليل والنهار (جنتان) يعنى جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركة شهوته عن أى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف أدبى ومن أدبى بلغ المنزل ألان سلعة الله عالية ألان سلعة الله الجنة أخرجه الترمذى قوله أدبى الادلاج محققا سير أول الليل ومثقالا سير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد في أول الامر فان من سار أول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوى بسنده عن أبى ذر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يارسول الله فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنى وان سرق يارسول الله فقال وان زنى وان سرق على رغم أنف أبى ذر (فبأى آلاء ربك تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى ذواتنا أفنان أى أغصان واحدها فتن وهو العنق المستقيم طولا وقيل ذواتنا ظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتنا ألوان يعنى ألوان القواء كوجع عطاء بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتنا فضل وسعة على ما سواهما (فبأى آلاء ربك تكذبان فيهما عينان تجريان) قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل

لهوت به والعيش أخصر فاضر (فبأى آلاء ربك تكذبان فيهما) فى الجنتين (عينان تجريان) احداهما حيث ساروا فى الاعلى والاسفل وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل

(فبأى آلاء بكم تكذبان) فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان صنف معروف وصنف غريب (فبأى آلاء بكم تكذبان متكثين) نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لان من خاف في معنى الجمع (على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة (من استبرق) ديباج نخسین وهو معرب قيل ظهرها من سندس وقيل لايعامها الا الله (وجنى الجنة دان) وثمرها قريب بناله القائم والقاعد والمتكى (فبأى آلاء بكم تكذبان فيهن) في الجنة لاشتماطها على أما كن وقصور ومجالس أوفى هذه الآلاء المعدودة من الجنة والعينين والفاكهة والفرش والجنى (فاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم (لم يطمئنهن) بكسر الميم الدورى وعلى بضم الميم والطمث الجماع بالندمية (انس قبلهم ولا جان) وهذا دليل على أن الجن يطمنون كما يطمث الانس (فبأى آلاء بكم تكذبان كنهن الياقوت) صفاء والمرجان) بيضاء فهو أبيض من اللؤلؤ

احدهما من ماء غير آسن والاخرى من خرلثة للشار بين (فبأى آلاء بكم تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) أى صنفان ونوعان وقيل معناه أن فيهما من كل ما يتفكه به ضر بين رطبوا ياسا قال ابن عباس ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرّة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل الا أنه حلو (فبأى آلاء بكم تكذبان متكثين على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة وهى التى تلى الارض من تحت الظهارة (من استبرق) وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وأبو هريرة البطائن فما ظنكم بالظواهر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر قال هى مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين وعنه أيضاً قال بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس فى الارض أحد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر أن بطائنها من الاستبرق ولا بد أن تكون الظواهر خير من البطائن فهو مما لا يعامه البشر (وجنى الجنة دان) يعنى أن ثمرها قريب بناله القائم والقاعد والناثم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيهاولى الله ان شاء قائماً وان شاء قاعدا وقيل لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك (فبأى آلاء بكم تكذبان فيهن) فان قلت الضمير الى ماذا يعود قلت الى الجنة واما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنة على مساكن وقصور ومجالس (فاصرات الطرف) أى غاضات الاعين قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن على غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربي ما أرى فى الجنة شيئاً أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك (لم يطمئنهن) أى لم يجامعهن ولم يفرغهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يسهن ومنه قول الفرزدق

خرجن الى لم يطمئن قبل \* وهن أصح من بيض النعام

أى لم يسهن والمعنى لم يطمئن ولم يغشهن (انس قبلهم) أى قبل أزواجهن من أهل الجنة (ولاجان) قيل انما نفي الجن لان لهم أزواجاً فى الجنة منهم وفى الآية دليل على أن الجنى يغشى كما يغشى الانسى وسأل ضمرة ابن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد فى هذه الآية اذا جامع ولم يسم انطوى الجنى على احليله فجامع معه واختلف فى هؤلاء اللواتى لم يطمئن فقيل هن الحور العين لانهن خلقن فى الجنة فلم يسهن أحد قبل أزواجهن وقيل انهن من نساء الدنيا نشئن خلقاً آخر أبقاراً كما وصفهن لم يسهن منذ أنشئن خلقاً آخر أحد وقيل هن الآدميات اللاتى متن أبقاراً ومعنى الآية المبالغة فى نفي الطمئنت عنهن لان ذلك أقر لأعين أزواجهن اذ لم يغشهن أحد غيرهم (فبأى آلاء بكم تكذبان كنهن الياقوت والمرجان) أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضاً وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حرة الياقوت لان أحسن الالوان البياض المشوب بحمرة والاصح أنه شبههن بالياقوت لصفائه لانه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه وقال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فىرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاجر فى الزجاجه البيضاء يدل على صحة ذلك ما روى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله تعالى يقول كنهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيت منه من وراءه أخرجه الترمذى قال وقد روى عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو أصح (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمير ليلية البدر زاندى رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء اضاءة لا يبقون فيها ولا يتمخطون ولا يتعوطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ومجامرهم اللؤلؤ ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء



هل جزاء الاحسان) في العمل (الاحسان) في الثواب وقيل ماجزاء من قال لاله الا الله الجنة وعن ابراهيم الخواص فيه هل جزاء الاسلام الا دار السلام (قبأى آلاء ر بكتانكذبان ومن دونهما) ومن دون تبتك الجنتين الموعودتين للمقر بين (جنتان) لمن دونهم من اصحاب اليمين (قبأى آلاء بكتانكذبان مدهامتان) سوداوان من شدة الخصرة قال الخليل الدعمة السواد (قبأى آلاء بكتانكذبان فيهما عينان ناضختان) فوارتان بالماء لانقطعان (قبأى آلاء بكتانكذبان فيهما فاكهة) ألوان الفواكه (ونخل ورمان) والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه للعطف ولان التمرفا كفة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه وهما قالا انما عطفوا على الفاكهة لفضلهما كأنهما جنسان آخران لما لهما من المزية كقوله وجبريل وميكاك (قبأى آلاء بكتانكذبان فيهن خيرات حسان) أى خيرات خففت وقرى خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق

اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباعض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا والبخارى قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله بحامهم الالوة يعنى بخورهم العود (قبأى آلاء ر بكتانكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان) اى ماجزاء من أحسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لاله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى البغوى باسناد الثعلبي عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدررون ما قال ر بكتانكذبان قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتحديد الا الجنة روى الواحدى بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتى ونوحيدى الا ان اسكنه جنتى وحظيرة قدسى برحمتى وقيل فى معنى الآية هل جزاء من أتى بالفعل الحسن الا ان يؤتى فى مقابلته بفعل حسن وفى الآية اشارة الى رفع التكليف فى الآخرة لان الله وعده المؤمنين بالاحسان وهو الجنة فلو بقى التكليف فى الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلا تكليف (قبأى آلاء ر بكتانكذبان ومن دونهما جنتان) أى ومن دون الجنتين الاوليين جنتان آخران وقال ابن عباس من دونهما فى الدرج وقيل فى الفضل وقال أبو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن أربع جنتان جنتان للقر بين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان (ق) عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رءاه الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وقال الكافى ومن دونهما جنتان يعنى أمامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخران من ياقوت وزبرجد وهما افضل من الاوليين (قبأى آلاء بكتانكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى (مدهامتان) أى سوداوان من ربهما وشدة خضرتهما لان الخصرة اذا اشتدت ضربت الى السواد (قبأى آلاء بكتانكذبان فيهما عينان ناضختان) أى فوارتان بالماء لانقطعان وقال ابن عباس والضحاك ينضخان بالخير والبركة على أهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على اولياء الله وقال أنس بن مالك ينضخان بالمسك والعنبر فى دور أهل الجنة كطش المطر (قبأى آلاء بكتانكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) يعنى فيهما من أنواع الفواكه كلها وانما عطف النخل والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيه على فضلها وشرفهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين وأهل اللغة قالوا انما فصلها بالذكر لاختصاص والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكاك خصهما بالذكر وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمره الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال أبو حنيفة اذا حلف لا يأكل الفاكهة فاكل رطباً أو رماناً لم يخف وخالفه صاحبه وهذا القول خلاف قول أهل اللغة ولا حجة له فى الآية وروى البغوى بسنده عن ابن عباس موقوفاً قال نخل الجنة جذوعها زمرذ أخضر وكرمها ٢ ذهب أحر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها مثل القلال أو الدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم وروى ان الرمان من رمان الجنة مثل البعير المقتب وقيل ان نخل أهل الجنة تضيد وثمرها كالقلال كما نزع منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثناعشر دراعاً (قبأى آلاء بكتانكذبان فيهن) أى فى الجنان الاربع (خيرات حسان) روى عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(فبأى آلاءه بكما تكذبان حور مقصورات في الخيام) أى مخدرات يقال امرأة قصيرة ومقصورة أى مخدرة قبيل الخيام من الدر المحجوف (فبأى آلاءه بكما تكذبان لم يطمئنن انس قبلهم) قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (ولاجان فبأى آلاءه بكما تكذبان متكئين) نصب على الاختصاص (على رفر ف) هو كل ثوب عرض وقيل (٢٣١) الوسائد (خضر وعبقري حسان)

ديباج أو طنافس (فبأى آلاءه بكما تكذبان) وإنما تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل ومن دونهما لان مسدهامتان دون ذواتنا أفنان ونضاختان دون تجريان وفا كهة دون كل فا كهة وكذلك صفة الحور والمتكا (تبارك اسم ربك ذي الجلال) ذى العظمة ذوالجلال شامى صفة للاسم (والاكرام) لا وليائه بالانعام روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن فقال ما لي أراكم تسكوتون الجن كانوا أحسن منكم ردما أتيت على قول الله فبأى آلاءه بكما تكذبان الا قالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر وكررت هذه الآية في هذه السورة إحدى وثلاثين مرة ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعته ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدايدها على عدد أبواب جهنم وبعدها السبعة ثمانية

أخبرني عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه (فبأى آلاءه بكما تكذبان حور مقصورات) أى مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامنهن وشرفهن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاعت ما بينهن ما ولات ما بينهن ما يحا ولتصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن أطرافهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغيهن منهن بدلا (في الخيام) قيل هي البيوت قال ابن الاعرابي الخيمة لان تكون الامن أربعة أعواد ثم نسق بالتمام ويقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا أقام بها وتظلل فيها وقيل كل خيامها من درولؤلؤ وز جرد محجوف تضاف الى القصور في الجنة (ق) عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طوطها في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا (فبأى آلاءه بكما تكذبان لم يطمئنن انس قبلهم ولاجان) تقدم تفسيره (فبأى آلاءه بكما تكذبان متكئين على رفر فريض) قيل الرفر فريض الجنة خضر محضبة ويروي هذا عن ابن عباس وقيل ان الرفر البسط وعن ابن عباس الرفر فضول المجالس والبسط منه وقيل هي مجالس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل هي الزرابي وقيل كل ثوب عرض عند العرب فهو رفر ف (وعبقري حسان) قيل هي الزرابي والطنافس الثخان وقيل هي الطنافس الرقاق وقيل كل ثوب موشى عند العرب فهو عبقري وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم أر عبقري يا فري فري به وأصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقري وهي أرض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شئ رقيق عجيب وذلك ان العرب تعتقد في الجن كل صفة عجيبية وانهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كانت عبقري معرفة بسكنى الجن نسبوا اليها كل شئ عجيب بديع (فبأى آلاءه بكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام وفيه إشارة الى أن الباقي هو الله تعالى والدنيا فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو إشارة الى تمجيد وتحميده (م) عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وعن عائشة رضيت الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا المقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام أخرجه أبو داود والنسائي غير قوله لم يقعد الا المقدار ما يقول والله أعلم بمراده

تفسير سورة الواقعة

وهي مكية وسبع وتسعون آية وثلاثمائة وثمان وسبعون كلمة وأنفس سبع مائة وثلاثة وأحرف روى البغوي بسنده عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وكان أبو ظبية لا يدعها أبدا وأخرجه ابن الأثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه والله تعالى أعلم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾  
 ﴿قوله عز وجل (اذا وقعت الواقعة) أى اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة وهي النفخة

في وصف الجنتين وأهلها على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما في اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم نعوذ بالله منها والله أعلم ﴿سورة الواقعة سبع وتسعون آية مدنية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اذا وقعت الواقعة) قامت القيامة وقيل وصفت بالوقوع لانها تقع لاحالة فكانه قيل اذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أتوقه نزوله واتصاب اذا باضمار اذا ذكر

(ليس لوقعتها كاذبة) نفس كاذبة أى لانكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام مثلها في قوله تعالى ياليتني قدمت لحياتي (خافضة رافعة) أى هي خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين (اذا رجحت الأرض رجاً) حركت تحرك يكاشد يد حتى ينهدم كل شئ فوقهما من جبل وبناء وهو بدل من اذا وقعت ويجوز أن ينصب بخافضة رافعة (٢٣٢) أى تخفض وترفع وقت رج الأرض ويس الجبال (وبست الجبال بسا) وقتت

حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقولها وسيرت الجبال (فكانت هباء) غبارا (منبثا) متفرقا (وكنتم أزواجا) أصنافا يقال للأصناف التي بعضها من بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج (ثلاثة) صنفان في الجنة وصنف في النار ثم فسر الأزواج فقال (فأصحاب الميمنة) مبتدأ وهم الذين يؤتون صحائفهم بإيمانهم (مأصحاب الميمنة) مبتدأ وخبر وهما خبر المبتدأ الأول وهو تعجب من حالهم في السعادة وتعظيم لشأنهم كأنه قال ما هم وأى شئ هم (وأصحاب المشأمة) أى الذين يؤتون صحائفهم بشئانهم أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدينية الخبيسة من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال اذا وصفتها بالرفعة عندك والصفة وذلك تيمنهم باليمنى وتشاؤمهم بالشمال وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال (مأصحاب المشأمة) أى

الآخرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة (ليس لوقعتها) أى لجيئها (كاذبة) أى ليس لها كذب والمعنى انها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة أى كل ما أخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة أى ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس أخبرت عن وقوعها (خافضة رافعة) أى تخفض أقواما الى النار وترفع أقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض أقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا في الدنيا متضعين وقيل تخفض أقواما بالمعصية وترفع أقواما بالطاعة (اذا رجحت الأرض رجاً) أى اذا حركت وزلزات زلز الا ذلك ان الله عز وجل اذا أوحى اليها اضطرت فرفقا وخوفا قال المفسرون ترج كما يرج الصبي في المهده حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى (وبست الجبال بسا) أى فتنت حتى صارت كالديقيق المبسوس وهو المبالول وقيل صارت كشيء ما يبعد ان كانت شائخة وقيل معناه قلعت من أصلها وسيرت على وجه الأرض حتى ذهب بها (فكانت هباء منبثا) أى غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء (وكنتم أزواجا) أى أصنافا (ثلاثة) ثم فسر الأزواج فقال تعالى (فأصحاب الميمنة) يعنى أصحاب اليمين والميمنة ما حية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت النرية من صلبه وقال الله تعالى هو لاء الى الجنة ولا أبالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بإيمانهم وقيل هم الذين كانوا يميناً أى مباركين على أنفسهم وكانت أعمالهم سالحة في طاعة الله وهم المتابعون باحسان (مأصحاب الميمنة) تعجب من حالهم في السعادة والمعنى أى شئ هم (وأصحاب المشأمة) أى أصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند اخراج النرية وقال الله تعالى لهم هو لاء الى النار ولا أبالي وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشئانهم وقيل هم المشأمة على أنفسهم وكانت أعمالهم في المعاصي لان العرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى (والسابقون السابقون) قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة السابقون فى الآخرة الى الجنة وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبليتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى ما دعا الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة فان قلت لم أجد كرا السابقين وكانوا أولى بالتقديم على أصحاب اليمين قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر فى أول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تحويها لعباده فاما محسن فيزداد رغبة فى الثواب وامامسى فيرجع عن اسائه خوفا من العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال لبرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الا كبر ليجتهد أصحاب اليمين فى القرب من درجهم ثم أنى على السابقين فقال تعالى (أولئك المقربون) أى من الله فى جواره وفى ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله (فى جنات النعيم) قوله تعالى (ثلة) أى جماعة غير محصورة العدد (من الاولين) أى من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا (وقليل من الآخرين) يعنى من هذه الامة وذلك لان الذين عابوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم

أى شئ هم وهو تعجب من حالهم بالشقاء (والسابقون) مبتدأ (السابقون) خبره وتقديره السابقون الى الخيرات الماضية السابقون الى الجنات وقيل الثانى تاكيد للاول والخبر (أولئك المقربون) والاول وأوجه (فى جنات النعيم) أى هم فى جنات النعيم (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) أى هم ثلة الامة من الناس السكينة والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى نبينا محمد عليهم السلام وقليل من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمى هذه الامة ومن الآخرين من آخرها

وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلثان جميعاً من أمتي (على سرر) جمع سرير ككتيب وكتب (موضونة) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت (متكئين) حال من الضمير في علي وهو العامل فيها أي استقر وأعليها متكئين (عليها متقابلين) ينظر بعضهم في وجوه بعض ولا ينظر بعضهم في أفعال بعض وصفوا بحسن العشرة ونهذيب الاخلاق (٢٣٣)

(يطوف عليهم) يتقدمهم  
(ولدان) غلمان جمع  
وليد (مخلدون) مبقون  
أبداً على شكل الولدان  
لا يتحولون عنه وقيل  
مقرطون والخلد القرط  
قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن  
لهم حسنة فيثابوا عليها  
ولاسيات فيعاقبوا عليها  
وفي الحديث أولاد الكفار  
خدام أهل الجنة (باكواب)  
جمع كوب وهي آنية  
لا عروة لها ولا خرطوم  
(وأباريق) جمع ابريق  
وهو ماله خرطوم وعروة  
(وكاس) وقدح فيه  
شراب وان لم يكن فيه  
شراب فليس بكاس (من  
معين) من خمر تجرى من  
العيون (لا يصدعون عنها)  
أي بسببها وحقيقته لا يصد  
صداعهم عنها ولا يفرقون  
عنها (ولا ينزفون) ولا  
يسكرون نزف الرجل  
ذهب عقله بالسكر ولا ينزفون  
بسكر الزاي كوفي أي  
لا ينفد شرابهم يقال  
انزف القوم اذا فنى شرابهم  
(وقا كهة مما يتخيرون)  
ياخذون خبيراً وأفضله  
(ولحم طير مما يشتهون)

الماضية أكثر من عابن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل ان الأولين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من الآخرين يعني التابعين لهم باحسان وقيل ان الأولين سابق المهاجرين والانصار وقيل من الآخرين أي ممن جاء بعدهم من الصحابة (على سرر موضونة) أي منسوجة من الذهب والجوهر وقيل موضونة يعني مصفوفة (متكئين عليها) أي على السرر (متقابلين) يعني لا ينظر بعضهم في قفا بعض وصفوا بحسن العشرة في المجالسة وقيل لانهم صاروا أرواحاً رانية صافية ليس لهم أديار وظهور (يطوف عليهم) أي للخدمة (ولدان) أي غلمان (مخلدون) لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق في الاذن واختلفوا في هؤلاء الولدان فقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا أطفالاً وفيه ضعف لان الله أخبر أنه يلحقهم بأبائهم ولان من المؤمنين من لا ولده فلو خدمه ولد غيره كان منقصة بابي الخادم وقيل هم صفار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول أقرب من الأول لانه قد اختلف في أولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الأكثرون هم في النار تبعاً لأبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من أهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم أطفال ما نوالهم لم يكن لهم حسنة فيثابوا عليها ولا سيات فيعاقبوا عليها من قال بهذه الأقوال يعقل بان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معدل عنه ان شاء الله انهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة كالخمر وان لم يولدوا لم يحصلوا عن ولادة أطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمى الغلام وليد المالم يحتمل والامة وليدة وان أسنت (باكواب) جمع كوب وهي الاقداح المستديرة الافواه لا آذان لها ولا عرا (وأباريق) جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والعرا سميت بأبريق لونها من الصفاء وقيل لانها يرى باطنها كجاري ظاهرها (وكاس من معين) أي من خمر جارية (لا يصدعون عنها) أي لا تصدع رؤسهم من شرابها وعنها كناية عن الكأس وقيل لا يتفرقون عنها (ولا ينزفون) أي لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم (وقا كهة مما يتخيرون) أي يأخذون خيارها (ولحم طير مما يشتهون) قال ابن عباس بخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلاً بين يديه على ما شتهى وقيل انه يقع على صحيفة الرجل فيأكل منه ما يشتهى ثم يطير فان قلت هل في تخصيص الفا كهة بالخبر واللحم بالاشتفاء بلاغة قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذي يظهر فيه ان اللحم والفا كهة اذا حضر عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضر عند الشبعان تميل نفسه الى الفا كهة فالجائع مشتة والشبعان غير مشتة بل هو مختار وأهل الجنة انما يأكلون لا من جوع بل للتفكه فيلهم الى الفا كهة أكثر فتخيرونها ولهذا ذكر في مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتتميل نفسه اليه أدنى ميل ولهذا قدم الفا كهة على اللحم والله أعلم (وحور عين) أي ويطوف عليهم حور عين وقيل ولهم حور عين وجاء في تفسير حور أي بيض عين أي ضد خام العيون (كأمثال الأول والمكثون) أي الخبزون في الصدق المصون الذي لم تمسه الأيدي ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون في نهاية الصفاء وروى انه سطع نور في الجنة فقيل ما هذا قيل ضوء نورا حوراء ضحك وروى ان الحوراء اذا مشيت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفي رجلها نعلان من ذهب شرابهما

(٣٠ - خازن - رابع) يتمنون (وحور) جمع حوراء (عين) جمع عيناء أي وفيها حور عين أو ولهم حور عين ويجوز ان يكون عطف على ولدان وحوريزد وحرة وعلى عطف على جنات النعيم كانه قال وهم في جنات النعيم وفاقا كهة ولحم حور (كأمثال المثلث) في الصفاء والنقاء (المكثون) المصون وقال الزجاج كأمثال الدر حين يخرج من صدقه لم يغيره الزمان واختلف احوال

الاستعمال (جزءها كانوا يعملون) جزء مقول له أي يفعل بهم ذلك كله لجزء أعمالهم أو مصدر أي يجوزون جزء (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) باطلا (ولان تأثما) هديانا (الاقبالا ماسلاما) الاقولا ذاسلاما والاستثناء منقطع وسلاما بدل من قبالا ومفعول به لقيلا أي لا يسمعون فيها الآن يقولوا سلاما (٢٣٤) سلاما والمعنى انهم يقشون السلام بينهم فيسلامون سلاما بعد سلام (وأصحاب اليمين

مأصحاب اليمين في سدر مخضود) السدر شجر النبق والمخضود الذي لاشوك له كما تخضد شوكة (وطلح منضود) الطلح شجر الموز والمنضود الذي تضد بالجل من أسفله الى أعلاه فليست له ساق بارزة (وظل ممدود) متمد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) جار بلاحد ولاخذ أي تجرى على الارض في غير أخذود (وفاكهة كثيرة) أي كثيرة الاجناس (لامقطوعة) لانقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا بل هي دائمة (ولا ممنوعة) لانتمتع من متناولها بوجهه وقيل لامقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان (وفرش) مرفوعة رفيعة القدر أو نضت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المرأة يكنى عنها بالفرش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكون وبدل عليه قوله (انا أنشأناهن انشاء) ابتدأنا

من لؤلؤ يصران بالتسبيح (جزءها كانوا يعملون) أي فعلنا ذلك بهم جزءها كانوا يعملون في الدنيا بطاعتنا (لا يسمعون فيها) أي في الجنة (لغوا) قيل للغوا يريدون الكلام ويستحق أن يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع (ولان تأثما) قيل معناه ان بعضهم لا يقول لبعض أنهم لا يتكلمون بما فيه ثم كما يتكلم به أهل الدنيا وقيل معناه لا يتكلمون تأثما أي ما هو سبب التأثيم من قول أو فعل قبيح (الاقبالا) معناه لكن يقولون قبالا أو يسمعون قبالا (سلاما سلاما) يعني يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم أو يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل معناه ان قوهم يسلم من اللغو ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) لما بين حال السابقين شرع في بيان حال أصحاب اليمين فقال تعالى (في سدر مخضود) أي لاشوك فيه كأنه خضد شوكة أي قطع ونزع منه وهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حلا قيل ثمها أعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الى وجوه وهو وادخضب باطراف فاعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فانزل الله هذه الآية (وطلح) هو الموز عندنا أكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل باردطيب وقيل هو شجر أم غيلان له شوكة ونورطيب الرائحة تخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون ويعرفون الآن فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا (منضود) أي متراكم قد تضد بالجل من أرقه الى آخره ليست له سوق بارزة بل من عروقها الى أغصانها ثم وليس شيء من ثمرة الجنة في غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (وظل ممدود) أي دائم لانسخه الشمس كظل أهل الدنيا وذلك لان الجنة ظل كلها الشمس فيها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة وافرؤا ان شتم وظل ممدود وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال شجرة في الجنة على ساق يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها فيشتمى بعضهم لوط الدنيا فيرسل الله عز وجل ريحاً من الجنة فقصر ك تلك الشجرة بكل لوط في الدنيا (وماء مسكوب) أي مصبوب يجري دائماً في غير أخذود ولا ينقطع (وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة) قال ابن عباس لانقطع اذا جنبت ولا تمتنع من أحد اذا أراد أخذها وقيل لامقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا في الشتاء ولا يوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساكن الدنيا وجاء في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا بدل الله عز وجل مكانها ضعفين (وفرش مرفوعة) قال علي مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية عن أني سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاعها كما بين السماء والارض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمى المرأة فرشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة أي رفعت بالفضل والجمال على نساء الدنيا يدل على هذا التأويل قوله في عقبه (انا أنشأناهن انشاء) أي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعني الادميات المجازر الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خالقا آخر (فجعلناهن أبكارا) يعني عذارى عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنشأناهن انشاء قال المنشآت اللاتي كن في

الدنيا

خلقهن ابتداء من غير ولادة فاما ان يراد اللاتي ابتدئ انشاءهن أو اللاتي أعيد انشاءهن

وعلى غير هذا التأويل أضمرهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن (فجعلناهن أبكارا) عذارى كما أنهن أزواجهن وجدوهن أبكارا

الدنيا عجائز عشار مصا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وضعف بعض رواه وروى البغوي بسنده عن الحسن قال أنت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز قال فوات تبكي قال أخبر بها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى قال أنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أ بكرار هذا حديث مرسل وروى بإسناد الثعلبي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله أنا أنشأناهن إنشاء قال عجائز كن في الدنيا عشار مصا فجعلناهن أ بكرار وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله بقدرته خلقا جديدا كما أنهن أزواجهن وجدوهن أ بكرار وقيل لهن فضلن على الحور العين بصلتهن في الدنيا وقيل هن الحور العين أنشأهن الله لم تقع عليهن ولادة فجعلناهن أ بكرار عذارى وليس هناك وجع (عربا) جمع عرب وهي المتحبة إلى زوجها قال ابن عباس في رواية عنه أنها الملقبة وقيل الغنجة وعن أسامة بن زيد عن أبيه عر با قال حسان الكلام (أربا) يعني أمثالا في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد نبات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين سنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (لاصحاب اليمين) يعني أنشأناهن لأصحاب اليمين وقيل هذا الذي ذكرنا لأصحاب اليمين (ثلة من الأولين) يعني من المؤمنين الذين هم قبل هذه الأمة (ثلة من الآخرين) يعني من مؤمنى هذه الأمة يدل عليه ما روى البغوي بإسناد الثعلبي عن عروة بن روم قال لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يا نبي الله أما بنا رسول الله وصدقناهم ومن ينجومنا قليل فانزل الله عز وجل ثلة من الأولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ر بنا وأصدق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم إلى نائلة ومنا إلى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها إلا السودان من رعاة الأبل ممن قال لاله إلا الله (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد اذ رفع إلى سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لى هذا موسى وقوه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى انظر إلى الأفق الآخر فاذا سواد عظيم فقيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزلة فخاض القوم في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فأخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محسن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام رجل آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة لرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل إلى الأربعين (ق) عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نخو من أربعين فقال أترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده إنى لا رجوا أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة مسامة وما أتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر وعن بر بدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وذهب جماعة إلى أن الثلثين جميعا من هذه الأمة وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك قالوا ثلة من الأولين من سابقى هذه الأمة وثلة من الآخرين من هذه الأمة أيضا في آخر الزمان يدل على ذلك ما روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس

(عربا) عر با حزمة وخلف  
ويحى وحاد جمع عرب  
وهي المتحبة إلى زوجها  
الحسنة التبعيل (أربا)  
مستويات في السن نبات  
ثلاث وثلاثين وأزواجهن  
كذلك واللام في (لاصحاب  
اليمين) أى صلة أنشأنا (ثلة)  
من أصحاب اليمين ثلة (من  
الأوليين وثلة من الآخرين)  
فان قلت كيف قال قبل هذا  
وقليل من الآخرين ثم قال  
هنا وثلة من الآخرين قلت  
ذاك في السابقين وهذا في  
أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون  
من الأولين والآخرين  
جميعا وعن الحسن سابقوا  
الأمم أكثر من سابقى  
أمتنا وتابعوا الأمم مثل  
تابعى هذه الأمة

(وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) الشمال والمشامة واحدة (في سموم) في حنار ينفذ في المسام (وحجيم) وماء حار متناهي الحرارة (وظل من محموم) من دخان أسود (لابارد ولا كريم) نفي لصفتي الظل عنه ير بدانه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظل لأن نفي عنه برد الظل وروحه ونفقه من يابى إليه من أذى الحر وكذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه والمعنى انه ظل حار صار (انهم كانوا قبل ذلك) أى في الدنيا (مترفين) منعمين فنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار (وكانوا بصرون) يداومون (على الحنث العظيم) أى على الذنب العظيم وأعلى الشرك لانه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أو الكفر بالبعث بدليل قوله وأقسموا بالله جهداًيمانهم لا يبعث الله من يموت (وكانوا يقولون أنما امتنا وكناتنا ابوا عظاما أنما لمبعوثون) تقديره أنبعث إذا امتنا وهو العامل في الظرف وجاز حذفه إذ مبعوثون يدل عليه ولا (٢٣٦) يعمل فيه مبعوثون لان اذوالاستفهام يمنع ان يعمل ما بعدهما فيما قبلهما (أو

أباونا الاولون) دخلت حمزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على الضم في لمبعوثون من غير توكيد بنحن للفاصل الذي هو الهزة كما حسن في قوله ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي أو آباؤنا مدني وشامي (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من تكاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء أى حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (ثم انكم أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم (لا يكون من شجر) من لا ابتداء الغاية (من زقوم) من

في هذه الامة ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من أمتي وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وعابنه وجماعة ممن آمن به وكان بعده ولم يعابنه فان قلت كيف قال في الآية الاولى وقيل من الآخرين وقال في هذه الآية وثلثة من الآخرين قلت الآية الاولى في السابقين الاولين وقيل من يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية في أصحاب اليمين وهم كثيرون من الاولين والآخرين وهو حكى عن بعضهم أن هذه ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن روم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ ﴿ قوله تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) قد تقدم انه بمعنى التمجيد من حالتهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمالهم ثم بين منقلبهم وما أعد لهم من العذاب فقال تعالى (في سموم) أى في حنار وقيل في ريح شديدة الحرارة (وحجيم) أى ماء حار يغلي (وظل من محموم) يعنى في ظل من دخان شديد السواد قيل ان النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود وقيل اليعموم اسم من أسماء النار (لابارد ولا كريم) يعنى لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لان فائدة الظل ترجع الى أمرين أحدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الانسان فيه مكر ما وظل أهل النار بخلاف هذا لانهم في ظل من دخان أسود حار ثم بين سم استحقوا ذلك فقال تعالى (انهم كانوا قبل ذلك) يعنى في الدنيا (مترفين) يعنى منعمين (وكانوا بصرون على الحنث) العظيم يعنى على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك لانهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (وكانوا يقولون أنما امتنا وكناتنا ابوا عظاما أنما لمبعوثون وأباؤنا الاولين) فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل ان الاولين والآخرين) يعنى الآباء والابناء (لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) يعنى انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب (ثم انكم أيها الضالون) يعنى عن الهدى (المكذبون) أى بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال مكذب (لا يكون من شجر من زقوم) تقدم تفسيره (فما لؤن منها البطون فئسار بون عليه من الحميم فئسار بون شرب الهيم) يعنى ابل العطاش قيل ان الهيام داء يصيب ابل فلاترودى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التي لاترودى بالماء قيل يلقي على أهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون (هذانزلم) يعنى ما ذكر من الزقوم والحميم أى رزقهم وغداؤهم وما أعد لهم (يوم الدين) يعنى يوم يجازون باعمالهم ثم احتج عليهم في البعث بقوله تعالى (نحن خلقناكم) يعنى ولم تكونوا شيئا وأنتم

أبيان الشجر (فما لؤن منها لبطون فئسار بون عليه من الحميم) أنت ضمير الشجر على المعنى وذكره تعلمون على اللفظ في منها وعليه (فئسار بون شرب) بضم الشين مدني وعاصم وحزة وسهل وفتح الشين غيرهم وهما مصدران (الهيم) هي ابل عطاش لاترودى جمع أهيم وهيماء والمعنى انه يسلب عليهم من الجوع ما يضطرهم الى كل الزقوم الذي هو كالهل فاذا ملؤا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربون منه شرب الهيم وانما صاح عطف الشار بين على الشار بين وهما النوات متفقة وصفتين متفتتين لان كونهم شار بين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانت صفتين مختلفتين (هذانزلم) هو الرزق الذي يعدل لنازل نكر مة له (يوم الدين) يوم الجزاء (نحن خلقناكم

فلولا (فلا) (تصدقون) تخفيض على التصديق اسما بالحق لانهم وان كانوا صدقين به الا انه لما كان مذهبه خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولاً لم يمنع عليه أن يخلق ثانياً (أفرايتم ماتمون) ماتمونه أي تقدفونه في الارحام من النطف (أأتم تخلقونه) تقدرونه ونصرونه وتبعواونه بشراسوا (أم نحن الخالقون) (٢٣٧) نحن قدرنا بينكم الموت) تقديرا

وقسمناه عليكم قسمة الارزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصر وطويل ومتوسط قدرنا بالتخفيف مكي سبقتة بالشيء اذا أعجزه عنه وغلبته عليه فغنى قوله (وإن نحن بمسبوقين) يعني بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) انا قادرون على ذلك لا تغلبونا عليه وأمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشبهاكم من الخلق (وننشككم فيما لاتعلمون) وعلى أن ننشككم في خلق لاتعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نهجز عن اعدانكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم ونفسيكم في صفات لاتعلمونها) ولقد علمتم النشأة الاولى والنشأة الثانية مكي وأعمرو (فلولا تذكرون) ان من قدر على شيء مرة لم يمنع عليه ثانياً وفيه دليل صحة القياس

تعلمون ذلك (فلولا) أي فهلا (تصدقون) يعني بالبعث بعد الموت قوله عز وجل (أفرايتم ماتمون) يعني ماتمبون في الارحام من النطف (أأتم تخلقونه) أي أأتم تخلقون ماتمون بشراسوا (أم نحن الخالقون) أي انه خلق النطفة وصورها وأحياها فلم لاتصدقون بأنه واحد قادر على أن يعيدكم كما أنشأكم احتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء الخلق (نحن قدرنا بينكم الموت) يعني الآجال فنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه جعل أهل السماء وأهل الارض فيه سوا عشر يفهم وضعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا (وإن نحن بمسبوقين) يعني لا يفوتني شيء أريد به ولا يمنعني أحد وقيل معناه وإن نحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بأمثالكم وهو قوله تعالى (على أن نبدل أمثالكم) أي نأتى بخلق مثلكم بدلا منكم في أسرع حين (وننشككم) أي نخلقكم (فما لاتعلمون) أي من الصور والمعنى نغير حالتكم الى ما هو أسمع منها من أي خلق شئنا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم أي ان أردنا أن نفعل ذلك بكم ما فانتا وقال سعيد بن المسيب فيما لاتعلمون في حواصل طيور سود كأنها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى أنه لو شاء ان يبدلهم بامثالهم من بني آدم قدر ولو شاء أن يمسخهم في غير صورهم قدر وقال بعض أهل المعاني هذا يدل على النشأة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفية كما علموا الانشاء الاول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وإن نحن بمسبوقين على أن ننشككم في وقت لاتعلمونه يعني وقت البعث والقيامة وفيه فائدة وهو التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشاء هو الموت والبعث واذا كان ذلك واقعا في الازمان ولا يعلمه أحد فينبغي أن لا يتشكل الانسان على طول المدة ولا ينقل عن اعداد العدة (ولقد علمتم النشأة الاولى) أي الخلقة الاولى ولم تكونوا شيئا وفيه تقرير للنشأة الثانية يوم القيامة (فلولا تذكرون) أي باني قادر على اعدانكم كما قدرت على ابدانكم اول مرة قوله تعالى (أفرايتم ماتمخرون) لماذا كره الله تعالى ابتداء الخلق وما فيه من دلائل الوحدة ذكركم بعد الزرع لان به البقاء وذكري أمور ثلاثة المأكول والمشروب وما به من اصلاح المأكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر المأكول اولاً لانه هو الغذاء واتبعه المشروب لان به الاستقرار ثم النار التي بها اصلاح وذكري من أنواع المأكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الماء لانه أيضا هو الاصل وذكري من المصلحات النار لان بها اصلاح أكثر الاغذية فقوله أفرايتم ماتمخرون أي ماتمخرون من الارض وتلقون فيه البذر (أأتم تزرعونه) أي تبتونونه وتنبشونه حتى يشتد ويقوم على سوقه (أم نحن الزارعون) معناه أأتم فعلتم ذلك أم الله ولا شك في أن إيجاد الحب في السنبل ليس بفعل أحد غير الله تعالى وان كان القاء البذر من فعل الناس (لونشاء جعلناه) يعني ماتمخرونه وتلقون فيه من البذر (حطاما) أي تبنا لا تقع فيه وقيل هشيا لا يتفجع به في مطعم ولا غيره وقيل هو جواب المعاند يقول نحن نخرنه وهو بنفسه يصير زرعنا لا يفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله لونشاء جعلناه حطاما فهل تقدرون أأتم على حفظه أو هو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات التي تصيبه ولا يشك أحد في أن دفع الآفات ليس الا باذن الله وحفظه (فظلمت نفسكمهون) أي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون

حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (أفرايتم ماتمخرون) ماتمخرونه من الطعام أي تثيرون الارض وتلقون فيها البذر (أأتم تزرعونه) تبتونونه وتردونه نباتا (أم نحن الزارعون) المبتونون وفي الحديث لا يقول أحدكم زرع وتليقل حوت (لونشاء جعلناه حطاما) هشيا مما تفسد اقبل ادراكه (فظلمت نفسكمهون) تعجبون أو تندمون على تعجبكم وانفاقكم عليه وعلى ما اقترعتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها



(انا) أي تقولون انا أننا أبو بكر (المغرمون) للمزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون هلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرمون) محاربون محدودون لا يجدون ولا يحظ لنا ولا يفت لنا ولو كنا محدودين لما جرى علينا هذا (أفرأيت الماء الذي تشربون) أي الماء العذب الصالح للشرب (أأتم أنزلتموه من المزن) السحاب الأبيض وهو أعذب ماء (أم نحن المنزلون) بقدرتنا (لونشاء جعلناه أجاجا) ملحا ومر الا يقدر على شربه (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون ودخلت اللام على جواب لوفى قوله لجعلناه حطاما وزعت منه هنا لان لو لم كانت داخلة على جلتين معلقة تانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخرجة للشرط كان ولا عمارة مثلها وانما سري فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضموني جلتيهما ان الثاني امتنع لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما (٢٣٨) على ذلك ولما شهر موقعه لم يبال باسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به وتساوى حاله

على نفقاتكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصي التي أوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات (اللمغرمون) أي وتقولون خذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لموقع بنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما لعذبون يعني انهم عذبوا بذهاب أموالهم بغير فائدة والمعنى اننا غرنا الحلب الذي بذرناه فذهب بغير عوض (بل نحن محرمون) أي ممنوعون والمعنى حرمانا الذي كنا نطلبه من الربيع في الزرع (أفرأيت الماء الذي تشربون أأتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم بانزال المطر الذي لا يقدر عليه الا الله عز وجل (لونشاء جعلناه أجاجا) قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مر الا يمكن شربه (فلولا) أي أفلا (تشكرون) يعني نعمته الله عليكم (أفرأيت النار التي تورون) يعني تقدحون من الزند (أأتم أنشأتم شجرتها) يعني التي تقدح منها النار وهي المرخ والعقار وهي شجرتان تقدح منهما النار وهما طبتان وقيل أراد جميع الشجر التي توقد منه النار (أم نحن المنشؤون نحن جعلناها) يعني نار الدنيا (ندكرة) أي للنار الكبرى اذ رأى الراي هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يارسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها (ومتاعا) أي بقلعة ومنفعة (للمقوين) يعني للمسافرين والمقوي النازل في الارض القواء وهي القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها أهل البوادي والسفار فان منفعتهم أكثر من المقيم فانهم يوقدون بالليل لتهرب السباع ويهتدي بها الضال الى غير ذلك من المنافع هذا قول أكثر المفسرين وقيل المقوين الذين يستمتعون بهافي الظلمة ويصلون بهامن البرد وينتفعون بهافي الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل المقوي من الاضداد يقال للمقير مقو وخلاصه من المال ويقال للمغني مقو لقوته على ما يريد والمعنى ان فيها متاعا ومنفعة للقراء والاعنياء جميعا لاغنى لاحد عنها (فسبح باسم ربك العظيم) لما ذكر الله ما يدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويحوز ان يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك أي برى الله ونزهه عما يقول المنكرون في صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح بذات ربك العظيم وقوله عز وجل (فلا أقسم) قال أكثر المفسرين معنى فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على أصلها

حذفه وإثباته على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة معن عن ذكرها ثانية ولان هذه اللام تفيد معنى التأكيد لا محالة فادخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على ان أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وان الوعيد يفقده أشد وأصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعاً للمطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (أفرأيت النار التي تورون) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفجل والطرقة (أأتم أنشأتم شجرتها) التي منها الزناد (أم نحن المنشؤون) الخالقون لها

ابتداء (نحن جعلناها) أي النار (ندكرة) نذ كبرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة اليها وفي البلوى لشكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما وعدوا به (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للمسافرين في القواء وهي القفر والذين خلت بطونهم أو مزادهم من الطعام من قولهم أقوت الدار اذا خلت من ساكنيها بدأ بذكر خلق الانسان فقال أفرأيت ما تمنون لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم عابه قوامه وهو الحب فقال أفرأيت ما تحزنون ثم عابه بجن به ويشرب عليه وهو الماء ثم عابه بخبز به وهو النار فصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد مادام حيا (فسبح باسم ربك) فنزهه ربك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل أو أراد بالاسم الذكرا أي فسبح بذكر ربك (العظيم) صفة للمضاف أو للمضاف اليه وقيل قل سبحانه ربني العظيم وجاء مر فوعا أنه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوه في ركوعكم (فلا أقسم) أي فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقريء فلا قسم ومعناه فلا أنا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي أنا أقسم ثم حذف المبتدأ ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لان حقيقتها أن

وفي معناها وجهان أحدهما أنها ترجع الى ما تقدم ومعناها النهي وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا وما ذكرته  
من النعم والحجج الوجه الثاني أن لارد لما قاله الكفار في القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس  
الامر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال أقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل إن لاهنا معناها  
النفي فهو كقول القائل لا تسأل عما جرى وهو ير بد تعظيم الامر لا النهي عن السؤال (بمواقع النجوم)  
قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فإنه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقبل أراد مغارب  
النجوم ومساقطها وقيل أراد منازلها وقيل انكدارها وانتشارها يوم القيامة وقيل مواقعها في اتباع  
الشياطين عند الرجم (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) قيل هذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن  
والمعنى أن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمتها لا تتفتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون أي  
فاعلموا عظمتها وقيل إنه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فاقسم بمواقع النجوم (إنه لقرآن كريم)  
أي إن الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم أي عز يزكمركم لأنه كلام الله تعالى  
ووجهه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكرم الذي من شأنه أن يعطى الكثير وسمى القرآن كرمًا لأنه  
يفيد الدلائل التي تؤدى الى الحق في الدين وقيل الكرم اسم جامع لما يحمدهم والقرآن كرم لما يحمدهم من  
الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقية يستدل بهو يأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتاج به والاديب  
يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل سمي كرمًا لأن كل أحد يناله ويحفظه من  
كبير وصغير وذكي وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل إن الكلام إذا كرم رار اسما السامعون  
ويهون في الاعين وتعلمه الآذان والقرآن عز يزكمركم لا يهون بكثرة التلاوة ولا يحتاج بكثرة الترداد ولا يمله  
السامعون ولا يشغل على الاستسنة بل هو غض طرى يبكي أبد الدهر كذلك (في كتاب مكنون) أي  
مصون مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ من الشيطان من أن يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب  
المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحرير والقول الاول أصح (لا يمسه) أي ذلك  
الكتاب المكنون (الاطهرون) وهم الملائكة الموصفون بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث  
يروي هذا القول عن ابن عباس وأنس وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم  
السفرة الكرام البررة على القول الثاني من أن المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه الا المطهرون أي  
من الشرك وكان ابن عباس ينهى أن تمسك اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يحد طعمه  
ونفعه الامن آمن به وقيل معناه لا يقرؤه الا الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث  
والجنابات وظاهر الآية نفي ومعناها نهى قالوا لا يجوز للجنب وللأحاض وللألمحدث حمل المصحف ولا  
مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي وأكثر الفقهاء يدل  
عليه ما روى مالك في الموطأ عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن حزم وأن لا تمس القرآن الا طاهرا أخرجه مالك مرسلا وقد جاء  
موصولا عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى  
أهل اليمن بهذا الصحيح فيه الارسال وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لا يمسه القرآن الا طاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآن على قرب الجوار والاسراع كما روى أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو وأراد به المصحف وقال الحكم وحجاد  
وأبو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه فان قلت إذا كان الاصح أن المراد من الكتاب  
هو اللوح المحفوظ وإن المراد من لا يمسه الا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد نفي الحدث لقال لا يمسه الا  
المطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعي لا يصح للمحدث مس المصحف قلت من قال إن الشافعي

تقرن بها النون المؤكدة  
(مواقع النجوم) بمساقطها  
ومغاربها بموقع حمزة  
وعلى ولعل لله تعالى في  
آخر الليل إذا انحطت  
النجوم الى المغرب أفعالا  
مخصوصة عظيمة أو  
للملائكة عبادات موصوفة  
أولانه وقت قيام المهجدين  
ونزول الرحمة والرضوان  
عليهم فلذلك أقسم  
بمواقعها واستعظم ذلك  
بقوله (وإنه لقسم لو تعلمون  
عظيم) وهو اعتراض في  
اعتراض لأنه اعتراض به  
بين القسم والمقسم عليه  
وهو قوله (إنه لقرآن  
كريم) حسن مرضى أو  
نفاع جم المنافع أو كريم  
على الله واعتراض بلو  
تعلمون بين الموصوف  
وصفته (في كتاب) أي  
اللوحة المحفوظ (مكنون)  
مصون عن أن يأتيه  
الباطل أو من غير المقرين  
الملائكة لا يطلع عليه من  
سواهم (لا يمسه الا  
المطهرون) من جميع  
الادناس أدناس للذنوب  
وغيرها ان جعلت الجملة  
صفة لكتاب مكنون  
وهو اللوح وان جعلتها  
صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي  
أن يمسه الامن هو على  
الطهارة من الناس والمراد

أخذه من صريح الآية حمله على التفسير الثاني وهو القول بان المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه  
أخذه من طريق الاستنباط قال المس بطهره صفة الله على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق  
بمباشرة المصحف الكريم والصحيح انه أخذه من السنة ودليله ما تقدم من الاحاديث والله أعلم ﴿ قوله  
تعالى (تنزيل من رب العالمين) صفة للقرآن أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على  
اتساع اللغة يقال للقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال ان القرآن شعراً وسحراً وكهانة فقال الله  
تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين ﴿ قوله عز وجل (أفبهذا الحديث) يعني القرآن (أتم) أي أهل  
مكة (مدهنون) قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمدهن الكذاب والمنافق والادهان  
الجرى في الباطل على خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالكذب  
والكفر (وتجعلون رزقكم) أي حظكم وأصيبكم من القرآن (أنكم تكذبون) قال الحسن في هذه الآية  
خسر عبد لا يكون حظ من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم أنكم  
تكذبون أي بنعمة الله عليكم وهذا في الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوء  
كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم تجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقكم التكذيب  
من نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القرآن والمعنى تجعلون بدل  
الشكر التكذيب (ق) عن يزيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح  
بالحديبية في أثر ساء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدررون ماذا قال ربكم قالوا الله  
ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي  
كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب رواه مسلم وفيه عن  
ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه وزاد فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم الى قوله  
وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
ما أنزل الله من السماء من بركة الا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيب فيقولون لكوكب  
كذا وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا  
وفي رواية بكوكب كذا وكذا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله في أثر ساء أي أثر مطر والنوء  
الكوكب يقال ناء النجم بنوء اذا سقط وغاب وقيل ناء اذا نهض وطلع واختلف العلماء في معنى الحديث  
وكفر من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على قولين أحدهما انه كفر بالله تعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن ملة  
الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب فاعل مدبر منشي للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فن  
اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول هو الذي ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعي وهو ظاهر الحديث  
وعلى هذا القول مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد ان إيجاد المطر من الله ورحمته وأن النوء مبيقات له ومراده  
انما مطرنا في وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم  
يقي من نوء الثر يا فقال ان العلماء يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع  
حتى غيب الناس واما أراد عمر كم بقي من الوقت الذي جرت العادة انه اذا تم أي الله بالمطر فهذا جائز لا كفر  
فيه واختلفوا في كراهية هذا والظاهر انها كراهية تنزيه لا تم فيها ولا تحريم وسبب هذه الكراهية انها كلمة  
مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولا نهان شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثاني في  
تأويل أصل الحديث أن المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيب الى الكواكب وهذا  
جاء فيمن لا يعتقد تدبير الكواكب ويؤيد هذا التأويل حديث أبي هريرة ما أنزل الله من السماء من بركة

مس المكتوب منه (تنزيل)  
صفحة رابعة للقرآن أي منزل  
(من رب العالمين) أو  
وصف بالصدر لانه نزل  
نحو ما من بين سائر كتب  
الله فكأنه في نفسه تنزيل  
ولذلك جرى مجرى بعض  
أسمائه فقيل جاء في التنزيل  
كذا ونطق به التنزيل أو  
هو تنزيل على حذف المبتدأ  
(أفبهذا الحديث) أي  
القرآن (أتم مدهنون)  
متهاونون به كمن يدهن في  
بعض الامر أي يلين جانبه  
ولا يتصلب فيه متهاونابه  
(وتجعلون رزقكم أنكم  
تكذبون) أي تجعلون  
شكر رزقكم التكذيب  
موضع الشكر أي وضعتم  
التكذيب موضع الشكر وفي  
قراءة على رضي الله عنه وهي  
قراءة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وتجعلون شكركم  
أنكم تكذبون أي تجعلون  
شكركم لنعمة القرآن  
أنكم تكذبون به وقيل  
نزلت في الانواء ونسبتهم  
السيقا اليها والرزق المطر  
أي وتجعلون شكر  
ما رزقكم الله من الغيث  
أنكم تكذبون بكونه من  
الله حيث تفسبونه الى  
النجوم

(فلولا اذا بلغت) النفس أى الروح عند الموت (الخلقوم) عر الطعام والشراب (وأنتم حينئذ تنظرون) الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة (ونحن أقرب اليه) الى المحتضر (منكم ولكن لا تبصرون) لا تعقلون ولا تعلمون (فلولا ان كنتم غير مدينين) مربوط بين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم (ترجعونها) تردون النفس وهى الروح الى الجسد بعد بلوغ الخلقوم (ان كنتم صادقين) أنكم غير مربوطين فلولوا فى الآيتين للتحضير يستدعى فعلا وذا قوله ترجعونها واكتفى بذلك مرة وترتيب الآية فلولوا ترجعونها اذا بلغت الخلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولوا الثانية مكررة لئلا كيد ونحن أقرب اليه منكم يا أهل الميت بقدر تناوعه نأوبملائكة الموت والمعنى انكم فى وجودكم آيات الله فى كل شئ ان أنزل عليكم كتابا محجزا قلم سحر واقترأه وان أرسل اليكم (٢٤١) رسولا صادقا قلم سحر كذاب وان رزقكم

مطرا يحجىكم به قلم صدق  
نوء كذا على مذهب يودى  
الى الاهمال والتعطيل  
فالك لا ترجعون الروح  
الى البدن بعد بلوغ الخلقوم  
ان لم يكن ثمة قابض وكنتم  
صادقين فى تعطيلكم  
وكفركم بالمحسى الميت  
المبدى المعيد (فاما ان كان)  
المتوفى (من المقربين)  
من السابقين من الازواج  
الثلاثة المذكورة فى أول  
السورة (فروح) فله  
استراحة (وريحان) ورزق  
(وجنة نعيم) وأمان  
كان من أصحاب اليمين  
فسلام لك من أصحاب  
اليمين) أى فسلام لك  
يا صاحب اليمين من اخوانك  
أصحاب اليمين أى يسلمون  
عليك كقوله الا قبيلا  
سلاما (وأمان) كان  
من المكذبين الضالين  
هم الصنف الثالث من  
الازواج الثلاثة وهم الذين  
قيل لهم فى هذه السورة

الاصبح فر يق من الناس بها كافر ين فقوله بهما يدل على أنه كفر بالنعمة والله أعلم قوله تعالى (فلولا) أى  
فهلا (اذا بلغت الخلقوم) أى النفس أو الروح الى الخلقوم عند الموت (وأنتم) يعنى يا أهل الميت (حينئذ  
تنظرون) يعنى الى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون الى امرى وساطنى لا يمكنكم الدفع ولا تأمكون  
شياً (ونحن أقرب اليه منكم) أى بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلمنا الذين يقبضون روحه أقرب  
الى الميت منكم (ولكن لا تبصرون) أى الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون  
أى لا تعلمون ذلك (فلولا ان كنتم غير مدينين) أى عما لو كبن وقيل محاسبين ومجزين (ترجعونها ان كنتم  
صادقين) أى تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الخلقوم فاجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الخلقوم  
وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه  
لا بعث ولا حساب ولا اله مجازى فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الخلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا  
أن الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخائى عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى (فاما  
ان كان من المقربين) يعنى السابقين (فروح) أى فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة  
(وريحان) أى وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذى يشم قال أبو العالية لا يفارق أحدا من  
المقربين الدنيا حتى يوثق بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه (وجنة نعيم) أى وله الجنة نعيم  
يفضى اليها فى الآخرة قال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان رضوان دار القرار (وأمان  
كان) يعنى المتوفى (من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى فسلامه لك يا محمد منهم والمعنى فلا  
تهم لهم فانهم سلموا من عذاب الله أو انك ترى فيهم من ماتحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن  
سيئاتهم ويقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك أنهم من أصحاب اليمين أو يقال اصحاب اليمين مسلم لك انك  
من أصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من أصحاب اليمين (وأمان كان من المكذبين) أى بالبعث (الضالين)  
أى عن الهدى وهم أصحاب الشمال (فتر من حميم) أى الذى يعد لهم حميم جهنم (وتصلية بحجم) أى وادخال  
نار عظيمة (ان هذا) يعنى ما ذكر من قصة المحتضرين (طوحق اليقين) أى لاشك فيه وقيل ان هذا  
الذى قصصنا عليك فى هذه السورة من الاقاصيص وما أعد الله لاوليائه من النعيم وما أعد لاعدائه من  
العذاب الاليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لاشك فيه (فسبح باسم ربك العظيم) أى فتره ربك  
العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذلك العظيم وبامرءه عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت  
فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك  
الاعلى قال اجعلوا فى سجودكم أخرجه أبو داود عن حذيفة أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان

(٣١ - خازن) - رابع ) ثم انكم أهما الضالون المكذبون (فتر من حميم وتصلية بحجم) أى ادخال

فيها وفى هذه الآيات إشارة الى أن الكفر كله ملة واحدة وان أصحاب الكبار من أصحاب اليمين لانهم غير مكذبين (ان هذا) الذى أنزل فى هذه  
السورة (طوحق اليقين) أى الحق الثابت من اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) روى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على ابن  
مسعود رضى الله عنه فى مرض موته فقال له ما تشتهي فقال ذنوبى فقال ما تشتهي قال رحمة ربى قال أفلا ندعو الطبيب قال الطبيب  
أمضى فقال ألا نأمر بعطائك قال لا حاجة لى فيه قال تدفعه الى بناتك قال لا حاجة لهن فيه قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فأتى سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وليس فى هذه السور الثلاث ذكر الله اقربت الرحمن

الواقعة والله أعلم ﴿سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم سبحانه﴾ جاء في بعض الفوائد سبع بلفظ الماضي وفي بعضها بلفظ المضارع وفي (٢٤٢) نبي اسرائيل بلفظ المصدر وفي الاعلى بلفظ الامر اسديعيا بالهذه السكامة من جميع جهاتها

وهي أربع المصدر والماضي والمضارع والامر وهذا الفعل قد عدى باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله تسبحوه وأصله التعدى بنفسه لأن معنى سبخته بعدته من السوء منقول من سبغ إذا ذهب وبعد فاللام إما أن تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له وإما أن يراد يسبح لله اكتسب التسبيح لاجل الله ولو جهه خالصا (مافي السموات والارض) ما يتأني منه التسبيح ويصح (وهو العزيز) المنتقم من مكاف لم يسبح عنادا (الحكيم) في مجازاة من سبغ له انقيادا (له ملك السموات والارض) لا لغيره وموضع يحى رفع أى هو يحيى الموتى (ويميت) الاحياء أو نصب أى له ملك السموات والارض محييا ويميتا (وهو على كل شئ قدير هو الاول) هو القديم الذى كان قبل كل شئ (والآخر) الذى يبقى بعد هلاك كل شئ (والظاهر) بالدلالة الدالة عليه (والباطن) لسكونه غير مرئيا والوار

يقول في ركوعه سبحانه ربي العظيم وفي سجوده سبحانه ربي الاعلى وما أتى على آية رحمة الاوقف وسأل وما أتى على آية عذاب الاوقف وتعوداً أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحانه الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة (م) عن أبى ذر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بأحب الكلام الى الله تعالى قال سبحانه الله وبحمده (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتمان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم هذا الحديث أخر حديث فى صحيح البخارى والله أعلم ﴿تفسير سورة الحديد وهي مدينة وتسع وعشرون آية وخمسائة وأربع

وأربعون كلمة والفان وأربع مائة وستة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (سبح لله ما فى السموات والارض)﴾ يعنى كل ذى روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عز وجل عن كل سوء وعمما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجناد اختلقوا فيه فقيل تسبيحه دلالة على صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لانفقون تسبيحهم أى قوطهم والحق أن التسبيح هو القول الذى لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل فى تسبيحه وجهان أحدهما أنها تادل على تعظيمه وتنزيهه والثانى أن جميع الموجودات بأسرها منقادة له تصرف فيها كيف يشاء فان جلنا التسبيح للذكو ر فى الآية على القول كان المراد بقوله ما فى السموات والارض من فى السموات وهم الملائكة ومسبحى الارض وهم المؤمنون العارفون بالله وان جلنا التسبيح على التسبيح المعنوى فجميع أجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الارضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست أسماءه وصفانه منقادة له تصرف فيها كيف يشاء فان قلت قد جاء فى بعض فوائده السور سبع بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع فامعناه قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشياء مسبحا لله أبدأ غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة أبدأ فى الماضي وستكون مسبحة أبدأ فى المستقبل (وهو العزيز) أى الغالب الكامل القدرة الذى لا ينازعه شئ (الحكيم) أى الذى جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب (له ملك السموات والارض) أى انه الغنى عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه (يحيى ويميت) أى يحيى الاموات للبعث ويميت الاحياء فى الدنيا (وهو على كل شئ قدير) ﴿قوله عز وجل (هو الاول والآخر والظاهر والباطن)﴾ يعنى هو الاول قبل كل شئ بلا ابتداء كان هو ولم يكن شئ موجودا والآخر بعد فناء كل أحد بلا انتهاء فى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالمى على كل شئ والباطن العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول بوجوده ليس قبله شئ والآخر ليس بعده شئ وقيل هو الاول بوجوده فى الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده فى الابد وبعد الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذى احتجب عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول الذى سبق وجوده كل موجود والآخر الذى يبقى بعد كل مفقود وقال الامام أبو بكر بن الباقلانى معناه أنه تعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التى كان عليها فى الازل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب عساوئهم وقدرهم وحواسهم وتفرق أجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا المذهبهم فى فناء الاجسام وذهابها بالكلية قالوا معناه أنه

الباقي

الاولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين

الاوليين ومجموع الصفتين الاخرى فهو مستمر الوجود فى جميع الاوقات للماضية والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن وقيل الظاهر العالمى على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذى يطن كل شئ أى علم باطنه

(وهو بكل شيء عليم هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) عن الحسن (٢٤٣) من أيام الدنيا ولو أراد أن يجعلها في طرفه

عين لفعل ولكن جعل  
الستة أصلا ليكون عليها  
المدار (ثم استوى) استولى  
(على العرش يعلم ما يلج في  
الارض) ما يدخل في  
الارض من البذر والقطر  
والكنوز والموتى (وما  
يخرج منها) من النبات  
وغيره (وما ينزل من السماء)  
من الملائكة والامطار  
(وما يعرج فيها) من  
الاعمال والدعوات (وهو  
معكم أينما كنتم) بالعلم  
والقدرة عموما وبالفضل  
والرحمة خصوصا (والله بما  
تعملون بصير) فيجازيكم  
على حسب أعمالكم (له  
ملك السموات والارض  
والى الله ترجع الامور يولج  
الليل في النهار) يدخل  
الليل في النهار بان ينقص  
من الليل ويزيد في النهار  
(ويولج النهار في الليل وهو  
عليم بذات الصدور آمنوا  
بالله ورسوله وأنفقوا) يحتمل  
الزكاة والانفاق في سبيل  
الله (مما جعلكم مستخلفين  
فيه) يعني ان الاموال التي  
في أيديكم انما هي أموال  
الله يخلقها وانشأه لها وانما  
مولكم اياها للاستمتاع  
بها وجعلكم خلفاء في  
التصرف فيها فليست هي  
بأموالكم في الحقيقة وما  
أتم فيها الا بمنزلة الوكلاء

الباقى بعد فناء خلقه ومذهب أهل الحق يعني أهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال آخر من بقي من بني فلان فلان يراد حياته ولا يراد فناء أجسام موتاه وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلاني وقيل هو الاول السابق للاشياء والآخر الباقي بعد فناء الاحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهد الدلالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن ابصار الخلق فلا تستوى عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والآخ الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيديه والآخ بوجوده اذ عرفك طريق التوبة عما جنبت والظاهر بتفويقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذ اعصبت بستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخ بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعب عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شيء عليم) ه (م) عن سهيل بن أبي صالح قال كان أبو صالح يأمرنا اذا أراد أحدنا ان ينام أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم بنا ورب كل شيء فآلى الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته وفي رواية من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي هريرة أيضا قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه اذا أتى عليهم سحب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذه العنان هذه روابيا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرون ولا يدعون ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم وبينها خمسة اثة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال سمان بعد ما بينهما خمسة اثة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماء بين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماء ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذي تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسة اثة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسة اثة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخ والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال الترمذي قال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث انما أراد لبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روابيا الارض الحوامل والرقيع اسم للسماء وقيل هو اسم لسماء الدنيا قوله عز وجل (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) تقدم تفسيره (وهو معكم أينما كنتم) أي بالعلم والقدرة وليس ينفك أحد من تعلق علم الله تعالى وقدرته به أينما كان من أرض أو سماء بر أو بحرا وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله تعالى (والله بما تعملون بصير) يدل على صحة القول الاول (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور) تقدم تفسيره قوله تعالى (آمنوا بالله ورسوله) لما ذكر أنواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة فشرع يخاطب كفار قريش ويأمرهم بالايمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والتفقه في جميع وجوه البر وهو قوله تعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعني المال الذي كان بيد غيركم فاهلكهم والنواب فانفقوا منها في حقوق الله تعالى وايمون عليكم الاتفاق منها كما يهون على الرجل الاتفاق من مال غيره اذا أذن له فيه أو جعلكم

مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم بتورثه أياكم وسينقله منكم إلى من بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به (فالذين آمنوا) بالله ورسوله (منكم) وأنفقوا لهم أجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله) هو حال من معنى الفعل في مالكم كما تقول مالك قائم بمعنى ما تصنع قائم أي ومالك كافر بن بالله والواو في (والرسول يدعوكم) وأحوال فهم أحوال من امتد اختلان والمعنى وأي عندركم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم (لتؤمنوا) بكم وقد أخذتم ميثاقكم) وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بقوله ألتستبر بكم أو بمارك فيكم من العقول ومكنكم من النظر في الأدلة فإذا لم يبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبية الرسول فالكم لا تؤمنون (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا الموجب لا من يدعيه أخذتم ميثاقكم أبو عمرو (هو الذي ينزل (٢٤٤) على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعني القرآن (ليخرجكم) الله

تعالى أو محمد بدعونه (من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (وان الله بكم لرؤف) بالمد والهمزة مجازي وشامي وحفص (رحيم) الرأفة أشد الرحمة (ومالكم ألا تنفقوا) في ان لا تنفقوا (في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) برث كل شيء فيها لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني وأي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أي فتح مكة قبل عزا الاسلام وفوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا ومن أنفق من بعد الفتح خلف لان قوله من الذين أنفقوا

وأعطاكم إياه فكنتم في ذلك المال خلفاء عن من مضى (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بكم) يعني وأي عندركم في ترك الإيمان بالله والرسول يدعوكم إليه فينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج (وقد أخذتم ميثاقكم) أي أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بان الله بكم لاله لكم سواه وقيل أخذتم ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الأدلة والبراهين والحجج التي تدعو إلى متابعة الرسول (ان كنتم مؤمنين) أي يوما ما فالآن أخرى الاوقات ان تؤمنوا القيام بالحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (هو الذي ينزل على عبده) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعني القرآن (ليخرجكم) يعني الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة (من الظلمات إلى النور) أي من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان (وان الله بكم لرؤف رحيم) قوله تعالى (ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يقول أي شيء لكم في ترك الانفاق فيما يقر بكم من الله تعالى وانتم ميتون تاركون أموالكم لعبركم فالاولى ان تنفقوها ثم فيما يقر بكم إلى الله تعالى وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوى في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من أنفق ماله وقاتل بعد الفتح (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) قال الكاظمي ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق ماله في سبيل الله وذبح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر اسلامه سبع منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وروى البغوي بأسناد الثعلبي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد دخلها في صدره بخلال فبزل جبريل فقال مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد دخلها في صدره بخلال فقال أنفق ماله على قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في ففرك هذا أم ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ان الله يقرئك السلام ويقول لك أراض أنت في ففرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أ أسخط على ربي اني على ربي راض اني على ربي راض (وكلا وعد الله الحسنى) يعني الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها (وان الله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) أي صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بما نفسه وسمى هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعده الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى تجمع فيه أو صاف عشرة وهي أن يكون المال من الحلال وأن يكون من أجود

من بعد يدل عليه (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال المال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لرا أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدأ حدهم ولا نصيفه (أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا) أي كل واحد من الفريقين (وعدا لله الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وكلا مفعول أول لوعدا والحسنى مفعول ثان وكل شامي أي وكل وعده الله الحسنى نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه (وان الله بما تعملون خبير) فيجاز بكم على قدر أعمالكم (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) بطيب نفسه والمراد الانفاق في سبيله واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء

(فيضاعفه له) أي يعطيه أجره على انفاقه أضعافاً مضاعفة من فضله (وله أجر كريم) أي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه  
فيضاعفه مكي فيضاعفه شامئ فيضاعفه عاصم وسهل فيضاعفه غيرهم فالنصب على جواب الاستفهام والرابع على فهو يضاعفه أو عطف على  
يقرض (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب باضمار اذ كر تعظيماً لذلك اليوم (يسمى) بمعنى (نورهم) نور  
التوحيد والطاعات والامال (بين أيديهم وبيمانهم) لان السعداء يؤتون (٢٤٥) صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن

الاشقياء يؤنونها من شأنهم  
وراء ظهورهم فيجعل  
النور في الجهتين شعاراهم  
وأية لانهم هم الذين بحسناتهم  
سعدوا وبصحائفهم البيض  
أفلحوا فاذا ذهب بهم الى  
الجنة ومر على الصراط  
يسعون يسمى بسبعهم ذلك  
النور وتقول لهم الملائكة  
(بشراكم اليوم جنات)  
أي دخول جنات لان  
البشارة تقع بالاحداث دون  
الجنت (تجري من تحتها  
الانهار خالدون فيها ذلك  
الفوز العظيم يوم يقول  
هو بدل من يوم ترى  
(المنافقون والمنافقات  
للذين آمنوا انظرونا) أي  
انتظرونا لانه يسرع بهم  
الى الجنة كالبروق الخاطفة  
انظرونا حزمة من النظرة  
وهي الامهال جعل اتقادهم  
في المضى الى أن يلحقوا  
بهم انظاراهم (تقتبس من  
نوركم) نصب معه وذلك  
أن يلحقوا بهم فيستنبوا  
به (قيل ارجعوا وراءكم

المال وان تصدق به وانت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما أمكنك  
وأن لا تتبعها بالبن والاذى وأن تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس وان تستحقر ما تعطى وتصدق به  
وان كان كثيراً وأن يكون من أحب أموالك اليك وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة  
أوصاف اذا اجتمعت في الصدقة كانت قراضحسناً (فيضاعفه له) يعني يعطيه أجره على انفاقه مضاعفاً  
(وله أجر كريم) يعني وذلك الاجر كريم في نفسه قوله عز وجل (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) يعني  
على الصراط (يسمى نورهم بين أيديهم وبيمانهم) أي عن أيمنهم وقيل أراد جميع الجوانب فعبّر بالبعض  
عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين  
من يضيء نوره من المدينة الى عدن أو بين صنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا  
موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم  
من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نوراً من نور على إبهامه فيطفاً مرة ويقدم مرة وقيل في معنى الآية يسمي  
نورهم بين أيديهم أي يعطون كتبهم بيمينهم وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها  
الانهار خالدون فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) أي انتظرونا  
(تقتبس من نوركم) أي نستضيء من نوركم قيل تعشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطى الله المؤمنين  
نوراً على قدر أعمالهم يشون به على الصراط ويعطى المنافقين أيضاً نوراً خديعة لهم فيبناها بمشون اذ بعث  
الله سبحانه وطلما فاطفات نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى  
بين أيديهم وبيمانهم يقولون ربنا آتم لنا نورنا مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل  
يستضيئون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون بقوا في الظلمة وقالوا للمؤمنين انظرونا  
تقتبس من نوركم (قيل ارجعوا وراءكم) قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا  
وراءكم من حيث جئتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا فيها أعمالاً يجعلها الله لكم نوراً وقيل معناه لا نور لكم  
عندنا فارجعوا وراءكم (فالتمسوا) أي اطلبوا لانفسكم هناك (نورا) أي لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا  
فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيئاً فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين فذلك قوله  
تعالى (فضرب بينهم) أي المؤمنين والمنافقين (بسور) وهو حائط بين الجنة والنار (له) أي لذلك السور  
(باب باطنه فيه الرحمة) أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة (وظاهره من قبله العذاب) أي من قبل  
ذلك الظاهر العذاب وهو النار وروى عن عبد الله بن عمر قال ان السور الذي ذكر في القرآن هو سور بيت  
المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادى جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في  
الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية  
(ينادونهم) يعني ينادى المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين يحجز بينهم وبقوا في الظلمة (لم نكن

فالتمسوا نورا) طرد لهم وتمك بهم أي تقول لهم الملائكة أو المؤمنون ارجعوا الى الموقف الى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك  
فمن تم يقتبس أو ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان (فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط حائل  
بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف (له) لذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور والباب وهو الشق  
الذي يلي الجنة (فيه الرحمة) أي النور والجنة (وظاهره) ما ظهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) أي الظلمة أو النار  
(ينادونهم) أي ينادى المنافقون المؤمنين (لم نكن



معكم) يريدون مرافقتهم في الظاهر (قالوا) أي المزمعون (بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتر بصتم) بالمؤمنين السواثر (واربتم) وشككم في التوحيد (وغرتمكم الاماني) طول الآمال والطمع في امتداد الاعمار (حتى جاء أمر الله) أي الموت (وغرتمكم بالله الغرور) وغرتمكم الشيطان بان الله عفوكم لم لا يعذبكم أو بأنه لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يؤخذ) وبالتشاءم (منكم) أي المنافقون (فدية) ما يفترى به (ولا) (٢٤٦) من الذين كفروا وما أوأم النار) مرجعكم (هي مولاكم) هي أولى بكم وحقيقة

معكم) أي في الدنيا صلى ونصوم (قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) أي أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكما هي فتنه (وتر بصتم) أي بالايان والتوبة وقيل تر بصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقتلتم يوشك أن يموت فنتسرح منه (واربتم) أي شككم في نبوته وفيما وعدكم به (وغرتمكم الاماني) أي الاباطيل وذلك ما كنتم تمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء أمر الله) يعني الموت وقيل هو القاؤه في النار وهو قوله تعالى (وغرتمكم بالله الغرور) يعني الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قد فهم الله في النار (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) أي عوض و بدل بان تقدوا أنفسكم من العذاب وقيل معناه لا يقبل منكم ايمان ولا توبة (ولامن الذين كفروا) يعني المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين وان كان المنافق كافر في الحقيقة لان المنافق أبطن الكفر والظاهر الكفر فصار غير المنافق حسن عطفه على المنافق (ما أوأم النار) اي مصيركم (هي مولاكم) أي وليكم وقيل هي أولى بكم لما أسفلمت من الذنوب والمعنى هي التي تلي عليكم لانها ملكت أمركم وأسأتم اليها فهي أولى بكم من كل شيء وقيل معنى الآية لا مولى لكم ولا ناصر لكم لان النار مولاة فلا مولى له (و بشس المصير) قوله تعالى (الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) قيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم قالوا لسلامان الفارسي ذات يوم حدثنا عن التوراة فان فيها المجائب فنزل نحن نقص عليك أحسن القصص فاخبرهم ان القرآن أحسن من غيره فكفوا عن سؤاله ماشاء الله ثم عادوا فسأله مثل ذلك فنزل الله نزل أحسن الحديث الآية فكفوا عن سؤاله ماشاء الله ثم عادوا فسأله فزلت هذه الآية فعلى هذا القول يكون تأويل قوله الم يأن للذين آمنوا يعني في العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت في المؤمنين وذلك انهم لما قدموا المدينة أصابوا من لبن العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فوعتبا ونزل في ذلك الم يأن للذين آمنوا الآية قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية الا أربع سنين أخرجه قوم من أهل الجمامة فبكوا بكاء شديدا فنظروا اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) فقلبت قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق بالتخفيف نافع وحقق الباقون نزل وما يعني الذي والمراد بالذكر وما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) القراءة بالياء عطف على تخشع و بالتاء وورش على الالتفات ويجوز أن يكون نهيهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان ونحو ذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهورهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحد ثوا ما أحد ثوا من التحريف وغيره (فطال عليهم الامد) الاجل أو الزمان (فقست قلوبهم) باتباع الشهوات (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين أي وقيل منهم مؤمنون (اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها

مولاكم مجراكم أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو منتهى الكرم أي مكان لقول القائل انه لكرم (و بشس المصير) النار (الم يأن) من أنى الامر ياتي اذا جاء اناه أي وقته وقيل كانوا مجدين بركة فاما هاجر وأصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه ففترت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن أبي بكر رضي الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل الجمامة فبكوا بكاء شديدا فنظروا اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) فقلبت قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق بالتخفيف نافع وحقق الباقون نزل وما يعني الذي والمراد بالذكر وما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من

السماء (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) القراءة بالياء عطف على تخشع و بالتاء وورش على الالتفات ويجوز أن يكون نهيهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان ونحو ذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهورهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحد ثوا ما أحد ثوا من التحريف وغيره (فطال عليهم الامد) الاجل أو الزمان (فقست قلوبهم) باتباع الشهوات (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين أي وقيل منهم مؤمنون (اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها

قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) قيل هذا تمثيل لاثرائه كرم في القلوب وأنه يحجبها كما يحجب الغيث الأرض (ان المصدقين والمصدقات) بتشديد الدال وحده مكى وأبو بكر وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين الباقون بتشديد الصاد والدال وهو اسم فاعل من تصدق فادغمت التاء في الصاد وقرى على الاصل (وأقرضوا الله قرضاً حسناً) هو عطف على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو اصدقوا كأنه قيل ان الذين اصدقوا وأقرضوا القرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة (يضاعف لهم) يضعف مكى وشامى (ولهم أجر كريم) أى الجنة (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) يريدان المؤمنين بالله ورسوله عند الله (٢٤٧) بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى

التصدق واستشهدوا في سبيل الله (لهم أجرهم ونورهم) أى مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ويجوز أن يكون والشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم اعلموا انما الحياة الدنيا لعب) كالعاب الصبيان (وطو) كالموتى الفتيان (وزينة) كزينة النسوان (وتفاخر بينكم) كتفاخر الاقران (وتكاثروا) كتكاثروا الدهقان (في الاموال والاولاد) أى مباحة بهمما والتكاثروا عاها الاستكثار (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً بعد خضرته (تم يكون حطاماً) متفتتاً شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها نباتات أنبتة الغيث

يحجب القلوب الميتة بالعلم والحكمة والافقد علم احياء الارض بالمطر مشاهدة (قد بينا لكم الآيات) أى الدلالة على وحدانيتنا وقدرتنا (لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً) أى بالنفقة والصدقة في سبيل الله (يضاعف لهم) أى ذلك القرض (ولهم أجر كريم) أى ثواب حسن وهو الجنة (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون) أى الكثير والصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلاهذه الآية فعلى هذا الآية عامة في كل من آمن بالله ورسوله وقيل ان الآية خاصة في ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا أهل الارض في زمانهم الى الاسلام وهم أبو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وجزرة وناسعهم عمر بن الخطاب أحقهم بالله لم يعرف من صدق نيته (والشهداء عند ربهم) قيل أراد بالشهداء المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلاهذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ الشهداء عند ربهم وهم الانبياء الذين يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله (لهم أجرهم) أى بما عملوا من العمل الصالح (ونورهم) يعنى على الصراط (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) لما ذكر حال المؤمنين أتبعه بحال الكافرين قوله عز وجل (اعلموا انما الحياة الدنيا) أى مدة الحياة في هذه الدار الدنيا وانما أراد من صرف حياته في غير طاعة الله خيانه مذمومة ومن صرف حياته في طاعة الله خيانه خير كالموت وصفها بقوله (لعب) أى باطل لا حاصل له كالعاب الصبيان (وطو) أى فرح ساعة ثم ينقضى عن قريب (وزينة) أى منظر يتزينون به (وتفاخر بينكم) يعنى انكم تشغلون في حياتكم بما يفتخر به بعضهم على بعض (وتكاثروا في الاموال والاولاد) أى مباحة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل له فيبتطل بماله وخدمه وولده على اولياء الله تعالى وأهل طاعته ثم ضرب لطنه الحياة مثلاً فقال تعالى (كمثل غيث أعجب الكفار) أى الزرع انما سمي الزرع كقار السترهم الارض بالبذر (نباته) أى ما نبت بذلك الغيث (تم يهيج) أى يبس (فتراه مصفراً) أى بعد خضرته (تم يكون حطاماً) أى يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى (وفي الآخرة عذاب شديد) أى لمن كانت حياته بهذه الصفة قال أهل المعاني زهد الله بهذه الآية في العمل للدنيا وهذه صفة حياة الكافرين وحياة من يشتغل باللعب والهوى ورغب في العمل للآخرة بقوله (ومغفرة من الله ورضوان) أى لاوليائه وأهل طاعته وقيل عذاب شديد لا عدائه ومغفرة من الله ورضوان لاوليائه لان الآخرة امان عذاب واما الجنة (وما الحياة الدنيا الا امتاع الغرور) أى لمن عمل طاولم يعمل للآخرة فمن اشتغل في الدنيا يطلب الآخرة فهى له بلاغ الى ما هو خير منه وقيل متاع الغرور لمن

فاستوى وقوى وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث الله عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاماً عقوبة لهم على مجرورهم كإفعل بصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع (وفي الآخرة عذاب شديد) للكفار (ومغفرة من الله ورضوان) للمؤمنين يعنى أن الدنيا وما فيها ليست الا من محقرات الامور وهى اللعب والهوى والزينة والتفاخر والتكاثروا وأما الآخرة فهاهى الامور عظام وهو العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف في كمثل غيث في محل رفع على انه خبر بعد خبر أى الحياة الدنيا مثل غيث (وما الحياة الدنيا الا امتاع الغرور) لمن ركن اليها واعتمدها قال ذواتون يامعشر المريردين لا تطلبوا الدنيا وان طلبتموها فلا تحبوا فان الزاد منها والمقيل في غيرها وما يحقر الدنيا وصغراً مراً هو عظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة بقوله (سابقوا) أى بالاعمال الصالحة (الى مغفرة من ربكم) وقيل

سارعوامسارعة السابقين لاقرانهم في المصار (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قال السدي كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ماله عرض وطول فان عرضه أقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله أبسط أو أرفع بالعرض البسطة وهذا ينفي قول من يقول ان الجنة في السماء الرابعة لان التي في احدى السموات لا تكون في عرض السموات والارض (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) وهذا دليل على انها مخلوقة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله يؤتية من يشاء) وهم المؤمنون وفيه دليل على أنه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله (والله (٢٤٨) ذو الفضل العظيم) ثم بين ان كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله (ما أصاب من

مصيبة في الارض) من الجذب وآفات الزرع والثمار وقوله في الارض في موضع الجراى ما أصاب من مصيبة ثابتة في الارض (ولا في أنفسكم) من الامراض والاولاد (الافى) وموت الاولاد (الافى) كتاب) في اللوح وهو في موضع الحال أى المكتوب في اللوح (من قبل أن نبرأها) من قبل أن نحاق الانفس (ان ذلك) أى تقدير ذلك واثباته في كتاب (على الله يسير) وان كان عسير اعلى العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (لكيلا تأسوا) تحزنوا حزنا يطغىكم (على ما فاتكم) من الدنيا وسعتها أو من العافية وصحتها (ولا تفرحوا) فرح الخيال الفخور (بما آتاكم) أعطاكم من الايتاء أبو عمسر وأنا كم أى جاءكم من الايتان يعنى انكم اذا علمتم ان كل شئ مقدر مكتوب

لم يشغل فيها طلب الآخرة ﴿ قوله عز وجل (سابقوا الى مغفرة من ربكم) معناه لتكن مفاخرتكم ومكارمتكم في غير ما تم عليه بل احرصوا على أن تكون مسابقتكم في طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة السابقين في المصار الى مغفرة أى الى ما يوجب المغفرة وهي التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قيل ان السموات السبع والارضين السبع لوجعات صفائح أو أرقب بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعا وقال ابن عباس ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين. ولا شك ان الطول يكون أزيد من العرض فذكر العرض تنبيه على ان طولها أضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعاملونه ويقع في نفوسهم وأفكارهم وأكثرا يقع في نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفه الناس (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) فيه أعظم رجاء وأقوى أمل لانه ذكر ان الجنة أعدت لمن آمن بالله ورسوله ولم يذكر مع الايمان شيئا آخر يدل عليه قوله في سياق الآية (ذلك فضل الله يؤتية من يشاء) فبين انه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله تعالى لا بعمله (والله ذو الفضل العظيم) (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل أحد منكم الجنة عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدي الله بفضل رحمة وقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في تفسير سورة النحل ﴿ قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة في الارض) يعنى عدم المطر وقلة النبات ونقص الثمار (ولا في أنفسكم) يعنى الامراض وفقد الاولاد (الافى كتاب) يعنى في اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أى من قبل أن نحاق الانفس وقال ابن عباس من قبل أن نبرأ المصيبة (ان ذلك على الله يسير) أى اثبات ذلك على كثرته حين على الله عز وجل (لكيلا تأسوا) أى تحزنوا (على ما فاتكم) من الدنيا (ولا تفرحوا) أى لا تنبطروا (بما آتاكم) أى أعطاكم قال عكرمة ليس أحد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف ان قلت ما من أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابر بن والفرح المطلق الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بهما مع الشكر فلا بأس بهما والله أعلم وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم ما لك تأسف على مفقود لا يرده اليك القوت وما لك تفرح بوجود لا يتركه في يدك الموت (والله لا يحب كل مختال) أى متكبر بما أوتى من الدنيا (خفور) أى بذلك الذى أوتى على الناس (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) قيل هذه الآية متعلقة بما قبلها والمعنى والله

عند الله قل أساكم على الثمات وفرحكم على الآف لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يشفاهم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يقونه بحال لم يعظم فرحه عند نيله وليس أحد الا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغى أن يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وانما يذم من الحزن الجزع المنافي للصبر ومن الفرح الاشر المطلق الملهي عن الشكر (والله لا يحب كل مختال خفور) لان من فرح يحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختلال وافتخار به وتكبر على الناس (الذين يبخلون) خير مبتدأ محذوف أو يدل من كل مختال خفور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد ان الذين يفرحون بالفرح المطلق اذا رزقوا بالارحظ من الدنيا فاجدهم له وعزته عندهم بزور ونه عن حقوق الله ويبخلون به (ويأمرون الناس بالبخل)

ويحضون غيرهم على البخل و يرغبونهم في الامساك (ومن يتول) يعرض عن الانفاق أو عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي (فان الله هو الغني) عن جميع الخلوقات فكيف عنه (الحديد) في أفعاله فان الله الغني بترك هو مدني وشامئ (لقد أرسلنا رسلا) يعني أرسلنا الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج والمجزمات (وأرسلنا معهم الكتاب) أي الوحي وقيل الرسل الانبياء والاول أولى لقوله معهم لان الانبياء ينزل عليهم الكتاب (والميزان) روى ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك بزوايه (ليقوم الناس) ليتعاملوا بينهم ايفاء واستيفاء (بالقسط) بالعدل ولا يظلم أحدا (وأرسلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكبتان والميعة والمطرقة والابرة و روى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن أنزلنا الحديد خلقناه (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) في مصالحهم ومعايشهم وصناعتهم (٢٤٩) فإمن صناعة الا والحديد آلة فيها أو

لا يجب الذين يبخلون يريد اذ رزقوا ما لا يحظون من الدنيا فلحجهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه في سبيل الله وجوه الخير ولا يكفيمهم انهم يخولوه حتى يأمر ون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستأنف لاتعلق له بما قبله وانها في صفة اليهود الذين كتبوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلو ابيان نعتة (ومن يتول) قال ابن عباس عن اليمان (فان الله هو الغني) أي عن عباده (الحديد) أي الى أوليائه ﴿ قوله عز وجل (لقد أرسلنا رسلا بالبينات) أي بالدلالات والآيات والحجج (وأرسلنا معهم الكتاب) أي المتضمن للاحكام وشرايع الدين (والميزان) يعني العدل أي وأمرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التي يوزن بها وهو يرجع الى العدل أيضا وهو قوله (ليقوم الناس بالقسط) أي ليتعاملوا بينهم بالعدل (وأرسلنا الحديد) قيل ان الله تعالى أنزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض السندان والمطرقة والكبتين وروى عن ابن عمر رفعه ان الله أنزل أربع ركعات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل أنزلنا هبنا يعني أشنانا وأحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه (فيه بأس شديد) أي قوة شديدة فنه جنة وهي آلة الدفع ومنه سلاح وهي آلة الضرب (ومنافع للناس) أي ومنه ما ينفقون به في مصالحهم كالسكين والفأس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل صنعة فلا غنى لاحد عنه (وليعلم الله) أي وأرسلنا رسلا وأرسلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل ولا يرى الله (من ينصره) أي من ينصر دينه (ورسله بالغيب) أي الذين لم يروا الله ولا الآخرة وإنما يحمده ويثاب من أطاع بالغيب وقال ابن عباس ينصره ولا يبصره (ان الله قوي) في أمره (عزير) في ملكه (ولقد أرسلنا نوحا و ابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) معناه انه تعالى شرف نوحا و ابراهيم بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبي الا من نسلهما (فهم) أي من الذرية (مهتد) وكثير منهم فاسقون ثم قفينا) أي اتبعنا (على آثارهم برسلا) والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى أن انتهت الرسالة الى عيسى ابن مريم وهو قوله تعالى (وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) أي على دينه (رأفة ورحمة) يعني انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض (ورهبانية ابتدعوها) ليس هذا عطف على ما قبله والمعنى انهم جاؤا بها من قبل أنفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديره فروا من الفتنة وجاؤا أنفسهم المشاق في العبادة الزائدة وترك التكاح واستعمال الحسن في

لا يجب الذين يبخلون يريد اذ رزقوا ما لا يحظون من الدنيا فلحجهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه في سبيل الله وجوه الخير ولا يكفيمهم انهم يخولوه حتى يأمر ون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستأنف لاتعلق له بما قبله وانها في صفة اليهود الذين كتبوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلو ابيان نعتة (ومن يتول) قال ابن عباس عن اليمان (فان الله هو الغني) أي عن عباده (الحديد) أي الى أوليائه ﴿ قوله عز وجل (لقد أرسلنا رسلا بالبينات) أي بالدلالات والآيات والحجج (وأرسلنا معهم الكتاب) أي المتضمن للاحكام وشرايع الدين (والميزان) يعني العدل أي وأمرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التي يوزن بها وهو يرجع الى العدل أيضا وهو قوله (ليقوم الناس بالقسط) أي ليتعاملوا بينهم بالعدل (وأرسلنا الحديد) قيل ان الله تعالى أنزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض السندان والمطرقة والكبتين وروى عن ابن عمر رفعه ان الله أنزل أربع ركعات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل أنزلنا هبنا يعني أشنانا وأحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه (فيه بأس شديد) أي قوة شديدة فنه جنة وهي آلة الدفع ومنه سلاح وهي آلة الضرب (ومنافع للناس) أي ومنه ما ينفقون به في مصالحهم كالسكين والفأس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل صنعة فلا غنى لاحد عنه (وليعلم الله) أي وأرسلنا رسلا وأرسلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل ولا يرى الله (من ينصره) أي من ينصر دينه (ورسله بالغيب) أي الذين لم يروا الله ولا الآخرة وإنما يحمده ويثاب من أطاع بالغيب وقال ابن عباس ينصره ولا يبصره (ان الله قوي) في أمره (عزير) في ملكه (ولقد أرسلنا نوحا و ابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) معناه انه تعالى شرف نوحا و ابراهيم بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبي الا من نسلهما (فهم) أي من الذرية (مهتد) وكثير منهم فاسقون ثم قفينا) أي اتبعنا (على آثارهم برسلا) والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى أن انتهت الرسالة الى عيسى ابن مريم وهو قوله تعالى (وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) أي على دينه (رأفة ورحمة) يعني انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض (ورهبانية ابتدعوها) ليس هذا عطف على ما قبله والمعنى انهم جاؤا بها من قبل أنفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديره فروا من الفتنة وجاؤا أنفسهم المشاق في العبادة الزائدة وترك التكاح واستعمال الحسن في

(٣٢ - خازن) - رابع (التساوي والتعادل وهي الميزان ومن المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهيه والآلة الموضوعه للتعامل بالتسوية انما تحض العامة على اتباعها بالسيف الذي هو حجة الله على من جحد وعند نزاع عن صفقة الجماعة اليدوهو الحديد الذي وصف بالأس الشديد (ولقد أرسلنا نوحا و ابراهيم) خصا بالذكري لانهما أبوان للانبياء عليهم السلام (وجعلنا في ذريتهما) أولادهما (النبوة والكتاب) الوحي وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخطا بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فهم) فمن الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكري الارسال والمرسلين (مهتد وكثير منهم فاسقون) هذا تفصيل لحالهم أي ففهم من اهتدى باتباع الرسل ومنهم من فسق أي خرج عن الطاعة والغلبة للفساد (ثم قفينا على آثارهم) أي نوح و ابراهيم ومن مضى من الانبياء (برسلنا و قفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة) مودة ولينا (ورحمة) نطقا على اخوانهم كإقام في صفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رجاء بينهم (ورهبانية ابتدعوها) هي ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وهي الفعل المنسوبة

المطعم والشرب والملبس مع التقليل من ذلك ( ما كتبناها عليهم ) أي ما فرضناها نحن عليهم ( الا ابتغاء رضوان الله ) أي لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ( فإرعوها حق رعايتها ) يعني أنهم لم يرعوا تلك الرهبانية حتى رعايتها بل ضيعوها وضموها إليها التثليل والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملوكهم وأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركوهم أصلي الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله تعالى ( فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ) وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح ( وكثير منهم فاسقون ) وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى صلى الله عليه وسلم وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلفت من كان قبلكم على اثنين وسبعين فرقة تنجم منها ثلاث وهالك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فأخذوهم وقتلواهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم قال صلى الله عليه وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حتى رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن أم عبد هل تدري من أين أخذت بنو إسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم الجبارة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الايمان فقاتلوهم فهزم أهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء فقتلنا ولم يبق أحد يدعوا اليه تعالى فتعالوا للتفرقة في الارض الى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا عيسى به يعنون محمد صلى الله عليه وسلم فآتينا الذين آمنوا منهم أي من الذين ثبتوا عليها أجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أم عبد ادرى ما رهبانية أمي قلت الله ورسوله أعلم قال الطهارة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع وروى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه الصلاة والسلام يدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون بقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لوجعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا يبدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة منهم ابنا اسطوانا ثم ارفعونا فيهم ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشربنا فلان رد عليك وطائفة قالت دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنا نادوا في الفياض ونحترق الآبار ونحترق البقول ولا ترد عليكم ولا نمر عليكم وليس أحد من القبائل الا وله جيم فيهم قال ففعلوا ذلك ففضى أولئك على مناج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان تتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما سباح فلان وتتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها الصالحون فإرعوها حتى رعايتها يعني الآخريين الذين جاؤا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون وهم الذين جاؤا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته أجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصدقهم له وقال يجعل لكم نور ان تشون به القرآن وانبايهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لئلا يعلم أهل الكتاب الذين يشبهون بكم

الى الرهبان وهو الخائف  
 فعلان من وهب كخشيان  
 من خشى واتصاها بفعل  
 مضمهر يفسره الظاهر  
 تقديره وابتدعو رهبانية  
 ابتدعوها أي أخرجوها  
 من عند أنفسهم ونذروها  
 ( ما كتبناها عليهم ) لم  
 نرضها نحن عليهم ( الا  
 ابتغاء رضوان الله ) استثناء  
 منقطع أي ولكنهم  
 ابتدعوها ابتغاء رضوان  
 الله ( فإرعوها حتى  
 رعايتها ) كما يحب على الناظر  
 رعاية نذره لانه عهد مع الله  
 لا يجعل نكته ( فآتينا  
 الذين آمنوا منهم أجرهم )  
 أي أهل الرأفة والرحمة  
 والذين اتبعوا عيسى عليه  
 السلام أو الذين آمنوا  
 بمحمد صلى الله عليه وسلم  
 ( وكثير منهم فاسقون )  
 الكافرون

أن لا يقدر على شيء من فضل الله الآية أخرجه النسائي موقوفا على ابن عباس وقال قوم انتزع الكلام  
 عند قوله ورجة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك أنهم تركوا الحق فاكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا  
 الوضوء والغسل من الجنابة والختان فأبرعوهما يعني الملة والطاعة حتى رعيتها كناية عن غير مذكور  
 فأبينا الذين آمنوا منهم أجرهم وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا  
 وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله ابتغاء رضوان الله على هذا التأويل ما كتبناها عليهم لكن ابتغاء  
 رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به دون التهرب لانه لم يأمر به في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا  
 اتقوا الله) الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا أيها الذين آمنوا موسى وعيسى اتقوا الله  
 في محمد وآمنوا به وهو قوله تعالى (وآمنوا برسوله) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفاين)  
 أي نصيبين (من رحمة) يعني يؤتكم أجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم  
 والقرآن (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثه لهم  
 أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك إذا أدى حق  
 ماله وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تاديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها  
 فتزوجها فله أجران (ويجعل لكم نوراً تمشون به) يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القرآن  
 وقيل هو الطدي والبيان أي يجعل لكم سبيلاً واحماً في الدين تهتدون به (ويغفر لكم) أي ماسف من  
 ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله غفور رحيم للابعلم أهل الكتاب) قيل لماسمع من  
 لم يؤمن من أهل الكتاب قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا المسلمون امان من امن منا بكتابكم فله أجره  
 مرتين لايمانه بكتابتكم وكتابتنا ومن لم يؤمن فله أجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزل لتلاعلم أي ليعلم ولاصلة أهل  
 الكتاب يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين (الايقدرون) يعني انهم  
 لا يقدرون (على شيء من فضل الله) والمعنى جعلنا الاجر لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين لم  
 يؤمنوا به انهم لا أجر لهم ولا نصيب من فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي أهل الكتاب أولئك يؤتون أجرهم  
 مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الاجر فشق ذلك على المسلمين فنزل لتلاعلم أهل الكتاب يعني  
 المؤمنين منهم أن لا يقدر على شيء من فضل الله (وأن الفضل بيد الله) يعني الذي خصكم به فانه فضلكم على  
 جميع الخلاق وقيل بحتمل أن يكون الاجر الواحد أكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك أن يخرج  
 منابي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفر وابه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا يكون فضل  
 الله النبوة (يؤتية من يشاء) يعني محمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله وأن الفضل بيد الله أي في ملكه وتصرفه  
 يؤتية من يشاء لانه قادر مختار (والله ذو الفضل العظيم) \* (خ) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال  
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كباين  
 صلاة العصر الى غروب الشمس أو في أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى اتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا  
 قيراط قيراط ثم أو في أهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراط قيراط ثم أو تبنا  
 القرآن فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين أي ربنا أعطيت  
 هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراط قيراط ونحن أكثر عملاً قال الله تعالى هل ظلمتكم من أجركم شيئاً  
 قالوا لا قال فهو فضلي أو تية من أشاء وفي رواية انما أجليكم في أجل من خلا من الامم كباين صلاة العصر الى  
 غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عملاً فقال من يعمل لي الى نصف  
 النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى  
 صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال

(يا أيها الذين آمنوا)  
 الخطاب لأهل الكتاب  
 (اتقوا الله وآمنوا برسوله)  
 محمد صلى الله عليه وسلم  
 (يؤتكم) الله (كفاين)  
 نصيبين (من رحمة)  
 لايمانكم بمحمد صلى الله  
 عليه وسلم وإيمانكم به  
 قبله (ويجعل لكم) يوم  
 القيامة (نوراً تمشون به)  
 وهو النور المذكور في قوله  
 يسمى نورهم الآية  
 (ويغفر لكم) ذنوبكم  
 (والله غفور رحيم لتلاعلم)  
 ليعلم (أهل الكتاب)  
 الذين لم يسلموا ولا من بده  
 (الايقدرون) ان محققه  
 من الثبيلة أصله انه  
 لا يقدر على ان الشأن  
 لا يقدر على شيء من  
 فضل الله أي لا يبالغون شيئاً  
 مما ذكر من فضل الله من  
 الكفاين والنور والمغفرة  
 لانهم لم يؤمنوا برسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فلم  
 ينفعهم ايمانهم من قبله  
 ولم يكسبهم فضلاً قط (وأن  
 الفضل) عطف على أن لا  
 يقدر (بيد الله) أي في  
 ملكه وتصرفه (يؤتية من  
 يشاء) من عباده (والله  
 ذو الفضل العظيم) والله  
 أعلم



نسأهم) زوجاتهم (ماهن أمهاتهم) أمهاتهم مفصل الاول مخجزي والثاني تيمى (ان أمهاتهم الاللائي ولدنهم) يريدان الامهات على الحقيقة والوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع (٢٥٣) وكذا أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيادة

حرمتهن وأما الزوجات فابعد شئ من الامومة فلذا قال (واتهم ليقولون منكرا من القول) أى تنكره الحقيقة والاحكام الشرعية (وزورا) وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) لما سلف منهم (والذين يظاهرون من نسأهم) بين فى الآية الاولى ان ذلك من قائله منكرو زور وبين فى الثانية حكم الظهار (ثم يعودون لما قالوا) العود الصيرورة ابتداء أو بناء فمن الاول قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن الثانى وان عدم عدنا ويعدى بنفسه كقولك عدته اذا أتيت به وصرت اليه وبحرف الجر بالى وعلى وفى واللام كقوله ولوردوا العادوا لما نهوا عنه ومنه ثم يعودون لما قالوا أى يعودون لنقض ما قالوا أو لتداركه على حذف المضاف وعن ثعلبة يعودون لتحليل ما حرموا على حذف المضاف أيضا غير انه أراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كقوله ونزونه

نسأهم) يعنى يقولون لمن أنتن كظهور أمهاتنا (ماهن أمهاتهم) أى ماللواتى يجعلنهن من زوجاتهن كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم (ان أمهاتهم) أى ما أمهاتهم (الاللائي ولدنهم وانهم) يعنى المظاهر ين (ليقولون منكرا من القول) يعنى لا يعرف فى الشرع (وزورا) يعنى كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريم مائة بدو الزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريم مائة بدو الا جرم صار ذلك منكرا من القول وزورا (وان الله لعفو غفور) عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم **فصل فى أحكام الظهار وفيه مسائل** **المسئلة الاولى** فى معناه لغة قيل انه مشتق من الظهور وهو العلو وليس هو من ظهر الانسان اذ ليس الظاهر باعلى من سائر الاعضاء التى هى مواضع التلدن والمباضعة فثبت بهذا انه مأخوذ من الظهر الذى هو العلو لان امرأة الرجل مركبه وظهر يدل عليه قول العرب فى الطلاق نزلت عن امرأتى أى طلقتها وفى قولهم أنت على كظهر أى حذف واضمار لان تأويله ظهرك على أى ملكى اياك وعلوى عليك حرام كعلوى أى وعلوه عليها حرام **المسئلة الثانية** كان الظهار من أشد طلاق أهل الجاهلية لانه فى التحريم كد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقرر بالشرع كانت الآية ناسخة له والام يعد نسخا لان النسخ انما يدخل فى الشرائع لافى أحكام الجاهلية وعادتهم **المسئلة الثالثة** فى الالفاظ المستعملة لهذا المعنى فى الشريعة وعرف الفقهاء الاصل فى هذا قوله أنت على كظهر أى وأنت منى أو منى أو عندى كظهر أى وكذا الوقال أنت على كبطن أى وكراش أى أو كيدى أى أو قال بطنك أو رأسك أو يدك على كظهر أى أو شبه عضوا منها بعضو من أعضاء أمه يكون ذلك ظهارا وقال أبو حنيفة ان شبهها ببطن أمه أو بفرجها أو بفخذها يكون ظهارا وان شبهها بعضو غير هذه الاعضاء لا يكون ظهارا ولو قال أنت على كاهى أو كروح أى وأراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ويربده ولو شبهها بجده فقال أنت على كظهر جدتى يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بان قال أنت على كظهر أختى أو عمتى أو خالتى أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا اعلى الاصح **المسئلة الرابعة** فىمن يصح ظهاره قال الشافعى الضابط فى هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمى وقال أبو حنيفة لا يصح احتج الشافعى بعموم قوله والذين يظاهرون من نسأهم واحتج أبو حنيفة بان هذا خطاب للمؤمنين فبدل على ان الظهار مخصوص بالمؤمنين وأجيب عنه بان هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلت انه مختص بالمؤمنين **المسئلة الخامسة** قوله تعالى (والذين يظاهرون من نسأهم) يعنى يمتنعون بهذا اللفظ من جعاهن (ثم يعودون لما قالوا) اختلف العلماء فى معنى العود فى قوله ثم يعودون لما قالوا ولا بد أن يبين أقوال أهل العربية ثم يبين أقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لافرق فى اللغة بين أن يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال أبو على الفارسى كلمة الى واللام تتعاقبان كقوله وأسى الى نوح وبان ربك أوسى لها وأما لفظه ما فى قوله لمافهى بمعنى الذى والمعنى يعودون الى الذى قالوا أو فى الذى قالوا وفيه وجهان أحدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الوجه الثانى ان المراد لما قالوا أى المقول فيه وهو الذى حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا أى يعودون الى شئ وذلك الشئ هو الذى قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسر هذا اللفظ بالوجه الاول يجوز ان يكون المعنى عاد لما فعل أى فعله مرة أخرى وعلى الوجه الثانى يجوز ان يقال عاد لما فعل أى نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيئا ثم أراد أن يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيئا ثم أراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل أن يكون المراد ثم يعودون اليه بان يفعلوا من له مرة أخرى

ما يقول أراد المقول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا ان النقض بما اذا يحصل فعندنا بالعزم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعند الشافعى بمجرد الامساك وهو ان لا يطلتها عقيب الظهار



(فتح ررقبة) فعليه اعتناق رقبته مؤمنة أو كافرة ولم يجز المدبر وام الولد والمكاتب الذي أدى شيئا (من قبل أن يتأسا) الضمير يرجع الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها والمعاسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظرا الى فرجها بشهوة (ذالكم) الحكم (توعظون به) لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجنابة فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار ونحوها واعتقاب الله عليه (والله بما تعملون خبير) والظهار (٢٥٤) أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمي واذا وضع موضع أنت عضو منها يعبر

به عن الجملة ومكان الظهر  
عضوا آخر يحرم النظر اليه  
من الام كالبدن والفخذ  
أو مكان الام ذات رحم  
محرم منه بنسب أو رضاع  
أو صهر أو جماع نحو أن  
يقول أنت على كظهر  
أختي من الرضاع أو عمتي  
من النسب أو امرأة ابني  
أو أبي أو أم امرأتي أو  
ابنتها فهو مظاهر وإذا  
امتنع المظاهر من الكفارة  
للمرأة أن ترافعه وعلى  
القاضي أن يجبره على أن  
يكفر وأن يجسه ولا شيء  
من الكفارات يجبر عليه  
ويحسب الا كفارة الظهار  
لانه يضر بها في ترك  
التكفير والامتناع من  
الاستمتاع فان مس قبل  
أن يكفر استغفر الله ولا  
يعود حتى يكفر وان اعتق  
بعض الرقبه ثم مس عليه  
أن يستأنف عند أبي  
حنيفة رضي الله عنه (فن  
لم يجز) الرقبه (فصيام  
شهرين) فعليه صيام  
شهرين (متتابعين من  
قبل أن يتأسا فن لم يستطع)  
الصيام (فاطعام) فعليه

ويحتمل أن يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب أكثر المجتهدين  
ثم اختلفوا فيه على وجوه الاول وهو قول الشافعي ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد  
الظهار زمانا يمكن ان يطلقها فيه وذلك لانه لما ظهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تم  
ما شرع فيه من إيقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فنلك يدل على أنه ندم على ما ابتدأ  
به من التحريم حينئذ تجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال بندمون فيرجعون الى  
الالفة الوجه الثاني في تفسير العود وهو قول أبي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطء والملاسة والنظر اليها  
بالشهوة وذلك أنه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله أنت على  
كظهر أمي الوجه الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم على وطئها وهو قريب من قول  
أبي حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهرى ان العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا  
لا كفارة عليه ما لم يظاها قال العساء والعود المذكور هنا هو أنه صالح للجماع أو للعزم عليه ولا استباحته  
الآن الذي قاله الشافعي هو أقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعليق الحكم عليه لانه هو الذي به يتحقق  
مسمى العود وأما الباقي فزيادة لا دليل عليه وأما الاحتمال الاول في قوله ثم يعودون أي يفعلون مثل ما فعلوه  
فعلى هذا الاحتمال في الآية وجوه أيضا الاول قال مجاهد والثوري العود هو الايمان بالظهار في الاسلام وتجب  
الكفارة به والمراد من العود هو العود الى ما كانوا عليه في الجاهلية وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون  
بالظهار جعل الله حكم الظهار في الاسلام على خلاف حكمه عندهم فعني ثم يعودون لما قالوا أي الى الاسلام  
فيقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولون في الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثاني قال أبو العالية  
إذا كرر لفظ الظهار فقد عادوا الى ما يمكن عودا وهذا قول أهل الظاهر واحتجوا عليه بان ظاهر قوله ثم  
يعودون لما قالوا يدل على إعادة ما فعلوه وهذا لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه  
وقوله تعالى (فتح ررقبة من قبل أن يتأسا) المراد بالتماس الجماعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي  
ظاهر منها ما لم يكفر (ذلكم توعظون به) يعني ان غاظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا  
تعاودوه (والله بما تعملون) أي من التكفير وتركه (خير) ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبه فقال تعالى (فن  
لم يجز) أي الرقبه (فصيام شهرين) أي فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتأسا  
فن لم يستطع) أي الصيام (ف) كفارته (اطعام ستين مسكينا ذلك) أي الفرض الذي وصفناه (لتؤمنوا  
بالله ورسوله) أي لتصدقوا الله فيما أمر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله تعالى  
(ونلك حدود الله) يعني ما وصف من الكفارة في الظهار (وللكافرين) أي لمن يجحد هذا وكذب به  
(عذاب أليم) أي في نار جهنم يوم القيامة

فاطعام (ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب أن يقدمه على المسيس ولكن كفارة  
لا يستأنف ان جامع في خلال الاطعام (ذلك) البيان والتعليم للاحكام (لتؤمنوا) أي لتصدقوا (بالله ورسوله) في العمل بشرائعه التي شرعها  
من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتك (ونلك) أي الاحكام التي وصفنا في الظهار والكفارة (حدود الله) التي لا يجوز تعديها  
(وللكافرين) الذين لا يتبعونها (عذاب أليم) مؤلم

كفارة الأمان يكون في مجلس واحد وأراد التكرار للتأكيده فأن عليه كفارة واحدة وقال مالك من  
 ظاهر من أمر أنه في مجلس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة **المسئلة الثالثة** الآبة ندل على  
 ايجاب الكفارة قبل المماسمة سواء أراد ان تكفر بالاعتاق أو بالصيام أو بالطعام وعند مالك ان أراد  
 التكفير بالطعام يجوز له الوطء قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل في الاطعام  
 من قبل أن يتماسا فدل على ذلك وعند الآخر من الاطلاق في الاطعام محمول على المقيد في العتق والصيام فان  
 جامع قبل أن يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول أكثر أهل العلم كمالك وأبي حنيفة والشافعي  
 وأحمد وسفيان وقال بعضهم ان واقعها قبل أن يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدي **المسئلة**  
**الرابعة** كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال أبو حنيفة هذه الرقبة تجزى سواء كانت  
 مؤمنة أو كافرة لقوله تعالى فتحرر برقبة فهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب دليلنا أن أجمعنا على أن  
 الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحل المطلق على المقيد أولى **(المسئلة الخامسة)** الصوم  
 فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان أفطر يوماً متعمداً أو نسي النية يجب عليه استئناف  
 الشهرين ولو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة  
 لكن لا يجب عليه استئناف الشهرين وعند أبي حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين **(المسئلة السادسة)**  
 ان يحجز عن الصوم لمريض أو كبير أو فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكيناً كل  
 مسكين مائة من الطعام الذي يقتات به أهل البلد من حنطة أو شعير أو أرز أو ذرة أو تمر أو نحو ذلك وقال  
 أبو حنيفة يعطى لكل مسكين نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاع من تمر أو صاع من شعير ولو أطمع  
 مسكيناً واحداً ستين جزاً لا يجوز به عند الشافعي وقال أبو حنيفة يجوز به حجة الشافعي ظاهر الآية وهو أن الله  
 تعالى أوجب اطعام ستين مسكيناً فوجب رعاية ظاهر الآية وحجة أبي حنيفة أن المقصود دفع الحاجة وهو  
 حاصل وأوجب عنه بان ادخال السرور على قلب ستين مسكيناً أولى من ادخال السرور على قلب مسكين  
 واحد **(المسئلة السابعة)** اذا كانت لرقبة الا أنه محتاج الى الخدمة أو له من الرقبة لكنه يحتاج اليه لنفقته  
 ونفقة عياله فله أن ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعي يلزمه الاعتاق اذا كان واجداً للرقبة أو منها وان  
 كان محتاجاً اليه وقال أبو حنيفة ان كان واجداً العين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجاً اليها وان كان  
 واجداً الثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله أن يصوم **المسئلة الثامنة** قال أصحاب الشافعي الشبق المفرط  
 والغلة الطائفة عذري في الانتقال من الصيام الى الاطعام والدليل عليه ما روى عن سلمة بن صخر البياضي قال  
 كنت امرأ أصيب من النساء ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتي شيئاً  
 تتابع بي حتى أصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هي تخدمني ذات ليلة اذا انكشف لي منها  
 شيء فبالبت أن تزوت عليها فلما أصبحت خرجت الى قومي فاخبرتهم الخبر قال فقالت امشوا معي الى رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال أنت بذلك يا سلمة  
 قلت أنا بذلك يا رسول الله مرتين وأنا صابر لامر الله فاحكم بما أمرك الله به قال حر رقبة قلت والذى بعثك  
 بالحق نبياً ما مالك رقبة غيرهما وضربت صفحة رقبتى قال فصم شهرين متتابعين قال وهى أصبت الذى  
 أصبت الامن الصيام قال فاطعم وسقامن تمر ستين مسكيناً قلت والذى بعثك بالحق نبياً القدينا وحسين لا تملك  
 لنا طعاماً قال فانطلق الى صاحب صدقة بنى زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكيناً وسقامن تمر وكل أنت  
 وعيالك بقيتها فرجعت الى قومي فقالت وجدت عندكم الضيق وسوء الراى ووجدت عنيد النبي صلى الله  
 عليه وسلم السعة وحسن الراى وقد أمر لي بصدقكم وبنو بياضة بطن من بنى زريق أخرجه أبو داود وقوله  
 تزوت عليها أى وثبت عليها وأراد به الجماع وقوله تتابع في التتابع الوقوع في الشر واللجاج فيه والوسق

(ان الذين يحادون الله ورسوله) يعادون ويشاقون (كتبوا) أخزوا وأهلكوا (كما كتبت الذين من قبلهم) عن أعداء الرسل (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وحق ما جاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم تبعثهم) منصوب بهمين و باضمار اذ كر تعظيما لليوم (الله) (٢٥٦) جميعا) كلهم لا يترك منهم أحدا غير مبعوث أو مجتمعين في حال واحدة (فينبئهم بما

علموا) تخجبلهم وتو بيخا وتشهبر باحاطهم بمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) أحاط به عدد الم يقفه منه شيء (ونسوه) لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه وانما تحفظ معظمات الامور (والله على كل شيء شهيد) لا يغيب عنه شيء (ألتر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون) من كان التامة أى ما يقع (من نجوى ثلاثة) النجوى التنجى وقد أضيفت الى ثلاثة أى من نجوى ثلاثة نفر (الا هو) أى الله (رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى) ولا أقل (من ذلك ولا أكثر الا هو معهم) يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه وقد تعالى عن المكان علوا كبيرا وتخصيص الثلاثة والخمسة لانها نزلت في المنافقين وكانوا يتحلقون للتناجى مغاظة للمؤمنين على هذين العديدين وقيل ما تنجى منهم ثلاثة ولا خمسة

ستون صاعا وقوله وحشين يقال رجل وحش اذا لم يكن له طعام وأوحش الرجل اذا جاع وعن خولة بنت مالك بن نعلبة قالت ظاهر منى زوجى أوس بن الصامت فحنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول اتقى الله فإنه ابن عمك فما برحت حتى نزل القرآن قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى الفرض قال يعترق رقبة قلت لا يجحد قال فليصم شهرين متتابعين قلت يا رسول الله انه شيخ كبير مابه من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شيء يتصدق به قال فاني سأعينه بعرق من تمر قلت يا رسول الله أنا أعينه بعرق آخر قال قد أحسنت اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينا واراجعي الى ابن عمك أخرجه أبو داود وفي رواية قالت ان أوسا ظاهر منى وذ كرت أن بهلما وقالت والذي بعثك بالحق ما جئتك الا رجلة ان له في منافع وذ كرت نحو العرق بفتح العين والراء المهلتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها ان بهلما اللهم طرف من الجنون وقال الخطابي ليس المراد من اللحم هنا الجنون والخبيل اذلو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحال لم يلزمه شيء بل معنى الأمم ههنا الامام بالنساء وشدة الحرص والسبق والله أعلم ﴿ قوله عز وجل (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما (كتبوا) أى ذلوا وأخزوا وأهلكوا (كما كتبت الذين من قبلهم) أى كأخزى من كان قبلهم من أهل الشرك (وقد أنزلنا آيات بينات) يعنى فرائض وأحكاما (وللكافرين) أى الذين لم يعملوا بها ونجدوها (عذاب مهين يوم يعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا) أى حفظ الله أعمالهم (ونسوه) أى نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا (والله على كل شيء شهيد) ﴿ قوله تعالى (ألتر) أى ألم تعلم (أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) يعنى ان الله سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السموات ثم أكد ذلك بقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة) أى من أسرار ثلاثة وهى المسارة والمشاورة والمعنى ما من شيء يتناجى به الرجل صاحبه وقيل له يكون من متناجين ثلاثة يسارر بعضهم بعضا (الاهورابعهم) بالعلم يعنى يعلم نجواهم كأنه حاضر معهم ومشاهد هم كأن تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذى يكون معهم (ولا خمسة الا هو سادسهم) فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت أقل ما يكتفى في المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كلتئذ عين في النفي والاثبات والثالث كالتوسط الحاكم بينهما حينئذ محمد تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل ان العدد الفردي أشرف من الزوج فلهاذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى (ولأدنى من ذلك ولا أكثر) يعنى ولا أقل من ثلاثة وخمسة ولا أكثر من ذلك العدد (الا هو معهم أى بالعلم والقدرة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) ﴿ قوله عز وجل (ألتر الى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون باعينهم وبوهوم المؤمنيين أنهم يتناجون بما يسوءهم فيحزن المؤمنون لذلك ويقولون ما زاهم الا قد باعهم عن اخواننا الذين خرجوا في السراياقتل أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فاصطال على المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم أن لا يتناجوا دون

ولأدنى من عدديهم ولا أكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون ولان أهل التنجى في العادة طائفة من أهل الرأى والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال فقد كرر عز وعلو الثلاثة والخمسة وقال لأدنى من ذلك فدل على الاثنتين والاربعه وقال ولا أكثر فدل على ما يقارب هذا العهد (أى ما كانوا ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) فيجاز بهم عليه (ان الله بكل شيء عليم) ألتر الى الذين نهوا عن النجوى

ثم يعودون لمنهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتعاضدون باعينهم  
إذا رأوا المؤمنين ويريدون أن يعيظوهم ويوهموهم في نجواهم وتغاضبهم ان غزاتهم غلبوا وان أثارهم قتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فعادوا والمثل فعلهم وكان تناجيتهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية (٢٥٧) الرسول ومخالفته ويتنجون حزة  
وهو بمعنى الاول (وإذا جاؤك

المؤمنين فلم ينهوا فانزل الله ألم ترالى الذين نهوا عن النجوى أى عن المناجاة فيما بينهم (ثم يعودون لمنهوا  
عنه) أى يرجعون الى المناجاة التى نهوا عنها (ويتناجون بالاثم والعدوان) يعنى ذلك السر الذى كان  
بينهم لانه اما مكر وكيد بالسامين أو شئ يسوءهم وكلاهما اثم وعدوان (ومعصية الرسول) وذلك أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا بها وقيل معناه بوصى بعضهم بعضا  
بمعصية الرسول (وإذا جاؤك) يعنى اليهود (حيوك بمالم يحيك به الله) وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على  
النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونهم بما هم يسهمون عليه وكان النبي  
صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم (ويقولون فى أنفسهم) يعنى اذا خرجوا من عنده قالوا (لولا يعذبنا  
الله بما نقول) يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف به قال الله تعالى (حسبهم جهنم  
يصلونها فبئس المصير) المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة  
والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافهم (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل  
رهب من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام  
واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله فقلت يا رسول  
الله ألم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم والبخارى أن اليهود أتوا النبي صلى الله  
عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت ألم تسمع ما قالوا قال أولم تسمى ما قلت  
رددت عليهم فيستجاب لى فهم ولا يستجاب لهم فى السام الموت قال الخطابي عامة الحديثين يروون اذا سلم عليكم  
أهل الكتاب فأتوا يقولون السام عليكم فقولوا عليكم الحديث فيثبتون الواو فى عليكم وكان سفيان بن عيينة  
يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذى قالوه مردودا عليهم بعينه واذا ثبت  
الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيتين والعنف ضد الرفق واللين والفحش الردى عن القول  
قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تنجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) فى الخطابين  
بهذه الآية قولان أحدهما أنه خطاب للمؤمنين وذلك أنه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجى بالاثم  
والعدوان ومعصية الرسول اتبعه بان نهى المؤمنين أن يسلكوا مثل طريقهم وأن يفعلوا كفعالهم فقال  
لا تنجوا بالاثم وهو ما يتبع من القول والعدوان وهو ما يؤدى الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا  
عليه والقول الثانى وهو الاصح أنه خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالسنتهم وقيل آمنوا  
بزعمهم كانه قال لهم لا تنجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول (وتناجوا بالبر والتقوى) أى بالطاعة وترك  
المعصية (واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان) أى من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم  
به من الائم والعدوان ومعصية الرسول (ليحزن الذين آمنوا) أى انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين (ق) عن ابن  
عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن  
مسعود فى رواية فان ذلك يحزنه وهذه الزيادة لابن داود (وليس بضرهم شيا) يعنى ذلك التناجى وقيل  
الشيطان ليس بضرهم شيا (الاباذن الله) أى الاما أراد الله تعالى وقيل الاباذن الله فى الصبر (وعلى الله  
فليتوكل المؤمنون) أى فليكل المؤمنون أمرهم الى الله تعالى ويستعينوا به من الشيطان فان من توكل

حيوك بمالم يحيك به الله)  
يعنى انهم يقولون فى تحيكك  
السام عليك يا محمد والسام  
الموت والله تعالى يقول  
وسلام على عباده الذين  
اصطفى ويا أيها الرسول  
ويا أيها النبي (ويقولون  
فى أنفسهم لولا يعذبنا الله  
بما نقول) أى يقولون فيما  
بينهم لو كان نبيا لعاقبنا الله  
بما نقول فقال الله تعالى  
(حسبهم جهنم) عذابا  
(يصلونها) حال أى يدخلونها  
(فبئس المصير) المرجع  
(جهنم يا أيها الذين آمنوا)  
بالسنتهم وهو خطاب  
للمنافقين والظاهر انه  
خطاب للمؤمنين (اذا  
تناجيتم فلا تنجوا بالاثم  
والعدوان ومعصية  
الرسول) أى اذا تناجيتم  
فلا تشبهوا باليهود والمنافقين  
فى تناجيتهم بالشر (وتناجوا  
بالبر) بداء الفرائض  
والطاعات (والتقوى)  
وترك المعاصى (واتقوا الله  
الذى اليه تحشرون)  
لحساب فيجازيكم بما  
تناجون به من خير أو شر  
(انما النجوى) بالاثم

(٣٣٣ - خازن) - رابع (العدوان) من الشيطان) من تزيينه (ليحزن) أى الشيطان نافع بضم الياء (الذين آمنوا وليس) الشيطان أو الحزن (بضرهم شيا الابان الله) بعامه وقضائه وقدره (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى يكون أمرهم الى الله ويستعينون به من الشيطان

(يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم ففسحوا في المجلس) توسعوا فيه في المجلس عاصم ونافع والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراسم الغزاة كقولهم مقاعد للقتال مقاتل في صلاة الجمعة (فافسحوا) فوسعوا (٢٥٨) (يفسح الله لكم) مطلق في كل ما يتغنى الناس القسيحة فيه من المكان والرزق

والصدر والقبر وغير ذلك (وإذا قيل انشروا) انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرتم بالنهوض عنه أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير (فانشروا) بالضم فيهما مدنى وشامى وعاصم غير جاد (رفع الله الذين آمنوا منكم) بامتثال أو امره أو امر رسوله (والذين أتوا العلم) والعالمين منهم خاصة (درجات) والله بما تعملون خبير) وفي الدرجات قولان أحدهما في الدنيا في المرتبة والشرف والآخر في الآخرة وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان إذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة وعنه صلى

على الله لا يخيب أمله ولا يبطل سعيه ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم ففسحوا في المجلس فافسحوا) الآية قيل في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا فردد عليهم ثم سلموا على القوم فرددوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وأنت يا فلان فقام من المجلس بقدر أولئك نفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقبل من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت النصبة في سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا تضاموا في مجلسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة والمكان ضيق والأقرب أن المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فأمر الله المؤمنين بالتواضع وإن يفسحوا في المجلس لمن أراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس في الأخذ بالحظ منه وقرئ في المجلس لأن لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل في مجلسه فافسحوا أي فأوسعوا في المجلس أمروا بأن يوسعوا في المجلس لغيرهم (يفسح الله لكم) أي يوسع الله لكم في الجنة والمجالس فيها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقمين أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم (م) عن جابر بن عبد الله قال لا يقمين أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالف إلى مقعده فيقعده فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدى في أفراد مسلم موقوفا على جابر ورفع غير الحميدى وقيل في معنى الآية أن هذا في مجالس العرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتي القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فيا بون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فأمروا بأن يوسعوا لآخوانهم لأن الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الأول والحاجة داعية إلى تقدمه فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كجالس العلم والقرآن والحديث والنحو وذلك لأن كل من وسع على عبادة الله أنواع الخير والراحة وسع الله عليه خيري الدنيا والآخرة (وإذا قيل انشروا) فانشروا أي إذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لآخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتناقضون عن الصلاة في الجماعة إذا نودي لها فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى إذا نودي إلى الصلاة فانهضوا إليها وقيل إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى كل خير فانهضوا إليها ولا تقصروا عنه (يرفع الله الذين آمنوا منكم) أي بطاعتهم لله ورسوله وامتثال أو امره في قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لآخوانهم (والذين أتوا العلم) أي ويرفع الذين أتوا العلم من المؤمنين بفضل عملهم وسابقتهم (درجات) أي على من سواهم في الجنة قيل يقال للمؤمن الذي ليس بعالم إذا انتهى إلى باب الجنة أدخل ويقال للعالم قف فاشفع في الناس أخبر الله عز وجل أن رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما أمر وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما أتمروا وإن نفر من أهل بدر مستحقون لما عمو ما وبه من الأكرام (والله بما تعملون خبير) قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه

بالله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم مرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم أتى عيم أحب كل علم وعن بعض الحكماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فات من أدرك العلم وعن الزبيرى العلم ذكر فلا يحببه إلا ذكر كورة الرجال والعلوم أنواع فاشرفها أشرفها معلوما



(ذلك) التقديم (خير لكم) في دينكم (وأظهر) لأن الصدقة طهرة (فان لم تجدوا) ما تصدقون به (فان الله غفور رحيم) في ترخيص المناجاة من غير صدقة قيل كان ذلك عشرا ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال علي رضي الله عنه هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدى كان لي دينار فصرفته فكتبت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فاجابني عنها قلت يا رسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله قلت وما الكفر والشرك بالله قلت وما الحق قال الاسلام والقرآن والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الخيلة قال ترك الخيلة قلت وما على قال طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف أدعو الله قال بالصدق واليقين قلت وماذا أسأل الله قال العافية قلت وما أصنع لنجاة نفسي قال كل حلالا وقل صدقات وما السرور قال الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها (أأشفتكم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الاتفاق الذي تskerونه (فأذلم تفعلوا) ما أمرتم (٢٦٠) به وستق عليكم (وتاب الله عليكم) أي خفف عنكم وأزال عنكم المؤاخذة بترك

ترك لم يعملوا بها وليس فيها طعن على أحد منهم ﴿ وقوله (ذلك خير لكم) يعني تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله (وأظهر) أي لذو بكم (فان لم تجدوا) يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به (فان الله غفور رحيم) يعني أنه تعالى رفع عنهم ذلك (أأشفتكم) قال ابن عباس أبتخاتم والمعنى أخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله (أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا) أي ما أمرتم به (وتاب الله عليكم) أي تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشرا ليال ثم نسخ وقال السكبي ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ (فأقيموا الصلاة) أي المفروضة (وأتوا الزكاة) أي الواجبة (وأطيعوا الله ورسوله) أي فيما أمر ونهى (والله خير بما تعملون) أي انه محيط بأعمالكم ونياتكم ﴿ قوله عز وجل (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت في المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود ونصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين اليهم فاراد بقوله قوما غضب الله عليهم اليهود (ماهم) يعني المنافقين (منكم) أي من المؤمنين في الدين والولاء (ولانهم) يعني ولا من اليهود (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) أي انهم كذبة نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فيبينار رسول الله صلى الله عليه وسلم في شجرة من شجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار ينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشمتي أنت وأصحابك خلف بالله ما فعل وجاء بصحابه خلفوا بالله ما سبوه فانزل الله هذه الآية (أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم) يعني الكاذبة (جنة) أي يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم (فصدوا عن سبيل الله) يعني انهم صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذوا أموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذي هو الاسلام (فلهم عذاب مهين) يعني في الآخرة (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم) يوم القيامة (من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) يعني كاذبين أنهم ما كانوا مشركين (كأحلفون لكم) أي في الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم في الدنيا فظنوا انه ينفع في الآخرة أيضا (ويحسبون أنهم على شيء)

تقديم الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذة بالذنب عن الثابت عنه (فأقيموا الصلاة) وأتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) أي فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (والله خير بما تعملون) وهذا وعد ووعد (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) كان المنافقون يقولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه الله وغضب عليه وينقلون اليهم أسرار المؤمنين (ماهم منكم) يماسمون (ولانهم) ولا من اليهود كقوله من يذنبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ويحلفون على الكذب) أي ويقولون والله اننا مسلمون لانما نقولون

(وهم يعلمون) انهم كاذبون منافقون (أعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) أي انهم كانوا في الزمان الماضي مضرين على سوء العمل وهي حكاية ما يقال لهم في الآخرة (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) وقاية دون أموالهم ودمائهم (فصدوا) الناس في خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) عن طاعته والايمان به (فلهم عذاب مهين) وعدهم العذاب الخزي لكفرهم وصددهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) من عذاب الله (شيئا) قليلا من الاغناء (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) أي لله في الآخرة انهم كانوا مخلصين في الدنيا غير منافقين (كأحلفون لكم) في الدنيا على ذلك (ويحسبون انهم) في الدنيا (على شيء) من النفع أو يحسبون انهم على شيء من النفع ثم يامانهم الكاذبة كما اتفقوا عليها

(الأنهم هم الكاذبون) حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم الشيطان) استولى عليهم (فأنساهم ذكر الله) قال شاه الكرمانى علامة استحوذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكير في آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكره بالكذب والغيبة والبهتان ويشغل لبه عن التفكير والمراقبة بتدبير الدنيا وجعلها (أولئك حزب الشيطان) جنده (ألان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الآذلين) في جملة من هو أذل خلق الله تعالى لا ترى أحدا أذل منهم (كتب الله في اللوح (لاغلبن أناورسلى) بالحجة والسياف وأبادهما (ان الله قوى) لا يمنع عليه ما يريد (عزيز) غالب غير مغلوب) لا تجحدوا ما يؤمنون بالله واليوم (الآخر يوادون) هو مفعول ثان لتجدوا وحال

أوصفة لقوم ما تجذبهم  
تصادف على هذا (من  
حاد الله) خالفه وعاداه  
(ورسوله) أى من الممتنع  
ان تجحدوا ما يؤمنون بالو  
المشركين والمراد انه لا يقبى  
أن يكون ذلك وحقه أن  
يتمتع ولا يوجد بحال مبالغة  
في التوصية بالتصلب في  
مجانبة أعداء الله ومباعدتهم  
والاحتراز عن مخالطتهم  
ومعاشرتهم وزاد ذلك  
تأكيدها وتشديد بقوله  
(ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم  
أو إخوانهم أو عشيرتهم)  
وقوله (أولئك كتب في  
قلوبهم الإيمان) أى أثبتته  
فيها وبمقابلة قوله وأولئك  
حزب الشيطان بقوله  
أولئك حزب الله (وأيدهم  
روح منه) أى بكتاب  
أنزله فيه حياة لهم ويجوز  
أن يكون الضمير للإيمان  
أى روح من الإيمان على  
أنه في نفسه روح حياة  
القلوب به وعن الثورى انه

يعنى من إيمانهم الكاذبة (الأنهم هم الكاذبون) يعنى في أقوالهم وإيمانهم (استحوذ عليهم الشيطان)  
أى غلب واستولى عليهم وملكهم (فأنساهم ذكر الله) أولئك حزب الشيطان ألان حزب الشيطان هم  
الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الآذلين) يعنى في جملة من يلحقهم النذل في الدنيا والآخرة  
لان ذل أحد الخصمين على حسب عز الخصم الثانى ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه  
غير متناهية (كتب الله لاغلبن أناورسلى) أى قضى الله ذلك قضاءً ثابتاً قبل غلبة الرسل على نوعين فمنهم من  
يؤمر بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة (ان الله قوى) أى على نصر رسوله  
وأوليائه (عزيز) أى غالب على أعدائه قوله تعالى (لا تجحدوا ما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد  
الله ورسوله) أخبر الله تعالى ان إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وان من كان مؤمناً لا يوالى من كفر  
لان من أحب أحداً امتنع أن يحب عدوه فان قلت قد أجمعت الأمة على أنه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم  
ومعاشرتهم فهاهنا المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هى مناصحتهم وإرادة الخير لهم ديناً ودنياً مع  
كفرهم فاما ما سوى ذلك فلا حظ فيه ثم انه تعالى بالغ في الزجر عن مودتهم بقوله (ولو كانوا آباءهم أو  
أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) يعنى ان الميل الى هؤلاء من أعظم أنواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح  
الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب مخالفة الدين قيل نزلت هذه الآية في حاطب بن أبى بلتعنة حين كتب الى  
اهل مكة وستأتى قصته في صورة الممتحنة وروى عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم  
يعنى أباء عبيدة بن الجراح قتل أباه الجراح يوم أحد وأبناءهم يعنى أبابكر الصديق رضى الله تعالى عنه دعا  
أبنة يوم بدر الى البراز وقال يارسول الله دعنى أكن في الرعدة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا  
بنفسك يا أبابكر أو إخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل أخاه عبد الله بن عمير أو عشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب  
قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن أبى طالب وحزرة واباعبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني  
ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) أى أثبت التصديق في قلوبهم فهى مؤمنة  
موفقة مخاصة وقيل حكم لهم بالإيمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه (وأيدهم روح منه) أى قواهم  
بنصر منه وانما سمي نصره إياهم روحاً لان به حياهم وأمرهم وقيل بالإيمان وقيل بالقرآن وقيل بحجربيل وقيل  
برحمته (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه) انما ذكر رضوانه  
عليهم بعد دخولهم الجنة لانه أعظم النعم وأجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة  
لأعداء الله سبحانه وتعالى فقال (أولئك حزب الله ألان حزب الله هم المفلحون) والله أعلم بمراده

قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبى رواد انه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وولاهها وقال سهل من  
صحح إيمانه واخلص توحيد فانه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسهم ويظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدع أسلبه الله حلاوة السنن ومن أجاب  
مبتدعاً عاظم عز الدنيا وأغناها أذله الله بذلك العز وأقره بذلك الغنى ومن تحكى الى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه ومن لم يصدق  
فليجرب (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها رضى الله عنهم) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (ورضوا عنه) بشوابه الجسيم  
في الآخرة أو بما قضى عليهم في الدنيا (أولئك حزب الله) أنصار حقه ودعاة خلقه (ألان حزب الله هم المفلحون) الباقيون في النعيم المقيم  
الفاضون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب



سورة الحشر مدنية وهي  
 أربع وعشرون آية ﴿  
 (بسم الله الرحمن الرحيم)  
 (سبح لله ما في السموات  
 وما في الارض وهو العزيز  
 الحكيم) روى ان هذه  
 السورة نزلت باسرها في بني  
 النضير وذلك ان النبي صلى  
 الله عليه وسلم حين قدم  
 المدينة صالح بنو النضير  
 رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم على ان لا يكونوا عليه  
 ولا له فلما ظهر يوم بدر  
 قالوا هذا النبي الذي نعت في  
 التوراة فلما هزم المسلمون  
 يوم احد ارتابوا ونكثوا  
 فخرج كعب بن الاشرف  
 في أربعين راكباً الى مكة  
 خالف أباسفيان عند  
 الكعبة فامر صلى الله  
 عليه وسلم محمد بن مسامة  
 الانصاري فقتل كعباً غيلة  
 ثم خرج صلى الله عليه وسلم  
 مع الجيش اليهم فاصروهم  
 احدي وعشرين ليلة  
 وأمر بقطع نخيلهم فلما  
 قذف الله الرعب في قلوبهم  
 طلبوا الصلح فآبى عليهم  
 الاجلاء على ان يحمل كل  
 ثلاثة ابيات على بعير ماشوا  
 من متاعهم فجاء الشأم الى  
 اريحاء واذرعات (هو  
 الذي أخرج الذين كفروا  
 من أهل الكتاب) يعني  
 يهود بني النضير (من  
 ديارهم) بالمدينة واللام في

### ﴿تفسير سورة الحشر﴾

قال سعيد بن جبيرة قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية أربع وعشرون آية  
 وأربع مائة وخمسة وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفاً

### ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من  
 أهل الكتاب من ديارهم) قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طائفة من اليهود وذلك ان  
 النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأظهر على المشركين قال بنو النضير والله انه  
 النبي الامي الذي نجت نعت في التوراة لا ترد له راية فاما غزاه أحداهم هزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وركب كعب بن الاشرف في أربعين راكباً من اليهود الى مكة فاتوا فريش يشاخالقوهم وعاقدهم على أن  
 تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل أبو سفيان في أربعين من قريش وكعب بن الاشرف  
 في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستار الكعبة ثم رجع كعب وأصحابه  
 الى المدينة فنزل جبريل عليه السلام فآخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما نعاقد عليه كعب وأبو سفيان وأمره  
 بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسامة غيلة وقد تقدمت القصة في سورة آل عمران وكان النبي صلى الله  
 عليه وسلم قد اطاع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين الذين قتلها عمرو بن أمية  
 الضمري في منصرفه من بئر معونة فهو باطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فقصمه الله منهم  
 وأخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المائدة فلما قتل كعب بن الاشرف أصبح رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم وأمر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم  
 وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد واعية على أترواعية وبا كية على أتربا كية قال نعم  
 فقالوا ذرنا نيك شجونا ثم أتم أمرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب  
 الينا من ذلك ثم نادوا بالحرب وأذونوا بالقتال ودرس المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه اليهم أن لا يخرجوا  
 من الحصن فان قاتلوكم فكن معكم ولا تتخذ لكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدرىوا على الازقة  
 وحصنوها ثم أجمعوا على القدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلوا اليه أن اخرج الينا في ثلاثين رجلاً  
 من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك  
 آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من أصحابه وخرج اليه ثلاثون جبراً من اليهود حتى كانوا في  
 براز من الارض فقال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب الموت  
 قبله ولكن أرسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من أصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا  
 فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنابك وصدقناك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من أصحابه  
 وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت امرأة ناصحة من  
 بني النضير الى أخيها وهو رجل مسلم من الانصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله  
 عليه وسلم فاقبل أخوها سر يعا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فسار به بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع  
 النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكاتب فاصروهم احدي  
 وعشرين ليلة فقتل الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 الصلح فآبى عليهم الا أن يخرجوا من المدينة على ما أمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم

(لاول الحشر) تتعلق باخراج وهي اللام في قوله تعالى يا ايها النبي قد امت حيا في وقوله جثته لوقت كذا أي اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام وهذا اول حشرهم و آخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام و آخر حشرهم حشر يوم القيامة قال ابن عباس رضي الله عنهما من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فهم الحشر الاول وسائر الناس الحشر الثاني وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا امضوا فانكم اول الحشر ونحن على الاترقادة اذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس الى ارض الشام وبها تقوم عليهم القيامة وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم (٢٦٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ظننتم

ان يخرجوا) لشدة باسهم ومنعتهم ووثاقه حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) أي ظنوا ان حصونهم تمنعهم من باس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذي جاء عليه أن في تقديم الخبر على المبتدأ دليلا على فرط وثوقهم بحصانها ومنعتها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واستاذ الجمله اليه دليل على اعقادهم في أنفسهم انهم في عزوة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم أو يطمع في مغازاتهم وليس ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم (فاتاهم الله) أي أمر الله (من حيث لم يحتسبوا) وهو ان الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلاهم وكانوا لا يظنون ذلك (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف الشديد يقتل سيدهم كعب بن الاشرف (يخرجون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين) قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما أفلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويحرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمود وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخرجون ما يلهمهم من ظاهرها ويخرج بها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أديارها فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يلهمهم ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما أفلت الابل من أموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم وقال ابن عباس على أن يحمل كل أهل بيت على بعير ماشاؤا من متاعهم وللهي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقيل أعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى أذرعات وأريحا من ارض الشام الا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حبي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب يعني بني النضير من ديارهم يعني التي كانت بالمدينة قال ابن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد وفتح قرية يظنه مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان (لازل الحشر) قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا قال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا اول حشر الى الشام قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين قال الى ارض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشام وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا اول من أجلي من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم أجلي آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى أذرعات وأريحا من ارض الشام في أيام عمر وقيل كان هذا اول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا (ما ظننتم) يعني أيها المؤمنون (أن يخرجوا) أي من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا أهل حصون وعقار ونخل كثير (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) أي وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله (فاتاهم الله) أي أتاهم أمر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) وهو ان الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلاهم وكانوا لا يظنون ذلك (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف الشديد يقتل سيدهم كعب بن الاشرف (يخرجون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين) قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما أفلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويحرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمود وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخرجون ما يلهمهم من ظاهرها ويخرج بها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أديارها فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يلهمهم ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

يدأخيه رضاعا (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف (يخرجون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين) يخرجون أبو عمر والتخريب والاحزاب الافساد بالنقض والهدم والخرابة الفساد وكانوا يخرجون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأقتهم وان لا تبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواذ الازقة وان لا يتحسروا بعد جلاهم على بقائهم مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في أبنيتهم من جيد الخشب والساج وأما المؤمنون فدأبهم الى التخريب ازالة متحصنهم وان يتسع لهم مجال الحرب ومعنى يخرجهم لها ايدي المؤمنين انهم لما عرضوا لهم بسكت العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم أمرهم به وكلفهم اياه

(فاعتبروا يا أولي الابصار) أي فتأملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذي استحقوا به ذلك فاحذروا ان تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم وهو دليل على جواز القياس (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من الوطن مع الأهل والولد (لعدبهم في الدنيا) بالقتل والسبي كما فعل بيني قريظة (ولهم) سواء أجاؤا أو قتلوا (٢٦٤) (في الآخرة عذاب النار) الذي لأشد منه (ذلك بانهم) أي إنما أصابهم ذلك بسبب انهم (شاقوا الله)

(فاعتبروا) أي فاعتظوا وانظروا ما نزل بهم (يا أولي الابصار) أي يا ذوى العقول والبصائر (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) يعني الخروج من الوطن (لعدبهم في الدنيا) يعني بالقتل والسبي كما فعل بيني قريظة (ولهم) في الآخرة عذاب النار ذلك (أي الذي لحقهم ونزل بهم) بانهم شاقوا الله ورسوله (أي خالفوا الله ورسوله) (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) قوله تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) الآية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل بيني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم واحراقها فخرج أعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح أفن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الأمم وان ذلك كان بإذن الله تعالى (ق) عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بيني النضير وقطع وهي البويرة فنزل ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين البويرة اسم موضع لبنى النضير وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

وهان على سراة بني لؤي \* حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ما خلا الجحوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع نخيلهم الا الجحوة وأهل المدينة يسمون ما خلا الجحوة من الخمر الألوان وقيل النخل كلها لينة الا الجحوة والبرنية وقيل اللينة الخيل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه هي لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هي ضرب من النخل يقال لقرها اللون وهو شديد الصفرة ويرى نواها من خارج يغيب فيه الضرس وكان من أجود تمرهم وأعجبهم اليهم وكانت النخلة الواحدة ثمانين صيف وأحب اليهم من وصيف فأما رأوهم يقطعونها شاق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكروهون الفساد وأتم تفسدون دعوا هذا النخل قائما هولم غلب عليه فآخبر الله أن قطعها كان باذنه (وليخزي الفاسقين) يعني اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود أذن الله في قطعها احتج العلماء بهذه الآية على ان حصون الكفار وديارهم لا بأس ان تهدم وتحرق وترمى بالجمانيق وكذلك قطع أشجارهم ونحوها (قوله عز وجل) (وما أفاء الله على رسوله) أي ما رد الله على رسوله (منهم) أي من يهود بني النضير (فأؤجفتم عليه) يعني أوضعتم وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) يعني الأبل التي تحمل القوم وذلك ان بني النضير لما تروا ركابهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى في هذه الآية لتمامهم بوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا البهاشقة ولا نالوا مشقة وإنما كانوا يعني بني النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم كان على جبل (ولكن الله يسلط رسوله على من يشاء) من أعدائه (والله على كل شيء قدير) أي فهمي له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سمك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن صمة (ق) عن مالك بن أوس النضري ان عمر دعاه اذ جاء حاجبه يرافقه فقال هل لك يا أبا مريم المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستأذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرافقه هل لك في عباس

بسبب انهم (شاقوا الله) خالفوه (ورسوله) ومن يشاق الله (ورسوله) فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله (وليتل اليهود ويغيظهم) أذن في قطعها (وما أفاء الله على رسوله) جعله فيأله خاصة (منهم) من بني النضير (فأؤجفتم عليه) من خيل ولا ركاب) فلم يكن ذلك ما يحاف خيل أو ركاب منكم على ذلك والركاب الأبل والمعنى فما أؤجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلا ولا ركابا ولا تعبت في القتال عليهم وإنما مشيتم اليه على أرجلكم

لأنه على ميلين من المدينة وكان صلى الله عليه وسلم على حمار غسب (ولكن الله يسلط رسوله على من يشاء) يعني ان ما حول الله رسوله من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسلط رسوله على أعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهر اقسمة بين المهاجرين ولم يعط الابصار الا ثلاثة منهم لفقيرهم (والله على كل شيء قدير)

ما أفاء الله على رسوله من

أهل القرى فنته وللرسول ولذئ القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وأنما لم يدخل العاطف على هذه الجلة لأنها بيان للادوى فهى منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله صلى عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره ان يضعه حيث يضع الخس من الغنم مقسوما على الاقسام الخمسة وزيف هذا القوم بعض المفسرين وقال الآية الاولى نزلت فى أموال بنى النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الآية فى غنم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة وفى الآية بيان مصرف خمسها فهى مبتدأة (كيلا يكون دولة) تكون دولة يزيد على كان التامة والدولة والدولة ما يدول للانسان أى يدور من الجند ومعنى قوله كيلا يكون دولة (بين الاغنياء منكم) اشلا يكون النى الذى حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به (وما آتاكم الرسول) أى ما أعطاكم من قسمة غنيمة أوفى (خذوه) فاقبلوه (وما نهاكم عنه) عن أخذه (فاتوها) عنه ولا تطلبوه

وعلى يستأذنان قال نعم فاذن لهما فاماد خلاقا قال العباس يا امير المؤمنين افض بينى وبين هذا فقال القوم أجل يا امير المؤمنين افض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال مالك بن أوس يخيل الى انهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر انتدوا أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم أقبل عمر على العباس وعلى قال أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالانعم قال عمر ان الله خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخص بها أحد غيره فقال وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجعتم عليه من خيل ولا ركاب الآية قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم أموال بنى النضير فوالله ما استأثرها عليكم ولا أخذها دونكم فقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقى هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم ما بقى يجعله مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عباسا وعليها مثل ما نشد القوم أن تعلمان ذلك قالانعم قال فاستأذنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أناولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه أبو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتم حينئذ وأقبل على وعباس وقال تذكر ان أبابكر عمل فيه كما تقولان والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبابكر فقلت أناولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فقبضته سنتين من امارتى أعمل فيهما بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله يعلم انى فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئت فى كلابكم كما واحدة وأمر كما جميع فقلت لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قلتم ادفعها لينا فلما بدا لى أن أدفعها اليكما قلت ان شئما دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت والافلا تكلمان فقلتما دفعه لينا بذلك فدفعته اليكما أقتلتمسان منى قضاء غير ذلك فوالله الذى باذنه تقوم السماء والارض لا أفضى فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزت عما عهده فادفعها الى فانى أكفيكما الله قوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) يعنى من أموال كفار أهل القرى قال ابن عباس هى قرية يظن والنضير وفدك وخيبر وقرى عربية (فنته وللرسول ولذئ القربى) يعنى بنى هاشم وبنى المطلب (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قد تقدم تفسيره فى سورة الانفال فى حكم الغنيمة وقسمتها وأما حكم النى فانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على أهله منه نفقة سنتهم ويجعل ما بقى يجعل مال الله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله واختلف العلماء فى مصرف النى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هولاء أئمة بعده وللشافعى فيه قولان أحدهما انه للمقاتلة والثانى هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلافوا فى تخميس مال النى فذهب قوم الى ان الخمس لاهل خمس الغنيمة وأربعة للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخدم بل مصرف جميعه واحد لجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين الى قوله والذين جاؤا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الارض مسلم الا وله فى هذا النى عاقب الاممكت أيمانكم (كيلا يكون النى) (دولة) والدولة اسم الشئ الذى يتداوله القوم بينهم (بين الاغنياء منكم) يعنى بين الرؤساء والاقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو الرابع ثم يصفى بعده ما يشاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما أمر به (وما آتاكم الرسول فخذوه) أى من مال النى والغنيمة (وما نهاكم عنه) أى من الغلول وغيره (فاتوها) وهذا نازل فى أموال النى وهو عام فى كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أنه من قول أو عمل من واجب أو مندوب أو مستحب



على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أي  
 فاقه وحاجة إلى ما يؤثر به (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم فقال اني مجهود فإرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا الماء ثم أرسل  
 به إلى أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله  
 فقام رجل من الانصار يقال له أبو طلحة فقال يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لا مرا أهله عندك  
 شيء قالت لا الا قوت صياني قال فعليهم شيء ونومهم فاذا دخل ضيفنا فار به انانا كل فاذا هوى بيده ليا كل  
 فقوى إلى السراج كي تصليحيه فاطفيته ففعلت ففعدوا وأكل الضيف و باتا طويلا فلما أصبح غدا  
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان  
 وفلانة زاد في رواية فانزل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن أبي هريرة قال قالت  
 الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم في  
 الثمر قالوا سمعنا وأطعنا (خ) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار  
 إلى أن يقطع لهم البحرين فقالوا الا الآن تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها فقال اما لافاصبر واحتي تلقوني  
 على الحوض فانه سيصيبكم أثره بعدى وفي رواية ستلقون بعدى أثره فاصبر واحتي تلقوني على الحوض  
 الأثره بفتح الهمزة والناء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان الناء والاول أشهر ومعناه الاستئثار  
 وهو أن يستأثر عليكم بامور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم في الامر نصيب وقيل هو من آثر اذا  
 أعطى أراد أنه يستأثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه من الشيء والاستئثار الانفراد بالشيء وقيل الأثره الشدة  
 والاول أظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النصير للانصار ان شتمتم قسمتم  
 للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شتمتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم  
 تقسم لكم شيئا من الغنيمة فقالت الانصار بل تقسم طمهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم  
 فيها فانزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون  
 والشح في كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع  
 والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى  
 (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) أي الفائر ومن بما أراد واورى أن رجلا قال لابن مسعود اني  
 أخاف أن أكون قد هلكت قال وما ذاك قال اني أسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون  
 وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ولكن  
 الشح أن تأكل مال أخيك ظمأ ولكن ذلك البخل وبس الشيء البخل وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع  
 الرجل ماله انما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه  
 على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيئا منها الله عن أخذه ولم يمنع شيئا أمره الله باعطائه فقد وقاه الله  
 شح نفسه (م) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم  
 القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم \*  
 عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرف ما في الرجل شح هالع وجبن خالع أخرجه أبو داود  
 الطلع أشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعاً شديداً ويحزن على شيء يفوته أو يخرج من يده  
 والخالع الذي خلع فؤاده لشدة خوفه وفزع \* عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ولا يجتمع الشح والايمن في قلب عبد أبداً  
 أخرجه النسائي قوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم) يعني من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم

على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أي  
 فاقه وحاجة إلى ما يؤثر به (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم فقال اني مجهود فإرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا الماء ثم أرسل  
 به إلى أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله  
 فقام رجل من الانصار يقال له أبو طلحة فقال يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لا مرا أهله عندك  
 شيء قالت لا الا قوت صياني قال فعليهم شيء ونومهم فاذا دخل ضيفنا فار به انانا كل فاذا هوى بيده ليا كل  
 فقوى إلى السراج كي تصليحيه فاطفيته ففعلت ففعدوا وأكل الضيف و باتا طويلا فلما أصبح غدا  
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان  
 وفلانة زاد في رواية فانزل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن أبي هريرة قال قالت  
 الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم في  
 الثمر قالوا سمعنا وأطعنا (خ) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار  
 إلى أن يقطع لهم البحرين فقالوا الا الآن تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها فقال اما لافاصبر واحتي تلقوني  
 على الحوض فانه سيصيبكم أثره بعدى وفي رواية ستلقون بعدى أثره فاصبر واحتي تلقوني على الحوض  
 الأثره بفتح الهمزة والناء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان الناء والاول أشهر ومعناه الاستئثار  
 وهو أن يستأثر عليكم بامور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم في الامر نصيب وقيل هو من آثر اذا  
 أعطى أراد أنه يستأثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه من الشيء والاستئثار الانفراد بالشيء وقيل الأثره الشدة  
 والاول أظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النصير للانصار ان شتمتم قسمتم  
 للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شتمتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم  
 تقسم لكم شيئا من الغنيمة فقالت الانصار بل تقسم طمهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم  
 فيها فانزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون  
 والشح في كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع  
 والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى  
 (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) أي الفائر ومن بما أراد واورى أن رجلا قال لابن مسعود اني  
 أخاف أن أكون قد هلكت قال وما ذاك قال اني أسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون  
 وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ولكن  
 الشح أن تأكل مال أخيك ظمأ ولكن ذلك البخل وبس الشيء البخل وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع  
 الرجل ماله انما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه  
 على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيئا منها الله عن أخذه ولم يمنع شيئا أمره الله باعطائه فقد وقاه الله  
 شح نفسه (م) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم  
 القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم \*  
 عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرف ما في الرجل شح هالع وجبن خالع أخرجه أبو داود  
 الطلع أشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعاً شديداً ويحزن على شيء يفوته أو يخرج من يده  
 والخالع الذي خلع فؤاده لشدة خوفه وفزع \* عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ولا يجتمع الشح والايمن في قلب عبد أبداً  
 أخرجه النسائي قوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم) يعني من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم

عنه دخل في هذا النبي وكل من هو مولود الى يوم القيامة في الاسلام جعل الواو للعطف فيهما وقرئ للذين فيهما (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) قيل هم المهاجرون والانصار عائشة رضي الله عنها امر وابان يستغفروا لهم فسبوهم (ولا تجعل في قلوبنا غلا) حقدا (للذين آمنوا) يعني الصحابة (٣٦٨) (ربنا انك رؤوف رحيم) وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول في عثمان وطلحة والزبير قال

الى يوم القيامة (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أخبرناهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان (ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي غشا وحسدا وبغضا (للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) فكل من كان في قلبه غل أو بغض لاحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس بمن عناء الله بهذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرون ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر في لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين وليس له في المسلمين نصيب وقال ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوءوا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد أن لا تكون خارجا من هذه الثلاث منازل (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مدأ أحدهم ولا يصفه (م) عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن أختي أمر وأن يستغفروا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذي وقال مالك بن أنس من اتقص أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه غل عليهم فليس له حق في في المسلمين ثم تلا هذه الآية ما فاء الله على رسوله من أهل القرى الى الذين جاؤا من بعدهم الى رؤوف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبي يمالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرفضة بخصلة سئلت اليهود من خيرا هل ملتكم قالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى من خيرا هل ملتكم قالوا حواري عيسى وسئلت الرفضة من شرا هل ملتكم فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم والسيوف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا يجتمع لهم كلمة كلها وقد وثار الحرب أطفاها الله بسفك دماهم وتفرق شملهم وادحاض مخيمهم أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة وروى عن جابر قال قيل لعائشة ان ناسا يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبابكر وعمر فقالت وما نتجبون من هذا انقطع عنهم العمل فاحب الله أن لا يقطع عنهم الاجر وروى ان ابن عباس سمع رجلا ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أمن المهاجرين الاولين أنت قال لا قال فمن الانصار أنت قال لا قال فانا أشهد بانك لست من التابعين لهم باحسان قوله عز وجل (لم ترالى الذين نافقوا) يعني أظهر واخلاف ما أضمر واوهم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني اليهود من بني قريظة وبني النضير وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم (لئن أخرجتم) أي من المدينة (لنخرجن معكم) أي منها (ولا نطيع فيكم أحدا أبدا) يعني ان سألنا أحد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم (وان قوتلم لننصرنكم) أي لنعيننكم ولنقاتلن معكم (والله يشهد انهم) يعني المنافقين (لكاذبون) أي فيما قالوا وعدوا ثم أخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان الامر كذلك فانهم أخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم (ولئن نصرهم ليولن الادبار) يعني لو قدر وانصروهم أو لو قصد وانصر اليهود لولوا الادبار منهزمين (ثم لا ينصرون)

أقول ما قولنبيه الله وتلا هذه الآية ثم عجب بنبيه بقوله (لم ترالى الذين نافقوا) أي الم تر يا محمد الى عبد الله ابن أبي وشياعه) يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني بنى النضير والمراد اخوة الكفر (لئن أخرجتم) من دياركم (لنخرجن معكم) روى ان ابن أبي وأصحابه دسوا الى بنى النضير حين حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم لانخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لانخذلكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم (ولا نطيع فيكم) في قتالكم (أحدا أبدا) من رسول الله والمسلمين ان جئنا عليا أو في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصر (وان قوتلم لننصرنكم) والله يشهد انهم لكاذبون) في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصرهم ليولن الادبار ثم لا

ينصرون) وانما قال ولئن نصرهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرون على الفرض والتقدير كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود ليهزم من المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أوليهزم من اليهود ثم لا تنفعهم نصره المنافقين

(لأنتم أشد رهبة) أي أشد صر هو بية مصدر رهب المبني للمفعول وقوله (في صدورهم) دلالة على نفاقهم. يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم (من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون) لا يعلمون (٣٦٩) الله وعظمته حتى يخشوه حتى خشيته

(لا يقاتلونكم) لا يقدر

على مقاتلتكم (جميعاً)

مجتمعين يعني اليهود

والمنافقين (ال) كائنين

(في قرى محصنة) بالخنادق

والدروب (أومن وراء

جدر) جدار مكي وأبو

عمرو (بأسهم بينهم

شديد) يعني أن البأس

الشديد الذي يوصفون به

انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو

قاتلواكم لم يبق لهم ذلك البأس

والشدة لان الشجاع يجبن

عند محاربة الله ورسوله

(تحسبهم) أي اليهود

والمنافقين (جميعاً) مجتمعين

ذوي ألفة واتحاد) وقولهم

شئ) متفرقة لألفه بينها

يعني أن بينهم احنا وعداوات

فلا يتعاضدون حتى

التعاضد وهذا تجسير

للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم

على قتالهم (ذلك) التفرق

(بانهم قوم لا يعقلون) أن

تشقت القلوب مما يوهن

قواهم ويعين على أرواحهم

(كمثل الذين من قبلهم)

أي مثلهم كمثل أهل بدر

خفف المبتدا (قريباً)

أي استقر من قبلهم زمناً

قريباً (ذاقوا وبال أمرهم)

سوء عاقبة كفرهم

وعداوتهم لرسول الله صلى

يعني بني النضير لا يصبرون منصورين اذا انهزم ناصرهم (لأنتم) يعني يامعشر المسلمين (أشدرهبة في صدورهم من الله) أصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى أنهم يرهبونكم ويخافون منكم أشد من رهبتهم من الله (ذلك) أي الخوف منكم (بانهم قوم لا يفقهون) يعني عظمة الله تعالى (لا يقاتلونكم جميعاً الا في قرى محصنة) أي لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى (أومن وراء جدار) وقرى جدر (بأسهم بينهم شديد) أي بعضهم فظ على بعض أو عداوة بعضهم بعضاً شديدة وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديدة فاذا خرجوا اليكم فهم أجبن خاق الله (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى) أي متفرقة مختلفة قال قتادة أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة أعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق وقيل أراد أن دين المنافقين وآراءهم يخالف دين اليهود وآراءهم (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) ثم ضرب لليهود مثلاً فقال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريباً) يعني مشركي مكة (ذاقوا وبال أمرهم) يعني القتل بيدرو كان ذلك قبل غزوة بني النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سستان (ولهم عذاب أليم) أي في الآخرة ثم ضرب مثلاً آخر للمنافقين واليهود جميعاً في تخاذلهم وتخلى بعضهم عن بعض فقال تعالى (كمثل الشيطان) أي مثل المنافقين مع بني النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان (اذقال للانسان اكفر) وذلك ما روى عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس أعياه في أمره الحيل فجمع ذاب يوم مردة الشياطين وقال ألا أحد منكم يكفيني أمر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فلحقه جبريل عابه السلام فدفعه الى أقصى أرض الهند لابليس أناأ كفيك أمره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينقل عن صلاته الا في كل عشرة أيام ولا يفطر الا في كل عشرة أيام مرة فامسأرأي الابيض أنه لا يجيبه أقبيل على العبادة في أصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلته انطلق من صومعته فرأى الابيض قائماً يصلي في هيئة الرهبان فامسأرأي ذلك في حاله ندم في نفسه أي لام نفسه حين لم يجبه فقال له انك ناديتني وكنت مستغلاً عنك فاحاجتك قال الابيض حاجتي اني جئت لاكون معك فأتأدب بآدابك وأقتبس من عملك ونجتم على العبادة فتدعولي وأدعوك قال برصيصا اني شغل عنك فان كنت مؤمناً فان الله سيجعل لك فيما للمؤمنين نصيباً ان استجاب لي ثم أقبيل على صلته وترك الابيض وأقبيل الابيض يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا ربعين يوماً فلما انفتل بعد هارآه قائماً يصلي فامسأرأي برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال ما حاجتك قال له حاجتي أن تأذن لي فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته فاقام حولاً لا يفطر الا في كل أربعين يوماً مرة ولا ينقل عن صلته الا كذلك ور بما مد الى الثمانين فامسأرأي برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه وأعجبه شأن الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا اني منطلق فان لي صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهاداً مما رأيت وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقتهم لما رأى من كثرة اجتهاده ولما ودعه الابيض قال له ان عندي دعوات أعلمكها تدعوهم فهو خير لك مما أنت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا أنا كره هذه المنزلة لان في نفسي شغلاً وانى أخاف ان علم الناس شغلاوني عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى عامه ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال قد والله أهلك الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض

الله عليه وسلم من قولهم كلا وبيل وخيم سبي العاقبة يعني ذا قوا عذاب القتل في الدنيا (ولهم عذاب أليم) عذاب النار (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر



لرجل خنقه ثم جاء في صورة رجل متطيب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا فاعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يند فقال  
 لهم اني لا أقوى على جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعوا لله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده  
 الاسم الذي اذادعاه اوجب قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعابتك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان  
 الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من  
 بنات ماوك بنى اسرائيل ولها ثلاثة اخوة وكان أبوهم هو الملك فامامات استخاف أخاه فكان عم تلك الجارية  
 ملك بنى اسرائيل خنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان يأتي الناس في صورة متطيب فقال لهم اعالجهما قالوا نعم  
 فقال ان الذي عرض لها ما رد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى من تشقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها  
 دعاه فاذا علمتم انها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا ان يبيننا الى هذا  
 وهو أعظم شأن من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا  
 فضعوها في صومعتها وقولوا له هذه امانة عندك فاحتسب أمانتك قال فانطلقوا فسألوه ذلك فابى عليهم فبنوا  
 صومعة على ما أمرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة  
 عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انقفل برصيصا عن صلواته حتى عاين الجارية وما هي عليه من الجمال  
 فوقع في قلبه ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان خنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان  
 عنها ثم أقبل برصيصا على صلواته فجاءها الشيطان خنقها فكانت تكشف عن نفسها وتعرض لبرصيصا فجاءه  
 الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجدها مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها  
 فلم يزل كذلك ياتيها حتى حلت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد اقتضحت فهل لك أن تقتلها  
 وتتوب فان سألك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقف عليها فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء  
 الشيطان وهو يدفنها بالليل فاخذ بطرف ازارها فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته وأقبل  
 على صلواته اذ جاء اخوتها يتعاهدون أختهم وكانوا يجيئون في بعض الايام يسألون عنها يوصونه بها فقالوا  
 يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم  
 مكرويون جاء الشيطان الى أكبرهم في منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانته دفنها في  
 موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان ان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر  
 به فانطلق الشيطان الى أوسطهم فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به أحدا فانطلق الى أصغرهم بمثل  
 ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط أنا والله قد رأيت مثله فقال الاكبر وأنا  
 والله قد رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا فقال أليس قد أعلمتكم بحالها  
 فكانكم قد أهتمتموني فقالوا والله لا نهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحك انما  
 مدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خرج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوه في النوم  
 فمشوا في موابيهم وغامتهم معهم القوس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا وأزولوها وكتفوه ثم انطلقوا  
 به للملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان أتاه فوسوس له فقال له قتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمران  
 قتل ومكابرة اعترف فاعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا  
 أترفتي فقال لا قال أنا صاحبك الذي علمت الدعوات وكنت اذادعوت بهن يستجاب لك ويحك  
 ما اتقيت الله في أمانتك خنت أهلها وانك زعمت انك أعبد بنى اسرائيل أما استحييت فلم يزل يعيره ويعنفه  
 حتى قال في آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس وفضحت  
 نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح أبدا ولن يفلح أحد من نظرائك قال فكيف أصنع قال تطيعني في  
 خصلة واحدة حتى أخلصك مما أنت فيه فاخذ باعيتهم وأخرجك من مكانك قال وماهي قال تسجد لي قال

فلما كفر قال انى برى  
منك انى أخاف الله رب  
العالمين (أى مثل المنافقين  
فى اغرائهم اليهود على القتال  
ووعدهم اياهم النصر ثم  
متاركتهم لهم واخلافهم  
كمثل الشيطان اذ استغوى  
الانسان بكيد ثم تبرأ منه  
فى العاقبة وقيل المراد  
استغواؤه قريشا يوم بدر  
وقوله لهم لا غالب لكم اليوم  
من الناس وانى جار لكم  
الى قوله انى برى منكم  
(فكان عاقبتهم) عاقبة  
الانسان الكافر والشيطان  
(أنهما فى النار خالدن فيها)  
عاقبتهم اخبر كان مقدم  
وأن مع اسمها وخبرها  
أى فى النار فى موضع  
الرفع على الاسم وخالدن  
حال (وذلك جزاء الظالمين  
يا أيها الذين آمنوا اتقوا  
الله) فى أوامره فلا  
تخالفوها (ولتنظر نفس  
نكر النفس تقليلا للنفس  
النواظر فيما قدم من الآخرة  
(ما قدمت لغد) يعنى يوم  
القيامة سها باليوم الذى  
يلى يومك تقر بباله أو عبر  
عن الآخرة بالغد كأن الدنيا  
والآخرة نهاران يوم وغد  
وتكبيره لتعظيم أمره أى  
لغد لا يعرف كنهه لعظمه  
وعن مالك بن دينار  
مكتوب على باب الجنة  
وجدنا ما علمنا نرجحنا ما قدمنا  
خسرنا ما خلفنا (واتقوا

ما أستطيع أفعل قال بطرفك افعل فسجد له برصيصة فقال يا برصيصة هذا الذى أردت منك صارت عاقبة  
أمرك الى ان كفرت بربك (فلما كفر قال انى برى منكم انى أخاف الله تعالى) قال الله تعالى (فكان  
عاقبتهم) يعنى الشيطان وذلك الانسان (أنهما فى النار خالدن فيها وذلك جزاء الظالمين) قال ابن عباس  
ضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة وذلك ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله  
عليه وسلم باجلاء بنى النضير فهدس المنافقون الى اليهود وقالوا لا نجيبوا محمدا الى ما دعاناكم ولا نخرجوا  
من دياركم فان قاتلكم فانامعكم وان أخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم ودر بواعلى حصونهم وتحصنوا فى  
ديارهم رجاء نصر المنافقين فدخلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصة واخذله فكان عاقبة  
الفر يقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون فى بنى اسرائيل الا بالتيقن والسكتان  
وطمع أهل الفسق والفجور فى الاحبار ورموهم بالهتان والقبیح حتى كان من أمر جريج الراهب ما كان  
فلما برأه الله مما رموه به من الزنا انبسط الرهبان بعده وظهر للناس وكانت قصة جريج على ما روى عن  
أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب  
جريج وكان جريج رجلا صالحا عبدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه وهو يصلى فيها فقالت يا جريج  
فقال يارب أمى وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته فقالت يا جريج فقال يارب أمى  
وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته فقالت يا جريج فقال يارب أمى وصلاتى فاقبل  
على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر فى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريج وعبادته  
وكانت امرأة بنى يثمل بحسنها معهم فقالت ان شتمت لافتنته لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فانت راعيا  
كان يابى الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأوثه فاستنزله  
وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ماشا أنكم فقالوا زينت به هذه البنى فولدت منك فقال ابن الصبي  
جاؤا به فقال دعونى حتى أصلى فصلى فاما انصرف أتى الصبي فظعن فى بطنه وقال يا غلام من أبوك قال  
فلان الراعى قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له بنى لك صومعتك من ذهب قال أعيدها  
من طين كما كانت ففعلوا و بينا صبي يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارها ذوشارة حسنة فقالت  
أمه اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدي وأقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلنى مثل هذا ثم أقبل على  
بديه فجعل يرضع قال فكافى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكى ارتضاعه باصبعه السبابة  
فى فيه فجعل يعضها قال ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زينت وسرقت وهى تقول حسبى الله ونعم  
الوكيل فقالت أمه اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلنى مثلها فهناك تراجع  
الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لا تجعلنى مثله ومر واهذه  
الامة وهم يضربونها وهم يقولون زنت وسرقت فقلت اللهم لا تجعل ابنى مثله فقلت اللهم اجعلنى مثله  
فقال ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلنى مثله وان هذه يقولون لها زنت ولم تزن وسرقت ولم  
تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلهما أخرجه مسلم بتمامه وهذا الفقه وأخرجه البخارى مفرقا حديث جريج  
تعليقا وحديث المرأة أو ابنا خاصة المومسات الزواني جمع مومسة وهى المرأة الفاجرة والبنى الزانية أيضا  
وقوله يثمل بحسنها أى يتعجب منه ويضرب به المثل وقوله ذوشارة حسنة أى صاحب جمال ظاهر فى الهيئة  
والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتى المتكبر القاهر للناس وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا  
الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى لينظر أحدكم أى شئ قدم لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه أم سيئا  
يوقه والمراد بان غد يوم القيامة وقر به على الناس كان يوم القيامة يأتى غدا وكل ما هو آت فهو قريبا (واتقوا

الله) كرر الامر بالتقوى تأكيداً واتقوا الله في أداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجرى مجرى الوعيد وقوله (ان الله خبير بما تعملون) فيه نحر يض على المراقبة لان من علم وقت فعله ان الله مطلع على ما يركب من الذنوب بمنع عنه (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا ذكرا لله عز وجل وما أمرهم به (فانساهم أنفسهم) فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق (أولئك هم الفاسقون) الخارجون عن طاعة الله (٢٧٢) (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) هذا تنبيه

الله ان الله خبير بما تعملون) قيل كرر الامر بالتقوى تأكيداً وقيل معنى الاول اتقوا الله في أداء الواجبات ومعنى الثاني واتقوا الله فلا تأتوا المنهيات (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أى تركوا أمر الله (فانساهم أنفسهم) أى أنساهم حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيراً ينفعها عنده (أولئك هم الفاسقون لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) لما أرشد المؤمنين الى ما يصلحهم بقوله وتتنظر نفس ما قدمت لغده وهدد الكافر ين بقوله نسوا الله فانساهم أنفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لا يستوى أصحاب النار يعنى الذين هم فى العذاب الدائم وأصحاب الجنة يعنى الذين هم فى النعيم المقيم ثم أتبعه بقوله أصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزاً عظيماً ﴿ قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) قيل معناه انه لو جعل فى الجبل تمييزاً وعقلاً كما جعل فىكم وأنزل عليه القرآن لخشع أى نطأ ونطأ وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع صلابته ورزاقته مشقق من خشية الله وحذر من ان لا يؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والاحكام كأنه لم يسمعها ووصفه بقساوة القلب فهو غافل عما يتضمنه القرآن من المواعظ والامثال والوعود والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما لا يجب باحسن بيان وأوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه وأوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية الا ان يخاف الله تعالى له تمييزاً وعقلاً يدل على انه تمثيل قوله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) أى الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم ولما وصف القرآن بالعظم أتبعه بوصف عظمته فقال تعالى (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى أعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى فى علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة (هو الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناه هادى والرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان احسانه تعالى فى الدنيا يعنى المؤمن والكافر وفى الآخرة يختص احسانه وانعامه بالمؤمنين (هو الله الذى لا اله الا هو الملك) أى المتصرف بالامر والنهى فى جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وادارته (القدوس) أى الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذى كثرت بركته (السلام) أى الذى سلم من النقائص وكل آفة نلحق الخلق فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يلىق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما ان القدوس اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقائص فى الماضى والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شئ من العيوب والنقائص فى المستقبل فان الذى يطرأ عليه شئ من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سلباً وقيل السلام أى سلم خلقه من ظلمه (المؤمن) قال ابن عباس هو الذى آمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به

للناس وايدان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على ايشار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابها وان الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الاليم مع أصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى البر والتعطف وقد استدل الشافعية بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وقد أجبتنا عن مثل هذا فى اصول الفقه والكافى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) أى من شأن القرآن وعظمته أنه لو جعل فى الجبل تمييزاً وانزل عليه القرآن لخشع أى لخشع ونطأ ونطأ وتصدع أى تشقق

من خشية الله وجائز ان يكون هذا تمثيلاً كما فى قوله انا عرضنا الامانة و يدل عليه قوله (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وهى اشارة الى هذا المثل والى أمثاله فى مواضع من التنزيل والمراد توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة خشعته عند تلاوة القرآن وتبدد قوارعه وزواجره ثم رد على من أشرك وشبهه بخلق فقال (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) أى السر والعلانية أو الدنيا والآخرة والمعدوم والموجود (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك) الذى لا يزول ملكه (القدوس) المنزه عن القبايح وفى تسيب الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح (السلام) الذى سلم الخلق من ظلمه عن الزجاج (المؤمن) واهب الامن

من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما وعد الكافرين من العذاب (المهيمن) قال ابن عباس أى الشهيد على عباده بما هممهم الذى لا يغيب عنه شئ وقيل هو القائم على خلقه برزقه وأنشد فى معناه

ألا ان خير الناس بعد نبيه \* مهيمنه التاليه فى العرف والنكر

أى القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضى وقيل هو بمعنى الامين والمؤمن وقيل بمعنى العلى ومنه قول العباس بمدح النبي صلى الله عليه وسلم فى أبيات منها حتى احتوى بيتك المهيمن من \* خندف عليا زانها النطق وقيل المهيمن اسم من أسماء الله تعالى هو أعلم بتأويله وأنشدوا فى معناه

جل المهيمن عن صفات عبيده \* ولقد تعالى عن عقول أولى النهى

راموا بزعمهم صفات مليكهم \* والوصف يحجز عن مليك لا يرى

(العزيز) أى الذى لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر (الجبار) قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمتة فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعنى الذى يغنى الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغنى كل فقير وقيل هو الذى يجبر الخلق ويقهرهم على ما أراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذى إذا أراد أمر ففعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذى لا ينال ولا يدانى والجبار فى صفة الله تعالى صفة مدح وفى صفة الناس صفة ذم وكذلك (المتكبر) فى صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والنذلة فاذا أظهر الكبر كان كذا باقى ففعله فكان مذموماً فى حق الناس وأما المتكبر فى صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال فى آخر الآيات (سبحان الله عما يشركون) كأنه قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا فى حقه أما الله تعالى فله العلو والعظمة والعز والكرامه فان أظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذى تكبر برؤيته فلا شئ مثله وقيل هو الذى تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما يليق بحمالة وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر الكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحانه الله عما يشركون أى من ادعاء الكبر لانفسهم (هو الله الخالق) أى المقدر لما يوجد فهو سبحانه وتعالى قدر أفعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع الى الارادة وقيل المقدر لقلب الشئ بالتدبير الى غيره (البارئ) أى المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود (المصور) أى الذى يخلق صورة الخلق على ما يريد وقيل معناه الممثل للمخالقات بالعلامات التى تميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ المنشئ لما يريد بخلقه فيظهره من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وأنشأه على صور مختلفة وأشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فالو لا يكون خلقاً ثم برأ ثم تصويراً وإنما قدم الخالق على البارئ لان تأثير الارادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان إيجاد الذات مقدم على إيجاد الصفات (له الاسماء الحسنى) يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) عن معقل بن يسار رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات فى ذلك اليوم مات شهيداً ومن قاطها حين يمسي كان كذلك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب والله أعلم

﴿سورة الممتحنة مدنية﴾

وهي ثلاث عشرة آية وثلاثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف

وعن الزجاج الذى أمن الخلق من ظلمه والمؤمن من عذابه من أطاعه (المهيمن) الرقيب على كل شئ الحافظ له مفعيل من الامن الآن همزته قلبت هاء (العزيز) الغالب غير المغلوب (الجبار) العالى العظيم الذى يذل له من دونه أو العظيم الشأن فى القدرة والسلطان أو القهار ذو الجبروت (المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) زه ذاته عما يصفه به المشركون (هو الله الخالق) المقدر لما يوجد (البارئ) الموجود (المصور) فى الارحام (له الاسماء الحسنى) الدالة على الصفات العلى (يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) ختم السورة بما بدأه عن أبى هريرة رضى الله عنه سألت حبيبي رسول الله صلى الله عليه

(بسم الله الرحمن الرحيم) روى ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها مسلمة جئت لاقال أمها جرة جئت لاقال فجاء بك قالت احتجت حاجة شديدة فحث عليها بنى عبدالمطلب فكسوها وجعلوها وزودوها فانها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاه عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى أهل مكة نسختها من حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة إماموا ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا و عمر وطلحة والزبير (٢٧٤) والمقداد وأبامرد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) الآية (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اوازير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها طعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا متعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالطعينة فقلنا أخر جي الكتاب فقالت مامعي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس من المشركين من أهل مكة فبحرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لاتجعل علي اني كنت امرأ ملصقا في قر يش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمونها أهلهم وأموالهم بمكة فاحببت اذا فاني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يد يحمونها بها قرابتي وما فعلته كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا أرضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدر او ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا عدوي وعدوكم أولياء الى قوله سواء السبيل روضة خاخ موضع بقرب حمراء الاسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول أصح والطعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها اليهودج والعقاص الشعر المصفور قال المفسرون نزلت هذه الآية في حاطب بن أبي بلتعة كما جاء في الحديث وذلك ان سارة مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبدمناف أتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمة جئت لاقال أمها جرة جئت لاقال فجاء بك قالت احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها أين أنت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وفعة بدر فحث عليها بنى عبدالمطلب فكسوها وجعلوها فانها حاطب بن أبي بلتعة حليف بنى أسد بن عبد العزى فكتب معها الى أهل مكة وأعطاه عشرة دنانير وكساها بردا على أن توصل الكتاب الى أهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وأبامرد ففرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها طعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فخذوه منها واخلوا سبيلها وان لم تدفعه اكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها أين الكتاب فخلت بالله مامعها من كتاب فبحسوا وفتشوا وامتاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي

طعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها واخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال لها أخر جي الكتاب أو تضي رأسك فاخرجته من عقاص شعرها وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الأرب بعنهى أحدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما جئتك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قر يش ولم أكن من أنفسهم وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمونها أهلهم وأموالهم غيري فغشيت على أهلي

والله

فأردت أن اتخذ عندهم يد او قد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيأ فصدقه وقيل

عذره فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه فنزل (يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) عدوي اتخذ الى مفعولي و عماد عدوي وأولياء والعدو فقول من عداك عفوا عنه على زنة المصدر أو وقع على الجمع ايقاعه على الواحد

وفيه دليل على ان الكبيرة لاتسلب اسم الايمان

(تلقون) حال من الضمير في لاتخذوا واتخذوا بالموودة زائدة مؤكدة للتعدي كقوله ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة وأثبتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الموودة التي بينكم وبينهم (وقد كفروا) حال من لاتخذوا أو من تلقون أي لاتتولم أو توادونهم وهذه حالهم (بما جاءكم من الحق) دين الاسلام والقرآن (مخرجون الرسول وإياكم) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم وأحال من كفروا (أن تؤمنوا) تعليل ليخرجون أي يخرجونكم من مكة لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) متعلق ب لاتخذوا أي لاتتولوا أعدائى ان كنتم أولياى وقول النحو بين في مثله (٢٧٥) هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه (جهاد فى سبيلى) مصدر فى موضع الحال أى ان كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى (وابتغاء مرضاتى) ومتبعين مرضاتى (تسرون اليهم بالموودة) أى تقضون اليهم بؤدتكم سرا وتسرون اليهم أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الموودة وهو استئناف (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) والمعنى أى طائل لكم فى أسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان فى علمى وأنا مطلع رسولى على ما تسرون (ومن يفعله) أى هذا الاسرار (منكم) فقد ضل سواء السبيل) فقد أخطأ طريق الحق والصواب (ان يتفقوا) أى يظفروا بكم ويمكنوا منكم (يكونوا لكم أعداء) خالصى

والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل السيف وقال اخرجى الكتاب والالاجردك ولا ضرب بن عنقك فإسارات الجد أخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته فى شعرها فلما سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لماعها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإسارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حلك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غشيتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غر بيا منهم وكان أهلى بين ظهرانيهم فخشيت على أهلى فاردت أن أتخذلى عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم بأسه وان كتابى لا يغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك با عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله فى شأن حاطب بن أبى بلتعبة يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا عدوى وعدوكم أولياء يعنى أصدقاء وأنصارا (تلقون اليهم بالموودة) أى بسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالموودة التي بينكم وبينهم (وقد كفروا) أى وحاطبهم انهم كفروا (بما جاءكم من الحق) يعنى القرآن (مخرجون الرسول وإياكم) يعنى من مكة (ان تؤمنوا) أى لان آمنتم كأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم (جهاد فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) فلاتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴿ وقوله (تسرون اليهم بالموودة) أى بالنصيحة (وأنا أعلم بما أخفيتم) أى من الموودة للكفار (وما أعلنتم) أى أظهرتم بالستكم منها (ومن يفعله منكم) أى الاسرار والبقاء الموودة اليهم (فقد ضل سواء السبيل) أى أخطأ طريق الهدى ثم أخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى (ان يتفقوا) أى يظفروا بكم ويردكم (يكونوا لكم أعداء) ويسطوا اليكم أيديهم وأستنتهم بالسوء) أى بالضرب والقتل والشتم والسب (وودوا) أى تمنوا (لو تكفرون) أى ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى أن أعداء الله لا يتخلصون الموودة ولا يباينوا صحبهم لمساينهم من الخلف فلاتناصحوهم أتم ولا توادوهم (ان تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) أى لا يدعونكم ولا يحملنكم ذوا وأرحامكم وقراباتكم وأولادكم الذين بمكة الى خيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل أخبارهم وموالة أعدائهم فإنه لاتنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتهم الله لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) أى يدخل

العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أتم (ويسطوا اليكم أيديهم وأستنتهم بالسوء) بالقتل والشتم (وودوا لو تكفرون) وتمنوا لو تردون عن دينكم فإذموادة أمناهم خطأ عظيم منكم والماضى وان كان يجزى فى باب الشرط مجرى المضارع فففيه نكتة كأنه قيل وودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعنى انهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل النفس وتزريق الاعراض وردكم كفارا أسبق المضارع عندهم وأوطأ العلمهم ان الدين أعز عليكم من أرواحكم لانكم بذالون لها دونها والعدو أهم شئ عنده ان يقصد أهم شئ عند صاحبه (ان تنفعكم أرحامكم) قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون الكفار من أجلهم وتقر بون اليهم بحمامة عليهم ثم قال (يوم القيامة يفصل بينكم) وبين أقراركم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فى الكفر فرفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا يفصل عاصم يفصل حزة وعلى والفاعل هو الله عز وجل يفصل ابن ذكوان غيرهم يفصل

(والله بما تعملون بصير) فيجاز بكم على أعمالكم (فد كانت لكم أسوة) قدوة في التبرىء من الأهل (حسنة في إبراهيم) أي في أقواله وخطبه استثنى منها الأقوال إبراهيم (والذين معه) من المؤمنين وقيل كانوا أنبياء (اذ قالوا لقومهم انابر آء منكم) جمع برىء كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنابكم وبدائيننا وبينكم العداوة) بالافعال (والبغضاء) بالقلوب (أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده) حينئذ نترك عداوتكم (الاقول إبراهيم لايه لاستغفرن لك) وذلك لموعدة وعدها اياه أي اقتدوا به في أقواله ولاننا سوا به في الاستغفار لايه الكافر (وما أملك لك من الله من شئ) أي من هداية ومغفرة وتوفيق وهذه الجملة لا تليق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فغن يملك لكم من الله شياً ولكن المراد استثناء جملة قوله لايه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له كأنه قال استغفر لك وما في طافتي الا الاستغفار (ربنا عليك توكلنا) متصل بما قبل الاستثناء وهو من : (٢٧٦) جملة الاسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء أمر من الله للمؤمنين بان

يقولوه (واليك أنبنا) أقبلنا (واليك المصير) المرجع (ربنا لتجعلنا فتنة للذين كفروا) أي لاتسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) أي الغالب الحاكم (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) ثم كرر الحث على الاتساء بإبراهيم عليه السلام وقومه تقرأ وتنا كيداعليهم ولذا جاء به مصدر بالقسم لانه الغاية في التأكيد وأبدل من قوله لكم قوله لمن كان يرجوا الله أي نوابه أي يخشى الله وعقبه بقوله (ومن يتول) يعرض عن أمرنا ووال الكفار (فان الله هو الغنى) عن الخلق (الحديد) المستحق للحمد فلم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الآيات

أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار (والله بما تعملون بصير) قوله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم) يخاطب حاطبا والمؤمنين ويأمرهم بالقتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام (والذين معه) أي من أهل الايمان (اذ قالوا لقومهم) يعني المشركين (انابر آء منكم) جمع برىء (ومما تعبدون من دون الله كفرنابكم) أي نخذناكم وأنكرنا دينكم (وبدائيننا وبينكم العداوة والبغضاء) أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده والمعنى ان إبراهيم عليه السلام وأصحابه تبرؤا من قومهم وعادوهم لكفرهم فامر حاطبا والمؤمنين ان يتأسوا بهم (الاقول إبراهيم لايه لاستغفرن لك) يعني لكم ان تتأسوا بإبراهيم في جميع أموره الا في الاستغفار لايه المشرك فلا تتأسوا به فان إبراهيم كان قد قال لايه لاستغفرن لك فلما تبين له اقامته على الكفر تبرأ منه (وما أملك لك من الله من شئ) هذا من قول إبراهيم لايه يعني ما أغنى عنك ولا دفع عنك عذاب الله ان عصيته وأشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء إبراهيم ومن معه من المؤمنين (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) بنا لتجعلنا فتنة للذين كفروا) أي لا تظهرهم علينا فيفتنونا أنهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا يا أيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) لقد كان لكم فيهم (أي ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) أي يعرض عن الايمان ووال الكفار (فان الله هو الغنى) أي عن خلقه (الحديد) أي الى أهل طاعته وأولياؤه فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون أقر باءهم المشركين وأظهر وألهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فانزل الله تعالى (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم) أي من كفار مكة (مودة) ففعل الله تعالى ذلك بان أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء واخوانا وخاطوهم وناكحوهم وترزح النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان ولان لهم أبو سفيان (والله قدبر) أي على جعل المودة بينكم (والله غفور رحيم) أي لمن ناب عنهم وأسلم ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أي لاينهاكم الله عن البر الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) أي وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحد افرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت في أمه وهي أسماء

وتشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع أقرابهم من المشركين أطمعهم في تحول الحال الى خلافه فقال (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم) أي من أهل مكة من أقرابكم (مودة) بان يوفقههم للايمان فاصابهم فتح مكة أظهرهم الله بامنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم التحاب وعسى وعد من الله على عادات اللوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أولعل فلان تقي شبهة للمحتاج في تمام ذلك أو أريد به اطعام المؤمنين (والله قدبر) على قلب القلوب ونحوه من الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن أسلم من المشركين (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) تكرموهم وتحسنوا اليهم قولا وفعلوا وحل أن تبروهم جز على البديل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتغال والتقدير عن البر الذين (وتقسطوا اليهم) وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم واذانهم عن الظلم في حق المشرك فكيف في حق المسلم (ان الله يحب المقسطين

بنت أبي بكر وذلك أن مهاقتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا صبا باو قرصا وسمناوهي  
 مشركة فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا ندخلي على بيتا حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فسأته فانزل الله تعالى هذه الآية فامر هار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزها وأن تقبل هديتها  
 وتكرمها وتحسن إليها (ق) عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما قالت قدمت على أمي  
 وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان أمي قدمت على وهي راغبة افاصلها قال نعم صليها زاد في رواية قال ابن عيينة  
 فانزل الله فيها لا ينهها كم الله عن الذين لم يقاتلواكم في الدين ثم ذكروا الله الذين نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى  
 (انما ينهها كم الله عن الذين قاتلواكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهر واعلى اخرجكم) وهم مشركوا  
 مكة (أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات  
 مهاجرات فامتحنوهن) الآية (خ) عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يجبران عن  
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو وعلى  
 النبي صلى الله عليه وسلم انه لا ياتيكم منا أحد وان كان على دينك الا ردته الينا واخليت بيننا وبينه وكره  
 المؤمنون ذلك وأبي سهيل الا ذلك فكانت النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى أبيه  
 سهيل بن عمرو ولم يات به أحد من الرجال الا ردته في تلك المددة وان كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت  
 أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهي عاتق جفاء أهلها  
 يسألون عنها النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعها اليهم فلم يرجعها حتى أنزل الله في من اذا جاءكم المؤمنات  
 مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن الى ولاهم يحلون لهن قال عروة فاخبرني عائشة أن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت  
 عائشة فمن أقرت بهذا الشرط منهن قال طار رسول الله صلى الله عليه وسلم قديا بعثت كلاما يكلمها والله  
 ما مست يده بد امرأة قط في المباينة ولا يبعهن الا بقوله وقال ابن عباس أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركا مكة على ان من أتاه من أهل مكة رده اليهم ومن أتى مكة من  
 أصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وخنمو عليه جفأت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسامة بعد فراغ  
 الكتاب وأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صبي بن الزاهد في طلبها وهو كافر فقال يا محمد  
 اردد علي امرأتي فانك قد شرطت أن ترد علي من أتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف بعد فانزل الله يا أيها  
 الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات أي من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس  
 امتحنها أن تستخلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن أرض الى أرض ولا حدث أحدثته ولا التماس  
 دنيا وما خرجت الارغبة في الاسلام وحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حلفت على ذلك لم يرد لها  
 فاستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فلم يرد لها وأعطى زوجها مهرها وما نفق عليها فترجها  
 عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله يا أيها النبي الذين آمنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي تولى  
 امتحانهم بنفسه فكان يسلك من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطى أزواجهن مهورهن ويرد من جاء  
 من الرجال واختلف العلماء هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظا أو عموما فليل قد كان شرط ردهن  
 في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وأبقاه في الرجال على ما كان في  
 العقد وقيل لم يشترط ردهن في العقد لفظا صريحا وانما أطلق العهد فكان ظاهره العموم لاشتماله  
 على النساء وعلى الرجال فيبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم

انما ينهها كم الله عن الذين  
 قاتلواكم في الدين وأخرجوكم  
 من دياركم وظاهر واعلى  
 اخرجكم أن تولوهم) هو  
 بدل من الذين قاتلواكم  
 والمعنى لا ينهها كم عن مبرة  
 هؤلاء وانما ينهها كم عن تولى  
 هؤلاء (ومن يتولهم) منكم  
 (فاولئك هم الظالمون)  
 حيث وضعوا التولي غير  
 موضعه (يا أيها الذين  
 آمنوا اذا جاءكم المؤمنات)  
 سماهن مؤمنات لنطقهن  
 بكلمة الشهادة أو لانهن  
 مشارفات لثبات ايمانهن  
 بالامتحان (مهاجرات)  
 نصب على الحال  
 (فامتحنوهن) فابتلوهن  
 بالنظر في الامارات ليغلب  
 على ظنونكم صدق ايمانهن  
 وعن ابن عباس امتحانها  
 أن تقول أشهد أن لا اله الا  
 الله وأن محمدا رسول الله



(الله أعلم بآياتهم) منكم فانكم وان رزتم أحوالهن لاتعلمون ذلك حقيقة وعند الله حقيقة العلم به (فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغائب بظهور الامارات وتسمية الظن علماً يؤذن بان الظن الغالب وما يفضى اليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله ولا تنفد ما ليس لك به علم (فلاترجعوهن الى الكفار) فلاتردوهن الى أزواجهن المشركين (لاهن حل لهم ولاهم يحالون لمن) أى لاجل بين المؤمنة والمشرک لوقوع الفرقة بينهما بخروجهما مسلمة (وأتوهن ما أنفقوا) وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور نزلت الآية بعد صالح الحديدية وكان (٢٧٨) الصالح قد وقع على أن يرد على مكة من جاء مؤمناً منهم فانزل الله هذه الآية ببيان

ان ذلك في الرجال لافي النساء لان المسلمة لاتحل للكافر وقيل نسخت هذه الآية الحكم الاول (ولاجناح عليكم أن تنكحوهن) ثم نفي عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات (اذا آتيتموهن أجورهن) أى مهورهن لان المهر أجزء البضع و به احتج أبو حنيفة رضي الله عنه على ان لا عدة على المهاجرة (ولما نسكوا) بصري (بعصم الكوافر) العصمة ما يعتصم به من عقد وسبب الكوافر جمع كافرة وهي التي بقيت في دار الحرب أو لحقت بدار الحرب مرتدة أى لا يكن ينسك ويبنهن عصمة ولاعلقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بهامن نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتهم منه (واستلوا ما أنفقتم) من مهور

(الله أعلم بآياتهم) أى هذا الامتحان لكم والله أعلم بآياتهم (فان علمتموهن مؤمنات فلاترجعوهن الى الكفار لانهن حل لهم ولاهم يحالون لمن) أى اذا قررن بالايمان فلاتردوهن الى الكفار لان الله لم يبع مؤمنة لكافر (وأتوهن) يعنى أزواجهن (ما أنفقوا) أى عاين من المهر الذي دفعوه اليهن (ولاجناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن) أى مهورهن أباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان لمن أزواج كفار في دار الحرب لان الاسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار ووقعت الفرقة بانقضاء عدتها فان أسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي زوجته و به قال الاوزاعي والليث بن سعد ومالك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين (ولما نسكوا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهي ما يعتصم به من العقد والسبب نهى الله تعالى المؤمنين عن النكاح المشركات يقول الله تعالى وان كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين قر يسة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية ابن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى أم كلثوم بنت عمر و بن جبرول الخزاعية وهي أم ابنه عبيد الله فتزوجها أبو جهنم بن حذافة بن غنم وهما على شركهما وكانت أروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهما جرح طلحة وبقيت هي على دين قومها فرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أبي العاص بن الربيع فأسلمت وهاجرت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأقام أبو العاص بمكة مشركاً ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (واستلوا) أى أيها المؤمنون (ما أنفقتم) يعنى ان لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما أنفقتم من المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم (واستلوا) يعنى المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم (ما أنفقوا) من المهر ممن تزوجها منكم (ذلكم حكم الله بحكم ينسكم والله عليم حكيم) قال الزهري ولولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لأمسك النساء ولم يردوا لصدق وكذلك صنع من جاء من المسلمين قبل العهد فاما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله تعالى وأدوا ما أمروا به من أداء نفقات المشركين على نساءهم و ابى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمر من أداء نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل (وان فاتكم) أيها المؤمنون (شيء من أزواجكم الى الكفار) أى فلاحقن بهم مرتدات (فعاقبتهم) معناه غزوتهم فغنمتم وأصبتم من الكفار عقبي وهي الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم (فاتوا الذين ذهبوا أزواجهم) أى الى الكفار (مثل ما أنفقوا) معناه أعطوا الذين ذهبوا أزواجهم منكم الى الكفار مرتدات مثل ما أنفقوا عليها من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المؤمنين

أزواجكم الا لحقت بالكفار ممن تزوجها (واستلوا ما أنفقوا) من مهور نساءهم المهاجرات ممن تزوجها منا المهاجرين (ذلكم حكم الله) أى جميع ما ذكر في هذه الآية (يحكم ينسك) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أى يحكمه الله أو جعل الحكم كما على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لانا ولا منهم (والله عليم حكيم) وان فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار) وان انفلت أحد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه أحد (فعاقبتهم) فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنتم عن الزناج (فاتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا) فأعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة

المهاجر بن ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد القهري ١ وفاطمة بنت  
 أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فأسأرا د عمر أن مهاجر أبت وارتدت و بروع  
 بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة وتزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت  
 أبي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل وأم كلثوم وكانت تحت عمر بن الخطاب فكهن  
 رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نساءهم من الغنيمة واختلف  
 القول في رد مهر من أسلمت من النساء الى زوجها هل كان واجبا ومندوبا أو أصل هذه المسئلة ان الصالح هل  
 كان وقع على رد النساء أم لافيه قولان أحدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روى انه لا ياتيك  
 من أحد الا ردته ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد  
 المهر واجبا والقول الثاني ان الصلح لم يقع على رد النساء لانه روى عن علي انه قال لا ياتيك من رجل وان كان  
 على دينك الا ردته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك  
 اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت وأكرهت عليها الضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج من الكفر  
 باظهار كلمة الكفر مع التوريقه واضمار كلمة الايمان وطمأنينة القلب عليها ولا يخشى ذلك على الرجل  
 لقوته وهدايته التقية فعلى هذا كان المهر مندوبا واختلفوا في أنه هل يجب العمل به اليوم في رد المال  
 اذا شرط في معاقبة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا أن الآية منسوخة وهم عطاء ومجاهد وقتادة وقال  
 قوم الآية غير منسوخة ويرد عليهم ما أنفقوا ﴿ قوله تعالى ﴾ (واتقوا الله الذي أتم به مؤمنون يا أيها  
 النبي اذا جاءك المؤمنات يبائعنك) الآية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ  
 من بيعة الرجال وهو على الصفا أتته النساء يبائعهن وعمر بن الخطاب أسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت  
 عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أيبعلن (على أن لا يشركن بالله شيئا) فرفعت هندا رأسها وقالت والله انك  
 لتأخذ علينا امرأا ما رأيناك أخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط  
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ولا يسرقن) فقالت هندان أبو سفيان رجل شحيح وانى أصبت من ماله  
 هنت فلا أدري أيحلى لي أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما عرفت فحول لفضحك النبي  
 صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال  
 (ولا يزنين) فقالت هندا ونزني الحرة فقال (ولا يقتلن أولادهن) فقالت هندا والله ان البيهتان  
 كبارا فاتهم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم (ولا ياتين بيهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) فقالت هندا والله ان البيهتان  
 لقبيح وماتا أمرنا بالارشاد ومكارم الاخلاق (ولا يعصينك في معروف) فقالت هندا ماجلسنا مجلسنا هذا  
 وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء فأقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزي وجلة من أحصى من  
 المبايعات أربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يوافق في البيعة امرأة وانما يبائعهن بالكلام (ق) عن عائشة  
 رضيت الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبائع النساء بالكلام بهذه الآية على أن  
 لا يشركن بالله شيئا وما مست بدر رسول الله صلى الله عليه وسلم بد امرأة لا يملكها أو ما تنسب الآية فقوله تعالى  
 ولا يقتلن أولادهن أراد به وأد البنات الذي كان يفعله أهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا  
 ياتين بيهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن يعني لا تلحق المرأة بزوجهما يرولده وذلك ان المرأة كانت تلتقط  
 المولود فتقول لزوجهما هذا ولدي منك فهذا هو البيهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهي  
 عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين أيديهن وأرجلهن ان الولد اذا وضعه الام سقط بين يديها وأرجلها ولا

(واتقوا الله الذي أتم به  
 مؤمنون) وقيل هذا الحكم  
 منسوخ أيضا (يا أيها النبي  
 اذا جاءك المؤمنات يبائعنك)  
 هو حال (على أن لا يشركن  
 بالله شيئا ولا يسرقن ولا  
 يزنين ولا يقتلن أولادهن)  
 يريد وأد البنات (ولا  
 ياتين بيهتان يفترينه بين  
 أيديهن وأرجلهن) كانت  
 المرأة تلتقط المولود فتقول  
 لزوجهما هو ولدي منك  
 كئني بالبيهتان المفترى بين  
 يديها وأرجلها عن الولد  
 الذي تلصقه بزوجهما  
 كذبا لان بطنها الذي تحمله  
 فيه بين اليدين وفرجها  
 الذي تادبه بين الرجلين  
 (ولا يعصينك في معروف)  
 طاعة الله ورسوله

١ قوله فاطمة تقدم ان  
 اسمها قريبة فعلى في اسمها  
 خلافا وذكرا الخطيب آولا  
 أن اسمها قريبة وثانيا  
 فاطمة كما هنا والله أعلم اه

(فبايعهن واستغفرهن الله) عم امضى (ان الله غفور) بتمحيق ما سلف (رحيم) بتوفيق ما اختلف وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل منه يبايعهن عنه بأمره ويلقهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة خوفاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعر فيها المصنوع حمزة فقال عليه السلام أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً فبايع عمر النساء على أن (٤٨٠) لا يشركن بالله شيئاً فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت هندان أباسفيان رجل

شحيح واني أصبت من ماله هندات فقال أبو سفيان ما أصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها وقال لها انك لهند قالت نعم فأعف عم اسلف يا نبي الله قال عفي الله عنك فقال ولا يزنين فقالت وتزني الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن فقالت ريبناهم صفارا وقتاتهم كبارا فاتهم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استاقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين بيهتان فقالت والله ان البيهتان لا مرق قبيح وماتاً مراً لا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جالسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا ان نعصيك في شيء وهو يشير الى ان طاعة الولاة لا تنجب في المنسك (يا أيها الذين آمنوا اتولوا قوماً) قوماً غضب الله عليهم ختم السورة بما بدأ به قيل هم المشركون (قد يشوا

يعصينك في معروف أي في كل ما تأمرهن به أو تنهاهن عنه وقيل في كل أمر وافق طاعة الله وكل أمر فيه رشد وقيل هو النهي عن النوح والدعاء بالويل ونمزيق الثياب وحلق الشعر وتفنه ونجس الوجه وان لا تحدث المرأة الرجال الا جانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تأسر مع غير ذي محرم قال ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله على النساء أخرجه البخاري (ق) عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا أن لا يشركن بالله شيئاً ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت فلانة اسعدتني فانا أريد أن أجزيها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فانطلقت ثم رجعت فبايعها (ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبس منامن ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية عن أسيد بن أسيد عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف الذي أخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجهاً ولا ندعوا ويلاً ولا نشق جيباً ولا نشر شعراً أخرجه أبو داود عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على النساء حين بايعهن ان لا ينحنن فقلن يا رسول الله نساء أسعدتنا في الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعدنا في الاسلام أخرجه النسائي (م) عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذ لم تنب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من حرب وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة أخرجه أبو داود وهو قوله تعالى (فبايعهن) يعني اذا بايعتك على هذه الشروط فبايعهن (واستغفرهن الله ان الله غفور رحيم) عن أمية بنت رقية قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتم وأطعتم قلنا الله ورسوله أرحم بنا منا بانفسنا قالت يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعني صاحبنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتولوا قوماً غضب الله عليهم) يعني من اليهود وذلك ان ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود باخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك (قد يشوا من الآخرة) يعني اليهود وذلك انهم عرفوا محمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوا به فيشوا من أن يكون لهم ثواب أو خير في الآخرة (كبايش الكفار من أصحاب القبور) يعني كبايش الذين ماتوا على الكفر وصاروا في القبور من أن يكون لهم ثواب في الآخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم أو يسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كبايش الكفار من أصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عابنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يشوا من ثواب الآخرة كبايش الكفار من أصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله سبحانه وتعالى أعلم

نفسير سورة الصف وفيها قولان أحدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والناني

انها مكية وهي أربع عشرة آية ومائتان واحد عشر وعشرون كلمة وتسعمائة حرف

من الآخرة) من ثوابها لانهم ينكرون البعث (كبايش الكفار) أي كبايشوا الا أنه وضع الظاهر موضع الضمير (من أصحاب القبور) ان يرجعوا اليهم أو كبايش أسلافهم الذين هم في القبور من الآخرة أي هؤلاء كسلتهم وقيل هم اليهود أي لا تتولوا قوماً مفضوا با عليهم قد يشوا من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة كما يش الكفار من مراثهم ان يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أي كبايش الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم والله أعلم (سورة الصف مدنية وهي أربع عشرة آية)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) روى أنهم قالوا قبل أن يؤمر بالجهاد لو تعلم أحب الاعمال الى الله لعملنا فنزلت آية الجهاد فتباطأ بعضهم فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لم لا تنفعون) لم هي لام الاضافة داخل على الاستفهامية كما دخل عليها غيرهما من حروف الجر في قولك بهم وفيهم وم وعمل والام وعلام وانما حذف الالف لان ما واللام أو غيرها كشيء واحد وهو كثير الاستعمال في كلام المستفهم وقد جاء استعمال لاصل قليلا قال ﴿على ما قام بشتى جرير﴾ والوقف على زيادة هاء السكت أو الاسكان ومن أسكن في الوصل فلا جرته مجرى الوقف (كبر مقتا عند الله أن) (٢٨١) تقولوا ما لافعلون) قصد في كبر التحجيب

من غير لفظه كقوله  
 غلت ناب كليب بوأوها  
 ومعنى التحجيب تعظيم الامر  
 في قلوب السامعين لان  
 التحجيب لا يكون الا من شيء  
 خارج عن نظاره وأسند  
 الى أن تقولوا و نصب مقنا  
 على التمييز وفيه دلالة على ان  
 قولهم ما لا يفعلون مقت  
 خالص لا شوب فيه والمعنى  
 كبر قولكم ما لا تنفعون مقنا  
 عند الله واختير لفظ المقنا  
 لانه أشد البغض وعن  
 بعض السلف أنه قيل له  
 حدثنا فقال أنا مروني أن  
 أقول ما لا أفعل فأستجبل  
 مقت الله ثم أعلم الله عز  
 وجل ما يحبه فقال (ان الله  
 يحب الذين يقاتلون في  
 سبيله صفا) أي صافين  
 أنفسهم مصدر وقع موقع  
 الحال (كانهم بنين  
 مرصوص) لاصق بعضه  
 ببعض وقيل أر يديه  
 استواء نيابهم في حرب  
 عدوهم حتى يكونوا في  
 اجتماع الكلمة كالبنين

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾  
 قوله عز وجل (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا  
 تفعلون) قيل سبب نزولها ما روى عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قدنا نفرا من أصحاب رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله لعملنا فانزل الله تعالى سبح لله ما في  
 السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام  
 فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال المفسرون ان المؤمنين قالوا لعملنا أحب  
 الاعمال الى الله لعملنا ولبلدنا فيها أموالنا وأفسنا فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله  
 صفا وأنزل الله هل أدلكم على تجارة الآيات فابتوا بذلك يوم أحد فلو ما دبر بن وكره الموت وأحبوا الحياة  
 فانزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب أهل بدر قالت  
 الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرضن فيه وسعنا ففر وابتوا يوم أحد فغيرهم الله بهذه الآية وقيل نزلت في شأن القتال  
 كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وأطعمت ولم يطعم وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية وقيل نزلت  
 في المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون (كبر مقتا عند الله) أي عظم بغضا عند الله  
 (أن تقولوا ما لا تفعلون) معناه ان يعدوا من أنفسهم شيئا ولم يفوا به (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله  
 صفا) أي يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أما كنهم (كانهم بنين مرصوص) أي قدرص  
 بعضه ببعض وأزق بعضه الى بعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث تراصوا في الصف ومعنى  
 بالآية ان الله يحب من ثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كشبوت البناء المرصوص ﴿قوله تعالى (واذ قال  
 موسى لقومه) أي واذا كرمي محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بنى اسرائيل (يا قوم لما تؤذوني) قيل انهم كانوا  
 يؤذونه بانواع من الاذى والتعنت منها قولهم أرنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه  
 الادرة (وقد تعلمون أني رسول الله اليكم) يعنى تؤذوني وأنتم علمون علما قطعيا اني رسول الله اليكم  
 والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى (فما زاغوا) أي عدلوا وما وعن الحق (أزاغ الله قلوبهم) أي  
 أمالها عن الحق الى غيره (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي من سبق في علمه بانه فاسق خارج  
 عن طاعته وهداياته وهذا نبيه على عظم ابداء الرسل حتى ان أذاهم يؤدي الى الكفر وزيف القلوب عن  
 الهدى (واذ قال عيسى ابن مريم ابني اسرائيل اني رسول الله اليكم) أي اني رسول أرسلت اليكم بالوصف  
 الذي وصفت به في التوراة (مصدقا لما بين يدي من التوراة) أي اني مقرر معترف باحكام التوراة وكتب الله  
 وأنبيائه جميعا من قد تقدم (ومبشرا برسول يأتي من بعدي) أي يصدق بالتوراة على مثل تصديقي فكانه قيل  
 ما اسمه فقال (اسمه أحمد) عن أبي موسى قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ان يأتوا النجاشي

(٣٣٦ - (خازن) - رابع) الذي رص بعضه الى بعض وهو حال أيضا (واذ) منصوب باذ كر (قال موسى لقومه  
 يا قوم لم تؤذوني) ببحود الآيات والقذف بما ليس في (وقد تعلمون) في موضع الحال أي تؤذوني علمين علما يقينا (أنى رسول الله اليكم)  
 وقضية علمكم بذلك توقيري وتعظيمي لأن تؤذوني (فما زاغوا) ما لواعن الحق (أزاغ الله قلوبهم) من الهداية أو لما تركوا أو امره نزع  
 نور الايمان من قلوبهم أو فلما اختاروا الزيف أزاغ الله قلوبهم أي خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي  
 لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق (واذ قال عيسى ابن مريم ابني اسرائيل) ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه  
 (انى رسول الله اليكم) صدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) أي أرسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني

من التوراة وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدى يعني ان ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا من تقدم وتأخر بعدى يحجازى وأبو عمرو أبو بكر وهو اختيار الخليل وسببوه وانتصب مصدقا ومبشرا بما في الرسول من معنى الارسال (فما جاءهم) عيسى أو محمد عليهما السلام (بالبينات) بالمجرات (قالوا هذا سحر مبين) ساحر حزة وعلى (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين) وأي الناس أشد ظلهما ممن يدعو به على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدار بن فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه (٢٨٢) الذي هو دعاء عبادة الى الحق هذا سحر والسحر كذب وتو به (يريدون ليطفؤا

نور الله بافواههم) هذا تمهم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والمفعول محذوف واللام للتعليل والتقدير ير يدون الكذب ليطفؤوا نور الله بافواههم أى بكلامهم (والله متم نوره) مكى وحزة وعلى وحفص متم نوره غيرهم أى متم الحق ومبلغه غايته (ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) أى الملة الحنيفية (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جميع الاديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فائق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام (ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا اهل ادلكم على تجارة) تنجيكم من عذاب أليم) نزلت هذه الآية حين قالوا لو نعلم أى الاعمال أحب الى الله عز وجل لعملائه وانما سماء تجارة لانهم يريدون فيه رضا الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم) أى الذى أمركم به من الايمان والجهاد في سبيله (ان كنتم تعلمون انفسكم ذنوبكم) هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر والمعنى آمنوا بالله وتجاهدوا في سبيل الله أى اذا فعلتم ذلك

وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول أشهد أن محمدا رسول الله وانه الذى بشر به عيسى ولولا ما أنافيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لانبيته حتى أحل نعليه أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه فقال أبو داود المذنبى قد بقى في البيت موضع قبر أخرجه الترمذى عن كعب الاحبار ان الحوار بين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم يأتي بعدكم أمة حكاء علماء أبرار أتقياء كانهم في الفقه أنبياء برضون من الله بالسير من الرزق ويرضى الله منهم بالسير من العمل (ق) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا ومحمد وأنا أحد وأنا الماسحى الذى يححو الله في الكفر وأنا الحاشم الذى يحشر الناس على قديمى يوم القيامة وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبي وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيا وأحديا يحتمل معنيين أحدهما أنه مبالغة من الفاعل ومعناه أن الانبياء كلهم حادون لله عز وجل وهو أكثر جد الله من غيره والثاني أنه مبالغة من المفعول ومعناه أن الانبياء كلهم محمودون لمافهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مبالغة وأجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق التى يحمد بهما من غيره (فما جاءهم بالبينات) قيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا هذا سحر مبين) أى ظاهر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أى ومن أقبح ظلهما ممن بلغ افتراءه أن يكذب على الله وذلك أنهم علموا أن ما نالوه من نعمة من الله ثم كفروا به (وهو يدعى الى الاسلام) معنى الآية أى الناس أشد ظلهما ممن يدعو به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدار بن فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين (والله لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يوفقهم للهداية لماعلم من حالهم عقوبتهم (يريدون ليطفؤوا نور الله بافواههم) يعنى ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر (والله متم نوره) يعنى متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه (ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) أى ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب ومقهور بدين الاسلام (ولو كره المشركون) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اهل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) نزلت هذه الآية حين قالوا لو نعلم أى الاعمال أحب الى الله عز وجل لعملائه وانما سماء تجارة لانهم يريدون فيه رضا الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم) أى الذى أمركم به من الايمان والجهاد في سبيله (ان كنتم تعلمون انفسكم ذنوبكم) هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر والمعنى آمنوا بالله وتجاهدوا في سبيل الله أى اذا فعلتم ذلك

تنجيكم من عذاب أليم) تنجيكم شامحى (تؤمنون) استئناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو معنى آمنوا عند سببويه ولهذا أوجب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وتجاهدوا وانما سببويه على لفظ الخبر للايدان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين (بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم) أى ما ذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وانفسكم (ان كنتم تعلمون) أنه خير لكم كان خيرا لكم حيثئذ لانكم اذا اعلمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون أموالكم وانفسكم فتفضلحون وتخاصون (يغفر لكم ذنوبكم) قوله قال نعم الخ كذا في نسخة وفي أخرى قال نعم أمة أحد حكاء اه مصحح

ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن) أي إقامة وخلود يقال عدن بالمكان إذا أقام به كذا قيل (ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها) ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) أي عاجل وهو فتح مكة والنصر على قريش أو فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوسيع على محبة العاجل وقال صاحب الكشاف معناه هل أدلكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة أخرى تحبونها ثم قال نصر أي نصر (وبشر المؤمنين) عطف على تؤمنون لأنه في معنى الأمر كأنه قيل آمنوا جاهدوا بئسكم الله ونصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك وقيل هو عطف على قل مراد أقبل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار (٢٨٣) الله) أي أنصار دينه أنصار الله حجازي وأبو عمرو) كما قال عيسى ابن

مرم للحوار بين من أنصاري إلى الله ظاهره تشبيه كونهم أنصار بقول عيسى حين قال لهم من أنصاري إلى الله ومعناه من جندي متوجه إلى نصرته الله ليطابق جواب الحوار بين وهو قوله (قال الحوار يون نحن أنصار الله) أي نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرته والله الحوار يون أصفياء وهم أول من آمن

به وكانوا اثني عشر رجلاً وحواري الرجل صفيه وخالصه من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها (فآمنت طائفة من بني اسرائيل) بعيسى (وكررت

يفسر لكم ذنوبكم) (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم) يعني هذا الجزء الذي ذكره الفوز العظيم (وأخرى تحبونها) أي ولكم تجارة أخرى وقيل لكم خصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة (نصر من الله وفتح قريب) قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح مدائن فارس والروم (وبشر المؤمنين) أي يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحوار بين من أنصاري إلى الله) أي مع الله والمعنى انصروا دين الله كما انصروا ديون دين الله لما قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله (قال الحوار يون نحن أنصار الله) وكانوا اثني عشر رجلاً أول من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام وحواري الرجل صفيه وخالصه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حواري الزبير (فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكررت طائفة) قال ابن عباس في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك أنه لما رفع نفاق قوم ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) أي غالبين وقيل معناه فاصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى روح الله وكلمته والله أعلم

بماده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الجمعة﴾

وهي مدنية واحدة عشر آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الأميين) يعني العرب وكانت العرب أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ حتى بعث فيهم نبي الله وقيل الأمي هو الذي على ما خلق عليه كأنه منسوب إلى أمه (رسولاً منهم) يعني محمد صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل أمياً مثلهم وإنما كان أمياً لأن نعتهم في كتب الأنبياء النبي الأمي وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي والحكمة ولتكون حاله مشاكلاً لحال أمته الذين بعث فيهم وذلك أقرب إلى صدقه (يتلو عليهم آياته) أي التي تبين رسالته وقيل آياته التي تميز بها الحلال من الحرام

طائفة) به (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم) فقومين آمنوا منهم على كفارهم (فاصبحوا ظاهرين) فغلبوا عليهم والله ولي المؤمنين والله أعلم ﴿سورة الجمعة مدنية وهي إحدى عشرة آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم) التسبيح إما أن يكون تسبيح خلقه يعني إذا نظرت إلى كل شيء دلتك خلقته على وحدانية الله تعالى وتزجهم عن الأشياء أو تسبيح معرفته بأن يجعل الله بلطفه في كل شيء ما يعرف به الله تعالى وتزجهم إلى قولهم إن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم أو تسبيح ضرورة بان يجري الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك (هو الذي بعث) أرسل (في الأميين رسولاً منهم) أي بعث رجلاً أمياً في أميين وقيل منهم كقوله من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله والامية منسوب إلى أمية العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم وقيل بدئت الكتابة بالطائفة وهم أخذوها من أهل الخيرة وأهل الخيرة من أهل الأنبار (يتلو عليهم آياته) القرآن

(ويزكهم) ويظهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة والفقه في الدين (وان كانوا من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم (لني ضلال مبين) كفر وجهالة وان مخففة من الثقلية واللام دليل عليها أي كانوا في ضلال لا ترى ضلالاً أعظم منه (وأخرين منهم) مجرور معطوف على الاميين يعني انه بعث في الاميين الذين على عهده وفي آخرين من الاميين (لما يلحقوا بهم) أي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضی الله عنهم وأهل البيت الذين يأتون من بعدهم إلى يوم الدين وقيل هم الجهم أو منصوب معطوف على المنصوب في ويعلمهم (٢٨٤) أي يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى

والحق من الباطل (ويزكهم) أي يظهرهم من دنس الشرك (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن وقيل الفرائض (والحكمة) قيل هي السنة (وان كانوا من قبل) أي من قبل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم (لني ضلال مبين وآخرين منهم) أي من المؤمنين الذين ظهروا ويدينون بدينهم لانهم اذا أسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم أمة واحدة وقيل أراد بالآخرين الجهم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن عن مجاهد يدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثاً قال وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثرى لالتوا له رجال من هؤلاء أخرجاه في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة (لما يلحقوا بهم) لم يدركوهم ولكنهم جاؤا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم في الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شأواً والصحابة (وهو العزيز) أي الغالب الذي قهر الجبابرة (الحكيم) أي الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدايته (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) يعني الاسلام وقيل النبوة خص بها محمد صلى الله عليه وسلم (والله ذو الفضل العظيم) أي على خلقه حيث أرسل فيهم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (مثل الذين جالوا التوراة) يعني اليهود حيث كفوا القيام بها والعمل بما فيها وليس هو من الجمل على الظهور وإنما هو من الجملة والجميل هو الكفيل (ثم لم يحملوها) أي لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الجمار يحمل أسفاراً) جمع سفروهي الكتب العظام من العلم سمى سفراً لأنه يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضرب به الله تعالى لليهود الذين أعرضوا عن العمل بالتوراة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبهوا إذ لم يتفعلوا بما في التوراة الدال على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالجمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرؤن التوراة ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه وأعرض عنه أعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى (بئس مثل القوم) أي بئس مثل القوم (الذين كذبوا بآيات الله) يعني محمد صلى الله عليه وسلم وما أتى به من آيات القرآن وقيل المراد من الآيات آيات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يهدي من سبق في علمه انه يكون ظالماً وقيل يعني الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب آيات الله وأنبيائه (قل) أي قل يا محمد (يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس) أي من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فتمنوا الموت) أي ادعوا على أنفسكم بالموت (ان كنتم صادقين) يعني

أوله فكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه (وهو العزيز الحكيم) في تمكنه رجلاً ما من ذلك الامر العظيم وتأيدته عليه واختياره اياه من بين كافة البشر (ذلك) الفضل الذي أعطاه محمد وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغايبه هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) اعطاه وقتقه ضيه حكمته (والله ذو الفضل العظيم مثل الذين جالوا التوراة) أي كفوا عما هو والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) ثم لم يعملوا بها فكانهم لم يحملوها (كمثل الجمار يحمل أسفاراً) جمع سفروهو الكتاب الكبير ويحمل في محل النصب على الحال أو الجر على الوصل لان الجمار كاللثيم في قوله ولقد أمر على اللثيم بسبني شبه اليهودي في أنهم حمله التوراة وقرأوها وحفظوا ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم

ينتفعوا بآياتها كذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به فلم يؤمنوا به بالجمار حمل كتباً كباراً فيما من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبه ويظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعامة فهذا مثله (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أي بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله أو بئس مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي وقت اختيارهم الظلم ولا يهدي من سبق في علمه انه يكون ظالماً (قل يا أيها الذين هادوا) هاديهود اذ اتهموا (ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأجباؤه أي ان كان قولكم حقاً وكنتم على ثقة فتمنوا على الله أن يمتكم وينقلكم سريعاً الى دار كرامته التي أعدها

لا ولياءه ثم قال (ولا يتمونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي بسبب ما قدموا من الكفر (٢٨٥) ولا فرق بين لاولن في ان كل واحدة

منهما نفي للمستقبل الا ان  
في لن تأكيد او تشديدا  
ليس في لافاتي مرة بل غلط  
التأكيد ولن يتمونه ومرة  
بغير لفظه ولا يتمونه (والله  
عليم بالظالمين) وعيد لهم (قل  
ان الموت الذي تفرون منه)  
ولا تجسرون ان تمنوه خيفة  
أن تؤخذوا وبوال كفركم  
(فانه ملائكم) لا محالة والجملة  
خبران ودخلت الفاء  
لتضمن الذي معنى الشرط  
(ثم تردون الى عالم الغيب  
والشهادة فينبئكم بما  
كنتم تعملون) فيجاز بكم  
بما كنتم أهله من العقاب  
(يا أيها الذين آمنوا اذا  
نودى للصلاة من يوم  
الجمعة) النداء الاذان ومن  
بيان لاذا وتفسيره  
ويوم الجمعة سيد الايام وفي  
الحديث من مات يوم الجمعة  
كتب الله له اجر شهيد  
وروي فتنة القبر (فاسعوا)  
فامضوا وقسروا بها وقال  
الفراء السعي والمضي  
والذهاب واحد وليس المراد  
به السرعة في المشي (الى  
ذ كر الله) أي الى الخطبة  
عند الجمهور وبه استدلال  
أبو حنيفة رضي الله عنه  
على ان الخطيب اذا اقتصر  
على الحمد لله جاز (وذروا  
البيع) أراد الامر بترك  
ما يذهل عن ذكر الله من

فيما زعمتم أنكم أبناء الله وأحباؤه فان الموت هو الذي يوصلكم اليه لان الآخرة خير ولا ولياء الله من الدنيا  
(ولا يتمونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب (والله عليم بالظالمين قل  
ان الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم) أي لا ينفعكم الفرار منه (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة  
فينبئكم بما كنتم تعملون) فيه وعيد وتهديد بقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة) أي  
لوقت الصلاة (من يوم الجمعة) أي في يوم الجمعة وأراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة  
لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن  
بلال (خ) عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثير الناس زاد النداء الثاني على الزوراء زاد في رواية  
فثبت الامر على ذلك ولا في داود قال كان يؤذن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم  
الجمعة على باب المسجد وكثر الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعا  
كالمئذنة واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ  
من خلق الاشياء فيه فاجتمعت فيه الخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل اول من سمي هذا  
اليوم جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلمة اول من قال ما بعد كعب بن لؤي وكان اول من سمي الجمعة جمعة وكان  
يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل  
أن تنزل الجمعة وهم الذين سمو الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم فهدم  
فلن جعل يوما يجتمع فيه فنذركم اسم الله تعالى ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه  
يوم العروبة ثم نزل الله تعالى في ذلك يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة الآية عن كعب بن مالك انه كان اذا  
سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد  
ابن زرارة قال لانه اول من جمع بنافي هزم البيت من حرة بنى بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضبات قلت له كم  
كنتم يومئذ قال أربعون أخرجه أبو داود وأما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحبابه فذكر  
أصحاب السير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وذلك يوم  
الاثنين اثنتي عشرة خلت من ربيع الاول حين امتد الضحى فقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء  
ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عمدا الى المدينة فادركته صلاة الجمعة  
في بني سالم بن عوف في بطن واديهم وقد اتخذوا في ذلك الموضوع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وخطب وقوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله) أي فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعي الاسراع في  
المشي وانما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن أما والله ما هو  
بالسعي على الاقدام ولقد نهوا أن يأتوا الى الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع  
وعن قتادة في هذه الآية فاسعوا الى ذكر الله قال السعي أن تسمى بقلبك وعملك وهو المشي اليها وكان يتأول  
قوله فلما بلغ معه السعي بقوله فلما مشى معه (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامضوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فمما ذكرتم فصولا ومما فاتكم  
فانتم اوفى رواية فاذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة وذ كر زادم سلم فان  
أحدكم اذا كان يعتمد الى الصلاة فهو في الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب  
هو موعظة الامام (وذروا البيع) يعني البيع والشراء لان البيع اسم يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وانما  
يحرم البيع والشراء عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم

شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينا لان يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم باءدوا وتجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا  
واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأرجح وذروا البيع الذي تفعله يسير



البيع والشراء (ذلكم) أى الذى ذكرتم من حضور الجمعة وترك البيع والشراء (خير لكم) من المبيعة في ذلك الوقت (ان كنتم تعلمون) أى مصالح أنفسكم والله تعالى أعلم

(فصل فى فضل الجمعة وأحكامها وأهم تاركها) وفيه مسائل \* (المسئلة الاولى) فى فضلها (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها زادنى رواية ولا تقوم الساعة الا فى يوم الجمعة (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله فيها شيأ الا أعطاه اياه وأشار بيده يقللها (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الاولى فكا مما قرب بدنه ومن راح فى الساعة الثانية فكا مما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكا مما قرب كبشاً أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكا مما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكا مما قرب بيضة فاذا أحرم الامام حضرت الملائكة يستمعون فى الذكر وفى رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المساجد ملائكة يكتبون الاقل فالاول فاذا جلس الامام طورا والصحف وجازا يستمعون الذى ذكره من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة (م) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فاحسن الوضوء ثم أتى بالجمعة واستمع وأصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا قوله ومن مس الحصى فقد لغا معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو (خ) عن عبادة قال أدركنى أبو عيسى وأنا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من اغترب قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار \* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرجت الى الطور فرأيت كعب الاحبار جالس مع غدثنى عن التوراة وحدثنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته أن قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه مات وفيه نبى عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهى مصيعة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله تعالى شيأ الا أعطاه اياه قال كعب ذلك فى كل سنة يوم فقلت بلى فى كل جمعة قرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسى مع كعب الاحبار وما حدثته فى يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت أى ساعة هى قال أبو هريرة فقلت أخبرنى بها ولا تكن عني وفى رواية ترضى على قال هى آخر ساعة فى يوم الجمعة قال أبو هريرة فقلت وكيف تقول آخر ساعة فى يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى وتلك الساعة لا يصلى فيها قال عبد الله بن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصلها قال أبو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك أخرجه مالك فى الموطأ والنسائى (خ) عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور وروى بدهن من دهنه ويمس من طيب يئته ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم يمضت اذا نكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى \* عن أوس بن أوس الثقفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام ولم يبلغ واستمع كان له بكل خطوة أجر عمل سنة صيامها وقيامها أخرجه أبو داود والنسائى قال أبو داود وسئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده \* (المسئلة الثانية) فى أهم تاركها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبى هريرة أنهم ساءم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات وليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين \* عن أبى

(ذلكم) أى السعى  
الى ذكر الله (خير لكم)  
من البيع والشراء (ان)  
كنتم تعلمون

الجعة الضمري وكان له حجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه  
 أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي نحوه (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال  
 لقوم يتخلفون عن الجمعة هممت أن أمر رجلا أن يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة  
 بيوتهم **المسئلة الثالثة** في تأكيده وجوبها قال العلماء صلاة الجمعة هي من فروض الاعيان فتجب على  
 كل مسلم حر بالغ عاقل ذكرومقيم اذا لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد اما الصبي  
 والمجنون فلا جعة عليهم لانهم ليسا من أهل الفرض ولا جعة على النساء بالاتفاق يدل عليه ما روى عن  
 طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الا على أربعة  
 عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض أخرجه أبو داود وقال طارق رأى النبي صلى الله عليه وسلم وبعضا  
 من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء أخرجه أبو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعه وإنما  
 أسنده قبيصة عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من آواه الليل الى أهله أخرجه  
 الترمذي ولا تجب على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي تجب على العبد المكاتب وعن أحمد في العبيد  
 روايتان وتجب الجمعة على أهل القرى والبوادي اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم  
 الحضور وان لم يسمعوا فلا جعة عليهم وبه قال الشافعي وأحمد واسحق والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن  
 جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الاصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع  
 الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه  
 المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة أميال وقال البيهقي على أربعة أميال وقال مالك والليث على  
 ثلاثة أميال وقال أبو حنيفة لا جعة على أهل السواد سواء كانت القرية قريبة أو بعيدة دليل الشافعي ومن  
 وافقه ما روى البخاري عن ابن عباس قال ان أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم في مسجد عبد القيس بجوآني من البحرين ولابن داود نحوه وفيه بجوآني قرية من قرى البحر بن  
**المسئلة الرابعة** في تركها العذر كل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف جاز له ترك الجمعة وكذلك  
 تركها بعد المطر والوحل يدل على ذلك ما روى عن ابن عباس انه خطب في يوم ذي رديغ فامر المؤذن فاما بلغ  
 حى على الصلاة قال قل الصلاة في الرجال فنظر بعضهم الى بعض كأنهم أنكروا ذلك فقال كأنكم أنكرتم هذا  
 ان هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وانها عزيمة وانى كرهت أن أخرجهم زاد في رواية  
 فتمشون في الطين والدخض والزق أخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع  
 الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الذين تنعقد بهم الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا  
 حضر كمل به العدد **المسئلة الخامسة** في العدد الذي تنعقد به الجمعة اختلف أهل العلم في العدد الذي  
 تنعقد به الجمعة فقيل لا تنعقد باقل من أربعين رجلا وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه  
 قال الشافعي وأحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة باقل من أربعين رجلا من أهل الكمال وذلك بان يكونوا  
 أحرار بالغين عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجته وشرط عمر بن عبد  
 العزيز أن يكون فيهم والوالى غير شرط عند الشافعي وقال علي بن أبي طالب لا جعة الا في مصر جامع وهو  
 قول أصحاب الرأي ثم عند أبي حنيفة تنعقد باربعة والوالى شرط عنده وقال الاوزاعي وأبو يوسف تنعقد  
 بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال البيهقي تنعقد باثني عشر رجلا ولا  
 يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمرأة والمسافر والصبي ولا تنعقد الا في موضع واحد من البلد وبه  
 قال الشافعي ومالك وأبو يوسف وقال أحمد تصح بموضعين اذا كثرت الناس وضاق الجامع **(المسئلة السادسة)**

لا يجوز أن يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة ويجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت أما إذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فإنه يجوز غير أنه يكره إلا أن يكون سفره سفر طاعة كحج أو غز وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة مقبلاً يسافر حتى يصلي الجمعة بدل على جواز ما روى عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فعد أصحابه وقال أنخلف فاصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أحلقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال ما منعك أن تغدومع أصحابك قال أردت أن أصلى معك ثم أتبعهم فقال لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم أخرجه الترمذي وروى أن عمر رأى رجلاً عليه أهبة السفر وسمعه يقول لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر أخرج فان الجمعة لا تجس عن سفر وللجمعة شرائط وسنن وأداب منذ كورة في كتب الفقه وفي هذا القدر كفاية والله أعلم ﴿ قوله عز وجل (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) أى إذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم (وابتغوا من فضل الله) يعنى الرزق وهذا أمر اباحه قال ابن عباس ان شئت فآخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل قوله فانتشروا في الأرض ليس لطلب دنيا ولكن لزيادة مريض وحضور جنازة وزياره أخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقص على باب المسجد وقال اللهم أجبت دعوتك واصليت فرضتكم وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين (واذكروا الله كثيراً) أى إذا فرغتم من الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيراً قيل باللسان وقيل بالطاعة قيل لا تكون من الذاكين الله كثيراً حتى تذكره قائماً وقاعداً ومضطجعاً (اعلمكم تفعلحون) ﴿ قوله تعالى (واذارأوا تجارة أو طهوا انفضوا اليها وتركوك قائماً) (ق) عن جابر قال بينما نحن نصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قبلت غير تحمل طعاماً فانتقلوا اليها حتى ما بقى مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية واذا رأوا تجارة أو طهوا انفضوا اليها وتركوك قائماً وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً فجاءت غير من الشام وذكروا نحوه وفيه الاثنا عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر وسلم كالمع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلاً فافهم وذكروا الحديث وهو نسخة من يرى صحة الجمعة باثني عشر رجلاً وأجيب عنه بأنه ليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس في رواية عنه لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فلما رأوه بالبيع قاموا اليه خشية أن يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط فيهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والنبي نفس محمد بيده لوتنا بعم حتى لا يبقى منكم أحد سال بكم الوادى ناراً وقال مقاتل بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان إذا قدم لم تبق عائق بالمدينة الا أنته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وروزيت وغيره وينزل عند أشجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطل ليؤذن الناس بقدمه فيخرج اليه الناس ليتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلاً وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى في المسجد فقالوا اثنا عشر رجلاً وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء سموت لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الآية وأراد بالهوا الطبل وكانت العير إذا قدمت استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا أى نفر قوادهم ونحوه والضمير في اليها راجع الى التجارة لانها أهم اليهم وتركوك قائماً انفضوا

فاذا قضيت الصلاة) أى أدت (فانتشروا في الأرض) أمر اباحه (وابتغوا من فضل الله) الرزق أو طلب العلم أو عيادة المريض أو زيارة أخ في الله (واذكروا الله كثيراً) واشكروه على ما وفقكم لاداء فرضه (اعلمكم تفعلحون) واذا رأوا تجارة أو طهوا انفضوا اليها تفرقوا عنك اليها وتقديره وذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو طهوا انفضوا اليه مخفف أحد مما دلالة المذكور عليه وإنما خص التجارة لانها كانت أهم عندهم روى ان أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه فباتى معه الا ثمانية أو اثنا عشر فقال صلى الله عليه وسلم والنبي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لاضرم الله عليهم ناراً وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو (وتركوك) على المنبر (قائماً) تخطب فيه دليل على ان الخطيب ينبغي أن يخطب قائماً

هذا القيام كان في الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن مسعوداً كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائماً أو قاعداً قال أما تقرر أن تركوك قائماً قال العلماء الخطبة فرضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري هي مستحبة ويجب أن يخطب الامام قائماً خطبتين يفصل بينهما يجالس وقال أبو حنيفة وأحمد لا يشترط القيام ولا القعود وتشرط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في أحد القولين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعاً ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جعته عند الشافعي وذهب أبو حنيفة إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مأثور بالخطبة والسنة للإمام إذا صعد المنبر أن يستقبل الناس وأن يسلم عليهم خلافاً لابن حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والأصح أنه يحرم على المستمع دون الخطيب ويستحب أن يصلي تحية المسجد إذا دخل والامام يخطب خلافاً لابن حنيفة ومالك

✽ ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام ✽

(ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية أخرى كان يخطب يوم الجمعة وهو قائم ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما يفعلون الآن (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس زاد في رواية فمن حدثك أنه كان يخطب جالساً فقد كذب (م) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب جالساً فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعداً وقد قال الله تعالى واذا رأت تجارة أو طخوا انفضوا اليها وتركوك قائماً (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلواته قصداً وخطبته قصداً زاد أبو داود وقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء أخرجه أبو داود والترمذي والابن داود عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزء من ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن جهاد الله فهو المهتد ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيراً بين يدي الساعة من طمع الله ورسوله فقد رشده ومن يحصمه لا يضره الله ولا يضر نفسه ولا يضر الله شيئاً وفي رواية ان يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يحصمه فقد غوى وسأل الله بنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويحتمل سخطه انما نحن به وله أخرجه أبو داود (م) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويشئ عليه بما هو أهله ثم يقول على اثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساءكم وبقول بعثت أنا والساعة كهاتين و يقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول ما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا ولي بكل مؤمن من نفسه من ترك ما لا فلاه له ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلى وعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا أخرجه الترمذي (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أصمت والامام يخطب فقد لغوت عن نافع ان ابن عمر رأى رجلين يتحدثن والامام يخطب يوم الجمعة فخصهما أن اصمتا أخرجه مالك في الموطأ قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام فاما صفة صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقراءة ولجواز الجمعة خمس

(قل ما عند الله) من الثواب (خير من الله ومن التجارة والله خير الرازقين) أي لا يقوتهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين  
والله أعلم ﴿سورة المنافقين إحدى عشرة﴾ (٢٩٠) آية مدنية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (إذا جاءك المنافقون قالوا

شروط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس إلى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار  
الاقامة فان فقد شرط من هذه الشروط الخمس يجب أن يصلي ظهرا ولا يجوز للامام أن يتدعى الخطبة قبل  
تمام العدد وهو أربعون عند الشافعي فلما اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة وانفض واحد  
من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فاصح أقوال الشافعي ان  
بقاء الأربعين شرط إلى آخر الصلاة كأن بقاء الوقت شرط إلى آخر الصلاة فلو نقص واحد قبل أن يسلم الامام  
يجب على الباقي أن يصلوها ظهرا وفيه قول آخر وهو انه ان بقي معه اثنان أو جماعة وقيل ان بقي معه واحد  
أو جماعة وعند المزي أن انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة أو جمعة وان بقي وحده وان كان في الركعة  
الاولى يتم أربعا وان انفض من العدد واحد به قال أبو حنيفة لكن في العدد الذي يشترط كالمسوق اذا  
أدرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام أتمها جماعة وان أدرك أقل من ركعة أتمها أربعا (خ) عن أنس  
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس (م) عن عبيد الله بن أبي رافع  
قال استخلف مروان أباه ريرة على المدينة وخرج إلى مكة فصلى بنا أبوهريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة  
الجمعة في الاولى واذا جاءك المنافقون في الثانية قال فادركت أباه ريرة حين انصرف فقلت له انك قرأت  
بسورتين كان علي بن أبي طالب يقرأ بهما في الكوفة فقال أبوهريرة اني سمعت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقرأ بهما الجمعة (م) عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ  
في العيدين وفي الجمعة بسم الله بسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم  
واحد يقرأ بهما في الصلاتين عن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
كان يقرأ في الجمعة بسم الله بسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية أخرجه أبو داود والنسائي وقوله  
تعالى (قل ما عند الله) أي ما عند الله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم (خير  
من الله ومن التجارة) الذي جاء بهما دحية (والله خير الرازقين) يعني انه تعالى موجود الارزاق وأصلها منه  
فأياه فاسألوا ومنه فاطلبوا والله تعالى أعلم

### ﴿تفسير سورة المنافقين﴾

وهي مدنية واحدة عشرة آيات ومائة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا

### ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (إذا جاءك المنافقون) يعني عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه (قالوا نشهد انك رسول الله)  
وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى (والله يعلم انك لرسوله) أي هو الذي أرسلك فهو عالم بك (والله يشهد  
ان المنافقين لكاذبون) يعني في قلوبهم تشهد انك لرسول الله لانهم أضمر واخلاف ما أظهر واوذلك لان  
حقيقة الايمان أن يواطىء اللسان القلب وكذلك الكلام فن أخبر عن شيء واعتقد خلافه أو أضمر خلاف  
ما أظهر فهو كاذب لا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم تشهد انك لرسول الله وسماه كذبا لان قلوبهم خالف  
اعتقادهم (اتخذوا أيمانهم جنة) أي ستر استترون بهما من القتل ومعنى أيمانهم ما أخبر الله عنهم من  
حلفهم انهم لنسكهم وقولهم تشهد انك لرسول الله (فصدوا عن سبيل الله) أي أعرضوا بانفسهم عن طاعة الله  
وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا  
يعملون) يعني حيث آثروا الكفر على الايمان (ذلك بانهم آمنوا) أي في الظاهر وذلك اذا رأوا المؤمنين  
أقروا بالايمان (ثم كفروا) أي في السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه نكير لقوله والله يشهد انهم

نشهد انك لرسول الله)  
أرادوا شهادة واطأت فيها  
قلوبهم ألسنتهم (والله يعلم  
انك لرسوله) أي والله يعلم  
ان الامر كما يدل عليه  
قولهم انك لرسول الله  
(والله يشهد ان المنافقين  
لكاذبون) في ادعاء  
المواطأة وانهم لكاذبون  
فيه لانه اذا خلا عن المواطأة  
لم يكن شهادة في الحقيقة  
فهم كاذبون في تسميته  
شهادة وانهم لكاذبون  
عند انفسهم لانهم كانوا  
يعتقدون أن قولهم انك  
لرسول الله كذب وخبر على  
خلاف ما عليه حال المخبر عنه  
(اتخذوا أيمانهم جنة)  
وقاية من السبي والقتل  
وفيه دليل على أن أشهد  
بين (فصدوا) الناس  
(عن سبيل الله) عن  
الاسلام بالتغيير والقاء الشبه  
(انهم ساء ما كانوا يعملون)  
من نفاقهم وصددهم الناس  
عن سبيل الله وفي ساء  
معنى التعجب الذي هو  
تعظيم أمرهم عند  
السامعين (ذلك) إشارة  
إلى قوله ساء ما كانوا  
يعملون أي ذلك القول  
الشاهد عليهم بانهم أسوأ  
الناس أعمالا (بانهم)  
بسبب أنهم (آمنوا ثم كفروا)

أولى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستحسان بالايمان أي ذلك كله بسبب انهم آمنوا أي نطقوا لكاذبون  
بكلمة الشهادة وفعلا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفر وان ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان ما يقول محمدا حقا فنحن حبيرونحو



(سواء عليهم أستغفرت لهم) أي يا محمد (أم لم تستغفر لهم إن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين)

﴿ذكر القصة في سبب نزول هذه الآية﴾

قال محمد بن اسحق وغيره من أصحاب السير إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لخر به وقائدهم الحرث بن أبي ضرار وهو أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج إليهم حتى لقبهم على ماء من مياههم يقال له المر يسيع من ناحية قديدا إلى الساحل فتراحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بني المصطلق وأمكن منهم وقتل من قتل منهم ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجيره من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقول له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين وأعان جهجاه رجلا من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن أبي لجعال وانك طناك فقال جعال وما يعني أن أفعل ذلك فغضب عبد الله بن أبي وعندده رهن قومه فيهم زيد بن أرقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبي أفعلوا قدينا فافر وناوكاثر ونافي بلادنا والله ماملنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يا كلك أما والله أن رجعتنا إلى المدينة ليخرجننا الا عز منها الا ذل ثم أقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم أحللتهموهم بلادكم وقاسمتهموهم أموالكم أما والله لو أمسكتهم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رباكم واتحولوا إلى غير بلادكم فلانفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المبعوض في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحن ومودة من المسامحة فقال عبد الله بن أبي اسكت لقد كنت أعب غشي زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزوة فأخبره الخبر وعندده عمر بن الخطاب فقال دعني أضرب عنقه يا رسول الله قال كيف يا عمر إذا تحدث الناس إن محمدا يقتل أصحابه ولكن أذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي فاته فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني فقال عبد الله بن أبي والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وإن زيد الكاذب وكان عبد الله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله فغدره النبي صلى الله عليه وسلم وفتت الملامة لزيد في الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما أردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مقتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فغياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم لقد رحمت في ساعة منكرا ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن أبي فقال أسيد وما قال قال يزعم انه ان رجعتنا إلى المدينة أخرج الاعز منها الا ذل فقال أسيد أنت والله يا رسول الله تخرجه هو والله الذليل وأنت والله العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه اينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد سلبت ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أبيه فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فرني به فانا أحل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بهار جمل أبر بوالديه مني واني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلان دعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي عشي على الارض فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما اتى معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك

(سواء عليهم أستغفرت لهم) أم لم تستغفر لهم إن يغفر الله لهم) أي ماداموا على النفاق والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم أولان الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان أم المعادلة تدل عليه (ان الله لا يهدي القوم الفاسقين)

حتى أمسى وليته حتى أصبح وصدر بومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن الآن وجدوا مس  
الارض فوقوا نياما واءا فاعل ذلك لبشغل الناس عن حديث عبد الله بن أبي الذي كان منه بالامس ثم  
راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال لها نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم ونحو فوقها  
وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا  
فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة فقيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال  
رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقةه ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي فاتاه جبريل عليه  
الصلاة والسلام فآخبره بقول المنافق وبمكان ناقةه فآخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال  
ما أزعم اني أعلم الغيب ولا أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقةي هي في الشعب وقد تعلق  
زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال جازاؤها فآمن ذلك المنافق وحسن إيمانه  
فلم يقدّموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قدمات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا  
للمنافقين فلما وافي رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن أرقم جلست في البيت لماني من اهل  
والحياة فانزل الله عز وجل سورة المنافقين في تصديق زيد بن أرقم وتكذيب عبد الله بن أبي فلما نزلت أخذ  
رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يا زيد ان الله قد صدقك وأوفى باذنك (ق) عن زيد بن أرقم  
قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أبي لا تنفقوا على  
من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال ابن رجعتنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الا ذل قال فآتت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فآخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن أبي فسأله فآجتهد يمينه ما فعل فقالوا  
كذب زيد برسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي مما قالوا شدة حتى أنزل الله بتصديقي اذا جاءك  
المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلو وارؤسهم وقوله كأنهم خشب مسندة  
قال كانوا رجلا لأجل شيء (ق) عن جابر قال غز ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بات معه ناس من  
المهاجر بن حتى كثروا وكان من المهاجر بن رجل لعاب فكسع انصار يافغضب الانصاري غضبا شديدا حتى  
نداعوا وقال الانصاري بالانصار وقال المهاجر باللهاجر بن فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال  
دعوى الجاهلية ثم قال ماشأ أنهم فآخبر بكسعة المهاجر الانصاري فقال دعوا فانها خبيثة وقال عبد الله بن أبي  
ابن ساول أقد تداعوا علينا ابن رجعتنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الا ذل قال عمر الأقتل يا نبي الله هذا  
الحيث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس انه كان يقتل أصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال  
لابأس ولينصر الرجل أخاه ظالما كان أو مظلوما ان كان ظالما فلينبه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينبصره  
وزاد الترمذي فيه فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله لا تنقلب حتى تفرانك أنت الذليل ورسول الله صلى الله  
عليه وسلم العزيز ففعل قال أصحاب السير وكان عبد الله بن أبي بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد  
الله حتى أتاه على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن أبي قال له ابنه وراءك قال ويا مالك قال لا والله  
لا تدخلها أبدا الآن يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الاعز من الاذل فشكا عبد الله  
ابن أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ابنه عبد الله فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل  
عنه يدخل فقال عبد الله أما اذا جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنع فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة  
وتبين كذب المنافقين قيل يا أبا حباب انه قد نزل فيك آي شدا فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يستغفر لك فلوى رأسه وقال أمرتموني ان أو من فآمنت وأمرتموني ان أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فآ  
بقي الآن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولو وارؤسهم  
الآية ونزل (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) أي يتفرقوا عنه (ولله

هم الذين يقولون لا تنفقوا  
على من عند رسول الله حتى  
ينفضوا) يتفرقوا (ولله



خزائن السموات والارض) أي وله الارزاق والقسم فهو رزقهم منها وان أي أهل المدينة ان ينفقوا عليهم (ولكن المنافقين لا ينفقون) ولكن عبدالله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهدون بمايزين لهم الشيطان (يقولون لئن رجعنا) من غزوة بني المصطلق (الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة) أي الغلبة والقوة (ولرسوله وللمؤمنين) ولن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الاخفاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألت على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيبها قال ايس بنيه ولكنه عزة وتلا (٢٩٤) هذه الآية (ولكن المنافقين لا يعلمون بأيها الدين آمنوا لانهم لا تشغلهم

(أموالكم) هو التصرف فيها والسعي في تدبير أمرها بالنماء وطلب النتائج (ولا أولادكم) وسروركم وشفتكم عليهم والقيام بتوهمهم (عن ذكر الله) أي عن الصلوات الخمس أو عن القرآن (ومن يفعل ذلك) يريد الشغل بالدينا عن الدين وقيل من يشتغل بتدبير أمواله عن تدبير أحواله وبمراضة أولاده عن اصلاح معاده (فاولئك هم الخاسرون) في تجارتهم حيث باعوا الباقي بالفاني (وانفقوا مائة الف درهم) للتبعض والمراد بالانفاق الواجب (من قبل ان يأتي أحدكم الموت) أي من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين ما يياس معه من الامهال ويتعذر عليه الانفاق (فيقول رب لولا أخرتني) هلا أخرت موتي (الى أجل قريب) الى زمان قليل (فاصدق)

خزائن السموات والارض) يعني بيده مفاتيح الرزق فلا يعطى أحداً حاشياً الا باذنه ولا يمنع الا بمشيئته (ولكن المنافقين لا يفقهون) يعني ان أمر الله اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (يقولون لئن رجعنا الى المدينة) يعني من غزوة بني المصطلق (ليخرجن الاعز منها الاذل) فرد الله عليهم بقوله (ولله العزة) ورسوله وللمؤمنين) فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كما وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على أعدائهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) أي ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال أصحاب السير فلما نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي بن سائل لم يلبث الا أياماً فقلنا حتى اشتكى ومات على نفاقه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لانهمكم) أي لان شغلكم (أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) يعني عن الصلوات الخمس والمعنى لان شغلكم أموالكم ولا أولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله (ومن يفعل ذلك) أي ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله (فاولئك هم الخاسرون) أي في تجارتهم حيث آثروا الفاني على الباقي (وانفقوا مائة الف درهم) قال ابن عباس يريد زكاة الاموال (من قبل ان يأتي أحدكم الموت) أي دلائل الموت ومقدمانه وعلامانه فيسأل الرجعة (فيقول رب لولا أخرتني) أي هلا أخرتني (من الصالحين) أي من المؤمنين وقيل نزلت هذه الآية في المنافقين ويدل على هذا ان المؤمن لا يسأل الرجعة وقيل نزلت في المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من أحد يموت وكان له مال ولم يؤدز كانه أو اطاق الحج ولم يحج الاسأل الرجعة عند الموت وقرأ هذه الآية وأكون من الصالحين أي أحج أزكى (ولن يؤخر الله نفسا اذا اجأها) يعني انه تعالى لا يؤخر من حضر أجله واقضت مدته (والله خير بما تعملون) يعني انه لورد الى الدنيا وأوجب الى مسائل ما حج ومازكى وقيل هو خطاب شائع لسلك عامل عملاً من خيراً وشرراً والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة التغابن﴾

وهي مدنية في قول الاكثر وقيل هي مكية الا ثلاث آيات من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم الى آخر ثلاث آيات وهي ثمانى عشرة آية ومائتان واحدى وأربعون كلمة وألف وسبعون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد) يعنى انه تعالى متصرف فى ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لا شريك له فيه وله الحمد لان أصول النعم كلها منه وهو الذى يحمد على كل حال ولا محمود فى جميع الاحوال الا هو (وهو على كل شىء قدير) يعنى انه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء كما يشاء بلا

فأصدق وهو جواب لولا (وأكن من الصالحين) من المؤمنين والآية فى المؤمنين وقيل فى المنافقين وأكون مانع أبو عمرو والنصب عطف على اللفظ والجزم على موضع فاصدق كانه قيل ان أخرتني أصدق وأكن (ولن يؤخر الله نفسا) عن الموت (اذا اجأها) أجلها (المكتوب فى اللوح المحفوظ) (والله خير بما تعملون) يعملون حماد ويحى والمعنى انكم اذا علمتم ان تاخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة والله عليم بما عملكم فيجاز عليهم من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى والله أعلم بالصواب ﴿سورة التغابن﴾ ثمانى عشرة آية مختلف فيها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير﴾ قدم الظرفان ليدل بتقدمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك ان الملك على

الحقيقة له لانه مبدي كل شيء والقائم به وكذا الجدلان أصول النعم وفر وعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وجد غيره اعتداد بان  
نعمة الله جرت على يده (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أي فمنكم أت بالكفر وفاعل له ومنكم أت بالامان وفاعل له ويدل عليه قوله  
(والله بما تعملون بصير) أي عالم و بصير بكفركم و ايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي فضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق  
والايجاد عن العدم وكان يجب أن تكونوا باجمعكم شاكرين فما بالكم تفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب  
عليهم والاكثر فيهم وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به  
(خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار (٢٩٥) المكلفين ليعملوا في جازيهم (وصوركم فاحسن

صوركم) أي جعلكم أحسن  
الحيوان كله وأبهاه بدليل  
أن الانسان لا يمتحن أن  
تكون صورته على خلاف  
ما يرى من سائر الصور  
ومن أحسن صورته ان  
خلقته منتصبا غير منكب  
ومن كان دعبا مشوه  
الصورة سمح الخلقه فلا  
سماجة ثم ولكن الحسن  
على طبقات فلا تحطاطها  
عما فوقها لا تستملح ولكنها  
غير خارجة عن حد الحسن  
وقالت الحكماء شيان  
لا غاية لهما الجمال والبيان  
(واليه المصير) فاحسنوا  
سرايركم كما أحسن صوركم  
(يعلم ما في السموات  
والارض ويعلم ما تسرون  
وما تعلنون والله يعلم بذات  
الصدور) نبه تعلمه ما في  
السموات والارض ثم  
بعلمه بما يسره العباد  
ويعلنونه ثم بعلمه بذات

مانع ولا مدافع (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) قال ابن عباس ان الله تعالى خلق نبي آدم مؤمنا  
وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا (م) عن عائشة رضی الله تعالى عنها ان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلقي للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها  
وهم في أصلاب آبائهم (ق) عن أنس رضی الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا  
فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فاذا أراد الله أن يخلقها قال يارب أذ كر أم أنتي أشقى  
أم سعيد فالرزق فما الاجل فيكتب ذلك وهو في بطن أمه وقال جماعة في معنى الآية ان الله تعالى خلق  
الخلق ثم كفر واؤمنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا في  
تأويلها فروي عن أبي سعيد الخدري انه قال فمنكم كافر خيانه مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن خيانه كافر  
في العاقبة وقال عطاء بن أبي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب  
وقيل فمنكم كافر أي بان الله خلقه وهم الدهرية وأصحاب الطبايع ومنكم مؤمن أي بان الله خلقه وجملة  
القول فيه ان الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المؤمن وایمانه فعلا له وكسبا فإل لكل  
واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله وبمشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار  
الایمان لان الله أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى  
قدر ذلك عليه وعلمه منه هذا طريق أهل السنة فمن سلك هذا أصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية  
والقدرية (والله بما تعملون بصير) أي انه عالم بكفر الكافر وایمان المؤمن (خلق السموات والارض بالحق  
وصوركم فاحسن صوركم) أي انه أتقن وأحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والمنظر من حسن  
القامة والمناسبة في الاعضاء وقد علم بهذا أن صورة الانسان أحسن صورة وأكملها (واليه المصير) أي المرجع  
في القيامة (يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله يعلم بذات الصدور) معناه انه لا  
تخفي عليه خافية فاستوى في علمه الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴿قوله تعالى (الم يا أيها الذين آمنوا لا  
مكة (نبا الذين كفروا من قبل) يعني خبر الامم الخالية (فذاقوا وبال أمرهم) أي جزاء أعمالهم وهو ما خلقها  
من العذاب في الدنيا (ولهم عذاب أليم) أي في الآخرة (ذلك) أي الذي نزل بهم من العذاب (بانه كانت  
تأتيهم رسالهم بالبينات فقالوا أشتر يهدوننا) معناه انهم أنكروا أن يكون الرسول بشرا وذلك لقلته عقولهم  
وسخافتهم أعلامهم ولم يشكروا أن يكون معبودهم حجرا (فكفروا) أي بنجدوا وأنكروا (وتولوا) أي  
أعرضوا (واستغنى الله) أي عن ايمانهم وعبادتهم (والله غني) أي عن خلقه (حميد) أي في أفعاله ثم

الصدور ان شيئا من السكيات والخزليات غير خاف عليه فحقه ان يتقى ويغذر ولا يجترأ على شيء مما يخاف رضاه وتكرير العلم في معنى  
تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن في معنى الوعيد على الكفر وانكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته  
(الم يا أيها الذين كفروا) الخطاب لكفار مكة (نبا الذين كفروا من قبل) يعني قوم نوح وهود وصالح ولوط (فذاقوا وبال أمرهم) أي ذاقوا وبال  
كفرهم في الدنيا (ولهم عذاب أليم) في العقبي (ذلك) إشارة الى ما ذكر من الو بال الذي ذاقوه في الدنيا وما أعد لهم من العذاب في الآخرة  
(بانه) بان الشأن والحديث (كانت تأتيهم رسالهم بالبينات) بالهجمات (فقالوا أشتر يهدوننا) أنكروا الرسالة للبشر ولم يشكروا العبادة  
للحجر (فكفروا) بالرسول (وتولوا) عن الايمان (واستغنى الله) أطلق ليتناول كل شيء ومن جلته يمانهم وطاعتهم (والله غني) عن خلقه  
(حميد) على صنعه

(زعم الذين كفروا) أى أهل مكة والزعم ادعاء العلم ويتعدى تعدى العلم (أن لن يبعثوا) ان مع ما في حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره انهم لن يبعثوا (قل بلى) هو اثبات لما بعد لن وهو البعث (ور في لتبعن) أكد الاخبار باليمين فان قلت ما معنى اليمين على شئ أنكره قلت هو جائز لان اتهدد به أعظم وقع في القلب فكانه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة (ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك) البعث على الله (يسير) هين (فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذي أنزلنا) يعنى القرآن لانه يبين حقيقة كل شئ فيهدى به كإبنا نور (والله بما تعملون خبير) فراقبوا أموركم (يوم يجمعكم) اتصب الظرف بقوله لتنبؤن أو باضمار إذ كر (ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون) ذلك يوم التغابن وهو (٢٩٦) مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل

الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء كما ورد في الحديث ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) صفة للمصدر أى عملا صالحا (يكفر عنه سيئاته) ويدخله) وبالنون فيهما مدنى وشامى (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة) شدة ومرض وموت أهل أو شئ يقتضى

أخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل) أى قل لهم يا محمد (بلى ور في لتبعن) أى يوم القيامة (ثم لتنبؤن) أى لتخبرن (بما عملتم وذلك على الله يسير) أى أمر البعث والحساب يوم القيامة (فآمنوا بالله ورسوله) لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فآمنوا أنهم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة (والنور الذي أنزلنا) يعنى القرآن سماه نور لانه يهدى به في ظلمات الضلال كما يهدى بالنور في الظلمة (والله بما تعملون خبير) يعنى انه مطلع عليكم عالم باحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه قوله عز وجل (يوم يجمعكم ليوم القيامة) يعنى يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والآخرين وأهل السموات وأهل الارضين (ذلك يوم التغابن) من الغبن وهو فوت الحظ والمراد في المجازاة والتجارة وذلك انه اذا أخذ الشئ بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن أهله ومنازله في الجنة وذلك لان كل كافر له أهل ومنزل في الجنة لو أسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وقيل ان قوم ما في النار يعدون وقوم ما في الجنة ينعمون فلا غبن أعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون في الدنيا فصار في الآخرة غابنا الظالم وأصل الغبن في البيع والشراء وقد ذكر الله في حق الكافرين أنهم خسروا وغبنوا في شرايتهم فقال تعالى اشترى والضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال في حق المؤمنين هل أدلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فخرت صفقة الكافرين ور بحت صفقة المؤمنين (ومن يؤمن بالله) على ما جاءت به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار (ويعمل صالحا) أى في ايمانه الى أن يموت على ذلك (يكفر عنه سيئاته) ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة) شدة ومرض

عما (الاباذن الله) بعلمه وديره ومشبثه كانه أذن للمصيبة أن تصيبه (ومن يؤمن بالله يهد

من قلبه) للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول الله وانا اليه راجعون أو يشرحه للازدى من الطاعة والخير أو يهد قلبه حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلى صبر وان أعطى شكروا ن ظم غفر (والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم) عن طاعة الله وطاعة رسوله (فإنما على رسونا البلاغ المبين) أى عليه التبليغ وقد فعل (الله الاله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم)

(وان تعفوا) عنهم اذا اطعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها (وتصفحوا) تعرضوا عن التوبيخ (وتغفروا) وتستر واذنو بهم (فان الله غفور رحيم) يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم ذنوبكم ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فسيطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا انتقلون وتضيءوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجر وابتعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم الغفوة (انما أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الأثم والعقوبة ولا بلاء (٢٩٧) أعظم منهما (والله عنده أجر عظيم) أى في الآخرة وذلك أعظم من

من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم أى ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا) هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فرأى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين فهم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبتوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فامرهم الله بالصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الأشجعي وكان ذا أهل وولد فاذا اراد أن يغزو بكوا عليه ووقفوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فانزل الله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم بحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم أى ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا أى فلا تعاقبوهم على خلافكم (فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة) أى بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الانسان بسببهم في العظام ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك (والله عنده أجر عظيم) يعنى الجنة والمعنى لا تبشروا المعاصي بسبب أولادكم ولا تؤثرهم على ما عنده الله من الأجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل من للتبويض فقال ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم لانهم كلهم يلبسوا باعداء ولم يذكروا فى قوله انما أموالكم وأولادكم فتنة لانهم لم يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقول أحدكم اللهم انى أعوذ بك من الفتنة فانه ليس أحد منكم يرجع الى أهل ومال وولد الا يشتمل على فتنة ولكن ليقول اللهم انى أعوذ بك من مضلات الفتن عن يدي فترضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا نجاء الحسن والحسين وعليهما مقيضان أحران عيشان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين عيشان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) أى ما أطقتكم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حتى تقاته (واسمعوا وأطيعوا) أى لله ورسوله فيما أمركم به وبينها كم عنه (وأنفقوا) أى من أموالكم حتى الله الذى أمركم به (خير الانفسكم) أى ما أنفقتم في طاعة الله (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) القرض الحسن هو الصدق من الخلال مع طيبة نفس يعنى ان تقرضوا أى تنفقوا في طاعة الله متقرر بين اليه بالانفاق (بضاعه لكم) أى يجزكم بالضعف الى سبعماتة الى ما يشاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يعنى يحب المتقر بين اليه (حليم) أى لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) والله أعلم

من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم أى ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا) هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فرأى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين فهم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبتوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فامرهم الله بالصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الأشجعي وكان ذا أهل وولد فاذا اراد أن يغزو بكوا عليه ووقفوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فانزل الله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم بحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم أى ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا أى فلا تعاقبوهم على خلافكم (فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة) أى بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الانسان بسببهم في العظام ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك (والله عنده أجر عظيم) يعنى الجنة والمعنى لا تبشروا المعاصي بسبب أولادكم ولا تؤثرهم على ما عنده الله من الأجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل من للتبويض فقال ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم لانهم كلهم يلبسوا باعداء ولم يذكروا فى قوله انما أموالكم وأولادكم فتنة لانهم لم يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقول أحدكم اللهم انى أعوذ بك من الفتنة فانه ليس أحد منكم يرجع الى أهل ومال وولد الا يشتمل على فتنة ولكن ليقول اللهم انى أعوذ بك من مضلات الفتن عن يدي فترضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا نجاء الحسن والحسين وعليهما مقيضان أحران عيشان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين عيشان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) أى ما أطقتكم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حتى تقاته (واسمعوا وأطيعوا) أى لله ورسوله فيما أمركم به وبينها كم عنه (وأنفقوا) أى من أموالكم حتى الله الذى أمركم به (خير الانفسكم) أى ما أنفقتم في طاعة الله (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) القرض الحسن هو الصدق من الخلال مع طيبة نفس يعنى ان تقرضوا أى تنفقوا في طاعة الله متقرر بين اليه بالانفاق (بضاعه لكم) أى يجزكم بالضعف الى سبعماتة الى ما يشاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يعنى يحب المتقر بين اليه (حليم) أى لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) والله أعلم

تفسير سورة الطلاق مدنية وهي اثنا عشر آية وما ثمان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

(٣٨ - (خازن) - رابع) الله قرضا حسنا) بنية وخالص وذكر القرض لطلبنا الاستدعاء (بضاعه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرة أو سبعماتة الى ما شاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يقبل القليل ويعطى الجزيل (حليم) يقبل الجليل من ذنب البخيل أو يضعف الصدقة لداؤها ولا يجعل العقوبة لما نعتها (عالم الغيب) أى يعلم ما ستر من سرائر القلوب (والشهادة) أى ما ننشر من ظواهر الخطوب (العزيز) المعز باظهار السيوب (الحكيم) فى الاخبار عن الغيوب والله أعلم (سورة الطلاق مدنية وهي اثنا عشر آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام أمته وقد وهم كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا (٢٩٨) اظهار التقدم واعتبارا لترؤسه وانه قدوة قومه فكان هو وحده في حكم كلهم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ) نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لانه المقدم عليهم فاذا خاطب خطاب الجمع كانت أمته داخلة في ذلك الخطاب وقيل معناه يا أيها النبي قل لامتك فاضمر القول اذا طلقتم النساء أي اذا أردتم تطليقهن (فطلقوهن لعدتهن) أي لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن قبل عدتهن وهذا في المدخول به لان غير المدخول بها لا العدة عليها نزلت هذه الآية في عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته في حال الحيض (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما انه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتعظيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدله أن يطلقها فيطلقها قبل أن يسكها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء زاد في رواية كان عبد الله طلقها تطليقة خسبت من طلاقها وراجعها عبد الله كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم انه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا ولمسلم من حديث أبي الزبير انه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عروة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع كيف ترضى في رجل طلق امرأته حائضا فقال طلق ابن عمر امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعها فدها وقال اذا طهرت فليطلق أو ليمسك قال ابن عمر وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن ٢ في قبل عدتهن

﴿فصل﴾ اعلم أن الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل أن يمسه والطلاق السني أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امرأة نزلت العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض أو طلق الصغيرة التي لم تحض أو الآية بعد ما جامعها أو طلق الحامل بعد ما جامعها أو طلق التي لم تر الدم لا يكون بدعيًا ولا سنة ولا بدعة في طلاق هؤلاء لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا والخلع في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيًا لان النبي صلى الله عليه وسلم أذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته قبل أن يعرف حالها ولو لا جوازها في جميع الاحوال لامره أن يتعرف الحال ولو طلق امرأته في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه قصد اعصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم أمر ابن عمر بالرجعة فلو لا وقوع الطلاق لم يأمره بالرجعة واذا راجعها في حال الحيض يجوز أن يطلقها في حال الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه بونس بن جبيرة وأنس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقلوا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم يسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فامر استعجاب استحب تأخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا تكون مراجعته اياها بالطلاق كما أنه يكره النكاح لطلاق ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض أهل العلم فلو طلق امرأته في حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيًا وهو قول الشافعي وأحمد وذهب بعضهم الى أنه بدعة وهو قول مالك وأصحاب الرأي ﴿قوله تعالى﴾ (وأحصوا العدة) أي عدة أقرانها فاحفظوها قيل أمر باحصاء العدة لتنفق بق الطلاق على الاقراء اذا أراد أن يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراجعة أمر النفقة والسكنى (وانتقوا الله بكم) أي واخشوا الله ولا تعصوه فيما أمركم به (لانخرجوهن) يعني اذا كان المسكن الذي طلقها فيه الزوج له بملك أو كراء وان كان عارية

وسادا مسد جميعهم وقيل التقدير يا أيها النبي والمؤمنين ومعنى اذا طلقتم النساء اذا أردتم تطليقهن على تنزيل المقبل على الامر المشار له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلى (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلا لعدتهن وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من أقرانها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان تطليق المدخول بهن من المعتدات بالحيض في طهر لم يجامعها فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق (وأحصوا العدة) واضطربوها بالحفظ أو كملوها ثلاثة أقران مستقبلا كوامل لانقصان فيهن وخوطف الأزواج الغفلة النساء (وانتقوا الله بكم لانخرجوهن) حتى تنقضي عدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الأزواج

فارتجعت

وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على ان السكنى واجبة ٢ قوله في قبل عدتهن قال

في شرح مسلم هي قراءة ابن عباس وابن عمر وهي شاذة لان ثبت قرآنا بالاجماع ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا اه

وان الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيها اذا حلف لا يدخل داره ومعنى الاخراج أن لا يخرج من البعول غضبا عليهم وكرهه  
 لما كنتهن أو الحاجة لهم الى المساكن وان لا ياذنوا لمن في الخروج اذا اطلب ذلك ايندانا بان اذنهم لا أثر له في رفع الحظر (ولا يخرج من)  
 بانفسهن ان أردن ذلك (الان ياتين بفاحشة مبينة) قيل هي الزنا الا أن يزني فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء  
 العدة فاحشة في نفسه (وتلك حدود الله) أي الاحكام المذكورة (ومن) (٢٩٩) يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى ايها

المخاطب (لعل الله يحدث  
 بعد ذلك أمرا) بان يقبل  
 قلبه من بعضها الى محبتها أو  
 من الرغبة عنها الى الرغبة  
 فيها ومن عزيمة الطلاق  
 الى الندم عليه فراجعها  
 والمعنى فطلقوهن لعدتهن  
 وأحصوا العدة ولا  
 تخرجوهن من بيوتهن  
 لعلكن تندمون فراجعون  
 (فاذا بلغن أجلهن) قاربن  
 آخر العدة (فامسكوهن  
 بمعروف أو فارقوهن  
 بمعروف) أي فاتهم بالخيار  
 ان شتم فالرجعة والامساك  
 بالمعروف والاحسان وان  
 شتم فترك الرجعة والمفارقة  
 واتقاء الضرر وهو أن  
 يراجعها في آخر عدتها  
 يطلقها تطويلا للعدة عليها  
 وتعذيبا لها (وأشهدوا)  
 يعني عند الرجعة والفرقة  
 جميعا وهذا الاشهاد مندوب  
 اليه الثلاث يقع بينهما التجاحد  
 (ذوى عدل منكم) من  
 المسلمين (وأقيموا الشهادة  
 لله) لوجهه خالصا وذلك  
 أن يقيموها للامشهود له  
 ولا للمشهدود عليه ولا  
 لغرض من الاغراض

فارتجعت كان على الزوج أن يكرى لها منزلا غيره ولا يجوز للزوج أن يخرج المرأة من المسكن الذي طلقها فيه  
 (ولا يخرج من) يعني ولا يجوز للمرأة أن تخرج ما لم تنقض عدتها لحي الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة أتمت  
 فان وقعت ضرورة بان خافت هداما أو غرقا جاز لها أن تخرج الى منزل آخر وكذلك اذا كان لها حاجة  
 ضرورية من بيع غزل أو شراء قطن جاز لها الخروج منها او لا يجوز ليلابدل على ذلك ان رجالا استشهدوا  
 باحد فقالت نساؤهم نستوحش في بيوتنا فاذن لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتحدثن عند  
 احداهن فاذا كان وقت النوم تاوى كل امرأة الى بيتها وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر  
 وقد كان طلقها وزوجها أن تخرج لجداد نخلها فاذا زمتها العدة في السفر تعمد في أهلها اذا هبت وراجعت بالبديهة  
 تتبوا حيث يتبوا أهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم وقوله تعالى (الان ياتين  
 بفاحشة مبينة) قال ابن عباس الفاحشة المبينة بقاءها على أهل زوجها فيحل اخرها السوء وخلقها وقيل  
 أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا  
 أن يطلقها على شوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها والفاحشة الفسوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها  
 فاحشة (وتلك حدود الله) يعني ماذ كرم من سنة الطلاق وما بعده من الاحكام (ومن يتعد حدود الله) أي  
 فيطلق لغير السنة أو تجاوز هذه الاحكام (فقد ظلم نفسه) أي ضر نفسه (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك  
 أمرا) أي يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب أن يفرق  
 الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم أمكنه المراجعة عن محارب بن دينار ان رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم قال ما حل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق أخرجه أبو داود ومرسلا وله في رواية عنه عن ابن  
 عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبغض الخلال الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس به حرم عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذي  
 وقوله تعالى (فاذا بلغن أجلهن) أي اذا فرغن من انقضاء عدتهن (فامسكوهن) أي راجعوهن (بمعروف  
 أو فارقوهن بمعروف) أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم (وأشهدوا ذوى عدل منكم) أي على  
 الرجعة وعلى الفراق أمر بالشهاد على الرجعة وعلى الطلاق \* عن عمران بن حصين أنه سئل عن رجل  
 يطلق امرأته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت بغير سنة وراجعت بغير سنة أشهد  
 على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد أخرجه أبو داود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبي حنيفة كما في قوله  
 وأشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفائدة هذا الاشهاد أن لا يقع  
 بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها وان لا يموت أحد الزوجين فيدعى الآخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل  
 أمر بالشهاد للاحتياط مخافة أن تنكر الزوجة المراجعة فتنقض العدة وتنكح زوجها غيره (وأقيموا  
 الشهادة) يعني ايها الشهود (لله) أي طلب المرادة الله وقياما بوصيته والمعنى أشهدوا بالحق وأدوها على الصحة  
 (ذلكم بوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل معناه ومن يتق الله  
 فيطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال أكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك أسراين له يسمى مالكا

سوى اقامة الحق ودفع الضرر (ذلكم) الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (بوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم  
 الآخر) أي انما ينتفع به هؤلاء (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء أمر الطلاق على السنة والمعنى  
 ومن يتق الله فطلاق للسنة ولم يضار العدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في شأن الأزواج من الغموم والوقوع  
 في المضائق ويفرج عنه ويعطيه الخلاص

(ويرزقه من حيث لا يحتسب) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم نوعاً به أي ومن يتق الله يجعل له مخرجاً وخلصاً من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجاً من شهاد الدنيا ومن غمات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آية لو أخذ الناس بهالكفتهم ومن يتق الله فزال قرضها ويعيد هاروي أن عوف بن مالك أسر المشركون ابنه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسرا بني وشكاليه الفاقه فقال ما أسى عند آل محمد الامد فأتى الله واصبروا كثر من قول لاحول ولا (٣٠٠) قوة الابائه العلي العظيم فعاد الى بيته وقال لامرأة ان رسول الله أمرني واياك أن

نستكثر من قول لاحول ولا قوة الابائه العلي العظيم فقالت نعم ما أمرنا به فجعلنا يقولان ذلك فيينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها ففترت هذه الآية (ومن يتوكل على الله) بكل أمره اليه عن طمع غيره وتديبر نفسه (فهو حسبه) كافي في الدارين (ان الله بالغ أمره) حفص منفذ أمره غيره بالغ أمره أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يجزه مطلوب (قد جعل الله لكل شئ قدراً) تقديرًا وتوقيتًا وهذا بيان لوجود التوكل على الله ونفويض الأمر اليه لانه اذا علم ان كل شئ من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل (واللائي يسنن من المحيض من نساكنكم) روى ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فاعادة اللائي لم يحضن ففترت (ان

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أسر العدو اتني وشكاليه أيضا فاقه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبروا كثر من قول لاحول ولا قوة الابائه فعفل الرجل ذلك فيينا هو في بيته اذا أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب منهم ابلا وجاء بها الى أبيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى أبيه وهي أربعة آلاف شاة ففترت ومن يتق الله يجعل له مخرجاً أي في ابنه (ويرزقه من حيث لا يحتسب) يعني ماساق من الغنم وقيل أصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى أبيه فانطلق أبوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وسأله أي حمل له أن يأكل ما أتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الآية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجاً من كل شئ ويرزقه من حيث لا يحتسب هو أن يعلم أنه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع بن خثيم يجعل له مخرجاً من كل شئ ويرزقه من حيث لا يحتسب هو أن يعلم أنه من قبل الله وقيل مخرجاً عما نهاه الله عنه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) يعني من يتق الله فيما نابه كفاه ما أهمه وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أنكم تتوكلون على الله حتى توكلوا لرزقكم كما يرزق الطير تغدو وخاصوا وتروح بطاناً (ان الله بالغ أمره) أي منفذ أمره ومعنى في خلقه ما قضاه (قد جعل الله لكل شئ قدراً) أي جعل لكل شئ من شدة أو رخاء أو جلائ ينهي اليه وقال مسروق في هذه الآية ان الله بالغ أمره توكل عليه أم لم يتوكل عليه غير ان المتوكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجره قوله عز وجل (واللائي يسنن من المحيض من نساكنكم) قيل لما نزلت والمطلقات يتر بصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلد بن النعمان بن قيس الانصاري يا رسول الله فما عدة من تحيض والتي لم تحض وعدة الحبلي فانزل الله عز وجل (واللائي يسنن من المحيض من نساكنكم) يعني القواعد اللائي قعدن عن الحيض فلا يرجي أن يحضن وهن الجاهزات الآيات من الحيض (ان ارتبتم) أي شككنكم في حكمهن ولم تدرن واما عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن) يعني الصغائر اللائي لم يحضن بعد فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر اما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيات فذهب أكثر أهل العلم الى أن عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء أو تبلغ سن الآيات فتعتد بثلاثة أشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأي وحكى عن عمر انها تتر بصن تسعة أشهر فان لم يحض فتعتد بثلاثة أشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتر بصن سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهذا كما في عدة الطلاق وأما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشرون سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض وأما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها وهو قوله تعالى (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) (ق) عن سبعة الاسمية أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدر فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنسب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما سئلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل ابن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها مالي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وأنت والله ما أنت

ارتبتم) أي أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعددن (فعدتهن ثلاثة أشهر) أي فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدره وبستين سنة أو بخمسة وخمسين أو هودم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر واذا كانت هذه عدة المرتابها فغير المرتاب بها ولى بذلك (واللائي لم يحضن) هن الصغائر وتقدره واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر فعدت الجملة له لالة المد كور عليها (وأولات الاحمال أجلهن) عدتهن (أن يضعن حملهن) والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها بعد الاجلين

(ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) يسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى (ذلك أمر الله) أي ما علم من حكم هؤلاء المعتدات (أنزله إليكم) من الملوحة المحفوظ (ومن يتق الله) في العمل بما أنزله من (٣٠١) هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه

(يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) ثم بين التقوى في قوله (ومن يتق الله فسكانه قيل كيف تعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل (أسكنوهن) وكذا وكذا (من حيث سكنتم) هي من التبعية مبعوثها محذوف أي أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكنكم (من وجدكم) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسيره كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور الضم والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي لانفقة للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها طلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نسكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتابا بنا وسنة نبينا بقول امرأة اعلمها نسيت أو شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضاروهن) ولا تستعملوا بهن الضرار

بنا كح حتى يرعيك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جعت على ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأته عن ذلك فافتاني باني قد حلت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج ان بدالي لفظ البخاري وسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا أرى باسان تزوج حين وضعت وان كانت في دمه غير انه لا يقر بهما زوجها حتى تظهر (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة (ذلك) أي ذلك الذي ذكر من الأحكام (أمر الله أنزله إليكم أي لتعملوا به) (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) قوله تعالى (أسكنوهن) يعني مطاقت نساكنكم (من حيث سكنتم من وجدكم) أي من سعتم وطاقتكم فان كان موسرا بوسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة (ولا تضاروهن) أي لا تؤذوهن (لتضيقوا عليهن) يعني في مساكنهن فيخرجن (وان كن أولات حل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) أي فيخرجن من عدتهن

﴿فصل في حكم الآية﴾ اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى مادامت في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التي طلقها الزوج فيها ملك الزوج يجب عليه أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فجمع المعير فعليه ان يكثرى لها دارا اتسكنها وأما المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلاق الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملا كانت أو غير حامل عند أكثر أهل العلم وروى عن ابن عباس أنه قال لا سكنى لها الا أن تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبي واختلفوا في نفقتها فذهب قوم الى أنه لا نفقة لها الا أن تكون حاملا يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبي وبه قال الشافعي وأحمد ومنهم من أوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعي وبه قال الثوري وأصحاب الرأي وظاهر القرآن يدل على أنها لا تستحق النفقة الا أن تكون حاملا لقوله تعالى وان كن أولات حل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وأما الدليل على ذلك من السنة فما روى عن فاطمة بنت قيس أن ابا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فأرسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله مالك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها أصحابي فاعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعشى تضعين ثيابك عنده فاذا حلت فاذا ذنبتني قالت فلما حلت ذكرت له ان معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أوجههم فلا يوضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فضعفوك لا مال له انكحى اسامة بن زيد فذكره ثم قال انكحى اسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبط أخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتد في بيت عمرو بن أم مكتوم ولا حجة فيه لما روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش خفيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة اطول لسانها على ارجائها وكان في لسانها ذرابة وأما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بغير أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا وأما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند أكثر أهل العلم وروى عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكنائها وللشافعي فيه قولان أحدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث نشاء وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة والثاني ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن

(لتضيقوا عليهن) في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج (وان كن) أي المطلقات (أولات حل) ذوات أحوال (فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) وفائدة شرط الحمل ان مدة الحمل بما أنقول فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفي ذلك الوهم



(فان أرضعن لكم) يعني هؤلاء المطلقات ان أرضعن لكم ولدان من ظنهن أنهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فأتوهن أجورهن) حكمنهن في ذلك حكم لظاهر ولا يجوز الاستحجار اذا كان الولد منهن مالم ين خلافا للساقى رحمه الله (وأتموا بينكم) أى تشاوروا على التراضى في الاجرة وأيام بعضكم بهذا الخطاب للأب والامهات (معمروف) بما يليق بالسنة وبمحسن في المروءة فلا يكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولد هما وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه (وان تعاسرتم) تضايقتن فلم ترض الام بما ترضع به الاجنبية ولم يزد الاب على ذلك (فسترضع له أخرى) فستوجد (٣٠٢) ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاقبة الام على المعاسرة وقوله له أى

للأب أى سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته أمه (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) أى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما باقعه وسعه يريد ما أمر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات ومعنى قدر عليه رزقه ضيق أى رزقه الله على قدر قوته (لا يكف الله نفسا الا ما آتاه) أعطاه من الرزق (سيجعل الله بعد عسر يسرا) بعد ضيق في المعيشة سعة وهذا وعد لذي العسر باليسر (وكاين من قرية) من أهل قرية (عتت) أى عصت (عن أمر ربه) أمر ربه (وأرسله) أعرضت عنه على وجه العتو والعتاد (فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذابا نكرا) نكر امتدنى وأبو بكر منكر اعظما (فذاقت وبال أمرها) وكان عقابها أمرها (خسرا) أى خسارها (والمعاد حساب الآخرة

عمر وبه قال مالك والثوري وأحمد واسحق واحتج من أوجب لها السكنى بما روى عن الفريرة بنت مالك ابن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأته أن ترجع الى أهلها في بني خديرة فان زوجها خرج في طلب عبد له أبوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع الى أهلى في بني خديرة فان زوجي لم يتركنى في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجر نادانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرى بنى فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال امكئى في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان أرسل الى فسألنى عن ذلك فأخبرته فتابعه وقضى به أخرجه أبو داود والترمذى فن قال بهذا القول قال اذنه لفريرة ولا بالرجوع صار منسوخا بقوله آخر امكئى في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله ومن لم يوجب السكنى قال أمرها بالمكث في بيتها آخر استحبابها بالاجوب با ﴿ قوله عز وجل (فان أرضعن لكم) يعني أولادكم (فأتوهن أجورهن) يعني على ارضاعهن وفيه دليل على أن اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام والام يمكن لها أن تأخذ عليه أجرا وفيه دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الزوج في حق الاولاد (وأتموا بينكم معمروف) أى ليقبل بعضكم من بعض اذا أمره بالمعمروف وقيل يتراضى الاب والام على أجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا أمرهم ان يأتمروا بالمعمروف وما هو الاحسن ولا يقصدوا الضرر وقيل المعمروف ههنا أن لا يقصر الرجل في حق المرأة ونفقةها ولا المرأة في حق الولد ورضاعه (وان تعاسرتم) أى في حق الولد وأجرة الرضاع فاقى الزوج أن يعطى المرأة أجرة رضاعها وأبت الام أن ترضعه فليس له اكرامها على ارضاعه بل يستأجر لصبي مرضعا غير أمه وذلك قوله (فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته) أى على قدر غناه (ومن قدر) أى ضيق (عليه رزقه) فكان بمقدار القوت (فلينفق مما آتاه الله) أى على قدر ما آتاه الله من المال (لا يكف الله نفسا) أى في النفقة (الا ما آتاه) يعنى من المال والمعنى لا يكف الفقير مثل ما يكف الغنى في النفقة (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أى بعد ضيق وشدة غنى وسعة ﴿ قوله تعالى (وكاين من قرية عتت) أى عصت وطغت والمراد أهل القرية (عن أمر ربه) أمر ربه (وأرسله) فحاسبناها حسابا شديدا) أى بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبناها بعملها في الكفر فجزاها النار وهو قوله (وعذبناها عذابا نكرا) أى منكر افظيعا وقيل في الآية تقديم وتأخير مجاز فاعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيوف وسائر أنواع البلاء وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا (فذاقت وبال أمرها) أى شدة أمرها وجزاء كفرها (وكان عقابها أمرها خسرا) أى خسرا في الدنيا والآخرة (أعد الله لهم عذابا شديدا) يخوف كفارا مكة أن ينزل بهم مثل منازل بالام الماضية (فاتقوا الله يا أولى الاباب) أى يا ذوى العقول ثم نعمتهم فقال تعالى (الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا) يعنى القرآن (رسولا) أى وأرسل اليكم

وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وحي به على لفظ الماضي لان المنتظر من وعد الله وعيده رسولا ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكان قد كان (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرر بلو وعيد وبيان لكونه مترقبا كما أنه قال أعد الله لهم هذا العذاب (فاتقوا الله يا أولى الاباب الذين آمنوا) فليكن لكم ذلك يا أولى الاباب من المؤمنين اطلقا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد احصاء السيئات واستقصاء ما عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب في العاجل وأن يكون عتت ومعطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا للكافرين (قد أنزل الله اليكم ذكرا) أى القرآن واتصّب (رسولا) بفعل مضمر تقديره أرسل رسولا وبديل

من ذكره كانه في نفسه ذكره وعلى تقدير حذف المضاف أي قد أنزل الله اليكم إذا ذكر رسولاً أو أريد بالذکر الشرف كقوله وأنه لذكركم ولقومك أي ذا شرف ومجد عند الله وبالرسول جبريل ومحمد عليهم السلام (ينزلوا) أي الرسول أو الله عز وجل (عليكم آيات الله مبينات ليخرج) الله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي ليحصل لهم ما هم عليه الساعية من الإيمان والعمل الصالح وأيضاً يخرج الذين علم أنهم يؤمنون (من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله) وبالنون مدني وشاحي (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبداً) وحده وجمع جلال على لفظ من ومعناه (قد أحسن الله له رزقاً) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب (الله الذي خلق سبع سموات) (سبع سموات) (٣٠٣) أجمع المفسرون على أن السموات سبع (ومن

الارض مثلهن) بالانصب  
عطفاً على سبع سموات  
قيل ما في القرآن آية تدل  
على أن الارضين سبع الا  
هذه الآية وبين كل سماء من  
مسيرة خمسمائة عام وغلط كل  
سما كذا والارضون  
مثل السموات وقيل  
الارض واحدة الا ان  
الاقليم سبعة (يتنزل الامر  
بينهن) أي يجري أمر الله  
وحكمه بينهن وملكه ينفذ  
فيهن (لتعلموا أن الله على  
كل شيء قدير) اللام تتعلق  
بخلق (وأن الله قد أحاط  
بكل شيء علماً) هو تمييزاً  
مصدر من غير لفظ الاول  
أي قد علم كل شيء علماً وهو  
علام الغيوب  
\* (سورة التحريم مدنية  
وهي اثنا عشرة آية) \*  
(بسم الله الرحمن الرحيم)  
(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل  
الله لك) روي أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم خلا

رسولاً (يتلوا عليكم آيات الله مبينات) قرئ مبينات بالخفض أي تبين الحلال من الحرام والامر والنهي  
وقرئ بالانصب ومعناه انها واضححة (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) أي  
من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمة الجهل إلى نور العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات  
يجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبداً) أي أحسن الله له رزقاً (يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل برزقون  
طاعة في الدنيا وثواب في الآخرة) (الله الذي خلق سبع سموات) يعني بعضها فوق بعض (ومن الارض  
مثلهن) أي في العدد (يتنزل الامر بينهن) أي الوحي إلى خلقه من السماء العليا إلى الارض السفلى وقيل هو  
ما يدبر فيهن من عجائب تدبره ينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار وبالصيف والشتاء ويخلق  
الحيوان على اختلاف هيئاته وينقله من حال إلى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك  
هذا وقيل في كل سماء من سمواته وأرض من أرضيه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه  
(لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً (يعني أنه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لا تخفى  
عليه خافية وأنه قادر على الإنشاء بعد الإفناء وكل الكائنات جارية تحت قدرته داخلية في علمه والله تعالى أعلم

تفسير سورة التحريم

وهي مدنية واثنا عشرة آية وماتان وسبع وأربعون كلمة وألف وستون حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قوله عز وجل﴾ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم

(ذ كرسب نزولها)

(ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخلوة والعسل وكان إذا انصرف  
من العصر دخل على نسائه فيدنون من أحدهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتسب عندها أكثر مما كان  
يحتسب فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت النبي صلى الله  
عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقالت إذا دخل عليك فإنه سيد نومك  
فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير فإنه سيقول لا فقولي ما هذه الرج التي أجد وكان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يشتم عليه أن يوجد منه الرج فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرت نحل العرقل  
وسأقول ذلك وقولي أنت يا صافية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذي لا اله الا هو لقد  
كذبت أبادنه بالذي قلت لي وأنه أعلى الباب فرقامنك فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله أكلت مغافير

بما ربه في يوم عائشة رضي الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها كتمتني على وقد حرمت ما ربه على نفسي وأبشرك أن أبابكر وعمر يملكان  
بومدي أمر أمي فأخبرت به عائشة وكاتمتها صافيتين وقيل خلاها في يوم حصة فأرضاهما بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه  
ومكث تسعاً وعشرين ليلة في بيت ما ربه فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صائمة قوامه وانها لمن نساك في الجنة وروي أنه شرب  
عسلاً في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقال لاله اناشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم الثقل خرم  
العسل فعنه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين وأمن العسل (تبتغي مرضات أزواجك) تفسيره تحريم أو حال أو استئناف وكان هذا إزالة  
منه لأنه ليس لاحد أن يحرم ما أحل الله (والله غفور) قد غفر لك ما زلت فيه (رحيم) قدر حرمك

قال لا قالت فما هذه الريح التي أجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرت نحوه العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له يا رسول الله ألا أسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد شربنا من ماء قلت لها اسكتي (ق) عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش في شرب عندها عسلا فتواطيت أنا وحفصة ان أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له اني أجد منك ريح مغاير فأدخل على احدهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فترزت يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله ان تنو بالي الله لعائشة وحفصة واذا أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحد ازاذي في رواية يتي بن ذلك مرضاة أزواجه **شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعاقب بهما** قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخلواء والعسل الخلواء بالدهو وكل شيء حلوا وذكرا العسل بعد ها وان كان دخلا في جلة الخلواء تنسبها على شرفه ومنزته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام قولها في الحديث الثاني فتواطيت أنا وحفصة هكذا وقع في الرواية وأصلها فتواطيت أي اتفقت أنا وحفصة قولها اني لا جدم منك ريح مغاير هو بغين مججمة وفاء بعدها ياء وراء وهو صمغ حلوا كالناطف وله رائحة كريهة ينضجه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة وبالفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ررق عريض يفرش على الأرض له شوكة ونمره خبيث الرائحة وقال أهل اللغة العرفط من شجر العضاة وهو كل شجر له شوكة وقيل رائحته كريهة التبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه رائحة كريهة قولها جرت نحوه العرفط هو بالجيم والراء والسين المهملتين ومعناه أ كات نحوه العرفط فصار منه العسل قولها في الحديث الثاني فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفي الحديث الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان عائشة وسودة وصفية هن اللواتي تظاهرن عليه قال القاضي عياض والصحيح الاول قال النسائي اسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريح صحيح جيد غاية وقال الاصيلي حديث حجاج أصح وهو أولى بظاهر كتاب الله وأكمل فائدة يريد قوله تعالى وان تظاهرا عليه وهما ثنتان لثلاثة وانهما عائشة وحفصة كما اعترف به عمر في حديث ابن عباس وسيأتي الحديث قال وقد انقلبت الاسماء على الرازي في الرواية الاخرى يعني الحديث الاول الذي فيه أن الشرب كان عند حفصة قال القاضي عياض والصواب ان شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم وكذا ذكره القرطبي أيضا وقال المفسرون في سبب النزول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة أيها فاذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريتها مارية القبطية فادخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا جلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك قالت انما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمك بيتي ووقعت عليها في يومي وعلى فراشي أمارأت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا يا امرأة ممنهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس هي جاريتي قد أحلها الله لي اسكتني فهي على حرام ألتمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة ممنهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمة مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأته وكانت متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تر لنبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلفت ان لا يقربها عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها فلم ينزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فانزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية

فلم يؤخذك به (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وقد قدر الله لكم ما تحلون به أيمانكم وهي الكفارة: أو قد شرع لكم تحليلها بالكفارة أو شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حل فلان في يمينه إذا استثنى فيها (٣٠٥) وذلك أن يقول إن شاء الله عقيلها حتى لا يحث وتحريم الحلال يمين

عندنا وعن مقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة في تحريم مارية وعن الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفوراً له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين (وإنه مولاكم) سيدكم ومتولى أموركم وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيبته أرفع لكم من نصائبكم أنفسكم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرع لكم (الحكيم) فيما أحل وحرم (وإذا أمر النبي إلى بعض أزواجه) يعني حفصة (حديثاً) حديث مارية وإمامة الشيخين (فلما نبات به) أفضته إلى عائشة رضي الله عنها (وأظهره الله عليه) وأطلع النبي صلى الله عليه وسلم على إفشاء الحديث على لسان جبريل عليه السلام (عرف بعضه) أي أعلم ببعض الحديث (وأعرض عن بعض) فلم يخبر به تكريماً قال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على أي جاز عليه من قولك للمسيء لا عرفن لك ذلك وقيل

وخرجه النسائي قال العلماء الصحيح في سبب نزول الآية أنها في قصة العسل لاني قصة مارية الروية في غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائي اسناد حديث عائشة في العسل جيد صحيح غاية \* وأما التفسير فقولها بإيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك أي من العسل أو ملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الاتضاع بها أو بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراماً بعد ما أحله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الاتضاع بذلك مع اعتقاده أن ذلك حلال بتبني مرضات أزواجك أي تطلب رضاهن بترك ما أحل الله لك والله غفور رحيم أي غفر لك ذلك التحريم (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أي بين أوجب لكم تحليل أيمانكم بالكفارة وهو ما ذكر في سورة المائدة فامر الله أن يكفر عن يمينه ويراجع أمته فاعتق رقبة (والله مولاكم) أي وليكم وناصركم (وهو العليم) أي بخلقه (الحكيم) أي فيما فرض من حكمه فصل \* اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو يمين فان قال لزوجه أنت على حرام وقال حرمتك فان نوى طلاقها فهو طلاق وان نوىظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها وأطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجارية فان نوى عتقا عتقت وان نوى تحريم ذاتها وأطلق فعليه كفارة اليمين وان قال لطعام حرمته على نفسه فلا شيء عليه وهذا قول أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين واليه ذهب الشافعي وان لم ينوشه فيه قولان للشافعي أحدهما أنه يلزمه كفارة اليمين الثاني لا شيء عليه وأنه لغو فلا يترتب عليه شيء من الأحكام وذهب جماعة إلى أنه يمين فان قال ذلك لزوجه أو جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كالجوارح لا يطؤها وان حرم طعاماً فهو كالجوارح ان لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكله واليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إذا حرم الرجل امرأته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وفي رواية إذا حرم امرأته ليس بشيء وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لفظ الجدي قوله تعالى (وإذا أمر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً) يعني ما أمر إلى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكنتم هذا ذلك وهو قوله لا تخبري بذلك أحد أو قال ابن عباس أمر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال السكبي أسرا بها ان أباك وأبأ عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدى وقيل لما رأى الغيرة في وجه حفصة أرادت أن يراضها فسر لها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في أبي بكر وأبيها عمر (فلما نبات به) أي أخبرت بذلك حفصة عائشة (وأظهره الله عليه) أي أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة (عرف بعضه) قرئ بتخفيف الراء أي عرف بعض الذي فعلته حفصة فغضب من إفشاء سره وحازها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام وأمره بمراجعتها قيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وأمرهم بطلاقها فأنها جبريل فقال لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة وقرئ عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض الحديث وأخبرها ببعض ما كان منها (وأعرض عن بعض) أي لم يعرفها إياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الامة وأعرض عن ذكر الخلافة لأنه صلى الله عليه وسلم كره ان ينشر ذلك في الناس (فلما نباتها به) أي أخبر حفصة بما أظهره الله عليه (قالت) يعني حفصة (من أنبأك هذا) أي من أخبرك بأن أفشيت السر (قال نبأني العليم) أي بما تنكته الضمائر (الخير) أي بخفيات الأمور قوله عز وجل (ان تتوبوا

المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى أنه قال لها ألم أقل لك اكنمي على قالت والذي بعثك ماملكت نفسي فرحاً بالكرامة التي خص الله بها أباه (فلما نباتها به) نبأ النبي حفصة بما أفشيت من السر إلى عائشة (قالت) حفصة للنبي صلى الله عليه وسلم (من أنبأك هذا قال نبأني العليم) بالسر أو (الخير) بالضمائر (ان تتوبوا

الى الله) يخاطب عائشة وحفصة أى من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والابذاء له (فقد صغت قلوبكم) أى زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما أن تتوبا وذلك بان سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم أزل حريصا على أن أسأل عمر ابن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر بيبعض الطريق عدل عمر وعدت معه بالادوية فتميزتم أنا في فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال عمر وعجبا لك يا ابن العباس قال الزهري كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم أخذ يسوق الحديث قال كنا مع مشرق ريش قومنا نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قومنا تغلبهم نساؤهم فطلق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم قال وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي فغضبت يوما على امرأتى فاذا هي تراجعني فانكرت أن تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا تراجعن وتهمجراه احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقالت أراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت أتهمجراه احداهن كمن اليوم الى الليل قالت نعم قلت لقد خاب من فعلت ذلك منك وخسرت أقتان من احداهن كمن أن يغضب الله عليها الغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لا تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأله شيئا وسليتي ما بالك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي أوسم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم بر بدعائشة وكان لي جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما بآبني بنجر الوحي وغيره وآتية بمثل ذلك وكنا نتحدث أن غسان تطلع الخيل لتغزونا فنزل صاحب الانصارى يوم نوبته ثم أتاني عشاء فغضب باني ثم باداني فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم قلت ماذا جاءت غسان قال لا بل أعظم من ذلك وأهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قالت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون حتى اذا صليت الصبح شددت على نياي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري ها هوذا معنزل في هذه المشربة فانبت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرك له فصمت فانطلقت حتى أنبت المنبر فاذا عنده رهط جاوس يبكي بعضهم جلست قليلا ثم غلبني ما أجد فانبت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرك له فصمت جلست الى المنبر ثم غلبني ما أجد فانبت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرك له فصمت فوليت مديرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر في جنبه فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك فرفع رأسه الى وقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قومنا تغلبهم نساؤهم فطلق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم فغضبت على امرأتى يوما فاذا هي تراجعني فانكرت اذراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا تراجعن وتهمجراه احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسرت أقتان من احداهن أن يغضب الله عليها الغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقالت لا يغرنك ان كانت جارتك هي أوسم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم فتبسم أخرى فقلت استأنس يا رسول الله قال نعم جلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجبت لهم طبيبتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان أقسم أن لا يدخل عليهن

الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معانيهما وجواب الشرط محذوف والتقدير ان تتوبا الى الله فهو الواجب ودل على المحذوف (فقد صغت) مالت (قلوبكم) عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكرهه ما يكرهه

(وان تظاهر عليه) بالتخفيف كوفي وان تعاوان عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة واقشاء سره (فان الله هو مولاه) وليه وناصره وز ياداه  
هو ايدان بانه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) ايضا وايه (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين أي كل من آمن وعمل صالحا وقيل من برى  
من النفاق وقيل الصحابة وقيل واحداً ريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح (٣٠٧) من الناس تريد الجنس وقيل أصله صالحو

المؤمنين خذفت الواو من  
الخط موافقة للفظ وقوله  
(والملائكة) على تكاثر  
عدد هم (بعد ذلك) بعد  
نصرة الله وجبريل وصالح  
المؤمنين (ظهير) فوج  
مظاهره فما يبلغ تظاهر  
امرأتين على من هؤلاء  
ظهاره ولما كانت مظاهرة  
الملائكة من جملة نصرة  
الله قال بعد ذلك تعظيماً  
لنصرتهم ومظاهرهم  
(عسى ربه ان تطلقك ان  
يبده) يبده مدني وأبو  
عمرو فالقصد بديل للكثر  
(أزواجاً خيراً ممنك) فان  
قلت كيف تكون المبدلات  
خيراً ممنك ولم يكن على  
وجه الارض نساء خيراً من  
أمهات المؤمنين قلت اذا  
طلقت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لا يذاتهن اياه لم  
يبقين على تلك الصفة وكان  
غيرهن من الموصوفات  
بهذه الاوصاف خيراً ممنك  
(مسلمات مؤمنات)  
مقرات مخلصات (قاتنات)  
مطيعات فالقنوت هو  
القيام بطاعة الله وطاعة الله  
في طاعة رسوله (نائبات)  
من الذنوب أو رجعات  
الى الله والى أمر رسوله

شهر من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة لعائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال  
الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ  
بي فقالت يا رسول الله انك أقسمت أن لا تدخل علينا شهر او انك دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال  
ان الشهر يكون تسعاً وعشرين زاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة ثم قال يا عائشة اني اذا كر  
لك امر افلا عليك أن لا تنجلي حتى تستأمرى أبويك ثم قال يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن  
الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ الى قوله عظيماً قالت عائشة قد علم والله أن أبوي لم يكونا ليا أمر اني بفراقه فقلت  
في هذا استأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة زاد في رواية ان عائشة قالت لا تخبر نساءك أني  
اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أرسلني مبلغاً ولم يرسلني متعنتاً ولمسلم عن ابن عباس عن  
عمر بن الخطاب وفيه قال دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فان كنت تطلقهن فان الله  
معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقامت كلمت وأحمد الله بكلام الا  
رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول ونزلت هذه الآية عسى ربه ان تطلقك ان يبده أزواجاً خيراً  
منك وان تظاهر عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهروا فيه أنه  
استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه فاذن له وأنه قام على باب المسجد  
فنادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه

شرح بعض ألفاظه قوله فعدلت معه بالادارة أي فلتت معه بالركوة فتبرز أي أتى البراز وهو القضاء  
من الارض لقضاء الحاجة العوالم جمع عالية وهي أما كن باعلى أراضى المدينة قوله ولا يغرنك أن كانت  
جارتك يريد بها الضررة وهي عائشة أو سم منك أي أكثر حسنا وواجب الامنك قوله فكنا نتناوب النزول  
التناوب هو أن يفعل الانسان مرة ويقعله الآخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها العرفة قوله فاذا هو متكى  
على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ضربه ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير وطاء سوى  
الحصير قوله ما رأيت فيه ما يرد البصر الأبهة ثلاثة الابهة والاهب جمع اهاب وهو الجلد قوله من شدة  
موجدته الموجدة الغضب قوله تعالى (وان تظاهر عليه) أي تعاوان على ايداء النبي صلى الله عليه وسلم (فان  
الله هو مولاه) أي وليه وناصره (وجبريل) يعني وجبريل وليه وناصره ايضا وانما أفردوه وان كان داخل في  
جملة الملائكة تعظيماً له وتبنيها على علو منزلته ومكاتبته (وصالح المؤمنين) روى عن ابن مسعود وأبي بن  
كعب صالح المؤمنين أبو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الأنبياء  
(والملائكة بعد ذلك) أي بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين (ظهير) أي أعوان للنبي صلى الله عليه  
وسلم بنصرونه (عسى ربه) أي واجب من الله (ان تطلقك) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان يبده  
أزواجاً خيراً ممنك) ثم وصف الأزواج اللواتي كان يزوجهن فقال (مسلمات) أي خاضعات لله  
بالطاعة (مؤمنات) أي مصدقات بتوحيد الله تعالى (قاتنات) أي طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات  
بالليل (نائبات) أي تاركات للذنوب لقبحها وكثيرات التوبة (عابدات) كثيرات العبادة (سائحات)  
أي صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح (نبيات) جمع نيب وهي التي تزوجت ثم بان  
توجه من الوجوه (وأبكاراً) أي عنذاري جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة لاعن الكون لانه  
قال ان تطلقك وقد علم أنه لا يطلقهن فأخبر عن قدرته أنه ان تطلقهن أبده أزواجاً خيراً ممنك نحو يفا

(عابدات) لله (سائحات) مهاجرات أو صائمات وقيل للصام سائح لان السائح لازاد معه فلا يزال ممسكاً الى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم  
في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره (نبيات وأبكاراً) انما وسط العاطف بين النبيات والابكار دون سائر الصفات لانهم صافتان  
متنافيتان بخلاف سائر الصفات

(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وأهلكتكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لا تنقد الا بالناس والحجارة كما تنقد غيرهما من النيران بالخطب (عليها) بلى أمرها وتعديب أهلها (ملائكة) يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانهم (غلاظ شداد) في (٣٠٨) احرامهم غلظة وشدة أو غلاظ الاقوال شداد الافعال (لا يعصون الله) في موضع الرفع

على النعت (ما أمرهم) في محل نصب على البدل اي لا يعصون ما أمر الله أي أمره كقوله أفصبت أمرى أو لا يعصونه فيما أمرهم (ويضعون ما يؤمرون) وليست الجملتان في معنى واحد اذ معنى الاولى انهم يتقبلون أو أمره ويلتزمونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتناقضون عنه ولا يتوانون فيه (يا أيها الذين كفروا لاتعتدروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتدروا لانه لا يعتذر لكم أو لانه لا يفتعكم الاعتذار (يا أيها الذين آمنوا اتوبوا الى الله توبة نصوحا) صادقة عن الاخفش رحمه الله وقيل خالصة يقال غسل ناصح اذا خلص من الشمع وقيل نصوحا من ناصحة الثوب أي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خلقك ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم الى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجدة والعزيمة في العمل على

لمن قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته (وأهلكتكم) يعني مروهم بالخير وانهم هم عن الشر وعلوهم وأدبهم تقوهم بذلك (نارا وقودها الناس والحجارة) يعني الكبريت لانه أشد الاشياء حرا وأسرع ايقادا (عليها ملائكة) يعني خزنة النار وهم الزبانية (غلاظ) أي فظاظ على أهل النار (شداد) يعني أقو ياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفا في النار لم يخلق الله الرحمة فيهم (لا يعصون الله ما أمرهم) أي لا يخالفون الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه (ويضعون ما يؤمرون) أي لا تأخذهم أرق في تنفيذ أو امره والانتقام من أعدائه (يا أيها الذين كفروا لاتعتدروا اليوم) أي يقال لهم لاتعتدروا اليوم وذلك حين يعاينون النار وشدها لانه قد قدم اليهم الانذار والاعتذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار (انما تجزون ما كنتم تعملون) يعني ان أعمالكم السيئة ألزمتكم العذاب قوله (يا أيها الذين آمنوا اتوبوا الى الله توبة نصوحا) أي ذات نصوح تنصح صاحبها بترك العود الى الذنب الذي تاب منه قال عمر بن الخطاب وأبي بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللب الى الضرع وقال الحسن هي أن يكون العبد نادما على ماضى مجعها على أن لا يعود اليه وقال الكلبي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها أنفسكم وقال محمد بن كعب القرظي التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالبدن واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الاخوان

**فصل** وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لاتعاقب بحق آدمي فلها ثلاثة شروط أحدها أن يقلع عن المعصية والثاني أن يندم على فعلها والثالث أن يعزم على أن لا يعود اليها أبدا فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تنصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشرطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع أن يبرأ من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى صاحبه وان كان حد قذف أو نحوه ممكنه من نفسه أو طاب عفوه وان كانت غيبة استحلها منها ويجب أن يتوب العبد من جميع الذنوب فان تاب من بعضها محت توبته من ذلك الذنب وبقي عليه ما لم يتب منه هذا مذهب أهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة (م) عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب في اليوم مائة مرة (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة الحديث (م) عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) هذا اطماع من الله تعالى لعباده في قبول التوبة وذلك تفضلا وتكراما لا وجوبا عليه

مقتضياتها ويضم النون حماد ويحي وهو مصدر أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا وجاء مرفوعا أن التوبة النصوح (ويدخلكم) ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب الى أن يعود اللب في الضرع وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه هي الاستغفار باللسان والندم بالجنان والاقلاع بالاركان (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) هذا على ما جرت به عادة الملوك من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت

(ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) وانصب (يوم) بيد خلكم (لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) فيه تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر (نورهم) مبتدأ (يسعى بين أيديهم ويايمانهم) في موضع الخبر (يقولون ربنا أتم لنا نورنا) يقولون ذلك إذا انطفأ نور المنافقين (واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) بالقول الغليظ والوعظ البليغ وقيل بإقامة الحدود عليهم (واغظ عليهم) على الفريقين فيما يجاهد ههما به من القتال والحاجة باللسان (وما وأهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرات لوط كاتاحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم (٣٠٩) يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار

مع الداخلين) مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محابة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وان كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما ناقتا ونجات الرسولين بأفشاء أسرارهما فلم يغن الرسولان عنهما أي عن المرأتين بحق ما بينهما وبينهما من الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل له ما عند موتهما أي يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء أو مع داخلين من اخوانكم من قوم نوح وقوم لوط (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) هي آسية بنت مزاحم أمنت بموسى فعذبها فرعون باللاتاد الأربعة (اذ قالت) وهي تعذب

(ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) أي لا يعذبهم بدخول النار (نورهم يسعى بين أيديهم ويايمانهم) يعني على الصراط (يقولون ربنا) يعني اذا انطفأ نور المنافقين (أتم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم وما وأهم جهنم وبئس المصير) تقدم تفسيره قوله تعالى (ضرب الله مثلا) أي بين شها وحالا (للذين كفروا امرأت نوح) واسمها واعلة (وامرأة لوط) واسمها واهلة وقيل اسمها واهلة واطلة (كاتاحت عبدين من عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم (نجاتهما) قال ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امرأة نبي قط وانما كانت حياتهما انهما كاتاعا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به أحد أخبرته الجبارة من قومها وأما امرأة لوط فانها كانت تدل قومها على أضيافه اذ انزل به ضيف بالليل أو قادت النار واذا نزل به ضيف بالنهار دخت لتعلم قومها بذلك وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) أي لم يدفعن عن امرأتيهما مع نبوتهما عذاب الله (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وهذا مثل ضرب به الله تعالى لالصالحين والصالحات من النساء وأنه لا ينفع العاصي طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان القريب كالاجانب بل أبعد وان كان القريب الذي يتصل به الكافر نبيا كما امرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتيهما شيئا فقطع بهد الآبة طمع من يرتكب المعصية ويتكلم على صلاح غيره وفي هذا المثل تعريض باي المؤمنين عاتشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على اغاظ وجهه وأشده \* ثم ضرب مثلا آخر يتضمن ان معصية الغير لا تضره اذا كان مطيعا وان وصلة المسلم بالكافر لا تضر المؤمن فقال تعالى (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) يعني آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة أمنت به امرأة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها أوتديدها ورجلها بارية وتادوا لقاها في الشمس فكانت تعذب في الشمس فاذا انصرفوا عنها أظلمت الملائكة (اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) فكشف الله طاعن بيتها في الجنة وقيل ان فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أوتها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فابصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء وانزعرت روحها فالقيت الصخرة على جسد لاروح فيه ولم نجد الماء وقيل رفع الله امرأة فرعون الى الجنة فهي تأكل وتشرب فيها (ونجى من فرعون وعمله) يعني وشركه وقال ابن عباس عمله يعني جماعه (ونجى من القوم الظالمين) يعني الكافرين (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) أي عن الفواحش والمحصنة العفيفة (فنفخنا فيه) أي في جيب درعها ولذلك ذكر الكآبة (من روحنا) اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله (وصدقت بكلمات ربها) يعني الشرائع التي شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على أنبيائه (وكتبه) يعني الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام (وكانت من القاتنين) يعني كانت من

(رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) فكانها أرادت الدرجة العالية لانه تعالى منه عن المكان فعبرت عنها بقولها عندك (ونجى من فرعون وعمله) أي من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجى من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والاتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا) فنفع جبريل بامرنا (فيه) في الفرج (من روحنا) الخلوقة لنا (وصدقت بكلمات ربها) أي بصحفة التي أترها على ادريس وغيره (وكتبه) بصري وحفص يعني الكتب الأربعة (وكانت من القاتنين)



لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غالب ذكوره على انائه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القاتنين لانها من أعقاب هرون أخي موسى عليهما السلام ومثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافر بن لانصرهم ولا تنقص شيأ من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله ومريم ابنة عمران وما أنبت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفار او في طي هذين التمثيلين تعريض باي المؤمنين المذكورين في أول السورة وما فرط منهم من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير طمعا على أغلاظ وجهه وإشارة الى أن من حقهما أن يكونا في الاخلاص كهاتين المؤمنتين وأن (٣١٠) لا يتكلا على أنهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿سورة الملك مكية وهي ثلاثون آية﴾

وتسمى الواقعة والمنجية لانها تقي قارئها من عذاب القبر وجاء مرفوعا من قرأها في ليلة أكثر وأطيب

القوم القاتنين أي المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا أهل بيت صلاح وطاعة لله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الملك﴾

مكية وهي ثلاثون آية وثلاثون كلمة وألف وثلاثون وثلاثة عشر حرفا

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى يغفر له وهي تبارك الذي بيده الملك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ولا يبي داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر انسان وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (تبارك الذي بيده الملك) أي له الامر والنهي والسلطان فيعزم من يشاء ويذل من يشاء (وهو على كل شيء قدير) أي من الممكنات (الذي خلق الموت والحياة) قيل أراد موت الانسان وحياته في الدنيا يجعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه أقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه أقدم وذلك لان الاشياء كانت في الابتداء في حكم الموقى كالتراب والنفطة والعلقة ونحو ذلك ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجدر بحه شيء الامات وخلق الحياة على صورة فرس بقاء وهي التي كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشيء ولا يجدر ربحها شيء الاحي وهي التي أخذ السامري قبضة من أثرها فلقاها في الجبل فخاروحي وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهي القوة الحساسة مع وجود الروح في الجسد وبه سمي الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف في هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار والحياة أيضا نعمة اذ لولاها لم ينعم أحد في الدنيا ولم يصل اليه الثواب في الآخرة (ليبلاوكم) أي لبتخبركم فيما بين الحياة الى الموت (أيكم أحسن عملا) روى عن ابن عمر مرفوعا أحسن عملا أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعته وقال الفضيل بن عياض أحسن عملا أخصه وأصوبه وقال أيضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك) تعالى وتعظيم عن صفات الخلقين (الذي بيده الملك) أي يتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود وهو مالك الملك يؤتية من يشاء وينزع من يشاء (وهو على كل شيء) من الفسادات أو من الانعام والانتقام (قدير) قادر على السكال (الذي خلق الموت) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الذي قبله (والحياة) أي ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلاوكم) ليمتحنكم بامر وهنبيه فيما

بين الموت الذي يم الامير والاسير والحياة التي لاتقى بعليل ولا طيب فيظهر منكم ما علم أنه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم (أيكم) مبتدأ وخبره (أحسن عملا) أي أخصه وأصوبه فالخالص أن يكون لوجه الله والصواب أن يكون على السنة والمراد أنه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على التبيح فما ورأه الا البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان أقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى السوق له الآية أهم ولما قدم الموت الذي هو أثر صفة القهر على الحياة التي هي أثر اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله

(وهو العزيز) أي الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) الستور الذي لا يبأس منه أهل الاساءة والزلال (الذي خلق سبع سموات طباقا) مطبقة بعضها فوق بعض من طباق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر وأعلى ذات طباق أو على طوبقت طباقا وقيل جمع طبق كجمل وجمال والخطاب في (ما ترى في خلق الرحمن) للرسول أو لكل مخاطب (من تفاوت) تفاوتت حجرة وعلى ومعنى البناء بن واحد كالتعاهد والتعهد أي من اختلاف واضطراب وعن السدي من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضها ولا يلائمه وهذه الجملة صفة لطباق أو أصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن وتنديها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه يباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب (فارجع البصر) رده إلى السماء حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعانة فلا تبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق (ثم ارجع البصر كرتين) كرر النظر مرتين أي كرتين مع الأولى وقيل سوى الأولى (٣١١) فتكون ثلاث مرات وقيل لم يرد الاقتصار على

مرتين بل أراد به التكرير بكثرة أي كرر نظرك ووقفه هل ترى خللا أو عيبا وجواب الامر (ينقلب) يرجع (اليك البصر خاسئا) ذابلا أو بعيدا مما ترى وهو حال من البصر (وهو حسير) كليل معي ولم ترفقها خللا (ولقد زينا السماء الدنيا) القربى أي السماء الدنيا منكم (بمصابيح) بكواكب مضئة كإضاءة الصبح والمصابيح السرج فسميت بها الكواكب والناس يزبنون مساجدهم ودورهم بأيقاد المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح أي بأبواب المصابيح لا تواز بها مصابيحكم إضاءة (وجعلناها رجوما

لله والصواب اذا كان على السنة وقيل أيكم أزهدي في الدنيا (وهو العزيز) أي الغالب المنتقم من عصاه (الغفور) أي لمن تاب إليه ورجع عن اساءته ﴿ قوله تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقا) يعني طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الأخرى وسماء الدنيا كالقبة على الأرض قال كعب الاحبار سماء الدنيا موج مكشوف والثانية مرمرية بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أو قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حجارة وما بين السماء السابعة إلى العجب السبعة صحار من نور (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) أي ما ترى يا ابن آدم في شيء مما خلق الرحمن اعوجاجا ولا اختلافا ولا تناقضا بل خلقهن مستقيمة مستوية (فارجع البصر) أي كرر النظر (هل ترى من فطور) أي شقوق وصدوع (ثم ارجع البصر كرتين) قال ابن عباس مرة بعد مرة (ينقلب) أي ينصرف (اليك) فيرجع (البصر خاسئا) أي صاغرا ذابلا مبعدا لم ير ما بهوى (وهو حسير) أي كليل منقطع لم يدرك ما طلب (ولقد زينا السماء الدنيا) أي القربى من الأرض وهي التي يراها الناس (بمصابيح) أي بكواكب كالمصابيح في الإضاءة وهي أعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم لها نور قيل خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ورجوم للشياطين وهو قوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل الكواكب زينة للسماء يقتضى بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضى زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد أنهم يرمون باجرام الكواكب بل بجوزان تنفصل من الكواكب شعلة وترى الشياطين بتلك الشعلة وهي الشهب ومثلها كمثل قيس يؤخذ من النار وهي على حالها (وأعتدنا لهم) أي وأعتدنا للشياطين بعد الاحتراق في الدنيا (عذاب السعير) أي في الآخرة وهي النار الموقدة (وللذين كفروا بربهم) أي ليس العذاب مختصا بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس وجن (عذاب جهنم) وبئس المصير) ثم وصف جهنم فقال تعالى (اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) هو أول صوت نهيق الحمار وذلك أقيح الاصوات (وهي نفور) أي تغلى بهم كغلى الرجل وقيل نفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحطب القليل (تكاد تبز) أي تنقطع (من الغيظ) من غيظها عليهم (كلما ألقى فيها فوج) أي جماعة (سألمهم

للشياطين) أي لأعدائكم الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تناول فيها غير ذلك فقد تكف ما لا علم له به والرجوم جمع رجوم وهو مصدر رمى به ما يرجم به ومعنى كونها رجوما للشياطين أن ينفصل عنها شهاب قيس يؤخذ من نار فيقتل الجنى أو ينجبه لان الكواكب لا تزول عن أماكنها فإضاءة في الفلك على حالها (وأعتدنا لهم) للشياطين (عذاب السعير) في الآخرة بعد الاحتراق بالشهب في الدنيا (وللذين كفروا بربهم) ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك (وبئس المصير) المرجع جهنم (اذا ألقوا فيها) طر حوا في جهنم كما يطرح الحطب في النار العظيمة (سمعوا لها) لجهنم (شهيقا) صوتا منكرا كهوت الجبر شبه حسيبها النكر الفظيع بالشهيق (وهي نفور) تغلى بهم غليان الرجل بما فيه (تكاد تبز) أي تتميز يعني تنقطع وتتفرق (من الغيظ) على الكفار جعلت كالمقظة عابهم استعارة لشدة غليانها بهم (كلما ألقى فيها فوج) جماعة من الكفار (سألمهم

خزنتها) مالك وأعوانه من الزبانية توبيخا لهم (ألم يأتكم نذير) رسول يخوفكم من هذا العذاب (قالوا بلى قد جاءنا نذير) اعتراف منهم بعدل الله واقرار بانه تعالى أزاح عنهم بيعت الرسل وادارهم ما وقعوا فيه (فكذبنا) أي فكذبناهم (وقلنا ما نزل الله من شيء) بما تقولون من وعد ووعد وغير ذلك (ان أتم الا في ضلال كبير) أي قال الكفار لا منذر من ما أتم الا في خطأ عظيم فالنذير بمعنى الانذار ثم وصف به منذروهم لغاؤهم في الانذار كأنهم ليسوا بالانذار اوجاز أن يكون هذا كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك أو سمو اجزاء الضلال باسمه كما يسمى جزاء السبئة والاعتداء سبئة واعتداء ويسمى المشاكلة في علم البيان أو كلام الرسل لهم حكمه للخزنة أي قالوا لنا هذا فلم نقبله (وقالوا لو كنا نسمع) الانذار سماع طالب الحق (أو نعقل) عقل متأمل (ما كنا في أصحاب السعير) في جملة أهل النار وفيه دليل على أن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وانهما محتجان ملزمان (فاعترفوا بذنبهم) بكفرهم في تكذيبهم الرسل (فسحقنا أصحاب السعير) وبضم (٣١٢) الحاء يزيد وعلى فبعد الهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا أو وجدوا فان ذلك

لا ينفعهم واتصاه على انه مصدر ووقع موقع الدعاء (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) قبل معاينة العذاب (لهم مغفرة) للذنوب (وأجر كبير) أي الجنة (وأسرأقولكم وأجهروا) ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستوعندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما روى أن مشركي مكة كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوه فيه ونالوا منه فقالوا فيما بينهم أسروا قولكم لتلاسمع الحمد فنزل ثم عليه بقوله (انه عليم بذات الصدور) أي بضمها ثرها قبل أن ترجم الالسنه عنها فكيف لا يعلم

خزنتها) يعني سؤال توبيخ وتقرير (ألم يأتكم نذير) أي رسول يندركم (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا) (وقلنا) يعني للرسول (ما نزل الله من شيء) وهذا اعتراف منهم بانه أزاح عنهم بيعت الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل الله من شيء (ان أتم الا في ضلال كبير) فيه وجهان أحدهما وهو الاظهر أنه من جملة قول الكفار للرسول والثاني يحتمل أن يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا في ضلال كبير (وقالوا لو كنا نسمع) أي من الرسل ما جاؤا به (أو نعقل) أي نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعلم به (ما كنا في أصحاب السعير) وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعي ونعقل عقل من يميز وتظنر وتفكر ما كنا في أصحاب السعير (فاعترفوا بذنبهم) هو في معنى الجمع أي يتكذبون بهم الرسل وقولهم ما نزل الله من شيء (فسحقنا) أي بعدا (لأصحاب السعير) قوله عز وجل (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافون ربهم ولم يروه فيؤمنوا به خوفا من عذابه (لهم مغفرة) أي لذنوبهم (وأجر كبير) يعني جزاء أعمالهم الصالحة (وأسرأقولكم وأجهروا به) قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كي لا يسمع الحمد فاخبره الله أنه لا يخفي عليه خافية فقال تعالى (انه عليم بذات الصدور) ثم أكد ذلك بقوله تعالى (الايعلم من خلق) يعني الايعلم من خلق مخلوقه وقيل الايعلم الله من خلق والمعنى الايعلم الله ما في صدور من خلق (وهو اللطيف) أي باستخراج ما في الصدور (الخبير) بما فيها من السر والوسوسة قوله تعالى (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا) الذلول المنقاد من كل شيء والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها الحزوتها وغاظها (فامشوا في مناكبها) أمر اباحة وكذا قوله (وكلاوا من رزقه) ومناكبها جوانبها وأطرافها ونواحيها وقيل طرفها وجانها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السالك في جبالها وهو أبلغ التذلل وكلاوا من رزقه أي مما خلقه الله لكم في الأرض (واليه النشور) أي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أأمنتم من في السماء) قال ابن عباس يعني عقاب من في السماء ان عصبتموه (أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور) أي تتحرك باهلها وقيل تهوى بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى يقلبهم الى أسفل وتعالوا الأرض عليهم وتمور فوقهم أي تجي عونذهب (أم أمنتم من في السماء أن يرسل

مانكم به (الايعلم من خلق) من في موضع رفع بانه فاعل يعلم (وهو اللطيف الخبير) أنكر أن لا يحيط عامما بالمضمير عليكم والمسر والمجهر من خلقه هارته انه اللطيف أي العالم بدقائق الاشياء الخبير العالم بحقائق الاشياء وفيه اثبات خلق الاقوال فيكون دليلا على خلق أفعال العباد وقال أبو بكر بن الاصم وجعفر بن حرب من مفعول والفاعل مضموم وهو الله تعالى فاحتالاهنا لنفي خلق الافعال (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا) لينة سهلة المذلة لا تمتنع المشي فيها (فامشوا في مناكبها) جوانبها استدللا واستترزا أو جبالها وأطرافها (وكلاوا من رزقه) أي من رزق الله فيها (واليه النشور) أي واليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (أم أمنتم من في السماء) أي من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيها ولانهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه في السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم (أم أمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المسكان (أن يخسف بكم الأرض) كما يخسف بقارون (فاذا هي تمور) تضطرب وتتحرك (أم أمنتم من في السماء أن يرسل

عليكم حاصبا) حجارة أن يرسل بدل من من بدل الاشتغال وكذا ان يخسف (فستعلمون كيف نذير) أي اذا رأيت المنذر به علمت كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم (ولقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك (فكيف كان تكبير) أي انكارى عليهم اذا هلكتهم ثم نبه على قدرته على الخسف وارسال الحاصب بقوله (أولم يروا الى الطير) جمع طائر (فوقهم) في الهواء (صافات) باسطات أجنحتهن في الجوع عند طيرانهن (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوين ويقبضن معطوف على اسم الفاعل جملا على المعنى أي يصفقن ويقبضن أو صافات وقابضات واختيار هذا التركيب باعتبار أن أصل الطيران هو وصف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والهواء للطائر كالماء للسباح والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها وأما القبض فطائر على البسط للاستظهار به على التحرك فجئ بمهاو طائر بلطف الفعل على معنى أمن صافات ويكون منهن القبض نارة بعد نارة كما يكون من السباح (ما يسكنهن) عن الوقوع عند القبض والبسط (الارجن) بقدرته والافتقيل يتسفل طبعها ولا يعاوي كذا أو أمسك حفظه (٣١٣) وتديره عن العالم لتهاقت الافلاك وما يسكنهن مستأنف وان جعل حالا

من الضمير في يقبضن يجوز (انه بكل شيء بصير) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر المجائب (أمن) مبتدأ خبره (هذا) ويبدل من هذا (الذي هو جندلكم) ومحمل (ينصركم من دون الرحمن) رفع نعت لجند محمول على اللفظ والمعنى من المشار اليه بالنصر غير الله تعالى (ان الكافرون الا في غرور) أي ما هم الا في غرور (أمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه) أم من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون

عليكم حاصبا) يعني ربحا ذات حجارة كما فعل يقوم لوط (فستعلمون) أي عند الموت في الآخرة (كيف نذير) أي انذاري اذا عايتكم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) أي من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية (فكيف كان تكبير) أي انكارى عليهم أليس وجدوا العذاب حقا وقوله عز وجل (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات) أي باسطات أجنحتهن في الجوع عند طيرانها (ويقبضن) أي يضممن أجنحتهن اذا ضربن بهن جنوين بعد البسط (ما يسكنهن) أي حال القبض والبسط (الارجن) والمعنى أن الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها في الجوا الا بما ساك الله عز وجل اياها وحفظه لها (انه بكل شيء بصير) يعني انه تعالى لا تخفى عليه خافية (أمن هذا الذي هو جندلكم) استفهام انكار أي لا جندلكم (ينصركم) أي ينعكم (من دون الرحمن) أي من عذاب الله قال ابن عباس أي من ينصركم مني ان أردت عذابكم (ان الكافرون الا في غرور) أي من الشيطان يغرهم ان العذاب لا ينزل بهم (أمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه) يعني من ذا الذي يرزقكم المطر ان أمسكه الله عنكم (بل لجوا) أي تبادوا (في عتو) أي نبؤرتكبر (ونفور) أي تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال تعالى (أفمن يمشى مكبا على وجهه) أي كابرأسه في الضلالة والجهالة أعشى القلب والعين لا يبصر عينا ولا شملا وهو الكافر أكب على الكفر والمعاصي في الدنيا فخره الله على وجهه يوم القيامة (أهدى) أي هو أهدى (أمن يمشى سويا) أي قائما معتد لا يبصر الطريق (على صراط مستقيم) يعني المؤمن يمشى يوم القيامة سويا (قل هو الذي أنشأكم) أي خلقكم (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعني أنه تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما أبصرتموه ولا تأملتم ما عقلتموه فكأنكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها في غير ما خلقت له فلهذا قال (قل لا ماتشكرون) وذلك لان شكر نعم الله صرفها في وجه مرضانه فلما صرفتموها في غير مرضانه فكأنكم ما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها (قل هو الذي ذرأكم) أي خلقكم وبشكم (في الارض واليه تحشرون) أي يوم القيامة والمعنى أن القادر على الابداء قادر على الاعادة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) هذا سؤال يحتمل وجهين أحدهما أنه سؤال عن نزول العذاب بهم والثاني أنه

(٤٠ - خازن) - رابع) بركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصروا الزايق فلما لم يتعظوا أضرب عنهم فقال (بل لجوا) تبادوا في عتو) استكبار عن الحق (ونفور) وشرا عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (أفمن يمشى مكبا على وجهه) أي ساقطا على وجهه به اثر كل ساعة وشمى معتسفا وخبر من (أهدى) أرشداً كب مطاوع كبه يقال كبتته فاكب (أمن يمشى سويا) مستويا منتصبا سالما من العنور والخرور (على صراط مستقيم) على طريق مستور وخبر من محذوف للدلالة اهدى عليه وعن الكبي يعني بالمسك أباجهل وبالسوى النبي عليه السلام (قل هو الذي أنشأكم) خلقكم ابتداء (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصها لانها آلات العلم (قل لا ماتشكرون) هذه النعم لانكم تشكرون بالله ولا تخلصون له العبادات والمعنى تشكرون شكرا قليلا ومازائدة وقيل القلة عبارة عن العدم (قل هو الذي ذرأكم) خلقكم (في الارض واليه تحشرون) للحساب والجزاء (ويقولون) أي الكافرون للمؤمنين استهزاء (متى هذا الوعد) الذي تعدوننا به يعني العذاب (ان كنتم صادقين) في كونه فاعلموا نازماته

(قل إنما العلم) أي علم وقت العذاب (عند الله وإنما أنا نذير) مخوف (مبين) أي بين لكم الشرائع (فلما رأوه) أي الوعد يعني العذاب الموعود (زلفه) قر بيا منهم واتصباها على الحال (سببت وجوه الذين كفروا) أي ساءت رؤيته الوعد وجوههم بان علتها الكآبة والمساءة وغشيتها القفرة والسواد (وقيل هذا الذي) القائلون الزبانية (كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء أي تسألون تحجيلة وتقولون اتنابنا عندنا وهو من الدعوى أي كنتم بسببه تدعون (٣١٤) انكم لا تبعثون وقرأ يعقوب تدعون (قل أرأيتم ان أهلكني الله) أي أمانتي الله

كقوله ان امرؤ هلك (ومن مسمى) من أصحابي (أو رجنا) أو آخر في آجالنا (فن يجير) يجير الكافر ين من عذاب أليم) مؤلم كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين باهلاك قامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متر بصون لاحدى الحسين امان نهلك كما تمنون فنقلب الى الجنة أو نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو فاتم ما تصنعون من مجبركم وأتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه (قل هو الرحمن) أي الذي أدعوك اليه الرحمن (آمنابه) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) فوضنا اليه أمورنا (فستعلمون) اذ انزل بكم العذاب وبالآباء على (من هو في ضلال مبين) نحن أم أتم (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) غائرا ذاهبا في الارض لاتناله الدلاء وهو وصف بالمصدر

سؤال عن يوم القيامة فاجاب الله عن ذلك بقوله (قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين) أمره باضافة العلم الى الله تعالى وتبليغ ما وحى اليه (فلما رأوه) يعني العذاب في الآخرة على قول أكثر المفسرين وقيل يعنى العذاب بيد (زلفه) أي قريبا (سببت وجوه الذين كفروا) أي اسودت وعلتها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد (وقيل) لهم أي وقالت لهم الخزنة (هذا الذي كنتم به تدعون) من الدعاء أي تمنون وتطلبون أن يجعل لكم (وقيل من الدعوى أي تدعون أنه باطل) (قل) يا محمد لشركي كفة الذين يمتنون هلاكك (أرأيتم ان أهلكني الله ومن معي) أي من المؤمنين (أو رجنا) أي فابقا ما وأخر في آجالنا (فن يجير الكافرين من عذاب أليم) أي انه واقع بهم لاحالة وقيل في معنى الآية قل أرأيتم ان أهلكني الله أي فعذبني ومن معي أو رجنا أي فغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فننجز مجبركم أو يمنعكم من عذاب أليم وأتم كافرون وهذا قول ابن عباس (قل) أي قل لهم في انكارك عليهم وتو بيحك لهم (هو الرحمن آمنابه وعليه توكلنا) أي نحن آمنابه وعبادناه وأتم كفرتم به (فستعلمون) أي عند معاينة العذاب (من هو في ضلال مبين) أي نحن أم أتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم) قيل يريد ماء زمزم وقيل غيرهما من المياه (غورا) أي غائرا ذاهبا في الارض لاتناله الايدي والدلاء (فن ياتيكم بماء معين) أي ظاهر تراه العيون وتناله الايدي والدلاء وقال ابن عباس معين أي جار والمقصود من الآية أن يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريمهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى أخبروني ان صار ماؤكم ذاهبا في الارض فن ياتيكم بماء معين فلا بد أن يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فم تجعلون معه من لا يقدر على شيء أصلا شر يكال في العبودية فهذا محال والله أعلم

﴿ تفسير سورة ن ﴾

مكية وهي اثنان وخمسون آية وثلاثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل (ن) قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وعنه أن أول ما خلق الله القلم جري بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فبادت الارض فأنبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون بهموت وقيل ليوناً وقيل لوثيا وعن علي بلهوت قال أصحاب السير والاشبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارض السبع وضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثور له أربعمائة ألف قرن وأربعمائة ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فاخذ الله ياقوته خضرا من أعلى درجة الفردوس غاظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعا بين سنام الثور الى أذنه فاستقر عليها قدم الملك وقرن ذلك الثور خارجة من أقطار الارض ومنخاره في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس من البحر وادار نفسه جزر البحر فلم يكن لقرن الثور قرار خلق

الله

كعدل بمعنى عادل (فن ياتيكم بماء معين) جار يصل اليه من أرادته وتليت عند ملحد فقال ياتي بالمعول والمعن

فذهب ماء عينه في تلك الليلة وعمي وقيل انه محمد بن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة ﴿ سورة ن مكية وهي اثنان وخمسون آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ن) الظاهر ان المراد به هذا الحرف من حروف المعجم وأما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه الحوت الذي عليه الارض واسمه بهموت فشكل لانه لا بد له من الاعراب سواء كان اسم جنس أو اسم علم فالسكون دليل على انه من حروف المعجم

(والقلم) أي ما كتب به

اللوحة والقلم الملائكة والذى يكتب به الناس أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف (وما يسطرون) أي ما يسطره الحفظة أو ما يكتب به من الخير من كتب وما موصولة أو مصدرية وجواب القسم (ما أنت بنعمة ربك) أي بانعامه عليك بالنبوة وغيرها فانت اسم ما وخبرها (بمجنون) وبنعمة ربك اعترض بين الاسم والخبر والباء في بنعمة ربك تتعلق بمخذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون وتقديره ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفي وهو جواب يأيها الذي نزل عليك الذكر أنك لمجنون (وان لك) على احتمال ذلك والصبر عليه (لاجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع أو غير ممنون عليك به (وانك لعلى خلق عظيم) قيل هو ما أمره الله تعالى به في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن أي ما فيه من مكارم الاخلاق وإنما استعظم خلقه لانه جاد بالكونين وتوكل على خالقهما

الله تعالى صخرة كغياظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتمكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر خلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده داخل والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة قيل فكل الدنيا بما عليها حرفان قال ط الجبار سبحانه وتعالى وتزوه وتقدس كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغفل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له أتدرى ما على ظهرك يا ليونان من الاسم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لاقيتهم عن ظهرك فهم ليونان يفعل ذلك فبعث له دابة فدخلت منحرة فوصلت الى دماغه ففجج الحوت الى الله تعالى منها فاذن لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسى بيده انه لينظر اليها وتتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس أيضا ان النون هو الدواة ومنه قول الشاعر

اذا ما الشوق برح بي اليهم \* ألتقت النون بالدمع السجم

أراد بالنون الدواة وعن ابن عباس أيضا ان نونا حرف من حروف الرحمن اذا جعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصرو قيل هو اسم للسورة (والقلم) هو القلم الذي كتب الله به الذكرو هو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال أول ما خلق الله القلم فنظر اليه فانشققت فيه نونان ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه (وما يسطرون) أي وما يكتب الحفظة من أعمال بني آدم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل أن يكون المراد وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ويكون الجمع في وما يسطرون للتعظيم للجمع (ما أنت يا محمد بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم أقسم الله بنون والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم بأياها الذي نزل عليه الذكرا أنك لمجنون والمعنى أنك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينفي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كما اذ بين في قولهم أنك لمجنون (وان لك لاجر غير ممنون) أي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول البيهقي عيسى كواسب ما يمن طعامها \* أي ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل في معنى الآية انه غير مكدر عليك بسبب المنية والقول هو الأول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح واقتراهم عليك أجز اعظما دائما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم أجز اعظما فلا تمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي قد جلته ثم وصفه بما يخاف حال المجنون فقال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وهذا كالتفسير لقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة حميدة وافعاله المرضية الجميلة وافرة ووصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخالق قوى نفسانية يسهل على المتصنف بها الانيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كاخلاقه في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحجب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعايشة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل في جميع الامور والتساعح بما ينزى من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فلهذا الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم

لادين أحب الى ولا أرضى عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضی الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان ياتر به من أوامر الله وينهى عنه من مناهي الله تعالى والمعنى وانك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن وقيل سمي الله خلقه عظيماً لانه امتثل ناديب الله آياه بقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ما روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتتمام محاسن الافعال (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس عن عائشة رضی الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم أخرجه أبو داود وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أكمل الناس إيماناً أحسنهم خلقاً وأظفهم باهلاً أخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذيء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر رضی الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من أحبكم الى الله وأقر بكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً (ق) عن البراء رضی الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل ولا بالقصير (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضی الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول خياركم أحسنكم أخلاقاً (ق) عن أنس رضی الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنين والله ما قال لي أف قط ولا قال لي شيء لم أفعلت كذا ولا فعلت كذا زاد الترمذي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقاً وما مست خرقاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكاً قط ولا عطر إلا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عنه قال ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنتلق به حيث شاءت زاد في رواية ويحب اذ ادعى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استقبله الرجل فصاخفه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ولم يرمقه ما ركبه بين يدي جلس له أخرجه الترمذي (ق) عن عائشة رضی الله تعالى عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فان كان اثماً كان أبه الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط يده ولا امرأة ولا خادماً الا أن يجاهد في سبيل الله تعالى (ق) عن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونمحك وأمر له بعتاء (ق) عنه رضی الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان فطياً كان اذا جاءنا قال يا أبا عمير ما فعل النغير النغير كان يلعب به النغير طراً صغير يشبه العصفور الا أنه أحر المنقار (م) عن الاسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل في بيته قالت كان يكون في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج الى الصلاة المهنة الخدمة عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رأيت أحداً أكثر تبساً من رسول الله صلى

(فستبصر و يبصرون) أي عن قريب ترى و يرون وهذا وعد له و وعيد لهم (بايكم المقتون) المجنون لانه فتن أي محن بالجنون والباه مزينة أو المقتون مصدر كالمقول أي بايكم الجنون وقال الزجاج الباه بمعنى في تقول كنت ببلد كذا أي في بلد كذا أو تقديره في أيكم المقتون أي في أي الفريقين منكم المجنون فريق الاسلام أو فريق الكفر (ان ربك هو أعلم من ضل عن سبيله) أي هو أعلم بالجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين) أي هو أعلم بالعتلاء وهم المهتدون (فلا تطع المكذبين) تهيبج للتصميم على معاصاتهم وقد أرادوا أن يعبدوا الله مدة وآهتهم مدة و يكفوا عنه وائلهم (ودوا الوتدهن) (٣١٧) لوتلين لهم (فيدهنون) فيلينون لك

ولم ينصب باضمار أن وهو جواب التمني لانه عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون أي فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف في الحسق والباطل وكفى به مزحرة لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير في الرأي والتمييز من المهانة وهي القلة والحقارة أو كذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان مقتاب (مشاء بنميم) تقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والتميم والتميمة السعاية (مناع للخير) بخيل والخير المال أو مناع أهله من الخبز وهو الاسلام والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة من

الله عليه وسلم أخرجه الترمذي قوله تعالى (فستبصر) أي يا محمد (و يبصرون) يعني أهل مكة اذا نزل بهم العذاب (بايكم المقتون) قال ابن عباس معناه بايكم المجنون وقيل الباه بمعنى في معناه فستبصر و يبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك أو فريقهم وقيل المقتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون (ان ربك هو أعلم من ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا أنفسهم بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه هو العالم بالفر يقين الضال والمهتدى والمجنون والعاقل (فلا تطع المكذبين) يعني مشركي مكة وذلك انهم دعوه الى دين أباه فنهاه الله أن يطيعهم (ودوا الوتدهن فيدهنون) أصل الادهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام وقيل ادهن الرجل في دينه وداهن في أمره خان فيه وأظهر خلاف ما أبطن ومعنى الآية انهم تمنوا أن تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك و يتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم و يلينون لك وقيل معناه ودوا لوتكفرو فيكفرون وهو أن تعبد آهتهم مدة و يعبدون الله مدة (ولا تطع كل حلاف) أي كثير الحلف بالباطل (مهين) أي ضعيف حقير دليل وقيل هو من المهانة وهي قلة الرأي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريش من الاول لان الانسان انما يكذب للمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخس بن شريق (هماز) أي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذي يعجز باخيه في المجلس (مشاء بنميم) أي فتنان يسمى بالتميمة ليقسد بين الناس (مناع للخير) أي بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير أي يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن دخل واحد منكم في دين محمد لأنقعه بشئ أبدا (معتد) أي ظالم يتعدى الحق (أنيم) أي فاجر يتعاطى الاثم معتدل) أي غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيء الخلق وقيل هو الشديد في الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد في كفره وقيل العتل الاكول الشرور القوي الشديد ولا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين ألفا في النار دفعة واحدة (بعد ذلك زعيم) أي مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة زعيم وهو الدعوى الملقب في القوم وليس منهم قال ابن عباس يريد مع هذا هو دعوى في قريش وليس منهم قيل انما ادعاه أبو به بعد ثمان عشرة سنة وقيل الزعيم هو الذي له زعامة كزعامة الشاة وقال ابن عباس في هذه الآية نعت من لا يعرف حتى قيل زعيم فعرف وكانت له زعامة في عنقه يعرف بها وعنه أيضا قال يعرف بالشرك كما تعرف الشاة بزعمتها قال ابن قتيبة لا تعلم ان الله وصف أحدا ولاذ كرم من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عار الايقارقه في الدنيا ولا في الآخرة (أن كان ذامال و بنين) قرى على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين لان كان ذامال و بنين أي لا تعمل له و بنيه و قرى أن كان ذامال و بنين بالاستفهام ومعناه ألان كان ذامال و بنين (اذ اتلى عليه آياتنا قال

أسلم منكم منعتهم رضى (معتد) مجاوز في الظلم حده (أنيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف (بعد ذلك) بعد ما عدله من المثالم (زعيم) دعوى وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه أبو به بعد ثمان عشرة سنة من مولده وقيل بقت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية والنظفة اذا خبثت خبث الناسي منها روى انه دخل على أمه وقال أن محمد اوصفني بعشر صفات وجدت نساء في قريش فاعلم لي به فان أخبرتنى بحقيقته والاضربت عنقك فقالت ان أباك عنين وخفت أن يموت فيصل ماله الى غير مولده فدعوت راعي الى نفسي فانت من ذلك الراعي (أن كان ذامال) متعلق بقوله ولا تطع أي ولا تطعمه مع هذه المثالب لان كان ذامال أي لفساره وحفظه من الدنيا و يجوز أن يتعلق بما بعده أي لان كان ذامال (و بنين) كذب باياتنا يدل عليه (اذ اتلى عليه آياتنا) أي القرآن قال



أساطير الاولين) ولا يعمل فيه قال لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله أن حظه وأبو بكر اى لان كان ذامال كذب ان شامى ويزيد ويعقوب وسهل قالوا المشاعب الوليد النبي صلى الله عليه وسلم كاذبا بسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بعشرة أسماء صادقا فان كان من عدله أن يجزى المسمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة كان من فضله ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرة (سنسمة) سنكويه (على الخرطوم) على أنفهم هاتمه وعلما يعرف به وتخصيص الانف بالذكر لان الوسم عليه أشبع وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت سمته على خرطومه (انا بلونا هم) امتحننا أهل مكة بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرمم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم أشد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسنى يوسف (٣١٨) كما بلونا أصحاب الجنة) هم قوم من أهل الصلاة كانت لا يهيم هذه الجنة بقرية يقال

لها ضرران وكانت على فرسخين من صنعاء وكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي على الفقراء فامات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال خلفوا ليصر منها مصبحين في السدف خيفة من المساكين ولم يستنوا في يمينهم فأحرق الله جنتهم وقال الحسن كانوا كفارا والجهور على الاول (اذ أقسموا) حلفوا (ليصر منها) ليقطن ثمرها (مصبحين) داخلين في الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصر منها) ولا يستنون) ولا يقولون ان شاء الله وسمى استثناء وان كان شرطاً صورته لانه يؤد مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله لاأخرج الا أن يشاء الله

أساطير الاولين) أى جعل مجازاة النعم التي خوطها من المال والبنين الكفر بآياتنا وقيل لان كان ذامال وبنين تطيعه ثم أوعده فقال تعالى (سنسمة على الخرطوم) أى على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به في الآخرة وهو سواد الوجه فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمة بالسيف وفعل به ذلك يوم بدر وقيل معناه سنلحق به شيئا لا يفارقه أى سنسمة ميسم سوء يريد نلصق به عارا لا يفارقه كان ان السمة لا تمحى ولا يعنى أثرها وقد ألحق الله به بما ذكر من عيوبه عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة كالوصم على الخرطوم الذي لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه وقوله تعالى (انا بلونا هم) أى اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا أصحاب الجنة) روى عن ابن عباس في قوله تعالى انا بلونا هم كما بلونا أصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضرران دون صنعاء بفرسخين بطوله أهل الطريق وكان غرسه قوم من أهل الصلاة وكان لرجل ثبات فورته ثلاث بنين له وكان يترك للمسكين اذا صرموا نخلهم كل شئ تعداه المنجول فلم يحزه واذا طرح من فوق النخل الى البساط وكل شئ يخرج من المنجول الى البساط فهو أيضا للمسكين واذا احصدوا زرعهم فكل شئ تعداه المنجول فهو للمسكين واذا اداسوه كان لهم كل شئ يتنمرا أيضا فلعمامات الاب وورثه بنوه هؤلاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان العيال كثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال فالنا لا نستطيع أن نفعل فعلنا لفقوا بينهم يوما أن يغدوا غدوة قبل خروج الناس فليصر من نخلهم فذلك قوله تعالى (اذ أقسموا) أى تحالفوا (ليصر منها) أى ليقطن ثمرها (مصبحين) أى اذا أصبحوا قبل أن يخرج اليهم المساكين وقيل ان يعلم بها المساكين (ولا يستنون) أى ولم يقولوا ان شاء الله وقيل لا يستنون شيئا للمسكين من ثمر جنتهم (فطاف عليها طاف من ربك) أى عذاب من ربك ولا يكون الطاف الا بالليل وهو قوله تعالى (وهم نائمون) وكان ذلك الطاف نارازات من السماء فأحرقتها وهو قوله تعالى (فأصبحت) أى الجنة (كالصريم) أى كالليل الاسود المظلم وقيل تصرم منها الخير فليس فيها شئ يتنفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة خزيمه (فتنادوا) أى فتنادى بعضهم بعضا (مصبحين) يعنى لما أصبحوا (أن اغدوا على حزنكم) يعنى الثمار والزرع والاعناب (ان كنتم صارمين) أى قاطعين ثماركم (فاطلقوا) أى مشوا اليها (وهم يتخافتون) أى يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا (أن لا يدخلها اليوم عليكم مسكين وغدا على حرد) أى على قصد ومنع وقيل معناه على جد وجهه وقيل على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة (قادرين) أى عند أنفسهم على جنتهم

(فطاف عليها طاف من ربك) نزل عليها بلاء قيل أنزل الله تعالى عليها ناراً فأحرقتها (وهم نائمون) أى في حال نومهم (فأصبحت) فصارت الجنة (كالصريم) أى كالليل المظلم أى احترقت فاسودت وأكالصبح أى صارت أرضا بيضاء بلا شجر وقيل كالصريمة أى كنها صرمت طلاك ثمرها فتنادوا ومصبحين نادى بعضهم بعضا عند الصباح (أن اغدوا) باكروا (على حزنكم) ولم يقل الى حزنكم لان الغدوا اليه ليصرموه كان غدوا علىه أو ضمن الغدومعنى الاقبال أى فاقبلوا على حزنكم باكرين (ان كنتم صارمين) مر يدى صرامه (فاطلقوا) ذهبوا (وهم يتخافتون) يتسارون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين (أن لا يدخلها) أى الجنة وان مفسرة وقرى بطرحها باضمار القول أى يتخافتون يقولون لا يدخلها اليوم عليكم مسكين) والنهى عن دخول المساكين نهى عن التمكن أى لا تمسكون من الدخول (وغدا على حرد) على جد فى المنع (قادرين) عند أنفسهم على المنع كذا عن نطفويه أو الحرد القصد والدرعة أى وغدا واقصدى الى

انمارها

جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وزى منفعتها عن الساكنين أو هو علم للجنة أي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم (فلمسأروها) أي جنتهم محترقة (قالوا) في بديهة وصولهم (اناضالون) أي ضالنا جتنا وما عى بها الماروا من هلا كما فلما ناموا وعرفوا انها هي قالوا (بل نحن محر ومون) حر منا خيرا الجنة بنا على أنفسنا (قال أوسطهم) أعد لهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أي هلا تستنون اذا الاستثناء التسبيح لالتقاءها في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيهه وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم أولولاند كرون الله وتو بون اليه من خبت نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله واتقاهم من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فعيبرهم وهذا (قالوا سبحان ربنا اننا كنا ظالمين) فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم الى التكلم به أولى وأقر واعي أنفسهم بالظلم في منع المعروف وترك الاستثناء ونزهوه عن أن يكون ظلما (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا فاعلوا من الهرب (٣١٩) من الساكنين ويحبل كل واحد منهم الائمة

على الآخرا عترفوا جميعا بانهم تجاوزوا الحد بقوله (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين) يمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عسى ربنا أن يبدلنا) وبالتشديد مدني وأبو عمرو (خيرا منها) من هذه الجنة (انا الى ربنا راجعون) طالبون منه الخير راجعون لعفوه عن مجاهد تابوا فايدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغني انهم اخلصوا فابدلهم بهاجنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (كذلك العذاب) أي مثل ذلك العذاب الذي ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم منه

أعمارها لا يحول بينهم وبينها أحد (فلمسأروها) أي رأوا الجنة محترقة (قالوا انا لضالون) أي لم نخطئ الطريق وأضللنا عن مكان جنتنا وليست هذه جنتنا (بل نحن محر ومون) أي قال بعضهم قد حر منا خيرا وتقعها بمنعنا الساكنين وتركنا الاستثناء (قال أوسطهم) أي أعد لهم وأعقلهم وأفضلهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أي هلا تستنون أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم ليصر منها مصبحين سماه تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار بانه لا يقدر أحد على شيء الا بمشيئته وعلى التفسير الثاني ان الاستثناء بمعنى لا يترك شيئا للمساكنين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون أي تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتقر بظلمكم ومعكم حق الساكنين وقيل كان استثناءهم سبحانه الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم من نعمه (قالوا سبحان ربنا) معناه انهم نزهوه عن الظلم فيما فعل وأقر واعي أنفسهم بالظلم فقالوا (انا كنا ظالمين) أي بمنعنا الساكنين حقوقهم (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا (قالوا يا ويلنا) يدعو على أنفسهم بالويل (انا كنا طاغين) أي في منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه طغينا في نعم الله فلم نشكره ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا الى أنفسهم فقالوا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) انا الى ربنا راجعون) قال ابن مسعود بلغني أن القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بهاجنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال الله تعالى (كذلك العذاب) أي كعذابهم نفع لمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعاوبون) ثم أخبر بما أعد الله للمتقين فقال تعالى (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) أي عند ربهم في الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون انا نعطي في الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذبوا للمشركين (أفنجعل المساكين كالمجرمين) يعني ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون أفضل أو يعطي أفضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانتكار قال لهم على طريق الالتفات (مالكم كيف تحكمون) يعني هذا الحكم المعوج (أم لكم كتاب) أي نزل من عند الله (فيه) أي في ذلك الكتاب (تدرسون) أي تقرؤن (ان لكم فيه) أي في ذلك الكتاب (لما تخيرون) أي تختارون وتشتبهون (أم لكم إيمان علينا بالغة) معناه ألكم عهد وموآثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوتقتم بهامنا

(لو كانوا يعاوبون) لما فعلوا ما يفتنى الى هذا العذاب ثم ذكر ما عنده للمؤمنين فقال (ان للمتقين) عن الشرك (عند ربهم) أي في الآخرة (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا النعم الخالص بخلاف جنات الدنيا (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) استفهام انكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقا فنحن نعطي في الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما في الدنيا فقيل لهم ان يحيف في الحكم أفنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصي كأن أمر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا وفيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرؤن في ذلك الكتاب (ان لكم فيه لما تخيرون) أي ان ما تختارونه وتشتبهونه لكم والاصل تدرسون أن لكم ما تخيرون بفتح ان لانه مدروس لوقوع الدرس عليه وانما كسرت اللام في خبرها ويجوز أن يكون حكاية للمدرّس كما هو كقولوه وتركنا عليه في الآخرة سلام على نوح وخبر النبي واختاره أخذ خبره (أم لكم إيمان علينا) عهد مؤكدة باليمان (بالغة) نعت إيمان ويتعلق (٧) قوله وانما كسرت اللام لعلجي اللام اه

أو بالمقدرفى الظرف أى  
هى ثابتة لكم علينا اليوم  
القيامة لانخرج عن  
عهدتها الا يومئذ اذا  
حكمتناكم وأعطيناكم ما  
تحكمون (ان لكم لما  
تحكمون) به لانفسكم وهو  
جواب القسم لان معنى أم  
لكم ايمان علينا أم أقسمنا  
لكم بايمان مغالطة متناهية  
فى التوكيد (سأهم) أى  
المشركين (أيهم بذلك)  
الحكم (زعيم) كقيل  
بانه يكون ذلك (أم لهم  
شركاء) أى ناس يشاركونهم  
فى هذا القول ويذهبون  
مذهبهم فيه (فليأتوا  
بشركائهم ان كانوا صادقين)  
فى دعواهم بمعنى ان أحدا  
لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم  
عليه كانه لا كتاب لهم  
ينطق به ولا عهد لهم به عند  
الله ولا زعيم لهم يضمن لهم  
من الله بهذا (يوم يكشف  
عن ساق) ناصب الظرف  
فليأتوا أو اذ كرمضرا  
والجمهور على أن الكشف  
عن الساق عبارة عن شدة  
الامر وصعوبة الخطب  
فمضى يوم يكشف عن ساق  
يوم يشتد الامر ويصعب  
ولا كشف ثمة ولا ساق  
ولكن كنى به عن الشدة  
لانهم اذا ابوا بشدة كشفوا  
عن الساق وهذا كما تقول  
للاقطع الشجيرة بيده  
مغلولة ولا يدثرة ولا غل وانما هو كناية عن البخل وامان شبه فلصيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان ولو كان الامر

(الى يوم القيامة) أى لا تنقطع تلك الايمان والعهود الى يوم القيامة (ان لكم) أى فى ذلك العهد (لما  
تحكمون) أى لا تنفسكم من الخير والكرامة عند الله تعالى ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (سأهم  
أيهم بذلك زعيم) أى أيهم كقيل لهم بان لهم فى الآخرة ما للمسلمين (أم لهم شركاء) أى بل لهم شركاء يعنى  
ما كانوا يجعلونه لله شركاء وانما أضاف الشركاء اليهم لانهم هم جعلوا شركاء لله وقيل معنى شركاء شهداء  
يشهدون بصدق ما دعوه (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) أى فى دعواهم (يوم يكشف) أى فليأتوا  
بشركائهم فى ذلك اليوم لتنفهم وتشفع لهم (عن ساق) أى عن أمر فظيع شديد قال ابن عباس هو أشد  
ساعة فى القيامة تقول العرب للرجل اذا وقع فى أمر عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن  
ساقك اذا قام فى ذلك الامر ويقال اذا اشتد الامر فى الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس  
عن هذه الآية فقال اذا خفى عليكم شئ من القرآن فابتغوه فى الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول  
الشاعر سن لنا قومك ضرب الاعناق \* وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وأشد أهل اللغة أياتانى هذا المعنى فنهما أشده أبو عبيدة لقيس بن  
زهير فان شمركم عن ساقها \* فدنهار بيع ولا تاسم

ومنها قول جرير الأرب ساهى الطرف من آل مازن \* اذا شمركم عن ساقها الحرب شمرا  
وقد كثر مثل هذا فى كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد (ق) عن أبى سعيد الخدرى  
رضى الله عنه ان ناسا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى  
رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون فى رؤية الله يوم القيامة  
الا كما تضارون فى رؤية أحدهما اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليبيع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد  
كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون فى النار حتى اذا المبقى الامن كان يعبد الله من بر  
وفاجر وغير أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال  
كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فاذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الأتردون  
فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصرارى فيقال لهم ما كنتم  
تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون  
فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الأتردون فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا  
فيتساقطون فى النار حتى اذا المبقى الامن كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى  
رأوه فيها قال فاذا تنتظرون تنبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا فقرما كنا اليهم ولم  
نصاحبهم فيقول أنار بك فيقول نعوذ بالله منك لان شرك بالله شئ أمرتين أو ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد أن  
ينقلب فيقول هل ينكم وينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من  
تلقاء نفسه الأذن الله بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الاجعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد  
أن يسجد سخر على قفاه ثم رفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة فقال أنار بك فيقولون  
أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال  
دحض مزلة فيه خطاطيف وكلايب وحسكة تكون بنجد فيها شوك يقال لها السعدان فيمر المؤمنون  
كطرف العين وكالبرق وكالريح كالطير وكالجاو يد الخيل والركاب فجاج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى  
نارجهنم حتى اذا اخلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم باشد مناشدة لله فى استقصاء  
الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون



وتعالى لانهم على هذه الصفة يرونه لا يشبه شيأ من مخلوقاته وقد عاوا أنه لا يشبه شيأ من مخلوقاته فيعلمون بذلك أنه ربهم فيقولون أنت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها ايها ومجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله في حديث أبي سعيد أنا هم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها أي رأوه فيها أي عاوها صفتها المعلومة للمؤمنين وهي أنه لا يشبهه شيء وقولهم نعوذ بالله منك لا نشرك بالله انما استعاذوا منه لما قدمنا وهي من كونهم رأوا عليه سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفي رواية للبخاري يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقي في كتاب الاسماء والصفات قال أبو سليمان الخطابي فيحتمل أن يكون معنى قوله يكشف ربنا عن ساقه أي عن قدرته التي تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روى عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرجون له سجدا تنفرد به روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامي يأتي باحاديث منكورة لا يتابع عليها ومولى عمر بن عبد العزيز كثير من فني اسناده مجهول أيضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو ما يتجدد للمؤمن عند رؤية الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضي عياض وقد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة وقد تكون ساقا مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل معناه كشف الحزن وازالة الرعب عنهم وما كان غاب على عقولهم من الاحوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى الله لهم فيخرون سجدا قال الخطابي وهذه الرؤية في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي هي في الجنة لكرامة أولياء الله وانما هذه الرؤية امتحان الله لعباده وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه الاذن الله له في السجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقا لوراء الاجعل الله ظهرك طبقة واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة أي فقارة واحدة كالصفحة فلا يقدر على السجود وقوله ثم رفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة معناه ثم رفعون رؤسهم وقد ازال المساع لهم من رؤسهم يتجلى لهم فيقولون أنت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم وكسر هاء الفتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الخاء وقيل بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة يؤذن فيها قوله دحض مزلة أي تزلق فيه الاقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف الشيء وكلايب جمع كلوب وهو الحديد التي يعاقبها اللحم والحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فجاج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم معناه أنهم ثلاثة أقسام قسم يسلم فلا يناله شيء أصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس أي يلقى ويسقط في جهنم وفي هذا اثبات الصراط وهو مذهب أهل السنة وأهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو أرق من الشعر وأحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالؤمنون ينجون على حسب منازلهم وأعمالهم والآخرون يسقطون في جهنم أعادنا الله منها ومعنى مناشدة المؤمنين الله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار شفاعتهم لهم وقوله فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح أن معناه شيء زائد على مجرد الايمان لان الايمان الذي هو التصديق لا يتجزأ وانما يكون هذا الخير زائدا عليه من عمل صالح وذ كرخي وعمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى أو نية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك أقل المقادير وقول المؤمنين لم نذر فيها خيرا أي صاحب خير وقوله تعالى شفعت الملائكة هو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الأرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومالم يعملوا خيرا قط

كإزعم المشبه لكان من حق الساق ان يعرف لانها ساق معهودة عنده (ويدعون) أي الكفار ثمة (الى السجود) لان تكليفها ولو سكن  
 تو بيخا على تركهم السجود في الدنيا (فلا يستطيعون) ذلك لان ظهورهم تصير كصيصى البقر لانتنتى عند الخفض والرفع (خاشعة)  
 ذليلة حال من الضمير في يدعون (أبصارهم) أي يدعون في حال خشوع أبصارهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم صغار (وقد كانوا يدعون) على  
 أسن الرسل (الى السجود) في الدنيا (وهم سالمون) أي وهم أصحاب فلا يسجدون فلذلك منعوا عن السجود ثم (فذرني) يقال ذرني واياها  
 أي كلة الى فاني أ كفيك (ومن يكذب) معطوف على المفعول أو مفعول معه (بهذا الحديث) بالقرآن والمراد كل أمره الى واخل بيني وبينه  
 فاني عالم بما ينبغي أن يفعل به مطبق له فلا تشغل قلبك بشأنه ونوكل على في الانتقام منه تسليته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمكذبين  
 (سنستدرجهم) سنستدرجهم من العذاب درجة درجة يقال استدرجه الى كذا (٣٣٣) أي استنزله اليه درجة درجة حتى يورطه

فيه واستدرج الله تعالى  
 العصاة أن يرزقهم الصحة  
 والنعمة فيجعلون رزق الله  
 ذريعة الى ازدياد المعاصي  
 (من حيث لا يعلمون) من  
 الجهة التي لا يشعرون أنه  
 استدرج قيل كما جددوا  
 معصية جددناهم نعمة  
 وأنسيناهم شكرها قال  
 عليه السلام اذا رأيت الله  
 تعالى ينعم على عبده وهو  
 مقيم على معصيته فاعلم أنه  
 مستدرج وتلا الآية (وأملئ  
 لهم) وأملئهم (ان كيدي  
 متين) قوى شديد فسمى  
 احسانه وتمكينه كيدا كما  
 سماه استدرجا لكونه في  
 صورة الكيد حيث كان  
 سبيلا للهلاك والاصل ان  
 معنى الكيد والمكر  
 والاستدرج هو الاخذ  
 من جهة الامن ولا يجوز

هو لا هم الذين معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب فالرحمة لمن  
 ليس عنده الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة أي جمع جماعة قوله قد عادوا وجماع أي صاروا الخما فيلقبهم  
 في نهر في أفواه الجنة جمع فوهة وهي أول النهر قوله فيخرجون كاللؤلؤ أي في الصفاء في رقابهم الخواتم قيل  
 معناه انه يعلق في رقابهم أشياء من ذهب وغير ذلك مما يعرفون بها والله أعلم (وقوله تعالى) (ويدعون الى  
 السجود فلا يستطيعون) السجود يعني الكفار والمنافقين تصيرا صلابهم كصيصى البقر أو كصفيحة نحاس  
 فلا يستطيعون السجود (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود  
 ووجوههم أشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبهاء ونسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل  
 وخسران وندامة (وقد كانوا يدعون الى السجود) يعني في دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة  
 بالاذان والاقامة وذلك أنهم كانوا يسمعون سحى على الصلاة سحى على الفلاح فلا يجيبون (وهم سالمون) يعني  
 أنهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم أصحاب فلا ياتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين  
 يتخلفون عن الجماعة وقوله عز وجل (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) أي دعني والمكذبين بالقرآن  
 واخل بيني وبينهم ولا تشغل قلبك بهم وكلهم الى فاني أ كفيك اياهم (سنستدرجهم) أي سنأخذهم  
 بالعذاب (من حيث لا يعلمون) فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل في معنى الآية كلما أذنبوا جددنا  
 لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدرج لانهم يحسبون تفضيلا لهم على المؤمنين وهو  
 في الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة أن يقابلها بالشكر واذا أذنب ذنبا أن  
 يعاجله بالاستغفار والتوبة (وأملئ لهم) أي أمهلهم وأطيل لهم المدة وقيل معناه أمهلهم الى الموت فلا  
 أعاجلهم بالقوية (ان كيدي متين) أي عذابي شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى  
 الاستدرج المؤدى الى العذاب (أم تسألهم أجرا) أي على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم مثقلون) المغرم  
 الغرامة والمعنى أن طلب منهم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في أمواهم فيثبطهم ذلك عن الايمان (أم  
 عندهم الغيب فهم يكتبون) أي عندهم اللوائح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استقامتهم على  
 سبيل الانكار (فأصبر لحكم ربك) أي اصبر على أذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ بآية السيف  
 (ولا تكن) في الضجر والمجالة (كصاحب الخوت) يعني يونس بن متى (اذنادي) ربه أي في بطن الخوت  
 (وهو مكظوم) أي مملوء غما (لولا أن ندار كه نعمة من ربه) أي حين رحمة وتاب عليه (لنبت بالعراء) أي

أن يسمى الله كأنثا وما كراومستدرجا (أم تسألهم) على تبليغ الرسالة (أجر افهم من مغرم) غرامة (مثقلون) فلا يؤمنون استقامتهم  
 بمعنى النبي أي لست تطلب أجرا على تبليغ الوحي فيثقل عليهم ذلك فيمتنعون لذلك (أم عندهم الغيب) أي اللوائح المحفوظ عند الجمهور  
 (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (فأصبر لحكم ربك) وهو امهاطهم وتأخير نصرته عليهم لانهم وان أمهلوا لم يهملوا (ولا تكن كصاحب  
 الخوت) كيونس عليه السلام في المجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلي ببلائه والوقوف على الخوت لان اذ ليس بظرف لما تقدمه اذ النداء  
 طاعة فلا ينهي عنه بل مفعول محذوف أي اذ كر (اذنادي) دعار به في بطن الخوت بلا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين (وهو  
 مكظوم) مملوء غيظا من كظم السقاء اذ املاء (لولا أن ندار كه نعمة) رجة (من ربه) أي لولا أن الله أنعم عليه باجابة دعائه وقبول عذره  
 (لنبت بالعراء) بالعراء) بالفضاء

(وهو مذموم) معاتب بركته لكنه رحم فتبذغ غير مذموم (فاجتباها به) اصطفاها لدعائه وعنده (جعلها من الصالحين) من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له زلة وقيل من (٣٢٤) الانبياء وقيل من المرسلين والوجه هو الاول لانه كان مرسلًا ونبيا قبله لقوله تعالى

وان يونس لمن المرسلين اذ ابقى الى الفلك المشحون الآيات (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وفتح الياء مدني ان مخففة من الثقيلة واللام علمها زلقه وأزلقه أزله عن مكانه أي قارب الكفار من شدة نظرهم اليك شذرا يعيون العداوة أن يزيوك بابصارهم عن مكانك أو يهلكوك لشدة حنقهم عليك وكانت العين في بني أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم أركاليوم مثله الاهلك فاريد بعض العيانيين على أن يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم أركاليوم مثله رجلا فعصمه الله من ذلك وفي الحديث العين حق وان العين لتدخل الجبل القدر والرجل القبر وعن الحسن رقية العين هذه الآية (لما سمعوا الذكرك) القرآن (ويقولون) حسدا على ما أوتيت من النبوة (انه لمجنون) ان محمدا لمجنون حيرة في أمره وتنفير اعنه (وما هو) أي القرآن (الا ذكرك) وعظ (للعالمين) للجن والانس يعني انهم جننوه لاجل القرآن وما

اطرح بالقضاء من بطن الحوت على الارض (وهو مذموم) أي يذم ويلام بالذنب وقيل في معنى الآية لولا تداركته نعمة من ربه لبقى في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم يذم بعراء القيامة أي بارضها وفضائها فان قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها ان كلمة لولا دلت على أنه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابراشيات المقر بين الثالثة لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى (فاجتباها به) والقاء للتعقيب أي اصطفاها ورد عليه الوحي وشفعه في قومه (جعلها من الصالحين) أي النبيين ﷺ قوله تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وذلك أن الكفار أرادوا أن يصبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا مارأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني أسد حتى ان كانت الناقة والبقرة لتمر بأحدهم فيعابنها ثم يقول لجار يته خذي المكمل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه فتابر ح حتى تقع باوت فتنخر وقيل كان رجل من العرب يمكث لايأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم أركاليوم بلا ولا غنا أحسن من هذه فأتا ذهب الا قليلا حتى يستقطعا عنه فساءل الكفار هذا الرجل أن يصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصبونك بعيونهم كما يصب العائن بعينه ما يحبه وقيل يصرعونك وقيل يصر فونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة وانما أراد أنهم ينظرون اليك اذ قرأت القرآن نظر اشديد بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعني أو يكاد يهلكني يدل على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله (لما سمعوا الذكرك) لانهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة ويحدون النظر اليه بالبغضاء (ويقولون انه مجنون) أي ينسبونه الى الجنون اذ اسمعوه يقرأ القرآن قال الله تعالى رد اعليهم (وما هو) يعني القرآن (الأذكرك للعالمين) قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواعي من أصابته العين أن تقرأ عليه هذه الآية (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وعن عبيد الله بن رفاعة الزرقى ان أسماء بنت عميس كانت تقول يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين أفاسترقي لهم قال نعم ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذي قوله العين حق أخذ بظاهر هذا الحديث جاهر العلماء وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا فساد دليل فانه من مجوزات العقول فاذا أخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب أهل السنة أن العين انما تفسد وتهلك عند مقابلة هذا الشخص الذي هو العائن لشخص آخر فتؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعاله وقوله ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى أن الاشياء كلها بقدر الله ولا يقع شيء الا على حسب ما قدر الله وسبق به علمه ولا يقع ضرر العين وغيره من الخير والشر الا بقدرة الله وفيه صحة اثبات العين وانها قوية الضرر اذا وافقها القدر والله أعلم

﴿تفسير سورة الحاقة﴾

مكية وهي اثنتان وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة وألف وأربع وثلاثون حرفا

(بسم)

القرآن الامو عظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله وقيل لما سمعوا الذكرك أي ذكره عليه السلام

وما هو أي محمد عليه السلام الاذكرك للعالمين فكيف ينسب اليه الجنون والله أعلم ﴿سورة الحاقة احدي وخمسون آية مكية﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ \* (الحاققة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المحيية التي هي آية لاريب فيها من حق يحق بالكسر أي وجب (مالحاققة) مبتدأ وخبر ومما خبر الحاققة والاصل الحاققة ما هي أي شيء هي تفخجا لشأنها وتعظيما لها وطأ أي حقها أن يستفهم عنها العظم فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التهويل (وما أدراك) وأي شيء أعلمك (مالحاققة) يعني أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها لأنه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين وما رفع بالابتداء وادراك الخبر والجملة بعده في موضع نصب لانها مفعول ثان لادري (كذبت ثم ودعا بالقرعة) أي بالحاققة فوضعت القرعة موضعها لانها من أسماء القيامة وسميت (٣٢٥) بها لانها تفرع الناس بالفراع والاهوال ولما

ذكرها وختمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب نذ كبر الاهل مكة ونحو يفا لهم من عاقبة تكذيبهم (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية مصدر كالعاقبة أي بطغيانهم ولكن هذا لا يطابق قوله (وأما عاد فاهلكوا بريح) أي بالدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (صرصر) شديدة الصوت من الصرة الصيحة أو باردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها (عائية) شديدة العصف وأعتت على خزائنها فلم يضبطوها باذن الله غضبا على أعداء الله (سخرها) ساطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام) وكان ابتداء

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قوله عز وجل (الحاققة) يعني القيامة سميت حاققة من الحق الثابت يعني انها ثابتة الوقوع لاريب فيها وقيل لان فيها تحقق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال أي يجب وقيل الحاققة النازلة التي حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاققة هي التي تحق على القوم أي تقع بهم (مالحاققة) استفهام ومعناه التفخيم لشأنها والتهويل لها والمعنى أي شيء هي الحاققة (وما أدراك مالحاققة) أي أنك لا تعلمها اذ لم تعانها ولم تر ما فيها من الاهوال على أنه من العظم والشدة أمر لا تبلغه دراية أحد ولا فكره وكيف قدرت حالها فهي أعظم من ذلك (كذبت ثمود ودعا بالقرعة) قال ابن عباس بالقيامة سميت قرعة لانها تفرع قلوب العباد بالخافة وقيل كذبت بالعذاب الذي أوعدهم بنهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) أي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة للحد في القوة وقيل الطاغية الفرقة التي عقروا الناقة فاهلكت قوم ثمود بسببهم (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر) أي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصره وقيل هي الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها (عائية) أي عتت على خزائنها فلم تطعمهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا مقدار ما خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة (سخرها عليهم) أي أرسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفي هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره وبمشيئته لا باتصال الكواكب (سبع ليال وثمانية أيام) ذات بردور ياح شديدة قال وهب هي الايام التي سماها العرب المحجوز لانها أيام ذات بردور ياح شديدة وسميت محجوزا لانها تأتي في عجز الشتاء وقيل لان محجوزا من قوم عاد دخلت سر بها فاتبعها الريح حتى قتلتها (حسوما) أي متتابعة دائمة ليس فيها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابع عليهم في هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى أهلكتهم وقيل حسوما شو ما وقيل هذه الايام حسوما لانها تحسم الخبر عن أهلها والحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم تنق منهم أحدا (فترى القوم فيها) أي في تلك الليالي والايام (صرعى) أي هلكي جمع صريع قد صرعهم الموت (كأنهم أمجاز نخل خاوية) أي ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤس (فهل ترى لهم من باقية) أي من نفس باقية قيل انهم لما أصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى بقوله أمجاز نخل خاوية جلتهم الريح فالتهم في البحر فلم يبق منهم أحد ﴿قوله تعالى (وجاء فرعون ومن قبله) قرى بكسر القاف وفتح الباء اي ومن معه من جنوده وأتباعه وقرى بفتح القاف وسكون الباء أي ومن قبله من الامم الكافرة (المؤتفكات) يعني قرى قوم لوط ويريد أهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين اتتسكروا بخطيئتهم وهو قوله (بالخاطئة) أي بالخطيئة والمعصية وهو الشرك (فعضوا ذات الخطا العظيم) أي قوم لوط

العذاب يوم الاربعاء آخر الشهر الى الاربعاء الاخرى (حسوما) أي متتابعة لانقطع جمع حاسم كشهود تميلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة السكي على الداء كرهة بعد اخرى حتى ينحسم وجزا أن يكون مصدرا أي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا (فترى) أي المخاطب (القوم فيها) في ما بها أو في الليالي والايام (صرعى) حال جمع صريع (كأنهم) حال اخرى (أمجاز) نخل جمع نخلة (خاوية) ساقطة أو بالية (فهل ترى لهم من باقية) من نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه من الامم ومن قبله بصري وعلى أي ومن عنده من أتباعه (المؤتفكات) قرى قوم لوط فهي اتتفكت أي انقلبت بهم (بالخاطئة) بالخطا وبالفعلة أو بالافعال ذات الخطا العظيم (فعضوا) أي قوم لوط



(رسول بهم) لوطا (فاخذهم أخذة رابية) شديدة زائدة في الشدة كزادت قبائحهم في القبح (انالما طغى الماء) ارتفع وقت الطوفان على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا (٣٣٦) (حملناكم) أي آباءكم (في الجارية) في سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها) أي الفعلة

رسول بهم) قيل يعني موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى أن يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم ذكر الامتين جميعا (فاخذهم أخذة رابية) يعني نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم (انالما طغى الماء) أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو الطوفان (حملناكم في الجارية) يعني حملنا آباءكم وأتم في أصلاهم فصح خطاب الحاضرين في الجارية أي السفينة التي تجرى في الماء (لنجعلها) أي لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها من نوح ونجاة من حملنا معه (لكم تذكرة) أي عبرة وموعظة (وتعبيها) أي تحفظها (أذن واعية) أي حافظة لما جاء من عند الله وقيل أذن سمعت وعقلت ماسمعت وقيل تحفظها كل أذن فتكون عظة وعبرة لمن يأتي بعد والمراد صاحب الأذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة قوله عز وجل (فاذا نفخ في الصور نفخة) واحدة يعني النفخة الاولى (وجمات الارض والجبال) أي رفعت من أماكنها (فدكتا دكة واحدة) أي كسرتا وفتنتا حتى صارتا هباء منبثا والضمير عائدا الى الارض والجبال فغير عنهما بلقظ الاثنين (فيومئذ وقعت الواقعة) أي قامت القيامة (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) أي ضعيفة لتشققتها (والملك) يعني الملائكة (على أرجائها) يعني نواحيها وأقطارها وهو الذي لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها (ويحمل عرش ربك فوقهم) أي فوق رؤسهم يعني الجملة (يومئذ) أي يوم القيامة (ثمانية) يعني ثمانية أملاك وجاء في الحديث أنهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله باربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورة الاعدال بين أظلافهم الى ربكهم كما بين سماء الى سماء والاعدال تيوس الجبل وروى السدي عن أبي مالك قال ان الصخرة التي تحت الارض السابعة ومنتهى علم الخلائق على أرجائها يحملها أربعة من الملائكة لكل واحد منهم أربعة وجوه انسان ووجه اسد ووجه نور ووجه نسر فهم قيام عليها قد أحاطوا بالسموات والارض ورؤسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال جملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم أمية بن أبي الصلت في شيء من الشعر فقال

رجل وثور تحت رجل يمينه \* والنسر للاخري وليث يرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق \* عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من جملة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود باسناد صحيح غريب \* عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم إذ مرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذا السحاب قالوا والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والارض قالوا والله ما ندري قال فان بعد ما بينهما ما قال واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة وبعدها التي فوقها كذلك وكذلك حتى عد هن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر أعلاه وأسفله كما بين سماء وسماء فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهرهن العرش بين أسفله وأعله مثل ما بين السماء الى السماء والله عز وجل فوق ذلك أخرجه الترمذي وأبو داود زاد في رواية وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء \* عن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض

وهي انحاء المؤمنين واغراق الكافر بين (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعبيها) وتحفظها (أذن) بضم الذال غير نافع (واعية) حافظة لما تسمع قال قتادة وهي أذن عاتت عن الله واتفتت بما سمعت (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) هي النفخة الاولى ويموت عندها الناس والثانية يبعثون (وجمات الارض والجبال) رفعتا عن موضعهما (فدكتا دكة واحدة) دقتا وكسرتا أي ضرب ببعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيبا وهباء منبثا (فيومئذ) خفيئذ (وقعت الواقعة) نزلت النازلة وهي القيامة وجواب اذا وقعت ويومئذ بدل من اذا (وانشقت السماء) ففتحت أبوابا (فهي يومئذ واهية) مسترخية ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة (والملك) للجنس بمعنى الجمع وهو أعظم من الملائكة (على أرجائها) جوانبها واحدها رجا مقصور لانها اذا انشقت وهي مسكن الملائكة فليجوزن الى أطرافها (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملك

(يومئذ تعرضون) للحساب والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله (لا تخفى منكم خافية) سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا وبالياء كوفي غير عاصم وفي الحديث يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان جدال ومعاذير وأما الثالثة فعندها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله (فاما) تفصيل للعرض (من أوفى كتابه بيمينه فيقول) سرور به لما يرى فيه من الخيرات خطا بالجماعته (هاؤم) اسم للفعل أي خذوا (٣٢٧) (اقرأ كتابيه) تقديره هاؤم كتابي

اقرأ كتابيه خذوا  
الاول لدلالة الثاني عليه  
والعامل في كتابيه اقرأوا  
عند البصريين لانهم  
يعملون الاقرب والهاء  
في كتابيه وحسابيه وماليه  
وسلطانيه للسكت وحققها  
أن تثبت في الوقف وتسقط  
في الوصل وقد استعجب  
اينار الوقف ايشار الثباتها  
لثبوتها في المصحف (اني  
ظننت) علمت وانما أجرى  
الظن مجرى العلم لان الظن  
الغالب يقوم مقام العلم في  
العادات والاحكام ولان  
ما يدرك بالاجتهاد قلما يتخلو  
عن الوسواس والخواطر  
وهي تقضى الى الظنون  
فجاز اطلاق لفظ الظن عليها  
لما يتخلو عنه (أني ملاق  
حسابيه) معان حسابي  
(فهو في عيشة راضية) ذات  
رضا يرضى بها صاحبها  
كلا بن (في جنة عالية) رقيقة  
المكان أو رقيقة الدرجات  
أو رقيقة المباني والقصور  
وهو خبر بعد خبر (قطوفها  
دانية) مشارها قريبة من  
مريدها يناها القائم  
والقاعد والمتكى يقال لهم

مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وفضاء كل سماء وأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم أخرجه أبو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس قال لحلة العرش قرون ما بين أخص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبه مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر قال الذين يحملون العرش ما بين موق أحدهم الى مؤخر غيبه خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب قال حلة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على سبع مائة الف مرة ومنهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروى عن ابن عباس في قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل (يومئذ تعرضون) أي على الله تعالى للحساب (لا تخفى منكم خافية) أي فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم باحوالكم لا يخفى عليه شيء منها وان عرضكم يوم القيامة عليه ففيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا في الدنيا فإنه يظهر أحوال الخلاق فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزون باساءتهم وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان جدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فأخذ بيمينه وأخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (فاما من أوفى) أي أعطى (كتابيه بيمينه فيقول هاؤم) أي تعالوا (اقرأ كتابيه) والمعنى انه لما بلغ الغاية في السرور وعلم انه من الناجين باعطاء كتابه بيمينه أحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفر حواله وقيل يقول ذلك لاهله وأقرائه (اني ظننت) أي علمت وأيقنت وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن في الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام (أني ملاق حسابيه) أي في الآخرة والمعنى اني كنت في الدنيا أستيقن أني أحاسب في الآخرة (فهو في عيشة راضية) أي في حاله من العيش مرضية وذلك بانه لقي الثواب وأمن من العقاب (في جنة عالية) رقيقة (قطوفها دانية) أي مشارها قريبة لمن يتناولها يناها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطعونها كيف شاؤا (كلوا) أي يقال لهم كلوا (واشربوا هنيئا بما أسلفتم) أي بما قدمتم لآخرتكم من الاعمال الصالحة (في الايام الخالية) أي الماضية يريد أيام الدنيا (وأما من أوفى كتابه بشماله) قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها (فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه) وذلك لما نظر في كتابه ورأى قبائح أعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يؤت كتابه لما حصل له من الحجل والافتقار (ولم أدر ما حسابيه) أي لم أدر أي شيء حسابي لانه لا طائل ولا حاصل له وانما كله عليه لاله (يا ليتها كانت القاضية) تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى يا ليت الموتة التي تمها في الدنيا كانت القاضية عن كل ما بعدها والقاطعة للحياة أي ما أحيا

(كلوا واشربوا هنيئا) أكلا وشرابا هنيئا لا مكره فيه وما لا أذى أو هنتم هنيئا على المصدر (بما أسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (في الايام الخالية) الماضية من أيام الدنيا وعن ابن عباس هي في الصائمين أي كلوا واشربوا بوابد ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله (وأما من أوفى كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه) لما يرى فيها من الفصائح (ولم أدر ما حسابيه) أي يا ليتني لم أعلم ما حسابي (يا ليتها) ياليت الموتة التي تمها (كانت القاضية) أي القاطعة لا مرمى فلم أبعث بعدها ولم أني ما أتيت

( ما أغنى عنى ماله ) أى لم ينفعنى ما جمعته فى الدنيا فانى والمفعول محذوف أى شياً ( هلك عنى سلطانيه ) ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيراً ذليلاً وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضلت عنى حتى أى بطلت حتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا فيقول الله تعالى خزنة جهنم ( خذوه فغلوها ) أى اجعوا يديه الى عنقه ( ثم الجحيم صاوه ) أى ادخلوه يعنى ثم لاتصاوه الا للجحيم وهى النار العظمى أو نصب الجحيم بفعل يفسره صاوه ( ثم فى سلسلة ذرعتها ) طولها ( سبعون ذراعاً ) بذراع الملك عن ابن جريج وقيل لا يعرف قدرها الا الله ( فاسلكوه ) فادخلوه والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى ( ٣٢٨ ) تقديم الجحيم على التصليية ( انه ) تعليل كانه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب

بعدها قال قتادة معنى الموت ولم يكن شئ عنده أكره منه إليه أى من الموت فى الدنيا لا نه رأى تلك الحالة أشنع وأمر بما ذاقه من الموت ( ما أغنى عنى ماله ) أى لم يدفع عنى يسارى ومالى من العذاب شياً ( هلك عنى سلطانيه ) أى ضلت عنى حتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا وقيل ضلت عنه محجته حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عنى ملكى وقوتى وتسلطى على الناس وبقيت ذليلاً فقيراً ( خذوه ) أى يقول الله تعالى خزنة جهنم خذوه ( فغلوها ) أى اجعوا يديه الى عنقه ( ثم الجحيم صاوه ) أى ادخلوه معظم النار لانه كان يمتاظم فى الدنيا ( ثم فى سلسلة ) وهى حلقى منتظمة كل حلقة منها فى حلقة ( ذرعتها ) أى مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد وغيرها ( سبعون ذراعاً ) قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوفل البكالى سبعون ذراعاً كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعدهما بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعاً وقال الحسن الله أعلم أى ذراع هو عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن روضة مثل هذه وأشار الى مثل الجحمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسة أمتة لبانغت الارض قبل الليل ولو أنها أرسلت فى رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ فقرها وأصلها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن الرضاى الحصباء الصغار وقوله مثل هذه وأشار الى مثل الجحمة فح من خشب وجمعه جاجم والجحمة الرأس وهو أشرف الاعضاء وقال وهب لوجع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها ﴿ وقوله تعالى ( فاسلكوه ) أى ادخلوه فيها قال ابن عباس تدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل فى فيه وتخرج من دبره ( انه كان لا يؤمن بالله العظيم ) أى لا يصدق بوحدانية الله وعظمته ( ولا يحض على طعام المسكين ) أى ولا يبحث نفسه على اطعام المسكين ولا يامر أهله بذلك وفيه دليل على تعظيم الحرم فى حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن فى هذه الآية أدركت أقواماً يعززون على أهلهم أن لا يردوا سائلاً وعن بعضهم انه كان يامر أهله بتكثير المرقعة لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نتخلى النصف الثانى بالطعام ( فليس له اليوم ههنا جحيم ) أى ليس له فى الآخرة قريب ينفعه ويشفع له ( ولا طعام الا من غسلين ) يعنى صديق أهل النار مأخوذ من الغسل كانه غسله جروحهم وقروحهم وقيل هوشجرباً كاهل النار ( لا بأكله الا الخاطؤون ) أى الكافرون ﴿ وقوله عز وجل ( فلا أقسم ) قيل ان لاصلة والمعنى أقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى أقسم وقيل لاههنا نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه قال لا أقسم على ان القرآن قول رسول كريم فكانه لوضوحه استغنى عن القسم ﴿ وقوله ( بما تبصرون وما لا تبصرون ) يعنى بما ترون وتشهدون وبما لا ترون وما لا تشهدون أقسم بالاشياء كلها فايدخل

بانه ( كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين ) على بذل طعام المسكين وفيه اشارة الى انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب فى الآخرة فاذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على اطعامهم أى انه مع كفره لا يحرص غيره على اطعام المحتاجين وفيه دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لانه عطفه على الكفر وجعله دليلاً عليه وقرينه له ولانه ذكر الحض دون الفعل اعلم ان تارك الحض اذا كان بهذه الميزة فتارك الفعل أحق وعن أى الدرء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان فانخلق نصفها بهذا وهذه الآيات ناطقة

على ان المؤمنين يرحون جميعاً والكافرين لا يرحون لانه قسم الخلق نصفين فجعل صنفاً منهم أهل اليمين ونصفهم فيه بالإيمان فحسب بقوله لى ظننت أنى ملاق حسابه وصنفاً منهم أهل الشمال ونصفهم بالكفر بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم وجازان الذى يعاقب من المؤمنين انما يعاقب قبل أن يؤتى كتابه يمينه ( فليس له اليوم ههنا جحيم ) قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه ( ولا طعام الا من غسلين ) غسله أهل النار فعلى من الغسل والنون زائدة وأر بدبه ههنا ما يسيل من أبدانهم من الصديق والدم ( لا بأكله الا الخاطؤون ) الكافرون أصحاب الخطايا وخطى الرجل اذا تمعد الذنب ( فلا أقسم بما تبصرون ) من الاجسام والارض والسماء ( وما لا تبصرون ) من الملائكة والارواح فالخاصل انه أقسم بجميع الاشياء

(انه) أى ان القرآن (لقول رسول كريم) أى محمد صلى الله عليه وسلم وأوجب يل عليه السلام أى يقول ويشكاه به على وجه الرسالة من عند الله (وما هو بقول شاعر) كما تدعون (قليل ما تؤمنون ولا يقول كاهن) (٣٢٩) كما تقولون (قليل ما نذرون) وبالباية فهما

مكى وشامى ويعقوب وسهل وبتخفيف الدال كوفى غير أبى بكر والقلة فى معنى العدم يقال هذه أرض قلما أتت أى لا تبت أصلا والمعنى لا تؤمنون ولانذ كرون البتة (تنزيل) هو تنزيل بيان انه قول رسول نزل عليه (من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل) ولو ادعى علينا شيئا لم نقله (لاخذنا منه باليمين) لقتلناه صبورا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسطح والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين لان القتال اذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ يساره واذا أراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصور نظره الى السيف أخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه وكذا (ثم لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه وهو مناط القلب اذا قطع مات صاحبه (فما نكف) الخطاب للناس أو للمسلمين (من أحد) من زائدة

فيه جميع المسكونات والموجودات وقيل أقسم بالدينا والآخرة وقيل بما تبصرون يعنى على ظهر الارض وما لا تبصرون أى ما فى بطنها وقيل بما تبصرون يعنى الاجسام وما لا تبصرون يعنى الارواح وقيل بما تبصرون يعنى الانس وما لا تبصرون يعنى الملائكة والجن وقيل بما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون من النعم الباطنة وقيل بما تبصرون هو ما أظهره الله من مكنون غيبه لملائكته واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه ﴿ ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى (انه) يعنى القرآن (لقول رسول كريم) يعنى تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاول أصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وإنما وصفوا بهما محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه ههنا سؤال وهو ان جهور الامم وهم أهل السنة مجمعون على ان القرآن كلام الله فكيف يصح اضافته الى الرسول قلت أما اضافته الى الله تعالى فلانه هو المتكلم به وأما اضافته الى الرسول فلانه هو المبلغ عن الله تعالى ما أوحى اليه ولهذا أكد بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وإنما أراد انه قول الرسول المبلغ عن الله تعالى وفى الرسول ما يدل على ذلك فاكتفى به من ان يقول عن الله تعالى ﴿ وقوله تعالى (وما هو بقول شاعر) يعنى أن هذا القرآن ليس بقول رجل شاعر ولا هو من ضرب الشعر ولا تركيبه (قليل ما تؤمنون) أراد بالقليل عدم ايمانهم أصلا والمعنى انكم لا تصدقون بان القرآن من عند الله تعالى (ولا يقول كاهن) أى وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة (قليل ما نذرون) يعنى لا تتذكرون البتة (تنزيل) أى هو تنزيل يعنى القرآن (من رب العالمين) وذلك انه لما قال انه لقول رسول كريم أتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال ﴿ قوله تعالى (ولو تقول علينا) أى اختلق علينا محمد (بعض الاقاويل) يعنى أى بشئ من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوحه اليه (لاخذنا منه باليمين) أى لأخذناه بالقوة والقدرة واتقمتنا منه باليمين أى بالحق قال ابن عباس لأخذناه بالقوة والقدرة قال الشماخ مدح عرابه ملك اليمن

اذا مارا به رفعت لمجد \* تلقاه عرابه باليمين

أى بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامنه والمعنى لاخذنا منه اليمين أى سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الآية لاذلتناه وأهناه كفعل السلطان بمن يريد أن يهينه يقول لبعض أعوانه خذ بيده فاخذه وإنما خص اليمين بالذكرة لانه أشرف العضوين (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس يعنى نياط القلب وقيل هو حبل الظهر وقيل هو عرق يجرى فى الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب بالرأس قال ابن قتيبة لم يرد أن نأقطعه بعينه بل المراد منه أنه لو كذب علينا لا متناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى أنه لو كذب علينا فتقول علينا قولنا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجج عليه بان تقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطلا لدعواه واما أن نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشبهه الصادق بالكاذب واما أن نمتيته (فما نكف من أحد عنه حاجز ين) أى ما نعين بحجز ونناعن عقوبته والمعنى أن محمد لا يتكلم الكذب علينا لاجل حكم مع عامه أنه لو نكفكم لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه وإنما قال حاجز ين بلفظ الجمع وهو وصف أحد ردا على معناه (وانه) يعنى القرآن وذلك أنه لما وصفه بأنه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال تعالى (لنذكرة) أى لعظة (للمتقين) أى لمن اتقى عقاب الله (وانالعلم أن منكم

(٤٢ - خازن) - رابع (عنه) عن قتل محمد وجمع (حاجز ين) وان كان وصف أحد لانه فى معنى الجماعة ومنه قوله

تعالى لا نفرق بين أحد من رسله (وابه) وان القرآن (لنذكرة) لعظة (للمتقين) وانالعلم أن منكم

مكذبين وانه) وان القرآن (حسرة على الكافر ين) به المكذبين له اذارا واثواب المصدقين به (وانه) وان القرآن (لحق اليقين) لعين  
اليقين ومحض اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحانه الله ﴿سورة المعارج مكية وهي أربع  
وأربعون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿سأل سائل﴾ هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا سحرا من  
السماء واتقنا بعذاب اليم وهو النبي (٣٣٠) صلى الله عليه وسلم دعا بنزول العذاب عليهم ولما ضمن سأل معنى دعا عدى تعديته كأنه

قيل دعادع (بعذاب  
واقع) من قولك دعا بكذا  
اذا استدعاه وطلبه ومنه  
قوله تعالى يدعون فيها بكل  
فاكهة وسال بغير همزة  
مدنى وشامى وهو من  
السؤال أيضا لأنه خفف  
بالتيسين وسائل مهموز  
اجماعا (للكافر ين) صفة  
لعذاب أى بعذاب واقع  
كأن للكافر ين (ليس له)  
لذلك العذاب (دافع) راد  
(من الله) متصل بواقع  
أى واقع من عنده أو  
بدافع أى ليس له دافع من  
جهته تعالى اذا جاء وقته  
(ذى المعارج) أى مساعد  
السماء للملائكة جمع معرج  
وهو موضع العروج ثم  
وصف المساعدو بعد مدها  
فى العلو والارتفاع فقال  
(تعرج) تصعد وبالياء على  
(الملائكة والروح) أى  
جبريل عليه السلام خصه  
بالذكر بعد العموم لفضله  
وشرفه أو خاتمهم حفظه  
على الملائكة كما أن  
الملائكة حفظه علينا أو  
أرواح المؤمنين عند

مكذبين) فيه وعيد لمن كذب بالقرآن وانه يعنى القرآن (حسرة على الكافر ين) يعنى يوم القيامة  
والمعنى أنهم يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من آمن به (وانه لحق اليقين) معناه أنه حق  
معين لا يظلم فيه ويقين لاشك ولا ريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) أى نزهه بك العظيم واشكره  
على أن جعلك أهلا لا يحانه اليك والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة سأل سائل﴾

وتسمى المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة

وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (سأل سائل) قرئ بغير همزة وفيه وجهان الاول أنه لغة فى السؤال والثانى أنه من السيل  
ومعناه اندفع عليهم وادبعذاب وقيل سال وادمن أو دبه جهنم وقرئ سأل سائل بالهمز من السؤال  
(بعذاب) قيل الباء بمعنى عن أى عن عذاب (واقع) أى نازل وكانق وعلى من ينزل ولن ذلك العذاب فقال  
الله تعالى مجيبا لذلك السؤال (للكافر ين) وذلك ان أهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب  
قال بعضهم لبعض من أهل هذا العذاب ولن هو سوا عنه محمد افسأوه فانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب  
واقع للكافر ين أى هو للكافر ين والياء صلة ومعنى الآية دعادع وطلب طالب عذابا واقعاً للكافر ين وهذا  
السائل هو النضر بن الحرث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك  
الآية فنزل به ما سأل فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس (ليس له دافع) أى ان العذاب واقع بهم  
لا محالة سواء طلبوه أو لم يطلبوه اما فى الدنيا باقتل واما فى الآخرة لان العذاب واقع بهم فى الآخرة لا يدفعه  
عنهم دافع (من الله) أى بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافر ين دافع يدفعه  
عنهم (ذى المعارج) قال ابن عباس ذى السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذى  
الدرجات وهى المساعد التى تعرج الملائكة فيها وقيل ذى الفواضل والنعم وذلك لان افضاله وانعامه  
مراتب وهى تصل الى الخلق على مراتب مختلفة (تعرج الملائكة والروح) يعنى جبريل عليه الصلاة  
والسلام وانما أفرده بالذكور وان كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر  
الملائكة فى معرض التخويف والهويل أفرده الروح بالذكور وهذا يقتضى أن الروح أعظم الملائكة  
(اليه) أى الى الله عز وجل (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) أى من سنن الدنيا والمعنى أنه لو  
صعد غير الملك من نبي آدم من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الارض السابعة الى منتهى أمر الله تعالى  
من فوق السماء السابعة لما صعد فى أقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله فى ساعة واحدة أو أقل  
من ذلك وذكروا أن مقدار ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين ألف سنة وقيل  
ان ذلك اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس  
فى مقدار خمسين ألف سنة من سنن الدنيا وليس معنى ان مقداره طول ذلك اليوم خمسون ألف سنة دون

غيره

الموت (اليه) الى عرشه ومهبط أمره (فى يوم) من صلاة تعرج (كان مقداره خمسين ألف سنة) من سنن

الدنيا لو صعد فيه غير الملك أو من صلاة واقع أى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سننكم وهو يوم القيامة فاما أن يكون استظالة  
له لشدة على الكفار ولانه على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطن السكلى موطن ألف سنة وقد قدر ذلك على المؤمن الا كما بين

الظاهر والعصر

(فأصبر) متعلق بسأل سائل لان استجبال النصر بالعداب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبر عليه (صبراجيلا) بلا جزع ولا شكوى (انهم) ان الكفار (برونه) أى العذاب أو يوم القيامة (بعيدا) مستحيلا (وزراه قريبا) كائنا لا محالة فالمراد بالبعيد من الامكان والقريب القرب منه نصب (يوم تكون السماء) بقرب أى يمكن في ذلك اليوم وهو يدل عن في يوم (٣٣١) فيمن علقه بواقع (كالهمل) كدردى الزيت أو كالفضة المذابة في تلونها

غيره من الايام لان يوم القيامة له أول وليس له آخر لانه يوم ممدود لا آخر له ولو كان له آخر كان منقطعاً وهذا الطول في حق الكفار دون المؤمنين قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافر من مقدار خمسين ألف سنة وروى البغوى بسنده عن أنى سعيد الخدرى قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا وقال ابن عباس معناه لو لولى محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة وقال عطاء و يفرغ الله تعالى منها في مقدار نصف يوم من يوم الدنيا وقال الكلبي يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منه في ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطناً كل موطن ألف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقيل معناه سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وفيه تقديم وتأخير (فأصبر) أى يا محمد على تكذيبهم اياك (صبراجيلا) أى لا جزع فيه وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف (انهم برونه) أى العذاب (بعيدا) أى غير كائن (وزراه قريبا) أى كائنا لا محالة لان كل ما هو آت قريب وقيل الضمير في برونه بعيد ايعود الى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة والمعنى انهم يستعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن زراه قريبا في قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعدى علينا مكانه (يوم تكون السماء كالهمل) أى كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة (وتكون الجبال كالعهن) أى الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذات ألوان أحمر وأبيض وخرأبيض وسود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت أشبهت العهن المنفوش اذا طبرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو أضعف الصوف وأول ما يتغير الجبال تصير ملامه لائم عنها من نفوشا ثم تصير بهاء منشورا (ولا يسأل حيم حيم) أى لا يسأل قريب قريبه لشغله بشأن نفسه والمعنى لا يسأل الحيم حيمه كيف حاله ولا يكلمه طول ذلك اليوم وشده وقيل لا يسأله الشفاعة ولا يسأله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يسأله في الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيامة (يبصرونهم) أى برؤنهم وليس في القيامة مخلوق من جن أو انس الا وهو نصب عين صاحبه أفيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسألهم و يبصر حيمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحيم حيمه ومع ذلك لا يسأله عن حاله لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم أى يعرفونهم أما المؤمن فيعرف بيباض وجهه وأما الكافر فيعرف بسواد وجهه (بودا مجرم) أى يمتنى المشرك (لو يفتدى من عذاب يومئذ) أى عذاب يوم القيامة (بينيه وصاحبه) أى زوجته (وأخيه وفصيلته) أى عشيرته وقيل قبيلته وقيل أقربائه الاقربين (التي تؤويه) أى تضمه وبارى اليها (ومن في الارض جميعا) يعنى انه يمتنى لوملك هؤلاء وكانوا تحت يده ثم انه يفتدى بهم جميعا (ثم ينجيهم) أى ذلك الفداء من عذاب الله (كلا) أى لا ينجيهم من عذاب الله ثم ابتداء فقال تعالى (انها

المرفوع أو المنصوب من يبصرونهم (لو يفتدى من عذاب يومئذ) وبالفتح مدنى وعلى على البناء للاضافة الى غير متمكن (بينيه وصاحبه) وزوجته (وأخيه وفصيلته) وعشيرته الاذنين (التي تؤويه) تضمه انما اليها وبغير همز يزيد (ومن في الارض جميعا) من الناس (ثم ينجيهم) الافتداء عطف على يفتدى (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبية عن أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيهم من العذاب (انها) ان النار ودل ذكر العذاب عليها وهو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر وأضمر القصة

المرفوع أو المنصوب من يبصرونهم (لو يفتدى من عذاب يومئذ) وبالفتح مدنى وعلى على البناء للاضافة الى غير متمكن (بينيه وصاحبه) وزوجته (وأخيه وفصيلته) وعشيرته الاذنين (التي تؤويه) تضمه انما اليها وبغير همز يزيد (ومن في الارض جميعا) من الناس (ثم ينجيهم) الافتداء عطف على يفتدى (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبية عن أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيهم من العذاب (انها) ان النار ودل ذكر العذاب عليها وهو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر وأضمر القصة

(لظي) علم للنار (زراعة) حفص والمفضل على الحال المؤكدة أو على الاختصاص للتهويل وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لأن أو على هي نزاعة (لشوي) لأطراف الإنسان كاليدين والرجلين أو جمع شواء وهي جلدة الرأس نزعها نزعاً فترقها ثم تود إلى ما كانت (تدعو) باسمهم يا كافر يا منافق إلى أو تهلك من قولهم دعاك (٣٣٣) الله أي أهلكك أولاً كان مصيره اليها جعلت كأنها دعته (من أدبر) عن الحق

(وتولى) عن الطاعة (وجع) المال (فاوحى) جعله في وعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان) أر يده الجنس ليصح استثناء المصلين منه (خاق هالوعا) عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيرهما بعده (إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا) وأطلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وسأل محمد ابن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الملع فقال قد فسره الله تعالى ولا يكون تفسيره أبين من تفسيره وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع وإذا ناله الخير بخل به ومنعه الناس وهذا طبعه وهو أمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه والشر الضر والفقر والخير السعة والغنى والمرض والصحة (الا المصلين الذين هم على صلواتهم) أي صلواتهم الخمس (دائمون) أي محافظون عليها في مواقعها عن ابن مسعود رضى الله عنه

(لظي) يعني النار وظي اسم من أسماؤها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظي لأنها تظلي أي تلتهب (زراعة لشوي) يعني الأطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الأطراف فلا تترك عليها الحمار ولا جلد أو قال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكله فذلك دأبها وقيل لمسكارم خلقه ومحاسن وجهه وأطرافه (تدعو) يعني النار إلى نفسها (من أدبر) أي عن الايمان (وتولى) أي عن الحق فتقول له إلى أي منافق إلى أي قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق باسمهم بلسان فصيح ثم تمتعهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو أي تعذب قال اعرابي لا تخردك الله أي عذبك الله (وجع فاوحى) يعني وتدعو من جمع المال في الوعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان خلق هالوعا) قال ابن عباس الهالوع الحر يص على ما لا يحل وقيل شحيحاً بخيلاً وقيل ضجوراً وقيل جزوعاً وقيل ضيق القلب والطلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى (إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا) يعني إذا أصابه الفقر لم يصبر وإذا أصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خاق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبه بما يوافق ما يحب والصبر على ما يكره قيل أراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى (الا المصلين) وهذا استثناء بالجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع (الذين هم على صلواتهم دائمون) يعني بقيمونها في أوقاتها وهي الفرائض فان قلت كيف قال على صلواتهم دائمون ثم قال بعده على صلواتهم يحافظون قلت معنى ادا متهم عليها أن يواظبوا على أدائها وان لا يتركوها في شيء من الاوقات وأن لا يشتغلوا عنها بغيرها اذ دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بها وهو أن يأتي بها العبد على أكمل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفرغ عنه عن الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل وأما الامور المقارنة للصلاة فهي أن لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وأن يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها وأما الامور الخارجة عن الصلاة فهو أن يحترق زعن الرياء والسعة وخوف أن لا تقبل منه مع الابتهاج والتضرع الى الله تعالى في سؤال قبولها وطلب الثواب فالمدائمة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى أحوالها وهي آتيا وروى البغوي بسنده عن أبي الخير قال سألتنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلواتهم دائمون أهم الذين يصلون أبدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه (والذين في أموالهم حق معلوم) يعني الزكاة المفروضة لاهما مقدرة معلومة وقيل هي صدقة التطوع وذلك بان يوظف الرجل على نفسه شيئا من الصدقة يخرجها على سبيل الندي في أوقات معلومة (للسائل) يعني الذي يسأل الناس (والمحروم) يعني الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أي يؤمنون بالبعث بعد الموت والخسر والنشر والجزاء يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أي خائفون ثم أكد ذلك الخوف فقال تعالى (ان عذاب ربهم غير مأمون) يعني ان الانسان لا يمكنه القطع بأنه أدى الواجبات

كما

(والذين في أموالهم حق معلوم) يعني الزكاة لانهما مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة (للسائل) الذي يسأل (والمحروم) الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أي يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون واعترض بقوله (ان عذاب ربهم غير مأمون) بالهمز سوى أبي عمر وأي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمنه ويذنب أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء

(والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى أزواجهم) نساؤهم (أو ما ملكت أيمانهم) أي اماءهم (فانهم غير ملومين) على ترك الحفظ (فن ابتغى) طلب منكحا (وراء ذلك) أي غير الزوجات والمملوكات (فاولئك هم العادون) المتجاوزون عن الحلال الى الحرام وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والاستمناء بالكف (والذين هم لاماناتهم) لاماتهم مكى وهي تتناول امانات الشرع وامانات العباد (وعهدهم) أي عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والتذور والايمان (راعون) حافظون غير خائنين ولا ناقضين وقيل الامانات ما تدل عليه العقول والعهد ما أتى به الرسول (والذين هم بشهاتهم) حفص وبالالف سهل ويعقوب (قائمون) يقيمونها عند الحكام بلا ميل الى قريب وشر يف وترجى جميع للقوى على الضعيف اظهار الصلابة في الدين (٣٣٣) ورغبة في احياء حقوق المسامين (والذين هم على صلواتهم يحافظون) كرر

ذكر الصلاة لبيان انها أهم أولان احداهما للقرانض والاخرى للتوافل وقيل الدوام علمها الاستكثار منها والمحافظة عليها ان لا تضيع عن موافقتها أو الدوام عليها أداؤها في أوقاتها والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسنتها وآدابها (أولئك) أصحاب هذه الصفات (في جنات مكرمون) هما خبران (فقال) كتب مفصولا اتباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه (الذين كفروا قبلك) نحوك معمول (مهطعين) مسرعين حال من الذين كفروا (عن اليمين وعن الشمال) عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله (عزير) حال أي فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كان كل فرقة تعزى الى غير من تعزى اليه الاخرى فهم مفترقون

كأيدبني ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما يدبني بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم يدبني أن يكون العبد بين الخوف والرجاء وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) تقدم تفسيره في سورة المؤمنين ﴿قوله تعالى (والذين بشهادتهم قائمون) أي يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيا الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع وقيل أراد بالشهادة الشهادة بان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولهذا عطف عليها (والذين هم على صلواتهم يحافظون) ثم ذكر ما أعده لهم فقال تعالى (أولئك) يعني من هذه صفته (في جنات مكرمون) ﴿قوله تعالى (فقال الذين كفروا) أي فبابهم (قبلك مهطعين) أي مسرعين مقبلين اليك ما دى أعناقهم ومدى النظر اليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهنون به ويكذبونه فقال الله تعالى ما لهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لا يتفتحون بما يسمعون منك (عن اليمين وعن الشمال عزير) يعني أنهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزير جماعات في تفرقة (أيطعم كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) قال ابن عباس معناه أيطعم كل رجل منهم أن يدخل جنة النعيم كما يدخلها المسلمون ويتنعمون وقد كذبوا نبي (كلا) أي لا يدخلها ثم ابتداء فقال تعالى (انا خلقناهم مما يعاملون) أي من الاشياء المستندرة من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من أصل واحد وشئ واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة وروى البغوي باسناد الشعلبي عن بشر بن سحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و بصق يوماني كفه ووضع عليها أصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن آدم نى تجزى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومثيت بين يدي والارض منك وتبدت جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأتى أو ان الصدقة وأخرجه ابن الجوزى في تفسيره بلا اسناد وقيل في معنى الآية انا خلقناهم من أجل ما يعاملون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل (فلا أقسم) يعني وأقسم وقد تقدم بيانه (رب المشارق والمغارب) يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعني مشرق كل نجم ومغربه (انا القادرون على أن نبدل خير انهم) معناه انا القادرون على اهلا كههم وعلى أن نخلق أمثلهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) أي بما لو بين عاجز بن عن اهلا كههم وابدالكهم بن

كان المشركون يخنفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستهنون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فزلت (أيطعم كل امرئ منهم أن يدخل) بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضل (جنة نعيم) كالمؤمنين (كلا) ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة (انا خلقناهم مما يعاملون) أي من النطفة المنذرة ولذلك أتهم اشعارا بانه منصب يستحى من ذكره فن آمن يشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخل الجنة قبلهم أو معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا نبي آدم كلهم ومن حكمشان لا يدخل أحد الجنة الا بايمان فلم يطعم أن يدخلها من لا ييمان له (فلا أقسم رب المشارق) مطلع الشمس (والمغارب) ومغربها (انا القادرون على أن نبدل خير انهم) على أن نهلكهم ونأتى بخلق أمثلهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) بعاجز بن



(فذرهم) فذرع المكذبين (بخرضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) فيه العذاب (يوم) بدل من يومهم (بخرجون) بفتح الياء وضم الراء سوى الاعشى (من الاجداث) القبور (سراعا) جمع سريع حال أي الى الداعي (كانهم) حال (الى نصب) شامى وحفص وسهل نصب المفضل نصب غيرهم وهو كل مانصب وعبد من دون الله (يوسفون) يسرعون (خاشعة) حال من ضمير بخرجون أي ذليلة (أبصارهم) يعني لا يرفعونها لذلتهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) في الدنيا وهم يكذبون به (سورة نوح عليه السلام مكية وهي ثمان وعشرون آية) ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (انا أرسلنا نوحا) قيل معناه بالسريانية الساكن (الى قومه أن أذرع) خوف أصله بان أذرع خذف الجار وأوصل الفعل ومحلّه عند الخليل ج وعنده غيره نصب أو ان مفسرة بمعنى أي لان في الارسال معنى القول (قومك من) (٢٣٤) قبل ان ياتيهم عذاب أليم) عذاب الآخرة والطوفان (قال يا قوم) أضافهم الى

نفسه اظهار اللسفة (اني هو خير منكم) فذرهم بخوضوا) أي في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) نسختها آية القتال ثم فسر ذلك اليوم فقال تعالى (يوم بخرجون من الاجداث) يعني القبور (سراعا) أي الى اجابة الداعي (كانهم الى نصب) يعني الى شئ منصوب كالعالم والراية ونحوه وقرئ بضم النون والصاد وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها (يوسفون) أي يسرعون ومعنى الآية انهم بخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقيين اليه كما كانوا يستبقون الى نصبهم ليستاموها (خاشعة أبصارهم) أي ذليلة خاشعة (ترهقهم ذلة) أي يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) يعني يوم القيامة الذي كانوا يوعدون به في الدنيا والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام﴾

مكية وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وأربعة وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وتسعون حرفا

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قوله عز وجل (انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أذرع قومك) أي بان خوف قومك وحذرهم (من قبل أن ياتيهم عذاب أليم) يعني الغرق بالطوفان والمعنى انا أرسلنا لينذرعهم بالعذاب ان لم يؤمنوا (قال يا قوم اني لكم نذير مبين) أي أنذركم وأبين لكم (أن اعبدوا الله) أي وحدوه ولا تشركوا به شياً (وانقوه) أي وخافوه بان تحفظوا أنفسكم مما يؤتمكم (وأطيعون) أي فيما أمركم به من عبادة الله وتقواه (يغفر لكم من ذنوبكم) أي يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب (ويؤخركم الى أجل مسمى) أي الى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم (ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر) لو كنتم تعلمون) معناه يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان أجل الله وهو الموت اذا جاء لا يؤخر قال الزمخشري ان قلت كيف قال ويؤخركم مع الاخبار بامتناع تأخير الاجل وهل هذا التناقض قلت قضى مثلاً ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان بقوا على كفرهم أهلكتهم على رأس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أي الى وقت سماه الله وضر به أمد انتتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم أخبرنا انه اذا جاء ذلك الاجل لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادرنا في أوقات الامهال والتأخير عنكم وحيث يمكنكم الايمان (قال) يعني نوحا عليه الصلاة والسلام (رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا) أي تفاروا وداروا عن الايمان (واني كلما دعوتهم لتغفر لهم) أي

نفسه اظهار اللسفة (اني لكم نذير) مخوف (مبين) أبين لكم رسالة الله بلغته تعرفونها (أن اعبدوا الله) وحدوه وان هذه نحو أن أذرع في الوجهين (وانقوه) واحسنوا غضبه (وأطيعون) فيما أمركم به وأنها كم عنه وانما أضافه الى نفسه لان الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) للبيان كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان أو للتبويض لان ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الاسلام كالتقصص وغيره وكذا في شرح التاويلات (ويؤخركم الى أجل مسمى) وهو وقت موتكم (ان أجل الله) أي الموت (اذا جاء لا يؤخر) لو كنتم تعلمون) أي لو

كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتهم قيل ان الله تعالى قضى مثلاً ان قوم نوح ان آمنوا ليؤمنوا عمرهم ألف سنة وان لم يؤمنوا أهلكتهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أي تبلغوا ألف سنة ثم أخبرنا الالف اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت وقيل انهم كانوا يخافون على أنفسهم الاهلاك من قومهم بايمانهم واجابتهم لنوح عليه السلام فكانه عليه السلام آمنهم من ذلك ووعدهم أنهم بايمانهم يبقون الى الاجل الذي ضرب لهم ولم يؤمنوا أي انكم ان أسلمتم بقيتم الى أجل مسمى آمنين من عدوكم (قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا) دانيا بلا فتور (فلم يزدهم دعائي الا فرارا) عن طاعتك ونسب ذلك الى دعائه لحصوله عنده وان لم يكن الدعاء سببا للفرار في الحقيقة وهو كقوله وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا وان لا يكون سببا لزيادة الرجس وكان الرجل يذهب بابنه الى نوح عليه السلام فيقول احسن هذا فلا يفر نك فان أبي قد وصاني به (واني كلما دعوتهم) الى الايمان بك (لتغفر لهم)

أى ليؤمنوا فتغفر لهم فما كفى بذك المسبب (جعلوا أصابعهم في آذانهم) سدا ومسامعهم لتلاسمعوا كلامى (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا  
بثيابهم لتلا بصرونى كراهة النظر الى وجه من ينصحههم فى دين الله (وأصروا) واقاموا على كفرهم (واستكبروا استكبارا) وتغظموا عن  
اجابتنى وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم (ثم انى دعوتهم جهارا) مصدر فى موضع الحال أى مجاهرا أو مصدر دعوتهم كقعد  
القر فضاء لان الجهار أى دعوى الدعاء يعنى أظهرت لهم الدعوة فى المخافل (ثم انى أعلنت لهم وأسرت لهم أسرا) أى خلطت دعاءهم بالعلانية  
بدعاء السر فالخاصل انه دعاهم ليلا ونهارا فى السر ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن وهكذا يفعل الأمر بالمعروف وينهى بالاهون  
ثم بالاشد فالاشد فافتتح بالمناسبة فى السر فلمالم بقبولتنى بالمجاهرة فمالم تؤثرت (٣٣٥) بالجمع بين الاسرار والاعلان ثم نزل على

تبعه الاحوال لان الجهار  
أغظ من الاسرار والجمع  
بين الامرين أغظ من  
افراد أحدهما (فقلت  
استغفروا ربكم) من  
الشرك لان الاستغفار طلب  
المغفرة فان كان المستغفر  
كافرا فهو من الكفر وان  
كان عاصيا مؤمنا فهو من  
الذنوب (انه كان غفارا)  
لم ينزل غفار الذنوب من  
ينيب اليه (يرسل السماء)  
المطر (عليكم مدرارا)  
كثيرة الدرور مفعال  
يستوى فيه المذكور والمؤنث  
(و يمدكم باموال و بنين)  
يزدكم أموالا و بنين (ويجعل  
لكم جنات) بساتين  
(ويجعل لكم أنهارا)  
جارية يزارعكم و بساتينكم  
و كانوا يحبون الاموال  
والاولاد فركوا بهذا على  
الايان وقيل لما كذبوه  
بعد طول نكر بالدعوة

ليؤمنوا بك فتغفر لهم (جعلوا أصابعهم في آذانهم) لتلاسمعوا دعوى (واستغشوا ثيابهم) أى غطوا  
وجوههم بثيابهم لتلا بصرونى (وأصروا) على كفرهم (واستكبروا) عن الايمان بك (استكبارا) أى  
تكبرا عظيما (ثم انى دعوتهم جهارا) أى معلنا قال ابن عباس بأعلى صوتى (ثم انى أعلنت لهم) أى كررت  
لهم الدعاء معلنا (وأسرت لهم أسرا) قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل أى كلمه سرا بينى وبينه أدعوه  
الى عبادتك وتوحيدك (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) وذلك أن قوم  
نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نساءهم أربعين سنة فهلكت أموالهم  
ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم أى من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم أبواب نعمه  
وذلك لان الاشتغال بالطاعة يكون سببا لانساع الخير والرزق وأن الكفر سبب هلاك الدنيا فاذا اشتغلوا  
بالايان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه فى الدنيا وروى الشعبي أن عمر بن الخطاب خرج يستسقى بالناس فلم  
يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديع السماء التى يستنزل  
بها القطر ثم قرأ استغفروا ربكم انه كان غفارا الآية قوله بمجاديع السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم  
وقيل هو الدبران وقيل هو ثلاثة كواكب كالانامى تشبها بالمجدح الذى له شعب وهى عند العرب من الانواء  
التي على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالانواء محاطبة لهم بما يعرفون وكانوا يزعمون ان من شأنها المطر  
لأنه يقول بالانواء وعن بكر بن عبد الله ان أكثر الناس ذنوب بأقلهم استغفارا وأكثرهم استغفارا أقلهم  
ذنوب باوعن الحسن ان رجلا شكك اليه الجذب فقال له استغفر الله وشكك آخر اليه الفقر وقلة النسل وآخر قلة  
ربيع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أنك رجال يشكون أنواعا فمن تهم كلهم  
بالاستغفار فتلا هذه الآية وقوله يرسل السماء عليكم أى يرسل ماء السماء وذلك لان ماء المطر ينزل من السماء  
الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وقيل أراد بالسماء السحاب وقيل أراد بالسماء المطر من قول  
الشاعر  
اذ نزل السماء بارض قوم \* خلوا حينما نزل السماء

يعنى المطر مدرارا أى كثير الدر وهو حلب الشاة حاله بعد حال وقيل مدرارا أى تتابعا (و يمدكم باموال  
و بنين) أى يكثر أموالكم وأولادكم (ويجعل لكم جنات) أى البساتين (ويجعل لكم أنهارا) وهذا كله مما  
يميل طبع البشرية اليه (مالكم لا ترجون لله وقارا) قال ابن عباس أى لا ترون لله عظمة وقيل معناه لا تخافون  
عظمته فالرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه مالكم لا تعرفون لله حقا  
ولا تشكرون له نعمة وقيل معناه مالكم لا ترجون فى عبادة الله ان يشيكم على توقيركم اياه خيرا (وقد خلقكم

حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نساءهم أربعين سنة أو سبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه وعن  
عمر رضى الله عنه أنه خرج يستسقى فزاد على الاستغفار فقيل له ما رأيتك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديع السماء التى يستنزل  
بها المطر شبه عمر الاستغفار بالانواء الصادقة التى لا تخفى وقرأ الآيات وعن الحسن أن رجلا شكك اليه الجذب فقال استغفر الله وشكك اليه آخر  
الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ربيع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أنك رجال يشكون أبوايا فمن تهم كلهم  
بالاستغفار فتلا الآيات (مالكم لا ترجون لله وقارا) لا تخافون لله عظمة عن الاخفش قال والرجاء هنا الخوف لان مع الرجاء طرفا من الخوف  
ومن اليأس والوقار العظمة ولان آمنون له توقيرا أى تعظيما والمعنى مالكم لا تكونون على حال تؤملون فيها تعظيم الله اياكم فى دار النواب  
(وقد خلقكم



ذلك ادعى لهم الى العبادة فلما طال الزمان قال لهم ابليس انهم كانوا يعبدونهم فعبدهم (وقد أضلوا) أي الاصنام كقوله انهم أضلن (كثيرا) من الناس أو الرؤساء (ولازد الظالمين) عطف على رب انهم عصوني على (٣٣٧) حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو

النائب عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال لآزد الظالمين أي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولان قال (الاضلالا) هلاكا كقوله ولازد الظالمين الانتبارة (مماخطيتاهم) خطاياهم أبو عمرو أي ذنوبهم (أغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) عظيمة وتقديم مماخطاياهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم في النيران الا من أجل خطيتاهم وأ كدهذا المعنى بزيادة ما وكفى بها من جرة لمرتكب الكبيرة فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيتاهم وان كانت كبراهن والفاء في فادخلوا للابتنان بانهم عذبوا بالاحراق عقيب الاغراق فيكون دليلا على اثبات عذاب القبر (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله (وقال نوح رب لا تذرني على الارض من الكافرين ديارا) أي أحد ايدورني الارض وهو فيه الممن

ماتوا كان أتباعهم يقتدون بهم ويأخذون بعدهم باخذهم في العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك انشط لكم وأشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صورة أولئك القوم الصالحين من المسلمين (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال صارت الاوثان التي كانت تعبد قوم نوح في العرب بعد ما ودفنوا فكانت لكل دومة الجندل وأماسواع فكانت لهنيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبني غطفان بالجرف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهدان وأما نسر فكانت لجيرال ذي الكلاع وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس في قوله ولا تذرني وداو لاسواع ولا يغوث ويعوق ونسر قال كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم فعبدت الاوثان وروى عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب أصنام آخر فاللات كانت لتثيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد وأساف ونائلة وهبل كانت لاهل مكة ولذلك سميت العرب أنفسهم بعبد وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الاسماء (وقد أضلوا كثيرا) أي ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل أضل كبراء قوم نوح كثير من الناس (ولازد الظالمين الاضلالا) يعني ولازد المشركين بعبادتهم الاصنام الاضلالا وهذا دعاء عليهم وذلك ان نوح عليه السلام كان قدامتلا قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعوهم بـ الضلال وانما يث ليصرفهم عنه قلت انما دعا عليهم بعد ان أعلمه الله انهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قدامن وقيل انما أراد بالضلال في أمر الدنيا وما يتعلق بها لا في أمر الآخرة (مماخطاياهم أغرقوا) أي بالطوفان (فادخلوا نارا) أي في حالة واحدة وذلك في الدنيا كانوا يفرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفاء تقتضي التعقيب في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقب الاغراق ولا يمكن جملة على عذاب الآخرة لانه يبطل دلالة الفاء وقيل معناه انهم سيدخلون نار في الآخرة فعبء عن المستقبل بلفظ الماضي لصدق الوعد في ذلك والاول أصح (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) يعني تنصروهم وتمنعهم من العذاب الذي نزل بهم (وقال نوح رب لا تذرني على الارض من الكافرين ديارا) يعني أحد ايدورني الارض فيذهب ويبقى من الدوران وقيل أصله من الدار أي نازل دار (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان أي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) انما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نساءهم واعقم بعد ذلك أرحام النساء وأبى أصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة وأخبر الله نوح انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا حينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعونه فاهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى أعقمهم قبل العذاب (رب اغفر لي) وذلك أنه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي يعني ما صدر مني من ترك الافضل وقيل يحتمل أنه حين دعا على الكفار انه انما دعا عليهم بسبب تاذيه منهم فكان ذلك الدعاء عليهم كالاتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس أولانه

(٤٣ - خازن) - رابع) الدور وهو من الاسماء المستعملة في النفي العام (انك ان تذرهم) ولا تهلكهم (يصلوا عبادك) يدعوهم الى الضلال (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) الامن اذا بلغ جبر وكفر وانما قال ذلك لان الله تعالى أخبره بقوله لن يؤمن من قومك الا من قدامن (رب اغفر لي)

ولو الذي) وكان اسميه واسم أبيه ملك واسم أمه شمعاء قيل هما آدم وحواء وقرى لولدي بر يد ساما واما (ولن دخل بيتي) منزلي أو مسجدي أو سفيتي (مؤمناً) لأنه علم أنه من دخل بيته مؤمناً لا يعود إلى الكفر (وللمؤمنين والمؤمنات) إلى يوم القيامة خص أولاد من يتصل به لانهم أولى وأحق بدعائه ثم عم (٣٣٨) المؤمنين والمؤمنات (ولا تزدد الظالمين) أي الكافرين (الانبارا) هلاكاً فاهلكوا

قال ابن عباس رضي الله عنهما دعانا روح عليه السلام بدعوتين احدهما للمؤمنين بالمغفرة وأخرى على الكافر بن البار وقد أجيبت دعوته في حق الكفار بالبار فاستحال أن لا تستجاب دعوته في حق المؤمنين واختلف في صبيانهم حين أغرقوا قيل أعظم الله أرحام نساءهم قبل الطوفان باربعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا قيل علم الله برأيتهم فاهلكوا بغير عذاب والله أعلم ﴿سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قل) يا محمد (أوحى إلى) أنه) ان الامر والشأن أجمعوا على فتحه لأنه فاعل أوحى وأن لو استقاموا وأن المساجد لعطف على أنه استمع فان مخففة من الثقيلة وأن قد أبلغوا لتعدى يعلم اليها على كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو فان له نار جهنم وقالوا اناسه منا لأنه مبتدأ محكي بعد القول واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من أنه تعالى جدر بنالي

ترك الاحتمال (ولو الذي) وكان اسم أبيه ملك بن متوشلخ واسم أمه شمعاء بنت أنوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين آدم ونوح عليهما السلام من آبائه كافر وكان بينهما عشرة آباء (ولن دخل بيتي مؤمناً) أي دارى وقيل مسجدي وقيل سفيتي (وللمؤمنين والمؤمنات) وهذا عام في كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وانما بدأ بنفسه لانها أولى بالتخصيص والتقديم ثم ثني بالمتصفين به لانهم أحق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك أبلغ في الدعاء (ولا تزدد الظالمين الانبارا) أي هلاكاً ودماراً فاستجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم جميعاً والله أعلم

﴿تفسير سورة الجن﴾

﴿وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وعشرون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفاً﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن)﴾ اختلف الناس قديماً وحديثاً في ثبوت وجود الجن فانكرو وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا أنهم أسرع اجابة من الارواح الفلكية لانهم أضعف وأما جمهور رآب الملل وهم أتباع الرسل والشرايع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائى يتشكل بأشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا أعراض ثم هذه الجواهر أنواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيسة خسيصة شريرة محبة لمشرور والآفات ولا يعلم عدة أنواعهم الا الله تعالى وقيل انهم أجسام مختلفة الماهية لكن تجمعهم صفة واحدة وهي كونهم ٨ حاصلون في الخيزم وصفون بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوى وسفلى ولا يتمتع في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لسائر أنواع الاجسام في الماهية وان يكون طاعلم مخصوص وقدرة مخصوصة على أفعال عجيبة أو شاقة يهجز البشر عن مثلها وقد يتشككون بأشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرط للحياة وهذا قول الاشعري وجهور اتباعه وشذتأويل المعتزلة من هذه الامة فانكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وأنه لا بد من صلابة البنية حتى يكون قادر على الافعال الشاقة وهذا قول منكرو صاحب هذا القول ينكروا خلق العادات ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة

﴿فصل﴾ اختلف الرواة هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فابتنها ابن مسعود فيجاء رواه عنه مسلم في صحيحه وقد تقدم حديثه في تفسير سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذا صرفنا إليك نفر من الجن وأنكرها ابن عباس فيجاء رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا وما ذلك الا من شئ قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغارها فانظروا اما هذا الذي بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغارها فانظر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخله عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر

وانا منا المسلمون ففتحها شامى وكوفي غير أبي بكر عطف على انه استمع أو على محل الجار والمجرور في آمنابه تقديره فلما صدقناه وصدقناه تعالى جدر بنا وأنه كان يقول سفيناً الى آخرها وكسرها غيرهم عطف على اناسمنا وهم يقفون على آخر الآيات (استمع نفر) جماعة من الثلاثة الى العشرة (من الجن) جن نصيبين

(فقالوا) لقومهم حين رجعوا اليهم من استماع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الفجر (اناسمنا قرآنا عجبا) بحميد يديعابنا يسار  
الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه والمحب ما يكون خارجا عن العادة وهو (٣٣٩) مصدر وضع موضع العجب (يهدي الى

الرشد) يدعو الى الصواب  
أولى التوحيد والايمن  
(فآمنابه) بالقرآن ولما  
كان الايمان به ايمانا بالله  
وبوحدانيته وبراءته من  
الشرك قالوا (ولن نشرك  
بر بنا أحدا) من خلقه وجاز  
أن يكون الضمير في بالله  
تعالى لان قوله بر بنا يفسره  
(وأنه تعالى جدر بنا)  
عظمته يقال جد فلان في  
عيني اذا عظم ومنه قول  
عمر وأونس كان الرجل اذا  
قرأ البقرة وآل عمران  
جد فينا أي عظم في عيوننا  
(ما اتخذ صاحبة) زوجة  
(ولا ولدا) كما يقول كفار  
الجن والانس (وأنه كان  
يقول سفيننا) جاهلنا أو  
ابليس اذ ليس فوقه سفينه  
(على الله شططا) كفرا  
لبعدته عن الصواب من  
شطت الدار أي بعدت أو  
قولا يمحور فيه عن الحق  
وهو نسبة صاحبة والولد  
اليه والشطط مجاوزة الحد  
في الظلم وغيره (وأناظننا  
أن لن تقول الانس والجن  
على الله كذبا) قولا كذبا  
أو مكذوبا فيه أو نصب على  
المصدر اذ الكذب نوع  
من القول أي كان في ظننا  
ان أحدا لن يكذب على

فما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا  
اناسمنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشدا فآمنابه ولن نشرك بر بنا أحدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم  
قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن زادي رواية وانما أوحى اليه قول الجن أخرجاه في الصحيحين قال  
القرطبي في شرح مسلم في حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصد بهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر  
الذي حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء نفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالحجابه وعلى  
هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولم يكلمهم وانما أعلمه الله عز وجل بما أوحى اليه من قوله قل  
أوحى الى أنه استمع نفر من الجن وأما حديث ابن مسعود ففضية أخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب  
والسنة العلم القطعي بان الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذي يليق  
بخلقهم وبجاهلهم وان النبي صلى الله عليه وسلم رسول الى الانس والجن فمن دخل في دينه فهو من المؤمنين  
ومعهم في الدنيا والآخرة والجنة ومن كفر به فهو من الشياطين المعدين للعذاب فيها والنار مستقرة وهذا  
الحديث يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه وآخرون الى انه كان  
لكن زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا آخر كلام القرطبي والله أعلم عكاظ  
سوية معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها في كل سنة مرة في الجاهلية وأول الاسلام وتهامة كل  
ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوأتهام مكة من تهامة معدودة ونخلة وادم من أودية مكة  
قريب منها وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى قل أوحى الى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر لاصحابه  
واقعة الجن وكأنه مبعوث الى الانس فهو أيضا مبعوث الى الجن لتعلم قریش ان الجن مع ترددهم لماسمعوا  
القرآن عرفوا اعجازها فآمنوا به وقوله استمع نفر من الجن نفر ما بين الثلاثة الى العشرة قيل كانوا تسعة  
من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم (فقالوا) أي لما رجعوا الى قومهم (انا  
سمعنا قرآنا عجبا) قال ابن عباس رضي الله عنهما بليغا أي ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفضاحته (يهدي الى  
الرشد) أي يدعو الى الصواب يعني التوحيد والايمن (فآمنابه) أي بالقرآن (ولن نشرك بر بنا أحدا)  
أي ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان أولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا  
وقيل كانوا نصارى وقيل كانوا مجوسا ومشركين (وأنه تعالى جدر بنا) أي جلاله بنا وعظمته ومنه قول  
أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع  
ذا الجد منك الجد أي لا ينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس عظمت قدره بنا وقيل أمرر بنا وقيل فعله  
وقيل آلاؤه ونعم ماؤه على خلقه وقيل علامه بنا (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) أي انه تعالى جلاله بنا  
وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولدا لان صاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزّه عن  
كل نقص (وأنه كان يقول سفيننا) يعني جاهلنا قيل هو ابليس (على الله شططا) أي كذبا وعدوا وانا هو  
صفه تعالى بالشريك والولد والشطط مجاوزة الحد في كل شيء (وأناظننا أن لن تقول الانس والجن على  
الله كذبا) أي كنا نظن ان الانس والجن صادقون في قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لا يكذبون على الله  
في ذلك فلما سمعنا القرآن علمنا انهم قد كذبوا على الله وقوله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون  
برجال من الجن) وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر قامسى في أرض ففر قال أعود بسيد  
هذا الوادي من شرسفهاء قومه فبييت في أمن وجوارهم حتى يصبح روى البغوي باسناد الثعلبي عن  
كردم بن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى

الله بنسبة صاحبة والولد اليه فكأصدهم فيما أضافوا اليه حتى نبين لنا بالقرآن كذبهم كان الرجل من العرب اذا نزل بمخوف من  
الارض قال أعود بسيد هذا الوادي من شرسفهاء قومه بر يد كبير الجن فقال (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن

فزادوهم) أي زاد الانس الجن باستعدادهم بهم (رهقا) طغيانا وسفها وكبريان قالوا سدنا الجن والانس أو فزاد الجن الانس رهقا إنما لاستعدادتهم بهم وأصل الرهق غشيان المحذور (وانهم) وان الجن (ظنوا كما ظننتم) يأهل مكة (أن لن يبعث الله أحدا) بعد الموت أي ان الجن كانوا ينكرون البعث كانكاركم ثم بسماع القرآن اهتدوا وأقروا بالبعث فهلا أقروا كما أقروا (وأنا لمننا السماء) طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها واللمس المس فاستعير للطلب (٣٤٥) لان الماس طالب متعرف (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) جعاً قويا من

الملائكة يحرسون جمع حارس ونصب على التمييز وقيل الحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدم والذواصف بشديد ولو نظر الى معناه لقليل شدادا (وشهبا) جمع شهاب أي كواكب مضيئة (وانا كنا نعتقد منها) من السماء قبل هذا (مقاعد للسمع) لاستماع أخبار السماء يعني كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث (فن يستمع) برد الاستماع (الآن) بعد المبعث (بجدله) لنفسه (شهابا رصدا) صفة لشهابا بمعنى الراصد أي يجده شهابا راصد له ولا جله وهو اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع والجهور على ان ذلك لم يكن قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كان الجسم في الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الاوقات فتنعونهم الا استراق أصلا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وانا لنأندرى أشرا) عذاب (أر يدبمن في الارض) بعدم استراق السمع (أم أرادهم ربه) (وانا لمننا الصالحون) أي المؤمنون المخلصون (ومنادون ذلك) أي الصالحين مرتبة قبل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره (كنا طرائق قندا) أي جماعات متفرقين وأصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشيء قال مجاهد يعنون مساهين وكافرين وقيل أهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كاهواء الناس وذلك أن الجن فيهم القدرة والمرجسة والرافضة والخوارج وغير ذلك من أهل الأهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قندا أي سنصير طرائق قندا وهو بيان للقسم المذكورة أي كنا ذوى مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة (وانا ظننا) الظن هنا بمعنى العلم واليقين أي علمنا وأيقنا (أن لن نجزي الله في الارض) أي لن نقوته

ان بعض الاوقات فتنعونهم الا استراق أصلا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وانا لنأندرى أشرا) عذاب (أر يدبمن في الارض) بعدم استراق السمع (أم أرادهم ربه) (وانا لمننا الصالحون) أي المؤمنون المخلصون (ومنادون ذلك) أي الصالحين مرتبة قبل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره (كنا طرائق قندا) أي جماعات متفرقين وأصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشيء قال مجاهد يعنون مساهين وكافرين وقيل أهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كاهواء الناس وذلك أن الجن فيهم القدرة والمرجسة والرافضة والخوارج وغير ذلك من أهل الأهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قندا أي سنصير طرائق قندا وهو بيان للقسم المذكورة أي كنا ذوى مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة (وانا ظننا) الظن هنا بمعنى العلم واليقين أي علمنا وأيقنا (أن لن نجزي الله في الارض) أي لن نقوته

(ولن نجزيه ربا) مصدر في موضع الحال أي ولن نجزيه هار بين منها إلى السماء وهذه صفة الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم (وأنا لما سمعنا الهدى) القرآن (آمنابه) بالقرآن أو بالله (فن يؤمن ربه فلا يخاف) فهو لا يخاف مبتدأ وخبر (بخسا) نقصان ثوابه (ولا رهقا) أي ولا ترهقه ذلة من قوله وترهقهم ذلة وقوله ولا يرهق وجوههم فتر (٣٤١) ولا ذلة وفيه دليل على أن العمل ليس من الإيمان (وأما المؤمنون)

المؤمنون (ومنا القاسطون) الكافرون الجأثرون عن طريق الحق قسط جار واقسط عدل (فن أسلم فأولئك تجر وارشدا) أي قصدوا طريق الحق وتوخوه (وأما القاسطون) يعني الذين كفروا (فكانوا جهنم حطباً) يعني وقود النار يوم القيامة فإن قلت قد يتمسك بظواهر هذه الآية من لا يرى للمؤمنين الجن ثواباً وذلك لأن الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فأولئك تجر وارشداً فذكر سبب الثواب والله أعدل وأكرم من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشدين فإن قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وإن خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقاً آخر والله تعالى قادر أن يعذب النار بالنار ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وأن لو استقاموا على الطريقة) اختلفوا فيمن يرجع الضمير إليه فقيل هو راجع إلى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنى لانعمنا عليهم وإنما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلّموا (لا سقيناهم ماء غدقا) أي لو سعنا الرزق عليهم (لنفتنهم فيه) وقيل الضمير راجع إلى الأنس وتم الخبر عن الجن ثم رجع إلى خطاب الأنس فقال تعالى وأن لو استقاموا يعني كفار مكة على الطريقة يعني على طريقة الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لا سقيناهم ماء غدقا يعني كثيراً وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو آمنوا لو سعنا عليهم في الدنيا ولا عطيناهم ماء كثيراً وعيشاً رغداً وإنما ذكر الماء الغدق مثلاً لأن الخير والرزق كله أصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه أي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل في معنى الآية لو استقاموا أي ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لا عطيناهم مالا كثيراً ولو سعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدرأ جأهم حتى يفتنوا به فنعتوا به والقول الأول أصح لأن الطريقة معرفة بالالف واللام وهي طريقة الهدى والقول بان الآية في الأنس أولى لأن الأنس هم الذين يفتنون بالمطر (ومن عرض عن ذلك ربه) أي عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه (نسلكه) أي ندخله (عذاباً بعداً) قال ابن عباس شاقاً وقيل عذاباً بالراحة فيه وقيل لا يزيد الاشد ﴿ قوله تعالى ﴾ (وأن المساجد لله) يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى (فلاندعوا مع الله أحداً) قال قتادة كان اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم أشركوا بالله فيها فامر الله عز وجل المؤمنين أن يخلصوا الدعوة لله إذا دخلوا المساجد كلها وقيل أراد بالمساجد بقاع الأرض كلها لأن الأرض كلها جعلت مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الأرض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبيرة قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن ناؤن عنك فزلت وأن المساجد لله وروى عنه أيضاً أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان وهي سبعة الجهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى إن هذه الأعضاء التي

ان أراد بنا أمراً (ولن نجزيه ربا) أي ان طلبنا فان نجزيه أيما كنا (وانما لما سمعنا الهدى آمنابه) أي لما سمعنا القرآن آمنابه وبمحمد صلى الله عليه وسلم (فن يؤمن ربه فلا يخاف بخسا) أي نقصاناً من عمله وثوابه (ولارهقا) يعني ظمناً وقيل مكرهاً يغشاه (وانما للمسلمون) وهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (ومنا القاسطون) أي الجأثرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا الله أنداداً (فن أسلم فأولئك تجر وارشدا) أي قصدوا طريق الحق وتوخوه (وأما القاسطون) يعني الذين كفروا (فكانوا جهنم حطباً) يعني وقود النار يوم القيامة فإن قلت قد يتمسك بظواهر هذه الآية من لا يرى للمؤمنين الجن ثواباً وذلك لأن الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فأولئك تجر وارشداً فذكر سبب الثواب والله أعدل وأكرم من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشدين فإن قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وإن خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقاً آخر والله تعالى قادر أن يعذب النار بالنار ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وأن لو استقاموا على الطريقة) اختلفوا فيمن يرجع الضمير إليه فقيل هو راجع إلى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنى لانعمنا عليهم وإنما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلّموا (لا سقيناهم ماء غدقا) أي لو سعنا الرزق عليهم (لنفتنهم فيه) وقيل الضمير راجع إلى الأنس وتم الخبر عن الجن ثم رجع إلى خطاب الأنس فقال تعالى وأن لو استقاموا يعني كفار مكة على الطريقة يعني على طريقة الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لا سقيناهم ماء غدقا يعني كثيراً وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو آمنوا لو سعنا عليهم في الدنيا ولا عطيناهم ماء كثيراً وعيشاً رغداً وإنما ذكر الماء الغدق مثلاً لأن الخير والرزق كله أصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه أي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل في معنى الآية لو استقاموا أي ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لا عطيناهم مالا كثيراً ولو سعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدرأ جأهم حتى يفتنوا به فنعتوا به والقول الأول أصح لأن الطريقة معرفة بالالف واللام وهي طريقة الهدى والقول بان الآية في الأنس أولى لأن الأنس هم الذين يفتنون بالمطر (ومن عرض عن ذلك ربه) أي عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه (نسلكه) أي ندخله (عذاباً بعداً) قال ابن عباس شاقاً وقيل عذاباً بالراحة فيه وقيل لا يزيد الاشد ﴿ قوله تعالى ﴾ (وأن المساجد لله) يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى (فلاندعوا مع الله أحداً) قال قتادة كان اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم أشركوا بالله فيها فامر الله عز وجل المؤمنين أن يخلصوا الدعوة لله إذا دخلوا المساجد كلها وقيل أراد بالمساجد بقاع الأرض كلها لأن الأرض كلها جعلت مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الأرض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبيرة قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن ناؤن عنك فزلت وأن المساجد لله وروى عنه أيضاً أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان وهي سبعة الجهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى إن هذه الأعضاء التي

فوصف به العذاب لأنه تصعد العذاب أي يعاوه ويقلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدني خطبة النكاح أي ماشق على (وأن المساجد لله) من جملة الموحى أي أوحى إلى أن المساجد أي البيوت المبنية للصلاة فيها لله وقيل معناه ولأن المساجد لله فلا تدعوا على أن اللام متعلقة باندعوا أي (فلاندعوا مع الله أحداً) في المساجد لأنها خاصة لله وعبادته وقيل المساجد أعضاء السجود وهي الجهة واليدان والركبتان والقدمان



(وأنه لما قام عبد الله) محمد عليه السلام إلى الصلاة وتقديره وأوحى إلى أنه لما قام عبد الله (بدعوته) يعبدوه ويقرا القرآن ولم يقل نبي الله أو رسول الله لأنه من أحب الاسماء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا نهما كان واقفاً في كلامه صلى الله عليه وسلم عن نفسه حتى عبه على ما يقتضيه التواضع أو لأن عبادة عبد الله لله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه ليد (كادوا) كالأجن (يكونون عليه ليداً) جماعات جمع ليدة تنجيباً على أروا من عبادته واقتداء أصحابه به وبأصحابه من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله (قل إنما أدعوا ربني) وحده قال غير عاصم وحزرة (ولا أشرك به أحداً) في العبادة فلم تتجيبون وتزدجون علي (قل اني لأملك لكم ضراً) مضرة (ولا رشداً) نفعاً وأراد بالضر النفي بدليل قراءة أبي غيا ولارشاد يعني لأستطيع أن أضركم (٣٤٢) وان أنفعمكم لان الضار والنافع هو الله (قل اني لن ينجيني من الله أحد) لن يدفع

يقع عليها السجود مخلوق لله فلا تسجدوا عليها غيره (م) عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجدة معه سبعة آراب وجهه وكفاه وركبته وقدماه الاراب الاعضاء (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نسجد على سبعة أعضاء وأن لا نكف شعرا ولا نو بالجهة واليدين والركبتين والقدمين وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء على الجهة وأشار بيده إلى أذنيه واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا نكف الثياب ولا الشعر كف شعرة عقصه وغر زطرفه في أعلى الأصغرة وقد نهى عن ذلك قوله عز وجل (وأنه لما قام عبد الله) يعني النبي صلى الله عليه وسلم (بدعوته) يعني يعبد الله ويقرا القرآن وذلك حين كان يصلي الفجر بيطن نخلة (كادوا) يعني الجن (يكونون عليه ليداً) يعني يركب بعضهم بعضهم من الأزد حاصم عليه حرصاً على استماع القرآن قاله ابن عباس وعنه أيضاً أنه من قول النفر من الجن الذين رجعوا إلى قومهم فأخبروهم عن طاعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الآية لما قام عبد الله بالدعوة تلبست الانس والجن وتظاهروا عليه ليبتلوا الحق الذي جاءهم به ويظفوا نور الله فإني الله الآن يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه وأصل اللبدا الجماعة بعضهم فوق بعض (قال) يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قل على الامر (انما أدعوا ربني) وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بأمر عظيم فأرجع عنه فنجح نبيك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انما أدعوا ربني (ولا أشرك به أحداً) قل اني لأملك لكم ضراً ولا رشداً) أي لا أقدر على أن أدفع عنكم ضراً ولا أسوق اليكم رشداً وانما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى (قل اني لن ينجيني من الله أحد) أي لن يعنى منه أحدان عصبته (ولن أجد من دونه ملتجداً) أي ملجأ الجأ إليه وقيل حرزا احتراز به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب أدخل فيه (الا بلاغ من الله ورسالاته) أي ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي ينجي من عذاب الله يعني التبليغ وقيل البلاغ من الله فذلك الذي أملكه بعون الله ونوفيقه وقيل معناه لأملك لكم ضراً ولا رشداً الكن أبلغ بلاغاً عن الله عز وجل فإما أنا مرسل لأملك الا ما ملكت (ومن يعص الله ورسوله) يعني ولم يؤمن (فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً حتى اذا رآوا ما يوعدون) يعني العذاب يوم القيامة (فسيعلمون) أي عند نزول العذاب (من أضعف ناصر أو أقل عدداً) أهم أم المؤمنون (قل ان أدري) أي ما أدري (أقرب ما توعدون) يعني العذاب وقيل يوم القيامة (أم يجعل له ربني أمداً) أي أجلا

عنى عذابه أحدان عصبته كقول صالح عليه السلام فمن ينصرفني من الله ان عصبته (ولن أجد من دونه ملتجداً) ملتجداً (الابلاغ من الله) استثناء من لأملك أي لأملك لكم ضراً ولا رشداً البلاغ من الله وقل اني لن ينجيني اعتراض لتأكيد الاستطاعة عن نفسه وبين عجزه وقيل بلاغاً بدل من ملتجداً أي لن أجد من دونه منجى الآن أبلغ عنه ما أرسلني به يعني لا ينجيني الآن بلغ عن الله ما أرسلت به فان ذلك ينجيني وقال الفراء هذا شرط وجزاء وليس باستثناء وان منفصلة من لا وتقديره ان لا يبلغ بلاغاً أي ان أبلغ لم أجد من دونه ملتجداً ولا ينجي إلى كقولك ان لا قياماً فعودوا البلاغ في هذه الوجوه بمعنى التبليغ (ورسالته) عطف على بلاغاً

كانه قيل لأملك لكم الا التبليغ والرسالات أي الآن أبلغ عن الله فاقول قال الله كذا اناس بالقوله اليه وان أبلغ رسالته التي أرسلني بها بل زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ لانه يقال بلغ عنه انما هي بمنزلة من في براءة من الله أي بلاغاً كأننا من الله (ومن يعص الله ورسوله) في ترك القبول لما أنزل على الرسول لانه ذكر على أثر تبليغ الرسالة (فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً) وحده في قوله له وجمع في خالد لفظ من ومعناه (حتى) يتعلق بمحذوف دلل عليه الحال كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى (اذا رآوا ما يوعدون) من العذاب (فسيعلمون) عند حلول العذاب بهم (من أضعف ناصر أو أقل عدداً) أهم أم المؤمنون أي الكافر لا ناصر له يومئذ والمؤمن ينصره الله وملائكته وأنبيأؤه (قل ان أدري) ما أدري (أقرب ما توعدون) من العذاب (أم يجعل له ربني) وفتح الياء حجازي وأبو عمرو (أمداً) غاية بعيدة يعني انكم تعدون قطعاً ولكن لا أدري أهو حال أم مؤجل

وغاية تطول مدتها والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله عز وجل (علم الغيب) أى هو عالم  
 ما غاب عن العباد (فلا يظهر) أى فلا يطلع (على غيبه) أى الغيب الذى يعلمه وانقرده (أحدا) أى من  
 الناس ثم استثنى فقال تعالى (الامن ارتضى من رسول) يعنى الامن يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره  
 على ما يشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر به من المعجيات فيكون ذلك معجزة له وآية دالة على نبوته  
 قال الزمخشري وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضىين  
 فليسوا برسول وقد خص الله الرسل من بين المرتضىين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم  
 لان اصحابها ما اُبعد شئ من الارضاء ودخله في السخط قال الواحدى وفي هذا دليل على أن من ادعى أن  
 النجوم تدله على ما يكون من حياة أو موت ونحو ذلك فقد كفر بما في القرآن فاما الزمخشري فانكر كرامات  
 الاولياء جريا على قاعدة مذهبه في الاعتزال ووافق الواحدى وغيره من المفسرين في ابطال الكهانة  
 والتنجيم قال الامام نجر الدين ونسبة الآية الى صورتين واحدة فان جعل الآية دالة على المنع من أحكام  
 النجوم فينبغى أن يجعلها دالة على المنع من الكرامات قال وعندى ان الآية لا دلالة فيها على شئ من ذلك  
 الذى تدل عليه أن قوله فلا يظهر على غيبه أحد البس فيه صيغة عموم فيكفى في العمل بمقتضاه أن لا يظهر  
 الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فتحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية انه تعالى  
 لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى في الآية دلالة على انه لا يظهر شيئا من الغيب لاحد ثم انه يجوز أن يطلع  
 الله على شئ من المعجيات غير الرسل كالكهنة وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذى ينبغى ان مذهب  
 أهل السنة اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز أن يلهم الله بعض اوليائه وقوع بعض  
 الوقائع في المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك وبدل على صحة ذلك ما روى عن أبي هريرة  
 رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير  
 أن يكونوا انبياء وان يكن في امتى أحد فانه عمر بن الخطاب أخرجه البخارى قال ابن وهب تفسير محدثون  
 ملهون ولمسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون في الامم  
 قبلكم محدثون فان يكن في امتى منهم أحد فان عمر بن الخطاب منهم ففي هذا اثبات كرامات الاولياء  
 ولا يقال لوجازات الكرامة للولى لما تميزت بمجزة النبي صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولا نسند الطريق الى  
 معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين مجزة النبي وكرامة الولى ان المجزة أمر خارق للعادة مع عدم  
 المعارضة مقررون بالتعدى ولا يجوز للولى أن يدعى خرق العادة مع التعدى اذ لو ادعاه الولى لكفر من ساعته  
 فبان الفرق بين المجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولى أمر خارق للعادة من غير دعواه وهذا ايضا يدل  
 على ثبوت نبوة النبي لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد للرسول متابع له فلو لم تكن نبوته حقا  
 لما ظهر الخارق على يد متابعه وأما الكاهن فليس يتمتع للرسول وقد انسدت باب الكهانة بمبعث النبي  
 صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله  
 تعالى أعلم ﴿وقوله تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه) أى من بين يدي الرسول ومن خلفه وذكر  
 البعض دال على جميع الجهات (رصد) أى حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان أن يسترق  
 السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن أن يسمعو الوحي فيلقوه الى الكهنة فيخبروا به وقبل الرسول  
 وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا اناه ابليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه  
 رسدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبره بانه  
 شيطان فاحذروه وان جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك (يعلم) أى يعلم محمد صلى الله عليه وسلم (أن) أى ان  
 جبريل قد بلغ اليه رسالاته به وقيل معناه يعلم محمد ان الرسل قبله قد بلغوا رسالات ربهم وأن الله قد

قد بلغوا) أي الرسل (رسالاتهم) كاملة بلا زيادة ولا نقصان إلى المرسل إليهم أي ليعلم الله ذلك موجوداً وحال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده أنه يوجد وحد الضمير في من بين يديه للفظ من وجع في أبلغوا المعناه (وأحاط) الله (بمآلدهم) بما عند الرسل من العلم (وأحصى كل شيء عدداً) من القطر والرمل وورق الأشجار (٣٤٤) وزبد البحر فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعدداً حال أي

وعلم كل شيء معدوداً ومحسوراً أو مصدر في معنى احصاء والله أعلم ﴿سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكية﴾ وهي تسع عشرة آية بصرية وثمان عشرة شامياً

حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم الله أن الرسل (قد بلغوا رسالات ربهم) فيعلم الله ذلك ظاهراً موجوداً فيوجب فيه الثواب (وأحاط بمآلدهم) أي علم الله ما عند الرسل فلا يخفى عليه شيء من أمورهم (وأحصى كل شيء عدداً) قال ابن عباس أحصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شيء حتى مشاقيل الدر والخر دل والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿تفسير سورة المزمل﴾

﴿هي مكية قيل غير آيتين منها وهما قوله واصبر على ما يقولون وقيل غير آية وهي ان ربك يعلم أنك تقوم الآيات وهي عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفاً﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (يا أيها المزمل) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصله المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه أي تلتف قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل في ثيابه أول ما جاءه جبريل فرقمه فكان يقول زملوني زملوني حتى أنس به وقيل خرج يوماً من البيت وقد لبس ثيابه فناده جبريل يا أيها المزمل وقيل معناه منزلة النبوة أي حاملها والمعنى زملت هذا الأمر فقم به واحمله فإنه أمر عظيم وإنما لم يخاطب بالنبي والرسول لأنه كان في أول الأمر ومبدئه ثم خوطب بالنبي والرسول بعد ذلك وقيل كان صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل في ثوبه فنودي يا أيها المزمل (قم الليل) أي للصلاة والعبادة وهاجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فرضاً في ابتداء الإسلام (الاقبلا) أي صل الليل الاقبلا تنام فيه وهو الثالث ثم بين قدر القيام فقال تعالى (نصفه) أي قم نصف الليل (أو انقص منه قليلاً) أي إلى الثلث (أو زد عليه) أي على النصف إلى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل منهم لا يدري متى ثلث الليل أو متى نصفه أو متى ثلثه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها عنهم بقوله فاقروا ما تيسر منه قيل ليس في القرآن سورة نسخ آخرها وطها الا هذه السورة وكان بين نزول أوطها ونزول آخرها سنة وقيل ستة عشر شهراً وكان قيام الليل فرضاً ثم نسخ بعد ذلك في حق الأمة بالصوات الخمس وثبت فرضته على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك (م) عن سعد بن هشام قال انطلقت إلى عائشة فقالت يا أيها المؤمن أتنبئني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أأنت تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن قلت فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها المؤمن قال قلت بلى قالت فان الله افترض القيام في أول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء ثم نزل التحفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً بعد فرضه ﴿وقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلاً) قال ابن عباس بينه وبيننا وعنه أيضاً قرأه على هيتك ثلاث آيات وأربعاً وخمسة وقيل الترتيل هو التوقف والترسل والتأمل والافهام وتبيين القراءة حرفاً حرفاً أثره في أثر بعض بلد والاشباع والتحقيق وترتيلاً كيد في الأمر به وأنه لا بد للقراري منه وقيل ان الله تعالى لما أمر بقيام الليل أتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلي من حضور القلب والتأمل والفكر في حقائق الآيات ومعانيها فعند

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها المزمل) أي المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه أي تلتف بها بادغام التاء في الزاي وكان النبي صلى الله عليه وسلم ناماً بالليل متزماً في ثيابه فامر بالقيام بالصلاة بقوله (قم الليل الاقبلا) نصفه) بدل من الليل والا قليلاً استثناء من قوله نصفه تقديره قم نصف الليل الا قليلاً من نصف الليل (أو انقص منه) من النصف بضم الواو وغير عاصم وحزة (قليلاً) إلى الثلث (أو زد عليه) على النصف إلى الثلثين والمراد التخخير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين وهو النقصان من النصف والزيادة عليه وان جعلت نصفه بدلاً من قليل كان مختاراً بين ثلاثة

الوصول

أشياء بين قيام نصف الليل تاماً وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وإنما وصف النصف بالقلة بالنسبة

إلى الكل والافاطلاق لفظاً لتقليل بنطاق على مادون النصف ولهذا قلنا إذا قرأ فلان عليه ألف درهم الاقبلا لأنه يلزمه أكثر من نصف الألف (ورتل القرآن) بين وفصل من الشعر المرتل أي المفلج الاسنان وكلام رتل بالتحريك أي مرتل وقررتل أيضاً إذا كان مستوى البنيان أو قرأ على تودة بنبيين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات (ترتيلاً) هو تارة كيد في إيجاب الأمر به وأنه لا بد منه للقراري

الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستثير القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع في القراءة لا يحصل فيها ذلك فظهر بذلك أن المقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب عند القراءة

﴿فصل﴾ (خ) عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بمد بيسم الله ومد بالرحن ومد بالرحيم عن أم سلمة رضي الله عنها وقد سأها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعمت فقرأته فاذا هي نعمت قراءة مفسرة حرفاً فقرأه النسائي و للترمذي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين ثم يقف وفي رواية أبي داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قرائته آية آية (ق) عن عبد الله بن مغفل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع في قراءته (ق) عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود قال اني لاقرأ المفصل في ركعة قال عبد الله هذا كهذا الشعر ان أقواما يقرؤن القرآن لا يجاوزون تراقيمهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ نفع ان أفضل الصلاة الركوع والسجود اني لا اعرف النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهما سورتين في كل ركعة وفي رواية فند كر عشر من سورة من المفصل اطن سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والمجمل فيها وقوله لا يجاوزون تراقيمهم التراقي جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعائق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع نظير وهو الشبه والمثل عن عائشة رضي الله عنها قالت قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي ذر نحووه زاد الآية ان تعذبهم فأنهم عبادك وان تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ فقال الحمد لله كتاب الله واحد فيكم الاحرف فيكم الايبض وفيكم الاسود اقرؤا القرآن قبل ان يقرأه أقوام يقيمونه كما يقيم السهم يتجمل لقراءته ولا يتأجله أخرجه أبو داود وزاد غيره في رواية لا يجاوزون تراقيمهم عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا العربي والعجمي فقال اقرؤا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقيم القدرح يتجملونه ولا يتأجلونه أخرجه أبو داود عن ابن مسعود قال لا تنتروه نثر الدقل ولا تهذوه هذا الشعر ففوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة ﴿قوله تعالى﴾ (اناسنلقى عليك قولاً ثقيلًا) قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلاً يعني كلاماً عظيماً جليلاً اذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شيء له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى فصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلاً لما فيه من الارامر والنواهي فان فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيلاً لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والقرائض والاحكام وقيل ثقيلاً على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلاً أي ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلاً لما فيه من المحكم والمثابرة والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلاً في الوحي وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه القرآن والوحي يحدله مشقة (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا أشده على فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحياناً يتمل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي

(اناسنلقى عليك) ستنزل عليك (قولاً ثقيلاً) أي القرآن لما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقفة ثقيلة على المكافئين أو ثقيلاً على المنافقين أو كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف

(ان ناشئة الليل) بالمهززة سوى ورش قيام الليل عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية والعبادة التي نشأ بالليل أي تحدث أو ساعات الليل (٣٤٦) لانها نشأت ساعة فساعة وكان زين العابدين رضي الله عنه يصلي بين العشاءين ويقول

هذه ناشئة الليل (هي أشد وطاء) وفاقاشامى وأبو عمرو أي بواطئ فيها قلب القائم لسانه وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلاق غيرهما وطأ أي أنقل على المصلي من صلاة النهار لطرده النوم في وقته من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أشد وطأناك على مضر (وأقوم قبلا) وأشد مقالا وأثبت قراءة لهدو الاصوات وانقطاع الحركات (ان لك في النهار سبحا طويلا) تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك وفرغ نفسك في الليل لعبادة ربك أو فراغا طويلا لنومك وراحتك (واذ كرام ربك) ودم على ذكره في الليل والنهار وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم (وتبتل اليه) انقطع الى عبادته عن كل شيء والتبتل الانقطاع الى الله تعالى بتأمل الخير منه دون غيره وقيل رفض الدنيا وما فيها والتمس ما عند الله (تبتلا في) اختلاف المصدر زيادة

ما يقول قالت عائشة ولقد رأيت به ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتر بدله وجهه وفي رواية كان اذا نزل عليه الوحي عرفنا ذلك في فيه ونمض عينيه وتر بدوجهه قوله مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من الاشياء الصلبة كالجرس ونحوه قوله فيفصم أي ينفصل عنى ويفارقنى وقد وعيت ما قال أي حفظت وقوطا ليتفصد عرقا أي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد قوله لتر بدوجهه الر بدة في الالوان غيرة مع سواد و قوله تعالى (ان ناشئة الليل) أي ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة لانها تنشأ عن التي قبلها وقال ابن أبي مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهي عبارة عن الامور التي تحدث وتنشأ في الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هي قيام آخر الليل وقيل أوله وقيل أي ساعة قام الانسان من الليل فقد نشأ روى عن زين العابدين عن علي بن الحسين أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة الليل وقيل ناشئة الليل قيامه (هي أشد وطأ) قرئ بكسر الواو مع المدبغى من المواطأة والموافقة وذلك لان مواطأة القلب واللسان والسمع والبصر تكون بالليل أكثر مما تكون بالنهار وقرئ وطأ بفتح الواو وسكون الطاء أي أشد على المصلي وأقل من صلاة النهار ولان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس أشد وأقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم أول الليل هي أشد وطأ يقول هي أشد وأن يحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لا يدري متى يستيقظ وقيل أثبت للخبير وأحفظ للقراءة من النهار وقيل هي أو طأ للقيام وأسهل على المصلي من ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلو برب العباد ولان الليل أفرغ للقلب من النهار ولا يعرض له في الليل حواج وموانع مثل النهار وأمنع من الشيطان وأبعد من الرياء وهو قوله تعالى (وأقوم قبلا) أي أصوب قراءة وأصح قولاً من النهار لهدأة الناس وسكون الاصوات وقيل معناه أي قولاً بالقرآن والحاصل ان عبادة الليل أشد نشاطاً وأتم اخلاصاً وبعد عن الرياء وأكثر بركة وأبلغ في الثواب وأدخل في القبول (ان لك في النهار سبحا طويلا) أي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا في حواجبك وأشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حواجبك أفضل من الليل (واذ كرام ربك) أي بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح (وتبتل اليه بتبتيلا) قال ابن عباس أخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى بتل اليه نفسك واقطعها عن كل شيء سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتمس ما عند الله وقيل معناه ونوكل عليه توكلنا واجتهد في العبادة وقيل يقال للعباد اذا نزل كل شيء واقبل على العبادة قد تبتل أي انقطع عن كل شيء الا من عبادة لله وطاعته فان قلت كيف قال تبتلا لكان تبتلا ولم يجئ على مصدره قلت جاء تبتلا على بتل نفسك اليه تبتلا فوقع المصدر موضع مقارنه في المعنى ويكون التقدير وتبتل متبتلا نفسك اليه تبتلا فهو كقوله والله أنبتكم من الارض نباتا وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك فجي به على معناه مراعاة لحق القواصل وقيل الاصل في تبتل ان يقال تبتلت تبتلا وتبتلت تبتلا فبتتلا بتبتلا على معنى بتل اليه تبتلا وقيل انما عدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهي ان المقصود انما هو التبتل فاما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله لا يكون منقطعاً اليه الا أنه لا بد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر اولاً التبتل لانه المقصود وذكر التبتيل ثانياً لاشعاراً بأنه لا بد منه (رب المشرق والمغرب) يعني ان التبتل والانقطاع لا يليق الا لله تعالى الذي هو رب المشرق والمغرب (لا اله الا هو فاتخذوه وكبلا) أي فوض أمرك

تأكيد أي بتلك الله فتبتل تبتتيلا وأجى به مراعاة لحق القواصل (رب المشرق والمغرب) بالرفع وهو رب اومبتداً خبره (لا اله الا هو) وبالجر شامى وكوفي غير حفص بدل من ربك وعن ابن عباس رضي الله عنهم اعلى القسم باضمار حرف القسم نحو الله لا فعلن وجوابه لا اله الا هو كقوله والله لا أحد في الدار الا زبد (فاتخذوه وكبلا) وليا وكفيلاً بما وعدك من النصراً واذا علمت انه

ملك المشرق والمغرب وأن لا الهوا فآخذة كافي الامورك وفائدة الغناء أن لا تلبث بعد ان عرفت في نفوس الامور الى الواحد القهار اذ لا عنرك في الانتظار بعد الاقرار (واصبر على ما يقولون) على ما يقولون في من صاحبة والولد فريك من الساحر والشاعر (واهجرهم هجر اجيالا) جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافأة وقيل هو منسوخ باية القتال (وذرنى) أى كلهم الى فانا كافهم (والمكذبين) رؤساء قريش مفعول معه أو عطف على ذرنى أى دعنى واياهم (أولى النعمة) التمتع وبالكسر الانعام وبالضم المسرة (ومهلهم) امهالا (قليل) الى يوم بدر أو الى يوم القيامة (ان لدينا) للكافرين في الآخرة (أنكالا) قيودا تتعاقب نكل (وجحيم) نارا محرقة (وطعاما ذاغصة) أى الذى ينشب في الحلق فلا ينساع يعنى الضريع (٣٤٧) والزقوم (وعذابا أليميا) بخلص وجعه الى

القلب ورى انه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن انه أمسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه و وضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبرنا بآيات البنائى وغيره فجاءوا فمروا به حتى شرب شربة من سويق (يوم) منصوب بماتى لدينامن معنى الفعل أى استقر للكفار لدينا كذا وكذا (ترجف الارض والجبال) أى تتحرك حركة شديدة (وكانت الجبال كشييا) رملا مجتمعا من كشب الشيء اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه (انا أرسلنا اليكم رسولا) يعنى محمد عليه السلام (شاهدا) عايكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم

اليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذ يحمدر بك كفيلا بما وعدك من النصر على الاعداء (واصبر على ما يقولون) أى من التكذيب لك والاذى (واهجرهم هجر اجيالا) أى واعتزلم واعتزلا احسننا لاجزع فيه وهذه الآية منسوخة باية القتال (وذرنى والمكذبين) أى دعنى ومن كذبك لانهم به فأتى كفيك (أولى النعمة) أى أصحاب النعم أو الترفه نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت في المطعمين ببدر (ومهلهم قليلا) يعنى الى يوم بدر فلم يكن الا يسير حتى قتلوا ببدر وقيل أراد بالقليل أيام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى (ان لدينا) أى عندنا فى الآخرة (أنكالا) يعنى قيودا عظيما تتعاقب لا تنفك أبدا وقيل اغلالا من حديد (وجحيم) وطعاما ذاغصة) أى غير سائغ فى الحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع (وعذابا أليميا) أى وجيعا (يوم ترجف الارض والجبال) أى تزلزل وتتحرك وهو يوم القيامة (وكانت الجبال كشييا مهيلا) يعنى رملا سائلا وهو الذى اذا أخذت منه شيئا تبعك ما بعده (انا أرسلنا اليكم) يعنى يا أهل مكة (رسولا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) أى بالتبليغ وإيمان من آمن منكم وكفر من كفر (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الامم والرسول لان محمدا صلى الله عليه وسلم آذاه أهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون اذرى بموسى وآذاه لانه ربه (فصلى فرعون الرسول فاخذناه) أى فرعون (أخذنا ويلا) أى شديدا اثيلا يعنى عاقبناه عقوبة غليظة خوف بذلك كفار مكة ثم خوفهم يوم القيامة فقال تعالى (فكيف تتقون ان كفرتم) أى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا المعنى لاسبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل معنى الآية فكيف تتقون العذاب يوم القيامة رباى شئ تعصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه ان كفرتم فى الدنيا (بوما يجعل الولدان شييا) يعنى شيوخا شمطامن هول ذلك اليوم وشده وذلك حين يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعت بعث النار من ذر يتك (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زادنى رواية والخبر فى يديك فينادى بصوت ان الله يامر بك أن تخرج من ذر يتك بعث النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون حينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبشر وا فان من ياجوج وما جوج تسعمائة وتسع وتسعين ومنكم واحد ثم قال أتم فى الناس كالشجرة السوداء فى جنب الثور

( كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام (فصلى فرعون الرسول) أى ذلك الرسول اذا النكرة اذا أعيدت معرفة كان الثانى عين الاول (فاخذناه أخذنا ويلا) شديدا غليظا وانما خص موسى وفرعون لان خبرهما كان منتشر بين أهل مكة لانهم كانوا جيران اليهود (فكيف تتقون ان كفرتم يوما) هو مفعول تتقون أى كيف تتقون عذاب يوم كذا ان كفرتم أو ظرف أى فكيف لكم التقوى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا أو منصوب بكفرتم على تأويل بجدتم أى كيف تتقون الله وتخشونه ان بجدتم يوم القيامة والجزء لان تقوى الله خوف عقابه (يجعل الولدان) صفة ليوما والعائد محذوف أى فيه (شييا) من هولاء وشده وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعت بعث النار من ذر يتك وهو جوع أشيب وقيل هو على التمثيل للتهويل يقال لليوم الشديدة يوم يشيب نواصى الاطفال

(السماء منقطر به) وصف لليوم بالشدّة أيضاً السّماء على عظمتها واحكامها تنقطر به أي تنشق فاطنك بغيرها من الخلائق والتذكير على تأويل السّماء بالسقف أو السّماء شئ منقطر وقوله به أي يوم القيامة يعني انها تنقطر لشدّة ذلك اليوم وهو له كما ينقطر الشئ بما ينقطر به (كان وعده) المصدر مضاف الى المفعول وهو اليوم أو الى الفاعل وهو الله عز وجل (مفعولاً) كأننا (ان هذه) الآيات الناطقة بالوعيد (تذكرة) موعظة (فن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً) أي (٣٤٨) فن شاء اعظها واتخذ سبيلاً الى الله بالتقوى والخشية (ان ربك يعلم أنك

تقوم أدنى) أقل فاستعير  
الادنى وهو الاقرب للاقل  
لان المسافة بين الشيتين  
اذا دنت قل ما بينهما من  
الاحياز واذا بعدت كثير  
ذلك (من ثلثي الليل)  
بضم اللام سوى هشام  
(ونصفه وثلثه) منصوبان  
عطف على أدنى مكى وكوفى  
ومن جرهما عطف على ثلثي  
(وطائفة) عطف على  
الضمير في تقوم وجاز بلا  
وكيد لوجود الفاصل (من  
الذين معك) أي ويقوم  
ذلك المقدار جماعة من  
أصحابك (وان الله يقدر الليل  
والنهار) أي ولا يقدر على  
تقدير الليل والنهار ولا يعلم  
مقادير ساعاتهما الا الله  
وحده وتقدير اسمه عز  
وجل مبتدأ مبني عليه  
يقدر هو الدال على انه  
مختص بالتقدير ثم انهم  
قاموا حتى اتفخت  
أقدامهم فنزل (علم أن لن  
نحسوه) لن تطيقوا قيامه  
على هذه المقادير الا بشدة  
ومشقة وفي ذلك حرج

الايض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقعة في ذراع الحارواني لارجوان تكونوا  
ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا أما ما يتعلق بمعنى  
الحديث فقوله ان يخرج من ذر يتك بعث النار فعناه ميز أهل الجنة من أهل النار وأما الرقعة بفتح الفراء  
واسكان القاف فهي الاثرة في باطن عضد الحمار وقوله أنى لارجوان تكونوا ربع أهل الجنة وثلث أهل  
الجنة وشرط أهل الجنة فيه البشارة العظيمة هذه الامة وجعلهم ربع أهل الجنة ولائم الثلث ثم الشطر  
لقائده حسنة وهي ان ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على  
الاعتناء به وداوم ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد أخرى وفيه أيضاً جملهم على تجديده شكر الله وحده  
على انعامه عليهم وهو تكبيرهم هذه البشارة العظيمة وسرورهم بها وأما ما يتعلق بمعنى الآية الكريمة  
والحديث في قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب  
الوليد ففيه وجهان الاول انه عند زلزلة الساعة قبيل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثاني انه  
في القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازاً لان القيامة ليس فيها شيب وانما هو مثل في شدة الامر وهو له  
يقال في اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تعاقبت  
على الانسان أمرع فيه الشيب قال المتنبي والهم يخترم الجسيم نحافة \* ويشيب ناصية الصبي ويهرم \*  
فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوه كناية عن الشدة والهلول وليس المراد ان هول  
ذلك اليوم يجعل الولدان شيباً حقيقة لان الطفل لا يميزه وقيل يحتمل أن يكون المراد وصف ذلك اليوم  
بالطول وان الاطفال يبالغون سن الشيخوخة والشيب (السماء منقطر به) وصف اليوم بالشدّة أيضاً وان  
السّماء مع عظمتها تنقطر به وتنشق فاطنك بغيرها من الخلائق وقيل تنشق لنزوله الملائكة وقيل به  
أي بذلك المكان وقيل الهاء ترجع الى الرب سبحانه وتعالى أي بامر وهيبته (كان وعده مفعولاً) أي كأننا  
لا محالة فيه ولا خلف (ان هذه) أي آيات القرآن (تذكرة) أي موعظة يتذكرونها (فن شاء اتخذ الى ربه  
سبيلاً) بالايمان والطاعة وقوله تعالى (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل) أي أقل من ثلثي الليل  
(ونصفه وثلثه) أي تقوم نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل  
(وان الله يقدر الليل والنهار) يعني ان العالم بمقادير الليل والنهار وأجزائها وساعاتها هو الله تعالى لا يقوته  
علم ما يفعلون فيعلم القدر الذي يقومون من الليل والذي ينامون منه (علم أن لن نحسوه) يعني أن لن  
نطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى اتفخت أقدامهم فنزل علم أن لن نحسوه أي لن تطيقوه قيل  
كان الرجل يصلي الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر الله به من القيام فقال تعالى علم أن لن نحسوه أي لن  
نطيقوا معرفة ذلك (فتاب عليكم) أي فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع  
المشقة عنكم (فاقرؤا ما ينسر من القرآن) فيه قولان أحدهما أن المراد بهذه القراءة القراءة في الصلاة

(فتاب عليكم) تخفف عليكم وأسقط عنكم فرض قيام الليل (فاقرؤا) في الصلاة والامر للوجوب وذلك

أو في غيرها والامر للنسب (ما ينسر) عليكم (من القرآن) روى أبو حنيفة عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال من قرأ مائتي آية في ليلة لم  
يكتب من الغافلين ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين وقيل أراد بالقرآن الصلاة لانه بعض أركانها أي فصولها ما ينسر عليكم ولم يتعد من  
صلاة الليل وهذا نسخ للاول ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ثم بين الحكمة في النسخ وهو تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين

فقال

(علم أن سيكون منكم) أن مخففه من الثقبلة والسبين بدل من تخفيفها وحذف اسمها (مرضى) فيشق عليهم قيام الليل (وآخرون يضربون في الارض) يسافرون (يتبعون) حال من ضمير يضربون (من فضل الله) رزقه (٣٤٩) بالتجارة أو طلب العلم (آخرون يقاتلون

في سبيل الله) سوى بين  
المجاهد والمكتسب لان  
كسب الحلال جهاد قال ابن  
مسعود رضى الله عنه أيما  
رجل جلب شيئا إلى مدينة  
من مدائن المسلمين صابرا  
محتسبا فباعه بسعر يومه  
كان عند الله من الشهداء  
وقال ابن عمر رضى الله  
عنهما ما خلق الله مائة  
أموات بعد القتل في سبيل  
الله أحب إلى من أن أموت  
بين شعبي رجل أضرب  
في الارض أبتغي من فضل  
الله (فاقرؤا ما تيسر منه)  
كرر الامر بالتيسير لشدة  
احتياطهم (وأقيموا  
الصلاة) المفروضة (وآتوا  
الزكاة) الواجبة (وأقروا  
الله) بالنوافل والقرض  
لغة القسط المقترض يقطع  
ذلك القدر من ماله فيدفعه  
إلى غيره وكذا المتصدق  
يقطع ذلك القدر من ماله  
فيجعله لله تعالى وإنما أضافه  
إلى نفسه لتلاجه على  
الفقير فيما يتصدق به عليه  
وهذا لان الفقير معاون له  
في تلك القرية فلا يكون له  
عليه منة بل المنة للفقير عليه  
(قرضا حسنا) من الحلال  
بالاخلاص (وأتقدموا

وذلك لان القراءة أحد أجزاء الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصولا ما تيسر عليكم وقال الحسن  
يعني في صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن أبي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرا في أول ركعة بالحمد  
وأول آية من البقرة ثم قالم في الثانية فقرأ الحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا بوجهه  
فقال ان الله تعالى يقول فاقروا ما تيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجدوا كتنى مما تيسر ثم نسخ ذلك أيضا  
بالصلوات الخمس وذلك في حق الامم وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل  
فتهجد به نافلة لك القول الثاني ان المراد بقوله فاقروا ما تيسر من القرآن دراسة وتحصيل حفظه وان  
لا يعرض للنسيان فليل يقرأ مائة آية ونحوها وقيل ان قراءة السورة القصيرة كافية روى البغوي بسنده  
عن أنس رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ آيتين من القرآن في يوم أو ليلة لم يكتب  
من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائة آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ  
خمسة آيات كتب له قطار من الاجر وذكره الشيخ محي الدين في كتابه الاذكار ولم يضعفه وقال في رواية من  
قرأ أربعين آية بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله  
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة قلت بلى  
يا رسول الله ولم أرب ذلك الا الخير قال فصم صوم داود وكان أعبد الناس واقرا القرآن في كل شهر مرة قال  
قلت يا نبي الله اني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرا في كل عشر قال قلت يا نبي الله اني أطيق أفضل من ذلك قال  
فاقرأ في سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله حكمة النسخ والتخفيف فقال تعالى (علم أن سيكون منكم  
مرضى) يعني ان المريض يضعف عن التهجد بالليل يخفف الله عز وجل عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه  
(وآخرون يضربون في الارض) يعني المسافر في التجارة (يتبعون من فضل الله) أي يطلبون من رزق  
الله وهو الربح في التجارة (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) يعني الغزاة والمجاهدين وذلك لان المجاهد  
والمسافر مشتغل في النهار بالاعمال الشاقة فلولم يتم بالليل اتوات عليه أسباب المشقة تخفف الله عنهم لذلك  
روى عن ابن مسعود قال أيما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه  
كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون في الارض يتبعون من فضل الله وآخرون  
يقاتلون في سبيل الله (فاقرؤا ما تيسر منه) أي من القرآن وإنما أعاده للتأكيد (وأقيموا الصلاة) يعني  
المفروضة (وآتوا الزكاة) أي الواجبة (وأقروا الله) أي الواجبة (وأقروا الله) أي الواجبة (وأقروا الله) أي الواجبة  
صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بان يخرجها على أحسن وجه من كسب طيب ومن  
أكثر الاموال نفعها للفقراء ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى بما يخرج والصدق الى  
المستحق (وأتقدموا لانفسكم من خير نحبوه عند الله) أي ثوابه وأجره (هو خيرا وأعظم أجرا) يعني ان  
الذي قدمتم لانفسكم خيرا من الذي آخرتموه ولم تقدموه وروى البغوي بسنده عن عبد الله قال قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أيكم ماله أحب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما من أحد الا له أحب اليه من مال  
وارثه قال اعلمو اما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال ما منكم رجل الا مال وارثه أحب اليه من ماله  
قالوا كيف يا رسول الله قال انما مال أحدكم ما قدم وماله وارثه ما آخر (واستغفروا الله) أي لذنوبكم وتقصيركم  
في قيام الليل (ان الله غفور رحيم) أي لجميع الذنوب والله تعالى أعلم

لانفسكم من خير نحبوه) أي ثوابه وهو جزاء الشرط (عند الله هو خيرا) مما خلفتم وتركتم فالقول الثاني لتجدوه خيرا وهو فضل وجاز  
ان لم يقع بين معرفتين لان افعال من أشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف (وأعظم أجرا) وأجزل ثوابا (واستغفروا الله) من  
السيئات والتصبر في الحسنة (ان الله غفور) يستر على أهل التقصير (رحيم) يخفف عن أهل الجهد والتوفيق وهو على ما يشاء قدير والله أعلم





فطهر) بالماء عن النجاسة لان الصلاة لا تصح الا بها وهي الاولى في غير الصلاة أو فقصر مخالفة للعرب في تطويلهم الثياب وجوبهم الذبول اذ لا يؤمن معه اصابة النجاسة أو طهر نفسك مما يستقدر من الافعال يقال (٣٥١) فلان طاهر الثياب اذ اوصفوه بالنقاء من المعايير

وفلان دنس الثياب للغادر ولان من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرا (والريز) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص وغيرهم بالكسر العذاب والمراد ما يؤدى اليه (فاهجر) أى اثبت على هجره لانه كان يرثامنه (ولانهم تستكثروا) بالرفع وهو منصوب المحل على الحال أى لا تعط مستكثرا راثيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا أكثر مما أعطيت فانك مأمور باجل الاخلاق

فطهر) فيه أربعة أوجه أحدها أن ينزل لفظ الثياب والتطهير على الحقيقة والثاني أن ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث أن ينزل لفظ الثياب على المجاز وأما الوجه الاول فعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فامر صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسات وغيرها خلافا للمشركين الوجه الثاني فعناه وثيابك فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم على النجاسات وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فنهى عن تطويل الثوب وأمر بتقصيره لذلك وقيل فعناه وثيابك فطهر عن أن تكون مغصوبة أو محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب الوجه الثالث فعناه حمل الثوب على النفس قال عنتره

وشككت بالريح الاصم ثيابه \* ليس الكريم على القنا بحرم

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرهما وكفى بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل فعناه وقيلك فطهر عن الصفات المنومة وقيل فعناه وخلقك حسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا غدرأ ما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي

وانى بحمد الله لا نوب فاجر \* لبست ولا من غدرة أتتبع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء هو طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثوب والسبب في ذلك أن الثوب كالشيء الملازم للانسان فلهذا جعلوا كلمة عن الانسان كما يقال الكريم في ثوبه والعفة في ازاره وقيل ان من طهر باطنه طهر ظاهره وقوله تعالى (والريز فاهجر) يعنى اترك الاوثان ولا تقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما أوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال (ولانهم تستكثروا) يعنى لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه هذا قول أكثر المفسرين وهذا النهى مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما نهى عن ذلك تزيها لنبوة لان من أعطى شيئا لغيره يطلب منه الزيادة عليه لا بد وأن يتواضع لذلك لذى أعطاه ومنصب النبوة يجعل عن ذلك وهذا غير موجود في حق الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك كما قيل عمار بأن حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه أكثر منها وأما الحرام فالمرحوم بنص الشرع وقيل فعناه لا تعط شيئا لمجازاة الدنيا أعط الله وأردبه وجه الله وقيل فعناه لا تمن على الله بملك فستكثره ولا يتكثرن عملك في عينك فانه فيما أنعم الله به عليك وأعطاك قليل وقيل فعناه لا تمن على أصحابك بما تعلمهم من أمر الدين وتبلغهم من أمر الوحي كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمن عليهم بنبوتك فتأخذ منهم على ذلك أجر أنت أكثر به وقيل فعناه لا تمن لا تضعف عن الخير تستكثر منه وقيل فعناه لا تمن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثرنا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل (ولربك فاصبر) أى على طاعته وأمره ونواهيه لاجل ثواب الله تعالى وقيل فعناه فاصبر لله على ما أوديت فيه وقيل فعناه أنك حملت أمر اعظما فيه محاربة العرب والجمجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل فعناه فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله (فاذا انقروا في الناقور) أى نفخ في الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل وهي النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح (فذلك يومئذ) يعنى يوم النفخة وهو يوم القيامة (يوم عسير) أى شديد (على الكافرين) يعنى يعسر عليهم في ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشماهم وتسود وجوههم (غير يسير) أى هين فان قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير من عنده قلت فائدة

وأشرف الآداب وهو من عليه اذا أنعم عليه وقرا الحسن تستكثر بالسكون جوابا للنهي (ولربك فاصبر) ولو وجه الله فاستعمل الصبر على أمره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه (فاذا انقروا في الناقور) نفخ في الصور وهي النفخة الاولى وقيل الثانية (فذلك) إشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ (يومئذ) مرفوع المحل بدل من ذلك (يوم عسير) خبر كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير والغاء في فاذا اللسيب وفي فذلك للجزاء كأنه قيل اصبر على أذاهم فين أبدى يوم عسير بلقون فيه عاقبة أمرهم وتلقى

عاقبة صبرك عليه والعامل في فاذا ما دل عليه الجزاء أى فاذا انقروا في الناقور عسر الامر (على الكافرين غير يسير) وأكيد بقوله غير يسير ليؤذن بأنه يسير على المؤمنين أو عسير لا يرجي أن يرجع يسيرا كما يرجي تيسر العسير من أمور الدنيا

(ذرى ومن خلقت) أى كله الى يعنى الوليد بن المغيرة وكان يلقب في قومه بالوحيد ومن خلقت معطوف أو مفعول معه (وحيدا) حال من الياء في ذرى أى ذرى وحدى معه فأنى كفيك أمره أو من التاء في خلقت أى خلقتة وحدى لم يشاركنى في خلقه أهدأ ومن الهاء المحذوفة أو من أى خلقتة منفردا بلا أهل ولا مال (٣٥٢) ثم أنعمت عليه (وجعلت له مالا موددا) مبسوطا كثيرا أو مودودا بالبناء وكان له

الزرع والضرع والتجارة وعن مجاهد كان له مائة ألف دينار وعنه أن له أرضا بالطائف لا ينقطع ثمرها (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة لغنائهم عن السفر وكانوا عشرة أسلم منهم خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الجاه والرياسة فأتمت عليه نعمتى الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا (ثم بسطت له أن أزيد) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه فيرجو أن أزيد في ماله وولده من غير شكر وقال الحسن أن أزيد أى أدخله الجنة فأوتيه مالا وولدا كما قال لاونين مالا وولدا (كلا) ردع له وقطع لرجائه أى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم فلم يزل بعد نزول الآية في نقصان من المال والجاه حتى هلك (عنيديا) معاندا جاهدا وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كان قائلا قال لم لا يزد فقيل أنه سبحانه وآيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر

التكرار التأكيد كقوله أنا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافر ين غير يسير دل على أنه يهون على المؤمن بخلاف الكفار فإنه عليهم عسير لا يسرف فيه ليزداد غمظ الكافر ين وبشارة المؤمنين ﴿ قوله تعالى (ذرى ومن خلقت وحيدا) أى خلقتة في بطن أمه وحيدا فر يد الامال له ولا ولد وقيل معناه خلقتة وحدى لم يشاركنى في خلقه أهدأ والمعنى ذرى وإياه فأنأ كفيك نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى الوحيد في قومه (وجعلت له مالا موددا) أى كثيرا يمد بعضه به ضادا ثمنا غير منقطع وقيل ما يمد بالبناء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه فقيل كان ألف دينار وقيل أربعة آلاف درهم وقيل ألف ألف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف بل وخبيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بيتان بالطائف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له غلظة شهر بشهر (وبنين شهودا) أى حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا أغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب وقيل معنى شهودا أى رجالا يشهدون معه المحافل والجماع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) أى بسطت له في العيش وطول العمر بسطامع الجاه العريض والرياسة في قومه وكان الوليد من أكابر قريش وكان يدعى ربحانة قريش (ثم يطمع) أى يرجو (أن أزيد) أى أزيد مالا وولدا وتمهيدا (كلا) أى لا أفعل ولا أزيد مالا وإنما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله وولده حتى هلك (أنه كان لآياتنا عنيديا) أى معاندا والمعنى أنه كان معاندا في جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة منكرا للكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو أنه كان يعرف هذا قلبه وينكره بلسانه وهو أقبح الكفر وأخفسه (سأرهقه صعودا) يعنى سأ كفه مشقة من العذاب لراحة له فيها وعن أنى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة في النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوى فيها سبعين خريفا فهو كذلك أبدا أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن أنى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سأرهقه صعودا قال هو جبل من نار يكفأ أن يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وقال الكلبي الصعود صخرة ملساء في النار يكفأ الكافر أن يصعد ها لا يتحرك يتنفس في صعوده يجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعد ها في أربعين عاما فاذا بلغ ذروتها أهدر الى أسفلها ثم يكفأ أن يصعد ها يجذب من أمامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبدا ﴿ قوله عز وجل (انه فكر وقدر) أى فكر في الامر الذى يريد ونظر فيه ويندبره ورب في قلبه كلا ما وهى له لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر أى وقدر ذلك الكلام في قلبه وذلك أن الله تعالى لما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد يصلى والوليد بن المغيرة قريبا منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد نفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن والله إن له حلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وأنه يعاوب وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صباحا والله الوليد ولتصيبون قريش كلهم فقال أبو جهل أناأ كفيكم وود فانطلق حتى جالس الى

جنب

لا يستحق المزيد (سأرهقه) سأغشيه (صعودا) عقبة شاقة المصعد وفي الحديث الصعود جبل من نار يصعد

فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا (انه فكر) تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر والنذل بعد الغنى والعز بعد العاقبة في الآخرة بأشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته ونسبته القرآن سحرا يعنى انه فكر ماذا يقول في القرآن (وقدر) في نفسه ايقول وهى

(فقتل) لعن (كيف قدر) تعجب من تقديره (ثم قتل كيف قدر) كرر للتأكيده ثم يشعر بان الدعاء الثاني ابلغ من الاول (ثم نظر) في رجوه الناس أو فيما قدر (ثم عبس) قطب وجهه (و بسر) زاد في التقبض والكلوح (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه أو عن مقامه وفي مقاله و ثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما وإيراد ثم في المعطوفات لبيان أن بين الافعال المعطوفة تراخيا (فقال ان هذا) ما هذا (الاسحر يؤثر) يروي عن السحرة روى ان الوليد قال لبني مخزوم والله (٣٥٣) لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ما هو من

كلام الانس ولا من كلام الجن ان له الخلاوة وان عليه اطلالاة وان أعلاه لثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلم وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد فقال أبو جهل وهو ابن أخيه أنا أ كفيكم موه فقعده اليه حزينا وكامه بما أجاه فقام الوليد فاتاهم فقال تزعمون ان محمد المجنون فهل رأيتموه يتخفق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه فبنا شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعر افظ وتزعمون انه كذاب فهل جر بتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لانهم قالوا فها هو ففكر فقال ما هو الا ساحر أمارأ يتموه بفرق بين الرجل وأهله وولده ومو اليه فهو ساحر وما يقوله معر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكرأى في أمر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فقتل كيف قدر) أى عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرره للتأكيده وقيل معناه لعن على أى حال قدر من الكلام (ثم نظر) أى في طلب ما يدفع به القرآن ويرده (ثم عبس و بسر) أى كالح وقطب وجهه كلمتهم المتفكر في شئ يدبره (ثم أدبر) أى عن الايمان (واستكبر) أى حين دعى اليه (فقال ان هذا) أى الذى يقوله محمد ويقرؤه (الاسحر يؤثر) يروي ويحكى عن السحرة (ان هذا الاقول البشر) يعنى يساروا وجبرافهوا يأتروه عندهم قال الله تعالى (سأصليه) نى سأدخله (سقر) هو اسم من أسماء جهنم وقيل آخر ذر كاتها (وما أدراك ما سقر) أى وما أعلمك أى شئ هي سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لامرها (لا تبتقى ولا تذر) قيل هما بمعنى كما تقول صدعتنى وأعرض عنى وقيل لا بد من الفرق والالزم التكرار فقبل معناه لا تبتقى أحدا من المستحقين للعذاب الا أخذته ثم لا تذر من لحوم أولئك شيئا الا أكلته وأهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيى أى لا تبتقى من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا وأعيدوا وقيل لا تبتقى لهم لحما ولا تذر منهم عظاما وقيل لسكل شئ ملال وفترة الاجهيم ليس لها ملال ولا فترة فهي لا تبتقى عليهم ولا تذرهم (لواحة للبشر) جمع بشرة أى مغيرة للجلد حتى تجعلها أسود قال مجاهد نلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل نلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا (عليها تسعة عشر) أى على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنها مالكا ومعه ثمانية عشر جاء في الأثر ان أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياحى يخرج لطلب النار من أفواهم ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة قد نزع منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرهبهم حيث أراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان أحدهم يدفع بالدفة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقر يش نكلكم أمهاتكم اسمع من ابن أبى كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأتم الدهم يعنى الشجعان أفتجهز كل عشر منكم أن تبطلش بواحد منهم يعنى خزنة

جنب الوليد حزينا فقال له الوليد ما لى أراك حزينا يا ابن أختي فقال وما يمنعنى أن لا أحن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك و يزعمون أنك زنت كلام محمد وانك تدخل على ابن أبى كبشة وابن أبى حنيفة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال ألم تعلم قريش أنى من أكثرهم مالا وولدا وهل شيع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يتخفق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جر بتم عليه شيئا من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فها هو فتفكر في نفسه ثم قال ما هو الا ساحر أمارأ يتموه بفرق بين الرجل وأهله وولده ومو اليه فهو ساحر وما يقوله معر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكرأى في أمر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فقتل كيف قدر) أى عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرره للتأكيده وقيل معناه لعن على أى حال قدر من الكلام (ثم نظر) أى في طلب ما يدفع به القرآن ويرده (ثم عبس و بسر) أى كالح وقطب وجهه كلمتهم المتفكر في شئ يدبره (ثم أدبر) أى عن الايمان (واستكبر) أى حين دعى اليه (فقال ان هذا) أى الذى يقوله محمد ويقرؤه (الاسحر يؤثر) يروي ويحكى عن السحرة (ان هذا الاقول البشر) يعنى يساروا وجبرافهوا يأتروه عندهم قال الله تعالى (سأصليه) نى سأدخله (سقر) هو اسم من أسماء جهنم وقيل آخر ذر كاتها (وما أدراك ما سقر) أى وما أعلمك أى شئ هي سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لامرها (لا تبتقى ولا تذر) قيل هما بمعنى كما تقول صدعتنى وأعرض عنى وقيل لا بد من الفرق والالزم التكرار فقبل معناه لا تبتقى أحدا من المستحقين للعذاب الا أخذته ثم لا تذر من لحوم أولئك شيئا الا أكلته وأهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيى أى لا تبتقى من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا وأعيدوا وقيل لا تبتقى لهم لحما ولا تذر منهم عظاما وقيل لسكل شئ ملال وفترة الاجهيم ليس لها ملال ولا فترة فهي لا تبتقى عليهم ولا تذرهم (لواحة للبشر) جمع بشرة أى مغيرة للجلد حتى تجعلها أسود قال مجاهد نلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل نلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا (عليها تسعة عشر) أى على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنها مالكا ومعه ثمانية عشر جاء في الأثر ان أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياحى يخرج لطلب النار من أفواهم ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة قد نزع منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرهبهم حيث أراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان أحدهم يدفع بالدفة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقر يش نكلكم أمهاتكم اسمع من ابن أبى كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأتم الدهم يعنى الشجعان أفتجهز كل عشر منكم أن تبطلش بواحد منهم يعنى خزنة

(٤٥ - (خازن) - رابع) (ان هذا الاقول البشر) ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لان الثانية جرت مجرى التوكيد الأولى (سأصليه) سأدخله بدل من سارهقه صعودا (سقر) علم جهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث (وما أدراك ما سقر) تهويل لسانها (لا تبتقى) أى هي لا تبتقى لحما (ولا تذر) عظما ولا تبتقى شيئا يبقى فيها الا أهلكتها ولا تذر هالكا بل يعود كما كان (لواحة) خير مبتدا محذوف أى هي لواحة (للشجر) جمع بشرة وهي ظاهر الجلد أى مسودة للجلود ومحرقة لها (عليها) على سقر (تسعة عشر) أى على أمرها تسعة عشر مائة كاعند الجمهور وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل تقريبا

(وما جعلنا أصحاب النار) أي خزتها (الاملائكة) لانهم خلاف جنس المعدنين فلا تأخذهم الرأفة والرقة لانهم أشد الخلق بأسا فلوا واحد منهم قوة الثقلين (وما جعلنا عدتهم) تسعة عشر (الافتنة) أي ابتلاء واختبار (للذين كفروا) حتى قال أبو جهل لما نزلت عليها تسعة عشر ما يستطيع كل عشرة منكم ان يأخذوا واحد منهم وأتم الدهم فقال أبو الأشد وكان شديد البطش أنا كفيكم سبعة عشر فاكفوني أتم اثنين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار الاملائكة أي وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا في تخصيص الخزنة بهذا العدد مع انه لا يطلب في الاعداد العلل ان ستة منهم يقودون الكفرة الى (٣٥٤) النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو

الاكبر وقيل في سقر تسعة عشر درر كل واحد ساطع على كل درك ملك وقيل ذهب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل ان جهنم تحفظ بما تحفظ به الارض من الجبال وهي تسعة عشر وان كان أصلها مائة وتسعين الا ان غير هاشب عنها (الستيقن الذين أتوا الكتاب) لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا انه منزل من الله (وزداد الذين آمنوا) بمحمد وهو عطف على لستيقن (ايما) لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائرنا أنزل أو يزدادوا يقينا لموافقة كتابهم الذين أولئك (ولا يرتاب الذين أتوا الكتاب والمؤمنون) يعني في عددهم وانما قال لا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفي الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفي الشك وذلك أبلغ وأكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من أهل الكفر والنفاق (وليقول الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والكافرون) أي مشركو مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان في علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبره الله عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا نصير الآية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين في قلوبهم مرض أهل مكة لان فيهم من هو شك وفيهم من هو قاطع بالكذب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) يعني أي شيء أراد الله بهذا المثل المجيب وانما سموه مثلا لانه على استفاء الارتياب ثم عطف على لستيقن أيضا (وليقول الذين في قلوبهم مرض) نفاق (والكافرون) استعارة المشركون فان قلت النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وهذا اخبار بما سيكون كسائر الاخبار بالغيوب وذلك ليخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان أهل مكة كان أكثرهم شاكين ومثلا يميز لهذا وحال منه كقوله هذه ناقلة الله لكم آية ولما كان ذكر العدد في غاية الغرابة وأن مثله حقيق بان تسبر به الركبان سيرها بالامثال سمي مثلا والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد المجيب وأي معنى أراد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لاعتبار بن وغرضهم انكاره أصلا وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص

الاجهني فقال أبو الأشد بن كادة بن خلف الجمحي أما كفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني أتم اثنين ويروي عنه أنه قال أنا مشى بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنسكي اليمين وتسعة بمنسكي اليسرى في النار ونمضي فندخل الجنة فانزل الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الاملائكة) يعني لا رجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعدنين وأشد منهم لان الجنسية مظنة الرأفة والرحمة (وما جعلنا عدتهم) أي عدددهم في القلة (الافتنة للذين كفروا) أي ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا وقيل فتنهم هي قولهم لم يكنوا نوا عشرين وما الحكمة في تخصيص هذا العدد وقيل فتنهم هي قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من في النار وأجيب عن قولهم لم يكنوا نوا عشرين بأن أفعال الله تعالى لا تعلق ولا يقال فيها لم ونخصيص الزبانية بهذا العدد لامتصاصه الحكمة وقيل وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر ان هذا العدد يجمع أكثر القليل وأقل الكثير ووجه ذلك أن الأحاد أقل الاعداد وأكثرها تسعة وأقل الكثير عشرة فوقع الاختصار على عدد يجمع أقل الكثير وأكثر القليل هذه الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر وأجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع أهل النار وذلك بأن الله جل جلاله يعطي هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون به على ذلك فن اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل شيء قدير وان أحوال القيامة على خلاف أحوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكية (لستيقن الذين أتوا الكتاب) يعني أن هذا العدد مكتوب في التوراة والانجيل أنهم تسعة عشر (وزداد الذين آمنوا ايما) يعني من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن العدد كان موجودا في كتابهم وأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك بالوحي السماوي فزادوا بذلك ايما وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب) أي ولا يشك (الذين أتوا الكتاب والمؤمنون) يعني في عددهم وانما قال لا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفي الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفي الشك وذلك أبلغ وأكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من أهل الكفر والنفاق (وليقول الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والكافرون) أي مشركو مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان في علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبره الله عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا نصير الآية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين في قلوبهم مرض أهل مكة لان فيهم من هو شك وفيهم من هو قاطع بالكذب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) يعني أي شيء أراد الله بهذا المثل المجيب وانما سموه مثلا لانه على استفاء الارتياب ثم عطف على لستيقن أيضا (وليقول الذين في قلوبهم مرض) نفاق (والكافرون) استعارة المشركون فان قلت النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وهذا اخبار بما سيكون كسائر الاخبار بالغيوب وذلك ليخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان أهل مكة كان أكثرهم شاكين ومثلا يميز لهذا وحال منه كقوله هذه ناقلة الله لكم آية ولما كان ذكر العدد في غاية الغرابة وأن مثله حقيق بان تسبر به الركبان سيرها بالامثال سمي مثلا والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد المجيب وأي معنى أراد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لاعتبار بن وغرضهم انكاره أصلا وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص

على استعارة المشركون فان قلت النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وهذا اخبار بما سيكون كسائر الاخبار بالغيوب وذلك ليخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان أهل مكة كان أكثرهم شاكين ومثلا يميز لهذا وحال منه كقوله هذه ناقلة الله لكم آية ولما كان ذكر العدد في غاية الغرابة وأن مثله حقيق بان تسبر به الركبان سيرها بالامثال سمي مثلا والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد المجيب وأي معنى أراد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لاعتبار بن وغرضهم انكاره أصلا وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص

( كذلك يضل الله من يشاء ) الكاف نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى أى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يعنى اضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ما قالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة فى ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال ( ويهدى من يشاء ) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل خلق الافعال ووصف الله بالهداية والاضلال ولما قال أبو جهل لعنه الله ما ركب محمد أعوان الانسعة عشر نزل ( وما يعلم جنود ربك ) لفرط كثرتها ( الا هو ) فلا يعز عليه تميم الخزنة عشر بن ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لاتعلمونها ( وماهى ) متصل بوصف ( ٣٥٥ ) سقروهى ضميرها أى وما سقرو وصفتها

( الا ذكرى للبشر ) أى

تذكرة للبشر أو ضمير

الآيات التى ذكرت فيها

( كلا ) انكار بعد ان

جعلها ذكرى ان تكون

لهم ذكرى لانهم لا

يتذكرون ( والقمر ) أقسم

به لعظم منافعه ( والليل

اذ أدبر ) نافع وحفص

وحجزة ويعقوب وخلف

وغيرهم اذ ادبر ودبر بمعنى

أدبر ومعناهاولى وذهب

وقيل أدبرولى ومضى

ودبر جاء بعد النهار

( والصبح اذا أسفر ) أضاء

وجواب القسم ( انها ) ان

سقر ( لاحدى الكبرى )

هى جمع الكبرى أى

لاحدى البلايا والدواهى

الكبرى ومعنى كونها احداهن

أنها من ينهن واحدة فى

العظم لانظيرها كما تقول

هو أحد الرجال وهى احدى

النساء ( نذيرا ) تميز من

احدى أى انها الاحد

الدواهى انذارا كقولك

هى احداى النساء عفاقا

استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابهم لهذا العدد واستبعاد له والمعنى أى غرض قصد فى جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم بذلك انكار هذا من أصله وانه ليس من عند الله فلهذا اسمه مثلا ( كذلك ) أى كما أضل من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق به كذلك ( يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ) لان الله تعالى بيده الهداية والاضلال ( وما يعلم جنود ربك الا هو ) هذا جواب لابي جهل حين قال أما محمد أعوان الانسعة عشر والمعنى ان الخزانة تسعة عشر ولهم أعوان وجنود من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا التعذيب أهل النار وقيل كان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية ( وماهى ) يعنى النار ( الا ذكرى للبشر ) أى الا تذكرة وموعظة للناس وقيل ماهى يعنى آيات القرآن ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها ( كلا ) أى لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم أنه يكفى أصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا ( والقمر والليل اذ أدبر ) أى ولى ذاهبا وقيل أدبر بمعنى أقبل تقول العرب دبرنى فلان أى جاء خلفى فالليل يأتى خلف النهار ( والصبح اذا أسفر ) أى أضاء وتبين وهذا قسم وجوابه ( انها لاحدى الكبرى ) يعنى ان سقرا لاحدى الامور العظام وقيل أراد بالكبرى دركات النار وهى سبعة جهنم واطى والحطمة والسعير وسقر والحجيم والهاوية ( نذير للبشر ) قيل يتحمل أن يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما نذر بشئ أدهى من النار وقيل يجوز أن يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى أما لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يأياها المدثر قم نذير للبشر فأنذر ( لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ) أى يتقدم فى الخير والطاعة أو يتأخر عنهم فيقع فى الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد من آمن أو كفر وقد تمسك بهذه الآية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه وأجيب عنه بان مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴿ قوله تعالى ( كل نفس بما كسبت رهينة ) أى من رهنة فى النار بكسبها وما أخذت بعملها ( الا أصحاب اليمين ) فانهم غير مرتين بذنوبهم فى النار ولكن الله يغفر لهم وقيل معناه فكوار قاب أنفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الرهن رهنة بآداء الحق الذى عليه واختلفوا فى أصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم أخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم هؤلاء فى الجنة ولا أبلى وقيل هم الذين كانوا يمين أى مباركين على أنفسهم وروى عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه انهم أطفال المسلمين وهو أشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثمًا يرتبون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة ( فى جنات ) أى هم

وأبدل من ( للبشر لمن شاء منكم ) باعادة الجار ( أن يتقدم ) الى الخير ( أو يتأخر ) عنه وعن الزجاج الى ما أمر وعما نهى ( كل نفس بما كسبت رهينة ) هى ليست بتأنيث رهين فى قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لتقبل رهين لان فعلا يعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشئمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهين والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك ( الا أصحاب اليمين ) أى اطفال المسلمين لانهم لا أعمال لهم يرتنون بها والا المسلمين فانهم فكوار قابهم بالطاعة كما تحذركم الرهن رهنة بآداء الحق ( فى جنات ) أى هم فى جنات لا يكتنن وصفها

(يتساءلون عن الجرمين) يسأل بعضهم بعضاً عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم (ماسلككم في سقر) أدخلكم فيها ولا يقال لا يطابق قوله ماسلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن الجرمين وهو سؤال عنهم وإنما يطابق ذلك لو قيل يتساءلون الجرمين ماسلككم لأن ماسلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لأن المسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين الجرمين فيقولون قلنا لهم ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين إلا أنه اختصر كما هو نهج القرآن وقيل عن زائدة (قالوا لم نك من المصلين) أي لم نعتقد فرضيتها (ولم نك نطم المسكين) (٣٥٦) كما يطعم المسلمون (وكنا نخوض مع الخائضين) الخوض الشروع في الباطل أي

في بساتين (يتساءلون عن الجرمين) أي يتساءلون الجرمين وعن صلاة فيقولون لهم (ماسلككم في سقر) قيل وهذا يقوى قول من قال إن أصحاب اليمين هم الأطفال لأنهم لم يعرفوا الذنوب التي توجب النار وقيل معناه يسأل بعضهم بعضاً عن الجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ماسلككم أي يقول المسؤولون للسائلين قلنا للمجرمين ماسلككم أي أدخلكم وقيل ما حبسكم في سقر وهذا سؤال توبيخ وتقرير (قالوا) مجيبين لهم (لم نك من المصلين) أي الله في الدنيا (ولم نك نطم المسكين) أي لم تصدق عليه (وكنا نخوض مع الخائضين) أي في الباطل (وكنا نكذب بيوم الدين) أي بيوم الجزاء على الأعمال وهو يوم القيامة (حتى أنانا اليقين) يعني الموت قال الله تعالى (فانفعهم شفاعة الشافعين) قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار إلا الأربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الآية وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل أحد دون هؤلاء الذين تسمعون روى البغوي بسنده عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان فيقول ماتر يد فيقول كذا وكذا قال فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول يا فلان فيقول ماتر يد فيقول أمانت كذا وكذا فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه (فأطهم عن التذكرة عرضين) أي عن مواعظ القرآن (كانهم حمر) جمع حمار (مستنفرة) قرئ بالسكسر أي نافرة وقرئ بالفتح أي منفرة مذعورة محمولة على النفاذ (فرت من قسورة) قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد له من لفظه وهي رواية عن ابن عباس وعنه أنها القناس وعنه قال هي حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة غلط القوم وأصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال أبو هريرة هي الأسد وذلك لأن الحجر الوحشية إذا عابت الأسد هربت فكذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه شبههم بالحجر في البلادة والبله وذلك أنه لا يرى مثل نفاذ حجر الوحش إذا خافت من شيء (بل ير يد كل امرئ) منهم أن يؤتى صحفاً منشرة قال المفسرون إن كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنك رسول الله نؤمن به باتباعك وقيل إن المشركين قالوا يا محمد بلغنا إن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح وعند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك (كلا) أي لا يؤنون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات (بل لا يخافون الآخرة) أي لا يخافون عذاب الآخرة والمعنى أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة لأنه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة ليكون من باب التعنت (كلا) أي حقاً (أنه تذكرة) يعني أنه عظة عظيمة

نقول الباطل والزور في آيات الله (وكنا نكذب بيوم الدين) (حتى أنانا اليقين) الموت (فانفعهم شفاعة الشافعين) من الملائكة والنبين والصالحين لأنها لا مؤمنين دون الكافرين وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين في الحديث إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر (فأطهم عن التذكرة) عن التذكرة وهو العظة أي القرآن (معرضين) مولين حال من الضمير نحو مالك قائماً (كانهم حمر) أي حمر الوحش حال من الضمير في معرضين (مستنفرة) شديدة النفاذ كأنها تطالب النفاذ من نفوسها وافتتح للقاء مدني وشامى أي استنفرها غيرها (فرت من قسورة) حال وقد معها مقدره والقسورة الرماة والأسد فعولة من

القسر وهو القهر والغلبة شبهوا في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت في نفاذها (بل ير يد فن كل امرئ) منهم أن يؤتى صحفاً منشرة) قرأ طيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمن فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لريك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه وقيل قالوا إن كان محمد صادقاً فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار (كلا) ردع لهم عن تلك الإرادة وزجروا عن اقتراح الآيات ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فذلك أعرضوا عن التذكرة لالامتناع إيتاء الصحف (كلا) لأنه تذكرة) ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال إن القرآن تذكرة بليغة كافية

(من شاء ذكره) أي من

شاء أن يذكره ولا ينساه

فعل فإن نفع ذلك عائد إليه

(وما يذكرن) وبالتاء

نافع ويعقوب (الا

أن يشاء الله) الوقت

مشيئة الله والإبشيئة الله

(هو أهل التقوى وأهل

المغفرة) في الحديث هو

أهل أن يتقى وأهل أن يغفر

لن اتقاه والله أعلم

﴿سورة القيامة مكية وهي

أربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لأقسم بيوم القيامة)

أي أقسم عن ابن عباس

ولاصلة كقوله أشلا يعلم

وقوله في برأ لحورسرى

وباشعره وكقوله تذكرت

ليلى فاعتزنى صبابة وكاد

ضمير القلب لا يتقطع

وعليه الجمهور وعن الفراء

لارد لانكار المشركين

البعث كأنه قيل ليس الأمر

كأن عمون ثم قيل أقسم

بيوم القيامة وقيل أصله

لا أقسم شكرأة ابن كثير

على ان اللام للابتداء

واقسم خبر مبتدأ محذوف

أي لانا أقسم ويقويه أنه

في الامام بغير الف ثم أشبع

فظهر من الأشباع ألف

وهذا اللام بصحبه نون

التأكيد في الاغلب وقد

يفارقه (ولأقسم بالنفس

اللوامة) الجمهور على أنه

قسم آخر وعن الحسن أقسم

(من شاء ذكره) أي اتعظ به فأما يعود نفع ذلك عليه (وما يذكرن) أي الأهل يشاء الله (لأقسم بيوم القيامة مكية) ﴿سورة القيامة مكية﴾ (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أي هو حقيق بان يتقيه عباده ويحافظوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو أهل أن تتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه ﴿عن أنس رضي الله عنه ان رسول صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى أنا أهل أن أتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي الهافانا أهل ان أغفر له أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده سهيل بن عبد الله القطيبي وليس بالقوى في الحديث وقد تفرده عن ثابت والله تعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة القيامة مكية﴾

وهي أربعون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (لأقسم بيوم القيامة) انفقوا على أن المعنى أقسم واختلفوا في لفظ لا فليل ادخال لفظه لا على القسم مستفيض في كلام العرب وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامري \* لا يدعى القوم أي أفر

قالوا وفائدتها كيد القسم كقولك لا والله ما ذاك كما تقول تريد والله فبجوز حذفها لكانه أبلغ في الردع اثباتها وقيل انها صلة كقول الله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وفيه ضعف لانها لا تزداد الا في وسط الكلام لا في أوله وأجيب عنه بان القرآن في حكم السورة الواحدة بعضها متصل ببعض بدل عليه أنه قديمي ذكر الشيء في سورة و يذكر جوابه في سورة أخرى كقوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمنجون وجوابه في سورة ن ما أنت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان أول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف أيضا لان القرآن في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لان تقرر سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقيل لارد لكلام المشركين المنكرين للبعث أي ليس الأمر كما زعموا ثم ابتدأ فقال أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه ان يقال ان لاهي للنفى والمعنى في ذلك كأنه قال لا أقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما لها فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شأنه وقيل معناه لا أقسم بهذه الاشياء على اثبات هذا المطلوب فان اثباته أظهر من أن يقسم عليه وروى البغوي في تفسير القيامة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامه أحدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال ما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على ان المراد به القيامة الكبرى لسياق الآيات في ذلك وقوله (ولأقسم بالنفس اللوامة) قيل هي التي تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة هي التي تندم على ما فاتت فتقول لو فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا فتقول هلا زددت وان عملت شرا فتقول يا ليتني لم أفعل وقال الحسن هي نفس المؤمن ان المؤمن ما تراه الا يلوم نفسه ما أردت بكلامي ما أردت بكلامي وان الكافر يمضي ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هي النفس الشريفة التي تلوم النفوس العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هي النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هي النفس الشقية العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هي النفس الشقية تلوم نفسها حين تعان أهوال يوم القيامة فتقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله فان قلت أي مناسبة بين يوم القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما في القسم قلت وجه المناسبة ان في يوم القيامة تظهر أحوال النفس اللوامة من الشقاوة والسعادة فلها أحسن الجمع بينهما في القسم وقيل انما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها أبد استحقق فعلها واجتهادها في طاعة الله تعالى

بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فهي صفة ذم وعلى القسم صفة مدح أي النفس المتقية التي تلوم على التقصير في التقوى وقيل هي نفس



آدم لم تزل تلوم على فعلها التي خرجت به (٣٥٨) من الجنة وجواب القسم محذوف أي لتبعثن دليله (أي بحسب الانسان) أي الكافر

وقيل انه تعالى أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فكانه قال أقسم بيوم القيامة تعظيماً لها  
ولأقسم بالنفس اللوامة تحقيراً لها لان النفس الكافرة أو الفاجرة لا يقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم  
القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله أنه أقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه اشكال  
قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشياء قسم برها في الحقيقة فكانه قال أقسم برب القيامة وقيل لله  
تعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبين يدل عليه قوله تعالى  
(أي بحسب الانسان أن لن نجتمع عظامه) وقيل جواب القسم قوله (بلى قادر بن علي أن نسوي بنانه) ومعنى  
أي بحسب الانسان أي يظن هذا الكافر أن العظام بعد تفرقها ورجوعها رماؤها ورفاتها مختلطة بالتراب وبعد  
ما نسفتها الريح فطيرتها في أبعاد الارض أن لن نجتمع عظامه أي لا يمكننا جمعها مرة أخرى وكيف خطر  
بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم أن القادر على الابداء قادر على الاعادة نزلت هذه الآية في عدي بن ربيعة  
حليف بني زهرة وهو ختن الاخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كفى جاري  
السوء يعني عدياً والخنس وذلك أن عدياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى تكون القيامة  
وكيف أمرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك  
ولم أومن بك أو يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل أي بحسب الانسان يعني هذا الكافر ان لن نجتمع  
عظامه يعني بعد التفرق والبلى فنحبيه كما كان أول مرة وقيل ذكر العظام وأراد بها نفسه جميعها لان  
العظام قالب النفوس ولا يستوى الخلق الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق قول هذا المنكر أو يجمع  
الله العظام بلى قادر بن علي على جمع عظامه وتاليقها واعدتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى  
ما هو أعظم من ذلك وهو أن نسوي بنانه يعني أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخسف البعير  
أو كحافر الحمار فلا يقدر ان يرتقى بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والحياطة وغيرهما وقيل  
معناه أظن الكافر أن لن تقدر على جمع عظامه بل تقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على  
صغرها الى أما كنها ونؤلف بينها حتى تستوي البنان فن تقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها  
أقدر وهذا القول أقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر لانه آخر ما يتم به الخلق وقوله  
تعالى (بلى يريد الانسان ليفجر أمامه) أي ايدرم على جفوره فيما يستقبله من الزمان ما عاش لا يتزع عن  
المعاصي ولا يتوب وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف أتوب سوف أعمل  
حتى يأتيه الموت وهو على سوء حاله وشر أعماله وقيل هو طول الامل يقول أعيش فأصيب من الدنيا كذا  
وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما أمامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسمى  
الكافر والفاسق فاجر المياله عن الحق (يسئل أيان يوم القيامة) أي متى يكون يوم القيامة والمعنى أن الكافر  
يسأل سؤال متعنت مستبعد لتقيام الساعة قال الله تعالى (فاذا برق البصر) أي شخص البصر عند الموت  
فلا يظرف ما يرى من المجائب التي كان يكذب بها في الدنيا وقيل تبرى بأبصار الكفار عند رؤيته جهنم وقيل  
برق اذا فزع وتغير لما يرى من المجائب وقيل برق أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلاؤ (وخسف  
القمر) أي أظلم وذهب ضوءه (وجمع الشمس والقمر) يعني أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران  
وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فهناك نار الله الكبرى (يقول  
الانسان) يعني الكافر المكذب (يومئذ) أي يوم القيامة (أين المفر) أي المهرب وهو موضع الفرار  
(كلا) أي لا ملجأ لهم مهربون اليه وهو قوله (لاوزر) أي لا حوز ولا ملجأ ولا جبل وكانوا اذا فزعوا لجؤا  
الى الجبل فتحصنوا به فليلهم لا جبل لكم يومئذ تنحسون به وأصل الوزر الجبل المنيع وكل ما التجأت  
اليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك

المنكر للبعث (أن لن  
نجمع عظامه) بعد تفرقها  
ورجوعها رفاتها مختلطة  
بالتراب (بلى) أوجبت  
ما بعد النبي أي بلى نجتمعها  
(قادر بن) حال من الضمير  
في نجتمع أي نجتمعها قادر بن  
علي جمعها واعدتها كما  
كانت (علي أن نسوي  
بنانه) أصابعه كما كانت في  
الدنيا بلانقصان وتفاوت  
مع صغرها فكيف بكبارها  
العظام (بلى يريد الانسان)  
عطف على أي بحسب فيجوز  
أن يكون مثله استفهاماً  
(ليفجر أمامه) ليذوم على  
جفوره فيما يستقبله من  
الزمان (يسئل أيان)  
متى (يوم القيامة)  
سؤال متعنت مستبعد  
لتقيام الساعة (فاذا برق  
البصر) تغير فزعوا بفتح  
الراء مدني شخص  
(وخسف القمر) أي  
ذهب ضوءه وأغاب من  
قوله نخسفناه وقرأ أبو  
حيوة بضم الخاء (وجمع  
الشمس والقمر) أي جمع  
بينهما في الطلوع من المغرب  
أو جمعاً في ذهاب الضوء  
أو يجمعان فيقذفان في  
البحر فيكونان نار الله  
الكبرى (يقول الانسان)  
الكافر (يومئذ أين  
المفر) هو مصدر أي  
الفرار من النار أو المؤمن

أيضاً من الهول وقرأ الحسن بكسر الفاء وهو يحتمل المكان والمصدر (كلا) ردع عن طلب المفر (لاوزر) لا ملجأ الناس

(المر بك) خاصة (يومئذ المستقر) مستقر العباد أو موضع قرارهم من جنة (٣٥٩) أو نار مفوض ذلك لمشيئته، من شاء أدخله الجنة

ومن شاء أدخله النار (ينبأ  
الانسان يومئذ) يخبر (بما  
قدم) من عمل عمله (وأخر)  
مالم يعمل (بل الانسان  
على نفسه بصيرة) شاهد  
والهاء للمبالغة كعلامة  
أو أنه لأنه أراد به جوارحه  
اذ جوارحه تشهد عليه أو  
هو حجة على نفسه والبصيرة  
الحجة قال الله تعالى قد جاءكم  
بصائر من ربكم وتقول  
لغيرك أنت حجة على نفسك  
و بصيرة رفع بالابتداء  
وخبره على نفسه تقدم  
عليه والجملة خبر الانسان  
كقولك زيد على رأسه  
عمامة والبصيرة على هذا  
يجوز أن يكون الملك الموكل  
عليه (ولو ألقى معاذيره)  
ولو أرنى ستوره والمعذر  
الستر وقيل ولو جاء بكل  
معدرة ما قبلت منه فعليه  
من يكذب عذره والمعاذير  
ليس يجمع معدرة لان  
جمعها معاذير بل هي اسم  
جمع لها ونحوه المناكير في  
المتكبر (لا تحرك به) بالقرآن  
(لسانك لتجمل به) وكان  
صلى الله عليه وسلم  
يأخذ في القراءة قبل فراغ  
جبريل كراهة أن ينفلت  
منه فقيل له لا تحرك لسانك  
بقراءة الوحي مادام جبريل  
يقرأ لتجمل به لتأخذه  
على محلة وثلاثا ينفلت منك

الناس الب علينا فيك لبس لنا \* الا السيوف وأطراف لقناوزر

ومعنى الآية أنه لا شيء يعصمهم من أمر الله تعالى لاحصن ولا جبل يوم القيامة يستندون اليه من النار (الى  
ر بك يومئذ المستقر) يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار  
وقيل الى ر بك مستقرهم أي موضع قرارهم من جنة أو نار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء أدخله الجنة  
رحمته ومن شاء أدخله النار بعدله (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم  
قبل موته من عمل صالح أو سيئ وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها وعن ابن عباس أيضا بما  
قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعة وقيل باول عمله وأخره  
وهو ما عمله في أول عمره وفي آخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما أخر من ماله لورثته (بل الانسان  
على نفسه بصيرة) أي بل الانسان على نفسه من نفسه رقباه و يقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه  
و بصره وجوارحه وانما دخلت الهاء في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان  
على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة  
(ولو ألقى معاذيره) يعني ولو اعتذر بكل عذر وجدل عن نفسه فإنه لا ينفعه لأنه قد شهد عليه شاهد من نفسه  
وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه ما يكذب عذره وقيل ان أهل اليمن يسمون الستر معذرا ووجه  
معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو أرنى الستور وأغلق الابواب ليخفي ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا  
في حق الكافر لأنه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا قوله عز وجل (لا تحرك به  
لسانك لتجمل به) (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتجمل به قال كان  
النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفقتيه قال ابن جبير قال ابن عباس أنا أحر كهما  
كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك كهما فأنزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتجمل به  
ان علينا جمعه وقرأناه قال جمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وأنت من ان علينا أن  
تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبي  
صلى الله عليه وسلم كافر أو في رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدى ورواه البغوي من طريق البخارى وقال  
فيه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحي كان مما يحرك لسانه وشفقتيه فيشتد عليه وكان  
يعرف منه فانزل الله عز وجل الآية التي في لاقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتجمل به ان علينا جمعه  
وقرآنه قال ان علينا أن نجتمع في صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا أنزلناه فاستمع ثم ان علينا  
ببانه علينا أن نبينه بلسانك قال فكان اذا أتاه جبريل بل أطلق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى وفي رواية  
كان يحرك شفقتيه اذا نزل عليه بحيثى أن ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك لتجمل به ان علينا جمعه  
وقرآنه أي نجتمع في صدرك وقرأناه أي تقرأه ومعنى الآية لا تحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضرار  
وان لم يجزه ذلك لردالة الحالة عليه لتجمل به أي باخذه (ان علينا جمعه) أي جمعه في صدرك وحفظك اياه  
(وقرآنه) أي وقراءته علينا والمعنى سنقرئك يا محمد بحيث تصير لانساه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي  
لا تكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحى اليك فاذا فرغ جبريل من  
القراءة أخذت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لأنه بامره نزل بالوحي ونظيره من يطع الرسول فقد أطاع الله  
وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقرآن الاول أولى لان هذا ليس موضع الامر باتباع حلاله وحرامه  
وانما هو موضع الامر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا  
نزل عليه جبريل بالوحي أصفى اليه فاذا فرغ من قراءته وعاه النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه (ثم ان علينا

ثم علل النهي عن الجملة بقوله (ان علينا جمعه) في صدرك (وقرآنه) وثبت قراءته في لسانك والقرآن القراءة ونحوه ولا تجمل بالقرآن من  
قبل أن يقضى اليك وحيه (فاذا قرأناه) أي قرأه عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته (فاتبع قرآنه) أي قراءته عليك (ثم ان علينا

بيانه) أي أن نبينه باسانك فتقرأه كما قرأك جبريل وقيل إذا أشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أشكل عليه شيء سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقبل له نحن نبينه لك ﴿قوله تعالى (كلا) أي حقا (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة (وجوه يومئذ) أي يوم القيامة (ناصرة) من النصارة وهي الحسن وقال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضينة وقيل بيض يعاها نور وبها وقيل مشرقه بالنعيم (المر بها ناظرة) قال ابن عباس وأكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق أن تنظر هي تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروى عن مجاهد وأبي صالح أنهما فسر النظر في هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنظر من ربها قال الأزهرى ومن قال ان معنى قوله المر بها ناظرة بمعنى منتظرة فقد أخطأ لأن العرب لا تقول نظرت الى شيء بمعنى انتظرته إنما تقول نظرت فلانا أي انتظرته ومنه قول الحطيئة

وقد نظرتكم اعشاء صادرة \* للورد طال بها حورى وتنسأسى

فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الالباعين واذا قلت نظرت في الامر احتمل أن يكون تفكر فيه وتدبر بالقاب وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا أن النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع إلى كقوله انظر وناقبتس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تأويله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدى إلى لم يحتمل غير الرؤية وأما قوله انظر الى الله ثم اليك على معنى أوقع فضل الله ثم فضلك فيكون النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب إنما يجوز هذا اذا لم يستند الى الوجه فاذا أسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار واذا بطل المعنيان لم يبق لبقاء الرؤية كلام وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسند كرهان شاء الله تعالى

فصل في اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة ﴿ قال علماء أهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجوعا على وقوعها في الآخرة وان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من أهل البدع كالمتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقدرها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكاملين من أهل السنة وكذلك باقى شبههم وأجوبتها مشهورة مستقاضة في كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها تم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك وأما الاحاديث الواردة في اثبات الرؤية ففيها ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقال وقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما ولم يرفعه (ق) عن جبرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمدهم بك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله لا تضامون روى بفتح التاء وتشديد الميم وقد انضم التاء مع التشديد أيضا ومعناه لا ينضم بعضهم الى بعض ولا تزدهون

بيانه) اذا أشكل عليك شيء من معانيه (كلا) ردع عن انكار البعث أو ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجحالة وانكار لها عليه وأكده بقوله (بل تحبون العاجلة) كأنه قيل بل أتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تهيمون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها (وتذرون الآخرة) الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها والقراءة فيها بالناء مدنى وكوفى (وجوه) هي وجوه المؤمنين (يومئذ ناصرة) حسنة ناعمة (الى ربها ناظرة) بلا كيفية ولا جهة ولا تبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لا مرر بها أو لتوابه لا يصح لانه يقال نظرت فيه أي تفكرت ونظرته انتظرته ولا يعدى إلى الابعنى الرؤية مع انه لا يلبق الانتظار في دار القرار



(ولكن كذب) بالقرآن (وتولى) عن الايمان أو فلا صدق ماله يعني فلازكاه (ثم ذهب الى أهله بتمطى) يتبختر وأصله بتمطط أى يتمدد لان التبختر بتمطط أى يتبعه  
 الطاء ياء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة (أولى لك) بمعنى ويل لك وهو دعاء

(٣٦٢)

لأن التبختر بتمطط أى يتبعه

ولم يصل لله تعالى (ولكن كذب وتولى) أى أعرض عن الايمان والتصديق (ثم ذهب الى أهله بتمطى) أى يتبختر ويختال في مشيته وقيل أصله بتمطط أى يتمدد من المطوقيل من المطا وهو الظاهر لانه يابوه (أولى لك فأولى) هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لآبى جهل وهى كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهو دعاء عليه بان يابه ما يكرهه وقيل معناه أنك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكرهه يستوجهه قال قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبى جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى (ثم أولى لك فأولى) قال فقال أبوجهل أتتوعدنى يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلانى شيئاً واني لا عز من مشى بين جبالها فاما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله أشد قتلة وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل أمة فرعوننا وان فرعون هذه الامة أبوجهل (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أى عملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الآخرة (ألم يك نطقه) أى ماء قليلاً (من منى بمعنى) أى يصب في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شيء فسر مستقذراً أن يتكبر ويتمرد عن الطاعة (ثم كان علقه) أى صار الانسان علقه بعد النطفة (خلق فسوى) أى فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكل أعضائه (فجعل منه) أى من الانسان (الزوجين) أى الصنفين ثم فسرهما فقال (الذكر والانثى) أى خلق من مائة اولاد اذ كوروا انا (أليس ذلك) أى الذى فعل هذا وأنشأ الاشياء أول مرة (بقادر على أن يحيى الموتى) أى بقادر على اعادته بعد الموت عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتسين والزيتون فاتهى الى آخرها ليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ الأقسام بيوم القيامة فاتهى الى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله أخرجه أبو داود \* وله عن موسى بن أبى عائشة قال كان رجل يصلى فوق بيته فكان اذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

عليه بان يليه ما يكره (فأولى ثم أولى لك فأولى) كرر للتأكيد كأنه قال ويل لك فويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك وقيل ويل لك يوم الموت وويل لك في القبر وويل لك حين البعث وويل لك في النار (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أيحسب الكافر أن يترك مهمه الا لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى (ألم يك نطفة من منى بمعنى) بالياء ابن عامر وحفص أى يراق المنى في الرحم و بالتاء يعود الى النطفة (ثم كان علقه) أى صار المنى قطعة دم جامد بعد أربعين يوماً (خلق فسوى) خلق الله منه بشراً سوياً (فجعل منه) من الانسان (الزوجين) الذكر والانثى (أى من المنى الصنفين) (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) أليس الفعال لهذه الاشياء بقادر على الاعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرأها يقول سبحانك بلى والله أعلم (سورة الانسان مكية وهى احدى وثلاثون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (هل أتى) قدمضى (على

\* تفسير سورة هل أتى ونسعى سورة الانسان أيضاً \*

وهى مدنية كذا قال مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكي ومدني فالمكي منها قوله ولا تطع منهم أئماً وكفوراً وبقاها مدني قاله الحسن وعكرمة وقيل ان المدني من أولها الى قوله تعالى اننا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ومن هذه الآية الى آخرها مكي حمكاه الماوردي وهى احدى وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفاً

\* بسم الله الرحمن الرحيم \*

قوله عز وجل (هل أتى) أى قد أتى (على الانسان) يعنى آدم عليه الصلاة والسلام (حين من الدهر) يعنى مدة أربعين سنة وهو من طين ملقى (م) عن أنس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم في الجنة تركه ماشاء الله أن يتركه فجعل ابليس يطيف به وينظر اليه فإساراه أجوف عرف انه خلق لا يتألم قوله بطيف به أى يدور حوله فإساراه أجوف أى صاحب جوف وقيل هو الذى داخله خال وقوله عرف انه خلق لا يتألم أى لا يملك نفسه ويحسبها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب وروى في تفسير الآية ان آدم بقى أربعين سنة طيناً وأربعين سنة حمأ مسنوناً وأربعين سنة صلصالاً كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة (لم يكن شيئاً مذكوراً) أى لا يذكروا

الانسان) آدم عليه السلام (حين من الدهر) أربعون سنة مصوراً قبل نفخ الروح فيه (لم يكن شيئاً مذكوراً) لم يكن شيئاً مذكوراً يذكر اسمه ولم يدر ما يراد به لانه كان طيناً يمر به الزمان ولو كان غير موجود لم يوصف بأنه قد أتى عليه حين من الدهر ومحل لم يكن شيئاً مذكوراً ينصب على الحال من الانسان أى أتى عليه حين من الدهر غير مذكور

(انا خلقنا الانسان) أي ولد آدم وقيل الاول ولد آدم أيضا وحين من الدهر على هدامدة لبث في بطن أمه الى أن صار شيئا مذكورا بين الناس  
(من نطفة أمشاج) بعث أو بدل منها أي من نطفة قدامتج فيها الماء (٣٦٣) ومشجت ومنجت بمعنى ونطفة أمشاج كبرمة

يعرف ولا يدري ما اسمه ولا يراد به وذلك قبل أن ينفخ فيه الروح كان شيئا ولم يكن شيئا مذكورا عن عمر  
انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها بنت يعني ليتها بقى على ما كان عليه ويروى  
نحوه عن أبي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهم بنو آدم بدليل قوله (انا خلقنا  
لانسان) فالانسان في الموضوعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر نطفة من الدهر غير  
مقدرة لم يكن شيئا مذكورا يعني انهم كانوا نطفة في الاصل ثم علقوا ومضغوا في الارحام لم يذكروا بشيء انا خلقنا  
لانسان يعني ولد آدم (من نطفة) أي من منى الرجل ومنى المرأة (أمشاج) أي اخلاط قال ابن عباس وغيره  
يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر  
رقيق فإيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر  
فمن ماء المرأة وقيل الامشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين  
اختلطا فهو أمشاج وقال ابن مسعود هي العروق التي تكون في النطفة وقيل هي نطفة مشجت أي خلطت  
بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت المرأة ارتفع دم الحيض وقيل الامشاج أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة  
ثم عظاما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر وقيل ان الله تعالى جعل في النطفة أخلاطا من الطبائع التي تكون  
في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات أمشاج  
(بنتليه) أي لتتخبره بالامر والنهي (جعلناه سميعا بصيرا) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره جعلناه سميعا  
بصير البنتليه لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل معناه انا خلقنا الانسان من هذذ الامشاج للابتلاء  
والامتحنان ثم ذكر أنه أعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايةتان عن الفهم والتمييز  
وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعرفتان وانما خصهما بالذكر لانهما أعظم الحواس وأشرفها (انا  
هديناه السبيل) أي بيناه سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه  
أرشدناه الى الهدى لانه لا يطلق اسم السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل وبعثة الرسل  
وانزال الكتب (اماشا كرا واما كفورا) يعني اماما موحدانا تعالى الله وامام مشركا بالله في علم الله وذلك ان الله  
تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل في معنى الآية اماما مؤمنا  
سعيدا واما كافر اشقيا وقيل معناه الجزاء أي بيناه الطريق ان شكر أو كفر وقيل المراد من الشاكر الذي  
يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذي لا يقر بوجوب  
الشكر عليه ثم بين ما للفريقين فوعده الشاكر وأعد الكافر فقال تعالى (انا أعتدنا) أي هيأنا في جهنم  
(للكافرين سلاسل) أي يشدون بها (وأغلالا) أي في أيديهم تغل بها الى أعناقهم (وسعيرا) يعني وقودا  
لا توصف شدته وهذا من أعظم أنواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما أعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى  
(ان الابرار) يعني المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر وأصله التوسع فعني البر  
التوسع في الطاعة (يشربون من كأس) يعني فيها شراب (كان مزاجها كفورا) قيل يمزج لهم شرابهم  
بالكافور ويحتم بالمسك فان قلت ان الكافور غير لذيذ وشر به مضر فواجه مزج شرابهم به قلت قال أهل  
المعاني أراد الكافور في بياضه وطيبه ويحمره لانه الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين في  
الجنة والمعنى ان ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون في ذلك ضرر لان  
أهل الجنة لا يمسهم ضرر فيم يأكلون ويشربون وقيل هو كافور لانه يذو طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس

أعشار فهو مفرد غير جمع  
ولذا وقع صفة للمفرد  
(بنتليه) حال أي خلقناه  
مبتلين أي مردين ابتلاءه  
بالامر والنهي له (جعلناه  
سميعا بصيرا) ذا سمع  
وبصر (انا هديناه السبيل)  
بيناه طريق الهدى بآية  
العقل والسمع (اما  
شاكرا) مؤمنا (واما  
كفورا) كافر ارحل من  
الهاء في هديناه أي ان  
شكرا وكفر فقد هديناه  
السبيل في الخالين أو من  
السبيل أي عرفناه السبيل  
اماسيلا شاكرا واما سيلا  
كفورا ووصف السبيل  
بالشكر والكفر مجاز ولما  
ذكر الفريقين أتبعهما ما  
أعد لهما فقال (انا أعتدنا  
للكافرين سلاسل) جمع  
سلسلة بغير تنوين حفيص  
ومكي وأبو عمرو وحزرة به  
ليناسب أغلالا وسعيرا إذ  
يجوز صرف غير المنصرف  
للتناسب وغيرهم (وأغلالا)  
جمع غل (وسعيرا) نارا  
موقدة وقال (ان الابرار)  
جمع بر أو بار كبر وأرباب  
وشاهد وأشهاد وهم  
الصادقون في الإيمان أو  
الذين لا يؤذون النور ولا  
يضرون الشر (يشربون  
من كأس) ماء كافور وهو اسم  
عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورأثته و برده

(عيننا) بدل منه (يشرب بها عباد الله) (٣٣٤) أي منها والباء زائدة أو هو محمول على المعنى أي يلبث بها أو يروى بها وإنما قال أولاً

بحرف من وثانيا بحرف الباء لان الكاس مبتدأ شربهم وأول غاية وأما العين فيها يمزجون شربهم فكانه قيل يشرب عباد الله بها الخ (يفجرونها) يجرونها حيث شاءوا من منازلهم (تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم (يوفون بالنذر) بما أوجبوا على أنفسهم وهو جواب من عسى أن يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى (ويخافون يوما كان شره) شدائده (مستطيرا) منتشرا من استطار الفجر (ويطعمون الطعام على حبه) أي حب الطعام مع الاشتناء والحاجة اليه أو على حب الله (مسكينا) فقيرا عاجزا عن الاكتساب (ويتيم) صغير الأهل (وأسيرا) مأسورا مملوكا أو غيره ثم عللوا اطعامهم فقالوا (انما نطعمكم لوجه الله) أي لطلب ثوابه وهو بيان من الله عز وجل عما في ضمائرهم لان الله تعالى علمه منهم فأنى عليهم وان لم يقموا شيئا (لانريد منكم جزاء) هدية على ذلك (ولا شكورا) ثناء وهو مصدر كالشكر

ككافور الدنيا ولكن الله سمي ما عنده بما عندكم بزج شربهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل (عيننا) بدلا من الكافور وقيل أعنى عيننا (يشرب بها) أي يشرب منها (عباد الله) قال ابن عباس أولياء الله (يفجرونها تفجيرا) أي يقودونها الى حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم ﴿ قوله تعالى (يوفون بالنذر) لما وصف الله تعالى ثواب الابرار في الآخرة وصف أعمالهم في الدنيا التي يستوجبون بها هذا الثواب والمعنى كانوا في الدنيا يوفون بالنذر والنذر الإيجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه جميع الطاعات من الإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر في عرف الشرع واللغة أن يوجب الرجل على نفسه شيئا ليس يوجب عليه وذلك بان يقول لله على كذا وكذا من صدقة أو صلاة أو صوم أو حج أو عمرة يعاقب ذلك بما يرتسمه من الله وذلك بان يقول ان شئني الله مريضى أو قدم غائبي كان لله على كذا ولو نذر في معصية لا يجب الوفاء به (خ) عن عائشة رضی الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر أن يطيع الله فليف بنذره ومن نذر أن يعصى الله فلا يف به وفي رواية فليطعه ولا يعصه وعن ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين أخرجه الترمذى وأبو داود والنسائى (ق) عن ابن عباس قال استفتى سعد بن عباد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على أمه فتوفيت قبل أن تقضيه فأمره أن يقضيه عنها أخرجه الجماعة وفي الآية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة في وصفهم بإداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه على نفسه كان لما أوجبه الله عليه أوفى (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) أي منتشرا فاشيا متدا وقيل استطار خوفه في أهل السموات وأهل الارض وفي أولياء الله وأعدائه وقيل فشاشره في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة وكورت الشمس والقمر وفي الارض فشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شئ على الارض من جبل وبناء والمعنى انهم يوفون بالنذر وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهو له وشده ﴿ قوله عز وجل (ويطعمون الطعام على حبه) أي حب الطعام وقائه وشهوتهم له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى بانهم يؤثرون غيرهم على أنفسهم بالطعام ويواسون به أهل الحاجة وذلك لان أشرف أنواع الاحسان والبر اطعام الطعام لان به قوام الابدان وقيل على حب الله عز وجل أي لحب الله (مسكينا) يعني فقيرا وهو الذى لا مال له ولا يقدر على الكسب (ويتيم) أي صغيرا وهو الذى لأب له يكتسب له وينفق عليه (وأسيرا) قيل هو المسجون من أهل القبلة يعنى من المسلمين وقيل الاسير هو من أهل الشرك أمر الله بالاسرى أن يحسن اليهم وان أسراهم يومئذ أهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز اطعام الاسرى وان كانوا على غير ديننا وان يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطوا من الصدقة الواجبة كالأزكاة والكفارة وقيل الاسير المملوك وقيل الاسير المرأة لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانهم عندكم عوان يعنى اسرى وقيل غريمك أسيرك فاحسن الى أسيرك واختلفوا في سبب نزول الآية فقيل نزلت في رجل من الانصار يقال له أبو الدحداح صام يوما فلما كان وقت الافطار جاءه مسكين ویتيم وأسير فاطعمهم ثلاثة أرغفة وبقى له لاهله رغيف واحد فنزلت هذه الآية فيه وروى عن ابن عباس انها نزلت في علي بن أبى طالب رضی الله تعالى عنه وذلك أنه عمل له ودى بشئ من شعر فقبض ذلك الشعر فطحن منه ثلثه وأصلحو آمنه شيئا ياكلونه فلما فرغ اثنى مسكين فسأل فاعطوه ذلك ثم عمل الثالث فلما فرغ أتى یتيم فسأل فاعطوه ذلك ثم عمل الثالث الباقى فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فاعطوه ذلك وطوا ويومهم، وليتهم فنزلت هذه الآية وقيل الآية عامة في كل من أطمع المسكين والیتيم والاسير لله تعالى وآثر على نفسه (انما نطعمكم لوجه الله) أي لاجل وجه الله تعالى (لانريد منكم جزاء ولا شكورا) قيل انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فأنى به

(اننا تخاف من ربنا) أي اننا لا نريد منكم الكفاة لخوف عقاب الله على طلب الكفاة بالصدقة أو اننا نخاف من ربنا فتصدق لوجهه حتى نأمن من ذلك الخوف (يوم عابوسا قطريرا) وصف اليوم بصفة أهله من الاشقياء نحو نهارك صائم والقمطر ير الشد يد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) صانهم من شدائده (ولقاهم) أعطاهم بدل عبوس الفجار (نضرة) حسنا في الوجوه (وسرورا) فرحاني القلوب (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على الايثار نزلت في علي وفاطمة وفضة جارية لهما الممرض الحسن والحسين رضي الله عنهما نذروا صوم ثلاثة أيام فاستقرض على رضي الله عنه من يهودى ثلاثة أصوع من الشعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها كل يوم صاعا وخبزت فآثر وبذلك ثلاث عشايا على أنفسهم مسكينا وبتيا وأسير اولم يدوقوا الا الماء في وقت الافطار (جنة) استانا فيهما كل هنيء (وسريرا) ملبسا بهيا (متكئين) حال من هم في جزاهم (فيها) في الجنة (٣٦٥) (على الارائك) الاسرة جمع الاريكة (لا

يرون) حال من الضمير  
الرفوع في متكئين غير  
رائين (فيها) في الجنة  
(شمسا ولا زمهرا) لانه  
لا شمس فيها ولا زمهر يرا  
فظلها دائم وهو اؤها معتدل  
لا حر شمس يحمي ولا شدة  
برد يؤذي وفي الحديث  
هواء الجنة سحسج لاح  
ولا قمر فالزمهر ير البرد  
الشديد وقيل القمر أي  
الجنة مضيئة لا يحتاج فيها  
الى شمس وقر (ودانية  
عليهم ظلها) قرية منهم  
ظلال اشجارها عطف على  
جنة أي وجنة أخرى دانية  
عليهم ظلها كانوا وعدوا  
بجنتين لانهم وصفوا  
بالخوف بقوله اننا نخاف من  
ربنا ولئن خاف مقام رب  
جنتان (وذلت) سخرت  
للقائم والقاعد والمتكئ  
وهو حال من دانية أي  
تدنا وظلالها عليهم في حال

عليهم وقيل قالوا ذلك منع المحتاجين من الكفاة وقيل قالوا ذلك ليقنديهم غيرهم في ذلك وذلك ان  
الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله تعالى لا يراد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب الكفاة  
او لطلب الحمد من الناس أو لهما وهذا ان القسمان مرددان لا يقبلهما الله تعالى لان فيهما شر كاورياء فنقوا  
ذلك عنهم بقولهم انما اطعمكم لوجه الله لانز يد منكم جزاء ولا تشكورا (اننا تخاف من ربنا يوما) يعني ان  
احساننا اليكم لا تخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافآتكم (عبوسا) وصف ذلك اليوم بالعبوس مجازا كما  
يقال نهاره صائم والمراد أهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هولته وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من  
الشدة (قطريرا) يعني شديدا كرمها يقبض الوجوه والجباه بالتعيس وقيل العبوس الذي لا انبساط فيه  
والقمطر ير الشديد وقيل هو أشد ما يكون من الايام وأطولها في البلاء (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أي الذي  
يخافونه (ولقاهم نضرة) أي حسنا في وجوههم (وسرورا) أي في قلوبهم (وجزاهم بما صبروا) أي على  
طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذر والايثار (جنة وسريرا) أي أدخلهم  
الجنة وألبسهم الحرير (متكئين فيها) أي في الجنة (على الارائك) جمع أريكة وهي السرير في الجبال ولا  
تسمى أريكة الا اذا اجتمعوا (لا يرون فيها شمسا ولا زمهرا) يعني لا يؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهر ير  
كما كان يؤذيهم في الدنيا والزمهر ير أشد البرد وحكي الزمخشري قولان الزمهر ير هو القمر وعن ثعلب  
انه في لغة طيبي وأنشد

وليلة ظلامها قد اعتكر \* قطعها والزمهر ير مازهر

والمعنى ان الجنة ضياء لا يحتاج فيها الى شمس وقر (ودانية عليهم ظلها) أي قرية منهم ظلال اشجارها  
(وذلت) أي سخرت وقر بت (قطوفها) أي ثمارها (تذليل) أي بأكلون من ثمارها قياما وقعودا  
ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤوا على أي حال أرادوا (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) قيل  
هي الكيزان التي لا عرا لها كالقدح ونحوه (كانت قوارير قوارير من فضة) قال أهل التفسير أرادوا بياض  
الفضة في صفاء القوارير وهو الزجاج والمعنى ان آنية أهل الجنة من فضة بيضاء في صفاء الزجاج والمعنى يرى  
مافي باطنها من ظاهرها قال السكبي ان الله تبارك وتعالى جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم وان أرض  
الجنة من فضة فجعل منها قوارير يرشرون فيها وقيل ان القوارير التي في الدنيا من الرمل والقوارير التي في  
الجنة من الفضة ولكنها أصفى من الزجاج (قدر وهاتقديرا) أي قدر والكؤوس على قدر رهم وكفايتهم لا

تذليل قطوفها عليهم أو معطوفة عليها أي ودانية عليهم ظلها ومذلة (قطوفها) ثمارها جمع قطف (تذليل) أي  
يدبر عليهم خدمهم كؤوس الشراب والآنية جمع اناه وهو وعاء الماء (وأكواب) أي من فضة جمع كؤوب وهو ابريق لاعرولة (كانت  
قوارير) كان تامة أي كونت فكانت قوارير بتكوين الله نصب على الحال (قوارير من فضة) أي مخلوقة من فضة فهي جامعة لبياض  
الفضة وحسنها وصفاء القوارير ير وشيفها حيث يرى ما فيها من الشراب من خارجها قال ابن عباس رضي الله عنهما قوارير كل أرض من  
تربتها وأرض الجنة فضة قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بالتنوين فيها وحزرة وابن عامر وأبو عمرو وحفص بعين تنوين فيها  
وابن كثير بتنوين الاول والتنوين في الاول لتناسب الآي المتقدمة والمتأخرة وفي الثاني لاتباعه الاول والوقف على الاول قد قيل ولا يوثق به  
لان الثاني بدل من الاول (قدر وهاتقديرا) صفة لقوارير من فضة أي أهل الجنة قدر وهاتقديرا على أشكال مخصوصة فجاءت كما قدر وهاتقديرة



لهم أو السقاة جعلوها على قدرى شار بها فهمي أذ لهم وأحف عليهم وعن مجاهد لانقيض ولا تغيض (ويسقون) أي الأبرار (فيها) في الجنة (كأسا) خرا (كان من أجهازنجيلا عينا) بدل من زنجيلا (فيها) في الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلا) سميت العين زنجيلا لطم الزنجييل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه وسلسبيلا لسلاسة أخذ أرها في الخلق وسهولة مساغها قال أبو عبيدة ماء سلسبيلا أي عذب طيب (ويطوف عليهم ولدان) غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خداما لأهل الجنة (مخلدون) لا يموتون (إذا) رأيتم حسبتم) لحسنهم وصفاء ألوانهم (٣٣٦) وانبتهم في مجالسهم (لؤلؤا منثورا) وتخصيص المنثور لأنه أزين في النظر من المنظوم

(وإذا رأيتهم) ظرف  
أي في الجنة وليس لرأيت  
مفعول ظاهر ولا مقدر  
ليشيع في كل مرئي تقديره  
وإذا اكتسبت الرؤية في  
الجنة (رأيت نعيما) كثيرا  
(وملكا كبيرا) واسعاً  
يروي أن أدنى أهل الجنة  
منزلة ينظر في ملكه مسيرة  
ألف عام يرى أقصاه كما يرى  
أدناه وقيل ملك لا يعقبه  
هلك أو لهم فيها ما يشاؤون  
أو تسلم عليهم الملائكة  
ويستأذنون في الدخول  
عليهم (عليهم) بالنصب  
على أنه حال من الضمير في  
أه يطوف عليهم أي  
يطوف عليهم ولدان عالياً  
للمعطف عليهم ثياب  
وبالسكون مدني وحجرة  
على أنه مبتدأ خبره (ثياب  
سندس) أي ما يعلوهم من  
ملابسهم ثياب سندس  
رقيق الديباج (خضر)  
جمع أخضر (واستبرق)  
غليظ بر فعهما حملا على

نز بد ولا تنقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم بقدر ونها لهم ثم يسقونهم (ويسقون فيها) أي في الجنة (كأسا كان من أجهازنجيلا) قيل ان الزنجييل هو اسم للعين التي يشرب منها الأبرار يوجد منها طعم الزنجييل يشرب بها المقر بون صرفاً ويمزج لسائر أهل الجنة وقيل هو النبات المعروف والعرب كانوا يجعلون الزنجييل في شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الاعشى  
كان القر نفل والزنجييل \* ل باتا بفيها وأريامشورا  
الارى العسل والمشور المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب بن علس  
فكان طعم الزنجييل به \* اذذقتة وسلافة الخمر

فلما كان الزنجييل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب أهل الجنة بذلك وقيل ان شراب أهل الجنة على رد الكافور وطعم الزنجييل وريح المسك قال ابن عباس كل ما ذكر الله تعالى في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا وذلك لان زنجييل الجنة لا يشبه زنجييل الدنيا (عينا فيها تسمى سلسبيلا) أي سلسلة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤوا وقيل جديدة الجزية وقيل سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى سائر الجنان وقيل سميت بذلك لانها في غاية السلاسة تسلسل في الخلق ومعنى تسمى أي توصف لان أكثر العلماء على ان سلسبيلا صفة لا اسم (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أي في الخدمة وقيل مخلدون مسرورون ومقرطون (إذا رأيتهم حسبتم لؤلؤا منثورا) يعني في بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفائه واللؤلؤ إذا انتثر على البساط كان أصفى منه منظوماً وقيل انما شبهوا بالمشور لانهم في الخدمة ﴿ قوله عز وجل (وإذا رأيت) قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل واحد من يدخل الجنة والمعنى إذا رأيت ببصرك ونظرت به (ثم) يعني الى الجنة (رأيت نعيما) أي لا بوصف عظمه (وملكا كبيرا) قيل هو أن أدناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه وهو استئذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا لا زال له ولا انتقال (عليهم) أي فوقهم (ثياب سندس خضر) وهو مارق من الديباج (واستبرق) وهو ما غلظ منه وكلاهما داخل في اسم الحرير (وحلوا أساور من فضة وستقاهم ربههم شرابا طهورا) يعني طاهر من الأقدار والادرا ان لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا في أبدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم من بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما كانوا رشحا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الأذفر وتضمر بطونهم وتعود شهواتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد (ان هذا كان لكم جزاء) أي يقال لأهل الجنة بعد

الثياب نافع وحفص و بجر مما حازه وعلى حملا على سندس و برقع الأول و بجر الثاني أو عكسه غيرهم (وحلوا) عطف على ويطوف (أساور من فضة) وفي سورة الملائكة يحملون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا قال ابن المسيب لأحمد من أهل الجنة الأدر في يده ثلاثة أسورة واحدة من فضة وأخرى من ذهب وأخرى من لؤلؤ (وستقاهم ربههم) أضيف اليه تعالى للشراف والتخصيص وقيل ان الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم و يقولون لقد طال أخذنا من الوسائط فاذا هم بكاسات تلاقى أفواههم بغيرا كف من غيب الى عبد (شرابا طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا لان كونه رجسا بالشرع لا بالقل ولا تكليف ثم أولانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة ويدوسه الاقدام الدنسة يقال لأهل الجنة (ان هذا) النعيم (كان لكم جزاء) لأعمالكم

(وكان سعيكم مشكورا) محمودا مقبولا مر ضيا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والاسير لا تر يد منكم جزء ولا شكورا (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أنكر ير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد بمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر في نفس النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيلا مفرقا بالحكمة وصوابا ومن الحكمة الامر بالمصابرة (فاصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الاذية وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة (ولا تطع منهم) من الكفرة (٣٦٧) للضجر من تأخير الظفر (آثما) رآك ابنا

هو أم داعيا لك اليه (أو كفورا) فاعلاما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما أن يدعو على مساعدتهم على فعل ما هو أم أو كفر أو غير أم ولا كفر فهي أن يساعدهم على الاولين دون الثالث وقيل الآثم عتبه لانه كان ركا بالماثم والفسوق والكفور الوليد لانه كان غاليا في الكفر والجور والظاهر ان المراد كل آثم وكافر أي لا تطع أحدهما واذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه فقد ومنه قول لو كان بالوالجواز أن يطيع أحدهما لان الواو للجمع فيكون منيا عن طاعتهم مالا عن طاعة أحدهما واذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه كان عن طاعتهم ما جيعا أنهى وقيل أو بمعنى ولا أي ولا تطع آثما ولا كفورا (واذ كر اسم ربك) صل له (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) صلاة الظهر والعصر (ومن

دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزءا فداء الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل هو اخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين انه قد أعد لهم في الآخرة (وكان سعيكم مشكورا) أي شكرتكم عليه وآتيتكم أفضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاه منهم بالقليل من الطاعة واعطاؤه اياهم الكثير من الخيرات قوله عز وجل (انا نحن نزلنا عليك) أي يا محمد (القرآن تنزيلا) قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم تنزله جملة واحدة والمعنى أنزلنا عليك القرآن متفرقا بالحكمة بالغفة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين والمقصود من ذلك تهيئة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذي أنزله اليه وحى منه ليس بكهانة ولا سحر لازل ذلك الوحشة التي حصلت له من قول الكفار انه سحر أو كهانة (فاصبر لحكم ربك) أي اعباد انه فهمي من الحكمة المحضة وقيل معناه فاصبر لحكم ربك في تأخير الاذن في القتال وقيل هو عام في جميع التكليف أي فاصبر لحكم ربك في كل ما حكم الله به سواء كان تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات أو عاما متعلقا بالغير كالتبليغ وأداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك (ولا تطع منهم آثما وكفورا) يعني وكفور اقبل أراد به أبا جهل وذلك أنه لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه أبو جهل عنها وقال لئن رأيت محمد ابصلي لاطأن عنقه وقيل أراد بالآثم عتبه بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك أنهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر وقال عتبه أنا تزوجك ابنتي وأسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد أنا أعطيتك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فانزل الله تعالى هذه الآية فان قلت هل من فرق بين الآثم والكفور قلت نعم الآثم هو المقدم على المعاصي أي معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفورا آثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وبمحمد نعمه عليه (واذ كر اسم ربك بكرة وأصيلا) قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) يعني صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا تكون الآية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس (وسبحه ليلا طويلا) يعني صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الآية هو الذكر باللسان والمقصود ان يكون ذا كر الله تعالى في جميع الاوقات في الليل والنهار بقلبه وبلسانه قوله عز وجل (ان هؤلاء) يعني كفار مكة (يحبون العاجلة) يعني الدار العاجلة وهي الدنيا (ويذررون وراءهم) يعني أماتهم (يوما ثقيلًا) يعني شديدا وهو يوم القيامة والمعنى انهم يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له (نحن خلقناهم وشددنا) أي قويناهم وأحكامنا (أسرهم) أي خلقهم وقيل أوصلهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغائط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضا (واذا اشتنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي اذا اشتنا أهل كنعانهم وأتينا بابشاهم فجعلناهم بدلا منهم (ان هذه) أي السورة (تذكرة) أي تذكرة وعظة (فن شاء اتخذ) أي لنفسه في الدنيا (الى ربه سبيلا) أي وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذه مما يتمسك بها القدر به يقولون اتخذوا السبيل هو عبارة

الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل صلاة العشاء بين (وسبحه ليلا طويلا) أي تهجد له عز يعطو يلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة (ويذررون وراءهم) قدامهم أو خلف ظهورهم (يوما ثقيلًا) شديدا لا يعيؤون به وهو يوم القيامة لان شدائده تنقل على الكفار (نحن خلقناهم وشددنا) أحكامنا (أسرهم) أي خلقهم عن ابن عباس رضي الله عنهما والفراء (واذا اشتنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي اذا اشتنا اهلا كهم أهل كنعانهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة عن يطبع (ان هذه) السورة (تذكرة) عظة (فن شاء اتخذ) الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالطاعة له واتباع رسوله

(وماتشؤون) اتخذ السبيل الى الله وبالياءمكي وشامى وأبو عمرو ومحل (الآن يشاء الله) النصب على الظرف أى الاوقت مشبهة الله وانما يشاء الله ذلك من علم منه اختياره ذلك وقيل هو اعموم المشيئة فى الطاعة والعيصان والكفر والايمان فيكون حجة لنا على المعتزلة (ان الله كان عليما) بما يكون منهم من الاحوال (حكيمًا) مصيبا فى الاقوال والافعال (يدخل من يشاء) وهم المؤمنون (فى رحمة) جنته لانها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة لانهم (٣٦٨) يقولون قد شاء أن يدخل كلافى رحمة لانه شاء ايمان الكل والله تعالى أن يدخل من

يشاء فى رحمة وهو الذى علم منه أنه يختار الهدى (والظالمين) الكافر ين لانهم وضعوا العبادة فى غير موضعها ونصب بفعل مضمير يفسره (أعد لهم عذابا أليما) نحو وعدوكا فى سورة المرسلات مكية

عن اتقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيئته قال أهل السنة ويرد عليهم قوله عز وجل فى سياق الآية (وماتشؤون الآن يشاء الله) أى لستم تشؤون الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستتمة لفعل العبد فجميع ما يصدر عن العبد بمشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه (ان الله كان عليما) أى باحوال خلقه وما يكون منهم (حكيمًا) أى حيث خلقهم مع علمه بهم (يدخل من يشاء فى رحمة) أى فى دينه وقيل فى جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه وفضله واحسانه لاسبب الاستحقاق (والظالمين) يعنى المشركين (أعد لهم عذابا أليما) أى مؤلما والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة المرسلات ﴾

مكية وهى خمسون آية ومائة وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل ﴾ (المرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرافا الفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عنذرا أونذرا) اعلم أن المفسرين ذكروا فى هذه الكلمات الخمس وجوها \* الاول أن المراد بأسرها الرياح ومعنى المرسلات عرفا فالرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا أى كثيرا فالعاصفات عصفا يعنى الرياح الشديدة الهبوب والناشرات نشر ايعنى الرياح اللينة وقيل هى الرياح التى أرسلها انشرا بين يدي رحمة وقيل هى الرياح التى تنشر السحاب وتأتى بالمطر فالفارقات فرقا يعنى الرياح التى تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعنى أن الرياح اذا أرسلت عاصفة شديدة قلع الأشجار وخربت الديار وغيرت الآثار فيحصل بذلك خوف للعباد فى القلوب فيلجئون الى الله تعالى ويزدكرونه فصارت تلك الرياح كأنها ألت الذكرو والمعرفة فى القلوب عند هبوبها الوجه الثانى ان المراد بأسرها الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ومعنى المرسلات عرفا الملائكة الذين أرسلوا بالعرف من أمر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعنى الملائكة تعصف فى طيرانهم وزولهم كعصف الرياح فى السرعة والناشرات نشر ا يعنى أنهم اذا نزلوا الى الارض نشروا أجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعنى الملائكة تأتى بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى الملائكة تلقى الذكرا الى الانبياء وقيل يجوز أن يكون الذكرا هو القرآن خاصة فعلى هذا يكون الملقى هو جبريل وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم \* الوجه الثالث أن المراد بأسرها آيات القرآن ومعنى المرسلات عرفا آيات القرآن المتتابعة فى النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخبر فالعاصفات عصفا يعنى آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى يجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر والناشرات نشر ا يعنى أن آيات القرآن تنشر أنوار الهداية والمعرفة فى قلوب المؤمنين فالفارقات فرقا يعنى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى آيات القرآن وهى الذكرا الحكيم الذى يلقي الايمان والنورى قلوب المؤمنين \* الوجه الرابع أنه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس شيئا واحدا

وهى خمسون آية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (المرسلات عرفا) فالعاصفات عصفا والناشرات نشرافا الفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عنذرا أونذرا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن و بطوائف منهم نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحي أونشرن الشرائع أونشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما ان وجهين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عليهم السلام عنذرا للمحققين أونذرا للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن و برياح رحمة نشرن السحاب فى

الجوف فرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فالقين ذكرا اما عنذر الذين يعتدون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة الله فى الغيث ويشكرونها واما انذار الذين لا يشكرون وينسبون ذلك الى الانواع وجعلن ملقيات بالذكرا باعتبار السببية عرفا حال أى متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا ومفعول له أى أرسلن للاحسان والمعروف وعصفا ونشر ا مصدران أونذرا أبو عمرو وكوفى غير أبى بكر وحماد والندمر مصدران من عنذر اذا محال الاساءة ومن أنذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر واتصباها على الجبل من

بعينه

ذكرا أو على المفعول له (ان ماتو عدون) ان الذي توعدونه من محي يوم القيامة (لواقع) لكائن نازل لاريب فيه وهو جواب القسم ولا وقف الى هنا لوصول الجواب بالقسم (فاذا النجوم طمست) محيت أو ذهب بنورها وجواب فاذا محذوف والعمل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه والنجوم فاعل فعل بفسره طمست (واذا السماء فرجت) فتحت فكانت أبوابا (واذا الجبال نسفت) قلعت من أما كنها (واذا الرسل أقتت) أي وقتت كقراءة أي عمر وأبدات الهمزة من الواو ومعنى توقيت الرسل تبين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أهمهم (لاي يوم أجلت) أخرت وأمهلت وفيه تعظيم لليوم وتنجيب من هو له والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت (ليوم الفصل) تنجيب آخر وتعظيم لامره وهو بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين (٣٦٩) الخلاق (وما أدراك ما يوم الفصل) تنجيب آخر

وتعظيم لامره (ويل) مبتدأ وان كان نكرة لانه في أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه نحوه سلام عليكم (يومئذ) ظرفه (للمكذبين) بذلك اليوم خبره (الأمم الخالية المكذبة) تتبعهم الآخرين) مستأنف بعد وقف وهو وعيد لاهل مكة أي ثم تفعل بما تلهم من الآخرين ما فعلنا بالاولين لانهم كذبوا مثل تكذيبهم (كذلك) من ذلك الفعل الشنيع (فعل بالجرمين) بكل من أجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بما وعدنا (الأم تخلفكم من ماء مهين) حقير وهو النطفة (جعلناه) أي الماء (في قرارمكين) مقر يتمكن فيه وهو الرحم

بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشر الرياح ويكون المراد بقوله فالفرقات فرقا فالملقيات ذكر الملائكة فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما في القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهما من هذا الوجه فحسن الجمع بينهما في القسم عندنا أو نذرا أي للاعذار والانداز من الله وقيل عندنا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها أقسام وجواب القسم قوله تعالى (ان ماتو عدون) أي من أمر الساعة ومحيتها (واقع) أي لكائن نازل لا محالة وقيل معناه ان ماتو عدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى (فاذا النجوم طمست) أي محي نورها وقيل محقت (واذا السماء فرجت) أي شقت وقيل فتحت (واذا الجبال نسفت) أي قلعت من أما كنها (واذا الرسل أقتت) وقرئ وقتت بالواو ومعناها واحد أي جعلت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الامم (لاي يوم أجلت) أي أخرت وضرب الاجل لجمعهم كأنه تعالى يحب لعباده من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جعلت الرسل في ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى (ليوم الفصل) قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن فيه بين الخلاق ثم اتبع ذلك تعظيما وهو بلا فقال تعالى (وما أدراك ما يوم الفصل) أي وما أعلمك بيوم الفصل وهو له وشدة (ويل يومئذ للمكذبين) أي بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب ﴿ قوله تعالى (الأم نهلك الاولين) يعني الامم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم (ثم تبعهم الآخرين) يعني السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب وهم كفار قرئش أي نهلكهم بتكذيبهم محمد صلى الله عليه وسلم (كذلك تفعل بالجرمين) أي انما تفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين (ويل يومئذ للمكذبين) أي لم تخلقكم من ماء مهين) يعني النطفة (جعلناه في قرارمكين) يعني الرحم (الى قدر معلوم) يعني وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لا يعلم ذلك غيره (فقدرونا) قرئ بالتشديد من التقدير أي قدرنا ذلك تقديرا (فنع القادرون) أي المقدرين له وقرئ بالتخفيف من القدرة أي قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه في أحسن صورة وهيئة (ويل يومئذ للمكذبين) أي المنكرين للبعث لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة (الأم نجعل الارض كفانا) يعني وعاء وأصله الضم والجمع (أحياء وأمواتا) يعني تكذبهم أحياء على ظهرها معنى تضمهم في دورهم ومنازلهم وتكذبهم أمواتا في بطنها في قبورهم ولذلك تسمى الارض اما لانها تصم الناس كالام تضم ولدها (وجعلنا فيها) أي في الارض (رواسي شامخات) يعني جبالا عاليات (واسقينا كماء فراتا) يعني عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) يعني ان هذا كله أعجب من البعث فالقادر عليه

(٤٧) - (خازن) - (رابع) ومحل (الى قدر معلوم) الحال أي مؤخر الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة أشهر أو ما فوقها أو ما دونها (فقدرونا) فقدرونا ذلك تقديرا (فنع القادرون) فنع القادرون له نحن أو فقدرونا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول أحق لقراءة نافع وعلى بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدرة (ويل يومئذ للمكذبين) بنعمة الفطرة (الأم نجعل الارض كفانا) هو من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام لما يضم وبه اتصبت (أحياء وأمواتا) كأنه قيل كافة أحياء وأمواتا وبقل مضمرب يدل عليه كفانا وهو تكفت أي تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا في بطنها والتشكير فيها للتفخيم أي تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحضرون (وجعلنا فيها رواسي) جبالا ثوابت (شامخات) عاليات (واسقينا كماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه النعمة

(انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) أي يقال للكافرين يوم القيامة سيروا الى النار التي كنتم بها تكذبون (انطلقوا) تكرر ير للتوكيد (الى ظل) دخان جهنم (ذي ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق (لاظليل) نعت ظل أي لا مظل من حرد ذلك اليوم وحس النار (ولا يغني) في محل الجرائم وغير مغم لهم (من اللهب) من حر اللهب شيئاً (انها) أي النار (يرمى بشرر) هو ما تطاير من النار (كالقصر) في العظم (٣٧٠) وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصره (كانه جالة) كوفي غير أي بكر جمع

جعل جبالاً غيرهم جمع الجمع (صفر) جمع أصفر أي سود وتضرب الى الصفرة وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه وبالجمال للعظم والطول واللون (ويل يومئذ للمكذبين) بان هذه صفتها (هذا يوم لا ينطقون) وقرئ بنصب اليوم أي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقال في ذلك اليوم مواقف في بعضها يختصمون وفي بعضها لا ينطقون أو لا ينطقون بما ينفعهم جعل نطقهم كلاماً (ولا يؤذن لهم) في الاعتذار (فيعتذرون) عطف على يؤذن منحرف في سلك النبي أي لا يكون لهم اذن واعتذار (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم (هذا يوم الفصل) بين الحق والمبطل والمحسن والمسيء بالجزاء (جمعناكم) يأمكذبي محمد (والاولين)

قادر على البعث ﴿ قوله عز وجل (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) يعني يقال للمكذبين بيوم القيامة في الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسر بقوله (انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب) يعني دخان جهنم اذا سطع وارتفع تشعب وتفرق ثلاث فرق وكذلك شأن الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه الى أن يفرغ من الحساب كما يكون أولياء الله تعالى في ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فينتشعب ثلاث شعب على رؤسهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم (لاظليل) أي ان ذلك الظل لا يظل من حر (ولا يغني من اللهب) أي لا يرد عنهم من طيب جهنم والمعنى أنهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب (انها) يعني جهنم (يرمى بشرر) جمع شرارة وهي ما تطاير من النار (كالقصر) يعني كالبناء العظيم ونحوه وقيل هي أصول الشجر والنخل العظيم واحدها قصره وسئل ابن عباس عن قوله ترمي بشرر كالقصر فقال هي الخشب العظيم المقطعة وكنا نعمد الى الخشب فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ونُدخها للشتاء وكنا نسميها القصر (كأنه) يعني الشرر (جبال) جمع الجبال وقال ابن عباس هي حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كواسط الجبال (صفر) جمع أصفر يعني ان لون ذلك الشرر أصفر وأنشد بعضهم

دعتم باعلى صوتها ورمتم \* بمثل الجبال الصفر نزاعة الشوى

وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جاء في الحديث ان شرر نار جهنم اسود كالقير والعرب تسمى سود الابل صفر لانه يشوب سوادها شيء من الصفرة وقيل هي قطع العحاس والمعنى ان هذا الشرر يرتفع كأنه شيء يجمع غليظ أصفر (ويل يومئذ للمكذبين) ﴿ قوله عز وجل (هذا يوم لا ينطقون) يعني بحجة نفعهم قبل هذا في بعض مواطن القيامة ومواقفها وذلك لان في بعضها يتكلمون وفي بعضها يختصمون وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف على يؤذن واختير ذلك لان رؤس الآي بالنون فلو قال فيعتذرون والموافق الآيات والعرب تستحب وفاق الفواصل كما تستحب وفاق القوافي والقرآن نزل على ما تستحب العرب من موافقة المقاطع والمعنى لا يكون اذن واعتذار قال الجنيد أي عذر لمن أعرض عن منعه وكفر أياديه ونعمه فان قلت قد توهم أن لهم عذر اولكن قد منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر في الحقيقة لانه قد تقدم الاعتذار والاندثار في الدنيا فلم يبق لهم عذر في الآخرة ولكن بما نخبوا وخيا لا فاسد ان لهم عذر فلم يؤذن لهم في ذلك العذر الفاسد (ويل يومئذ للمكذبين) يعني أنه لما تبين أنه لا عذر لهم ولا حجة فيما أتوا به من الاعمال السيئة والقدرة لهم على دفع العذاب عنهم لاجرم قال في حقهم ويل يومئذ للمكذبين (هذا يوم الفصل) يعني بين أهل الجنة وأهل النار وقيل هو الفصل بين العباد في الحقوق والمحاكمات (جمعناكم والاولين) يعني مكذبي هذه الامم والذين كذبوا أنبياءهم من الامم الماضية (فان كان لكم كيد فكيدون) أي ان كانت لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتملوا واهم يعامون أن الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع وهذا في نهاية التوخيخ والتقرع فلهاذا عقبه بقوله (ويل يومئذ للمكذبين) ﴿ قوله عز وجل (ان المتقين) أي الذين اتقوا الشرك (في ظلال) جمع ظل وهو ظل الاشجار (وعيون) أي في ظلهم عيون ماء (وفوا كهما يشتهون) أي يتلذذون بها (كواواشربوا) أي ويقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول

والمكذبين قبلكم (فان كان لكم كيد) حيلة في دفع العذاب (فكيدون) فاحتملوا على بتخليص يحتمل أنفسكم من العذاب والكيد متعدد تقول كدت فلانا اذا احتلت عليه (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث (ان المتقين) من عذاب الله (في ظلال) جمع ظل (وعيون) جارية في الجنة (وفوا كهما يشتهون) أي لذينة مشتهاة (كواواشربوا) في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال أي هم مستقرون في ظلال مقولاهم ذلك

(هنيئاً بما كنتم تعملون) في الدنيا (أنا كذلك نجزي المحسنين) فاحسنوا ونجزوا بهذا (ويل يومئذ للمكذبين) بالجنة (كلوا وتمتعوا) كلام مسأف خطاب للمكذبين في الدنيا على وجه التهديد كقولهم اعملوا ما شئتم (فليلا) لان متاع الدنيا قليل (انكم مجرمون) كافرون أي ان كل مجرم يأكل ويتمتع أياماً قليلاً ثم يبقى في الهلاك الدائم (ويل يومئذ للمكذبين) بالنعم (واذا قيل لهم اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا اليه بقبول وحيه واتباع دينه ودعوها هذا الاستكبار (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم واذا قيل لهم صالوا الاصلون (ويل يومئذ للمكذبين) بالامر والنهي (فبأي حديث بعده) (٣٧١) بعد القرآن (يؤمنون) أي ان لم يؤمنوا

بالقرآن مع انه آية مبصرة ومجززة باهرة من بين الكتب السماوية فبأي كتاب بعده يؤمنون والله أعلم ﴿سورة النبأ مكية وهي أربعون آية﴾  
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾  
(عم) أصله عن ما قرئ بهائم ادغمت النون في الميم فصار عماء قرئ بها ثم حذفت الالف تخفيفاً للكثرة في الاستعمال

يحتمل أن يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة وما أعظمها من نعمة أو يكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام (هنيئاً) أي خالص اللذة لا يشوبه تنغيص (بما كنتم تعملون) أي في الدنيا من الطاعات (أنا كذلك نجزي المحسنين) قيل المقصود منه تذكير الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لغازوا بمثل ذلك الخبر العظيم فعلموا انهم لا يفتنونهم في قوله (ويل يومئذ للمكذبين) قوله عز وجل (كلوا وتمتعوا قليلاً) يقول للكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلاً في الدنيا الى منتهى آجالكم وهذا وان كان في ظاهر اللفظ أمر الا انه في المعنى نهى ببلغ وزجر عظيم (انكم مجرمون) أي مشركون بالله مستحقون للعقاب لاجرم أتبعه بقوله (ويل يومئذ للمكذبين) واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أي واذا قيل لهم صالوا مع محمد وأصحابه لا يصلون فبغير عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من أركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (ويل يومئذ للمكذبين) فبأي حديث بعده يؤمنون) أي بعد نزول القرآن اذ لم يؤمنوا به فبأي شيء يؤمنون والله أعلم

﴿تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل﴾

مكية وهي أربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (عم) أصله عن ما (يتساءلون) عن أي شيء يتساءلون يعني المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقوله أي شيء زيد اذا عظمت شأنه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ادعاهم الى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت ولا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون فيما بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عماداً تساءلهم فقال تعالى (عن النبأ العظيم) يعني الخبر العظيم الشأن قال الا كثرون هو القرآن وقيل هو البعث وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به (الذي هم فيه مختلفون) فمن فسر النبأ العظيم بالقرآن قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر أو شعر أو كهانة أو نحو ذلك مما قالوه في القرآن ومن فسر النبأ العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن صدق به وهم المؤمنون ومن مكذب به وهم الكافرون ومن فسر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم في القرآن (كلام) هي ردع وزجر وقيل هي نفي لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوا (سيعلمون) أي عاقبة تكذيبهم حين يتكشف الامر يعني في القيامة (ثم كلا سيعلمون) وعيد على أئروعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم وإيمانهم ثم ذكر أشياء من عجائب صنائعه ليستدلوا بذلك على توحيدده ويعلموا أنه قادر على إيجاد العالم وقتائه بعد إيجادها وإيجادها مرة أخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى (ألم نجعل الارض مهاداً) أي فراشاً

فيه مختلفون) فمنهم من يقطع بانكاره ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين وكانوا جميعاً يتساءلون عنه فاسلم يسأل ليزداد خشية والكافر يسأل استهزاء (كلام) ردع عن الاختلاف أو التساؤل هزواً (سيعلمون) وعيد لهم بانهم سوف يعلمون عياناً ان ما يتساءلون عنه حق (ثم كلا سيعلمون) كرر الردع للتشديد وتم يشعر ان الثاني أبلغ من الاول وأشد (ألم نجعل الارض) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من أضيف اليه البعث هذه الخلاق العجيبة فلم تنكروا قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات وقيل لهم لم فعل هذه الاشياء والحكيم لا يفعل عبثاً وانكار البعث يؤدي الى انه عابت في كل ما فعل (مهادا) فراشاً فرشناها لكم حتى سكنتموها

(والجبال أو تادا) للارض لثلاثيديكم (وخلقناكم أزواجا) ذكر أو أنثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعالا اعمالكم وراحة لابدانكم والسبت  
القطع (وجعلنا الليل لباسا) ستر ايستركم عن العيون اذا أردتم اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تنقلبوا في  
حواسجكم ومكاسبكم (وبيننا فوقكم سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة أي محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان أو غلاظا غلظ كل  
واحدة مسيرة خمسمائة عام (وجعلنا سراجا وهاجا) مضيا وقادا أي جامع للنور والحرارة والمراد الشمس (وأترلنا من المعصرت) أي السحاب  
اذا أعصر أي شارفت أن تعصرها الرياح (٣٧٢) فتمطر ومنه أعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض أو الرياح لانها تنشي السحاب

و بساطا لتستقر عليها الاقدام (والجبال أو تادا) يعني للارض حتى لا تميد (وخلقناكم أزواجا) يعني أصنافا  
ذكر أو اناثا (وجعلنا نومكم سباتا) أي راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات للراحة بل المقصود منه ان  
النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة وأصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع عن الحركة  
والتصرف في الاعمال (وجعلنا الليل لباسا) أي غطاء وغشاء يستتر كل شيء بظلمته عن العيون ولهذا سمي  
الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة في ذلك هو ان الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا أراد  
هر بامن عده وونحو ذلك (وجعلنا النهار معاشا) أي سببا للمعاش والتصرف في المصالح وقال ابن عباس  
يتبعون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه (وبيننا فوقكم سبع سموات) يعني سبع سموات محكمة  
ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر الزمان الى أن يأتي أمر الله تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) يعني  
الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل في الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة  
(وأترلنا من المعصرت) يعني الرياح التي تعصر السحاب وهي رواية عن ابن عباس وقيل هي الرياح ذوات  
الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء أي وأنزلنا بالمعصرت وذلك لان الريح تستدر المطر من  
السحاب وقيل هي السحاب وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس المعصرت السحابة التي حان لها أن تمطر  
ولما تمطر وقيل المعصرت المغينات والعاصر هو الغيث وقيل المعصرت السموات وذلك لان المطر ينزل  
من السماء الى السحاب (ماء نجا) أي صابا يمدد رارامتا بعايتلو بعضه بعضا ومنه الحديث أفضل الحج  
العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى (لنخرج به) أي بذلك الماء (حبا) أي ما ياكله  
الانسان كالحنطة ونحوها (ونباتا) أي ما ينبت في الارض من الحشيش مما ياكل منه الانعام (وجنات  
ألفافا) أي ملتفة بالشجر ليس بينها خلل فدل على البعث بد كرايتاء الخلق ثم أخبر عنه بقوله تعالى (ان  
يوم الفصل) أي الحساب (كان ميقاتا) أي لما وعده الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجتمع فيه  
الخلايق ليقضى بينهم (يوم ينفخ في الصور) يعني النفخة الاخيرة (فتأتون أفواجا) يعني زمرا زمرا من كل  
مكان للحساب (وفتحت السماء فكانت أبوابا) يعني فكانت ذوات أبواب انزول الملائكة وقيل تنحل  
وتفتت حتى يصير فيها أبواب وطرق (وسيرت الجبال) أي عن وجه الارض (فكانت سرايا) أي هباء منبثا  
كالسراب في عين الناظر (ان جهنم كانت مرصدا) أي طريقا ومرافلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع  
النار وروى عن ابن عباس ان جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عندها ولها عن شهادة أن لا اله الا الله  
فان جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسئل عن الصلوات فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء  
بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تامة جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تامة جاز  
الى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والايقال

وتدرا أخلافة فيصح أن  
يجعل مبدأ الانزال وقد جاء  
ان الله تعالى يبعث الرياح  
فتحمل الماء من السماء الى  
السحاب (ماء نجا) منصبا  
بكثرة (لنخرج به) بالماء  
(حبا) كالسبر والشعير  
(ونباتا) وكلاء (وجنات)  
بساتين (ألفافا) ملتفة  
الاشجار واحدها لف  
بكنع واجذاع أو ليفيف  
كشريف وأشرف أولا  
واحده له كاوزاع أو هي  
جمع الجمع فهي جمع لف  
واللف جمع لفاء وهي  
شجرة مجتمعة ولا وقف  
من ألم نجعل الى ألفافا  
والوقف الضرو رى على  
أوتادا ومعاشا (ان يوم  
الفصل) بين المحسن والمسيء  
والحق والمطل (كان  
ميقاتا) وقتا محددا ومنتهى  
معلوما لوقوع الجزاء أو  
ميعادا للثواب والعقاب  
(يوم ينفخ) بدل من يوم  
الفصل أو عطف بيان (في  
الصور) في القرن (فتأتون

أفواجا) حال أي جاءت مختلفة أو مما كل أمة مع رسولها (وفتحت السماء) خفيف كوفي أي شقت  
لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) فصارت ذات أبواب وطرق وفروج وما لها اليوم من فروج (وسيرت الجبال) عن وجه الارض (فكانت  
سرايا) أي هباء نخيل الشمس أنه ماء (ان جهنم كانت مرصدا) طريقا يعا عليه ممر الخلق والمؤمن يمر عليها والكافر يدخلها وقيل المرصاد  
الحد الذي يكون فيه الرصد أي هي حد الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب وهي مأبهم أو هي مرصاد لاهل الجنة ترصد هم الملائكة الذين  
يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها

(لطاغين ماآبا) للكافر من مرجعا (لابئين) ما كثر حال مقدره من الضمير في لطاغين حزة لبئين واللبث أقوى اذ اللابث من وجد منه اللبث وان قل واللبث من شأنه اللبث والمقام في المكان (فيها) في جهنم (أحقابا) ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور بل الابل كما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقبة الا اذا أر يدتتابع الازمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فاجاب بعد عشرين سنة لابئين فيها أحقابا (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أي غير ذاتين حال من ضمير لابئين فاذا انقضت هذه الاحقاب الذي عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا باحقاب (٣٧٣) أخوفها عذاب آخر وهي أحقاب بعد

أحقاب لا انقطاع لها وقيل هو من حقب عامنا اذ اقل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطاه الرزق فهو حقب وجعه أحقاب فينصب حالا عنهم أي لابئين فيها حقبين جهدين ولا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسيره وقوله (الاجيما وغساقا) استثناء منقطع أي لا يذوقون في جهنم أوفى الاحقاب بردا وروحا ينفس عنهم حر النار أو نوموا منه منع البرد والبرد ولا شرابا يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها جيما ماء حارا يحرق ما ياتي عليه وغساقا ماء يسيل من صديدهم وبالتشديد كوفي غير أوفى بكر (جزاء) جوزوا أجزاء (وفاقا) موافقا لأعمالهم مصدر بمعنى الصفة أو ذا وفاق ثم استأنف مغللا فقال (انهم كانوا لا يرجون حسابا) لا يخافون محاسبة الله ايهم ولم يؤمنوا بالبعث ليرجوا حسابا (وكذبوا

انظروا فان كان له تطوع أكملت به أعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصدا أي معدة لهم وقيل هو من رصدت الشيء أرصده اذا ترقبته والمرصد المكان الذي يرصده الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار أي تنتظرهم (لطاغين) أي الكافر من (ماآبا) أي مرجعا يرجعون اليها (لابئين فيها) أي في جهنم (أحقابا) جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة يروى ذلك عن علي بن أبي طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة فان قلت الاحقاب وان طال فهي متناهية وعذاب الكفار في جهنم غير متناه فامعنى قوله أحقابا قلت ذكروا فيه وجوها أحدها ما روى عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابئين فيها أحقابا فوالله ما هو الا أنه اذا مضى حقب دخل حقب آخر ثم آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروى عن عبد الله بن مسعود قال لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصي الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصي الدنيا لحزنوا \* الوجه الثاني ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد متناه والمعنى أنهم يلبثون فيها أحقابا لا يذوقون فيها أي في تلك الاحقاب بردا ولا شرابا الاجيما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب الذي يبذلونه لا توقيت للبهنم فيها الوجه الثالث أن الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الاعذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل (لا يذوقون فيها بردا) قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا أي روحا وراحة وقيل لا يذوقون بردا ينفعهم (ولا شرابا) أي يعينهم عن عطش (الاجيما وغساقا) أي لكن يشربون جيما قيل هو الصفر المذاب وقيل هو الماء الحار الذي انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد أهل النار (جزاء وفاقا) أي جز ينهم جزاء وفاق أعمالهم وقيل وفاق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار (انهم كانوا لا يرجون حسابا) أي لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بهم يحاسبون (وكذبوا بآياتنا) أي التي جاءت بها الانبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحساب (كذابا) أي تكذبوا بالقرآن الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال قال وقد سألني اعرابي منهم يستفتيني الخلق أحب اليك أم القصار يريد التقصير (وكل شيء) أي من الاعمال (أحصيناه) أي بيناه وأثبتناه (كتابا) أي في كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شيء علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى أنا عالم بجميع ما فعلوه من خير وشر وأنا أجازيهم على قدر أعمالهم جزاء وفاقا (فذوقوا) أي يقال لهم ذوقوا (فلن نزيدكم الا عذابا) قيل هذه الآية أشد آية في القرآن على أهل النار كما استغاثوا من نوع العذاب أغيشوا بأشد منه قوله عز وجل (ان للمتقين مفازا) أي فوزا أي نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل أن يفسر الفوز بالامر من جميع الانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال (حدثني) جمع حديقه وهي البستان المحوط فيه كل ما يشتهون (وأعنا) التذكير يدل على

بآياتنا كذابا) تكديبا وفعال في معنى فعل كله فاش (وكل شيء) نصب بضمير يفسره (أحصيناه كتابا) مكتوب في اللوح بالحساب أو حال أو مصدر في موضع احصاء أو أحصيناه في معنى كتبنا لان الاحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الآية اعتراض لان قوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات أي فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدة الغضب (فلن نزيدكم الا عذابا) في الحديث هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار (ان للمتقين مفازا) مفعول من الفوز يصلح مصدرا أي نجاة من كل مكروه وظفر بكل محبوب ويصلح للمكان وهو الجنة ثم أبدل عنه بدل البعض من الكل فقال (حدثني) بساتين فيها أنواع الشجر المثر جمع حديقه (وأعنا)



كروما عطف على حدائق (وكواعب) نواهد (أترابا) لذات مستويات في السن (وكأسادهاقا) مملوأة (لا يسمعون فيها) في الجنة حال من ضمير خبران (لغوا) باطلا (ولا كذابا) الكسائي خفيف بمعنى مكاذبة أي لا يكذب بعضهم بعضاً ولا يكاذبه (جزاء) مصدر أي جزأهم جزاء (من ربك عطاء) مصدر أو بدل من جزاء (حسابا) صفة يعني كافيأ وعلى حسب أعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) بحرهما ابن عامر وعاصم بدلا من ربك ومن رفعهما قرب خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره الرحمن والرحن صفة ولا يملكون خبراً أو محابره ان والضمير في (لا يملكون) لاهل السموات (٣٧٤) والارض وفي (منه خطابا) لله تعالى أي لا يملكون الشفاعة من عباده تعالى الا

بأذنه أو لا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى خوفاً (يوم يقوم) ان جعلته ظرفاً لللا يملكون لا تنقف على خطابا وان جعلته ظرفاً لللا يتكلمون تنقف (الروح) جبريل عند الجمهور وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقاً أعظم منه (والملائكة صفا) حال أي مصطفين (لا يتكلمون) أي الخلائق ثم خوفاً (الامن أذن له الرحمن) في الكلام أو الشفاعة (وقال صوابا) حقا بان قال المشفوع له لا اله الا الله في الدنيا ولا يؤذن الا لمن يتكلم بالصواب في أمر الشفاعة (ذلك اليوم الحق) الثابت وقوعه (فن شاء اتخذ الى ربه ما يشاء) مرجعا بالعمل الصالح (انا أنذرناكم) أيها الكفار (عذابا قريبا) في الآخرة لان ما هوأت قريب (يوم ينظر المرء الكافر لقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا

تعظيم ذلك العنب (وكواعب) جمع كاعب يعني جوارى نواهد قد تكعبت تديهن (أترابا) يعني مستويات في السن (وكأسادهاقا) قال ابن عباس مملوأة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية (لا يسمعون) أي في الجنة وقيل في حالة شر بهم لان أهل الدنيا يتكلمون بالباطل في حالة شر بهم (لغوا) أي باطلا من الكلام (ولا كذابا) أي تكذيبا والمعنى أنه لا يكذب بعضهم بعضاً ولا ينطقون به (جزاء من ربك عطاء حسابا) أي جزأهم جزاء وأعطاهم عطاء حساباً أي كافيأ وافيأ وقيل حسابا يعني كثيرا وقيل جزاء بقدر أعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا) أي لا يقدر الخلق أن يكلموا الرب الا بأذنه وقيل لا يملكون منه خطابا أي لا يملكون شفاعة الا بذنه في ذلك اليوم (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) قيل هو جبريل عليه السلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقاً أعظم منه فاذا كان يوم القيام قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحداً فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك عظيم أعظم من السموات والارض والجبال وهو في السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يحيى يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هو لآء جند وهو لآء جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك الاومعه واحد منهم وعنه أنهم بنو آدم يقومون صفا والملائكة صفا وقيل يقوم سباط من الروح وسباط من الملائكة (لا يتكلمون) يعني الخلق كلهم اجلالاً لعظمة الله تعالى جل جلاله وتعالى عطاؤه وشأنه من هول ذلك اليوم (الامن أذن له الرحمن) أي في الكلام (وقال صوابا) أي حقا في الدنيا وعمل به وقيل قال لا اله الا الله وقيل الاستثناء يرجع الى الروح والملائكة ومعنى الآية لا يشفعون الا في شخص أذن الرحمن في الشفاعة له وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله الا الله (ذلك اليوم الحق) أي الكائن الواقع لا محالة وهو يوم القيامة (فن شاء اتخذ الى ربه ما يشاء) أي سيلا يرجع اليه هو طاعة الله وما يتقرب به اليه (انا أنذرناكم) أي خوفناكم في الدنيا (عذابا قريبا) أي في الآخرة وكل ما هوأت قريب (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) يعني من خيراً وشر مثبناً في صحيفته ينظر اليه يوم القيامة (ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا) قال عبد الله بن عمر وإذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء فطحت فاذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقيل يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص انا خلقناكم وسخرناكم لئلا تكونوا مطيعين لهم أيام حياتكم فارجعوا الى ما كنتم عليه كونوا ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى وقال ياليتني كنت في الدنيا في صورة بعض هذه البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وأمر باهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار وقيل

(ما قدمت يداه) من الشر لقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ونخصيص الايدي لان أكثر

الاعمال تقع بها وان احتمل أن لا يكون للايدي مدخل فيما ارتكب من الآثام (ويقول الكافر) وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة النعم أو المرء عام وخص منه الكافر وما قدمت يداه ما عمل من خير وشر أو هو المؤمن لذكر الكافر بعده وما قدم من خير وما استغفامية منصوبة بقدمت أي ينظر أي شيء قدمت يداه أو موصولة منصوبة ينظر يقال نظرت به يعني نظرت اليه والراجع في الصلة محذوف أي ما قدمت (ياليتني كنت ترابا) في الدنيا فلم أخلق ولم أكفأ وليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكف حتى يقتص للجما من القرناء ثم يرده ترابا فيؤد الكافر حاله وقيل الكافر بليس يتمي أن يكون كآدم مخلوقاً من التراب ليناب ثواب أولاده المؤمنين والله أعلم

لسائر الامم سوى الناس والجن عود و اترابا فيعودون ترابا حينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل  
معناه ان الكافر اذا رأى ما أنعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة قال يا ليتني كنت ترابا يعني متواضعا  
في طاعة الله في الدنيا ولم أكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر ههنا هو ابليس وذلك انه عاب آدم وكونه  
خلق من تراب وافتخر عليه بانه خلق من نار فاذا كان يوم القيامة ورأى ما فيه آدم وبنوه المؤمنون  
من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا قال أبو هريرة رضي الله عنه  
يقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي والله سبحانه وتعالى أعلم بما راده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة النازعات مكية﴾

هي ست وقيل خمس وأربعون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وسبع مائة وثلاثة وخمسون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا والسابقات سبقا) اختلفت عبارات  
المفسرين في هذه الكلمات هل هي صفات لشي واحد أم لاشياء مختلفة على أوجه وانفقوا على أن المراد  
بقوله (فالمدرات أمرا) وصف لشي واحد وهم الملائكة \* الوجه الاول قوله تعالى والنازعات غرقا يعني  
الملائكة تنزع أرواح الكفار من أفاضل أجسامهم كما يفرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق  
من الاغراق أي والنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع  
السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق في الماء والناشطات نشطا  
الملائكة تنشط نفس المؤمن أي تسلسلها لرفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وإنما خص النزاع  
بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لان بينهما فرقا فالنزاع جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات  
سبحا يعني الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسألونها سائلا فيقام بدعوتها حتى تستريح ثم يستخرجونها  
كالسباح في الماء يتحرك فيه برفق واطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس  
الجواد اذا أسرع في جريه يقال له سابع فالسابقات سبعا يعني الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل  
الصالح وقيل هم الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة الوجه الثاني في قوله والنازعات غرقا يعني النفس  
حين تنزع من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هي نفوس المؤمنين تنشط  
للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده في الجنة قبل ان يموت وقال علي  
ابن أبي طالب هي أرواح الكفار تنشط بين الجلد والظفار حتى تخرج من أفواههم بالكرب والنم  
والسابحات سبحا يعني أرواح المؤمنين حين تسبح في الملكوت فالسابقات سبعا يعني استبقاها الى الحضرة  
المقدسة الوجه الثالث في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني النجوم تنزع من أفق الى أفق تطلع ثم تغيب  
والناشطات نشطا يعني النجوم تنشط من أفق الى أفق أي تذهب والسابحات سبحا يعني النجوم والشمس  
والقمر يسبحون في الفلك فالسابقات سبعا يعني النجوم يسبق بعضها بعضا في السير الوجه الرابع في قوله  
تعالى والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع في أعنتها وتغرق في عرفها وهي الناشطات نشطا لانها تخرج  
بسرعة الى ميدانها وهي السابحات في جريها وهي السابقات سبعا لاسبقاها الى الغاية الوجه الخامس في  
قوله والنازعات غرقا يعني الغزاة حين تنزع قسيها في الرمي فتباغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا  
أي السهام في الرمي والسابحات سبحا فالسابقات سبعا يعني الخيل والابل حين يخرجها أصحابها الى الغزو  
الوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيئا واحدا فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا  
حتى يبلغها الغاية والناشطات نشطا يعني النفس تنشط من المقدمين بمعنى تجذب والسابحات سبحا يعني  
السفن والسابقات سبعا يعني مسابقة نفوس المؤمنين الى الخيرات والطاعات \* أما قوله فالمدرات أمرا

﴿سورة النازعات ست

وأربعون آية مكية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا والناشطات

نشطا والسابحات سبحا

فالسابقات سبعا فالمدبرات

أمرا) لا وقف الى هنا ولزم

هنا لانه لو وصل لصار يوم

ظرف المدبرات وقد انقضى

تدير الملائكة في ذلك

اليوم أقسم سبحانه

بطوائف الملائكة التي تنزع

الارواح من الاجساد

غرقا أي اغراقا في النزاع

أي تنزعها من أفاضل

الاجساد من أناملها

ومواضع أظفارها

وبالطوائف التي تنشطها

أي تخرجها من نشط الدلو

من البسر اذا أخرجها

وبالطوائف التي تسبح في

مضيها أي تسرع فتسبق

الى ما أمر وابه فتدبر أمرا

من أمور العباد مما يصلحهم

في دينهم أو دنياهم كإرسام

لهم أو بخيل الغزاة التي

تنزع في أعنتها تزعا تغرق

فيه الاعنة لظول أعناقها

لانها عراب والتي تخرج

من دار الاسلام الى دار

الحرب من قولك نور

ناشط اذا خرج من بلد الى

بلد التي تسبح في جريها

فتسبق الى الغاية فتدبر

أمر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من أسبابه أو بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واعراقها في النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فسبق قنبر أمر من علم الحساب وجواب القسم محذوف وهو لتبعين لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة (يوم ترجف) تتحرك حركة شديدة والرجف شدة الحركة (الراجعة) النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها لانها تضطرب بها الارض حتى يموت كل من عليها (تبعها) حال عن الرجفة (الرادفة) النفخة الثانية لانها تردف الاولى بينهما أر بعون سنة والاولى تمت الخلق والثانية تحييمهم (قلوب يومئذ) قلوب منسكرى البعث (واجفة) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب (٣٧٦) واتصاب يوم ترجف بمادل عليه قلوب يومئذ واجفة أي يوم ترجف وجفت

القلوب وار تفاع قلوب بالابتداء و واجفة صفها (أبصارها) أي أبصار أصحابها (خاشعة) ذليلة طول ما ترى خبرها (يقولون) أي منكرو البعث في الدنيا استهزاء وانكار البعث (اننا لمردودون في الحافرة) استفهام بمعنى الانكار أي أنرد بعد مسوتنا الى أول الامر فنعود أحياء كما كنا والحافرة الحالة الاولى يقال لمن كان في أمر فرج منه ثم عاد اليه رجوع الى حافرة أي الى حالته الاولى ويقال التقد عند الحافرة أي عند الحالة الاولى وهي الصفقة أنكروا البعث ثم زادوا استبعادا فقال (أنذا كنا عظما نخرة) بالية نخرة كوفي غير حفص وفعل أبلغ من فاعل يقال نخر العظم فهو نخر وناخر والمعنى أنرد الى الحياة بعد ان صرنا عظما بالية واذ منصوب

فاجعوا على أنهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا ربعة أملاك جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل فاما جبريل فوكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فوكل بقبض النفس واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى أقسم الله بهذه الاشياء لشر فيها والله أن يقسم بما يشاء من خلقه أو يكون التقدير ورب هذه الاشياء وجواب القسم محذوف تقديره لتبعين ولتجاسين وقيل جوابه ان في ذلك لبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ واجفة (يوم ترجف الرجفة) يعني النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلق (تبعها الرادفة) يعني النفخة الثانية تردف الاولى وينهما أر بعون سنة وقال قتادة هما صيحتان فالاولى تمت كل شيء والاخرى تحي كل شيء باذن الله عز وجل وقيل الرجفة التي تنزل الارض والجبال والرادفة التي تشق السماء وقيل الرجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة روى البيهقي بسند الثعلبي عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال أيها الناس اذكروا الله جاءت الرجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه ﴿وقوله عز وجل (قلوب يومئذ واجفة) أي خافقة قلقة مضطربة وقيل وجملة زائلة عن أما كنا (أبصارها خاشعة) أي أبصار أهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى (يقولون) يعني المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت (أننا لمردودون في الحافرة) يعني أنرد الى أول الحال وابتداء الامر فنصير أحياء بعد الموت كما كنا أول مرة والعرب تقول رجوع فلان في حافرة أي رجوع من حيث جاء فالحافرة عندهم اسم لابتداء الشيء وأول الشيء ويقال رجوع فلان في حافرة أي في طريقه الذي جاء منه يحفره بمشيئته فحصل بأثر قدميه حفر فبهي محفورة وفي الحقيقة وقيل الحافرة الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى أننا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها وقيل الحافرة النار (أنذا كنا عظما نخرة) أي بالية وقريه نخرة وهما بمعنى وقيل النخرة المجوفة التي يمر فيها الريح فتتخرأى صوت (قالوا) يعني المنكرين للبعث اذا عينوا أهوال القيامة (تلك اذا كرة خاسرة) أي رجعة غابنة يعني ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت (فانما هي) يعني النفخة الاخيرة (زجرة واحدة) أي صيحة واحدة يجمعون مهاجيعا (فاذا هم بالساهرة) يعني وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هي التي كثرت الوطء عليها كأنها سهرت والمعنى أنهم كانوا في بطن الارض فاستمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هي أرض الشام وقيل أرض القيامة وقيل هي أرض جهنم قوله عز وجل (هل أناك حديث موسى) يعني أناك حديث موسى

بمحذوف وهو نبعث (قالوا) أي منكر والبعث (تلك) رجعتنا (اذا كرة خاسرة) رجعة ذات خسرة أو خاسر يا محمد أصحابها والمعنى انها ان صحت وبعثنا فنحن اذا خسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فانما هي زجرة واحدة) متعلق بمحذوف أي لانحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة هينة في قدرته فإهي الاصيحة واحدة ير يد النفخة الثانية من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه (فاذا هم بالساهرة) فاذا هم أحياء على وجه الارض بعدما كانوا أمواتا في جوفها وقيل الساهرة أرض بعينها بالشأم الى جنب بيت المقدس وأرض مكة وأوجهنم (هل أناك حديث موسى) استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع والتشريف للخاطب به

(اذناداه به) حين ناداه (بالواد المقدس) المبارك المطهر (طوى) اسمه (اذهب الى فرعون) على ارادة القول (انه طغى) تجاوز الحد في الكفر والفساد (فقل هل لك الى ان تزكى) هل لك ميل الى ان تنظهر من الشرك والعصيان بالطاعة واليمان وبتشديد الزاى محجازى (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فتخشى) لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اى العلماء به وعن بعض الحكماء عرف الله فمن عرف الله لم يقدر ان يعصيه طرفه عين فالخشية ملاك الامر من خشى الله اى منه كل خير ومن آمن اجترأ على كل شر ومنه الحديث من خاف أدج ومن أدج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالالطف (٣٧٧) فى القول ويستنزله بالمدارة عن عتوه كما امر

بذلك فى قوله تعالى فقلوا له فقولنا (فأراه الآية الكبرى) أى فذهب فأرى موسى فرعون العصا واليد البيضاء لانهما فى حكم آية واحدة (فكذب) فرعون بموسى والآية الكبرى وسماهما سحرا وسجرا (وعصى) الله تعالى (ثم أدبر) نولى عن موسى (يسمى) يجتهد فى مكابذته ولمسأرى الشعبان ادبر مرسو بايسرع فى مشيته وكان طياشا خفيفا (خشع) جمع السحرة وجنده (فنادى) فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه (فقال أنار بكم الاعلى) لارب فوق وكانت لهم أصنام يعبدونها (فاخذه الله نكال الآخرة) عاقبه الله عقوبة الآخرة والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على المصدر لان أخذ بمعنى نسل كانه قيل نسل الله به نكال الآخرة أى الاحراق

يا محمد وذلك أنه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وأنه كان يتحمل المشاق من قومه ليتأمن به (اذناداه به بالواد المقدس) أى المطهر (طوى) هو اسم واد بالشام عند الطور (اذهب الى فرعون انه طغى) أى علا وتكبر وكفر بالله (فقل هل لك الا ان تزكى) أى تنظهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد أن لا اله الا الله (واهديك الى ربك) أى أدعوك الى عبادة ربك وتوحيده (فتخشى) يعنى عقابه وانما خص فرعه ن بالذكر وان كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان أعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه (فأراه) أى أرى موسى فرعون (الآية الكبرى) يعنى اليد البيضاء والعصا (فكذب) يعنى فرعون بانها من الله (وعصى) أى تمرد وأظهر التجبر (ثم أدبر) أى أعرض عن الإيمان (يسمى) يعمل الفساد فى الارض (خشع) أى جمع قومه وجنوده (فنادى) أى لما اجتمعوا (فقال) يعنى فرعون لقومه (أنار بكم الاعلى) أى لارب فوق وقيل أراد أن الاصنام أو بابوهور بهاور بهم (فاخذه الله نكال الآخرة والاولى) أى عاقبه فجعله عبرة لغيره بان أغرقه فى الدنيا ويدخله فى النار فى الآخرة وقيل أراد بالآخرة والاولى كلمتى فرعون وهما قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقوله أنار بكم الاعلى وكان بينهما أمر بعون سنة (ان فى ذلك) أى فى الذى فعل بفرعون حين كذب وعصى (لعبرة) أى عظة (لمن يخشى) أى يخاف الله عز وجل ثم عاتب منكرى البعث فقال تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها) معناه أخلقكم بعد الموت أشد أم خلق السماء عندكم فى تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد لان خلق الانسان على صغره وضعفه اذا أضيف الى خلق السماء مع عظمها وعظم أحوالها كان يسيرا فبين تعالى أن خلق السماء أعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت أهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بأنه خلق السموات والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه تعالى ذكر كيفية خاق السماء والارض فقال تعالى (رفع سمكها) يعنى علوسمتها وقيل رفعها بغير عمد (فسواها) أى أتقن بناءها فلبس فيها شقوق ولا فطور (وأغطش) أى أظلم (ليلها) والغطش الظامة (وأخرج) أى وأظهر وأبرز (ضحاهها) أى نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لانه أكمل أجزاء النهار فى النور والضوء وانما أضاف الليل والنهار الى السماء لانها ما يجرى بان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهى فى السماء ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) أى بسطها ومدها قال أمية بن أبى الصلت دحوت البلاد فسوتها \* وأنت على طبيها قادر

فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضى أن الارض خلقت بعد السماء بدليل قوله تعالى بعد ذلك وقد قال تعالى فى حم السجدة ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين الآيتين وما معناهما فأتى خلق الله الارض أولا بجمعة ثم

(٤٨ - خازن) - رابع (والاولى) أى الاغراق أو نكال كالميتة الآخرة وهى أنار بكم الاعلى والاولى وهى ما علمت لكم من اله غيرى وبينهما أمر بعون سنة أو ثلاثون أو عشرون (ان فى ذلك) المذكور (لعبرة لمن يخشى) الله (أأنتم) أى المتكبرى البعث (أشد خلقا) أصعب خلقا وانشاء (أم السماء) مبتدأ محذوف الخبر أى أم السماء أشد خلقا ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) أى الله ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أعلى سقفها وقيل جعل مقدار ذهابها فى سمت العلور فيعاسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعد لها مستوية بلا شقوق ولا فطور (وأغطش ليلها) اظلمه (وأخرج ضحاهها) أبرز ضوء شمسها وأضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس سراجها (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها او كانت مخلوقة غير مدحوة فمدحوت من مكة بعد خلق السماء بالفى عام ثم فسر البسط فقال

(أخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) كلاًها ولذلم يدخل العاطف على أخرج أو أخرج حال باضمار قد (والجبال أرساها) أثبتنا وانتصاب الارض والجبال باضمار دحا وأرسي على شريطة التفسير (متاعا لكم ولانعامكم) فعل ذلك تمتعاً لكم ولانعامكم (فإذا جاءت الطامة الكبرى) الداهية العظمى التي تطم على الدواهي أي تعاو وتغاب وهي النفخة الثانية أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار (يوم يتذكر الإنسان) بدل من إذا جاءت أي إذا رأى أعماله مدونة في كتابه تذكراً وكان قد نسبها (ماسي) مصدرية أي سعيه أو موصولة (وبرزت الجحيم) وأظهرت (لمن يرى) لسلك راء لظهورها وظهورايننا (فأما) جواب فإذا أي إذا جاءت الطامة فإن الامر كذلك (من طغى) جاوز الحد فكفر (وأثر الحياة الدنيا) على الآخرة باتباع الشهوات (فإن الجحيم هي المأوى) المرجع أي مأواه والالام بدل من الاضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه وعند البصر بين هي المأوى له (وأما من خاف مقام ربه) أي علم أنه مقام يوم القيامة لحساب ربه (٣٧٨) (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) المؤذى أي زجرها عن اتباع

الشهوات وقيل هو الرجل يهيم بالعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس إلى شهواتها (فإن الجنة هي المأوى) أي المرجع (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) متى ارساؤها أي اقامتها يعني متى يقيمها الله تعالى ويثبتها (فيم أنت من ذكرها) في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به أي ما أنت من ذكرها لهم وتبين وقتها في شيء كقولك ليس فلان من العلم في شيء أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تجب من كثرة ذكرها أي أنهم يسألونك عنها فاحرصك

سمك السماء ثانياً مدحا الارض بمعنى مدها وبسطها ألتا فصل بهذا التفسير الجع بين الآيتين وزال الاشكال قال ابن عباس خالق الله الارض باقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زعيم أي مع ذلك (أخرج منها ماءها ومرعاها) أي جرم من الارض عيونها ومرعاها أي رعيها وهو ما يأكله الناس والانعام واستير الرعى للانسان على سبيل التجوز (والجبال أرساها) أي أثبتنا (متاعا لكم ولانعامكم) أي الذي أخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (فإذا جاءت الطامة الكبرى) يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شيء فتعلاو عليه والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع (يوم يتذكر الانسان ماسي) أي ما عمل في الدنيا من خيراً أو شراً (وبرزت الجحيم ان يرى) يعني له ينكشف عنها الغطاء فينظر اليها الخلق (فأما من طغى) أي كفر (وأثر الحياة الدنيا) أي على الآخرة (فإن الجحيم هي المأوى) أي لمن هذه صفته (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أي المحارم التي يشتهها وقيل هو الرجل يهيم بالعصية فيذكر مقامه بين يديه جل جلاله للحساب فيتركها لذلك (فإن الجنة هي المأوى) أي لمن هذه صفته ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يسألونك) أي يا محمد (عن الساعة أيان مرساها) أي متى ظهورها وقيامها (فيم أنت من ذكرها) أي لست في شيء من علمها وذكورها حتى تهتم لها وتذكر وقتها (إلى ربك منتهاها) أي منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معنى فيم انكار لسؤالهم أي فيم هذا السؤال ثم قال أنت يا محمد من ذكرها أي من علامتها لانك آخر الرسل وخاتم الانبياء فكفاهم ذلك دليلاً على دنوها وجوب الاستعداد لها (أما أنت منذر من يخشاها) أي انما ينفع انذارك من يخافها (كانهم) يعني الكفار (يوم يرونها) أي يعاينون يوم القيامة (لم يلبثوا) أي في الدنيا وقيل في قبورهم (الاعشى أو صحاها) فإن قلت العشى ليس لها ضحى فما معنى قوله أوضحاها قلت قيل ان الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الاعشى أوضحي وقيل اضافة الضحى إلى العشى اضافة إلى يومها كأنه قيل الاعشى أوضحي يومها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

على جوابهم لا تزال تذكرها وتساءل عنها (إلى ربك منتهاها) منتهى علمها متى تكون لا يعلمها غيره أو فيم انكار لسؤالهم عنها أي فيم هذا السؤال ثم قال أنت من ذكرها أي ارسالك وأنت آخر الانبياء علامة من علاماتها فلامعنى لسؤالهم عنها لا يبعد أن يوقف على هذا على فيم وقيل فيم أنت من ذكرها متصل بالسؤال أي يسألونك عن الساعة أيان مرساها ويقولون أين أنت من ذكرها ثم استأنف فقال إلى ربك منتهاها (أما أنت منذر من يخشاها) أي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة وإنما بعثت لتندبر من أهواها من يخاف شداً لها منذر من يؤيد وعباس (كانهم يوم يرونها) أي الساعة (لم يلبثوا) في الدنيا (الاعشى أو صحاها) أي ضحى العشى استقلوا مدة لبثهم في الدنيا لما عاينوا من أطول كقوله لم يلبثوا الساعة من نهار وقوله قالوا البشايوما أو بعض يوم وإنما صحت اضافة الضحى إلى العشى للملاسة بينهما لاجتماعهما في نهار واحد والمراد ان مدة لبثهم لم يبلغ يوماً كاملاً ولكن أحدث في النهار عشيته أوضحاها والله أعلم

﴿سورة عبس مكية وهي اثنتان وأربعون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (عبس) كالح أي النبي صلى الله عليه وسلم (وتولى) أعرض (أن جاءه) لأن جاءه ومجمله نصب لأنه مفعول له والعمل فيه عبس أو تولى على اختلاف المذهبين (الاعمى) عبد الله بن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه وأبوه شريح بن مالك أي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعوا شراف قر يش إلى الاسلام فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغل به القوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعدها ويقول من حباي من عابني في ربي (٣٧٩) واستخلفه على المدينة مرتين (وما يدركك)

وأى شيء يجعلك داريا حال هذا العمى (لعله يزكى) لعل العمى يتطهر بما يسمع منك من دنس الجهل وأصله يزكى وأدغمت انتاء في الزاى وكذا (أو يدرك) يتعظ (فتنفعه) نصبه عاصم غير الاعشى جوابا لعل وغيره رفعه عطفا على يدرك (الذكرى) ذكرك أى موعظتك أى أنك لا تدري ما هو مترقب منه من ترك أو تذكر ولو دريت ما فرط ذلك منك (أما من استغنى) أى من كان غنيا بالمال (فانت له تصدى) تتعرض بالاقبال عليه حرصا على إيمانه تصدى بادغام التاء فى الصاد تخجazy (وما عليك إلا يزكى) وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالاسلام ان عليك الابلاغ (وأما من جاءك يسعى) يسرع فى طلب الخير (وهو يخشى) الله أو الكفار أى إذا هم فى آياتك أو الكبوة كعادة العميان (فانت عنه تلهى)

﴿تفسير سورة عبس مكية﴾

وهي إحدى وأربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وخمسة وثلاثون وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (عبس وتولى) أى كالح وقطب وجهه وتولى أى أعرض بوجهه (أن جاءه العمى) يعنى ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم بن زهرة بن رواحة القرشي الفهرى من بني عامر بن لؤى واسم أمه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد أسلم قديما بمكة وذلك أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يناجى عتبة ابن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبي بن خلف وأخاه أمية بن خلف ويدعوهم إلى الله يرجوا سلامهم فقال ابن أم مكتوم يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله وجعل بناديه ويكرر النداء وهو لا يدري أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما تبعه الصبيان والهييد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله هذه الآيات معاتباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه إذا رآه ويقول من حباي من عابني في ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين وكان من المهاجرين الأتباع وقيل قتل شهيداً بالقادسية قال أنس رأيت يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء عن عائشة رضيت الله تعالى عنها قالت أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم العمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله أرشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عظاما فر يش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخرين ويقول أتري بما أقول بأسا فيقول لا في هذا أنزلت أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (وما يدركك) أى أى شيء يجعلك داريا (لعله يزكى) أى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك (أو يدرك) أى يتعظ (فتنفعه الذكرى) أى الموعظة (أما من استغنى) قال ابن عباس عن الله وعن الإيمان بما له من المال (فانت له تصدى) أى تتعرض له وتقبل عليه وتصفي إلى كلامه (وما عليك إلا يزكى) أى لا يؤمن ولا يهتدى وإنما عليك البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يعنى يسعى يعنى ابن أم مكتوم (وهو يخشى) أى الله عز وجل (فانت عنه تلهى) أى تشاغل وتعرض عنه (كلا) أى لا تفعل بعدها مثلها (إنها) يعنى الموعظة وقيل آيات القرآن (تذكره) أى موعظة للخلق (فمن شاء) أى من عباد الله (ذكره) أى اتعظ به يعنى القرآن ثم وصف جلاله القرآن ومجمله عنده فقال عز وجل (في صحف مكرمة) يعنى القرآن فى اللوح المحفوظ (مر فوعة) أى رفيعه القدر عند الله وقيل مر فوعة فى السماء السابعة (مطهرة) يعنى الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة (بايدى سفرة) قال ابن عباس يعنى كتبه وهم الملائكة الكرام

تتشاغل وأصله تلهى وروى انه ما عبس بعدها فى وجه فقير قطولا تصدى لغنى وروى ان الفقراء فى مجلس الشورى كانوا أمراء (كلا) ردع أى لا تعد إلى مثله (إنها) ان السورة والآيات (تذكره) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) فمن شاء أن يذكره ذكره وذكره الضمير لان التذكرة فى معنى الذكر والوعظ والمعنى فمن شاء الذكرا ألهمه الله تعالى إياه (فى صحف) صفة التذكرة أى أنها مثبتة فى صحف منسوخة من اللوح أو خبر مبتدأ محذوف أى هي فى صحف (مكرمة) عند الله (مر فوعة) فى السماء أو مر فوعة القدر والمنزلة (مطهرة) عن مس غير الملائكة أو عمن ليس من كلام الله (بايدى سفرة) كتبه جمع سافر أى الملائكة ينسخون الكتب من اللوح

(كرام) على الله أو عن المعاصي (بررة) أتقياء جمع بار (قتل الانسان) لعن الكافر أو هو أمية أو عتبه (مأ كفرة) استفهام تو بيع أي أي شيء حمله على الكفر أو هو تجب أي ما أشد كفرة (من أي شيء خلقه) من أي حقير خلقه وهو استفهام ومعناه التقير بر ثم بين ذلك النبي فقال (من نطفة خلقه فقدره) على (٣٨٠) ما يشاء من خلقه (ثم السبيل يسره) نصب السبيل باضمار يسر أي ثم سهل له سبيل

الخروج من بطن أمه أو بين له سبيل الخير والشر ثم أماته فاقبره جعله ذاقبر يوارى فيه لا كالبهايم كرامة له قبر الميت دفنه وأقبر الميت أمره بان يقبره ومكنه منه (ثم اذا شاء أنشره) أحياء بعد موته (كلا) ردع للانسان عن الكفر (لما يقض ما أمره) لم يفعل هذا الكافر ما أمره الله به من الايمان ولما عدد النعم في نفسه من ابتداء حدوده الى أن انتهت أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) الذي يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره (أنا) بالفتح كوفي على أنه بدل اشتغال من الطعام وبالكسر على الاستنفاف غيرهم (صبينا الماء صبا) يعني المطر من السحاب (ثم شققنا الارض شقا) بالنبات (فانبتنا فيها حبا) كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به (وعنبا) ثمرة الكرم أي الطعام والفا كهة (وقضبا) رطوبة سمي بمصدر قضبه أي قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة

الكاثون واحد منهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة الى الانبياء واحد منهم سفير ثم أتني عليهم بقوله (كرام) أي هم كرام على الله (بررة) أي مطيعين له جمع بار قوله عز وجل (قتل الانسان) أي لعن الكافر وطرده (مأ كفرة) أي ما أشد كفرة بالله مع كثرة احسانه اليه وأياديه عنده وهذا على سبيل التعجب أي اعجبوا من كفرة وقيل معناه أي شيء حمله على الكفر نزلت هذه الآية في عتبه ابن أبي لهب وقيل في أمية بن خلف وقيل في الذين قتلوا يوم بدر وقيل الآية عامة في كل كافر ثم بين من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم ان الله تعالى خالقه منه فقال تعالى (من أي شيء خلقه) لفظه استفهام ومعناه التقير بر ثم فسر ذلك فقال تعالى (من نطفة خلقه فقدره) يعني خلقه أطوار انطفة ثم علقته ثم مضغه الى آخر خلقه وقيل قدره يعني خالق رأسه وعينه ويديه ورجليه على قدر ما أراد (ثم السبيل يسره) أي سهل له طريق خروجه من بطن أمه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل أحد ما خاق له وقدر عليه (ثم أماته فاقبره) أي جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور وأقبره معناه صيره الله بحيث يقبر وجعله ذاقبر يدفن فيه وهذه تكملة لتبني آدم على سائر الحيوانات ثم قال تعالى (ثم اذا شاء أنشره) أي أحياء بعد موته لا يبعث والحساب وانما قال تعالى ثم اذا شاء أنشره لان وقت البعث غير معلوم لاحد فهو الى مشيئة الله تعالى متى شاء أن يحيي الخلق أحياءهم (كلا) ردع وزجر للانسان عن تكبره وتجبده وترفعه وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وانكار البعث والحساب (لما يقض ما أمره) أي لم يفعل ما أمره به ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فانه موضع الاعتبار فقال تعالى (فلينظر الانسان الى طعامه) الى قدرته به فيه أي كيف قدره ربه ويسره وودبره وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى (انا صبينا الماء صبا) يعني المطر (ثم شققنا الارض شقا) أي بالنبات (فانبتنا فيها) أي بذلك الماء (حبا) يعني الحبوب التي يتغذى بها الانسان (وعنبا) يعني انه غذاء من وجهه وفا كهة من وجهه فلان أتبعه الحب (وقضبا) يعني الفت وهو الرطب سمي بذلك لانه يقضب أي يقطع في كل الايام وقيل القضب هو العلف كاه الذي تعاف به الدواب (وزيتونا) وهو ما يعصر منه الزيت (ونخلنا وحدائق) جمع حديقة (غلبا) يعني غلاظ الاشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه على بعض وقال ابن عباس طوالا (وفا كهة) يعني جميع ألوان الفا كهة (وأبا) يعني الكلا والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب والانعام وقيل الفا كهة ما يأكله الناس والاب ما يأكله الدواب وقال ابن عباس ما أنبتت الارض مما يأكل الناس والانعام روى ابراهيم التيمي ان ابا بكر سئل عن قوله وفا كهة وأبا فقال أي سماء تظلي وأي أرض تقاني اذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم (خ) عن أنس ان عمر قرأ وفا كهة وأبا قال فما الاب ثم قال ما كلفنا أو قال ما أمرنا بهذا لفظ البخاري وزاد غيره ثم قال أتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب وما لا فدعوه (متاعا لكم) يعني الفواكه والحب والعشب منفعلة لكم (ولانعامكم) ثم ذكر أحوال القيامة فقال تعالى (فاذا جاءت الصاخة) يعني صيحة القيامة سميت صاخة لانها تصخ أسماع الخلق أي تبالغ في أسماعهم حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه) وأبيه وصاحبه وبنيه) أي انه لا يلتفت الى واحد من هؤلاء اشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد

(وزيتونا ونخلنا وحدائق) بساين (غلبا) غلاظ الاشجار جمع غلباء (وفا كهة) لكم (وأبا) مرعى لدوابكم (متاعا) والسبب مصدر أي منفعلة لكم ولانعامكم فاذا جاءت الصاخة صيحة القيامة لانها تصخ الآذان أي تصمها وجوابه محذوف لظهوره (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) لتباعد بينه وبينهم أو لاشتغاله بنفسه (وصاحبه) وزوجته (وبنيه) بدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم أحب قيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبو يه ابراهيم ومن صاحبه نوح ولوط ومن ابنة نوح

(لكل امرئ منهم يومئذ شأن) في نفسه (بغنيه) يكفيه في الآهتمام به وبشغله عن غيره (وجوه يومئذ مسفرة) مضئمة من قيام الليل أو من آثار الوضوء (ضاحكة مستبشرة) أي أصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون (٣٨١) ضاحكون مسرورون (وجوه يومئذ عليها غبرة) غبار (ترهقها فتره) ترهقها فتره

والسبب في ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالأخ بقول ما واصلني بمالك والابوان بقولان قصرت في بنا والصاحبة تقول لم توفني حق والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا وقيل أول من يفرها بيل من أخيه قاييل والنبي صلى الله عليه وسلم من أمه و إبراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه ولوط من صاحبتة ونوح من أبيه وقيل يفر المؤمن من موالاته هؤلاء ونصرتهم والمعنى ان هؤلاء الذين كانوا يقر بونهم في الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون بهم يفر من منهم في الدار الآخرة وفائدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من أخيه بل من أبويه لانهم ما أقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولدان تعلقه بهما أشد من تعلقه بالابوين (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أي يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلافتات امرأة أيبصر أحدنا أو يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة وأهوالها بين حال المكافين وانهم على قسمين منهم السعداء والاشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة) أي مشرقة مضئمة من أسفرا أصبح اذا أضاء وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من أثر الوضوء وقيل من الغبار في سبيل الله (ضاحكة) أي عند الفراغ من الحساب (مستبشرة) أي بالسرور فرحة بما تنال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقياء فقال تعالى (وجوه يومئذ عليها غبرة) أي سواد وكا به اللهم الذي نزل بهم (ترهقها فتره) أي تعلوها وتغشاها ظمة وكسوف وقال ابن عباس تغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان أسفل في الارض والقترة ما ارتفع من الغبار فلهذا قال بالسماء (أولئك) أي الذين صنع بهم هذا (هم الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة التكوير مكية﴾

وهي تسع وعشرون آية ومائة وأربع كلمات وخمسة وثلاثون حرفا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت أخرجه الترمذي

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ قوله عز وجل (اذا الشمس كورت) قال ابن عباس أظلمت وغورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة وأصل التكوير جمع بعض الشيء الى بعض ومعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل ذلك به اذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم بعث عليهم يحاد بورا فتضربها فتصير ناراً (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر جادان فانقاؤهما في النار يكون سببا لزيادة الحرف في جهنم (واذا النجوم انكدرت) أي تناثرت من السماء وسقطت على الارض قال الكبي وعطاء تظير السماء يومئذ نجومها فلا يبقى نجم الا وقع (واذا الجبال سيرت) أي عن وجه الارض فصارت هباء منثورا (واذا العشار عطلت) يعني النوق الحوامل التي آتى عليها عشرة أشهر من حملها واحدتها عشرة ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتنام سنة وهي أنفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت حملها بلاراع أهملها أهلها وقد كانوا الازمين لاذنابها ولم يكن مال أعجب اليهم منها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة (واذا الوحوش) يعني من دواب البر (حشرت) أي جمعت يوم القيامة ليقبض بعضهم من بعض وقال ابن عباس حشرتهم موتها

وكانوا يحسبونها اذا بلغت هذه الحالة لعزمتهم عندهم ويعطون مادونها عطلت بالتحفيف عن البيهقي (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينهاردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبي آدم كاطاوس ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما حشرتهم موتها يقال اذا أجمعت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة

غبار (ترهقها فتره) ترهقها فتره  
يعاها الغبرة سواد كالسخان  
ولا ترى أو حش من اجتماع  
الغبرة والسواد في الوجه  
(أولئك) أهل هذه الحالة  
(هم الكفرة) في حقوق  
الله (الفجرة) في حقوق  
العباد ولما جمعوا الفجور  
الى الكفر جمع الى سواد  
وجوههم الغبرة والله أعلم  
﴿سورة التكوير مكية﴾  
وهي تسع وعشرون آية  
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾  
(اذا الشمس كورت) ذهب  
بضوءها من كورت العمامة  
اذا لففتها أي يلف ضوءها  
لقا فيذهب انبساطه  
وانتشاره في الآفاق وارتفاع  
الشمس بالفاعلية وارتفاعها  
فعل مضمر بفسره كورت  
لان اذا يطلب الفعل لما فيه  
من معنى الشرط (واذا  
النجوم انكدرت)  
تساقطت (واذا الجبال  
سيرت) عن وجه الارض  
وأبعدت أو سيرت في الجو  
تسيير السحاب (واذا  
العشار) جمع عشاء وهي  
الناقة التي آتى على حملها  
عشرة أشهر ثم هو اسمها  
الى أن تضع لتنام السنة  
(عطلت) أهملت عطلها  
أهلها لاشتغالهم بانفسهم



(واذا البحار سجرت) سجدت مكى وبصرى من سجد الثنور اذا ملاءه بالخطب أى ملئت وخجر بعضها الى بعض حتى تعود ببحر او احد او قيل ملئت نيرا بالتعذيب أهل النار (واذا النفوس زوجت) قرنت كل نفس بشكها الصالح مع الصالح في الجنة والطالح مع الطالح في النار وقرنت الارواح بالاجساد أو بكتبها وأعمالها و (٣٨٢) نفوس المؤمنين بالخور العين ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموءودة المدفونة

حياة وكانت العرب تشد البنات خشية الاملاق وخوف الاسترقاق) (سئلت) سؤال تطلق لتقول بلا ذنب قتلت أو لتسدل على قاتلها وهو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله أنت قلت للناس الآية) (بأى ذنب قتلت) وبالتشديد يزيد وفيه دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يكون بلا ذنب (واذا الصحف نشرت) فتحت وبالتخفيف مدنى وشامى وعاصم وسهل ويعقوب والمراد صحف الاعمال تطوى بحقيقة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب ويجوز ان يراد نشرت بين أصحابها أى فرقت بينهم (واذا السماء كسحت) قال الزجاج قلعت كما يقلع السقف (واذا الجحيم سعرت) أو قذت ايقاد اشديد او بالتشديد شامى ومدنى وعاصم غير حماد ويحيى للمبالغة (واذا الجنة أزلقت) أدنيت من المتقين كقوله وأزلقت الجنة للمتقين غير بعيد فهذه اثنتا عشرة خصلة

قال وحشر كل شئ بموته غير الجن والانس فانهم ما يوقفان يوم القيامة (واذا البحار سجرت) قال ابن عباس أو قذت فصارت نار انضطرم وقيل فجر بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها ببحر او احد او قيل صارت مياهها من حميم أهل النار وقيل سجرت أى يست وذهب ماؤها فلم تبق فيها قطرة قال أبى بن كعب ست آيات قبل يوم القيامة بينا الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فيبيناهم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فيبيناهم كذلك اذ تنسأرت النجوم فتحركت واضطربت وفزعت الانس والجن واختلطت الدواب والظبير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت حينئذ تقول الجن للانس نحن نأتىكم بالخير فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تأجج فيبيناهم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فيبيناهم كذلك اذ جاءتهم ريح فاما تمهم وعن ابن عباس قال هى اثنتا عشرة خصلة ستة فى الدنيا وستة فى الآخرة وهى ما ذكر بعده وهو قوله تعالى (واذا النفوس زوجت) روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار وقيل ألحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس أعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالخور العين وقرنت نفوس الكافر بن بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح الى الاجساد (واذا الموءودة سئلت) بعنى الجارية الذى دفنت وهى حية سميت بذلك لما طرح عليها من التراب فيؤدها أى ينقلها حتى تموت وكانت العرب تفعل ذلك فى الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة وروى عن ابن عباس قال كانت المرأة فى الجاهلية اذا حلت وكان أو ان ولادتها حفرت حفيرة فتمحضت على رأس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها فى الحفيرة واذا ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل فى الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد بقاءها حية ألبسها حبة صوف أو شعر وتركها ترعى الابل والغنم فى البادية واذا أراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبىها وزينىها حتى أذهب بها الى اجائها وقد حفر بئر فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها فاذا نظرت دفعها من وراءها ويهبل عليها التراب حتى تستوى بالارض عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائد والموءودة فى النار أخرجه أبو داود وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد ولم يشد فافتخر به الفرزدق فى شعره فقال

ومنا الذى منع الوائدات \* وأحيا الوئيد فلم توأد

(بأى ذنب قتلت) معناه تسئل الموءودة فيقال لها بأى ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب (واذا الصحف نشرت) يعنى صحائف الاعمال تنشر للحساب (واذا السماء كسحت) أى نزلت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كسحت وأزيلت عن من فيها (واذا الجحيم سعرت) أو قذت لاعداء الله تعالى (واذا الجنة أزلقت) أى قربت لاولياء الله (علمت نفس ما أحضرت) يعنى عند ذلك تعلم كل نفس ما أحضرت من خير أو شر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى هنا قوله عز وجل (فلا أقسم) لازائدة والمعنى أقسم وقد تقدم ذلك فى قوله لا أقسم بيوم القيامة (بالخنس الجوار الكنس) يعنى النجوم تبدى بالليل فتظهر

سته منها فى الدنيا والباقيسة فى الآخرة ولا وقف مطلقا من أول السورة الى ما أحضرت لان عامل النصب فى اذا الشمس وفيما عطف عليه جواها وهو (علمت نفس) أى كل نفس ولضرورة انقطاع النفس على كل آية جوز الوقف (ما أحضرت) من خير أو شر (فلا أقسم) لازائدة (بالخنس) بالراجع بيناترى النجم فى آخر البرج اذ كرر اجعا الى أوله (الجوار) السيارة (الكنس) الغيب من كدس الوحش اذ ادخل كمناسه قيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطار والزهرة والمشتري تجرى مع الشمس

وتخاس

والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخورسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب (والليل اذا عسعس) اقبل بظلامه أو أدبر فهو من الاضداد (والصبح اذا تنفس) (٣٨٣) امتد ضوءه ولما كان اقبال الصبح بلازمه

الروح والنسيم جعل ذلك نفسانه مجازا وجواب القسم (انه) أى القرآن (لقول رسول) أى جبريل عليه السلام وانما اضيف القرآن اليه لانه هو الذى نزل به (كريم) عند ربه (ذى قوة) قدرة على ما يكلف لا يجهز عنه ولا يضعف (عند ذى العرش) عند الله (مكنين) ذى جاه ومنزلة ولما كانت حال المكاة على حسب حال المكنين قال عند ذى العرش ليدل على عظم منزلته ومكاته (مطاع ثم) أى فى السموات يطيعه من فيها وعند ذى العرش أو عند الله يطيعه ملائكته والمقربون يصدرون عن أمره ويرجعون الى رايه (أمين) على الوحي (وما صاحبكم) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما زعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم (ولقد رآه) رأى محمد جبريل عليه السلام على صورته (بالافق المبين) بمطلع الشمس (وما هو على الغيب) وما محمد على الوحي (بضنين) ببخيل من الضن وهو البخل لا يبخل بالوحي

وتخس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روى عن علي بن أبي طالب وقيل هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخس فى مجاريها أى ترجع وراءها فى الفلك وتكس أى تستر وقت اختفائها وقيل انها تخس أى تتأخر عن مطالعها والسكنس معناه انها لا ترى بالنهار وقيل هي الطباء وهي رواية عن ابن عباس وأصل الخنوس الرجوع الى وراء والسكنوس هو أن تأوى الى كناسها وهو الموضع الذى بأوى اليه الوحش (والليل اذا عسعس) أى اقبل بظلامه وقيل أدبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون فى طرف الليل (والصبح اذا تنفس) أى اقبل وبدا أوله وقيل أسفر وفى تنفسه قولان أحدهما أن فى اقبال الصبح روحا ونسما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثانى أنه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا تنفس وجد راحة فكانه تخلص من الحزن فعبّر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (انه) يعنى القرآن (لقول رسول كريم) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام والمعنى ان جبريل نزل به عن الله عز وجل (ذى قوة) وكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الاسود ووجدها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه أبصر ابليس يكلم عيسى عليه الصلاة والسلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفضه بجناحه نفحة ألقاه الى أقصى جبل بالهند وانه صاح صبحه ثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد فى أسرع من ردا الطرف (عند ذى العرش مكنين) أى فى المنزلة والجاه (مطاع ثم) أى فى السموات تطيعه الملائكة من طاعة الملائكة له أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله (أمين) يعنى على وحى الله تعالى الى أنبيائه (وما صاحبكم) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة (بمجنون) وهذا أيضا من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به جبريل وأن محمد صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقول أهل مكة وذلك أنهم قالوا انه مجنون وأن ما يقوله ليس هو الا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون وكون القرآن من عند نفسه (ولقد رآه) يعنى رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التى خاق فيها (بالافق المبين) يعنى بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام انى أحب أن أراك فى صورتك التى تكون فيها فى السماء قال ابن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان تخيل لك قال بالابطح قال لا يعنى ذلك قال فبمنى قال لا يعنى ذلك قال فبعرفات قال لا يعنى ذلك قال بحراء قال ان يعنى فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت فاذا هو بجبريل قد اقبل من حياض عرفات بمخشخة وكسكة قد ملاما بين المشرق والمغرب ورأسه فى السماء ورجلاه فى الارض فلم يراه النبي صلى الله عليه وسلم خرمغشيا عليه فتحول جبريل عن صورته وضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لورأت اسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاء لحيانا من مخافة الله جل جلاله وعلا علاؤه وشأنه حتى يصير كالعصو يعنى العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الاعظمته (وما هو) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (على الغيب) أى الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عن عامه من القصص والانباء (بظنين) قرى باطاء ومعناه بمتهم والمظنة التهمة وقرى بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول انه يأتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم وبخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عده حتى يأخذ عليه حوايا وهو أجرة الكاهن وقراءة الفناء أولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله

كايبخل الكهان وغيبته فى الخوان بل يعامه كما علم ولا يكتم شيئا مما علم بظنين مكى وأبو عمر وروى على أى منهم فينقص شيئا مما أوحى اليه أو يزيد فيه من الظن وهي التهمة

٣ قوله فبعرفات الخ كذا بالنسخ بايدى ناو فى الخطيب قال فبعرفات قال ذلك بالخرى ان يعنى اه مصحح

(وما هو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) طر يدوهو كقولوه وما نزلت به الشيطان أى ليس هو بقول بعض المستترقة للسمع وبوجههم الى أولياتهم من الكهنة (فاين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعسفاً وذها باني بنيات الطر يق أين تذهب مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدو لهم عنه الى الباطل وقال الزجاج معناه فأى طر يق تسلكون أى من هذه الطر يقة التى بنت لكم وقال الجنيد فأين تذهبون أعناوان من شئ الاعندنا (٣٨٤) (ان هو الاذ كر للعالمين) ما القرآن الاعظة للخلق (لن شاء منكم) بدل من العالمين (أن

يستقيم) أى القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة يعنى ان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول فى الاسلام هم المنتفعون بالذ كر فكاه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا مسوعظين جميعا (وما تشاؤن) الاستقامة (الا أن يشاء الله رب العالمين) مالك الخلق أجمعين

عنه تلك النعمة ولو أراد البخل لقال وما هو بالغيب (وما هو) يعنى القرآن (بقول شيطان رجيم) يعنى أن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كقالت قر يش وقيل كانوا يقولون ان شيطاناً يلقيه على لسانه فنى الله ذلك عنه (فاين تذهبون) فاين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى والبيان وقيل معناه أى طر يق تسلكون أى من هذه الطر يقة التى قد بنت لكم (ان هو) يعنى ما فى القرآن (الاذ كر للعالمين) أى موعظة للخلق أجمعين (لن شاء منكم أن يستقيم) أى يتبع الحق ويقم عليه وينتفع به ثم بين أن مشيئة العبد موقوفة بمشيئته فقال تعالى (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) أعلمهم الله أن المشيئة فى التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يقدررون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه اعلام ان أحد الايعمل خير الا بتوفيق الله تعالى ولاشرا الا بخذ لانه ومشيئته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الانفطار مكية

وهى تسعة عشرة آية وثمانون كلمة وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (إذا السماء انفطرت) أى انشقت (وإذا الكواكب انتثرت) أى تساقطت (وإذا البحار فجرت) أى جفرت بعضها فى بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحراً واحداً وقيل معنى جفرت فاضت (وإذا القبور بعثرت) أى بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء (علمت نفس ما قدمت وأخرت) يعنى علمت فى ذلك اليوم ما قدمت من عمل صالح أو سيئ وأخرت بعدها من حسنة أو سيئة وقيل ما قدمت من الصدقات وأخرت من الزكوات وهذه أحوال يوم القيامة قوله عز وجل (يا أيها الانسان ما غرك بركم الكريم) أى ما خدعك وسول لك الباطل حتى صنعت ما صنعت وضيعت ما أوجب عليك والمعنى ماذا أمك من عقابه قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل فى أى الشريق واسمه أسيد بن كادة وقيل كادة بن خلف وكان كافراً ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وأنزل الله هذه الآية وقيل الآية عامة فى كل كافر وعاص يقول ما لى غرك قيل غره حقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفواً والله عنه حيث لم يعاجله بالعقوبة فى أول مرة بركم الكريم أى المتجاوز عنك فهو بكره ملك لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة لرجاء التوبة قال ابن مسعود ما منكم من أحد الا سيخول الله عز وجل به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم ما غرك بى يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبتم المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة فيقول لك يا ابن آدم ما غرك بركم الكريم ماذا كنت تقول قال أقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامنى بين يديه وقال ما غرك بى أقول غرني برك بى سالفواً نفاً وقال أبو بكر الوراق لو قال لى ما غرك بركم الكريم لقلت غرني كرم الكريم وقال بعض أهل الإشارة وإنما قال بركم الكريم دون سائر أسمائه وصفاته لأنه لفته بحجته فى الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم (الذى خالقك) أى أوجدك من العدم الى الوجود (فسواك) أى جعلك سوياً سالم الاعضاء تسمع وتبصر (فعدلك) أى عدل خلقك فى مناسبة الاعضاء فلم يجعل بعضها أطول من بعض وقيل معناه جعلك قائماً معتدلاً حسن

سورة الانفطار مكية

وهى تسعة عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا السماء انفطرت) انشقت (وإذا الكواكب انتثرت) تساقطت (وإذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض وصارت البحار بحراً واحداً (وإذا القبور بعثرت) بحثت وأخرج موتاهم وجواب اذا (علمت نفس) أى كل نفس برة وفاجرة (ما قدمت) ما عملت من الطاعة (وأخرت) وتركت ولم تعمل أو ما قدمت من الصدقات وما أخرت من الميسرات (يا أيها الانسان) قيل الخطاب لمنكرى البعث (ما غرك

الصورة

برك الكريم الذى خلقك) أى شئ خدعك حتى ضيعت ما أوجب عليك مع كرم برك حيث أنعم عليك بالخلق

والتسوية والتعديل وعنه عليه السلام حين تلاها غره جهله وعن عمر رضى الله عنه غره حقه وعن الحسن غره شيطانه وعن الفضيل لو خوطبت أقول غرني ستورك المرخاة وعن يحيى بن معاذ أقول غرني برك بى سالفواً نفاً (فسواك) جعلك مستوى الخلق سالم الاعضاء (فعدلك) فصبرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى ولا بعض الاعضاء

أبيض وبعضها أسود وجعلك معتدل الخلق نمشي قائماً لا كالبهائم وبالتخفيف كوفي رهو بمعنى المشدد أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدت فكنت معتدل الخلق متناسبا (في أي صورة ماشاء ربك) ما مز يد للتوكيد أي ربك في أي صورة اقتضتها مشيئة من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر ولم يعطف هذه الجملة كما عطف ما قبلها لأنها بيان عدلك والجار يتعلق بربك على معنى وضعك في بعض الصور ومكانك فيها أو بمحدوف أي ربك حاصل في بعض الصور (٣٨٥) (كلا) ردع عن الغفلة عن الله تعالى (بل

تكدبون بالدين) أصلا وهو الجزاء أو دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا (وان عليكم لحافظين) أعمالكم وأقوالكم من الملائكة (كراما كاتبين) يعني أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها (يعامون ما يفعلون) لا تخفي عليهم شيء من أعمالكم وفي تعظيم الكتابة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الامور وفيه انذار وتهويل للمجرمين واطف للمؤمنين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين (ان الابرار لفي نعيم) ان المؤمنين لفي نعيم الجنة (وان الفجار لفي عذاب عظيم) وان الكفار لفي عذاب النار (يسألونها يومئذ وما يسمعون) وما يدخلونها يوم الجزاء (وما هم عنها بغائبين) أي لا يخرجون منها كقولهم وما هم بخارجين منها ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (وما أدراك ما يوم الدين) ثم ما

الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية (في أي صورة ماشاء ربك) أي في أي شبه من أب وأم أو خال أو عم وجاء في الحديث ان النطفة اذا استقرت في الرحم أحضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ في أي صورة ماشاء ربك وقيل معناه ان شاء ربك في صورة انسان وان شاء في صورة دابة أو حيوان وقيل في أي صورة ماشاء ربك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفي هذه دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك انه لما اختلف الهيئات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وان المدبر المختار هو الله تعالى ﴿ قوله عز وجل (كلا بل تكذبون بالدين) أي بيوم الحساب والجزاء (وان عليكم لحافظين) يعني رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم (كراما) أي على الله (كاتبين) أي يكتبون أقوالكم وأعمالكم (يعامون ما يفعلون) يعني من خيرا وشر ﴿ قوله عز وجل (ان الابرار) يعني الذين يروا وصدقوا في ايمانهم بآداء ما افترض الله عليهم واجتناب معاصيه (لفي نعيم) يعني نعيم الجنة (وان الفجار لفي عذاب عظيم) روى أن سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المزني ليت شعري مالنا عند الله فقال له اعرض عمالك على كتاب الله فانك تعلم مالك عند الله قال أين أجد ذلك في كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي عذاب عظيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين (يسألونها يوم الدين) يعني يوم القيامة لانه يوم الجزاء (وما هم عنها بغائبين) أي عن النار ثم عظم شأن ذلك اليوم فقال تعالى (وما أدراك ما يوم الدين) قيل مخاطب بذلك هو الكافر وهو على وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى أي شيء أعلمك به لولم تعرفك أحواله (ثم ما أدراك ما يوم الدين) التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شأنه (يوم لا تعلمك نفس لنفس شيئا) أي لا تعلمك نفس كافر لنفس كافر شيئا من المنفعة (والامر يومئذ لله) يعني أنه لم يملك الله في ذلك أحدا شيئا كمالهم في الدنيا والله أعلم

﴿ تفسير سورة المطففين مدنية ﴾  
في قول ومكية في قول وقيل فيها ثمان آيات مكية وهي من قوله ان الذين أجمعوا الى آخرها وقيل فيها آية مكية وهي قوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة زمن الهجرة وهي ست وثلاثون آية ومائة وتسع وستون كلمة وسبع مائة وثلاثون حرفا ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل (ويل) أي قبح وهي كلمة تذكروا عند وقوع البلاء يقال ويل له ويل عليه وقيل ويل اسم واد في جهنم (للمطففين) يعني الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لا يكاد المطفف يسرق في الكيل والوزن الا الشيء اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أحب الناس كيلا فانزل الله عز وجل ويل للمطففين فاحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بهار جيل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل باحد هما ويكتال بالآخر فانزل الله هذه الآية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى (الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون)

(٤٩ - (خازن) - رابع) أدراك ما يوم الدين) فكرر لتأكيد التهويل وبينه بقوله (يوم لا تعلمك نفس لنفس شيئا) أي لا تستطيع دفعها عنها ولا نفعها لوجه وانما تملك الشفاعة بالاذن يوم بالرفع مكي وبصرى أي هو أو بدل من يوم الدين ومن نصب فباضها راذ كرا أو باضها راذ لان الدين بدل عليه (والامر يومئذ لله) أي لا أمر الا لله وحده فهو القاضى فيه دون غيره ﴿ سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ويل) مبتدأ خبره (للمطففين) الذين يبخسون حقوق الناس في الكيل والوزن (الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون) أي اذا اخذوا بالكيل من الناس ياخذون حقوقهم وافية تامة ولما كان اکتالهم

من الناس ا كتيه الايضرهم ويتعامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق على يستوفون و يقدم المفعول على الفعل لافادة الاختصاص أى يستوفون على الناس خاصة وقال القراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضوع لانه حق عليه فاذا قال ا كتلت عليك فكأنه قال أخذت ماعليك واذا قال ا كتلت منك فكأنه قال استوفيت منك والضمير المنصوب في (واذا كالوهم أو وزنوهم) راجع الى الناس أى كالوهم أو وزنوهم فذف (٣٨٦) الجار وأصل الفعل وانما لم يقل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهم ا كشفاء ويحتمل ان

المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ووزن الابل ما يكال لتمكنهم بالا كتيال من الاستيفاء والسرقه لانهم يدعون ويحتالون في الملء واذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين (بخسرون) ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره (الأيظن أو لئك) أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة أدخل حمزة الاستفهام على لا النافية تو يبحاولست ألا هذه للتنبية وفيه انكار وتجبب عظيم من حالهم في الاجترأ على التطفيف كأنهم لا يحطرون بباطهم ولا يخمنون تخميناتهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولو ظنوا أنهم يبعثون ما تنصوا في الكيل والوزن وعن عبد الملك بن مروان أن اعرايا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين ا أراد بذلك ان المطفف قد تو جه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به فحافظك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا

يعنى أنهم اذا ا كتالوا من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا ا كتالوا من الناس أى اشتر واشياً استوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن (واذا كالوهم أو وزنوهم) يعنى واذا كالوا لهم أو وزنو لهم للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك (بخسرون) أى ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع الى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى أهلها قبلت تو بته ومن فعل ذلك وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهى مبنية على أمر الكيل والوزن والذرع فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له اتق الله أوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما تحب أن يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيامة (الأيظن) أى الأيعلم ويستيقن (أو لئك) أى الذين يفعلون هذا الفعل وهم المطففون (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة (يوم يقوم الناس) يعنى من قبورهم (رب العالمين) أى لامره وجزائه وحسابه (ق) عن نافع ان ابن عمر تلا الأيظن أو لئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس رب العالمين قال يقوم أحدهم فى رشحه الى انصاف أذنيه وروى مرفوعا (م) عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ندنو الشمس من رؤس الخلائق يوم القيامة حتى تكون منهم كقدار ميل زاد الترمذى أو ميلين قال سليم بن عامر والله ما درى ما يعنى بالميل مسافة الارض أو الميل تكتحل به العين قال فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه الى فيه قوله عز وجل (كلا) قيل انه ردع وتنبية أى ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فايرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا (ان كتاب الفجار) أى الذى كتبت فيه أعمالهم (لنى سجين) قال ابن عمر هى الارض السابعة السفلى وفيها أرواح الكفار وروى البغوى باسناد الثعلبى عن البراءة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع أرضين وعليون فى السماء السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال أخبرنى عن قول الله عز وجل ان كتاب الفجار لنى سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهب بها الى الارض فتأبى أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهى بها الى سبعين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سبعين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس يعرفها الهلاك بحساب يوم القيامة وقيل هى صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها فتقاب ويحمل كتاب الفجار تحتها قال وهب هى آخر سلطان ابليس وجاء فى الحديث الفلق جب فى جهنم مقطى وسجين جب فى جهنم مفتوح وقيل معناه لنى سجين لنى خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لنى حبس وضيق شديد (وما أدراك ما سجين) أى ايس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين (كتاب

كيل ولا وزن ونصب (يوم يقوم الناس) بمبعوثون (رب العالمين) لامره وجزائه وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعدها (كلا) ردع وتنبية أى ردهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم فقال (ان كتاب الفجار) صحائف أعمالهم (لنى سجين وما أدراك ما سجين كتاب

مرقوم) فان قلت فبدأ خبر الله عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجيناً بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشرودن الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه انه لاخبر فيه من رقم الثياب علامتها والمعنى ان ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمى سجيناً فعلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم أولاً لانه مطروح تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته وهو اسم علم منقول من وصف حكاه منصور (٣٨٧) لوجود سبب واحد وهو العالمية فاسب

(ويل يومئذ) يوم يخرج  
المكتوب (للمكذبين  
الذين يكذبون بيوم  
الدين) الجزاء والحساب  
(وما يكذب به) بذلك  
اليوم (الا كل معتد) مجاوز  
للحد (أئيم) مكذب  
للأثم (اذ اتلى عليه آياتنا)  
أى القرآن (قال أساطير  
الاولين) أى أحاديث  
المتقدمين وقال الزجاج  
أساطير أباطيل واحدها  
أسطورة مثل أحذوثة  
وأحاديث (كلا) ردع  
للمعتدى الأئيم عن هذا  
القول (بل) نفي لما قالوا  
ويقف حفص على بل وقيفة  
(ران على قلوبهم ما كانوا  
يكسبون) غطاها كسبهم  
أى غلب على قلوبهم حتى  
غمرها ما كانوا يكسبون  
من المعاصي وعن الحسن  
الذنب بعد الذنب حتى  
يسود القلب وعن الضحاك  
الرين موت القلب وعن  
أبي سايان الرين والقسوة  
زاما الغفلة ودواؤها

ليس هذا تفسير للسجين وانما هو بيان للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم أى مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحو حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم بشر كانه علم به لانه يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم أى محتوم وهو بلغته جبر (ويل يومئذ للمكذبين) وقيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ومعنى الآية ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم بالشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين أى في ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليهم بالشقاوة (الذين يكذبون بيوم الدين) أى بيوم القيامة لانه يوم الجزاء (وما يكذب به) أى بيوم القيامة (الا كل معتد) أى متجاوز عن نهج الحق (أئيم) هو مبالغته في الأثم وهو المرتكب الأثم والمعاصي (اذ اتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) أى كاذب الاولين ﴿ قوله عز وجل (كلا) أى لا يؤمن ثم استأنف فقال (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عازر يد فيها حتى تعلق قلبه وهو الران الذى قال الله بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وأصل الران الغلبة ومعنى الآية ان الذنوب والمعاصي غلبت على قلوبهم وأحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع الله على القلب وهو أشد من الرين والاقفال أشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى انه يغشى القلب شئ كالصدأ فيغطيه فعند ذلك يموت القلب (كلا) قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس الامر كما يقولون ان لهم في الآخرة خيرا ثم استأنف فقال تعالى (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزيكهم وهذا التفسير فيه ضعف ما حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثانى فان من سحج عن الله فان الله لا ينظر اليه نظر رحمة ولا يزيكبه والتى ذهب اليه أكثر المفسرين انهم محجوبون عن رؤية الله وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الآية من أثبت الرؤية للمؤمنين قالوا لولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ووجه آخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيداً وتهديداً للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمنين فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لذهقت أنفسهم في الدنيا وقيل كما يحجبهم في الدنيا عن توحيدهم يحجبهم في الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما سحج الله أعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رآوه وقال الشافعى في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله يرون الله جل جلاله وعنه كما يحجب قومها بالسخط دل على ان قومها يرونه بالرضاءم أخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون

ادمان الصوم فان وجد بعد ذلك فسوة فليترك الادام (كلا) ردع عن الكسب الران على القلب (انهم على ربهم) عن رؤيته ربهم (يومئذ لمحجوبون) ممنوعون والحجب المنع قال الزجاج في الآية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم والا لا يكون التخصيص مفيداً وقال الحسين بن الفضل كما يحجبهم في الدنيا عن توحيدهم يحجبهم في الآخرة عن رؤيته وقال مالك بن أنس رحمه الله لما سحج أعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رآوه وقيل عن كرامته ربهم لانهم في الدنيا لم يشكروا نعمه فيسوا في الآخرة عن كرامته مجازة والاول أصح لان الرؤية أقوى الكرامات والحجب عنها دليل الحجب عن غيرها

(ثم انهم اصابوا بالحجيم) ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخول النار (ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) أي هذا العذاب هو الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتكفرون وقوعه (كلا) رد عن التكذيب (ان كتاب الابرار) ما كتب من أعمالهم والابرار المطيعون الذين لا يظفون ويؤمنون بالبعث لانه ذكر في مقابلة الفجار وبين الفجار بانهم المكذبون بيوم الدين وعن الحسن البر الذي لا يؤذي الذر (ابن عليين) هو علم لديوان (٣٨٨) الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلاحه انقلبين منقول من جمع على فعيل من

العلو سمي به لانه سبب الارتفاع الى أعلى الدرجات في الجنة ولانه مرفوع في السماء السابعة حيث تسكن الكروبيون تكرر بحاله (وما أدراك ما الذي أعلمك يا محمد ما علميون) أي شيء هو (كتاب مرفوعه يشهده المقر بون) تخضره الملائكة قيل يشهد عمل الابرار مقر بون لكل سماء اذا رفع (ان الابرار في نعيم) تنعم في الجنان (على الاراتك) الاسرة في الجبال (ينظرون) الى كرامة الله ونعمه والى أعدائهم كيف يعذبون (تعرف في وجوههم نصره النعيم) بهجة التنعم وطراوته (يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم) ختامه مسك) تختم أوانيها بمسك بدل الطين الذي يختم به الشراب في الدنيا أمر الله تعالى بالختم عليه اكراما لاصحابه أو ختامه مسك مقطعه رائحة مسك أي توجد رائحة المسك عند ختمه شر به ختامه على (وفي ذلك) الرحيق أو

النار فقال عز من قائل (ثم انهم اصابوا بالحجيم) أي لداخول النار (ثم يقال) أي تقولوا لهم الخزنة (هذا) أي هذا العذاب (الذي كنتم به تكذبون) يعني في الدنيا (كلا) أي ليس الامر كما يتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا أي لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلونه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى (ان كتاب الابرار جمع على من العلو وقيل هو موضوع على لغة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع ان عليين في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش النعني وقال ابن عباس في رواية عنه هي الجنة وقيل هي سدرة المنتهى وقيل معناه علو وشرف بعد شرف وقيل هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله وأعلىها (وما أدراك ما علميون) تنبيهه على عظم شأنه (كتاب مرفوع) ليس تفسير العليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرفوع في عليين فيه ما أعد الله لهم في الآخرة من الكرامة وقيل مكتوب فيه أعمالهم وعاميون محل الملائكة وضده مسجون وهو محل ابليس وجنوده (يشهده المقر بون) يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون أي يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقر بون من الملائكة لكرامة المؤمن ﴿ قوله تعالى (ان الابرار) يعني المطيعين لله (ابن نعيم) يعني نعيم الجنة (على الاراتك) جمع أربكة وهي الاسرة في الجبال (ينظرون) أي الى ما أعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون الى أعدائهم كيف يعذبون في النار وقيل ينظرون الى ربهم سبحانه وتعالى (تعرف في وجوههم نصره النعيم) يعني انك اذا رأيتهم تعرف أنهم من أهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض قيل النصره في الوجه والسرور في القلب (يسقون من رحيق) يعني الخمر الصافية الطيبة البيضاء (مختوم) يعني ختم على ذلك الشراب ومنع من أن تمسه الايدي الى أن يفك ختمه الابرار فان قلت قد قال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم وأنهار من خمر والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين قلت بحقل أن يكون المذكور في هذه الآية في أوان مختوم عليها وهي غير تلك الخمر التي في الانهار وانما ختم عليها الشرف فها ونفاسها (ختامه مسك) أي طيبته التي ختم عليها مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختمها طين وقال ابن مسعود مختوم أي مزوج ختامه أي آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي فليرغب الراجبون بالمبادرة الى طاعة الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل أصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريد كل أحد لنفسه وبنفس به على غيره أي يرضن ويبخل (ومزاجه من تسنيم) أي شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجري في الهواء مستأفصب في أواني أهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت أمسك وأصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه أعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من أشرف شراب أهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقر بين بشر بونه صرفا ويمزج لساثر أهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (عينا يشرب بها) أي منها وقيل يشرب بها (المقر بون) أي صرفا ﴿ وقوله عز وجل

النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراجبون وذا انما يكون بالمسارعة الى الخيرات والالتها عن السيئات (ان) (ومزاجه) ومزاج الرحيق (من تسنيم) هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر ستمه اذا رفعه لانها أرفع شراب في الجنة ولانها تأتيهم من فوق وتنصب في أوانيهم (عينا) حال أو نصب على المدح (يشرب بها) أي منها (المقر بون) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم يشرب بها المقر بون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين

(ان الذين أجمعوا) كفرُوا (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) في الدنيا استهزأ بهم واذأمر واهم بتغامزون) يشير بعضهم الى بعض بالعين طعنا فبهم وعيبا لهم قيل جاء على رضى الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون ونحكو وتغامزون واوقالوا أترون هذا الاصاح فترلت قبل أن يصل على الرسول الله صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا الى أهلهم) أى اذا رجع الكفار الى منازلهم (انقلبوا فكهين) متلذذين بذكرهم والسخرية منهم وقرأ غير حفص فاكهين أى فرحين (واذا رآهم) واذا رأى الكافرون المؤمنين (قالوا ان هؤلاء لضالون) أى خدع محمد هؤلاء فضاوا وتركو اللذات لما يرجونه فى الآخرة (٣٨٩) من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال

وهذا هو عين الضلال (وما أرسلوا) وما أرسل الكفار (عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أحوالهم ويرقبون أعمالهم بل أمروا باصلاح أنفسهم فاشتغالهم بذلك أولى بهم من تتبع غيرهم ونسفيه أحلامهم (فاليوم) أى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ثم كما نضحكو منهم هنا مجازة (على الارائك ينظرون) حال أى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والاستكبار وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح باب للكفار الى الجنة فيقال لهم هلموا الى الجنة فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (هل توب الكفار ما كانوا يفعلون) هل جوزوا بسخر يتهم بالمؤمنين فى الدنيا اذا فعل بهم ما ذكر والله أعلم

(ان الذين أجمعوا) أى أشركوا يعنى كفار قريش أباجهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من متري أهل مكة (كانوا من الذين آمنوا) أى من عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) أى منهم ويستزؤون بهم (واذا أمر واهم) يعنى مر المؤمنون الفقراء بالكفار الاغنياء (بتغامزون) يعنى يتغامزون الكفار والغمز الاشارة بالجنف والحاجب أى يشير ون اليهم بالعين استهزاء بهم (واذا انقلبوا الى أهلهم) يعنى الكفار (انقلبوا فكهين) أى مجعبين بما هم فيه وقيل يناقبون بذكرهم كأنهم يتنكهون بحديثهم (واذا رآهم) يعنى رآوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا ان هؤلاء لضالون) أى هم فى ضلال ياتون محمدا ويرون انهم على شئ قال الله عز وجل (وما أرسلوا) يعنى المشركين (عليهم) يعنى على المؤمنين (حافظين) أى لا عمالهم والمعنى أنهم لم يوكوا بحفظ أعمالهم ﴿ قوله عز وجل (فاليوم) يعنى فى الآخرة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) وسبب هذا الضحك أن الكفار لما كانوا فى الدنيا يضحكون من المؤمنين لما هم فيه من الشدة والبلاء فلما أفضوا الى الآخرة انعكس ذلك الامر فصار المؤمنون فى السرور والنعيم وصار الكفار فى العذاب والبلاء فضحك المؤمنون من الكافرين لما رآوا حالهم وقال أبو صالح تفتح للكافرين أبواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا اتهموا اليها أغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا أراد المؤمن أن ينظر الى عدوه فى الدنيا من الكفار اطع عليه من تلك الكوى وهو يعذب فيضحك منه فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (على الارائك) جمع أريكة وهو السرير ويتخذ فى الحجة وهى الكعبة يز بن بها البيت وأرائك الجنة من الدر والياقوت (ينظرون) يعنى اليهم وهم فى النار يعذبون قال الله تعالى (هل توب الكفار) أى جوزى الكفار (ما كانوا يفعلون) أى بالمؤمنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستهزاء يعنى التقرير وتوب وأثيب يعنى قال أوس

سأجزيك أويجزيك عنى مئوب \* وحسبك أن تشنى عليك وتحمدي

والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ تفسير سورة الانشقاق وهى مكية ﴾

وخمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات وأربعمائة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل (اذا السماء انشقت) يعنى عند قيام الساعة وهى من علاماتها (وأذنت لربها) أى سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته من الاذن وهو الاستماع (وحقت) أى حق لها أن تطيع أمر ربها (واذا الارض مدت) يعنى مدا لاديم العكاظى وزيد فى سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل (وألقت ما فيها) أى أخرجت ما فى بطنها من الموتى والكنوز (وتخلت) أى من ذلك الذى كان فى بطنها من الموتى والكنوز (وأذنت لربها وحقت) واختلفوا فى جواب اذا قيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه

﴿ سورة الانشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت) تصدعت ونشقت (وأذنت لربها) سمعت وأطاعت وأجابت ربها الى الانشقاق ولم تات ولم تمتنع (وحقت) وحق لها أن تطيع لامر الله اذ هى مصنوعة مربة لله تعالى (واذا الارض مدت) بسطت وسويت باندكك جبالها وكل أمت فيها (وألقت ما فيها) ورمت ما فى جوفها من الكنوز والموتى (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شئ فى باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها فى الخلو يقال تكرم الكرم اذا بلغ جهده فى الكرم وتكلف فوق ما فى طبعه



(وأذنت لربها) في القاء ما في بطنها وتخليها (وحقت) وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع وحذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم بمثلها من سورة التكوير والانفطار وجوابه ما دل عليه فلاقه أي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه (يا أيها الانسان) خطاب للجنس (انك كادح الى ربك كدحا) جاهدا لى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء (فلاقه) الضمير للكدح وهو جهد النفس في العمل والكدح فيه حتى يؤثر فيها والمراد جزاء الكدح ان خير نفيروا شرفه وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح يدل عليه قوله (٣٩٠) (فاما من أوتى كتابه يمينه) أي كتاب عمله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا)

الاشياء يرى الانسان الثواب والعقاب وقيل جوابه يا أيها الانسان انك كادح والمعنى اذا انشقت السماء لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه وأذنت وحينئذ تكون الواو زائدة (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) أي ساع اليه في عملك سعيا والكدح عمل الانسان وجهده في الامر من الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه انك كادح في لقاء ربك وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح يستمر بك الى الموت وقيل معناه انك تكدح في دنياك كدحا تصير به الى ربك (فلاقه) أي فلاق جزاء عملك خيرا كان أو شرا وقيل فلاق ربك (فاما من أوتى كتابه يمينه) يعني ديوان عمله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سوف من الله واجب والحساب اليسير هو أن تعرض عليه أعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم ينساب على الطاعة ويتجاوز له عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذرية ولا الحجة عليه فانه متى طوب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح (ق) عن ابن أبي مليكة ان عائشة كانت لا تسمع شيئا لاتعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت أو ليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال فأنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب (وينقلب الى أهله) يعني في الجنة من الحور العين والآدميات (مسرورا) أي بما أوتى من الخير والكرامة (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) يعني أنه تغل بده اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلف يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه (فسوف يدعوا ثورا) يعني عند اعطائه كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم أنه من أهل النار فيدعوا بالويل والهلاك فيقول يا ويله يا ثوراه (و يصلى سعيرا) أي ويقاسى التهاب النار وحرها (انه كان في أهله) يعني في الدنيا (مسرورا) يعني باتباع هواه وركوب شهواته (انه ظن أن لن يحور) أي لن يرجع الينا ولن يبعث والحور الرجوع (بلى) أي بلى الامر كما ظن بل يحور الينا ويبعث ويحاسب (ان ربه كان به بصيرا) أي من يوم خلقه الى أن يبعثه قوله عز وجل (فلا أقسم بالشفق) تقدم الكلام في تفسيره لا أقسم في سورة القيامة وأما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله وحجته في ذلك أنه عطف عليه الليل فيجب أن يكون المذكور أولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما تبقى من النهار وقال ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحجر التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض الذي يعقب تلك الحجر وهو مذهب أبي حنيفة (والليل وما وسق) أي جمع وضم ما كان منقشا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا أقبل أوى كل شيء الى مأواه وقيل وما عمل فيه ويحتمل أن يكون ذلك تهجدا للعباد فيجوز أن يقسم به (والقمر اذا اتسق) أي اجتمع وتم نوره وذلك في الايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به أتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (لتركن) قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى

سهلنا وهو أن يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيئات وفي الحديث من يحاسب يعذب فقيل فابن قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض ومن نوقش في الحساب عذب (وينقلب الى أهله) الى عشيرته ان كانوا مؤمنين أو الى فريق المؤمنين أو الى أهله في الجنة من الحور العين (مسرورا) فرحا (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) قيل تغل بده الشمال وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره (فسوف يدعوا ثورا) يقول ياتوراه (و يصلى) عراقى غير على (سعيرا) أي ويدخل جهنم (انه كان) في الدنيا (في أهله) معهم (مسرورا) بالكفر يضحك عن آمن بالبعث قيل كان لنفسه متباعا في مراتع هواه واقعا (انه ظن

أن لن يحور) لن يرجع الى ربه تكذبا بالبعث قال ابن عباس رضي الله عنهما عرفت تفسيره حتى سميت اعرابه تقول لبتها حوري أي ارجعي (بلى) ايحباب لما بعد النبي في لن يحور أي بلى ليحورن (ان ربه كان به) وباعماله (بصيرا) لا يخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويحازيه عليها (فلا أقسم بالشفق) فاقسم بالبياض بعد الحجر أو الحجر (والليل وما وسق) جمع وضم والمراد ما جمع من الظلمة والنجم أو ما عمل فيه من التهجد وغيره (والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا فتعل من الوسق (لتركن) أيها الناس على ارادة الجنس

(طبقات طبق) حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختلافها في الشدة والهلول والطلب ما يطابق غيره يقال ما هذا يطبق لندا أي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبقة ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قوهم هو على طبقات أي لتركيبن أحوالها بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها ومحل عن طبق نصب على أنه صفة لطبق أي طبقا مجاوز الطبقة أو حال من الضمير في لتركيبن أي لتركيبن طبقا مجاوزين طبق وقال مكحول في كل عشرين (٣٩١) عاما تجردون أمر الم تكونوا عليه وفتح

الباء مكي وعلى وحجزة والخطاب له عليه السلام أي طبقا من طباق السماء بعد طبق أي في المعراج (فألم لا يؤمنون) فألم في أن لا يؤمنوا (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) لا يخضعون (بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث والقرآن (والله أعلم بما يوعون) بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وبما يجمعون في صنفهم من أعمال السوء ويدخرون لا تقسمهم من أنواع العذاب (فبشرهم بعذاب أليم) أخبرهم خبرا يظهر أثره على بشرتهم (الالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) وعملوا الصالحات استثناء منقطع (لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع أو غير منصوص والله أعلم ﴿سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والسما ذات البروج) أي وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهده من الخلائق كلهم وبالشهود فيه ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما ما في قوله علمت نفس ما حضرت كأنه قيل ما فرطت كثيرته من شاهد ومشهود وما لا الهام في الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفها وقد كثرت أقوال المفسرين فيهما فقيل محمد و يوم القيامة أو عيسى وأمه لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وأمة محمد وسائر الأمم أو الحجر الأسود والحجيج أو الأيام والليالي و بنو آدم للحديث ما من يوم إلا وينادي أنا يوم جديد وعلى ما يفعل في شهيد فاغتتمني ولو غابت شمسي لم تدركني

لتركيبن يا محمد (طبقات طبق) يعني سماء بعد سماء وقد فعل الله ذلك معه ليلة أسرى به فاصد سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركيبن حالا بعد حال (خ) عن ابن عباس قال لتركيبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا التنيك صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بحمائل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وعنادهم في كفرهم وقرئ لتركيبن بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركيبن أيها الناس حالا بعد حال وأمر بعد أمر وذلك في موقف القيامة تتقلب بهم الأحوال فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وقال ابن عباس يعني الشدائد وأهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركيبن سنين من كان قبلكم وأحوالهم (ق) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتبعن سنين من كان قبلكم وأحوالهم شبرا بعد شبر وذراعا بعد ذراع حتى لو دخلوا حجر صب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فن وقيل في معنى الآية أنه أراد به السماء تتغير لونها بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالأهل وتنشق مرة وتطوى أخرى (فألم لا يؤمنون) يعني بالبعث والحساب وهو استفهام انكار (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) يعني لا يصلون فمبر بالسجود عن الصلاة لأنه جزء منها وقيل أراد به سجود التلاوة وهذه السجدة أحد سجودات القرآن عند الشافعي ومن وافقه (ق) عن رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرا إذا السماء انشقت فسجدت فقلت ما هذه قال سجدة بها خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا زال أسجد فيها حتى ألقاه ولمسلم عنه قال سجدة ما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقرابهم بك وإذا السماء انشقت (بل الذين كفروا يكذبون) يعني بالقرآن والبعث (والله أعلم بما يوعون) يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب (فبشرهم بعذاب أليم) يعني على عنادهم وكفرهم (الالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) يعني غير مقطوع ولا منقوص في الآخرة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراد كتابه

﴿تفسير سورة البروج﴾

﴿وهي مكية واثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربع مائة وخمسة وستون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (والسما ذات البروج) يعني البروج الاثني عشر وانما أحسن القسم بهما لما فيها من عجب حكمة الباري جل جلاله وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجها لظهورها (واليوم الموعود) يعني يوم القيامة (وشاهد ومشهود) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعين من شر الا أعاده الله منه أخرجه الترمذي وضعف أحدر وأنه من

النجوم أو عظام الكواكب (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) أي وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهده من الخلائق كلهم وبالشهود فيه ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما ما في قوله علمت نفس ما حضرت كأنه قيل ما فرطت كثيرته من شاهد ومشهود وما لا الهام في الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفها وقد كثرت أقوال المفسرين فيهما فقيل محمد و يوم القيامة أو عيسى وأمه لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وأمة محمد وسائر الأمم أو الحجر الأسود والحجيج أو الأيام والليالي و بنو آدم للحديث ما من يوم إلا وينادي أنا يوم جديد وعلى ما يفعل في شهيد فاغتتمني ولو غابت شمسي لم تدركني

اليوم القيامة أو الحفظه وبنو آدم أو الله تعالى والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا والانباء ومحمد عليهم السلام وجواب القسم محذوف يدل عليه (قتل أصحاب الاخدود) أي (٣٩٢) لعن كانه قيل أقسم بهذه الاشياء أنهم ملعونون يعني كفار قريريش كما لعن أصحاب الاخدود

وهو جمع خد أي شق عظيم في الارض روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما يعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبت الناس فاخذ حجر ا فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فاقتلها فكان الغلام بعد ذلك يرى الأكمة والابرص وعمى جليس للملك فابراه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمشاروا في الجبل فذهب به الى جبل لي طرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلعج جوابه ليغرقوه فدعا فأنكفات بهم السفينة ففرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجتمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذسهما من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم رميني به فرماه فوق في صدغه فوضع

قبل حفظه وهذا قول ابن عباس والاكثر من ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وإنما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرورها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد هم الانبياء والمشهود أي عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود أي عليه هو آدم وذريته وقيل الشاهد هذه الامة ونبها صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبياء والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله شهدوا بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود أقسام أقسم الله تعالى بها لشرورها وعظمتها وجواب القسم قوله تعالى (قتل أصحاب الاخدود) أي لعن وقتل وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد والاخدود الشق المستطيل في الارض واختلفوا فيهم فروى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك اني قد كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فـ كان اذا أتى الساحر من الراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربه فوشكى ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي واذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فيبئنا هو كذلك اذا في علي دابة عظيمة قد حبت الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فاخذ حجر ا ثم قال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فاقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فاخبره فقال له الراهب أي بني أنت أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلان دل على فكان الغلام يرى الأكمة والابرص ويدوى الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك كان فدعى فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك اجمع ان أنت شفقتني قال اني لأشفي أحدا انما يشفي الله عز وجل فان آمن بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فأمن به فشفاه الله عز وجل فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربي فقال أولك رب غيري قال ربي وربك الله فاخذته فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فحى بالملك أي بني انه قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمة والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لأشفي أحدا انما يشفي الله عز وجل فاخذته فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فحى بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأتى فدعا بالمشار فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم حى بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأتى فدعا بالمشار فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم حى بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأتى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغت ذروته فان رجع عن دينه والافطر حوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكنفهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفايتهم الله فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاجلوه في قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والافقدوه فذهبوا فقال اللهم اكنفهم بما شئت فأنكفات بهم السفينة ففرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجتمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذسهما من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم رميني به فرماه فوق في صدغه فوضع

يده عليه فمات فقال لناس آمناب الراهب الغلام فقيل للملك زل بك ما كنت تحذره فخذوا من اهلها نار افن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتعاست ان تقع فيها فقال الصبي يا أمه اصبري فانك على الحق فالتقى الصبي وأمها فيها قال

قال باسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فقات فقال الناس  
 آمنابرب الغلام ثلاثا فأتى الملك فتيل لها رأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذر ك قد آمن الناس فأمر  
 بالآخذود في أفواه السكك فخذت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها ففعلوا ذلك حتى  
 جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام بأماه اصبري ولا تقاعسي فانك على الحق  
 هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وفي هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب في مصلحة  
 ترجع الى الدين وفيه اتقاذ النفس من اطلاق والا كنه هو الذي خلق أعمى والمبشار بالياء وتخفيف الهمزة  
 وروى بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر أعلاه ورجف تحرك واضطرب والقرقور بضم القاف الاولى  
 السفينة الصغيرة وانكفات انقلبت والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطرق والآخذود الشق العظيم  
 في الارض وأقحموه أي ارموه فيها وتقاعست أي تأخرت وكرهت الدخول في النار وقال ابن عباس كان  
 بنجران ملك من ملوك جبر يقال له يوسف ذونواس بن شر حبييل بن شر اهيل في الفترة قبل مولد النبي صلى  
 الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان أبوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر  
 فسكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في طر يقه راهب حسن القراءة  
 حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قديق على دين عيسى  
 فوقع الى بنجران فاحبوه فسار اليه ذونواس اليهودي بمجنوده من جبر وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه  
 فخذ الآخذود وسرق اثني عشر ألفا ثم غلب رباط على اليمن فخرج ذونواس هاربا فاقتمم البحر بفرسه فغرق  
 وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر ان خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله  
 ابن تامر واضاعه على ضربه برأسه اذا أميطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكاتها وفي يده خاتم  
 حديد فيه مكتوب ربى الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيد واعليه الذي وجدتم عليه وقال سعيد بن جبير  
 وابن أبي زبي لما انهمز أهل اسفند هار قال عمر بن الخطاب أي شيء يجري على الجوس من الاحكام فانهم لبسوا  
 باهل كتاب فقال علي بن أبي طالب بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخردة أحتلم فقتلوا ملك من ملوكهم  
 فغلبت على عقله فوقع على أخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها يحك ما هذا الذي أتيت وما المخرج منه  
 قالت المخرج منه أنك تحطبت الناس وتقول ان الله قد أحل لك نكاح الاخوات فاذا ذهب في الناس وتناسوه  
 خطبتهم فخرمته فقام خطيبا بذلك فقال ان الله قد أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله  
 ان تؤمن بهذا أو تقر به ما جاء نابه من نبي ولا أنزل علينا في كتاب فبسط فيهم الصوت فابوا أن يقر واخرد  
 فيهم السيف فابوا أن يقر وابه فخذ لهم الآخذود وأوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن أتى قد ففى النار ومن  
 أجاب أطلقه وروى عن علي قال كان أصحاب الآخذود بينهم حبشى بعث من الحبشة الى قومه ثم قرأ على ولقد  
 أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الآية فدعاهم فتابعه ناس فقتلهم  
 الكفار فقتل أصحابه وأخذ من انفلت منهم فآوتقوه ثم خذوا له الآخذود اقلوها نارا فمن تبع ذلك النبي رعى في  
 النار ومن تابعهم تركوه فجاءوا امرأة معها صبي رضيع فجزعت فقال الصبي بأماه قعى ولا تقاعسى وقيل كانت  
 الآخذود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاما التي بالشام فهو  
 ابطاموس الرومى وأما التي بفارس فبختنصر ويزعمون انهم أصحاب دانيال وأما التي باليمن فذونواس  
 يوسف فاما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآ نا وأنزل في التي بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة  
 كانت مشهورة عند أهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بحملهم بذلك  
 على الصبر وتحمل المكاره في الدين وقوله تعالى (النار ذات الوقود) هو تعظيم الامر لتلك النار قال الربيع  
 ابن أنس نجي الله المؤمنين الذين ألقوا في النار بقبض أرواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى

(النار) بدل اشتعال من  
 الآخذود (ذات الوقود)  
 وصف لها بانها عظيمة لها  
 ما يرتفع به طها من الحطب  
 الكثير وأبد ان الناس

(اذ) ظرف لقتل أى لعنوا حين أصرقوا بالنار قاعدين حولها (هم عليها) أى الكفار على ما يدنو منها من حافات الاخدود (فعود) جلوس على الكراسى (وهم) أى الكفار (على ما يفعلون بالمؤمنين) من الاحراق (شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحد منهم لم يفر طمياً مر به وفوض اليه من التعذيب وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل أذى أهل مكة (وما تقدموا منهم) (وما أنكروا الا الايمان كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وقوله وما تقدموا من بني أمية الا أنهم يحلمون ان غضبوا وقرئ تقموا بالكسر والفصيح هو الفتح (بأنه العزيز الحميد) ذكر الاوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به وهو كونه عزيزاً غالباً قادراً يخشى عقابه جيداً منعاً يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه (٣٩٤) (الذي له ملك السموات والارض) فكل من فهم ماتحق عليه عبادته والخشوع

من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتم (اذهم عليها فعود) أى جلوس عند الاخدود (وهم) يعنى الملك الذى خد الاخدود وأصحابه (على ما يفعلون بالمؤمنين) أى من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا الى دينهم (شهود) أى حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم (وما تقدموا منهم) قال ابن عباس ما كرهوا منهم (الا أن يؤمنوا بالله) وقيل ما عابوا ولا علموا فيهم عيباً الايمانهم بالله (العزيز) يعنى ان الذى يستحق العبادة هو الله العزيز الغالب القاهر الذى لا يغالب ولا يذفع (الحميد) يعنى الذى يستحق أن يحمد ويثنى عليه وهو أهل لذلك وهو الله جل جلاله (الذى له ملك السموات والارض) أى فهو المستحق للعبادة (والله على كل شئ) أى من أفعالهم بالمؤمنين (شاهد) وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين ﴿قوله عز وجل﴾ (ان الذين فتنوا) أى عذبوا وأخرقوا (المؤمنين والمؤمنات) أى بالنار (ثم لم يتوبوا) أى لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وآمنوا يقبل منهم ويخرجون من هذا الوعيد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) يعنى لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما أصرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك ان الله أصرقهم بالنار التي أصرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم في الآخرة ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) ﴿قوله عز وجل﴾ (ان بطش ربك لشديد) قال ابن عباس ان أخذه بالعذاب اذا أخذ الظلمة لشديد (انه هو يبدئ ويعيد) أى يخلفهم أو لا في الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت ليجازيهم باعمالهم في القيامة (وهو الغفور) يعنى لذنوب جميع المؤمنين (الودود) أى المحب لهم وقيل المحبوب أى يوده وأولياؤه وبجونه وقيل يغفر ويؤدأن يغفر وقيل هو المتودد الى أولياؤه بالمغفرة (ذوالعرش) أى خالقه ومالكه (المجيد) قرئ بالرفع على انه صفة لله تعالى لان المجيد من صفات تعالى والجلال وذلك لا يليق الا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش أى السرير العظيم اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل أراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل ان العرش أحسن الاجسام ثم قال الله تعالى (فعال لما يريد) يعنى انه لا يجزه شئ ولا يمنع منه شئ طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل اولياؤه الجنة برحمة لا يمنعه من ذلك مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر (هل أناك) أى قد أناك (حديث الجنود) أى خبر الجوع الكافرة الذين نجتدوا على الانبياء ثم بين من هم فقال تعالى (فرعون) يعنى وقومه (ومؤد) وكانت قصتهم

له تقرير الان ما تقدموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه الا مبطل وان الناقين أهل الانتقام الله منهم بعذاب عظيم (والله على كل شئ شهيد) وعيد لهم يعنى انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطر وحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأصرقوهم (ثم لم يتوبوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) فى الدنيا الماروى ان النار انقلب عليهم فاحرقتهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أى بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المقتولين وان للقاتلين عذاباً فى الآخرة

لكفرهم ولقتلتهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) أى الذين صبروا وعلى عند تعذيب الاخدود وهو عام (ان بطش ربك لشديد) البطش الاخذ بالهتف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم والمراد اخذ الظلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام (انه هو يبدئ ويعيد) أى يخلفهم ابتداء ثم يعيدهم بعد ان صبرهم ترابداً باقتداره على الايداء والاعادة على شدة بطشه أو أعد الكفرة بانه يعيدهم كما بدأهم ليطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة (وهو الغفور) الساتر للعيوب العاقب عن الذنوب (الودود) المحب لاولياؤه وقيل الفاعل لاهل الطاعة ما يفعله الودود من اعطائهم ما أرادوا (ذوالعرش) خالقه ومالكه (المجيد) وبالجزء على انه صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمته (فعال) خبر مبتدأ محذوف (لما يريد) تسكوينه فيكون فيه دلالة خلت أفعال العباد (هل أناك) حديث الجنود) أى قد أناك خبر الجوع الطاغية فى الامم الخالية (فرعون ومؤد) بدل من الجنود وأراد

بفرعون اباه وآله والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسول وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا) من قومك (في تكذيب) واستيجاب للعذاب ولا يعتبرون بالجنود لاختفاء حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عناداً (والله من وراءهم محيط) أى عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يجزونه والاحاطة بهم من وراءهم مثل لانهم لا يفوتونه كجلايفوت الشئ المحيط به (بل هو) بل هذا الذى كذبوا به (قرآن مجيد) شريف على الطبقة فى الكتب وفى نظمه وانجاز له ليس كما يزعمون انه مفتري وانه أساطير الاولين (فى لوح محفوظ) من وصول الشياطين محفوظ نافع صفة للقرآن أى من التغيير والتبديل واللوح (٣٩٥) عند الحسن شئ بلوح للملائكة فيقرؤنه

وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب قامه نور وكل شئ فيه مسطور مقاتل هو على عرش وقيل أعلاه معقود بالعرش وأسفله فى حجر ملك كريم والله أعلم

سورة الطارق مكية وهى

سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والسما والطارق وما

أدراك ما الطارق النجم

الثاقب) عظم قدر السماء

فى أعين الخلق لكونها

معدن رزقهم ومسكن

ملائكته وفيها خلق الجنة

فاقسم بها بالطارق والمراد

جنس النجوم أو جنس

الشهب التى يرحم بها لعظم

منفعتهم فسر به النجم

الثاقب أى المضىء كانه

يثقب الظلام فينفذ فيه

ووصف بالطارق لانه يبدو

بالليل كما يقال لآتى ليلا

طارق أولانه يطرق الجنى

عند أهل مكة مشهورة (بل الذين كفروا) أى من قومك يا محمد (فى تكذيب) يعنى لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن أهلكنا منهم (والله من وراءهم محيط) أى عالم بهم لا يخفى عليه شئ من أعمالهم يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم (بل هو قرآن مجيد) أى كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة (فى لوح محفوظ) قرئ بالرفع على أنه نعت للقرآن يعنى ان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحرىف وقرئ محفوظ بالكسر على أنه نعت للوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو نسخ الكتب وسمى محفوظ لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن عرش العرش وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن ابن عباس قال ان فى صدر اللوح لاله الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة وقال اللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفناه ياقوته حراء وقامه من نور وكلامه سر معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك والله تعالى أعلم بمراده

تفسير سورة الطارق

وهى مكية وسبع عشرة آية واحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (والسما والطارق) قيل نزلت فى أنى طالب وذلك انه أنى النبي صلى الله عليه وسلم فأخفه بخبر ولين فيهما هو جالس يأكل اذا انحط نجم فامتلاء ماء ثم نار افزع أبوطالب وقال أى شئ هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا نجم يرمى به وهو آية من آيات الله تعالى فحجب أبوطالب فانزل الله والسماء والطارق يعنى النجم يظهر بالليل وكل ما أتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالهاروسمى النجم طارقا لانه يطرق بالليل قالت هند نحن بنات طارق نمشى على النارق

تريد أن أباهم نجم فى علوه وشرفه (وما أدراك ما الطارق) قيل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه الله له بقوله (النجم الثاقب) أى المضىء المنير وقيل المتوهج وقيل المرفع العالى وقيل هو الذى يرمى به الشيطان فيثقبه أى ينفذه وقيل النجم الثاقب هو الثريالان العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لانه يثقبه فينفذه وهذه أقسام أقسام الله بها وقيل تقدر به ورب هذه الاشياء وجواب القسم قوله تعالى (ان كل نفس لى أعياها حافظ) يعنى ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصى عايبها ما تكسب من خيرا وشر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ من الله تعالى يحفظها ويحفظ قوتها وفعالها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يحل عنها وقيل يحفظها من المهلاك والمعاطب الاما قدر لها قوله عز وجل (فلينظر الانسان) يعنى نظر تفكر واعتبار (مخلق) أى

أى يصكه وجواب القسم (ان كل نفس لى أعياها حافظ) لمان كانت مشددة بمعنى الا كقراءة عاصم وحزرة وان عامر فتكون ان نافية أى ما كل نفس الاعياها حافظ وان كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون ان مخففة من الثقيلة أى ان كل نفس عليها حافظ يحفظها من الآفات أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها فاذا استوفى ذلك مات وقيل هو كاتب الاعمال فازاندة واللام فارقة بين اثنية والخفيفة وحافظ مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل وأتت ما كانت فهى مما يتلقى به القسم (فلينظر الانسان مخلق) لما ذكر ان على كل نفس حافظا أمره بالنظر فى اول أمره ليعلم ان من أشأه قادر على اعادته وجزأه فيعمل ليوم الجزاء ولا يمل على حافظه الا ما يسره فى عاقبته ومم خلق استفهام أى من أى شئ خلق جوابه

(خلق من ماء دافق) والدافق صب فيه دفع والدفق في الحقيقة لصاحبه والأسناد الى الماء مجاز وعن بعض أهل اللغة دفقت الماء دفقا صببه ودفق الماء بنفسه أي انصب ولم يقل من ماء بن لامتراجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل العظام والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة (انه) ان الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان الذي (٣٩٦) خلق الانسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على اعادته خصوصا (لقادر) لبيّن القدرة لا يجز عنه كقوله

انني لقسير أي لبيّن الفقر ونصب (يوم تبلى) أي تكشف برجعه أو بمضمر دل عليه قوله لرجعه أي يعثه يوم تبلى (السرائر) ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وما أخفى من الاعمال (فاله) فما للانسان (من قوة) في نفسه على دفع ما حل به (ولاناصر) يعينه ويدفع عنه (والسما ذات الرجع) أي المطر وسمى به عوده كل حين (والارض ذات الصدع) هو ما تصدع عنه الارض من النبات (انه) ان القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وما هو باهزل) باللعب والباطل يعني أنه جده كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يرتفع به قارنه وسامعه أن يلهمزل أو يتفكك بمزاج (انهم) يعني مشركي مكة (يكيدون كيدا) يعملون المكيدة في

من أي شيء خلقه به ثم بين ذلك فقال تعالى (خلق من ماء) يعني من منى (دافق) أي مدفوق مصبوب في الرحم وأراد به ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما (يخرج) يعني ذلك الماء وهو المنى (من بين الصلب والترائب) يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر والنخر قال ابن عباس هي موضع القلادة من الصدر وعنه أنها بين ثديي المرأة قيل ان المنى يخرج من جميع أعضاء الانسان وأكثر ما يخرج من الدماغ فينصب في عرق في ظهر الرجل وينزل في عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهي الترائب فلماذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر (انه على رجعه لقادر) يعني ان الله تعالى قادر على أن يرده النطفة في الاحليل وقيل قادر على رد الماء في الصلب الذي خرج منه وقيل قادر على رد الانسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقيل معناه وان الذي قدر على خلق الانسان ابتداء قادر على اعادته حيا بعد موته وهو أهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده (يوم تبلى السرائر) وذلك يوم القيامة قيل معناه تظهر الحبايا وقيل معنى تبلى تختبر وقيل السرائر هي فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سراير بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من أدها ومن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدئ الله تعالى يوم القيامة كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني من أدى الفرائض كما أمر كان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيامة ومن ضيعها وانقص منها كان وجهه أغبر (فاله) أي لهذا الانسان المنكر البعث (من قوة) أي يتمتع بها من عذاب الله (ولاناصر) أي ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال تعالى (والسما ذات الرجع) أي ذات المطر سمي به لانه يجيء برجع ويتكرر (والارض ذات الصدع) أي تصدع وتنشق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم قوله تعالى (انه) يعني القرآن (لقول فصل) أي انه الحق وجد يقصل بين الحق والباطل (وما هو باهزل) أي باللعب والباطل (انهم) يعني مشركي مكة (يكيدون كيدا) يعني يحتالون بالمكر بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه (وأ كيد كيدا) يعني أجاز بهم على كيدهم بان استدبر جهم من حيث لا يعلمون فاتتكم منهم في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالنار (فهل الكافرين) أي لا تستهجل ولا تدع مهلا كههم قال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لم أمره بامهالهم بين أن ذلك الامهال قليل فقال تعالى (أمهالهم رويدا) يعني قليلا فاخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال بآية السيف والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الاعلى﴾

وهي مكية وتسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة واثنتان واحدتي وتسعون حرفا

ابطال أمر الله واطفاء نور الحق (وأ كيد كيدا) وأجاز بهم جزاء كيدهم باستدراجي لهم من حيث لا يعلمون (بسم) فسمى جزاء الكيد كيدا كما سمي جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وان لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز اطلاق هذا الوصف على الله تعالى الاعلى وجه الجزاء كقوله نسوا الله فانساهم يخادعون الله وهو خادعهم الله يستهزئ بهم (فهل الكافرين) أي لا تدع مهلا كههم ولا تستهجل به (أمهالهم) انظرهم فكرر وخالف بين اللقظين لزيادة التسكين والتصيير (رويدا) مهلا يسيرا ولا يتكلم بها المصغرة وهي من رادت الريح ترودر ودانحركات حركة ضعيفة ﴿سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ (سبح اسم ربك الاعلى) نزهه ذاته عما لا يليق به والاسم صلة وذلك بان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذى هو القهر والاقدار لا بمعنى العلو فى المكان وقيل قل سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت قال عليه السلام اجعلوها فى سجودكم (الذى خلق فسوى) أى خلق كل شئ فسوى خلقه نسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام وانساق ودلالة على أنه صادر عن عالم حكيم أو سواه على ما فيه منفعة ومصلحة (والذى قدر فهدى) أى قدر لكل حيوان (٣٩٧) ما يصلحه فهداه اليه وعر فوجه الانفاع به أو

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿

قوله عز وجل (سبح اسم ربك الاعلى) أى قل سبحان ربى الاعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربى الاعلى الذى ذكره البغوى باسناد الثعلبى وقيل معناه نزهه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزهه تسمية ربك الاعلى بان تذكروه وأنت له معظم ولذكروه محترم وقال ابن عباس سبح أى صل باسم ربك الاعلى عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح اسم ربك العظيم قال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم أخرجه أبو داود (الذى خلق فسوى) أى خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدلا القائمة (والذى قدر فهدى) قيل قدر الارزاق وهدى لا كتناسها وقيل قدر لكل شئ شككه فهدى أى عرف كيف بأتى الذكرا لانتفى وقيل قدر مودة الجنين فى الرحم وهداه الى الخروج منه وقيل قدر السعادة الاقوام والشقاوة لا اقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسبيل ما قدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل قدر أى أعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وسائر الحيوانات لمراعيتها وهو قوله تعالى (والذى أخرج المرعى) أى انبت العشب وما نزع الانعام من أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وغير ذلك (جعلها) يعنى المرعى بعد الخضرة (غشاء) أى هشايا ياسا باليا كالغشاء الذى تراه فوق السيل (أحوى) أى اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلا اذا جف وبس اسود ﴿ قوله عز وجل (سنقرئك) أى نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك (فلانسى) يعنى ما يقرأ عليك وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل جبريل بالوحى لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة أن ينساها فانزل الله تعالى سنقرئك فلانسى فلم ينس شيئا بعد ذلك (الاماشاء الله) يعنى أن تنساه وهو ما نسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه الاماشاء الله أن تنساه ثم تذكروه بعد ذلك كما صح من حديث عائشة رضى الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ فى سورة الليل فقال يرحم الله لقد أذكري كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا وفى رواية كنت أسقطهن من سورة كذا أخرجاه فى الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله أن ينسيه شيئا (انه يعلم الجهر) يعنى من القول والفعل (وما يخفى) يعنى منهما والمعنى أنه تعالى يعلم السر والعلانية (وينسرك لليسرى) أى نهون عليك أن تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوقفك للسريرة وهى الحنيفة السمحة وقيل هو متصل بالكلام الاول والمعنى أنه يعلم الجهر مما تقرؤه على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى مما تقرؤن فى نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال وينسرك لليسرى أى نهون عليك الوحى حتى تحفظه ولا تنساه (فذكر) أى نعت بالقرآن (ان نعت الذكري) أى مدة نفع الموعظة والتذكير والمعنى عظمت وذكران نعت الذكري أى ولم تنفع انما عليك البلاغ (سيد كرم يخشى) أى سيدك من يخشى الله تعالى (ويتجنبها) أى

فهدى وأضل ولكن حذف وأضلا كقضاء بقوله يضل من يشاء ويهدى من يشاء قدر على (والذى أخرج المرعى) انبت ما نزع الدواب (جعلها غشاء) ياسا هشايا (أحوى) أسود فاحوى صفة لغشاء (سنقرئك فلانسى) سنعلمك القرآن حتى لا تنساه (الاماشاء الله) أن ينسخه وهذا بشارة من الله لنبىه أن يحفظ عليه الوحى حتى لا ينفذ منه شئ الاماشاء الله أن ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته وسأل ابن كيسان النحوى جنيدا عنه فقال فلا تنسى العمل به فقال مثلك يصدر وقيل قوله فلا تنسى على النهى والاتاب مزيدة للفاصلة كقوله السبيل أى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الاماشاء الله أن ينسيك برفع تلاوته (انه يعلم الجهر وما يخفى) أى انك تجهر بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة التفتت والله يعلم جهرك معه وفى نفسك كما

يدعوك الى الجهر وما تقرأ فى نفسك مخافة النسيان أو يعلم ما أسررت وما أعلنت من أقوالكم وأفعالكم وما بطن من أحوالكم (وينسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه نوقفك للظريقة التى هى أيسر وأسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للسريرة السمحة التى هى أيسر الشرائع أو نوقفك لعمل الجنة (فذكر) عظ بالقرآن (ان نعت الذكري) جواب ان مدلول قوله قد كرسيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكري فيهم وقيل هو أمر بالتذكير على الاطلاق كقوله قد كرنا أنت مذ كرسير مشروط بالنفع (سيد كرم يخشى) الله وسوء العاقبة (ويتجنبها) ويتباعده عن الذكري فلا يقبلها



(الاشقي) الكافر والذي هو اشقي الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله فيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعقبته بن ربيعة (الذي يصلي النار الكبرى) يدخل نار جهنم والصغرى (٣٩٨) نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة تلتذذ بها

الذكرى وبقاعد عنها (الاشقي) أي في علم الله تعالى (الذي يصلي النار الكبرى) أي النار العظيمة اللفظية وقيل النار الكبرى هي نار الآخرة والنار الصغرى هي نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) أي في النار فيستريح (ولا يحيى) أي حياة طيبة تنفعه قوله عز وجل (قد أفلح من تزكى) أي يظهر من الشرك وقال لاله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد أفلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله قد أفلح من تزكى قال أعطى صدقة الفطر (وذكرا سم به فصلي) قال خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعني يوم العيد قال ينافع أخرجت الصدقة فان نعم مضى الى المصلي وان قلت لا قال فالآن فاخرج فانه هذه الآية في هذا قد أفلح من تزكى وذكرا سم به فصلي فان قلت فواجه هذا التأويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطرقا يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وأنت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا أدري أي جمع سيهزم فاما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم شب في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ووجه آخر وهو أنه كان في علم الله تعالى أنه سيكون ذلك فاخبر عنه وقيل وذكرا سم به فصلي يعني الصلوات الخمس وقيل أراد بالذكرا تكبيرات العيد وبالصلوة صلاة العيد قوله عز وجل (بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى) يعني ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفاني وأنتم تؤثرون الفاني على الباقي قال عرفة الاشج كنعان ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أندرون لم أثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها وولدها وولدها وبعثناهم وان الآخرة تغيب وزو يب عنا فاحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل ان أريد بذلك الكفار فالمعنى انهم يؤثرون الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة وان أريد بذلك المسلمون فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الآخرة وهو خير وأبقى (ان هذا) أي الذي ذكر من قوله قد أفلح من تزكى الى هنا وهو أربع آيات (في الصحف الاولى) أي الكتب المتقدمة التي نزلت قبل القرآن ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلي ويا نار الدنيا وان الآخرة خير وأبقى ثم بين ذلك فقال تعالى (صحف ابراهيم وموسى) يعني ان هذا القدر المذكور في صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور في جميع صحف الانبياء التي منها صحف ابراهيم وموسى لان هذا القدر المذكور في هذه الآيات لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه \* عن أبي ذر رضي الله عنه قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية فقات وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركهما قلت يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيئا مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال يا أبا ذر اقرأ أفلح من تزكى وذكرا سم به فصلي بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يبضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل أخرج هذا الحديث رز بن في كتابه وذكرا سم به فصلي في كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه شيئا \* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر يسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد في ركعتين أخرجه الترمذي والنسائي وعن عبد العزيز بن جريح قال

وقيل ثم لان الترجيح بين الحياة والموت أقطع من الصلي فهو متراح عنه في مراتب الشدة (قد أفلح) نال الفوز (من تزكى) تطهر من الشرك وأتطهر للصلاة وأدى الزكاة فتعمل من الزكاة كتصدق من الصدقة (وذكرا سم به) وكبر للافتتاح (فصلي) الخمس وبه يحتاج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لان الصلاة تطلقت عماها وهو يقتضى العارية وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر معاده ووقوفه بين يدي به فصلي له عن الضحاك وذكرا سم به في طريق المصلي فصلي صلاة العيد (بل تؤثرون الحياة الدنيا) على الآخرة فلان فعلون ما به تفلحون والمخاطب به الكافرون دليلا قراءة أبي عمرو يؤثرون بالياء (والآخرة خير وأبقى) أفضل في نفسها وأدوم (ان هذا في الصحف الاولى) هذا اشارة الى قوله قد أفلح الى أبقى أي ان معنى هذا

الكلام وار دفي تلك الصحف وألى ما في السورة كلها وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة لانه جعله مذكورا في تلك الصحف مع انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى وفي الاثر وفي صحف ابراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه

﴿سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿هل﴾ بمعنى قد (أناك حديث الغاشية) الداهية التي تغشى  
الناس بشدا تدها وتلبسهم أهواها يعني القيامة وقيل النار من قوله وتغشى

(٢٩٩)

وجوههم النار (وجوه) أي وجوه

الكفار وإنما خص الوجه

لان الحزن والسرور اذا

استحكما في المرء أثرا

في الوجه (يومئذ) يوم اد

غشيت (خاشعة) ذليلة لما

اعتري أصحابها من الخزي

والهوان (عاملة ناصبة)

تعمل في النار عملات تعب

فيه وهو حرها السلاسل

والاغلال وخوضها في النار

كأنخوض الابل في الوحل

وارتقاؤها دائبة في صعود

من نار وهبوطها في حذور

منها وقيل عملت في الدنيا

أعمال السوء والتذت بها

وتنعمت فهي في نصب

منها في الآخرة وقيل هم

أصحاب الصوامع ومعناه أنها

خشعت لله وعملت ونصبت

في أعمالها من الصوم

الدائب والتهجد الواصب

(تصلي ناراحمية) ندخل

نارا قد أحييت مددا طويلا

فلا حر يعدل حرها تصلي

أبو عمرو وأبو بكر (تسقى

من عين آنية) من عين ماء

قد انتهت حرها والتأنيث

في هذه الصفات والافعال

راجع الى الوجوه والمراد

أصحابها بدليل قوله (ليس

لهم طعام الامن ضريع)

وهو نبت يقال له الشيريق

فأذا يبس فهو ضريع

قال سألنا عائشة باي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ في الاولى بسبح اسم ربك  
الاعلى وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله أحد والعمودين أخرجه أبو داود والنسائي  
والترمذي وقال حديث حسن غريب والله أعلم

﴿تفسير سورة لغاشية﴾

﴿وهي مكية وست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (هل أتاك) أي قد أتاك يا محمد (حديث الغاشية) يعني القيامة سميت غاشية لأنها تغشى كل  
شيء بأهواها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لأنها تغشى وجوه الكفار (وجوه يومئذ) يعني يوم القيامة  
(خاشعة) يعني ذليلة والمراد بالوجوه أصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولان الوجه أشرف أعضاء الانسان فعبر  
به عنه (عاملة ناصبة) قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصوا في الدنيا على غير دين الاسلام من عبدة الاوثان  
وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وأصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهاد في ضلالة بل يدخلون النار يوم  
القيامة ومعنى النصب الدؤب في العمل بالتعب (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أما  
الرواية الاولى فانها تختص بمن أحدث في دين الاسلام شيئا ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لا يقبل منه  
وأما الرواية الثانية فانها تشمل على كل عامل في دين الاسلام أو غير دين الاسلام فانه مردود عليه اذا لم يكن  
تابعنا صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الآية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار وقيل عاملة  
ناصبة في النار لانها لم تعمل لله في الدنيا فاعلمها وانصبا في النار بمعالجة السلاسل والاغلال وهي رواية عن  
ابن عباس قال ابن مسعود نخرض في النار كإنخوض الابل في الوحل وقيل يحرقون على وجوههم في النار  
وقيل يكفون ارتقاء جبل من حديد في النار وهو قوله تعالى (تصلي ناراحمية) قال ابن عباس قد حيت  
فهي تذل على أعداء الله عز وجل (تسقى من عين آنية) أي متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم  
من خلقت لوقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذات فيسد فعون البهاورد اعطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر  
طعامهم فقال تعالى (ليس لهم طعام الامن ضريع) قيل هو نبت ذوشوك لاطي الارض تسميه قر يش  
الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه وهي رواية عن ابن عباس فاذا يبس لا تقر به  
دابة وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار وجاء في  
الحديث عن ابن عباس برفعه الضريع شق في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد  
حر من النار قال أبو الدرداء ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من  
العذاب فيستغيثون فيعاثون بالضريع ثم يستغيثون فيعاثون بطعام ذي غصة فيزدكرون انهم كانوا  
يحيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية شرابة لانهيسة  
ولامرئيه فاذا أدنوه من وجوههم سلخ جلده وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعوا ذلك قوله تعالى  
وسدة واما عجيما فقطع أمعاءهم قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على  
الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لا تأكله فانزل الله تعالى (لايسمن ولا يغني من  
جوع) يعني ان هذا الطعام لا تقدر البهائم على أكله فكيف يقدر الانسان على أكله فهو اذا لايسمن

وهو سم قاتل والعذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع فلاتناقض بين هذه الآية  
وبين قوله ولا طعام الامن غسلين (لايسمن) محجور المحل لانه وصف ضريع (ولا يغني من جوع) أي منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما  
اماطة الجوع وافادة السمن في البدن

(وجوه يومئذ) ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لان الكلام الاول قد طال وانقطع (ناعمة) متنعمة في لبن العيش (لسعيها راضية) رضيت بعملها وطاعتها المارأت ما أدهم اليه من الكرامة والثواب (في جنة عالية) من علو المكان والمقدار (لا تسمع) يا مخاطب أو الوجوه (فيها لاغية) أي لغوا أو كلمة ذات (٤٠٠) لغوا ونفسا تلغوا لا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة ووجد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم

ولا يغني من جوع فان قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الآية انه لا طعام لهم الا من ضريع وذ كر في موضع آخر انه لا طعام لهم الا من غسلين فكيف الجمع بينهما قلت ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لا غير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين ثم وصف أهل الجنة فقال تعالى (وجوه يومئذ ناعمة) أي متنعمة ذات بهجة وحسن ونعمة وكرامة (لسعيها راضية) أي لسعيها في الدنيا راضية في الآخرة حيث أعطيت الجنة بعملها (في جنة عالية) قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك لان الجنة درجات بعضها أعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض (لا تسمع فيها لاغية) أي ليس فيها لغو ولا باطل (فيها عين جارية) على وجه الارض في غير اخدود وقيل تجري حيث أرادوا من منازلهم وقصورهم (فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألوأحها من ذهب مكاللة بالزبرجد والياقوت مرفوعة ما لم يحي أهلها فاذا أراد أهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا وعليهم ثم ترتفع الى مواضعها (وأكواب) يعني الكيزان التي لا عرلها (موضوعة) يعني عندهم بين أيديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كما أرادوا الشرب منها وجدوها ملوأة (وعنارق مصفوفة) يعني وسائد ومرافق مصفوفة بعضها جنب بعض أي أراد أن يجلس ولي الله جلوس على واحدة واستند الى الأخرى (وزراني) يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خول واحدتها زربية (مبنوثة) أي مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس قوله عز وجل (أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت) قال أهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه السورة بما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه فند كرههم الله صنعه فقال أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت وانما بدأ بالأبل لانها من أنفس أموال العرب وطعم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما صنع وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص الأبل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط أعظم منها ولم يشاهد الفيل الا نادرا منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وقد كانت باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نضعدها فنزل الله تعالى هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم في العجوبة فقال أما الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو لا خير فيه لانه لا يركب على ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دمه ولا يبل أعز مال للعرب وأنفسه تاكل النوى والقت وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الأبل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها انها فضلت على سائر الحيوانات باشياء وذلك أن جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة أو للركوب أو للحمل أو اللبن أو لاجل اللحم ولا توجد جميع هذه الخصال الا في الأبل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفاوز البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير وبأكل من لحمها الجمل الفقير وتصبر على العطش عدة أيام ومنها انه يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها انها ترى في كل نبات في البراري مما لا يبرع غيره من الحيوانات وهي سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الأبل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الأبل مع السماء والارض والجبال ولا مناسبة بينهما ولم بدأ بذكر الأبل قبل السماء والارض والجبال قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيد و قدرته وانه هو

لا يسمع فيها لاغية مكي وأبو عمر ولا تسمع فيها لاغية نافع (فيها عين جارية) أي عيون كثيرة كقوله علمت نفس (فيها سرر) جمع سرير (مرفوعة) من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلاسه عليه جميع ما خوله به من الملك والنعيم (وأكواب) جمع كوب وهو القدح وقيل آنية لا عروة لها (موضوعة) بين أيديهم لينلذوا بها بالنظر اليها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب (وعنارق) وسائد (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح أي أراد أن يجلس جالس على مسودة واستند الى الأخرى (وزراني) وبسط عراض فاخرة جمع زربية (مبنوثة) مبسوطة أو مفرقة في المجالس ولما أنزل الله تعالى هذه الآيات في صفة الجنة وفسر النبي عليه السلام بان ارتفاع السرر يكون مائة فرسخ والاكواب الموضوعة لا تدخل في حساب الخلق لكثرتها وطول التمازق

وكذا وعرض الزراني كذا أنكر الكفار وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تنكث الاكواب هذه الكثرة وطول التمازق هذا الطول وبسط الزراني هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك في الدنيا فقال الله تعالى (أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت) طويلا ثم تبرك حتى تتركب أو يحمل عليها ثم تقوم فكذلك السرير يطأه للمؤمن كما يطأه الأبل الخالق

(والى السماء كيف رفعت) وفعابعيد المدى بلا مساك وعمد ثم نجومها أكثر هذه الكثرة فلا تدخل في حساب الخلق فكذلك الاكواب  
 (والى الجبال كيف نصبت) نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل مع طولها فكذا الفمارق (والى الارض كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة  
 فهي كلها بساط واحد تنبسط من الافق الى الافق فكذا الزرابى ويجوز أن يكون المعنى أفلا ينظرون الى هذه المخوقات الشاهدة على قدرة  
 الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول يؤمنوا به ويستعدوا للقاءه وتخصيص هذه الاربع باعتبار ان هذا  
 خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال والمرء انما يستدل بما تكلم به من مشاهدته له والعرب تكون في البوادي ونظرهم فيها الى السماء  
 والارض والجبال والابل فهي أعز ما اولهم وهم لها أكثر استعمالا (٤٠١) منهم لسائر الحيوانات ولانها تجمع

جميع المآرب المطلوبة  
 من الحيوان وهي النسل  
 والدر والحمل والركوب  
 والاكل بخلاف غيرها فانه  
 سحرها منقادة لسكل من  
 اقتادها باز منها لاتعاز  
 ضعيفا ولا تمنع صغيرا  
 برأها طوال الاعناق لتتو  
 بالاقار وجعلها بحيث تبرك  
 حتى تحمل عن قرب  
 ويسر ثم تمض بما حلت  
 وتجرها الى البلاد الشاخطة  
 وصبرها على احتمال العطش  
 حتى ان ظمأها ليرتفع الى  
 العشر فصاعدا وجعلها  
 ترحى كل نابت في البرارى  
 مما لا يراعه سائر البهائم  
 (فذكر) هم بالادلة  
 ليتفكر وفيها (انما أنت  
 منذر) ليس عليك الا  
 التبليغ (لست عليهم  
 بمسيطر) بمسأله كقوله  
 وما أنت عليهم بجبار  
 بمسيطر مدنى وبصرى

الخالق لهذه الاشياء جميعها وكانت الابل من أعظم شئ عند العرب فينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها  
 ظعنا واسفار اذ كرههم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدأ بها ولانها من أعجب الحيوانات عندهم (والى السماء  
 كيف رفعت) يعنى فوق الارض بغير عمد ولا ينالها شئ (والى الجبال كيف نصبت) أى على الارض نصبا  
 ثابتا راسخا لا يزول (والى الارض كيف سطحت) أى بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شئ  
 قال ابن عباس المعنى هل يقدر احد أن يخاق مثل الابل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح  
 مثل الارض غير الله القادر على كل شئ ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبر ولم يتفكر وفيها  
 خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (فذكر انما أنت مذكر) أى فقط انما أنت واعظ (لست عليهم  
 بمسيطر) أى بمسلط فتكرههم على الايمان وهذه الآية منسوخة نسختها آية القتال (الامن تولى وكفر)  
 استثناء منقطع عما قبله | معناه لکن من تولى وكفر بعد التذكير (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وهوان  
 يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بانواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر  
 فكانت النار اكبر من هذا كله (ان الينا اياهم) أى رجوعهم بعد الموت (ثم ان علينا حسابهم) يعنى  
 جزاءهم بعد الرجوع الينا والله أعلم

﴿تفسير سورة الفجر وهي مكية وتسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية﴾

﴿ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسة وسبعة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (والفجر)﴾ أقسم الله عز وجل بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوائد الدينية وهي انها  
 دلائل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلقت في  
 معاني هذه الالفاظ فروى عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم أقسم الله تعالى به لما  
 يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانقضاء الناس وسائر الحيوانات في طلب الارزاق وذلك يشبه نشر  
 الموقى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس أيضا انه صلاة الفجر والمعنى انه أقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح  
 النهار ولانها مشهودة يشهد ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل انه فجر معين واختلقت فيه فقيل هو فجر أول  
 يوم من المحرم لان منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذى الحجة لانه قرن به الليالى العشر وقيل هو فجر يوم النحر  
 لان فيه أكثر مناسك الحج وفيه القربات (وليل عشر) قيل انما تكبرها لما فيها من الفضل والشرف الذى  
 لا يحصل في غيرها وروى عن ابن عباس انها العشر الاول من ذى الحجة لانها أيام الاشتغال باعمال الحج وأخرج

(٥١ - (خازن) - رابع) وعلى وعاصم (الامن تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر) الاستثناء منقطع أى لست

بمستول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر بالله فان الله الولاية عليه والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر وهو عذاب جهنم وقيل هو استثناء  
 من قوله فذكر أى فذكر الامن انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض (ان الينا اياهم) رجوعهم  
 وقادة تقديم الطرف التشديد في الوعيد وان اياهم ليس الا الى الجبار المقدر على الانتقام (ثم ان علينا حسابهم) فنحاسبهم على أعمالهم  
 ونجازيهم بها جزاء أمثالهم وعلى لتأكيد الوعيد لا للوجوب اذ لا يجب على الله شئ ﴿سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية﴾  
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والفجر) أقسم بالفجر وهو الصبح كقوله والصبح اذا أسفر أو بصلاة الفجر (وليل عشر) عشر  
 ذى الحجة أو العشر الاول من المحرم أو الآخر من رمضان وانما تكبر لزيادة فضيلتها

(والشفع والوتر) شفح كل الاشياء وترها أو شفح هذه الليالي وترها أو شفح الصلاة وترها أو يوم النحر لانه اليوم العاشر ويوم عرفة لانه اليوم التاسع أو الخلق والخلق والوتر حزة وعلى وفتح الواو غيرهما وهما الغتان فالفتح محجازي والكسر تميمي وبعدهما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال (والليل) قيل أر يدبه ليلية القدر (أذايسر) اذا يمضى ويايسر تخذف في الدرجا ككتفاء عنها بالكسرة وسأل واحد الاخفش عن (٤٠٢) سقوط الياء فقال لا حتى تخدمني سنة فسأله بعدسنة فقال الليل لايسرى انمايسرى

الترمذي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام العمل فيها من أحب إلى الله من هذه الأيام العشر وذ كرا الحديث وروى عن ابن عباس قال هي العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان أحيا ليله وشدم تره وأيقظ أهله يعني للعبادة وقيل هي العشر الاوول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشوراء (والشفع والوتر) قيل الشفع هو الخلق الوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن أنى سعيد الخدرى وقيل الشفع هو الخلق كله كالايمن والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله فيه شفح وفيه وتر وقيل هما الصلوات منها شفح ومنها وتر عن عمران بن حصين رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هي الصلاة بعضها شفح وبعضها وتر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروى ان رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال أما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن نجح في يومين فلاثم عليه ومن تأخر فلاثم عليه فهما الشفع والوتر وأما الليالي العشر فالثمان وعرفوا النحر وقيل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذى ليلية معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكانه أقسم بالجنة والنار وقيل الشفع أوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والمجزر والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى التى تفردها عز بلاذل وقدرة بلاعجز وقوة بلاضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت (والليل اذايسر) أى اذا سار وذهب وقيل اذا جاء وأقبل وأراد به كل ليلة وقيل هي ليلة المزدلفة وهي ليلة النحر التى يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذى يسار فيه (هل فى ذلك) أى فيما ذكر (قسم) مقنع ومكتفى فى القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد (لدى شجر) أى الذى عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغى كاسمى عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وسمى نهيته لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغى وأصل الحجر المنع ولا يقال ذو حجر الا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كأنه يحجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى ان من كان ذالبا وعقل علم ان ما أقسم الله عز وجل به من هذه الاشياء فيه عجايب ودلائل تدل على توحيد هو ربو بيته فهو حقيق بان يقسم به لادلائه على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى ألم تركيف فعل ربك بعاد وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشياء ليعذب الكافر يدل عليه قوله تعالى ألم تركيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ثم ذكر تعذيب الامم التى كذبت الرسل فقال (ألم تركيف فعل ربك بعاد) أى ألم تعلم يا محمد عما يوازي العيان فى الايقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن

فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسرى يسرى فيه كما يقال ليل نائم أى ينام فيه (هل فى ذلك) أى فيما أقسمت به من هذه الاشياء (قسم) أى مقسم به (لدى شجر) عقل سمي به لانه يحجر عن النهات فيما لا ينبغى كاسمى عقلا ونهيته لانه يعقل وينهى بر يدهل تحقق عنده ان تعظم هذه الاشياء بالاقسام بها وهل فى اقسامها اقسام لى شجر أى هل هو قسم عظيم يؤكده بمثله المقسم عليه أو هل فى القسم بهذه الاشياء قسم مقنع لى عقل ولب والمقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذب من يدل عليه قوله ألم ترى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ثم ذكر تعذيب الامم التى كذبت الرسل فقال (ألم تركيف فعل ربك بعاد) أى ألم تعلم يا محمد عما يوازي العيان فى الايقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن

نوح عاد كما يقال لى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى والارم تسمية لهم باسم جدتهم ولبن بعدهم عاد الاخيرة ابن فارس عطف بيان لعاد وايدان أنهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضا لتعريف والتأنيث وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا يبدو بين أهل عمدا وطوال الاجسام على تشبيهه قدودهم بالعمدة وان كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين

له ملوكها فسمع بذلك  
الجنة فقال أئني مثلها فبنى  
أرم في بعض صحارى عدن  
في ثلثمائة سنة وكان عمره  
تسعمائة سنة وهي مدينة  
عظيمة قصورها من الذهب  
والفضة وأساطينها من  
الزبرجد والياقوت وفيها  
أصناف الأشجار والأنهار  
ولم تأم بناؤها سائر الياهاهل  
مملكته فلما كان منها على  
مسيرة يوم وليلة بعث الله  
عليهم صيحة من السماء  
فهلكوا وعن عبد الله بن  
قلاية أنه خرج في طلب ابل  
له فوقع عليها فحمل ما قدر  
عليه مما ثم وبلغ خبره  
معاوية فاستحضره فقص  
عليه فبعث إلى كعب فسأله  
فقال هي أرم ذات العماد  
وسيدخلها رجل من  
المسلمين في زمانك أحمز  
أشقر قصير على حاجبه  
خال وعلى عقبه خال يخرج  
في طلب ابل له ثم التفت  
فابصر ابن قلاية فقال هذا  
والله ذلك الرجل (التي لم  
يخلق مثلها في البلاد) أي  
مثل عاد في قوتهم وطول  
قامتهم كان طول الرجل  
منهم أربع مائة ذراع أولم  
يخلق مثل مدينة شداد في  
جميع بلاد الدنيا (وعمود  
التي نجاها الصخر) قطعوا  
صخر الجبال واتخذوا  
فيها بيوتاً في أول من نحت الجبال والصخور وعمود بنوا ألفاً وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (بالواد) بوادي القرى

ابن أرم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عاد السملقيلية لقوله تعالى وأنه أهلك عاد الأولى وأرم هو جد  
عاد على ما ذكر في نسبة عاد وقيل إن المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون بأرم اسم جدهم وقيل أرم هم  
قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد أباهم فنسبوا إليه وهو أرم بن عاد بن  
شيم بن سام بن نوح وقال السكبي أرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وعمود وأهل السواد وأهل الجزيرة وكان  
يقال عاد أرم وعمود أرم فهاك عاد وعمود وأبي أهل السواد وأهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب أرم ذات  
العماد دمشق وقيد الاسكندر به وفيه ضعف لأن منازل عاد كانت من عمان إلى حضرموت وهي بلاد  
الرمال والاحقاف وقيل إن عاداً كانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فاذا هاج العود وبيس  
رجعوا إلى منازلهم وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى وهي التي قال الله تعالى (التي لم يخلق  
مثلها في البلاد) وسموا ذات العماد لأنهم كانوا أهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والسكبي ورواية ابن  
عباس وقيل سمو ذات العماد لطول قامتهم يعني طولهم مثل العماد في الشبه قال مقاتل كان طول أحد هم  
اثني عشر ذراعاً وقوله التي لم يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين  
قالوا من أشد مناقرة وقيل سمو ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيدهم عمود ورفع بناءه وقيل كان لعاد ابنان  
شداد وشديد فلكا بعده وقهر البلاد والعبادات شديد وخلص الملك لشداد فلك الدنيا وادانت له ملوكها  
وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذلك الجنة وصفها فدعته نفسه إلى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا  
وروي وهب بن منبه عن عبد الله بن قلاية أنه خرج في طلب ابل له شردت فيبناها هو يسير في صحارى عدن إذ  
وقع على مدينة في تلك الغلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن إن فيها أحداً يسأله  
عن ابله فلم ير خارجاً ولا دخلاً فنزل عن دابته وعلفها ووسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين  
عظيمين وهما صعان والياقوت الأحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير أحد  
مثلها وإذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأشجار اللؤلؤ  
والياقوت وإذا أبواب تلك القصور مثل مصارع باب المدينة يقابل بعضها بعضاً وهي مفرشة كلها باللؤلؤ  
وبنادق المسك والزعفران فلما عين ذلك ولم ير أحداً هاله ذلك ثم نظر إلى الأزقة فاذا في تلك الأزقة أشجار  
مشجرة ونحت تلك الأشجار أنهار مطردة تجري ماؤها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وجل  
معه من لؤلؤ ترابها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ  
ذلك معاوية فإرسل إليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار فلما  
أناه قال له يا أبا إسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هي أرم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال  
خديثي حديثها فقال لما أراشداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان  
وكتب إلى ملوك الأرض إن يمدوه بمائة بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسرون في الأرض ليجدوا  
أرضاً موافقة فوققوا على صحراء نقيية من التلال وإذا فيها عيون ماء ومرج فقالوا هذه الأرض التي أمر  
الملك إن بنى فيها فوضعوا أساسها من الخبز النيماني وأقاموا في بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة  
سنة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصناً يعني سوروا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر  
ألف علم ليكون في كل قصر وزير من وزرائي ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يهيئوا للنقطة إلى  
أرم ذات العماد وكان الملك وأهله في جهازهم عشرين سنين ثم ساروا إليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم  
وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فهاكهم جميعاً ولم يبق منه أحد ثم قال كعب  
وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمز أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل  
له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلاية فقال هذا والله ذلك الرجل (وعمود) أي وفعل عمود ومثل  
ما فعل بعاد (الذين جابوا) أي قطعوا (الصخر) أي الحجر (بالواد) يعني بوادي القرى وكانت عمود أول من  
فيها بيوتاً في أول من نحت الجبال والصخور وعمود بنوا ألفاً وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (بالواد) بوادي القرى



(فصب عليهم بك سوط عذاب) مجاز عن إيقاع العذاب بهم على أبلغ الوجوه أذ الصب يشهر بالدوام والسوط بزيادة الإيلام أي عذبوا عذاباً مؤلماً دائماً (ان ر بك لبالمرصاد) وهو المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعول من رصده وهذا مثل لارصاده العباد وانهم لا يفوتونه وإنه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجاز بهم عليه ان خير اخبروا ن شرافشر (فأما الانسان اذا ابتلاه ر به فا كرمه ونعمه فيقول ر بي أ كرم من وأما اذا ما ابتلاه فقد ر عليه رزقه) أي ضيق عليه وجعله بمقدار بلغته فقدر شامح و يزيد (فيقول ر بي أهانن) أي الواجب ان ر به بالمرصاد ان يسمى للعاقبة ولاتهمم العاجلة وهو قد عكس فانه اذا امتحنه ر به بالنعمة والسعة ليشكر قال ر بي أ كرمي أي فضلتني بما أعطاني فيرى الا كرام في كثرة الحظ من الدنيا واذا امتحنه بالفقر فقد ر عليه رزقه ليصبر قال (٤٠٥) رب أهانني فيرى الهوان في قلة الحظ من الدنيا

لانه لاتهمم الالعاجلة وما يلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله (كلا) أي ليس الا كرام والاهانة في كثرة المال وقلته بل الا كرام في توفيق الطاعة والاهانة في الخذلان وقوله تعالى فيقول خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في أمان من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في تقدير التأخير كأنه قيل فاما الانسان فقائل ر بي أ كرمي وقت الابتلاء وكذا فيقول الثاني خبر المبتدا تقديره وأما هو اذا ما ابتلاه ر به وسمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع ونحوه قوله تعالى

الانم (فصب عليهم بك سوط عذاب) يعني لو ان من العذاب صب عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون في الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ما خلط لهم من العذاب لان أصل السوط خلط الشيء ببعضه وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب جري ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية يقول ان عند الله تعالى أسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها (ان ر بك لبالمرصاد) قال ابن عباس يعني بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوتونه أحد وقيل عليه عمر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل ترجع الخلق الى حكمه وأمره واليه مصيرهم وقيل انه يرصد أعمال بني آدم والمعنى انه لا يفوته شيء من أعمال العباد كما لا يفوت من المرصاد وقد قيل أرصد النار على طريقهم حتى تهلكهم قوله عز وجل (فأما الانسان اذا ما ابتلاه) أي امتحنه (ر به) أي بالنعمة (فا كرمه) أي بالمال (ونعمه) أي بما وسع عليه (فيقول ر بي أ كرم من) أي بما أعطاني من المال والنعمة (وأما اذا ما ابتلاه) يعني بالفقر (فقد ر عليه) أي فضيق عليه وقيل قدر (رزقه) أي وقد أعطاه ما يكفيه (فيقول ر بي أهانن) أي أزلني بالفقر قيل نزلت في أمية بن خلف الجمحي الكافر وقيل ليس المراد به واحدا بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذي تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق ا كرام وان الفقر اهانة فقال تعالى (كلا) أي ليس الامر كذلك أي لم ابتله بالفتن لكرامته ولم ابتله بالفقر طوانه فاخبر ان الا كرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لالكرامته ويضيق على المؤمن لاهوانه لكن لا امر اقتضته حكمة الله تعالى وانما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من أصناف المال ليختبره أيشكر أم يكفر ويضيق عليه ليختبره أيصبر أم يضجر وبقلي (بل لا يكرمون اليتيم) أي لا يعطونه حقه الثابت له في الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيم في حجر أمية ابن خلف فكان يدفعه عن حقه (ولا يحضون على طعام المسكين) أي لا يطعمون مسكينا ولا يأمرؤن باطعامه وقرئ ولا يحضون ومعناه ولا يحض بعضهم بعضا على ذلك (وبأ كلون الترات) أي الميراث (أ كلا لما) أي شديد والمعنى انه يأ كل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان و يأ كلون نصيبهم وقيل الآ كل اللم الذي يأ كل كل شيء يجده لا يسأل أحلال ام حرام فبأ كل الذي له ولغيره (ويحبون المال حبا جما) أي كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به وبجبه (كلا) أي لا ينبغي أن يكون الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما أمر وابه من ا كرام اليتيم وغيره من

ونبلوكم بالشر والخير فتنة وانما أنكر قوله ر بي أ كرمي مع أنه أنبته بقوله فا كرمه لانه قال على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبتته وهو قصد ان الله أعطاه ما أعطاه ا كرامه لاستحقاقه كقوله انما أؤتيته على علم عندي وانما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه (بل لانكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين) أي بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بالغي فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من ا كرام اليتيم بالمبرة وحض أهله على طعام المسكين (وتأ كلون الترات) أي الميراث (أ كلا لما) ذالم وهو الجمع بين الحلال والحرام وكانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان و يأ كلون ترانهم مع ترانهم (ويحبون المال) يقال حبه وأحبه بمعنى (حبا جما) كثيرا شديد مع الحرص ومنع الحقوق ر بي مجازي وأبو عمرو يكرمون ولا يحضون و يأ كلون ويحبون بصري (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعالهم ثم أتى بالوعيد وذكرتهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة فقال



(اذا دكت الارض) اذا زلزلت (دكا دكا) دكا بعددك أي كرر عليها ذلك حتى عادت هباء منبثا (وجاء ربك) تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه فان واحدا من الملوك اذا حضر بنفسه ظهر بحصوره من آثار الهيبه ما لا يظهر بحضور عساكره وخواسمه وعن ابن عباس أمره وقضاؤه (والملك صفا صفا) أي ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محرقين بالجن والانس (وجي يومئذ بجهنم) قيل انها برزت لاهلها كقولهم وبرزت (٤٠٦) الخيم للغاوين وقيل هو مجرى على حقيقته في الحديث يؤتى بجهنم يومئذها سبعون

ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الانسان) أي يتعظ (وأنتي له الذكرى) ومن أين له منفعة الذكرى (يقول يا ليتني قدمت لحياتي) هذه وهى حياة الآخرة أي يا ليتني قدمت الاعمال الصالحة في الحياة الفانية لحياتي الباقية (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أي لا يتولى عذاب الله أحد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم (ولا يوثق) بالسلاسل والاعلال (وناقه أحد) قال صاحب الكشاف لا يعذب أحد أحد كعذاب الله ولا يوثق أحد أحد كوثاق الله لا يعذب ولا يوثق على وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع اليها أبو عمرو في آخر عمره الضمير يرجع الى الانسان الموصوف وهو الكافر وقيل هو أبي بن خلف أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده ثم يقول الله تعالى

المسلمين ثم أخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم فقال تعالى (اذا دكت الارض دكا دكا) أي دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شيء عليها من جبل وبناء وغيره حتى لا يبقى على ظهرها شيء (وجاء ربك) اعلم ان هذه الآية من آيات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها وأجروها كما جاءت من غير تكليف ولا تشبيه ولا تأويل وقالوا يلزمنا الايمان بها وأجرها على ظاهرها وتأويلها بعض المتأخرين وغالب المتكلمين فقالوا ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله محال فلا بد من تأويل الآية ففعل في تأويلها وجاء أمر ربك وقيل جاء أمر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دلائل آيات ربك فجعل بجهنم محيها له تفخما لتلك الآيات (والملك صفا صفا) أي تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محرقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف (وجي يومئذ) يعني يوم القيامة (بجهنم) قال ابن مسعود في هذه الآية تقادجهم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك لها تعظيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش (يومئذ) يعني يوم يحيا بجهنم (يتذكر الانسان) أي يتعظ الكافر ويتوب (وأنتي له الذكرى) يعني أنه يظهر التوبة ومن أين له التوبة (يقول يا ليتني قدمت لحياتي) أي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة التي لاموت فيها (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أي لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ (ولا يوثق وناقه أحد) يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق هو الاسر في السلاسل والاعلال وقرى لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والناء ومعناه لا يعذب عذاب هذا الكافر أحد ولا يوثق وناقه أحد وهو أمة بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه ﴿وقوله عز وجل﴾ (يا أيها النفس المطمئنة) أي الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله تعالى الموقنة التي قد أيقنت بالله تعالى و بان الله رها وخضعت لامر وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هي الراضية بقضاء الله وقيل هي الآمنة من عذاب الله وقيل هي المطمئنة بذكر الله قيل نزلت في حجة ابن عبد المطلب حين استشهد باحد وقيل في خبيب بن عدي الانصاري وقيل في عثمان حين اشترى بئر رومة وسبيلها وقيل في أبي بكر الصديق والاصح ان الآية عامة في كل نفس مؤمنة مطمئنة لان هذه السورة مكية (ارجى الى ربك) أي الى ما وعد ربك من الجزاء والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجهما من الدنيا قال عبد الله بن عمر اذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عز وجل اليه ملكين وأرسل اليه بتحقفة من الجنة فيقال اخرجى أيها النفس المطمئنة اخرجى الى روح وربحان وربك عنك راض فتخرج كاطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الافتح لها ولا يملك الاصلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع نفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره فسبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله ويندله فيه الروح والريحان فان كان معه شيء من القرآن كفاه وره وان لم يكن جعل له نور مثل الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا أحب أهل اليه واذا توفي الكافر أرسل الله اليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أي من كساء نتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فيقال أيها النفس

الخبثية

للمؤمن (يا أيها النفس) اكرامه كما كرم موسى عليه السلام أو يكون على لسان ملك (المطمئنة)

الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة والمطمئنة الى الحق التي سكنها طمخ اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة في أيها النفس الآمنة المطمئنة وانما يقال لها عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة (ارجى الى) موعدا (ربك) أو ثواب ربك

(راضية) من الله بما أوثقت (مرضية) عند الله بما عملت (فادخلى في عبادى) فى جملة عبادى الصالحين فانظمى فى سلكهم (وادخلى جنتى) معهم وقال أبو عبيدة أى مع عبادى أو بين عبادى أى خواصى كما قال وأدخلى برحمتك فى عبادك الصالحين وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى أجساد عبادى كقراءة عبد الله بن مسعود فى جسد عبدى ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل فى نعشه فلما دفن نليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدبر من تلاها قيل نزلت (٤٠٧) فى حجة بن عبد المطاب وقيل فى خبيب الذى

صلبه أهل مكة وقيل هى عامة فى المؤمنين اذا عبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب

سورة البلد مكية وهى عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم (لأقسم بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق

مغمورا فى مكابد المشاق واعترض بين القسم

والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) أى ومن

المكابد ان مثلك على عظم حرمته يستحل بهذا

البلد يعنى مكة كما يستحل الصيد فى غير الحرم عن

شريحيل يجرمون أن يقتلوا بها صيدا أو يستحلون

اخراجك وقتلك وفيه تثبيت لرسول الله وبعث

على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتنجيب من

حاطم فى عداوته وأوسلى رسول الله بالقسم ببلده

على أن الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض

بان وعده فتح مكة

الخبثة اخرجى الى جهنم وعذاب اليم وربك عليك غضبان وقيل فى معنى قوله ارجع الى ربك أى الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لهذا ذلك عند البعث فى امر الله الارواح ان ترجع الى أجسادها وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجع الى ثواب ربك وكرامته (راضية) أى عن الله بما عدلك (مرضية) أى رضى الله عنها وقيل لها فى الدنيا ارجع الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيامة قيل لها (فادخلى فى عبادى) أى فى جملة عبادى الصالحين المصطفين (وادخلى جنتى) قال سعيد بن جبيرة مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فساء طائر لم ير على خلقه طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن نليت هذه الآية على شفير القبر لا يدري من تلاها يأتها النفس المطمئنة ارجع الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى وقال بعض أهل الاشارة فى تفسير هذه الآية يأتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجع الى ربك بتركها والرجوع اليه هو ساوئك سبيل الآخرة والله أعلم

تفسير سورة البلد

وهى مكية وعشرون آية واثنان وعشرون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (لأقسم بهذا البلد) تقدم الكلام على قوله لأقسم فى أول سورة القيامة والبلد هى مكة فى قول جميع المفسرين (وأنت حل بهذا البلد) أى مقيم به نازل فيه فكانه عظم حرمته مكة من أجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل أى حلال والمعنى أحلت لك تصنع فيها ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم فى استحلها حل الله عز وجل له مكة يوم الفتح حتى قاتل وأمر بقتل ابن أخطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صباة وغيرهما وأحل دماء قوم وحرم دماء قوم آخرين فقال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق بابيه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما أحلت لى ساعة من نهار فهى حرام بحرمته الله الى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فقد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى فى الماضى وهو مقيم بمكة أن يفتحها عليه فى المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعد وقيل فى معنى قوله (وأنت حل بهذا البلد) أى انهم يجرمون ان يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه (ووالد وما ولد) يعنى آدم وذريته أى أقسم الله تعالى بمكة لشرها وحرمتها و بالانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمته له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى كبد) قال ابن عباس فى نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعنه أيضا قال فى شدة من حمله وولادته ومرضاعه وفضاله ومعاشه وحياته وموته وأصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق وعن ابن عباس أيضا قال الكبد

تسمى للتسلي والتنفيس عنه فقال (وأنت حل بهذا البلد) أى (وأنت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة وأحاطها ووافتح على أحد قبله ولأحلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صباة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ونظير قوله (وأنت حل فى الاستقبال قوله) انك ميت وانهم ميتون وكفالك دليلا على انه للاستقبال ان السورة مكية بالاتفاق وأين الهجرة من وقت نزولها فالفتح (ووالد وما ولد) هما آدم وولده أو كل والد وولده إبراهيم وولده وما يعنى من أو بمعنى الذى (لقد خلقنا الانسان) جواب القسم (فى كبد) مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعن ذى النون لم يزل

الاستواء والاستقامة فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان منتصباً معتدلاً القائمة وكل شيء من الحيوان يمشى منكباً وقيل منتصباً رأسه في بطن أمه فاذا أذن الله في خروجه انقلب رأسه الى أسفل وقيل في كبد أي في قوّة نزلت في أبي الأشد أسيد بن كادة بن جرح وكان شديداً قوياً يابض الأديم العكاظي تحت قدميه ويقول من أزالني عنه فله كذا وكذا فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه الاقطاع ويبقى من ذلك الأديم بقدر موضع قدميه (أي يحسب) يعني أبا الأشد من قوته (أن لن يقدر عليه أحد) يعني أيظن لشدة في نفسه انه لا يقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي (يقول) يعني هذا الكافر (أهلك) أي أنفقت (مالاً لبداً) أي كثير من التلبيد الذي يكون بعضه فوق بعض يعني في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (أي يحسب أن لم يره أحد) يعني أيظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه وقيل كان كاذباً في قوله انه أنفق ولم ينفق جميع ما قال والمعنى أيظن ان الله لم يره ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكره نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى (ألم نجعل له عينين ولساناً وشفقتين) يعني ان نعم الله على عبده متظاهرة يقرر بها كي يشكره وجاء في الحديث ان الله عز وجل يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فباحرت عليك فقد أعتتكت عليه بطبقتين فاطبق عليه وان نازعك فرجلك فباحرت عليك فقد أعتتكت عليه بطبقتين فاطبق عليه وان نازعك المفسر بن طريق الخير والشرا والحق والباطل والهدى والضلالة وقال ابن عباس الشديدين (فلا اقتحم العقبة) أي فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام السغبان يكون ذلك خيراً له من انفاقه في عداوة من أرسله الله اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقترحام لدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضرب به الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال الخير والبر فجعله كالذي يتكف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل على نفسه المشقة بعق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب على من تكبها بالعقبة فاذا أعتق رقبة أو أطمع المساكين كان ممن اقتحم العقبة وجاوزها وروى عن ابن عمر أن هذه العقبة جبل في جهنم وقيل هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقترحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هي الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة سهلاً وصعوداً وهبوطاً وان يجنبتيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فجاج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في النار منكوس فن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفرس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم الزلون ومنهم من يكردس في النار وقيل معنى الآية فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ما هي فقال تعالى (وما أدراك ما العقبة) أي وما أدراك ما اقتحام العقبة (فك رقبة) يعني عتق الرقبة وهو ايجاب الحرية لها وابطال الرق والعبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التي في ملكه أو يعطي مكانها ما يصرفه في فكاك رقبة ومن اعتق رقبة كانت فداه من النار (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني عملاً يدخلني الجنة قال لئن كنت أقصرت الخطيئة لقد أعرضت المسئلة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أو ليسوا واحداً قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في ثمنها والمنحة الكوف والي على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الامن خير وقيل في معنى الآية فك رقبة من رق الذنوب بالتوبة بما يتسكفه من العبادات والطاعات التي يصير بها

مر بوطاً بحبل القضاء مدعو الى الأثام والانهاء والضمير في (أي يحسب أن لن يقدر عليه أحد) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله يكابد منهم ما يكابد ثم قيل هو أبو الأشد وقيل الوليد بن المغيرة والمعنى أيظن هذا الصندي القوي في قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولم يقدر على الانتقام منه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وأنه (يقول) أهلك ما لالبداء أي كثير ارجع لبدته وهو ما تلبد أي كثر واجتمع يريد كثره ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالي (أي يحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق ما ينفق رياء وافتخاراً يعني ان الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيباً ثم ذكر نعمه عليه فقال (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولساناً) يعبر به عما في ضميره (وشفتين) يستر بهما نغره ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ (وهديناه النجدين) طريق الخير والشرا المفضيين الى الجنة والنار وقيل الشديدين (فلا اقتحم العقبة وما أدراك

العقبة فك رقبة

وأطعام في يوم ذي مسغبة يتبادر مقر به أو مسكيناً ذامراً ثم كان من الذين آمنوا) يعني فلم يشكر تلك الأيدي والنعم بالأعمال الصالحة من فك الرقاب أو أطعام اليتامى والمساكين ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة وأساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الاتفاق على هذا الوجه مرضي نافع عند الله لأن بهلك ماله ليدافى الرياء والفخار وقلمت استعمل لامع الماضي المكررة وإنما لم تكرر في الكلام الأفصح لأنه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنه أعاد ثلاث مرات وتقديره فلا فلك رغبة ولا أطمع مسكيناً ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاورة بشدة ومشقة والقحمة الشدة فجعل الصالحة عقبة وعملاً اقتحاماً لها في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهو واه وعده الشيطان والمراد بقوله ما العقبة ما اقتحامها ومعناه أنك لم تدركه صعباً بها على النفس وكنهه ثوابها عند الله وفك الرقبة تخليصها من الرق والاعانة في مال الكتابة فك رغبة أو أطمع مكي وأبو عمرو وعلى على الإبدال من اقتحام العقبة وقوله وما أدراك ما العقبة: أراض غيرهم فك رغبة أو أطمع ٧ على اقتحامها فك رغبة أو أطمع والمسغبة المجاعة والمقر به القرابة والمترية الفقر مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في النسب يقال فلان قرابي (٤٠٩) وذو مقر بني وترب إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب فيكون مأواه

المزابل و وصف اليوم  
بذئ مسغبة كقولهم هم  
ناب أي ذونصب ومعنى  
ثم كان من الذين آمنوا أي  
داوم على الإيمان وقيل ثم  
بمعنى الواو وقيل إنما جاء بهم  
لترسخ الإيمان وتباعد  
في الرتبة والفضيلة عن العتق  
والصدقة لافي الوقت إذ  
الإيمان هو السابق على  
غيره ولا يثبت عمل صالح  
الابه (وتواصوا بالصبر)  
عن المعاصي وعلى الطاعات  
والحن التي ينتلي بها المؤمن  
(وتواصوا بالرحمة) بالترحم  
فيما بينهم (أولئك أصحاب  
الميمنة) أي الموصوفون  
بهذه الصفات من أصحاب  
الميمنة (والذين كفروا

إلى رضوان الله والجنة فهي الحربة الكبرى ويتخلص بهما من النار (أو أطعام في يوم ذي مسغبة) أي في يوم ذي مجاعة والسغب الجوع (يتبادر مقر به) أي ذاق قرابة يدي يتيمانك وبنه قرابة (أو مسكيناً ذامراً مترية) يعني قد لاقى بالتراب من فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح في التراب لا يقيه شيء والمترية الفقر ثم بين أن هذه القرب لا تنفع لامع الإيمان بقوله (ثم كان من الذين آمنوا) والمعنى أنه إن كان مؤمناً تنفعه هذه القرب وكان مقتحماً العقبة وإن لم يكن مؤمناً لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة (وتواصوا بالصبر) يعني وصى بعضهم بعضاً على أداء الفرائض وجميع أوامر الله ونواهيه (وتواصوا بالرحمة) أي برحمة الناس وفيه الإشارة إلى تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله (أولئك) يعني أهل هذه الخصال (أصحاب الميمنة والذين كفروا) أي أتباعهم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة) يعني مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الشمس﴾

وهي مكية وخمس عشرة آية وأربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والشمس ونحها) أي إذا بدا ضوءها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها وقيل الضحى النهار كله لأن الضحى هو نور الشمس وهو حاصل في النهار كله وقيل الضحى هو حشر الشمس لأن حرها ونورها متلازمان فإذا اشتد نورها قوى حرها وهذا أضعف الأقوال (والقمر إذا تلاحها) أي تبعها وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غارت الشمس تلاها القمر في الأضواء وخلفها في النور وقيل تلاها في الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستدبر وذلك في الليالي البيض وقيل تلاها تبعها في الطلوع وذلك في أول ليلة من الشهر إذا غارت الشمس ظهر الهلال فكأنه تبعها (والنهار إذا جلاها) يعني جلا ظلمة الليل بضياؤه وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفاً (والليل إذا يغشاها) أي يغشى الشمس

(٥٢ - (خازن) - رابع)

بآياتنا) بالقرآن أو بدلائلنا (هم أصحاب المشأمة) أصحاب الشمال والميمنة والمشأمة الميمنة والشمال أو اليمن والشؤم أي الميامين على أنفسهم والمشأمة عليهم (عابهم نار مؤصدة) وبالهمز أبو عمرو وحجزة وحفص أي طبقة من أوصدت الباب وأصدته إذا طبقت وأغلقت والله أعلم ﴿سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والشمس ونحها) وضوؤها إذا أشرفت وقامت سلطانها (والقمر إذا تلاحها) تبعها في الضياء والنور وذلك في النصف الأول من الشهر يخلف القمر الشمس في النور (والنهار إذا جلاها) جلى الشمس وأظهره للرأين وذلك عند اتساق النهار وانساقه لأن الشمس تتجلى في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة وللدنياً وللأرض وإن لم يجز لها ذكر كقوله ما نرك على ظهرها من دابة (والليل إذا يغشاها) يستر الشمس فتظلم الآفاق والواو الأولى في نحو هذا القسم بالاتفاق وكنه الثانية عند البعض وعند الخليل الثانية للعطف لأن إدخال القسم على القسم قبيل تمام الأول لا يجوز إلا ترى أنك لو جعلت موضعها كلمة الفناء أو ثم لكان المعنى على حاله وهما حرفا عطف فكذا الواو ومن قال أنها اللقمة احتج بانها لو كانت للعطف لكان عطفها على عاملين لأن قوله والليل مثلاً مجرور بواو القسم وإذا يغشى

منصوب بالفعل المقدر الذي هو أقسم فلوجعلت الواو في والنهار اذا تجلى للعطف اكان النهار معطوفا على الليل جوا اذا تجلى معطوفا على اذا يغشى نصبا فصار كقولك ان في الدار زيدوا الحجر عمر او اجيب بان واو القسم نزل منزلة الباء والفعل حتى لم يجز ابراز الفعل معها فصارت كاتها العاملة نصبوا جوا وصارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له عملان يجوز ان يعطف على معموليه باطراف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمر او بكر خالدا فترفع بالواو وتنصب (٤١٠) لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما فتكذبا هتا ومصدر ية في (والسما وما

بناها والارض وماطحاها  
ونفس وماسواها) أى  
وبناها وطحوها أى  
بسطها وتسوية خلقها في  
أحسن صورة عند البعض  
وليس بالوجه لقوله فالطمها  
لما فيه من فساد النظم  
والوجه أن تكون  
موصولة وانما أوترت على  
من لارادة معنى الوصفية  
كانه قيل والسماء والقادر  
العظيم الذي بناها ونفس  
والحكيم الباهر الحكمة  
الذي سواها وانما انكرت  
النفس لانه أراد نفسا خاصة  
من بين النفوس وهي نفس  
آدم كانه قال وواحدة من  
النفوس أو أراد كل نفس  
والتنكير للتكثير كما في  
علمت نفس ( فالطمها  
جورها وتقواها) فالعلمها  
طاعتها ومعصيتها أى  
أفهمها ان أحدهما حسن  
والآخر قبيح (قد أفلح)  
جواب القسم والتقدير  
لقد أفلح قال الزجاج صار  
طول الكلام عوضا عن  
اللام وقيل الجواب محذوف  
وهو الاظهر تقديره  
ليدم من الله عليهم أى على

حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس في الحقيقة لان بوجودها يكون  
النهار ويشهد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر (والسما وما بناها) أى ومن بناها وقيل  
والذي بناها فلي هذا كانه أقسم به و باعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما معنى المصدر أى والسما  
وبناها (والارض وماطحاها) أى بسطها ووسطحها على الماء (ونفس وماسواها) أى عدل خلقها وسوى  
أعضاءها هذا ان أراد بالنفس الجسد وان أراد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها أعطائها القوي  
الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما  
نكرها لانه أراد بها النفس الشريفة المكلفة التي تفهم عنه خطابه وهي نفس جميع من خلق من الانس  
والجن (فالطمها جورها وتقواها) قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه  
عرفها ما أتى وما تنقى وقيل أزمها جورها وتقواها وقيل جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذ لانه اياها  
للفجور وذلك لان الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور (م) عن أبي الاسود الدبلي قال  
قال عمر بن حصين رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدهون فيه أشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد  
سبق أو فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبهم صلى الله عليه وسلم وثبت الحجية عليهم فقلت بل شئ قضى عليهم ومضى  
عليهم فقال أ فلا يكرون ظلما قال ففرغت من ذلك فرعاشد يداوقلت كل شئ خلق الله وملك يده فلا يسئل عما  
يفعل وهم يسئلون فقال لى يرحمك الله انى لم أرى دما سأتك الا لاختر عقلك ان رجلين من مريبة أتيا رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فقالا لى رسول الله رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدهون فيه أشئ قضى عليهم ومضى  
عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبهم صلى الله عليه وسلم وثبت الحجية عليهم فقال لا بل شئ  
قضى عليهم ومضى فيهم وتصدىق ذلك فى كتاب الله عز وجل ونفس وماسواها فالطمها جورها وتقواها (م)  
عن جابر قال جاء سراق بن مالك بن جعشم فقال لى رسول الله بين لنا ديننا كنا نخلقنا الآن فيم العمل اليوم  
فما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أو فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال فقيم  
العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه أقسام أقسم الله تعالى بالشمس ونحوها وما بعد الشرفها  
ومصالح العامل بها وقيل فيه اضرار تقديره دورب الشمس وما بعدها أو ورد على هذا القول انه قد دخل في جملة  
هذا القسم قوله والسما وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير رب السما ورب من بناها وهذا خطأ  
لا يجوز وأجيب عنه بأن ما ان فسرت بالمصدر ية فلا اشكال وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب  
السما الذى بناها وجواب القسم قوله تعالى (قد أفلح من زكاه) المعنى لقد أفلح من زكاه أى فازت وسعدت  
نفس زكاه الله أى أصلحها الله وطهرها من الذنوب ووقفها للطاعة (وقد خاب من دساها) أى خابت  
وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأفسدها وأصلحها من دس الشئ اذا أخفاه فكانه سبحانه وتعالى أقسم بأشرف  
مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخساره من خذله وأضله حتى لا يظن أحدا أنه يتولى تطهير نفسه أو  
اهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول اللهم انى أعوذ بك من الجور والكسل والبخل والحرم وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها

أهل مكة لتكذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على نمود لانهم كذبوا صالحا وما قد أفلح فكلام تابع أنت  
لقوله فالطمها جورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم فى شئ (من زكاه) طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكية (وقد  
خاب من دساها) أغواها الله قال عكرمة أفلحت نفس زكاه الله وخابت نفس أغواها الله ويجوز أن تكون التندسية والتطهير فعل العبد  
والتندسية النقص والاختفاء بالفجور وأصل دسى دسس والياء بدل من السين المكررة

( كذبت ثمود بطغواها ) بطغيانها اذا حمل لم على التكذيب طغيانهم ( اذ انبعث ) حين قام يعقر الناقة ( اشقاها ) اشقى ثمود فدار بن سالف وكان اشقر أزرق قصيرا واذ منصوب بكذبت أو بالطغوى ( فقال لهم رسول الله ) صالح عليه السلام ( ناقة الله ) نصب على التحذير رأى احذر واعقرها ( وسقيها ) كقولك الاسد الاسد ( فكذبوه ) فباحذرهم ( ٤١١ ) منه من نزول العذاب ان فعلا ( فعقروها ) أى

الناقة أسند الفعل اليهم وان كان العاقر واحدا قوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به ( فدمدم عليهم ربهم ) أهلكتهم هلاك استئصال ( بذنبهم ) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة ( فسواها ) فسوى الدمدمه عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ( ولا يخاف عقباها ) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة أى فعل ذلك غير خائف ان تلحقه تبعة من أحد كما يخاف من يعاقب من الملوك لانه فعل فى ملكه وملكه لا يستل عماء يفعل وهم يستلون فلا يخاف مدنى وشامى

﴿ سورة الليل احدى وعشرون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

( واللّيل اذا يغشى ) أى يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه أقسم الله تعالى باللّيل لانه سكن لكافة الخلق بأوى فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم بالنهار بقوله ( والنهار اذا تجلّى ) أى بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق فى طلب الرزق ( وما خلق الذكروالانثى ) أى ومن خلق فعلى هذا يكون أقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذى قدر على خلق الذكروالانثى من ماء واحد ان أر يده جنس الذكروالانثى وقيل هما آدم وحواء وانما أقسم بهما لانه تعالى ابتداء خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى ( ان سعيكم لشتى ) أى ان أعمالكم مختلفة فساد فى فسادك نفسه وساع فى عطهاروى أبو مالك الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها قوله مو بقها أى مهلكها ﴿ قوله تعالى ( فاما من أعطى ) أى أنفق ماله فى سبيل الله عزوجل ( واتقى ) أى ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل ما لا يبنى ( وصدق بالحسنى ) قال ابن عباس صدق بقول لاله الا الله وعنه صدق بالخلف به أى يقن ان الله سيعطف عليه ما أنفق فى طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بوعده الله عزوجل الذى وعده أنه يشيبه ( فسنبسره )

والانثى من ماء واحد وجواب القسم ( ان سعيكم لشتى ) ان عملكم مختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على أثره ( فاما من أعطى ) حقوق ماله ( واتقى ) ربه فاجتنب محارمه ( وصدق بالحسنى ) بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام أو المثوبة الحسنى وهى الجنة أو بالكلمة الحسنى وهى لاله

الا الله ( فسنبسره )

﴿ تفسير سورة الليل ﴾

وهى مكية واحدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرة أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عزوجل ( واللّيل اذا يغشى ) أى يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه أقسم الله تعالى باللّيل لانه سكن لكافة الخلق بأوى فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم بالنهار بقوله ( والنهار اذا تجلّى ) أى بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق فى طلب الرزق ( وما خلق الذكروالانثى ) أى ومن خلق فعلى هذا يكون أقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذى قدر على خلق الذكروالانثى من ماء واحد ان أر يده جنس الذكروالانثى وقيل هما آدم وحواء وانما أقسم بهما لانه تعالى ابتداء خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى ( ان سعيكم لشتى ) أى ان أعمالكم مختلفة فساد فى فسادك نفسه وساع فى عطهاروى أبو مالك الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها قوله مو بقها أى مهلكها ﴿ قوله تعالى ( فاما من أعطى ) أى أنفق ماله فى سبيل الله عزوجل ( واتقى ) أى ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل ما لا يبنى ( وصدق بالحسنى ) قال ابن عباس صدق بقول لاله الا الله وعنه صدق بالخلف به أى يقن ان الله سيعطف عليه ما أنفق فى طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بوعده الله عزوجل الذى وعده أنه يشيبه ( فسنبسره )

والانثى من ماء واحد وجواب القسم ( ان سعيكم لشتى ) ان عملكم مختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على أثره ( فاما من أعطى ) حقوق ماله ( واتقى ) ربه فاجتنب محارمه ( وصدق بالحسنى ) بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام أو المثوبة الحسنى وهى الجنة أو بالكلمة الحسنى وهى لاله

الا الله ( فسنبسره )

﴿ تفسير سورة الليل ﴾

وهى مكية واحدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرة أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عزوجل ( واللّيل اذا يغشى ) أى يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه أقسم الله تعالى باللّيل لانه سكن لكافة الخلق بأوى فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم بالنهار بقوله ( والنهار اذا تجلّى ) أى بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق فى طلب الرزق ( وما خلق الذكروالانثى ) أى ومن خلق فعلى هذا يكون أقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذى قدر على خلق الذكروالانثى من ماء واحد ان أر يده جنس الذكروالانثى وقيل هما آدم وحواء وانما أقسم بهما لانه تعالى ابتداء خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى ( ان سعيكم لشتى ) أى ان أعمالكم مختلفة فساد فى فسادك نفسه وساع فى عطهاروى أبو مالك الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها قوله مو بقها أى مهلكها ﴿ قوله تعالى ( فاما من أعطى ) أى أنفق ماله فى سبيل الله عزوجل ( واتقى ) أى ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل ما لا يبنى ( وصدق بالحسنى ) قال ابن عباس صدق بقول لاله الا الله وعنه صدق بالخلف به أى يقن ان الله سيعطف عليه ما أنفق فى طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بوعده الله عزوجل الذى وعده أنه يشيبه ( فسنبسره )

والانثى من ماء واحد وجواب القسم ( ان سعيكم لشتى ) ان عملكم مختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على أثره ( فاما من أعطى ) حقوق ماله ( واتقى ) ربه فاجتنب محارمه ( وصدق بالحسنى ) بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام أو المثوبة الحسنى وهى الجنة أو بالكلمة الحسنى وهى لاله

الا الله ( فسنبسره )

للبيسرى) فسنيته للخلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه به (وأما من بخل) بماله (واستغنى) عن ربه فلم يتقهأ واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) (٤١٢) بالاسلام وأ الجنة (فسيئره للعسرى) للخلة المؤدية الى النار فتكون الطاعة أعسر شئ

فسنيته في الدنيا (للبيسرى) أى للخلة والفعلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله ﷻ قوله عز وجل (وأما من بخل) أى بالنفقة في الخير والطاعة (واستغنى) أى عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه (وكذب بالحسنى) أى بلاه الا الله أو كذب بما وعده الله عز وجل من الجنة والثواب (فسيئره للعسرى) أى فسنيته للشر بان نجر يه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نعر عليه أن يأتي خيرا وفي الآية دليل لاهل السنة وصحة قولهم في القدر وان التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل بما سبق له في الازل (ق) عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فانا نارسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله ومعه مخضرة فذكس وجعل يسكت بمخضرة ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة مهزاد مسلم والا وقد كتبت شقية وسعيدة فقالوا يارسول الله أفلا تسكل على كتابنا ونذع العمل فقال اعلموا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ ما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسيئره للبيسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسيئره للعسرى المخضرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمكنه الانسان بيده والنكت بالثناء المثناة فوق ضرب الارض بذلك أو غيرها مما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وذلك أنه اشترى بلا لامن أمية بن خلف ببردوة عشرة أواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل اذا غشي الى قوله ان سعيكم لشتى يعني سعى أبي بكر وأميه بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها في دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا طلع نخلته يأخذ منها التمر فر بما سقطت التمرة فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته حتى يأخذ التمرة من أيديهم وان وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه في فيه حتى يخرجها فشكل ذلك الرجل الفقير الى النبي صلى الله عليه وسلم فلقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال الرجل ان لي نخلا وما فيه أعجب الى منها ثم ذهب فسمع بذلك أبو الدرداح رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك أن تبيعها بحش يعني حائطه فيه نخل فقال هي لك فأتى أبو الدرداح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله تشتريها مني بنخلة في الجنة فقال نعم فقال هي لك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جارا الانصاري صاحب النخلة قال خذها لك ولعيا لك فانزل الله هذه الآية وهذا القول فيه ضعف لان هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة تسكون هذه السورة قد نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت في أبي بكر الصديق وأميه بن خلف لان سياق الآيات يقتضى ذلك قوله عز وجل (وما يغنى عنه ماله) أى الذى بخل به (اذا تردى) أى اذا مات وقيل هوى في جهنم (ان علينا للهدى) أى ان علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك أنه لما عرفهم ماله المحسن من اليسرى ومال المسمى عن العسرى أخبرهم أن يبيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذلك كراهة المعنى أرشداً ولباى الى العمل بطاعتي وأصرف أعدائى عن العمل بطاعتي وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله (وان لنا للاخرة والاولى) أى لنا مافى الدنيا والاخرة فمن طلبها ممن غير مالكمها فقد أخطأ الطريق (فانذر تكلم) أى يا أهل مكة (نارا تطفى) أى تتوقد وتنوهج (لا يصلاها الا الشقى) يعنى الشقى (الذى كذب) يعنى الرسل (وتولى) أى عن الايمان (وسبجئها الاتقى) يعنى التقى (الذى يؤتى) أى يعطى (ماله يتزكى) أى يطلب عند الله أن يكون زاكيا

عليه وأشد وأسمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر أو أراد بهما طريق الجنة والنار (وما يغنى عنه ماله اذا تردى) ولم ينفعه ماله اذا هلك وتردى تفعل من الردى وهو الهلاك أو تردى في القبر أو في قعر جهنم أى سقط (ان علينا للهدى) ان علينا الارشاد الى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وان لنا للاخرة والاولى) فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهداء من اهدى أو أنهما لنا فمن طلبها ممن غيرنا فقد أخطأ الطريق (فانذر تكلم) خوفكم (نارا تطفى) تطلب (لا يصلاها) لا يدخلها الا الخلود فيها (الا الشقى الذى كذب وتولى) الا الكافر الذى كذب الرسل وأعرض عن الايمان (وسبجئها) وسبغها منها (الاتقى) المؤمن (الذى يؤتى ماله) للفقراء (يتزكى) من الزكاة أى يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة ويتزكى ان جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالاً من الضمير في يؤتى

لا يطلب بما ينفقه ياء ولا سمعة وهو أبو بكر الصديق في قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يتناع  
الضعفاء فيعتقهم فقال له أبو أي بني لو كنت تتناع من منع ظهرك قال منع ظهري أريد فانزل الله وسيجنبها  
الاثنى الى آخر السورة وذ كر محمد بن اسحق قال كان بلال لبعض بني جرح وهو بلال بن رباح واسم أمه  
جمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف بنجر جهاداً حجت الشمس فيطرحه على ظهره  
ببطحاء مكة ثم بأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد  
فيقول وهو في ذلك أحد أحد قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبو بكر يوم ما وهم  
يصنعون به ذلك وكانت دار أبي بكر في بني جرح فقال لامية الاثنى الله في هذا المسكين قال أنت أفسدته فانقذه  
ماترى فقال أبو بكر افعل عندى غلام أسوداً جلد منه وأقوى وهو على دينك أعطيكه قال قد فعلت فأعطاه  
أبو بكر غلامه وأخذ بلالاً فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام قبل أن يهاجر بلال سابعهم وهم  
عامر بن فهرة شهيد بدر أو أحداً وقتل يوم بئر معونة شهيداً وأم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها  
أبو بكر فقالت قريش ما ذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا ورب البيت ما نضر اللات والعزى  
ولا تنفعان فرد الله تعالى عليها بصرها وأعتق النهديّة وابنتها وكاتلا امرأة من بني عبد الدار فآتمها أبو بكر  
وقد يعتقها مسيدها محتطباً لها وهي تقول والله لأعتقها ما أبدأ فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا  
أنت أفسدتها فاعتقها ما قال فيكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتها وما حزنان ومر بجارية من بني المؤمل  
وهي تعذب فابتاعها وأعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالاً وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء واعتاق أبي  
بكر إياهم وكان اسم أبي بكر عتيقاً فقال في ذلك

جزى الله خيراً عن بلال وصحبه \* عتيقاً وأخزى فأكها وأباجهل  
عشية هماني بلال بسوأة \* ولم يحذر ما يحذر المرء والعقل  
بتوحيده رب الانام وقوله \* شهدت بان الله ربى على مهل  
فان تقتلوني فاقتلوني فلم أكن \* لا شريك بالرحمن من خيفة القتل  
فيارب ابراهيم والعبد يونس \* وموسى وعيسى نجيى ثم لا تملى  
لمن ظل يهوى التي من آل غالب \* على غير حق كان منه ولا عدل

قال سعيد بن المسيب بلغنى أن أمية بن خلف قال لابي بكر في بلال حين قال له أتبعه قال نعم أتبعه بنسطاس  
عبد لابي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلهمان وجوار ومواش وكان مشركاً حمله أبو بكر  
على الاسلام على أن يكون ماله له فابغضه أبو بكر فاسأله أمية أتبعه بغلامك نسطاس اغتتمه أبو بكر  
وباعه فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر بلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله عز وجل (وما لحد  
عنده) أي عند ابن بكر (من نعمة تجزى) أي من يدكافئه عليها (الابتغاء وجهه به الاعلى) أي لم يفعل  
ذلك مجازاة لحد ولا ليد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجهه به الاعلى وطلب مرضاته (واسوف يرضى)  
أي بما عطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله أعلم

﴿ تفسير سورة الضحى ﴾

وهي مكية واحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفاً

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل (والضحى) اختلفوا في سبب نزول هذه السورة على ثلاثة أقوال القول الاول (ق) عن  
جندب بن سفيان البجلي قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت  
يا محمد انى لارجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قر بك ليلتين أو ثلاثاً فانزل الله عز وجل والضحى

بالصلى أشقى الاشقياء ولا  
بالنجاه أثنى الانتقاء وان  
زعمت أنه نكر النار فاراد  
ناراً مخصوصة بالاشقى فما  
تصنع بقوله وسيجنبها  
الاثنى لان التقي يجنب تلك  
النار المحصورة لا الاثنى منهم  
خاصة وقيل الآية واردة في  
الموازنة بين حالتي عظيم من  
المشركين وعظيم من  
المؤمنين فاريد أن يبالغ  
في صفتيهما فقيل الاشقى  
وجعل مختصاً بالصلى كان  
النار لم تخلق الا له وقيل  
الاثنى وجعل مختصاً بالنجاه  
كان الجنة لم تخلق الا له  
وقيل هما أبو جهل وأبو  
بكر وفيه بطلان زعم  
المرجسة لانهم يقولون لا  
يدخل النار الا كافر  
(وما لأحد عنده من نعمة  
تجزى الا ابتغاء وجهه به)  
أى وما لأحد عند الله نعمة  
يجازيه بها الا أن يفعل فعلاً  
يبتغى به وجهه به فيجازه به  
عليه (الاعلى) هو الرفع  
بسلطانه المنيع أى شأنه  
وبرهانه ولم يرد به العلون  
حيث المكان فذا آية  
الحدان (ولسوف يرضى)  
موعده بالثواب الذى  
يرضيه ويقر عينه وهو  
كقوله تعالى لنبيه عليه  
السلام ولسوف يعطيك  
ربك فترضى

﴿ سورة والضحى مكية وهي احدى عشرة آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ والضحى ﴾ المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار



حين ترفع الشمس وأما خص وقت الضحى بالقسم لأنها الساعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام وأتى فيها السحرة بسجدها والنهار كله لمقابلة بالليل في قوله (والليل إذا سجي) سكن والمراد سكوت الناس والاصوات فيه وجواب القسم (ما ودعك ربك وما قلى) ما تركك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روى أن الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال المشركون ان محمد اودعهم به وقلاه فترت وحذف الضمير من قلى كحذفه من الذكوات في قوله والذكري بن الله كثيرا والذكري يد والذكريانه (٤١٤) ونحوه فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف (وللاخرة خير لك

من الاولى) أى ما أعد الله لك في الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود خير مما أعجبك في الدنيا وقيل وجه اتصاله بما قبله انه لما كان في ضمن نبي التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك لتقدمه على الانبياء وشهادة أمته على الامم وغير ذلك (ولسوف يعطيك ربك) في الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (فترضى) ولما نزلت قال صلى الله عليه وسلم اذا الأرضى قط وواحد من أمتى في النار واللام الداخلة على سوف لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ المحذوف تقديره ولأن سوف يعطيك ونحوه لاقسم فيمن قرأ كذلك لان المعنى لانا أقسم وهذا انها اذا كانت لام قسم لاتدخل على المضارع الامع نون

والليل اذا سجي ما ودعك ربك وما قلى وأخرجه الترمذى عن جنسب قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار فدميت أصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم

هل أنت الاصبع دميت \* وفي سبيل الله ما لقيت

قال فابطأ عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان المرأة المذكورة في الحديث المتفق عليه هي أم جميل امرأة أبي لهب القول الثاني قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذى القرنين وأصحاب الكهف فقال سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عليه القول الثالث قال زيد بن أسلم كان سبب احتباس الوحي وجبريل عنه ان جروا كان في بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لاندخل بيتا فيه كتاب ولا صورة واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقيل اثناعشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل أربعون يوما فلما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ماجئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل انى كنت اليك أشد شوقا ولكنى عبد مأمور ونزل وما تنزل الا بامر ربك وأنزل الله هذه السورة قوله عز وجل والضحى قيل أراد به النهار كانه بدل لانه قاله بالليل كله في قوله والليل اذا سجي وقيل وقت الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء (والليل اذا سجي) قال ابن عباس أقبل بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شئ بظلامه وقيل معناه سكن فاستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا قسم أقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا سجي وجواب القسم قوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) أى ما تركك ربك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك وانما قال قلى ولم يقل فلاك لموافقة رؤس الآي وقيل معناه وما قلى أحدا من أصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيامة (وللاخرة خير لك من الاولى) أى الذى أعطاك ربك في الآخرة خير لك وأعظم من الذى أعطاك في الدنيا وروى البغوى بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال ابن عباس هي الشفاعة في أمته حتى يرضى (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم أمتى أمتى وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد واسأله ما يبكيك وهو أعلم فأتى جبريل وسأله فآخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال ٣ وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد وقل له انا سترضيك في أمتك ولانسوؤك (ق) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسكن نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعة لى لأمى يوم القيامة فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا عن عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتانى آت من عند ربى يخبرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهى نائلة ان شاء الله

تعالى

التوكيد فيتعين أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لاتدخل الاعلى المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر

كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف وذ كر صاحب الكشاف هي لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لان النون انما تدخل ليؤذن أن اللام لام القسم للام الابتداء وقد علم أنه ليس للابتداء لدخولها على سوف لان لام الابتداء لاتدخل على سوف وذ كر أن الجمع بين حرفي التأكيذ والتأخير يؤذن بان العطاء كائن لا محالة وان تأخر ثم عد عليه نعمه من أول حاله ليقبس المترقب من فضل الله على ما سلف منه فلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقل صبره فقال

تعالى من مات لا يشرك بالله شيئا أخرجه الترمذي قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن علي يقول انكم يامعشر أهل العراق تقولون أرحى آية في القرآن قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وأنا أهل البيت تقول أرحى آية في كتاب الله وسوف يعطيك ربك فترضى وقيل في معنى الآية وسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وحل الآية على ظاهرها من خيرى الدنيا والآخرة معا وأولى وذلك ان الله تعالى أعطاه في الدنيا النصر والظفر على الاعداء وكثرة الاتباع والفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة وأعلى دينه وأن أمته خير الامم وأعطاه في الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما أعطاه في الدنيا والآخرة ثم أخبر عن حاله صغيرا وكبيرا وقيل الوحي وذكروا نعمه عليه واحسانه اليه فقال عز وجل ( ألم يجدهك يتيما ) أى صغيرا ( فأوى ) ألم يعلمك الله يتيما من الوجود الذى هو بمعنى العلم والمعنى ألم يجدهك يتيما صغيرا حين مات أبوك ولم يخلف لك مالا ولا ماوى فجعل لك ماوى وأوى اليه وضمك الى عمك أبى طالب حتى أحسن تر بيتك وكفاك المؤنة وذلك ان عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حل فسكفله جده عبد المطلب فامات عبد المطلب ككفله عمه أبو طالب الى أن قوى واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قوهم درة يتيمة والمعنى ألم يجدهك واحدا فى قرىش عديم النظير فأوى اليه وأيدك وشرفك بنبوته واصطفاك برسائه ( ووجدك ضالا ) أى عمأنت عليه اليوم ( فهدى ) أى فهداك الى توحيدته ونبوته وقيل وجدك ضالا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صبي صغير فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب فى قافلة مبسرة غلام خديجة فيبناها هو راكب ذات ليلة مظلمة اذ جاء ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفض ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة وورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفك لا تدري من أنت فعرفك نفسك وحالك وقيل ووجدك بين أهل الضلال فعضمك من ذلك وهداك الى الإيمان والى ارشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى الخيرة وذلك لانه كان صلى الله عليه وسلم يخلو فى غار حراء فى طلب ما يتوجه به الى ربه حتى هداه الله له دينه وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان ما أنزل الله اليك فهداك لبيانها فما قيل فى هذه الآية ولا يلتفت الى قول من قال انه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله الى الاسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبياء قبله منذ وادوا وشؤا على التوحيد والإيمان قبل النبوة وبعدها وأنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيدته ويدل على ذلك أن قرىشا عابوا النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وأمر الجاهلية فانهم لم يجدهم عليه سبيلا اذ لو كان فيه لما استتوا عنه ولنقل ذلك فبراه الله تعالى من جميع ما قالوه فيه وغيره به ويؤكد هذا ما روى فى قصة بحيرا الراهب حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه أبى طالب الى الشام فرأى بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبي فاخبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما بغضت شيئا بغضهما ويؤكد هذا شرح صدره صلى الله عليه وسلم فى حال الصغرو واستخراج العلقه منه وقول جبريل هذا حظ الشيطان منك وملؤه حكمة وإيمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وقال الرخصى ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فان أرادته على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان أراد أنه كان على دين قومه فعدا الله والانبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الجائر والصغائر الشائنة في باب الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء والله أعلم ﷻ قوله عز وجل ( ووجدك عائلا فاغنى ) يعنى فقيرا فاغناك

( ألم يجدهك يتيما ) وهو من الوجود الذى بمعنى العلم والمنصوبان مفعولاه والمعنى ألم تكن يتيما حين مات أبوك ( فأوى ) أى فأوى اليه عمك أبى طالب وضمك اليه حتى كفلك ورباك ( ووجدك ضالا ) أى غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة وما طر به السمع ( فهدى ) فعرفك الشرائع والقرآن وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به أبو طالب فرده الى القافلة ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق ووقوع فى غي فقد كان عليه السلام من أول حاله الى نزول الوحي عليه معصوما من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان ( ووجدك عائلا ) فقيرا ( فاغنى ) فاغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم

عمال خديجة ثم بالغنم وقيل أرضاك بما أعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح الهمزة والراء المال (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنع الله بما آتاه وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي عز وجل مسألة ووددت أني لم أكن سألته قالت يا رب انك آيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد ألم أجدهك يتما فأويتك قلت بلى يا رب قال ألم أجدهك ضالافهديتك قلت بلى يا رب قال ألم أجدهك عاتلا فغنيتك قلت بلى يا رب زادني رواية ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يا رب فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم أن يمن بالنعامة على عبده والمن مذموم في صفة الخلق فكيف يحسن بالخالح تبارك وتعالى قلت إنما حسن ذلك لانه سبحانه وتعالى قصد بذلك أن يقوى قلبه ويعده بدوام نعمه عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى المدحوح وبين امتنان الخلق المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة انعامه كانه قال مالك تقطع رجاءك عني ألت الذي يبتك وآويتك وأنت يتيم صغيرا تظنني تاركك ومضيعك كبيرا بل لا بد وان أتم نعمتي عليك وقد حصل الفرق بين امتنان الخلق وامتنان الخلق ثم أوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال عز وجل (فاما اليتيم فلا تقهر) أي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ما له فتذهب به اضعفه وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في أمر اليتامى يأخذون أموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسامين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسامين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ويشير باصبعه (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما (وأما السائل فلا تقهر) يعنى السائل على الباب يقول لا تزجره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينابرق ولا تسكهر بوجهك في وجهه قال ابراهيم بن أدهم نعم القوم السائل يحلمون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل يريدنا الى الآخرة يجي الى باب أحدكم فيقول هل توجهون الى أهليكم بشئ وقيل السائل هو طالب العلم فيجب اكرامه واسعافه بمطوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهره ولا يلقى بمكره (وأما بنعمة ربك فحدث) قيل أراد بالنعمة النبوة أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك الله وقيل النعمة هي القرآن أمره ان يقرأه ويقرئه غيره وقيل اشكره هلماذ كره نعمة عليه في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والاعناء بعد العيلة والفقرا أمره ان يشكره على انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطى عطاء فليجز به ان وجد فان لم يجد فليئن عليه فان من أنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور أخرجه الترمذي به وله عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة الضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر وسبب ذلك ان الوحي لما احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزلت والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بانزول الوحي فاتخذوه سنة والله سبحانه

(فاما اليتيم فلا تقهر) فلا تقبله على ما له وحقه لضعفه (وأما السائل فلا تقهر) فلا تزجره فابذل قليلا أو رد جيلا وعن السدي المراد طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره (وأما بنعمة ربك فحدث) أي حدث بالنبوة التي آتاك الله وهي أجل النعم والصحيح انها تم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع والله أعلم

وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة ألم نشرح﴾

وهي مكية وثمان آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (ألم نشرح لك صدرك) استغفهم بمعنى التقرير أي قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصد عنه الإدراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعركة باذهاب الشواغل التي تصده عن إدراك الحق وقيل معناه ألم تفتح قلبك ونوسعه وتلينه بالإيمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره (م) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا إن محمدًا قد قتل فاستقباه وهو منتقع اللون قال أنس رقد كنت أرى أثر الخيط في صدره (ووضعنا عنك وزرك) أي حططنا عنك وزرك الذي سلف منك في الجاهلية فهو كقوله أيغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل الخطا والسهو وقيل ذنوب أمك فأضافها إليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى يبلغها لأن الوزر في اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمتك عن الوزر الذي ينقض ظهره لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا واعلم أن القول في عصمة الأنبياء قد تقدم مستوفى في سورة طه عند قوله تعالى وعصى آدم ربه فعوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (الذي أنقض ظهره) أي أثقله وأوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل أو الرجل فوق البعير فمن حمل الوزر على ما قبل النبوة قال هو اهتنام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور كان فعلها قبل نبوته إذ لم يرد عليه شرع يتحرر بها فامحرت عليه بعد النبوة عدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على ما بعد النبوة قال هو ترك الأفضل لأن حسنات الأبرار سيئات المقر بين ﴿وقوله عز وجل﴾ (ورفعناك ذكرك) روى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعناك ذكرك قال قال الله عز وجل إذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عباس يريد الأذان والأقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو أن عبدا عبد الله وصدق في كل شيء ولم يشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله لم ينتفع من ذلك بشيء وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكرك في الدنيا والآخرة فلبس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال الضحاك لا تقبل صلاة الأبوة ولا تجوز خطبة الأب وقال مجاهد ير بد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم \* من الله مشهور بلوج ويشهد \* وضم الإله اسم النبي مع اسمه  
إذا قال في المجلس المؤذن \* وشق له من اسمه ليحمله \* فنوال العرش محمود وهذا محمد

وقبل رفع ذكره يأخذ ميثاقه على النبيين والزاهم الإيمان به والقرار بفضله وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه باسمه في قوله محمدا رسول الله وفرض طاعته على الأمة بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ونحو ذلك مما جاء في القرآن وغيره من كتب الأنبياء ثم وعده بالسر والرخاء بعد الشدة والعناء وذلك أنه كان في شدة بمكة فقال تعالى (فان مع العسر يسرا) أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بان يظهر عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به (ان مع العسر يسرا) وإنما كرهه لتأكيده الوعد وتعظيم الرجاء قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن اتقاء الشرح على وجه الإنكار فإفاد اثبات الشرح فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولنا عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى أي فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين فإزلائنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملي حكمة وعلمنا (ووضعنا عنك وزرك) وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها وقيل هوزلة لا تعرف بعينها وهي ترك الأفضل مع إتيان الفاضل والأنبياء يعاتبون بمثلها ووضع عنه أن غفر له والوزر الحمل الثقيل (الذي أنقض ظهره) أثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض (ورفعناك ذكرك) ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والأذان والأقامة والخطب والتشهد في غير موضع من القرآن أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الأولين وفائدة ذلك ما عرفت في

(٥٣ - (خازن) - رابع) طريقة الإبهام والايضاح لانه يفهم بقوله ألم نشرح لك أن ثم مشروحاتم أوضح بقوله صدرك ما علم مبهما وكنه لك ذكرك وذكرك وزرك (فان مع العسر يسرا) أي ان مع الشدة التي أنت فيها من مقاساة بلاء

الى وهمه انهم غبوا عن الاسلام لافتقار أهله فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال ان مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تياس من فضل الله فان مع العسر الذي أتم فيه يسرا وجيء بلفظ مع لغاية مقارنة اليسر العسر زيادة في التسلية ولتقوية القلوب وانما قال عليه السلام عند نزولها ان يغلب عسر يسرين لان العسر أعيد معرَّفًا فكان واحدا لان المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى واليسر أعيدت نكرة والنكرة اذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الاولى فصار المعنى ان مع العسر يسرين قال أبو معاذ يقال ان مع الامير غلاما ان مع الامير غلاما فالامير واحد والغلام واحد غلاما وان اذا قال ان مع امير غلاما وان مع الامير الغلام فالامير واحد والغلام واحد واذا قيل ان مع امير غلاما وان مع امير غلاما فهما اميران وغلامان كذا في شرح التاويلات (فاذا فرغت فانصب) أى فاذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد في عبادة الرب وعن ابن عباس رضى الله

أبشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ويخرجه انه ان يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وذكروه بلفظ المعرفة وكرر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرَّفًا ثم أعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم أعادته كان الثاني غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما فالثاني غير الاول واذا قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين فكأنه قال فان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا آخره يزف أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب أن يكون عسرا واحدا ويسرا ان وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفان مع الفارس سيفان هذا الاوجب أن يكون الفارس واحد او السيف اثنين فجواز قوله لن يغلب عسر يسرين أن الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قرينش تعبيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جعنا لك مالا حتى تكون كايسر أهل مكة فاعتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه انما كذبوه لفقره فعد الله نعمه عليه في هذه السورة ووعد الغنى ليسليه بذلك عما خافه من الغم وقال تعالى فان مع العسر يسرا أى لا يجزئك الذي يقولون فان مع العسر الذي في الدنيا يسرا عما جلا ثم ما وعده وفتح عليه القرية ووسع ذات يده حتى كان يعطي المائتين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتداء فضلا آخر من أمور الآخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتداء تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى ان مع العسر الذي في الدنيا المؤمن يسرا في الآخرة مما اجتمع له اليسر ان يسر الدنيا وهو ما ذكره في الآية الاولى ويسر الآخرة وهو ما ذكره في الآية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين أى ان عسر الدنيا لن يغلب اليسر الذي وعده الله المؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الآخرة انما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الآخرة فدايم أبدأ غير زائل أى لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهر اعيد الا ينقصان أى لا يجتمعان في النقص قال القشيري كنت يوما في البادية بمحالة من الغم فالتقي في روعي بيت شعر فقلت فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهواء

أرى الموت لمن أصيب مغموما له أرواح

ألا يا أيها المرء الذي اطمم به برح وقد أنشد بيتا لم \* يزل في فكره يسبح  
اذا اشتد بك العسر \* ففكر في ألم نشرح ففسر بين يسرين \* اذا أبصرته فافرح  
قال حفظت الايات ففرح الله عنى وقال اسحق بن بهلول القاضي

فلا تياس اذا أعسرت يوما \* فقد أيسرت في دهر طويل \* ولا تظن بربك ظن سوء  
فان الله أولى بالجميل \* فان العسر يتبعه يسار \* وقول الله أصدق كل قيل

وقال أحمد بن سليمان في المعنى

توقع لعسر دهاك سرورا \* ترى العسر عنك يسر تسرى  
فما الله يخلف ميعاده \* وقد قال ان مع العسر يسرا  
وقال غيره وكل الحادثات اذا اتاهت \* يكون وراءها فرج قريب

وقوله عز وجل (فاذا فرغت فانصب) لما عد الله على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وأن لا يتخلى وقتا من أوقانه منها فاذا فرغ من عبادة أتبعها باخري

والنصب

عنهما فاذا فرغت من صلواتك فاجتهد في الدعاء واختلف انه قيل السلام أو بعده ووجه الاتصال باقبله  
قوله وقال أحمد بن سليمان الخ كذا في بعض النسخ وفي بعض آخر وقال سليمان بن أحمد الرقي الخ اه مصحح

انه لما عد د عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلى وقتان من أوقانه منها فاذا فرغ من عبادة ذنبا باخرى (والى ربك فارغب) واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿سورة والتين مكية وهي ثمان آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والتين والزيتون) أقسم بهما لانهما عجبان عن بين الاشجار المثمرة وروى انه اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لا صحابه كوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع (٤١٩) من النقرس وقال نعم السواك الزيتون من

الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال هي سواك وسواك الانبياء قبلي وعن ابن عباس رضى الله عنه هو تينكم هذا وزيتونكم هذا وقيل هما جبلان بالشام منبتاهما (وطور سينين) أضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة ونحو سينون يرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتخريك النون بحركات الاعراب (البلد) يعني مكة (الامين) من أمن الرجل امانة فهو أمين وأمانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والاولياء فنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان

والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسئلة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدينك واخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب في الاستغفار لك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب اني لا زكره ان أرى أحدا منكم فارغاسهلا لا في عمل دنياه ولا في عمل آخره السهليل الذي لا شئ معه وقيل السهليل الباطل (والى ربك فارغب) أى تضرع اليه راغبا في الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله تعالى في جميع أحوالك لا الى أحد سواه والله أعلم ﴿تفسير سورة والتين﴾

وهي مكية وثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (والتين والزيتون) قال ابن عباس هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخصصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمتك في المعدة يخرج طرييق الرشح ويلين الطبيعة ويقلل البلغم وأما الزيتون فانه من شجرة مباركة فيه ادم ودهن يؤكل ويستصح به وشجرته في أعقاب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وترية وينبت في الجبال التي ليست فيها هنية ويمكث في الارض ألوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لاجرم أقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذي عليه بيت المقدس واسمها بالسر يانية طور تينا وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء وقيل التين مسجد نوح الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس (وطور سينين) يعني الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام وسينين اسم للمكان الذي فيه الجبل مسمى سينين وسيناء الحسنه وألكونه مبارك وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء (وهذا البلد الامين) يعني الآمن وهو مكة تحرسها الله تعالى لانه الحرم الذي يأمن فيه الناس في الجاهلية والاسلام لا ينقر صيده ولا يعض شجره ولا تلثم قططته الا لمنشد وهذه أقسام أقسم الله بها لهما من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) يعني في أعدل قامة وأحسن صورة وذلك أنه تعالى خالق كل حيوان منكبا على وجهه يأكل بفيه الا الانسان فان خلقه مديدا القامة حسن الصورة ويتناول ما كوله بيده من يناب العلم والفهم والعقل والتمييز والمنطق (ثم رددناه أسفل سافلين) يعني الى

الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد نبينا ومعنه صلوات الله عليهم أجمعين أو الاولان قسم مع بطالوحي على عيسى والثالث على موسى والرابع على محمد عليه السلام وجواب القسم (لقد خلقنا الانسان) وهو جنس (في أحسن تقويم) في أحسن تعديل لشكله وصورته ونسوبة أعضائه (ثم رددناه أسفل سافلين) أي ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفلى خلقا وتركيبا يعني أقبح من قبح صورة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفلى من أهل الدرجات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفلى في حسن الصورة والشكل حيث نكسنا في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله ﴿قول الامام النسفي ونحو سينون يرون تبع فيه صاحب الكشاف وعبارة أبي السعود وسينون كبيرون اه مصححه

وابيض شعره بعد سواده وتشن جلداه (٤٢٠) وكل سمعه وبصره وتغير كل شئ منه غشيه دليف وصوره خفات وقوته ضعف وشهامته

خوف (الالدين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللغتين والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع أى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة والخطاب في (فيا يكذبك بعد بالدين) للانسان على طريقة الالتفات أى فاسبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزء والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشراسوا ويندرج في مراتب الزيادة الى أن يكمل ويستوى ثم تنكيسه الى أن يبلغ اردل العمر لا ترى دليلاً أوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر على خلق الانسان وعلى هذا كله لم يجز عن اعادته فاسبب تكذيبك بالجزء أو لرسول الله أى فمن ينسب الى الكذب بعد هذا الدليل فابعنى من (أليس الله باحكم الحاكمين) وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم أهل وهومن الحكم والقضاء والله أعلم

الهرم وأردل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعاً لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلاً يضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها أسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى (الالدين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يردون الى النار وألى أسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثناء منقطعاً والمعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا تكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى أيام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذى كانوا يعملون في حالة الشباب والصحة وقال ابن عباس هم يفرردوا الى اردل العمر على زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم وأخبرهم ان لهم أجرهم الذى عملوا قبل أن يذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له باحسن ما كان يعمل وروى عن ابن عباس قال الالدين قرؤا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد الى اردل العمر (فلهم أجر غير ممنون) يعنى غير مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر غير عمل ثم قال الزامل للحجة (فيا يكذبك) يعنى يا أيها الانسان خطاب على طريق الالتفات (بعد) أى بعد هذه الحجية والبرهان (بالدين) أى بالحساب والجزاء والمعنى فاما الذى يلجئك أيها الانسان الى هذا الكذب الالفتكر فى صورتك وشبابك ومبدأ خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذى فعل ذلك قادر على أن يبعثنى ويحاسبنى فوالذى يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين (أليس الله باحكم الحاكمين) أى بافضى القاضين يحكم بينكم وبين أهل التكذيب يوم القيامة عن أنى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الطور والزيتون فقرأ أليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أخرجه الترمذى وعن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فصلى العشاء الاخرة فقرأ فى احدى الركعتين بالتين والزيتون فاسمعت أحداً أحسن صوتاً وقرأ منه صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

تفسير سورة العلق

مكية وهى تسع عشرة آية واثنان وتسعون كلمة ومائتان ومائون حرفاً

قال أكثر المفسرين هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن وأول ما نزل خمس آيات من أولها الى قوله ما لم يعلم (ق) عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها انها قالت أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب اليه الخلاء فكان يحلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعب الليلي ذوات العدد قبل أن يرجع الى أهله ويزود ذلك ثم يرجع الى خديجة فيزود لملها حتى جاءه الوحي وفى رواية حتى بغاه الحق وهو فى غار حراء بغاه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارى قال فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارى فاخذنى فغطنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارى فاخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم حتى بلغ ما لم يعلم فرجع به رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة أى خديجة مالى وأخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسى قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخز بك الله أبداً انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى فقالت له خديجة أى ابن عم اسمع من ابن

أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا  
 الناموس الذي نزل الله على موسى باليتى فيها جذع عالىتى أكون حيا اذا نخر جك قومك فقال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم أو نخر جى هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك حيا  
 أنصرك نصر أمؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفى وقر الوصى زاد البضارى قال وقر الوصى فترة حتى حزن النبي صلى  
 الله عليه وسلم فيما بلغنا حتى ناغدا منه مرارا حتى يتردى من رؤس شواحق الجبال فكما أوفى بذروة جبل لى  
 يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وقر عينه فيرجع اذا طالت  
 عليه فترة الوصى غدالمثل ذلك فاذا أوفى بذروة الجبل لى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك  
 ﴿فصل﴾ فى هذا الحديث دليل صحيح صريح على ان سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال  
 ان المدرأ أول ما نزل من القرآن وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين فى أول سورة المدر وهد  
 الحديث من مر اسيل الصحابة لان عائشة لم تدرك هذه القصة فيصقل انها سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم  
 أو من غيره من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء الاما انفرده الاستاذ أو اسحق الاسفراينى  
 وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤى بالثلايفجاء الملك فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحمها القوى البشرية  
 فبدئ بأول علامات النبوة توطئة للوصى وأما الحنث فتد فسر فى الحديث بالتعب وهو تفسير صحيح لان أصل  
 التحنث من الحنث وهو الانهم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به الانهم وقولها فجاء الحق أى جاء الحق بالوصى  
 بغتة قوله ففطنى بالغبين المججمة والطاء المشالة المهملة أى عصرتى وضمتى ضما شديدا وهو قوله حتى بلغ منى  
 الجهد قال العلماء والحكمة فى الغط شغله عن الالتفات الى غيره والمباغعة فى صفاء قلبه ولهذا كرره ثلاثا قوله  
 زملونى زملونى كذا فى الروايات مكررا مرتين ومعناه غطونى بالثياب وقولها حتى ذهب عنه الروع أى  
 الفزع قولها كلاً بشر فوالله لا يخزيك الله أبدا يروى بضم الياء وبالهاء المججمة من الخزي أى لا يفضحك  
 الله ولا يكسر ك ولا يهينك ولا يذل ذلك وروى بفتح الياء وبالهاء المهملة وبالتون أى لا يخزئك من الحزن الذى  
 هو ضد الفرح وقولها وتحمل الكل أى الثقل والحوأج المهمة وتكسب المعدوم أى تعطى المال لمن هو  
 معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وحيد الفعال  
 وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء قولها وكان يكتب الكتاب العبرانى فكتب من  
 الانجيل بالعبرانية وفى رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العر بى يكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله تعالى  
 أن يكتب ومعناه ما صحیح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف فى الانجيل فيكتب أى  
 موضع شاء منه بالعبرانية ان أراد أو بالعربية ان أراد ذلك قوله هذا الناموس الذى نزل الله على موسى هو  
 بالتون والسين المهملة يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام ومعنى الناموس صاحب خبر الخير انما سمى جبريل  
 بذلك لان الله خصه بالوصى الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله باليتى فيها أى فى أيام النبوة واطهار الرسالة  
 جند عالى شاقوا حتى أبلغ فى نصرتك وهو قوله وان يدركنى يومك أنصرك نصر أمؤزرا أى قويا بالغا  
 قوطها لم يلبث ورقة أن توفى أى فلم يلبث أن مات قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قوله كى يتردى  
 الوقوع من علو ذروة الجبل أعلاه قوله تبدى له أى ظهر له قوله فيسكن لذلك جاشه أى قلبه وقيل الجاش هو  
 ثبوت القلب عند الامر العظيم المهول وقيل الجاش هو ما نار من فزعه وهاج من حزنه والله أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (اقرأ باسم ربك) قيل الباء زائدة مجازة اقرأ اسم ربك والمعنى اذ كرا اسم ربك أمر أن  
 يبتدىء القراءة باسم الله تأديبا وقيل الباء على أصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أى قل باسم  
 الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون فى الآبة دلالة على استحباب البداءة بالتسمية فى أول القراءة وقيل معناه اقرأ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾  
 عن ابن عباس ومجاهد  
 أول سورة نزلت والجمهور  
 على أن الفاتحة أول ما نزل  
 ثم سورة القلم (اقرأ باسم  
 ربك



الذي خلق) محمل باسم ربك النصب على الحال أي أقرأ مقتدحا باسم ربك كأنه قيل قل باسم الله ثم أقرأ الذي خلق ولم يذ كر خلق مفعولا لان المعنى الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه أو تقديره خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات بتقديره أولى من بعض وقوله (خلق الانسان) تخصيص للانسان بالذ كر من بين ما يتناول له الخلق لشرفه ولان التنزيل اليه ويجوز أن يراد الذي خلق الانسان الا أنه ذ كر مهماتهم مفسرا (٤٢٢) تفخيا لمخلقه ودلالة على عجب فطرته (من علق) وانما جمع ولم يقل من علق لان

القرآن مستعينا باسم ربك على ما تنحمله من النبوة واعباء الرسالة (الذي خلق) يعني جميع الخلاق وقيل الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه وقيل الذي خلق كل شيء (خلق الانسان) يعني آدم وانما خص الانسان بالذ كر من بين سائر المخلوقات لانه أشرفها وأحسنها خلقته (من علق) جمع علقه ولما كان الانسان اسم جنس في معنى الجمع جمع العلق ولما كانت رؤس الآي أيضا (اقرأ) كرره تأ كيدا وقيل الاول اقرأ في نفسك والثاني اقرأ للتبليغ وتعليم امتك ثم استأنف فقال تعالى (وربك الاكرم) يعني الذي لا يوازيه كرم ولا يعادله في الكرم نظير وقد يكون الاكرم بمعنى الكرم كجاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكرم اعطاه الشيء من غير طلب العوض فن طلب العوض فليس بكرم وليس المراد أن يكون العوض عينابل المدح والثواب عوض والله سبحانه وجل جلاله وتعالى علاؤه شأنه يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك في وصفه لانه أكرم الاكريمين وقيل الاكرم هو الذي له الابتداء في كل كرم واحسان وقيل هو الخليم عن جهل العباد فلا يجمل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل أن يكون هذا حائلا على القراءة والمعنى اقرأ وربك الاكرم لانه يجزى بكل حرف عشر حسنات (الذي علم بالقلم) أي الخط والكتابة التي بها تعرف الامور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرفت أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقاتلتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال ربح لا يبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه (علم الانسان ما لم يعلم) قيل يحتمل أن يكون المراد علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحدا وقيل علمه من أنواع العلم والهداية والبيان ما لم يكن يعلم وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (كلا) أي حقا (ان الانسان ليطغى) أي يتجاوز الحد ويستكبر على ربه (أن) أي لان (رأه استغنى) أي رأى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة أخرى في اللباس والطعام وغير ذلك نزلت في أبي جهل وكان قد أصاب مالا فزاد في ثيابه وملكه وطعمه فذلك طغيانه (ان الى ربك الرجعى) أي المرجع في الآخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر (أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) نزلت في أبي جهل وذلك أنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة (م) عن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يعرف محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال ولللات والعزى لئن رأيت بفعل ذلك لاطأن على رقبته ولا عفرن وجهه في التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليظا على رقبته قال فاجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له مالك قال ان بيني وبينه خندقا من نار وهو لا أجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لود نامني شيء لا تخطفته الملائكة كعضوا عضوا فانزل الله هذه الآية لأدرى أي حديث أبي هريرة أو شيء بلغه كلالا ان الانسان ليطغى الى قوله كلالا تطعه قال وأمره بما أمر به زادي في رواية فليدع ناديه يعني قومه (نخ) عن عباس قال أبو جهل لئن رأيت محمد يصلى عند البيت لاطأن على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لوفعه لاخذته الملائكة

الانسان في معنى الجمع (اقرأ وربك الاكرم) الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وحقودهم لنعمه وكانه ليس وراء التكرم بافادة القوائد العلمية تكرم حيث قال (الذي علم) الكتابة (بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولولم يكن على دقيق حكمة الله دليل الأمر القلم والخط الكفي به (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذ كر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى) نزلت في أبي جهل الى آخر

السورة (ان رآه) ان رأى نفسه يقال في أفعال القلوب رأيتني وعلمتني ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لا تمنع في فعلها الجمع بين الضميرين (استغنى) هو المفعول الثاني (ان الى ربك الرجعى) تهديد للانسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات والرجعى مصدر بمعنى الرجوع أي ان رجوعك الى ربك فيجاز بك على طغيانك (أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) أي أرأيت أبا جهل ينهى محمدا عن الصلاة

(أرأيت ان كان على الهدى) أى ان كان ذلك الناهى على طريقته سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله (وأمر بالتقوى) أو كان أمرا بال معروف والتقوى فيما يأمربه عبادة الاوثان كما يعتمده (أرأيت ان كذب وتولى) أرأيت ان كان ذلك الناهى مكذبا بالحق متوليا عنه كما تقول نحن (ألم يعلم بان الله يرى) ويطلع على أحوال من هداه وضلاله فيجاز به على حسب حاله وهذا وعيد وقوله الذى ينهى مع الجملة الشرطية مفعولا أرأيت وجواب من الشرط محذوف تقديره ان كان على الهدى (٤٣٣)

لدلالة ذكره في جواب الشرط الثانى وهذا كقولك ان أكرمك أنك رمى وأرأيت الثانية مكررة زائدة للتوكيد (كلا) ردع لابي جهل عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الاصنام ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لناخذن بناصيته ولنسحبنا بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وكتبها فى المصحف بالالف على حكم الوقف واكتفى بلام العهد عن الاضافة للعلم بانها ناصية المذكور (ناصية) بدل من الناصية لانها وصفت بالكذب والخطا بقوله (كاذبة خاطئة) على الاسناد المجازى وهما لصاحبها حقيقة وفيه من الحسن والجزالة ليس فى قولك ناصية كاذب خاطيء (فليدع ناديه) سندع الزبانية) المجلس الذى يجتمع فيه القوم والمراد أهل النادي روى أن أباجهـ لمر بالنبي

زاد الترمذى عيانا ومعنى أرأيت تهجيبا للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة التنكير فى قوله عبد اتدل على أنه كامل العبودية والمعنى أرأيت الذى ينهى أشد الخلق عبودية عن العبودية وهذا دأبه وعادته وقيل ان هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولا يلزم منه عدم جواز المنع من الصلاة فى الدار المغصوبة وفى الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهى عن ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك أيضا عدم جواز منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفاء لمصلحة الا أن يأذن فيه المولى والزوج (أرأيت ان كان على الهدى) يعنى العبد المنهى وهو النبي صلى الله عليه وسلم (وأمر بالتقوى) يعنى بالاخلاص والتوحيد (أرأيت ان كذب) يعنى أباجهـ ل (وتولى) أى عن الايمان وتقدير نظم الآية أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى أمر بالتقوى والناهى مكذب متول عن الايمان أى أعجب من هذا (ألم يعلم) يعنى أباجهـ ل (بان الله يرى) يعنى يرى ذلك الفعل فيجاز به به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم (كلا) أى لا يعلم ذلك أبوجهـ ل (لئن لم ينته) يعنى عن ابداء محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه (لنسفعا بالناصية) أى لناخذن بناصيته فلنجرنه الى النار يقال سفعت بالشيء اذا أخذته وجذبه جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس والسفع الضرب أى لنضرب وجهه فى النار ولنسودن وجهه ولذئله ثم قال على البدل (ناصية كاذبة خاطئة) أى صاحبها كاذب خاطيء قال ابن عباس لما نهى أبوجهـ ل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبوجهـ ل أنهرنى فوالله لا ملان عليك هذا الوادى ان شئت خيلا جوردا ورجالا امر داوعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى لى لاء أبوجهـ ل فقال ألم تهك عن هذا فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزبره فقال أبوجهـ ل انك تعلم ما بهانادأ كثرمنى فانزل الله تعالى (فليدع ناديه سندع الزبانية) قال ابن عباس والله لودع ناديه لاخذنه زبانية الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ومعنى فليدع ناديه أى عشيرته وقومه فلينتصرهم وأصل النادي المجلس الذى يجمع الناس ولا يسمى ناديا ما لم يكن فيه أهله سندع الزبانية يعنى الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس بر بد زبانية جهنم سمو بذلك لانهم يدفون أهل النار اليها بشدة مأخوذ من الزبن وهو الدفع (كلا) أى ليس الامر على ما هو عليه أبوجهـ ل (لا تطعه) أى فى ترك الصلاة (واسجد) أى صل لله (واقرب) أى من الله (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجدا كثيرا ومن الدعاء وهو السجدة من عزائم سجود التلاوة عند الشافعى فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند قراءتها يدل عليه ما روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت أخرجه مسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة القدر

وهى مدنية وقيل انها مكية والقول الاول أصح وهو قول الأكثرين قيل انها أول منازل بالمدنية وهى خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا

عليه السلام وهو يصلى فقال ألم تهك فاعلظ له رسول الله عليه السلام فقال أهمدنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزل والزبانية لغة الشرط الواحد زبانية من الزبن وهو الدفع والمراد الملائكة العذاب وعنه عليه السلام لودع ناديه لاخذنه الزبانية عيانا (كلا) ردع لابي جهل (لا تطعه) أى أثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (واسجد) ودم على سجودك يريد الصلاة (واقرب) وتقرب الى ربك بالسجود فان أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد كذا الحديث والله أعلم

سورة القدر مكية وقيل مدنية وهى خمس آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾  
 (انما أنزلناه في ليلة القدر)  
 عظم القرآن حيث أسند  
 أنزله اليه دون غيره وجاء  
 بضميره دون اسمه الظاهر  
 للاستغناء عن التنبيه عليه  
 ورفع مقدار الوقت الذي  
 أنزل فيه روى أنه أنزل  
 جملة في ليلة القدر من  
 اللوح المحفوظ الى السماء  
 الدنيا ثم كان ينزل جبريل  
 على رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم في ثلاث  
 وعشرين سنة ومعنى ليلة  
 القدر ليلة تقدير الامور  
 وقضائها والقدر بمعنى  
 التقدير أو سميت بذلك  
 لشرفها على سائر الليالي  
 وهي ليلة السابع والعشرين  
 من رمضان كندار وى  
 أبو حنيفة رحمه الله عن  
 عاصم عن زر أن أبي بن  
 كعب كان يخلف على ليلة  
 القدر أنها ليلة السابع  
 والعشرين من رمضان  
 وعليه الجمهور ولعل الداعي  
 الى اخفائها أن يحسب من  
 يريد بها الليالي الكثيرة  
 طلب الموافقة وهذا كاخفاء  
 الصلاة الوسطى واسمه  
 الاعظم وساعة الاجابة في  
 الجمعة ورضاه في الطاعات  
 وغضبه في المعاصي وفي  
 الحديث من أدركها يقول  
 اللهم انك عفوت بحب العفو  
 فاعف عني

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾  
 قوله عز وجل (انما أنزلناه) يعني القرآن كناية عن غير مذكور (في ليلة القدر) وذلك ان الله تعالى أنزل  
 القرآن العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة ثم نزل به  
 جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم نحو ما تفرقة في مدة ثلاث وعشرين سنة فكان ينزل  
 بحسب الوقائع والحاجة اليه وقيل انما أنزله الى السماء الدنيا لشرف الملائكة بذلك ولانها كالمشرك بيننا  
 وبين الملائكة فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام  
 والارزاق والآجال وما يكون في تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة بقدر الله ذلك في بلاده وعباده  
 ومعنى هذا ان الله يظهر ذلك للملائكة وبأمرهم يفعل ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك  
 السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه أنه يحدثه في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات  
 والارض في الازل قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض قال نعم  
 قيل له فامعنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم  
 قدرها وشرفها على الليالي من قولهم فلان قدر عند الامير أى منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل  
 الصالح يكون فيها اذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق بالملائكة فيها  
 ﴿فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها﴾ (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء في وقتها فقال  
 بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحي  
 الرجل اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم وهذا غلط  
 عن قال بهذا القول لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال في آخره فالتسوها في العشر  
 الاواخر في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجوده لم يأمر بالتسوها وامة الصحابة والعلماء  
 فمن بعدهم على أنها باقية الى يوم القيامة روى عن عبد الله بن خنيس مولى معاوية قال قلت لابي هريرة  
 زعموا أن ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان استقبله قال نعم ومن قال  
 ببقائها وجودها اختلفوا في محلها فقيل هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة أخرى في ليلة أخرى هكذا  
 أبدأوا وهذا يجمع بين الاحاديث الواردة في أوقاتها المختلفة وقال مالك والثوري وأحمد واسحق وأبو ثور  
 انها تنتقل في العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل في رمضان كله وقيل انها في ليلة معينة لا تنتقل عنها  
 أبدا في جميع السنين ولا تفرقها فعلى هذا هي في ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وأبي حنيفة  
 وصاحبيه وروى عن ابن مسعود انه قال من بقم الحول يصحها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله أبا  
 عبد الرحمن أمانه علم انها في شهر رمضان ولكن أراد أن لا يتكلم الناس وقال جمهور العلماء انها في شهر  
 رمضان واختلفوا في تلك الليلة فقال أبو زر زبن العقيلي في أول ليلة من شهر رمضان وقيل هي ليلة سبعة عشر  
 وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر يحكي هذا عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضا والحسن والصحيح  
 الذي عليه الاكثرون انها في العشر الاواخر من رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم

#### ﴿ذكر الاحاديث الواردة في ذلك﴾

(ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان  
 ويقول تحر واليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم قال رأيت ليلة القدر ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها فالتسوها في العشر الاواخر من رمضان  
 وذهب الشافعي الى أنها ليلة احدى وعشرين (ق) عن أبي هريرة أن أبا سعيد قال اعتكفنا مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم العشر الاوسط فلما كانت صبيحة عشر بن نقلنا متاعنا فانانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه وأنا ريت هذه الليلة ورأيتني أسجد في ماء وطين فلما رجعت الى معتكفه هاجت السماء فطر نافو الذي بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش ولقد رأيت على أنفه وأرنبته أثر الماء والطين وفي رواية نحوه الا أنه قال حتى اذا كانت ليلة احدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكف قال من اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر وورد في فضل ليلة القدر اثنان وعشرون حديثا عن ٢ عبد الله بن أنيس قال كنت في مجلس لبني سامة وأنا أصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك في صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أرسلني اليك رهط من بني سامة يسألونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقلت اثنان وعشرون فقال هي الليلة ثم رجعت فقال أو القابلة يريد ثلاثا وعشرين أخرجه أبو داود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعي أيضا (خ) عن الصنابحي أنه سأل رجلا هل سمعت في ليلة القدر شيئا قال أخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها في أول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن أنيس قال قلت يا رسول الله ان لي بادية أكون فيها وأنا أصلي فيها بحمد الله فربي ليلة أنزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان أبوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا الحاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها وخطى بياديه أخرجه أبو داود وسلم عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ريت ليلة القدر ثم أنسيتها ورأيتني أسجد صبيحتها في ماء وطين قال فطر ناليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وان أثر الماء والطين على جبهته وأنفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن انها ليلة أربع وعشرين (خ) عن ابن عباس قال التمسوها في أربع وعشرين وقيل هي في ليلة خمس وعشرين دليله قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبع وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وابن عباس واليه ذهب أحمد (م) عن زر بن حبیش قال سمعت أبي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة أصاب ليلة القدر قال أبي والله الذي لا اله الا هو انها في رمضان بحلف ولا يستثنى فوالله اني لاعلم أي ليلة هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين وأما انها أن تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضاء لاشعاع لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين أخرجه أبو داود وقيل هي ليلة تسع وعشرين دليله قوله تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة آخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان أخرجه أبو داود وقال يروى موقوفا عليه

بذكريال مشتركة عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع وعشرين من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت أخرجه أبو داود عن ٣ عتبة بن عبد الرحمن قال حدثني أبي قال ذكرت ليلة القدر عند أبي بكره فقال ما أنا بملتسمها بشئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها في تسع بيقين أو في سبع بيقين أو في خمس بيقين أو في ثلاث بيقين وأخر الشهر قال وكان أبو بكره يصلي في العشر من رمضان كصلاته في سائر السنة فاذا دخل العشر الاواخر اجتهد أخرجه الترمذي (خ) عن عباد بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحي رجلا من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لآخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة

٢ قوله عبد الله بن أنيس الى آخر الحديث كذا بالنسخ وبمراجعة أبي داود يعلم ما فيه اه مصححه ٣ قوله عتبة كذا في نسخة وفي أخرى عتيبة وفي الترمذي الطبع عتيبة اه مصححه

والسابعة والخامسة قوله فتلاحي رجلان أي نخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وإنما أراد رفع بيان وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتمسكها (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في العشر في سبع مضين أو في سبع بيقين يعني ليلة القدر وفي رواية في ناسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال أبو عيسى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر أنها ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين وآخر ليلة من رمضان قال الشافعي كأن هذا عندى والله أعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسئل عنه يقال له نلتمسها في كذا فقال التمسوها في ليلة كذا قال الشافعي وأقوى الروايات عندى فيها ليلة احدى وعشرين قال بغوى وبالجملة أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعاً في ادراكها كما أخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمها الاعظم في القرآن في أسمائه ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذراً من قيامها ومن علاماتها ما روى عن الحسن رفعه أنها ليلة بلحة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لا شعاع لها (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر أحياناً الليل وأيقظ أهله وجد وشد المنزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيره (ق) عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولي اللهم انك عفوكريم تحب العفو فاعف عني أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه النسائي وابن ماجه قوله عز وجل (وما أدراك ما ليلة القدر) أي أي شيء يبلغ درياتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خيرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة أوجه فقال تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فحجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك ونمى ذلك لامته فقال يارب جعلت أمي أقصر الام أعماراً وأقلها أعمالاً فاعطاه الله تبارك وتعالى ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من ألف شهر التي حل فيها الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولا تمك الى يوم القيامة وعن مالك انه سمع من يثق به من أهل العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكانه ناقص أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر أخرجه مالك في الموطأ قال المفسرون معناه العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وإنما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والارزاق وأنواع الخير والبركة ﴿الوجه الثاني﴾ من فضلها قوله عز وجل (تنزل الملائكة) يعني الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها وظهر أن الامر بخلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتدروا بما قالوه ويستغفروا لهم لما يرون من تقصير قد يقع من بعضهم (والروح) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام قاله أكثر المفسرين وفي حديث أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كعبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن الجوزي قيل ان الروح طائفة من الملائكة لاتراهم الملائكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة (فيها) أي في ليلة القدر (باذن ربهم) أي بأمر ربهم (من كل أمر) أي بكل أمر

(وما أدراك ما ليلة القدر) أي لم تبلغ درياتك غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر وسبب ارتفاع فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة أن النبي عليه السلام ذكر رجلان بنى اسرائيل ليس السلاح في سبيل الله ألف شهر فحجب المؤمنون من ذلك وتفاضرت اليهم أعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي (تنزل الملائكة) الى السماء الدنيا أو الى الارض (والروح) جبريل أو خلق من الملائكة لاتراهم الملائكة الا تلك الليلة أو الرحمة (فيها باذن ربهم من كل أمر) أي تنزل من أجل كل أمر قضاة الله لتلك السنة الى قابل وعليه وقف

(سلام هي) ماهي الاسلامه  
 خبر ومبتدأ أي لا يقدر  
 الله فيها الا السلامة والخبر  
 ويقضى في غير هابلاء  
 وسلامة أو ماهي الاسلام  
 لكثرة ما يسمون على  
 المؤمنين قيل لا يلقون  
 مؤمنا ولا منؤمنه الاسلاموا  
 عليه في تلك الليلة (حتى  
 مطلع الفجر) أي الى  
 وقت طلوع لفجر بكسر  
 اللام حمزة وعلى وخاف  
 وقد حرم من السلام الذين  
 كفروا والله أعلم  
 ﴿سورة البينة مختلف فيها  
 وهي ثمان آيات﴾  
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾  
 (لم يكن الذين كفروا)  
 بمحمد صلى الله عليه وسلم  
 (من أهل الكتاب) أي  
 اليهود والنصارى وأهل  
 الرجل أخص الناس به  
 وأهل الاسلام من يدين به  
 (والمشركين) عبدة  
 الاصنام (منفكين)  
 منفصلين عن الكفر  
 وحذف لان صلة الذين بدل  
 عليه (حتى تأتيمهم البينة)  
 الحجة الواضحة والمراد محمد  
 صلى الله عليه وسلم يقول لم  
 يتركوا كفرهم حتى يبعث  
 محمد صلى الله عليه وسلم  
 فلما بعث أسلم بعض وثبت  
 على الكفر بعض

من الخير والبركة وقيل بكل ما أمر به وقضاه من كل أمر الوجه الثالث من فضلها قوله تعالى (سلام) أي  
 سلام على أولياء الله وأهل طاعته قال الشعبي هو تسليم الملائكة في ليلة القدر على أهل المساجد من حين  
 تغيب الشمس الى أن يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما القوا مؤمنا ومؤمنة يسلمون عليه من  
 ربه عز وجل وقيل تم الكلام عند قوله من كل أمر ثم ابتداء فقال تعالى سلام (هي) يعني ليلة القدر سلامة  
 وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضى الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع  
 الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يحدث فيها أذى (حتى مطلع الفجر) أي ان ذلك السلام أو السلامة تدوم  
 الى مطلع الفجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة لم يكن سورة البينة﴾

﴿وهي مدنية قاله الجمهور وفي رواية عن ابن عباس انها مكية وهي ثمان آيات وأربع

وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والمشركين) أي ومن  
 المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا اجنسين أحدهما أهل كتاب وسبب كفرهم ما أحدثوه  
 في دينهم أما اليهود فقو لهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه وأما النصارى فقو لهم المسيح ابن الله وثالث  
 ثلاثة وغير ذلك والثاني المشركون أهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين في قوله لم  
 يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين (منفكين) أي منتهين عن كفرهم وشرهم وقيل معناه  
 زائلين (حتى تأتيمهم) أي حتى أتتهم لفظه مضارع ومعناه الماضي (البينة) أي الحجة الواضحة يعنى محمد صلى  
 الله عليه وسلم أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وشرهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم الى الايمان  
 فآمنوا فانقذهم الله من الجهالة والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم والآية فيمن آمن  
 من الفريقين قال الواحدى في بسطه وهذه الآية من أصعب ما في القرآن نظما وتفسيرا وقد تحبب فيها  
 السكبار من العلماء قال الامام غفر الدين في تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وأنا أقول وجه الاشكال  
 أن تقدير الآية لم يكن الذين كفروا ومنفكين عن كفرهم حتى تأتيمهم البينة التي هي الرسول ثم انه تعالى لم  
 يذكر أنهم منفكون عما ذكروه الكفر الذي كانوا عليه فصار التقدير لم يكن الذين  
 كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيمهم البينة التي هي الرسول ثم ان كلمة حتى لا تنهاى الغاية فهذه الآية  
 تقتضى أنهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال بعد ذلك وما تفرق الذين أتوا الكتاب  
 الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضى ان كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول حينئذ يحصل بين الآية  
 الاولى والثانية مناقضة في الظاهر وهذا منتهى الاشكال في ظني قال والجواب عنه من وجوه وطا وأحسنها  
 الوجه الذى خصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا  
 يقولون قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم لا نتفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود  
 الذى هو مكتوب فى التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم خشى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم  
 قال وما تفرق الذين أتوا الكتاب أى أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم  
 الرسول ثم ما فرقه عن الحق ولا أقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره فى الكلام ما يقول الفاسق  
 الفقير لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه من الافعال القبيحة حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد  
 فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عسرت رأسك فى الفسق الا بعد اليسار فيذكره  
 ما كان يقول تو بيخا والزاما قال الامام غفر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله

تعالى لم يكن الذين كفروا منفيين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة مذكور حكاية عنهم وقوله وما تفرق  
الذين أتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى ان الذي وقع كان بخلاف ما دعوا وانها ان تقدير الآية  
لم يكن الذين كفروا منفيين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التفسير يزول الاشكال  
الا ان تفسير لفظه حتى بهذا ليس من اللغة في شيء وذكروا غيرها آخر قال والمختار هو الاول ثم فسر  
البينة فقال تعالى (رسول من الله) أي تلك البينة رسول من الله (يتلوا) أي يقرأ الرسول صلى الله  
عليه وسلم (صحفا) أي كتب يريد ما تضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو القرآن لأنه كان صلى الله  
عليه وسلم يقرأ عن ظهر قلبه لا عن كتاب (مطهرة) أي من الباطل والكذب والزور والمعنى أنها مطهرة  
من القبيح وقيل معنى مطهرة معظمة وقيل مطهرة أي لا ينبغي أن يمسها الا المطهرون (فيها) أي في  
الصحف (كتب) أي الآيات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الاحكام (قيمة) أي عادلة مستقيمة غير  
ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحق من قوطم قام بالامر اذا أجراه على وجهه ثم ذكر من لم  
يؤمن من أهل الكتاب فقال تعالى (وما تفرق الذين أتوا الكتاب) يعني في أمر محمد صلى الله عليه وسلم  
(الامن بعد ما جاءتهم البينة) يعني جاءتهم البينة في كتبهم أنه نبي مرسل قال المفسرون لم يزل  
أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا في أمره  
واختلفوا فيه فآمن به بعضهم وكفر به آخر ون ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال تعالى (وما أمروا)  
يعنى هؤلاء الكفار (اليعبدوا الله) أي وما أمروا الا أن يعبدوا الله قال ابن عباس ما أمروا في  
التوراة والانجيل الا بالاخلاص للعبادة لله موحد بن له (مخلصين له الدين) الاخلاص عبارة عن النية الخالصة  
وتجرب بدعا عن شوائب الرياء وهو نية على ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتداء الفعل الى انتهائه  
والمخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوه به والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة  
فقد دلت الآية على أن كل مأمور به فلا بد وأن يكون منوفا فلا بد من اعتبار النية في جميع الامور قال  
أصحاب الشافعي الموضوع مأمور به ودلت هذه الآية على أن كل مأمور به يجب أن يكون منوفا فتجب  
النية في الموضوع وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان يأتي بالفعل لوجه الله تعالى لمخالصه ولا يريد بذلك رياء  
ولا سمعة ولا غرضا آخر حتى قالوا في ذلك لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطاوعا وان كان  
لا بد من ذلك بل يجعل العبد عبادة له لمحض العبودية واعترافا له به عز وجل بالرؤية وقيل في معنى مخلصين  
له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقاوبهم رضا الله تعالى بالعبادة (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى  
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى  
قلوبكم (حنفاء) أي مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين لملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام  
وقيل حنفاء أي سحاجا وانما قدمه على الصلاة والزكاة لان فيه صلاة وفاق مال وقيل حنفاء أي محتونين  
محرمين لشكاح المحارم وقيل الحنيف الذي آمن بجميع الانبياء والرسول ولا يفرق بين أحد منهم فمن لم يؤمن  
باشرف الانبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف (ويقوموا الصلاة) أي المكتوبة في أوقاتها  
(ويؤتوا الزكاة) أي المفروضة عند محلها (وذلك) أي الذي أمروا به (دين القيمة) أي الملة المستقيمة  
والشريعة المتبوعة وانما أضاف الدين الى القيمة وهي نعتة لاختلاف اللفظين وأنت القيمة ردا الى  
الملة وقيل الهاء في القيمة للمبالغة كلامة وقيل القيمة الكتب التي جرى ذكرها أي وذلك دين أصحاب  
الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم القائم واحد والمعنى وذلك دين القائم بالله توحيد واستدل  
بهذه الآية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد ولا أتبعه بالعمل ثانيا ثم قال  
وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله فاخر جننا من كان فيهما من المؤمنين فما

(رسول من الله) أي محمد  
عليه السلام وهو بدل من  
البينة (يتلوا) يقرأ عليهم  
(صحفا) قسراطيس  
(مطهرة) من الباطل  
(فيها) في الصحف  
(كتب) مكتوبات  
(قيمة) مستقيمة ناطقة  
بالحق والعدل (وما تفرق  
الذين أتوا الكتاب الا  
من بعد ما جاءتهم البينة)  
فمنهم من أنكروا نبوته بغيا  
وحسدا ومنهم من آمن  
وانما أفر دأهل الكتاب  
بعد ما جمع أوليئهم وبين  
المشركين لانهم كانوا على  
علم به لوجوده في كتبهم  
فاذا وصفوا بالتفرق عنه  
كان من لا كتاب له أدخل  
في هذا الوصف (وما أمروا)  
يعنى في التوراة والانجيل  
(اليعبدوا الله مخلصين  
له الدين) من غير شرك  
ونفاق (حنفاء) مؤمنين  
بجميع الرسل مائلين عن  
الاديان الباطلة (ويقوموا  
الصلاة ويؤتوا الزكاة  
وذلك دين القيمة) أي  
دين الملة القيمة

وجدنا فيها غير بيت من المسامحين ثم ذكر ما للفر يقين فقال تعالى (ان الذين كفروا من أهل الكتاب  
 والمشركين) فان قلت لم قدم أهل الكتاب على المشركين قلت لان جنابهم أعظم في حق رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث أنكروه وكذبوه وصدوه مع  
 العلم به فكانت جنابهم أعظم من المشركين فالهنا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين أعظم جنابا من أهل  
 الكتاب لان المشركين أنكروا الصانع والنبوة والقيامة وأهل الكتاب اعترفوا بذلك غير أنهم أنكروا  
 نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم أخف فلم سوى بين الفر يقين في العذاب قلت لما  
 أراد أهل الكتاب الرفعة في الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أذلم الله في الدنيا وأدخلهم أسفل  
 سافلين في الآخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم في العذاب (في نار جهنم  
 خالدن فيها أولئك هم شر البرية) أي هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل  
 الى خروج من سبيل فقال بل تبقون خالدن فيها كما هم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية (ان الذين آمنوا  
 وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) يعنى انهم بسبب أعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا  
 هذا الاسم (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدن فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا  
 عنه) قيل الرضا ينقسم الى قسمين رضاه ورضاعنه فالرضاه أن يكون ربا ومدبرا والرضاعنه فيما يقضى  
 ويدبر قال السرى اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك وقيل رضى الله أعمالهم ورضوا  
 عنه بما أعطاهم من الخير والكرامة (ذلك) أي هذا الجزاء والرضا (لمن خشى ربه) أي لمن خاف ربه في  
 الدنيا وانتهى عن المعاصي (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا بين  
 كعب ان الله امرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب قال وسأني قال نعم فبكي وفي  
 رواية البخارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا بين كعب ان الله امرني أن أقرأك القرآن قال الله سأنى  
 لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم قال فذرفت عيناها ﴿شرح غريب الحديث﴾ اما بكاء  
 أي فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تاهله لهذه النعمة العظيمة واعطائه تلك المنزلة الكريمة والنعمة  
 عليه فيهما من وجهين أحدهما كونه منصوفا عليه بعينه والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فأنها منقبة  
 عظيمة لم يشاركه فيها أحد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره في شكره هذه النعمة واما تخصيص  
 هذه السورة بالقراءة فأنها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضى الاختصار  
 وأما الحكمة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة على أبي فهمى ان يتعلم أبي القراءة من ألفاظه صلى الله  
 عليه وسلم وضبط أسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة في غيره فكانت قراءته  
 على أبي ليتعلم أبي منه لاي تعلم هو من أبي وقيل انما قرأ على أبي ليتعلم غيره التواضع والادب وان لا يستكف  
 الشريف وصاحب الرتبة العالية ان يتعلم القرآن ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة أبي والحث على الاخذ عنه  
 وتقديمه في ذلك فكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم رأسا واماما في القراءة وغيرها وكان أحد علماء  
 الصحابة رضى الله عنهم أجمعين والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

### ﴿ تفسير سورة الزلزلة ﴾

وهي مكية وقيل مدنية وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة وأربعون حرفا عن ابن عباس  
 رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقيل هو الله أحد تعدل  
 ثلث القرآن وقيل يأبها الكافرون تعدل ربع القرآن أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وله عن أنس  
 رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل  
 يأبها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب

(ان الذين كفروا من أهل  
 الكتاب والمشركين في نار  
 جهنم خالدن فيها أولئك  
 هم شر البرية ان الذين  
 آمنوا وعملوا الصالحات  
 أولئك هم خير البرية)  
 ونافع همزهما والقراء  
 على التخفيف والنبي  
 والبرية السقر الاستعمال  
 على تخفيفه ورفض الاصل  
 (جزاؤهم عند ربهم جنات  
 عدن) اقامة (تجربى من  
 تحتها الانهار خالدن فيها  
 أبدا رضى الله عنهم) بقبول  
 أعمالهم (ورضوا عنه)  
 بثوابها (ذلك) أي الرضا  
 (لمن خشى ربه) وقوله خير  
 البرية يدل على فضل المؤمنين  
 من البشر على الملائكة  
 لان البرية الخلق واشتقاقها  
 من برأ الله الخلق وقيل  
 اشتقاقها من البر وهو  
 التراب ولو كان كذلك لما  
 قرؤا البر يشة بل همز كذا  
 قاله الزجاج والله أعلم  
 ﴿سورة الزلزلة مختلف  
 فيها وهي ثمان آيات﴾



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ( اذازلزك الارض زلزالها ) أى حركت زلزالها الشديد الذى ليس بعده زلزال وقرى بفتح الزاى  
فالمكسور مصدر والمفتوح اسم ( وأخرجت الارض أنقاها ) أى كنوزها وموتها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل مافى جوفها من  
الدفائن أنقلا لها ( وقال الانسان ما لها ) ( ٤٣٠ ) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت مافى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين

تزلزل وتلفظ موتها احياء  
فيقولون ذلك لما يهرهم  
من الامر الفظيع كما يقولون  
من بعثنا من مرقدنا وقيل  
هذا قول الكافر لانه  
كان لا يؤمن بالبعث فاما  
المؤمن فيقول هذا ما وعد  
الرحمن وصدق المرسلون  
( يومئذ ) بدل من اذا  
وخاصها ( تحدث ) أى  
تحدث الخلق ( أخبارها )  
خذف أول المفعولين لان  
المقصود ذكر تحديدها  
الاخبار لا ذكر الخلق قيل  
ينطقها الله ونخبر بما عمل  
عليها من خير وشر وفى  
الحديث تشهد على كل  
واحد بما عمل على ظهرها  
( بان ربك أوحى لها ) أى  
تحدث أخبارها بسبب  
إيحاء ربك لها أى عليها  
وأمره إياها بالتحديث  
( يومئذ يصدر الناس )  
يصدر ون عن مخارجهم  
من القبور الى الموقف  
( أشتاتا ) بيض الوجوه  
أمين وسود الوجوه فزعين  
أو يصدرون عن الموقف  
أشتاتا يتفرق بهم طريق  
طريق الجنة والنار ( ليروا  
أعمالهم ) أى جزاء أعمالهم  
( فمن يعمل مثقال ذرة غلظة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل ( اذازلزات الارض زلزالها ) أى تحركت حركته شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة  
وقيل تتزلزل من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقى ما على  
ظهرها من جبل وشجر وبناء وفى وقت هذه الزلزلة قولان أحدهما وهو قول الاكثربين أنها فى الدنيا وهى من  
أشراط الساعة والثانى أنها زلزلة يوم القيامة ( وأخرجت الارض أنقاها ) فمن قال ان الزلزلة تكون فى  
الدنيا قال أنقاها كنوزها ومافى بطنها من الدفائن والاموال فتلقبها على ظهرها بدل على صحة هذا القول  
ماروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبقى الارض أفلاذ كبدها  
مثل الاسطوانة من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويحى القاطع فيقول فى هذا  
قطعت رحى ويحى السارق فيقول فى هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يخذون منه شيئا أخرجه مسلم  
والافلاذ جمع فلذة وهى القطعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها باقعا كبدها لان الكبد مستور فى الجوف  
وانما خص الكبد لانها من أطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار التى للاخراج ومن قال بان  
الزلزلة تكون يوم القيامة قال أنقاها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان فى بطن الارض  
فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سميت الجن والانس بالثقلين لان الارض تثقل بهم احياء  
وامواتا ( وقال الانسان ما لها ) أى ما لها تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت مافى بطنها وفى الانسان وجهان  
أحدهما أنه اسم جنس يع المومن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من أشراط الساعة والمعنى أنها  
حين وقعت لم يعلم الكل أنها من أشراط الساعة فساءل بعضهم بعضا عن ذلك والثانى أنه اسم للكافر خاصة  
وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لان المومن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر جاهل بها فاذا وقعت  
سأل عنها وقيل مجاز الآية ( يومئذ تحدث أخبارها ) فيقول الانسان ما لها والمعنى ان الارض تحدث بكل  
ما عمل على ظهرها من خير أو شر فتشكو العاصى وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له عن أبى هريرة قال  
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله  
أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبدا وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا أفهذه  
أخبارها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ( بان ربك أوحى لها ) أى أمرها بالكلام وأذن لها  
أن تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس أوحى إليها قيل ان الله تعالى يخاطب فى الارض الحياة والعقل والنطق  
حتى تخبر بما أمر الله به وهذا مذهب أهل السنة قوله تعالى ( يومئذ يصدر الناس ) أى عن موقف الحساب  
بعد العرض ( أشتاتا ) أى متفرقين فأخذت اليمين الى الجنة وأخذت الشمال الى النار ( ليروا أعمالهم )  
قال ابن عباس لير وجزاء أعمالهم وقيل معنا لير واصحاتف أعمالهم التى فيها الخير والشر وهو قوله تعالى ( فمن  
يعمل مثقال ذرة ) أى وزن مثقال صغيرة وقيل هو ما صق من التراب باليد ( خير ابره ومن يعمل مثقال ذرة شرا  
يره ) قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا فى الدنيا الا أراه الله اياه يوم القيامة فاما المومن  
فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته  
وقال محمد بن كعب القرظى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وولده وأهله  
وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقوبته فى

صغيرة ( خيرا ) تميز ( يره ) أى يره جزاءه ( ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) قيل هذا فى الكفار والاول فى الدنيا

المؤمنين ويرى ان اعرابيا آخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرجت فقال خذ ابطن هرشى أوقفها فانه كلاجاني هرشى لمن طريق وروى  
ان جد الفرزدق أنه عليه السلام ليستقرته فقرا عليه هذه الآية فقال حسبي حسبي وهى أحكم آية وسميت الجامعة والله أعلم

الدينا في نفسه وماله وولده وأهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شريك في هذه الآية في رجلين  
 وذلك أنه لما نزلت ويطعمون الطعام على حبه وكان أحدهما يأتية السائل فيستقل أن يطعمه التمرة والكسرة  
 والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشيء يؤجر عليه إنما يؤجر على ما يعطى ونحن نحبه وكان الآخر  
 تهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة وأشبه ذلك ويقول إنما وعد الله النار على الكافر وليس في  
 هذا ثم فأنزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير أن يعطوه فإنه يوشك أن يكثروا ويحذروا من اليسير  
 من الذنب فإنه يوشك أن يكبروا والآنم الصغير في عين صاحبه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن  
 مسعوداً أحكم آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وسعى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الخمر فقال ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية  
 الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره واتصدق عمر بن الخطاب وعائشة  
 كل واحد منهما بمحبة غنم وقالوا فيها مثاقيل كثيرة قلت إنما كان غرضهما تعليم الفير والافهما من كرماء  
 الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقال الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها  
 قال حسبي الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

### ﴿تفسير سورة العاديات﴾

وهي مكية في قول ابن مسعود وغيره مدنية في قول ابن عباس وهي إحدى عشرة

آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفاً

### ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (والعاديات ضبحاً) فيه قولان أحدهما أنها الأبل في الحج قال علي كرم الله وجهه هي الأبل  
 تعد ومن عرفقة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى وعنه قال كانت أول غزاة في الإسلام بدر أو ما كان معنا  
 الأفرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون معنى  
 ضبحاً ممدداً عناقها في السير وأصله من حركة النار في العود (فالمروريات قدحا) يعني إن أخفاف الأبل ترمى  
 بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجراً آخر فيورى النار وقيل هي النيران بجمع (فالغيرات صبحاً)  
 يعني الأبل تدفع بركانها يوم النحر من جمع إلى منى والسنة أن لا يدفع حتى يصبح والاعارة سرعة السير ومنه  
 قولهم أشرق تبير كما تغير (فأثرن به نقعاً) أي هيجن بمكان سيرها غباراً (فوسطن به جمعاً) أي وسطن  
 بالنقع جمعاً وهو من دلفسة فوجه القسم على هذا أن الله تعالى أقسم بالأبل لما فيها من المنافع الكثيرة  
 وتغير يضنه بابل الحج للترغيب وفيه تقرر لمن لم يحج بعد القدرة عليه فإن الكنود هو الكفور ومن لم يحج  
 بعد الوجوب موصوف بذلك في القول الثاني في تفسير العاديات قال ابن عباس وجماعة هي الخيل العادية في  
 سبيل الله والضبح صوت أجوافها إذا عدت قال ابن عباس وليس شيء من الحيوانات يضح سوى الفرس  
 والكلب والثعلب وإنما تضح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من فزع أو تعب وهو من قول العرب ضبحت  
 النار إذا غيرت لونه فالمروريات قدحا يعني أنها توري النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة وقيل هي الخيل تهيج  
 الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تأوى بالليل فيورى أصحابها  
 ناراً ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال في الحرب والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يكر بصاحبه أما  
 والله لا قدح لك ثم لا وريين لك فالغيرات صبحاً يعني الخيل تغير بفرسانها على الهدى وعند الصباح لأن الناس  
 في غفلة في ذلك الوقت عن الاستعداد فأثرن به أي بالمكان نقعاً أي غباراً فوسطن به جمعاً أي دخلن به أي  
 بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه  
 الآيات أولى بالصحة وأشبه بالمعنى لأن الضبح من صفة الخيل وكذا إراء النار بحوافرها وإثارة الغبار أيضاً

وجواب القسم

(ان الانسان له به لكونه) لكفوراً أي انه لنعمة به خصوصاً الشديداً الكفران (وانه) وان الانسان (على ذلك) على كونه (شهيد) يشهد على نفسه أو ان الله على كونه لشاهد على سبيل الوعيد (وانه لخب الخير لشديد) وانه لاجل حب المال ليخيل بمسك أو انه لخب المال لقوى وهو لخب (٤٣٣) عبادة الله ضعيف (أفلا يعلم) الانسان (اذ بعث) بعث (ماني

وانما أقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية الاجر والغنيمة وتبنيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله عز وجل ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى (ان الانسان لربه لكونه) أي لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجود لنعمة الله تعالى وقيل الكنود هو العاصي وقيل هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير مأخوذ من الارض الكنود وهي التي لا تنبت شيئاً وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي أنسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثرية من الاحسان وضده الشكور الذي أنسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثرية من الاساءة (وانه على ذلك شهيد) قال أكثر المفسرين وان الله على كونه كنوداً شاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع (وانه) يعني الانسان (لخب الخير) أي المال (لشديد) أي ليخيل والمعنى انه من أجل حب المال ليخيل وقيل معناه وانه لخب المال وياشار الدنيا لقوى شديد (أفلا يعلم) يعني هذا الانسان (اذ بعث) أي أثير وأخرج (ماني القبور) يعني من الموتى (وحصل ماني الصدور) أي ميزوا برزقها من الخير والشر (ان ربه بهم يومئذ خير) لعالم فيجاز بهم على أعمالهم من الخير والشر وخص يومئذ بالذكور وهو عالم بهم في جميع الازمان لان الجزاء يقع يومئذ والله أعلم (سورة القارعة مكية وهي ثمان آيات) (بسم الله الرحمن الرحيم) (القارعة) مبتدأ (ما) مبتدأ ثان (القارعة) خبره والجملة خبر المبتدأ الاول وكان حقه ماهي وانما كرر تفخيماً لثقلها (وما أدراك ما القارعة) أي أي شيء أعلمك ماهي ومن أين علمت ذلك (يوم) نصب بمضمر دل عليه القارعة أي تفرع يوم (يكون الناس كالفرش المبثوث) شبههم بالفرش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطير الى الداعي من كل جانب كما يتطير الفراش الى النار وسمى فراشاً لتفرشه وانتشاره (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وشبه

تفسير سورة القارعة وهي مكية

ثمان آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (القارعة) أصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر أي شدائده والقارعة من أسماء القيامة سميت بذلك لانها تفرع القلوب بالفرع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته (ما القارعة) تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت القوارع في الهول والشدة (وما أدراك ما القارعة) معناه لا أعلم لك بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها فهم أحد وكيفما قدرت أمرها فهي أعظم من ذلك (يوم يكون الناس كالفرش المبثوث) الفراش هذه الطير التي تراها تهافت في النار سميت بذلك لفرشها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا نثر لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحد تذهب الى غير جهة الاخرى فدله بهذا التشبيه على ان الخلق في البعث يتفرقون فيذهب كل واحد الى غير جهة الآخر والمبثوث المتفرق وشبههم أيضاً بالجراد فقال كأنهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال القراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضاً فشببه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم بموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضاً من شدة الهول (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أي كالصوف المنذوف وذلك لانها تتفرق أجزاءها في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطير عند الندف وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كانه تعالى نبه على تأثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلدة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى (فأما من نقلت موازينه) يعني ربحت موازين حسناته

قيل

الجبال بالعهن وهو الصوف اصبح ألواناً لانها ألوان ومن الجبال جدديص وجر مختلف ألوانها وبالمنفوش

منه لتفرق أجزاءها (فأما من نقلت موازينه) باتباعهم الحق وهي جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله وأجمع ميزان

وتقلها بجانها

قيل هو جمع موزون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذي له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيؤتى بحسنت المؤمن في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر في أقبح صورة فتخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن أعمال المؤمنين فن ثقلت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة أو يعفو الله عنه بكرمه فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورجته وأما الكافرون فقد قال في حقهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا روى عن أبي بكر الصديق أنه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا ونقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غد ان يكون ثقيلًا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غد ان يكون خفيفًا ﴿قوله تعالى﴾ (فهو في عبثه راضية) أى مرضية في الجنة وقيل في عبثه ذات رضاه صاحبها (وأما من خفت موازينه) أى رجحت سيئاته على حسناته (فامه هاوية) أى مسكنه النار سمي المسكن امالان الاصل في السكون الامهات وقيل معناه فام رأسه هاوية في النار والهاوية اسم من أسماء النار وهي المهواة التي لا يدرك قعرها فيهبون فيها على رؤسهم وقيل كان الرجل اذا وقع في أمر شديد يقال هوت أمه أى هلكت حزنا وثكلا (ومأ أدراك ماهيه) يعنى الهاوية ثم فسرها فقال (نار حامية) أى حارة قد انتهى حرها نحو ذبالة وعظمتها منها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة التكاثر مكية ﴾

وهي ثمان آيات وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل (أهلًا كم التكاثر) أى أشغلتكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة الله بكم وما ينجز بكم عن سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشئ أعرض عن غيره فينبغي للمؤمن العاقل أن يكون سعيه وشغله في تقديم الأهم وهو ما يقرب به من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر بأخس مراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخرى والتي هي سعادة الابد وبدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذمومة ما روى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية أهلًا كم التكاثر فقال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت أو اكلت فافنت أو لبست فابليت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنتان ويبقى معه واحد يتبعه ماله وأهله وعمله فيرجع أهل ماله ويبقى عمله (حتى زرتم المقابر) أى حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار ربه فيكون معنى الآية أهلًا كم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة بكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك قيل نزلت هذه الآية في اليهود قالوا نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضللا وقيل نزلت في حين من قريش وهما بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو وكان بينهم تفاخر فعدوا القادة والاشراف أهمهم أكثر فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيدا وأعز عزى وأعظم نفرا وأكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكأثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعم موتنا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فعدوا فلان وهذا قبر فلان فكأثرهم بنو سهم بثلاثة آيات لانهم كانوا في الجاهلية أكثر عددا فأنزل الله هذه الآية وهذا القول أشبه بظاهر القرآن لان قوله حتى زرتم المقابر يدل على أمر رضى فكانه تعالى يجههم من أنفسهم ويقول مجيبا هب انكم أكثر منهم عددا فإذا انبفع ثم رد الله ته الى عليهم فقال (كلا) أى ليس الامر كما يتوهمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر

(فهو في عبثه راضية)  
ذات رضاه ومرضية (وأما  
من خفت موازينه) باتباعه  
الباطل (فامه هاوية) فسكنه  
ومأواه النار وقيل للمأوى  
أم على التشبيه لان الام  
مأوى الولد ومفرغه (وما  
أدراك ماهيه) الضمير  
يعود الى هاوية والهاء  
للسكت ثم فسرها فقال  
(نار حامية) بلغت النهاية  
في الحرارة والله أعلم  
(سورة التكاثر مكية وهي  
ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)  
أهلًا كم التكاثر شغلكم  
التبارى في الكثرة والتباهى  
بها في الاموال والاولاد  
عن طاعة الله (حتى  
زرتم المقابر) حتى  
أدرككم الموت على تلك  
الحال أو حتى زرتم المقابر  
وعددتهم من في المقابر من  
موتنا كم (كلا) ردع وتنبية  
على انه لا ينبغي للناظر لنفسه  
أن تكون الدنيا جميع همه  
ولا يهتم بدينه

وقيل المعنى حقا (سوف تعلمون) وعيد لهم (ثم كلا سوف تعلمون) كرهه تأكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاسخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعني المؤمنين وصاحب هذا القول يقرأ الاولى بالياء والثانية بالتاء (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي علما يقينا وجواب لمخذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعنه بعد الموت (لترون الحجيم) اللام تدل على أنه جواب قسم مخذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما وعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى أنكم ترون الحجيم باصباركم بعد الموت (ثم لترونها) يعنى مشاهدة (عين اليقين) وانما كرر الرؤية لتأكيده الوعيد (ثم لتستلن يومئذ عن النعيم) يعنى ان كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيستلن يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما أطاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره سألهم عن ذلك وقيل ان هذا السؤال يعنى الكافر والمؤمن وهو الاولى لكن سؤال الكافر توبيخ وتقرير لانه ترك شكر ما أنعم الله به عليه والمؤمن يسئل سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما أنعم الله به عليه وأطاع ربه فيكون السؤال في حقه تذكرة بنعم الله عليه بدل على ذلك ما روى عن الزبير قال لما نزلت ثم لتستلن يومئذ عن النعيم قال الزبير يارسول الله وأي نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يسئل العبد عنه فروى عن ابن مسعود رفعه قال لتستلن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة من النعيم فيقال له ألم تصح لك جسمك ونزوك من الماء البارد أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فاداهو باني بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم ما أخرجكم من بيوتكم هذه الساعة قالوا الجوع يارسول الله قال وأنا الذي نفسى بيده لاخرجنى الذي أخرجكم فاقفوا واقفوا معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رآته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لارسول الله صلى الله عليه وسلم ابن فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصارى فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا منى قال فانطلق فجاءهم بعدنق فيه بسرو تمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدينة فقال لارسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحب فندج لهم شاة فاكوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا وروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني بكر وعمر والذي نفسى بيده لتستلن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وأخرجه الترمذي باطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروى عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن الصحة والفرغ والمال (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان غبون فيهما كثير من الناس الصحة والفرغ وقيل الذي يسئل العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه فانه لا بد لكل أحد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسئل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل عن الاسلام فانه أكبر النعم وقيل يسأل عما أنعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنقذكم به من الضلال الى الهدى والنور وامتن به عليكم والله أعلم

﴿تفسير سورة العصر وهي مكية﴾

قاله ابن عباس والجمهور وقيل مدينة وهي ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

(سوف تعلمون) عند النزاع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثم كلا سوف تعلمون) في القبور (كلا) تكرير الردع للاندثار والتخويف (لو تعلمون) جواب لو مخذوف أي لو تعلمون ما بين أيديكم (علم اليقين) علم الامر اليقين أي كعلمكم ما ستدقونونه من الامور لما أطاهم التكاثر ولتعلمتم ما لا يوصف ولكنكم ضلال جهلة (لترون الحجيم) هو جواب قسم مخذوف والقسم لتوكيد الوعيد لترون بضم التاء شامى وعلى (ثم لترونها) كرهه معطوفا بتم تغليظا في التهديد ووزيادة في التهيؤيل أو الاول بالقلب والثاني بالعين (عين اليقين) أي الرؤية التي هي نفس اليقين وخاصته (ثم لتستلن يومئذ عن النعيم) عن الامن والصحة فيم أفنيقوهما عن ابن مسعود رضى الله عنه وقيل عن التمتع الذي شغلكم الا لتداذبه عن الدين وتكاليفه وعن الحسن ما سوى كن يؤوبه وأثواب تواربه وكسرة تقويه وقدروى مرفوعا والله أعلم

﴿سورة العصر مختلف فيها وهي ثلاث آيات﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل (والعصر) قال ابن عباس هو الدهر قيل أقسم الله بما فيه من العبر والمجانب للناظر وقد ورد في الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم كانوا يضيفون النواصب والنوازل الى الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النواصب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل أراد بالعصر الليل والنهار لانهم ما يقال لهم العصر ان فنه على شرف الليل والنهار لانهم ما خرتان لاعمال العباد وقيل أراد بالعصر آخر طرف في النهار أقدم بالعشى كما أقسم بالضحى وقيل أراد صلاة العصر أقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى لما قيل هي صلاة العصر والذي في مصحف عائشة رضي الله عنها حفصة والصلوة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين شغلوا عن الصلوة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وقيل أراد بالعصر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم بزمانه كما أقسم بمكانه في قوله لا أقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد نبيه بذلك على أن زمانه أفضل الازمان وأشرفها وجواب القسم قوله تعالى (ان الانسان لفي خسر) أى فى خسران وتقصان قيل أراد بالانسان جنس الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم فى أيد الناس أى الدراهم وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما أن تكون تلك الساعة فى طاعة أو معصية فان كانت فى معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت فى طاعة فله غير أهأفضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييعا وخسرا فبان بذلك انه لا ينفك أحد من خسران وقيل ان سعادة الانسان فى طلب الآخرة وجهها والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الآخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فهذه السبب كان أكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغربين فى طلبها فكانوا فى خسران وبوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم وقيل أراد بالانسان الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعنى فانهم ليسوا فى خسران والمعنى ان كل مامر من عمر الانسان فى طاعة الله تعالى فهو فى صلاح وخير وما كان بضده فهو فى خسران وفساد وهلاك (وتواصوا) أى أوصى بعض المؤمنين بعضا (بالحق) يعنى بالقرآن والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد (وتواصوا بالصبر) أى على أداء الفرائض واقامة أمر الله وحدوده وقيل أراد ان الانسان اذا عمر فى الدنيا وهم لى نقص وتراجع الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم تكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التى كانوا يعملونها فى شبابهم وصحتهم وهل مثل قوله لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة الهمزة \* وهى مكية وتسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل (ويل) أى قبح وقيل هو اسم وادى جهنم (لكل همزة ملزة) قال ابن عباس هم المشاؤون بالتميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبراء العيب (١) وقيل معناهما واحد وهو العيب المغتاب للناس فى بعضهم قال الشاعر

اذ القيتك من كره تكاشرتنى \* (٢) وان تغيبت كنت اظلم من اللماز

وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذى يعيبك فى الغيب والهمزة الذى يعيبك فى الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذى يهزم الناس بيده ويضربهم والهمزة الذى يهزمهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذى

العصر فى مصحف حفصة  
ولان التكليف فى أدائها  
أشقى لتهاقت الناس فى  
تجاراتهم ومكاسبهم آخر  
النهار واشتغالهم بمعايشهم  
أو أقسم بالعشى كما أقسم  
بالضحى لما فهم من دلائل  
القدرة أو أقسم بالزمان  
لما فى مروره من أصناف  
العجائب وجواب القسم  
(ان الانسان لى خسر)  
أى جنس الانسان لى  
خسران من تجاراتهم (الا  
الذين آمنوا وعملوا  
الصالحات) فانهم اشتروا  
الآخرة بالدنيا فربحوا  
وسعدوا (وتواصوا بالحق)  
بالامر الثابت الذى  
لا يسوغ انكاره وهو الخير  
كله من توحيد الله وطاعته  
واتباع كتبه ورسوله  
(وتواصوا بالصبر) عن  
المعاصى وعلى الطاعات  
وعلى ما يباو به الله عباده  
وتواصوا فى الموضوعين فعل  
ماض معطوف على ماض  
قبله والله أعلم

(سورة الهمزة مكية وهى

تسع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ويل) مبتدأ خبره

(لكل همزة) أى الذى

يعيب الناس من خلفهم

(الهمزة) أى من يعيبهم

قوله وقيل معناهما واحد وهو العيب المغتاب للناس فى بعضهم قال الشاعر

اذ القيتك من كره تكاشرتنى \* (٢) وان تغيبت كنت اظلم من اللماز

١ قوله وقيل معناهما واحد وهو العيب المغتاب للناس فى بعضهم قال الشاعر الكشاف وان أعيب فانت الهمزة اه مصحح

مواجهته و بناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه فيسئل نزلت في الاخس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقية وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد ويجوز ان يكون السبب خاصا (٤٣٦) والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح (الذي) يدل من كل أو نصب على

يهمز بلسانه و يلمز بعينه وقيل الهمزة الذي يؤذى جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي برمق بعينه ويشير برأسه و برمز بحاجبه وقيل الهمزة المغتاب للناس واللمزة الطعان في أنسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى أصل واحد وهو الطعن واظهار العيب وأصل الهمز الكسر والقبض على الشيء بالعنف والمراد منه هنا الكسر من أعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكي الناس باقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا ومنه وهما نعتان للفاعل على نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في الاخس بن شريق بن وهب كان يقع في الناس ويقتابهم وقال محمد بن اسحق ما زلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف الجحى وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يقتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل هي عامة في كل شخص هذه صفة كانتا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ والحكم ومن قال انها في أناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لا ينافي أن يكون المراد منه شخصا معيناً وهو تخصيص العام بقريضة العرف والاولى ان تحمل على العموم في كل من هذه صفة ثم وصفه فقال تعالى (الذي جمع مالا) وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلية في الهمز واللمز يعني وهو باعجاب به بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة الى مال هو أكثر منه كالشيء الحقيق وان كان عظيماً عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر بالشيء الحقيق (وعده) أي أحصاه من العدد وقيل هو من العدة أي استعدده وجعله ذخيرة وغنى له (بحسب أن ماله أخلده) أي يظن انه يتخذ في الدنيا ولا يموت ليساره وغناه قال الحسن مارأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لا يشكون في الموت مع انهم يعملون عمل من يظن انه يتخذ في الدنيا ولا يموت (كلا) رد عليه أي لا يتخذ ماله بل يتخذ ذكرا العلم والعمل الصالح ومنه قول علي مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقى الدهر وقيل معناه حقا (لينبذن) واللام في لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن (في الحطمة) أي في النار وهو اسم من أسماء مثل سقر واطي وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى يأبها الهمزة اللمزة الذي يأكل لحوم الناس ويكسر من أعراضهم ان وراءك الحطمة التي تأكل المعصوم وتكسر العظام (وما أدراك ما الحطمة) أي نار لا كسائر النيران (نار الله) انما أضافها اليه على سبيل التفضيم والتعظيم لها (الموقدة) أي لا تخمد أبدا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد على النار ألف سنة حتى احترت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة أخرجه الترمذي قال وروى عن أبي هريرة موقوفا وهو أصح (التي تطلع على الافئدة) أي يبلغ إليها ووجهها الى القلوب والمعنى انها تأكل كل شيء حتى تنتهي الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه الطيف شيء في بدن الانسان وانه يتألم بأدنى شيء فكيف اذا اطلعت عليه واستولت عليه وقيل خص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة ومعنى اطلع النار عليها انها تشمل عليها (انها عليهم)

النم (جمع مالا) جمع شامى وحزرة وعلى مبالغة جمع وهو مطابق لقوله (وعده) أي جعله عدة لحوادث الدهر (بحسب أن ماله أخلده) أي تركه خالداني الدنيا لا يموت أو هو يمرض بالعمل الصالح وانه هو الذي أخلده صاحبه في النعيم فأما المال فما أخذ أحد فيه (كلا) ردعه عن حسبه (لينبذن) أي الذي جمع (في الحطمة) في النار التي شأنها ان تحطم كل ما باقى فيها (وما أدراك ما الحطمة) تعجيب وتعظيم (نار الله) خبر مبتدا محذوف أي هي نار الله (الموقدة) نعتها (التي تطلع على الافئدة) يعني انها تدخل في أجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهي أوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان أظرف من الفؤاد ولا أشد الممانه بآدنى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه وقيل خص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة ومعنى اطلع النار عليها انها تشمل عليها (انها عليهم)

أي النار أو الحطمة (موقدة) مطبقة (في عمد) بضمين كوفي غير حفص الباقون في عمد وهما الغتان في جمع عمد ممدودة كاهاب وأهب وحاروجر (ممددة) أي تؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمدا استيثاقا في الحديث المؤمن كيس فطن وقاف مثبت لا يجعل عالم وروع والمنافق همزة نكرة حطمة كحاطب الليل لا يبالي من أين اكتسب وفيم أنفق والله أعلم

﴿سورة الفيل مكية وهي خمس آيات﴾ \* (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم تركيب فعل ربك) كيف في موضع نصب بفعل لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام والجملة سدت مسد مقعولي تروفي ألم تر نجيب أي عجب الله بنيه من كفر العرب وقد شاهدت هذه العظمة من آيات الله والمعنى انك رأيت آثار صنع الله بالحشة وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة (بأصحاب الفيل) روى أن أبرهة بن الصباح ملك اليمن من قبل أحممة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسمها

(٤٣٧)

ممدودة وقيل أطبقت الابواب عليهم ثم سدت باوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا ينقح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح ومددة صفة العمدة أي مطولة فتكون أرسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله سبحانه وتعالى أعلم

نخرج رجلا من كنانة فقعده فيها ليل لا فرقها فأغضبه بذلك وقيل أوجت رفقته من العرب نار أحماتها الريح فأحرقها خلف إيه من الكعبة نخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلما جاء الغم من خرج اليه عبد المطاب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعي جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يرح واذا وجهوه الى اليمن هرول فأرسل الله طير أربع كل طائر يحرق في منقاره وسحجان في رجليه أكبر من العذسة وأصغر من الحصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل شجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا ومات أبرهة حتى انصدع صدره عن قلبه وانقلت وزيره أبر يكسوم وطائر يحرق فوقه حتى بلع النجاشي فقص

ممدودة وقيل أطبقت الابواب عليهم ثم سدت باوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا ينقح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح ومددة صفة العمدة أي مطولة فتكون أرسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الفيل﴾

﴿وهي مكية وخمس آيات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (الم تركيب فعل ربك بأصحاب الفيل) كانت قصة أصحاب الفيل على ما ذكره محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي أن النجاشي ملك الحبشة كان بعث أرباطا الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة بن الصباح بن يكسوم فساخط أرباطا في أمر الحبشة حتى انصدعوا وصدعين فكانت طائفة مع أرباط وطائفة مع أبرهة فتراحقا فقتل أبرهة أرباطا واجتمعت الحبشة لابرة وغلب على اليمن وأقره النجاشي على عمله ثم إن أبرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم بين الملك مثلها ولست منتهيا حتى أصرف اليها حج العرب فسمع بذلك مالك بن كنانة فخرج طيلا فدخل وتغوط فيها واطبخ بالعدرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلت فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظاما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج أبرهة في الحبشة سائرا الى مكة وخرج معهم الفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذونفر بمن أطاعه من قومه فقاتلوه فهزمه أبرهة وأخذ ذانفر فقال يا أيها الملك استبقني فان نقائي خير لك من قتلي فاستجيباه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا نام من بلاد خثعم خرج اليه نقيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نقيلا فقال نقيل أيها الملك اني دليل بأرض العرب وهاتان يدي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يده حتى اذا امر بالطاق خرج اليه مسعود بن مغيث في رجال من ثقيف فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما نريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه أبارغال مولى طهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات أبارغال وهو الذي يرجم قبره وبعث أبرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وأمره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود أموال أصحاب الحرم وأصاب العبد المطلب مائة بعير ثم ان أبرهة أرسل بحنطة الجبيري الى أهل مكة وقال له سل عن شر يفها ثم أبلغه ما أرسلك به اليه أخبره اني لم آت لقتال انما جئت لاهدكم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبيد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك أرسلني اليك لا خير لك انه لم يأت لقتال الا أن تقاوه انما جاء طهم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبيد المطلب ماله عندنا فقتل

عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وروى أن أبرهة أخذ عبيد المطلب مائة بعير فخرج اليه فيها فعم في عينه وكان رجلا جسما وسيا وقيل هذا سيد قر يش وصاحب غير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جثت لاهدكم البيت الذي هو دينك ودين آباءك وشر فكم في قديم الدهر فأهلك عنه ذودا أخذك فقال أنار بالابل ولبيت رب



وللنابيه يداناسنحلي بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليله عليه الصلاة والسلام فان يمنعه فهو بينه وحرمة وان يخل بينه وبين ذلك فوالله ما للنابيه قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه ارد فمعل على بغلة كان عليها وركب معه بعض بيده حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال ياذا نفر هن عندك من غداء فيما نزل بنا قال فما غناء رجل اسير لا يأمن أن يقتل بكرة وعشمية ولكن سأبعث الى أنيس سانس الفيل فانه لي صديق فاسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير يعظم خطرک ومنزلتك عنده قال فارسل الى أنيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قریش وصاحب غير مکه يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال وقد أصاب الملك له مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي أحب ما وصل اليه من الخير فدخل أنيس على ابرهة فقال أيها الملك هذا سيد قریش وصاحب غير مکه الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكممك فقد جاء غيرنا صاب لك ولا تخاف عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيا فلما رآه ابرهة عظمه وأكرمه وكره أن يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه ثم قال لترجانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجان ذلك له فقال له عبد المطلب حاجتي الى الملك أن يرد علي مائتي بعير أصابها لي فقال ابرهة لترجانه قل له قد كنت أعجبني حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت الى بيت هودينسك ودين آباءك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدكم لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصابها لك قال عبد المطلب أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني قال فأنت وذاك فأمر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فأخبر قریشا الخبر وأمرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحزروا في رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرفة الحبش ففعلوا واتي عبد المطلب الكعبة وأخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لأرجو لهم سواكا \* يارب فامنع منهم حماكا  
ان عدو البيت من عاداكا \* امنعهم ان يخر بواقراكا  
لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع رحالك  
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك  
لا يغلبن صليهم \* ومخاطم عدو محالك  
جرو اجوع بلادهم \* والفيل كي يسبوا عيالك  
عمدوا حماك بكيدهم \* جهلا وما رقبوا جلالك  
ان كنت تاركهم وكهبننا فأمر ما بدالك \*

وقال أيضا

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه وأصبح ابرهة بالغمس وقد تهيأ للدخول وهيا جيشه وهيا فيله وكان فيلام برمثله في العظم والقوة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا فأقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم أخذ باذنه وقال له ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك بيلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فاني فضر يوه بالمعول في رأسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ففر عوه ليقوم فآني فوجهوه راجعا الى اليمن فقام بهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصر فوه الى الحرم فبرك وأني أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عز وجل طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أعمار عجران في رجليه وسحرج في منقاره أمثال الحص والعدس فلما غشيت القوم أرسلها عليهم فلم تصب تلك الجبارة أحدا الا هلك وليس كل قوم أصابت وخرجوا هار بين لا يهتدون

الى الطريق الذي جاؤا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم  
من بعض الجبال وفي ذلك يقول نفيل

فانك ما رأيت ولن تراه \* لدى حين المحصب ما رأينا

جدت الله اذا بصرت طيرا \* وحصب حجارة تلتقي علينا

وكلهم يسائل عن نفيل \* كان على للحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون في كل منهل وبعث الله على ابرهة  
داء في جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أكلة تبعتهامدة من قيح ودم فاتهي الى نعاء وهو مثل فرخ  
الطير فيمن يقي من أصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدي وأما محمود فيل النجاشي  
فر بض ولم يشجع على الحرم فنجحوا والفيل الآخر شجعوا فخصبوا أيروا بالخصباء وقال بعضهم انفلت أبو  
يكسوم وزيرا برهة وتبعه طير فحاق فوق رأسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أنهاها وقع عليه  
حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدي النجاشي قال أمية بن أبي الصلت

ان آيات ربنا ساطعات \* ما يمارى فيهن الا الكفور

حبس الفيل بالغمس حتى \* ظل يعوى كأنه معفور

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل بن  
سليمان ان السبب الذي جرى أصحاب الفيل أن فئة من قريش أجمعوا نار احين خر جوا تجارا الى أرض  
النجاشي فدنا من ساحل البحر وتم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا النار واشتروا  
فلمال تركوا النار كاهي في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريح الى  
النجاشي فاسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة هدم الكعبة وكان في مكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف  
البصر يصيف بالطائف ويشتم بمكة وكان رجلا نبيها نبيلان مستقيم الامور برأيه وكان خليلا لعبد المطلب فقال  
له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك فقال أبو مسعود اصعد بنا الى حراء فصعد  
الجبل فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها لله وقلدها لله ثم ابشها في  
الحرم ففعل بعض السودان يعقر منها شيئا فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد  
القوم الى تلك الابل فخلعوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا  
يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن سخن هذا البيت وأراد هدمه فغناه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى  
تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال أرى طيرا  
تتضاضت من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك أين قرارها قال أراها قد دارت على رؤسنا قال هل تعرفها  
قال والله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا بنهامية ولا عربية ولا شامية قال ما قدرها قال أشباه العاسيب في  
منافيرها حصى كأنها حصى الخذف قد أقبات كالليل يتبع بعضها بعضا أمام كل رفقة طير يقودها حجر المنقار  
أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركبت فوق رؤسهم فلما توافقت الرجال كلهم  
أهات الطير في منافيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انهارت من حيث جاءت  
فاما أصحبا النخاط من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يؤنسا أحد امم دنيا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم  
سامرين فاصبحوا نياما فلهما دنيا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم  
فيخرقها حتى تقع في دماغه ونخرق الفيل والذابة ويقرب الحجر في الأرض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب  
فأخذ فأسا من فؤسهم فخرق حتى أعمق في الأرض فلا من الذهب الاجر والجواهر وحفر اصاحبه مثله  
فلا ثم قال لابي مسعود اختر ان شئت حفر في وان شئت حفر نك وان شئت فهمالك معا فقال أبو مسعود

فاخترني على نفسك فقال عبدالمطلب اني ارى أجود المتاع في حفرتي فهي لك وجلس كل واحد منهما على حفرتة وبادى عبدالمطلب في الناس فتراجعوا وصابوا من فضلها حتى ضاقوا به وساد عبدالمطلب بذلك قریشا وأعطته القادة فلم يزل عبدالمطلب وأبو مسعود في أهلهم ما في غنى من ذلك المال ودفع الله عز وجل عن كعبته واختلّفوا في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل ثلاث وعشرين سنة والاصح الذي عليه الا كثرون من علماء السير والتواريخ وأهل التفسير يرايه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخ المولود صلى الله عليه وسلم وهو ما للتفسير فقوله عز وجل ألم ترأى ألم تعلم وذلك لان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا أن العلم بها كان حاصلًا عنده لان الخبر بها كان مستفيضًا معروفاً بمكة واذا كان كذلك فكأنه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينًا فلهذا قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا فيلة ثمانية وقيل اثني عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الآي وفي قصة أصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته اذ يستحيل في العقل أن طير تأتي من قبل البحر تحمل حجارة ترمى بها ناسا مخصوصين وفيه دلالة عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومجزرة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهو الداعي الى توحيدنا واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصرة قريش فانهم كانوا كفار الا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل أن المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى قال أنا الذي فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدمك واذا قد نصرتك قبل قدومك فكيف أتركك بعد ظهورك (الم يجعل كيدهم) يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة (في تضليل) أي تضليل وخسار وابطال ما أرادوا أضل كيدهم فلم يصلوا الى ما أرادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) يعني طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل أبابيل أفاطير كالابل المؤبلة وقيل أبابيل جماعات في تفرقة قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحد لها بالة وقيل أبيل وقيل أبول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم تحراطيم الطير وأكف ككف الكلاب وقيل لها رؤس كرؤس السباع وقيل لها أنياب كأنياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفراء وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجافو جامع كل طائر ثلاثة أشجار حجران في رجله وخجر في منقاره لانه لا تصيب شيئا الا هشمته ووجه الجمع بين هذه الاقوال في اختلاف أجناس هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فاخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله أعلم قوله عز وجل (ترميمهم بحجارة) قال ابن مسعود صاحبت الطير ورميتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فصربت بالحجارة فزادتها شدة فاقوع حجر منها على رجل الاخرج من الجانب الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره (من سجيل) قيل السجيل اسم علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميمهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون بما كتب الله في ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط وأصله سنك وكل فارسي معرب وقيل سجيل الشديد (جعلهم كعصف ما كول) يعني كزرع وتبن أكلته الدواب ثم رائته فيبس وتفرقت أجزاؤه شبه تقطع أوصلهم وتفرقت أجزاؤه لثوب وقيل العصف ورق الخنطة وهو التبن وقيل كالحب اذا أكل فصار أجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب الخنطة كهيئة الغلاف والله تعالى أعلم

(الم يجعل كيدهم في تضليل) في تضليل وابطال يقال ضل كيد اذ اجعله ضالا ضائعا وقيل لا مرئ القيس الملك الضليل لانه ضل ملك أي ضيعه يعني انهم كادوا البيت ولا يبنوا القليس ليصرفوا وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الخريق فيه وكادوه تانيا بارادة هدمه فضلل كيدهم بارسال الطير عليهم (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) خراف الواحدة ابلة قال الزجاج جماعات من ههنا وجماعات من ههنا (ترميمهم) وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه يرميهم أي الله والطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى (بحجارة من سجيل) هو معرب من سنك كل وعليه الجمهور أي الآجر (جعلهم كعصف ما كول) زرع أكله الدود

﴿سورة قريش مكية وهي أربع آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (لا يلاف قريش) (٤٤١) متعلق بقوله فليعبدوا أمرهم أن

يعبدوه لاجل ايلافهم  
الرحلتين ودخلت الفاعلنا  
في الكلام من معنى  
الشرط أى ان نعم الله عليهم  
لا تحصى فان لم يعبدوه لساأر  
نعمه فليعبدوه لهذه  
الواحدة التى هى نعمة  
ظاهرة أو بما قبله أى  
جعلهم كعصف ما كقول  
لا يلاف قريش يعنى ان  
ذلك الانلاف لهذا الايلاف

وهذا كاتضمنين فى الشعر  
وهوان يتعلق معنى البيت  
بالتى قبله تعلقا لا يصح الا  
به وهما فى مصحف أبى  
سورة واحدة بلا فصل  
ويروى عن الكسائى ترك  
التسمية بينهما والمعنى أنه  
أهلك الحبشة الذين  
قصدوهم ليتسامع الناس  
بذلك فيحترمواهم فضل  
احترام حتى ينتظم لهم  
الامن فى رحلتهم فلا  
يجترأ أحدهم عليهم وقيل  
المعنى اعجبوا لا يلاف  
قريش للاف قريش  
شامى أى المؤلفة قريش  
وقيل يقال ألفتها ألقاها  
وقريش ولد النضر بن  
كنانة سموه بتصغير القرش  
وهو دابة عظيمة فى البحر  
تعبت بالسفن ولانطاق  
الابناتر والتصغير للتعظيم  
فسموه بذلك لشدهم  
ومنعتهم تشبها بها وقيل

﴿تفسير سورة قريش﴾

وهى مكية وقيل مدنية والازل أصح وأكثر وهى أربع آيات وسبع  
عشر كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (لا يلاف قريش) اختلفوا فى هذه اللام فقيل هى متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى  
ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم بما صنع بالحبشة فقال جعلهم كعصف ما كقول لا يلاف قريش أى أهلك  
أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألقوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل أبى بن كعب هذه السورة وسورة  
الفيل واحدة ولم يفصل بينهما فى مصحفه بسم الله الرحمن الرحيم والتى عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم  
وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وأنه لاتعلق بينهما وأجيب عن مذهب  
أبى بن كعب فى جعل هذه السورة والسورة التى قبلها سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة يصدق  
بعضه بعضا وبين بعضه معنى بعض وهو معارض أيضا بطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما  
سورتان فعلى هذا القول اختلفوا فى العلة الجالبة للام فى قوله لا يلاف فقيل هى لام التعجب أى اعجبوا  
لا يلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بعبادته فهو كقوله على وجه  
التعجب أعجبوا لذلك وقيل هى متعلقة بما بعد ها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لا يلافهم رحلة الشتاء  
والصيف أى ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والايلاف من ألفت الشيء ألقا وهو بمعنى الاتلاف  
فيكون المعنى لا يلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تتقطع وقيل هو من ألفت كذا أى لزمته وألفنيه  
الله أى ألزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو من قريش ومن لم يلد  
النضر فليس بقريشى (م) عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة  
من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم (م)  
عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس تبع لقريش فى الخير والشر (ق) عن  
أنى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسألهم لمسامعهم  
وكأفرهم لكأفرهم \* عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد هوان قريش أهانه  
الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب \* عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم  
أذقت أول قريش نكالا فاذا قآخرهم نوالا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب النكال  
العذاب والمشقة والشدة والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقرش وهو الجمع والتكسب  
يقال فلان يقرش لعياله ويقترش لهم أى يكسب وذلك لان قريشا كانوا قومًا تجارا وعلى جمع المال  
والافضال حرا واد قال أبو ربحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون  
فى البحر هى من أعظم دوابه يقال لها القرش لآتمر بشئ من الغث والسمين الأ كته وهى تأكل ولا تؤكل  
وتعلو ولا تعلو قال وهل تعرف العرب ذلك فى أشعارها قال نعم وأنشد شعرا لجمحي

وقريش هى التى تسكن البحر رها سميت قريش قريشا  
سلطت بالعلو فى لجة البحر على سائر البحور جيوشا  
تأكل الغث والسمين ولانت \* رك فيه لدى الجناحين ريشا  
هكذا فى الكتاب حى قريش \* بأكون البلاد أكلأ كنيشا  
وطسم آخر الزمان نبي \* يكثر القتل فيهم والنجوشا  
بلا الارض خيلة ورجالا \* يحشرون المطى حشرا كنيشا

في البلاد (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) أطلق الايلاف ثم أبدل عنسه المقيد بالرحلتين تفخيا لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به وأراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس وكانت لقريش رحلتان برحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لانهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم بغار عليهم (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف التنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف من بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجنام فلا يصيبهم ببلادهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام ﴿سورة الماعون مختلف فيها وهي سبع آيات﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (أرأيت الذي يكذب بالدين) (أرأيت الذي يكذب بالدين) أي هل رأيت!

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وأزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم اذا تجمعوا وسمى قصي بجعل ذلك قال الشاعر أبوكم قصي كان يدعى بجعا \* به جمع الله القبائل من قهر

﴿وقوله تعالى (ايلافهم) هو بدل من الاول تفخيا لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم المنة فيه﴾ (رحلة الشتاء والصيف) قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فامرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الاكثر من كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتاء الى اليمن لانها أدفأ ورحلة في الصيف الى الشام وكان الحرم وادي ماجد بالازرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكانوا لا يتعرض لهم أحد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاية بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدر واعلى التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فأخصبت تباله وجوش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة أهل الساحل حملوا طعامهم في البحر على السفن الى مكة وأهل البر حملوا على الابل والجر فأنتى أهل الساحل بجدة وأهل البر بالمحصب وأخصب الشام فحملوا الطعام الى مكة وألقوا بالابطح فامتار أهل مكة من قريش وكفاهم الله مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا في ضرر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبي كان أول من حمل السمراء يعني القمح من الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبدمناف وفيه يقول الشاعر

قل للذي طاب الساحة والندى \* هلامررت بأكل عبدمناف \* هلامررت بهم تريد قراهم  
منعوك من ضر ومن اكفاف \* الرائشين وليس يوجد رائش \* والقائلين هلم للاضياف  
والخاطبين غنيهم بفقيرهم \* حتى يكون فقيرهم كالكافي \* والقائمين بكل وعد صادق  
والراجلين برحالة الايلاف \* عمر والاعلاشتم التريد لقومه \* ورجال مكة مستنون عجاف

سفرين سنهماه ولقومه \* سفر الشتاء ورحلة الاضياف

﴿قوله عز وجل (فليعبدوا رب هذا البيت) يعني الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين أحدهما دفع ضرر وهو ما ذكره في سورة الفيل والثاني جلب نفع وهو ما ذكره في هذه السورة ولما دفع الله عنهم الضر وجلب لهم النفع وعمانعمتان عظمتان أمرهم بالعبودية وأداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم أمر الرحلتين أمرهم أن يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فإنه هو (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ومعنى الذي أطعمهم من جوع أي من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر وقيل في معنى الآية أنهم لما كذبوا محمد صلى الله عليه وسلم دعاء عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجوع والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فإنا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخصبت البلاد وأخصبت أهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أي بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم أحد في رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجنام فلا يصيبهم ببلادهم الجنام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام والله أعلم

﴿تفسير سورة الماعون﴾

وهي مكية وقيل نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل والنصف الثاني بالمدينة في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (أرأيت الذي يكذب بالدين) قيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل في الوليد بن المغيرة

الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه (فذلك الذي) يكذب بالجزاء هو الذي (يدع اليتيم) أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى وبرده ردافيهما جزوخشونة (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع الماروف والاقدام على ابداء الضعيف أي لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد (٤٤٣) خشى الله وعقابه ولم يقدم على ذلك خين

قدم عليه دل أنه مكذب بالجزاء ثم وصل به قوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون) بمعنى بهذا المنافقين أي لا يصلونها سرا لانهم لا يعتقدون وجوبها ويصلونها علانية رياء وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون أنفسهم في جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلاتهم وانهم لا يريدون بها قربة الى ربهم ولاتأدية لغرض فهم ينخفزون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون ويظهرون للناس انهم يؤدّون الفرائض ويمنعون الزكاة ومافية منفعة وعن أنس والحسن قالوا الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم لان معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين ومعنى في ان السهو يعتبر بهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يخلو عنه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو

وقيل في عمرو بن عائذ المخزومي وفي رواية عن ابن عباس انها في رجل من المنافقين ومعنى الآية هل عرفت الذي يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه (فذلك الذي يدع اليتيم) ولفظ أ رأيت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل أحد والمعنى أ رأيت يا أيها الانسان أو يا أيها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع اليتيم أي يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى أنه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدعوا بالتخفيف أي يدعو له ليستخدمه قهرا واستطالة (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يطعمه ولا يأمر بطعامه لانه يتكذب بالجزاء وهذا غاية البخل لانه يبخل بماله وبمال غيره فلا يأمر غيره بالطعام قوله تعالى (فويل للمصلين) يعني المنافقين ثم نعمتهم فقال تعالى (الذين هم عن صلاتهم ساهون) روى البغوي بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت وقال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلون في العلانية اذا حضر وامعهم لقوله تعالى الذين هم يراؤن وقال تعالى في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس وقيل ساه عنها لا يبالي صلى أو لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها يتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوا صالوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتهم ولا يتحسرون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها في المنافقين والمؤمن قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سهوا في صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو وظهر الفرق بين السهوين وقيل السهوعن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله في جميع أجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذي يعتقد انه لا فائدة في الصلاة فاما المؤمن الذي يعتقد فائدة صلاته وانها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني انه يصير ساهيا في بعض أجزاء الصلاة بسبب واردي عليه بوسوسة الشيطان أو حديث النفس وذلك لا يكاد يخالو منه أحد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهوعن الصلاة من أفعال المنافق والسهو في الصلاة من أفعال المؤمن (الذين هم يراؤن) يعني يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرأى ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرأى يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من أهل الدين والصلاح اما من يظهر النوافل ليقتمدى به ويامن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس براء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى (ويمنعون الماعون) روى عن علي انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذهبهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس وبديل عليه ماروى عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية بالدلو والقدر أخرجه أبو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون أعلاه الزكاة المفروض وأدناه عارية المتاع وقال

في صلاته فضلا عن غيره والمرآة مفاعلة من الاراء لان المرأى يرأى الناس عمله وهم يرونه الشناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرأيا باظهار الفرائض فمن حقها الاعلان بها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمّة في فرائض الله والاختفاء في التطوع أولى فان أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا والماعون الزكاة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما يتعاور في العادة بين الناس من القدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة رضي الله عنها الماء والنار والمخ والله أعلم

محمد بن كعب القرظي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل أصل الماعون من القلة فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار و يلتحق بذلك البئر والتنور في البيت فلا يمنع جبرانه من الاتقاع بهما ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيمة فان البخل بها في نهاية البخل قال العلماء ويستحب ان يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله أعلم

### ﴿تفسير سورة الكوثر﴾

وهي مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهي ثلاث

آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا

### ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (انا اعطيتك الكوثر) الكوثر نهر في الجنة اعطاه الله محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وأمه وقيل الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبيران أنا سائر عمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه وأصل الكوثر فوعول من الكثرة والعرب تسمى كل شئ كثير في العدد أو كثير القدر والخطر كوثر أو قيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم أعطى النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المور ود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام و اظهاره على الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة وأولى الاقارب في الكوثر الذي عليه جمهور العلماء انه نهر في الجنة كما جاء مبينا في الحديث (ق) عن أنس قال ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ أغنى اغفائه ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما نضحكك يا رسول الله قال أنزلت على آنفاسورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيتك الكوثر فصل ربك وانحر ان شانك هو الابر ثم قال أندرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آيته عدد نجوم السماء فيحتلج العبد منهم فاقول رب انه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدث بعدك لفظ مسلم والبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج في الى السماء أتيت على نهر حافظها قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فاذا طينه أو طينته مسك أذ فرسك الراوي \* عن أنس رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك نهر اعطاه الله يعني في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كاعناق الجزور قال عمران هذه لنا عمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتها أنعم منها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافظها من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تر به أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عامر بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال سألت عائشة عن قوله تعالى انا اعطيتك الكوثر فقالت الكوثر نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه در مجوف آيته كعدد نجوم السماء (ق) عن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لا يظم أبدا زاد في رواية وزياده سواء (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمامكم

### ﴿سورة الكوثر وهي

ثلاث آيات﴾

### ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

( انا اعطيتك الكوثر )

هو فوعول من الكوثر

وهو المفرط الكثرة وقيل

هو نهر في الجنة أحلى من

العسل وأشد بياضا من

اللبن وأبرد من الثلج وألين

من الزبد حافظه الزبرجد

وأواني من فضة وعن ابن

عباس رضي الله عنهما هو

الخبر الكثير فقيل له ان

ناسا يقولون هو نهر في الجنة

فقال هو من الخير الكثير

حوضي ما بين جنبيه كما بين جرباء واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشأم بينهما مسيرة ثلاثة أيام وفي رواية فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها بدأ (ق) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين ناحيتي وفي رواية لابن حوضي كما بين صنعاء والمدينة وفي رواية مثل ما بين المدينة وعمان وفي رواية قال ان قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وان فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء (م) عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألاف الليلة المظلمة المصححة آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طول ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل (م) عن ثوبان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لبعقر حوضي أذود الناس لاهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فستل عن عرضه فقال من قامى إلى عمان وستل عن شرابه فقال أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من الورق (ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض ويرفعن إلى رجال منكم حتى اذا أهويت اليهم لاناوهم اختلجوا دوني فاقول أي ربني أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك (ق) عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال من صاحبي حتى اذا رفعوا إلى اختلجوا دوني فلاقولن أي ربني أصحابي أصحابي فليقالن لي انك لا تدري ما أحدثوا بعدك وفي رواية ليردن على ناس من أمتي الحديث وفي آخره فاقول سحقاً لمن بدل بعدي (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال برد على يوم القيامة رهضان من أصحابي أو قال من أمتي فيجلبون عن الحوض فاقول رب أصحابي فيقول انه لا علم لك بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم القهقري ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد على أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا ياني الله تعرفنا قال نعم لكم سما ليست لاحد غيركم تردون على غر المحجلين من آثار الوضوء وليصدن عنى طائفة منكم فلا يصابون إلى فأقول يارب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا ذودن رجالا عن حوضي كما نذاد الغريبة من الابل عن الحوض (م) عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي لا بعد من ابله إلى عدن والذي نفسي بيده لا ذودن عنه الرجل كما يذود الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا يا رسول الله ونعرفنا قال نعم تردون على غر المحجلين من آثار الوضوء ليست لاحد غيركم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلاً فقال ما أتم الاجزاء من مائة ألف جزء من برد على الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبع مائة أو ثمان مائة أخرجه أبو داود

فصل في شرح هذه الأحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض ✽ قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي عياض أحاديث الحوض صحيحة والایمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتناول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه الخلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وأبي سعيد وسهل بن سعد وحب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وعائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحرث بن وهب والمستور وأبي ذر وثوبان وأنس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبي أمامة وعبد الله بن زيد وأبي هريرة وسويد بن حيلة وعبد الله بن الصنابحي والبراء بن عازب وأسما بنت أبي الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيي الدين ورواه البخاري ومسلم أيضاً من رواية أبي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن



عمر وواخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه البعث والنشور باسائده وطرقه  
 المتكثرة قلت وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على  
 ما سبق ذكره في الاحاديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما واخرجا ايضا حديث الحوض  
 عن أسماء بنت أبي بكر الصديق وذكرها القاضي عياض فيمن خرج له في غير الصحيحين قال القاضي  
 عياض وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا أو ما صفة الحوض ومقداره فقد قال في رواية  
 حوضي مسيرة شهر وفي رواية ما بين جنبه كما بين جرباء وأذرح وفي رواية كما بين ايلة وصنعاء اليمن وفي  
 رواية عرضه مثل طول ما بين عمان الى ايلة وفي رواية ان حوضي لا بعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف في  
 هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث  
 مختلفة الرواة عن جماعة من الصحابة سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن مختلفة ضربها  
 النبي صلى الله عليه وسلم مثلا لبعث أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على افهام السامعين لبعث ما بين هذه  
 البلاد المذكورة لاعلى التقدير الموضوع لتحديد بل لاعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة الحوض  
 وليس في ذلك القليل من هذه المسافة منع من الكثير فان الكثير ثبات على ظاهره وصحت الرواية به  
 والقليل داخل فيه فلا معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك القول في آنية الحوض من أن العدد المذكور في  
 الاحاديث على ظاهره وانها أكثر عددا من نجوم السماء ولا مانع يمنع من ذلك اذ قد وردت الاحاديث  
 الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول في الواردين الى الحوض الشار بين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه  
 وسلم ما أتم الاجزاء من مائة ألف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وانما ضرب به مثلا  
 لا أكثر العدد المعروف للسامعين و يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب منه فهذا امر يح  
 في ان جميع الواردين بشر بون وانما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورد ولا رتادهم وتبديلهم وهو  
 قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما ندري ما أحدث بعدك وفي رواية  
 ويلرفن الى رجال منكم حتى اذا هويت لاناوهم اختلجوا وادنى فاقول أي رب أصحابي فيقول انك لاندري  
 ما أحدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة في الاحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء في معناه  
 وفي المراد به من هم فقيل المراد بهم المنافقون والمتردون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيعتمل انهم  
 اذا حشر واعرفهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيا التي عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم  
 انهم قد بدلوا بعدك أي لم يكونوا على ما ظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من أسلموا في زمن النبي صلى الله  
 عليه وسلم ثم ارتدوا بعده في زمن أبي بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم أصحاب مسيئة الكذاب  
 فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم لانا كان يعرفهم من ايمانهم في حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل  
 المراد بهم أصحاب البدع الذين لم يخرجوا بدينهم عن الاسلام وأصحاب المعاصي الكبائر الذين ماتوا على  
 التوحيد ولم يتوبوا ممن بدعتهم ومعاصيهم الكبائر فعلى هذا القول لا يقطع هؤلاء المطرودين عن الحوض  
 بالنار بل يجوز أن يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرجعهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال أبو عمر بن عبد  
 البركل من أحدث في الدين كاخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء فهو من المطرودين عن الحوض  
 قال وكذلك الظلمة المسرفون في الجور ونمط الحق والمعلنون بالكبائر فكل هؤلاء يخاف أن يكونوا ممن  
 عنى بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظما أبدا قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث أن الشرب منه  
 يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل أن من شرب منه من هذه الامة وقد ر عليه دخول النار  
 لا يعذب فيها بالظما بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث أن جميع الامة تشرب منه الا من ارتد  
 وصار كافرا وقيل ان جميع المؤمنين ياخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من شاء من عصاتهم وقيل انما

يأخذ بيئته الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله (شرح غريب ألقاظ الاحاديث) قوله فيخيل  
 العبد منهم أي ينتزع ويجذب منهم قوله ما بين جنبيه كما بين جر باء واذرح اما جر باء فيجيم ثم راء سا كنة  
 ثم باء موحدة ثم ألف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخاري فيها المد والقصر أولى وهي قرية من الشام  
 وأما اذرح فهزمة ثم ذال مججمة ثم راء ثم حاء مهملة وهي مدينة في طرف الشام قريب من الشوبك وأما  
 عمان فبفتح العين وتشديد الميم بليدة باللقاء من أرض الشام وأما أيلة فبفتح الهمزة واسكان الياء المثناة  
 تحت وفتح اللام مدينة معروفة في طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر بينها وبين  
 المدينة نحو خمس عشرة مرحلة و بينها وبين مصر ثمان مراحل والى دمشق اثنتا عشرة مرحلة وهي آخر  
 الحجاز وأول الشام وأما صنعاء فهي قاعدة اليمن وأكبر مدنها وأما قيد باليمن في الحديث لان بدمشق موضعا  
 يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله يشخب فيه  
 ميزان هو بفتح الياء المثناة تحت والشين والحاء المجمعتين أي يسيل فيه وفي الحديث الآخر يغت بفتح  
 الياء والعين المججمة وكسرها وتشديد التاء المثناة فوق أي يدفق فيه ميزان دفقا شديدًا متتابعًا قوله اني  
 لبعقر حوضي هو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل  
 هو مؤخر الحوض قوله اذود الناس أي أضرب الناس لاهل اليمن بعضا حتى يرفض عليهم معناه أطردهم  
 الناس عنه غير أهل اليمن ومعنى يرفض أي يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن قوله انا فرطكم على  
 الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو الذي يتقدم على الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من آلات  
 الاستقاء والمعنى أنا سا بقكم الى الحوض كلهمي له قوله سحقا أي بعدا وفيه دليل لمن قال انهم أهل الردة  
 اذ لا يقال للمؤمن سحقا بل يشفع قلت في حديث أنس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو  
 الاظهر لقوله ينزل الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا اذا غنى اغفاه يعني نام نومة ثم رفع رأسه متبسمًا  
 والله أعلم قوله تعالى (فصل ربك وانحر) معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير  
 الله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي له وينحله متقربا اليه بذلك وقيل معناه فصل ربك  
 صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن يعني وقال  
 ابن عباس فصل ربك وانحر أي ضع يدك اليمنى على اليسرى في الصلاة عند النحر وقيل هو رفع  
 اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزي ومعنى الآية قد أعطيتك لانهاية لكثرة من خير الدارين  
 وخصتكم بمالم أخص به أحد غيرك فاعبد ربك الذي أعطاك هذا العطاء الجزيل والخير الكثير وأعزك  
 وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم فسل له واشكره على انعامه عليك وانحر البدن متقربا اليه  
 (ان شئت) يعني عدوك ومبغضك (هو الابر) يعني هو الاقل الاذل المنقطع دابره نزلت في العاص بن وائل  
 السهمي وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد وهو داخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا  
 وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فمادخل العاص قالوا له من الذي كنت تتحدث معه فقال اذاك  
 الابر يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان  
 العاص بن وائل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل أبر لا عقب له فاذا هلك انقطع  
 ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت في كعب بن الاشرف وجاعة من قريش وذلك انه  
 لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن أهل السقاية والسدانة وانت سيد أهل المدينة فنحن  
 خير أم هذا الصنوبر المنبت من قومه فقال أتم خير منه فنزلت فيه ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب  
 يؤمنون بالحبث والطاغوت الاية ونزلت في الذين قالوا انه أبر ان شئت هو الابر أي المنقطع من كل خير  
 قولهم في النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصنوبر أرادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره مشبهوه بالنخلة

(فصل ربك) فاعبد  
 ربك الذي أعزك  
 باعطائه وشرفك وصانك  
 من من الخلق مر انما  
 لقومك الذين يعبدون  
 غير الله (وانحر) لوجهه  
 وباسمه اذا انحرت مخالفا  
 لعبدة الاوثان لله في النحر  
 لها (ان شئت) أي من  
 أبغضك من قومك  
 بمخالفتك لهم (هو الابر)  
 المنقطع عن كل خير  
 لأن كل من يولد  
 الى يوم القيامة من المؤمنين  
 فهم أولادك وأعقابك  
 وذكرك مرفوع على  
 المنابر وعلى لسان كل عالم  
 وذاكر الى آخر الدهر يبدأ  
 بذكر الله ويشئ بذكرك  
 ولك في الآخرة ما لا يدخل  
 تحت الوصف فتلك لا يقال  
 لها أبراء الا برهوشانك  
 المنسي في الدنيا والآخرة  
 قيل نزلت في العاص بن  
 وائل سماه الابر والابتر  
 الذي لا عقب له وهو خير  
 ان وهو فضل

المنفردة يدق أسفلها وتسمى الصنبور وقيل هي النخلة التي تخرج في أصل أخرى لم تغرس وقيل الصنابر سعفات  
تنبت من جذع النخلة تضربها ودواؤها ان تقطع تلك الصنابر منها فإراد كفار مكة أن محمد أصلي الله عليه وسلم  
بمنزلة الصنبور ينبت في جذع نخلة فاذا انقطع استراحت النخلة فكذلك محمد إذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور  
الوحيد الضعيف الذي لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فآكنهم الله تعالى في ذلك ورد عليهم  
أشنع رد فقال إن شئت كما يا محمد هو الأبر الضعيف الوحيد الحقير وأنت الأعز الأشرف الأعظم والله أعلم بمراده

### ﴿تفسير سورة قل يا أيها الكافرون﴾

وهي مكية وست آيات وست وعشرون كلمة وأربع وتسعون حرفاً عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم من قرأ اذ لزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن  
قرأ قل هو الله أحد عدلت له بنصف القرآن أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه  
وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القرآن ان القرآن مشتمل على الأمر والنهي وكل  
واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك أربعة أقسام  
وهذه السورة مشتملة على النهي عن عبادة غير الله تعالى وهي من الاعتقاد وذلك من أفعال القلوب فكانت  
هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم والله سبحانه وتعالى أعلم

### ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (قل يا أيها الكافرون) الى آخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس  
السهمي والعاصم بن وائل السهمي والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن  
أسد وأمية بن خلف قالوا يا محمد هم اتبع ديننا وتبع دينك ونشركك في ديننا كما تعبد آلهتنا سنة وتعبد آلهك  
سنة فان كان الذي جئت به خيراً كنا قد شركك فيه وأخذنا حظنا منه وان كان الذي بايدينا خيراً كنت  
قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا  
فاسلم بعض آلهتنا صدقك وتعبد آلهك قال حتى أنظر ما يأتي من ربي فانزل الله قل يا أيها الكافرون الى آخر  
السورة ففقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه أولئك الملائكة من قريش فقام على رؤسهم  
ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأبسوا منه عند ذلك وأذوه وأصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا  
يا أبا الفضل لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا صدقناه فيما يقول ولا منا بآله فإنا العباس فآخبره بقوله  
فنزلت هذه السورة وقيل نزلت في أبي جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى ذلك ان النبي صلى الله عليه  
وسلم كان مأموراً بتبليغ الرسالة بجميع ما وحى الله اليه فلما قال الله تعالى قل يا أيها الكافرون آذاه النبي  
صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكانه صلى الله عليه وسلم قال أمرت بتبليغ جميع ما أنزل  
الله علي وكان فيما نزل عليه قل يا أيها الكافرون وقيل ان النفوس تأتي سماع الكلام الغليظ الشنيع من  
الظهير ولا أشنع ولا أغلظ من المخاطبة بالكفر فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندي إنما هو من  
عند الله عز وجل وقد أنزل الله على قل يا أيها الكافرون والمخاطبون بقوله يا أيها الكافرون كفرة  
مخصوصون قد سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون (لأعبد ما لا تعبدون) في معنى الآية قولان أحدهما أنه  
لأن تكرار فيها فيكون المعنى لأعبد ما تعبدون لأفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم (ولأنتم  
عابدون ما أعبد) أي ولأنتم فاعلون في المستقبل ما تطلبه منكم من عبادة الهى ثم قال (ولأننا عابد ما أعبدتم)  
أي ولست في الحال بعابد معبودكم (ولأنتم عابدون ما أعبد) أي ولأنتم في الحال بعابدون معبودي وقيل  
يحمل أن يكون الأول للحال والثاني للاستقبال وقيل يصلح كل واحد منهما أن يكون للحال والاستقبال  
ولكن يختص أحدهما بالحال والثاني بالاستقبال لأنه أخبر أولاً وأخبر ثانياً عن الاستقبال فيكون

### ﴿سورة الكافرون﴾

#### ست آيات مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)  
(قل يا أيها الكافرون)  
المخاطبون كفرة مخصوصون  
قد علم الله أنهم لا يؤمنون  
روى ان رهطاً من قريش  
قالوا يا محمد هم فاتبع ديننا  
وتبع دينك تعبد آلهتنا  
سنة وتعبد آلهك سنة فقال  
معاذ الله أن أشرك به غيره  
قالوا فاسلم بعض آلهتنا  
صدقك وتعبد آلهك فنزلت

فعدا الى المسجد الحرام  
وفيه الملائكة من قريش  
فقرأها عليهم فأسوا  
(لأعبد ما تعبدون) أي  
لست في حال هذه عابداً ما  
تعبدون (ولأنتم عابدون)  
الساعة (ما أعبد) يعنى الله  
(ولأننا عابد ما أعبدتم ولا  
أعبد فيما أستقبل من  
الزمان ما أعبدتم) (ولأنتم)  
فيما تستقبلون (عابدون  
ما أعبد) وذكر بلفظ ما  
لان المراد به الصفة أي  
لأعبد الباطل ولا تعبدون  
الحق أو ذكر بلفظ ما  
ليتقابل اللفظان ولم يصح  
في الاول من وصح في  
الثاني ما يعنى الذي

المعنى لأعبد ما تعبدون في الحال ولا أتم عابدون ما أعبد في الاستقبال وما بمعنى من أي من أعبد ويحتمل أن تكون بمعنى الذي أي الذي أعبد القول الثاني حصول التكرار في الآية وعلى هذا القول يقال إن التكرار يفيد التوكيد وكما كانت الحاجة إلى التوكيد أشد كان التكرار أحسن ولا موضع أحوج إلى التوكيد من هذا الموضوع لأن الكفار اجعوا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى مرارا أحسن التوكيد والتكرار في هذا الموضوع لأن القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهم التكرار إرادة التوكيد والافهام كما كان من مذاهم الاختصار إرادة التخفيف والابحار وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن سرك أن ندخل في دينك عام فادخل في ديننا عام فترت هذه السورة جوابا لهم على قولهم (لكم دينكم ولي دين) أي لكم كفركم ولي اخلاصي وتوحيدى والمقصود منه التهديد فهو كقوله أعملوا ما شئتم وهذه الآية منسوخة بآية القتال والله أعلم

﴿ تفسير سورة النصر ﴾

وهي مدنية وثلاث آيات وسبع عشرة كلمة وسبعة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (إذا جاء نصر الله والفتح) يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن اسحق وأصحاب الاخبار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطالحوا على وضع الحرب بين الناس عشرين سنة وقيل عشرين سنين يأمن فيهم الناس ويكف بعضهم عن بعض وأنهم أحب أن يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهد يدخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شرف قديم ثم إن بني بكر عدت على خزاعة وهم على ما علم أسفل مكة يقال له الوثير فخرج نوفل بن معاوية الدثلي في بني الدئل من بني بكر حين بقيت خزاعة على الوثير فأصابوا منهم رجلا ونحوه واقتتلوا وردت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة إلى الحرم وكان عن أعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بانفسهم بكر بن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما اتهموا الحرم قالت بنو بكر يا نوفل اننا قد دخلنا إلى اهك فقال كلمة عظيمة انه لا اله الا الله اليوم يا بني بكر اصابوا ثاركم فلم يمرى انكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما اظهروا بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما أهاج قح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال

يا رب انى نأشد محمدنا \* حلف أينا وأبيه الا تلدا

قد كنتمو ولدا وكنا ولدا \* ثم أسامنا فلم نزع يدا

فانصره ذلك الله نصر العتدا \* وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا \* ان سيم أخسفا وجهه تر بدا

في فيلقى كالبحر يجرى مزبدا \* ان قريشا خلقك الموعدا

وتنقضوا ميثاقك المؤكدا \* وجعلوا لى في كداء وصدا

وزعموا ان لست أدعو أحدا \* وهم أذل وأقل عددا

هم بيتونا بالوثير هجدا \* وقتلونا ركما وسجدا \* فانصره ذلك الله نصر أبدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان

(لكم دينكم ولي دين)

لكم شركم ولي توحيدى

وبفتح الياء فافع وحفص

وروى أن ابن مسعود رضى

الله عنه دخل المسجد

والنبي صلى الله عليه وسلم

حالس فقال له نابذ يا ابن

مسعود فقرأ كل يا أيها

الكافرون ثم قال له في

الركعة الثانية أخلص فقرأ

قل هو الله أحد فلما سلم

قال يا ابن مسعود سل تحب

والله أعلم

﴿ سورة النصر مدنية وهي

ثلاث آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا) منصوب بسبح وهو

لما يستقبل والاعلام بذلك

قبل كونه من اعلام النبوة

وروى أنها نزلت في أيام

التشرى يقى بمعنى في حجة الوداع

(جاء نصر الله والفتح)

النصر الاعانة والاظهار على

العدو والفتح فتح البلاد

والمعنى نصر رسول الله صلى

الله عليه وسلم على العرب

أو على قريش وفتح مكة

أو جنس نصر الله المؤمنين

فتح بلاد الشرك عليهم

من السماء فقال ان هذه السحابة لتشهد بنصر بني كعب وهم رهط عمر وبن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كأنكم باني سفيان قد جاء يشدد في العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أباسفيان بعسقان قد بعثه قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد في العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا من الذي صنعوا فمالقوا بديلا قال من أين أقبلت يا بديل وظن أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال وهل أتيت محمد اقال لا فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان إن كان جاء المدينة لقد علف منها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففتته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمد ا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال أي بنية أرغبت في عن هذا الفراش أم رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس لم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب الى أبي بكر فكلمه أن يكلمه له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا أشفع لك الى النبي صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد الا للفرج لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي غلاما يدب بين يديها فقال يا علي إنك أمس القوم في رحماؤهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا فاشفع لي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا أباسفيان لقد أرى عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله ما يبلغ ابني أن يجبر بين الناس وما يجبر أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بالحسن اني أرى الامور قد اشتدت على قاصد حتى قال والله لا أعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ثم ألقى بارضك قال وترى ذلك مغنيا عني شيئا قال لا والله ما ظن ذلك ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد فقال أيها الناس اني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمد ا فكلمته فوالله ما رد على شيئا ثم جئت ابن أبي حنيفة فلم أجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم أتيت علي بن أبي طالب فوجدته ألبين القوم وقد أشار على بشي صنعته فوالله ما درى هل يغني ذلك شيئا أم لا قالوا وما ذلك قال أمرني أن أجبر بين الناس ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا قالوا وبلك والله ما زاد على ان نلعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهبوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي بنية أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهبوه قالت نعم قال فإين ترى يريده قالت لا والله ما درى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمرهم بالجود والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاعخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فنجهر الناس وكتب حاطب ابن أبي بلتعنة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته في تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفروه واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر بقين من

رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبي صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالسكديين  
 عسفان وأجأ فطرم مضى حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من الانصار  
 والمهاجر بن عنه أحد فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش ولم يأتهم خبر عن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل خرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام و بديل بن  
 ورقاء يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالحقفة مهاجر بعياله وقد كان قبل ذلك مقبلاً  
 بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنده ارض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الظهران  
 قال العباس بن عبد المطلب ليأتني واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة  
 قبل أن يأتوه فيستأمنوه أنه الهلاك لقريش الى آخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الارك لعلي أجد حطاباً وصاحباً لئن أودا حاجة يدخل مكة فيخبرهم  
 بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة قال العباس فوالله اني  
 لاسير عليها والتمس ما خرجت له اذا سمعت كلام أبي سفيان و بديل بن ورقاء وصحابة تراجعان وأبو سفيان  
 يقول ما رأيت كالبيلة نيراناً فقال بديل هذه والله نيران خزاعة جيشها الحرب فقال أبو سفيان خزاعة أذل  
 وأقل من أن تكون هذه نيرانها فعرفت صوته فقلت يا باحنظلة فعرف صوتي فقال يا أبا الفضل فقلت نعم  
 قال مالك فذاك أبي وأمي قلت ويحك يا أباسفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به  
 بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الخيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فأركب عجز هذه البغلة  
 حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك فردفني ورجع صاحبه فخرجت أركض به على بغلة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مرت بنا من نيران المسلمين ينظرون الي و يقولون عن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنا وعمر بن الخطاب فقال من هذا فقام الي  
 فامارأي أباسفيان على عجز البغلة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم  
 خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء  
 قال فاقتمحت عن البغلة سر يعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول  
 الله هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله  
 اني قد أجرته ثم جلست الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت برأسه وقلت والله لا يناجيك الليلة أحد  
 دوني فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلاً يا عمر فوالله ما تصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني  
 عدى بن كعب ما قلت هذا فقال مهلاً يا عباس فوالله لا سلامك يوم أسلمت كان أحب الي من اسلام الخطاب  
 لو أسلم وما ذاك إلا اني أعلم ان اسلامك كان أحب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب  
 لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الي رحلك فاذا أصبحت فأنتي به قال فذهبت به  
 الي رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك يا أباسفيان  
 ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله واتي رسول الله قال باني أنت وأمي ما حملك وأكرمك وأوصلك والله لقد  
 ظننت ان لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد قال ويحك يا أباسفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول  
 الله قال باني أنت وأمي ما حملك وأكرمك وأوصلك أما هذه فان في النفس منها حتى الآن شيئاً فقال  
 العباس ويحك أسلم وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله قبل ان تضرب عنقك فتشهد شهادة  
 الحق وأسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان أباسفيان هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً قال نعم من  
 دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب

لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به  
 جنود الله قال انخرجت به حيث امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن احبسه قال ومرت به القبائل  
 على راياتها كما مرت به قبيلة قال من هؤلاء يا عباس فاقول سليم فيقول مالي ولسليم ثم القبيلة  
 فيقول من هؤلاء فاقول مزينة فيقول مالي وازينة حتى نعدت القبائل لتمر قبيلة الاسائي عنها فاذا أخبرته  
 عنها فيقول مالي ولبنى فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبه الخضراء وانما قيل لها الخضراء  
 لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منها الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من  
 هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهؤلاء من قبل  
 ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال نعم اذا قلت الحق  
 الآن بقومك فخرهم فخرج سر يعا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد باعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد  
 جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا انه قال قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما تعني عنادك قال  
 من دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ففرق الناس الى دورهم والى المسجد قال وجاء حكيم  
 ابن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاساموا ويايعاه فلما يايعاه بعثهم رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعواهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث في أثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين  
 والانصار وأمره أن يركز رايته باعلى مكة بالحجون وقال لا تبرح حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك ثم ان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذي طوى وقف على راحته معتجرا بشقة عليه برد حبرة وان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله عز وجل حين رأى ما أكرمه به من الفتح حتى ان عشوته  
 ليكاد يس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب بقبته باعلى مكة وأمر خالد بن  
 الوليد فيمن أسلم من قضاة بني سليم أن يدخلوا من أسفل مكة ومهاجرو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو  
 الحارث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا باسفل مكة وأن صفوان بن أمية  
 وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا اناسا بالخذمة ليقانلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم خالد  
 والزيبر حين بعثهما لانتقا الا الامن قاتلكما وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدى فقال  
 سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملعمة اليوم يوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو  
 عمر بن الخطاب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ما قال سعد بن عبادة وما تأمن أن يكون له في  
 قريش صولة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب أدر كهذه الراية فيمكن أنت الذي تدخل بها  
 فلم يكن باعلى مكة من قبل الزبير قتال وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبنو بكر والاحابيش باسفل  
 مكة فقاتلهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثني عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا  
 ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سامة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما  
 كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد شدا وسل كاطر بقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم قد عهد الى أمر الله من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقانلوا الا من قاتلهم الا نفر منهم  
 سماهم أمر بقتلهم وان وجد تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وانما أمر بقتله لانه كان  
 قد أسلم فارتد مشركا كفر الى عمان وكان أخاه من الرضاة فغيبه حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد  
 أن اطمان أهل مكة فاستأمنه له وعبد الله بن خطل رجل من بني تميم بن غالب وانما أمر بقتله لانه كان مسلما  
 فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقا وكان له مولى يتخدمه وكان مساهما فزل منزلا وأمر المولى ان يذبح له  
 نيسا ويصنع له طعاما وانما فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قيتان تغنيان

بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتلهما معه والحويرث بن نقيد بن وهب وكان ممن يؤذيه بمكة  
 ومقيس بن صبابه وانما امر بقتله لقتله الانصاري الذي قتل أخاه خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة  
 مولاة لبي بن عبد المطالب وكانت ممن يؤذيه بمكة وعكرمة بن أبي جهل فاما عكرمة فهرب الى اليمن وأسلمت  
 امرأتها أم حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت في طلبه حتى  
 أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة  
 الاسلمي اشتركا في دمه وأما مقيس بن صبابه فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه وأما قيس بن خطل  
 فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استؤم من طار رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها وأما سارة فتغيبت  
 حتى استؤم من طار رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرسالة في زمن  
 عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها وأما الحويرث بن نقيد فقتله علي بن أبي طالب قالت أم هاني لما نزل رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فرالى رجلان من أحنائي من بني مخزوم وكانت عند هيرة بن أبي وهب  
 المخزومي قالت فدخل علي بن أبي طالب أخى فقال والله لاقتلهم ما فاعلقت عليهم ما باب بيتي ثم جئت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة وان فيها الأبر المجين وفاطمة ابنته  
 تستره بثوبه فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات الضحى ثم انصرف الى فقال مرحبا  
 وأهلا بأم هاني ما جاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي بن أبي طالب فقال قد أجرنا من أجرنا وأمننا من  
 أمنت فلا تقتلهم أتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما طمان الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعة على  
 راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة وأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت  
 له فدخلها فوجد فيها حجارة من عديدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفله  
 الناس في المسجد فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا  
 كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهي تحت قدحى هاتين الاسدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتل الخطأ شبه العمد  
 بالسوط والعصافيه الدية مغلظة مائة من الابل أربعون منها خلفه في بطونها ولادها يامعشر قريش ان الله  
 قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس  
 انا خلقناكم من ذكروا نبي الآية ثم قال يامعشر قريش ما ترون انى فاعل فيكم قالوا اخيرا أخ كريم وابن أخ  
 كريم قال فاذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وقد كان الله أمكنه منهم  
 عنوة فبذللك سموا أهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اليه علي بن أبي طالب  
 ومفتاح الكعبة بيده فقال يا رسول الله اجع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين  
 عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس فيبايعونه على السمع  
 والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن أمية يريد  
 جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يا رسول الله ان صفوان بن أمية سيد قومي قد خرج  
 هار يامنك ليقتد بنفسه في البحر فأمنه يا رسول الله فقال هو آمن قال يا رسول الله عطني شيئا يعرف به أمانك  
 فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة وهو يريد أن  
 يركب البحر فقال يا صفوان فدالك أبي وأمي أذكرك الله في نفسك أن تهلك كما فهذا أمان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم جنتك به فقال وبلك أعزب عنى لا تسكمنى قال فدالك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم  
 الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكك ملكك قال انى أخافه على نفسى قال هو أحلم  
 من ذلك وأكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم



أنك أنتى قال صدق قال فاجعلنى فى ذلك بالخيار شهرين قال أنت بالخيار أربعة أشهر قال ابن هشام وبلغنى أن  
 النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعوه وقد أهدت به الانصار فقالوا فيما بينهم  
 أترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه مكة أرضه وبلادهم يقيم بها فامار غ من دعائه قال  
 ما اذا قلتم قالوا لا شئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبى صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم  
 والممات ممانكم قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر  
 ليال بقين من رمضان سنة ثمان وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر  
 الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنيننا (ق) عن أبى هريرة ان خزاعة قتلا رجلا من بنى لبيد  
 عام الفتح بقتيل لهم فى الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال ان  
 الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين الا وانهم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد من بعدى الا  
 وانما حلت لى ساعة من نهار الا وانها ساعتى هذه فلا ينفر صيدها ولا يتخلى خلاها ولا يقطع شوكةا ولا تحل  
 ساقطها الا المنشد ومن قتل له قتيلا فهو بخير النظرين اما ان يفتدى واما ان يقيد فقال العباس الا الاذخر  
 فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن  
 فقال اكتبوا لى يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لى شاه قال الاوزاعى يعنى  
 الخطبة التى سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله تعالى اذا جاء نصر الله يعنى اذا جاءك  
 يا محمد نصر الله ومعوتته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجيء النصر ان جميع الامور مرتبة باوقاتها  
 يستحيل تقدمها عن وقتها وتأخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهاذا  
 المعنى قال اذا جاء نصر الله والفتح يعنى فتح مكة فى قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر الله المؤمنين  
 وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على  
 الاعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهاذا بدأ بكر النصر وعطف عليه الفتح وقيل النصر  
 هو كمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الذى هو تمام النعمة (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله  
 أفواجا) يعنى زمر اوارسال القبيلة بسرها والقوم باجمعهم من غير فقال قال الحسن لما فتح الله على رسوله  
 صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر الله محمد اباهل الحرم وكان قد أجازهم من أصحاب  
 الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون فى دين الله أفواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين  
 اثنين وقيل أراد بالناس أهل اليمن (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا كمل أهل اليمن  
 هم اضعف قلوبا وأرق أفئدة الايمان بيمان والحكمة بمانية ودين الله هو الاسلام وأضافه اليه تشرىفا  
 وتعظيما له كبيت الله وناقة الله ﷺ قوله (فسبح بحمدر بك واستغفره انه كان توابا) يعنى فانك حينئذ لاحق  
 به (ق) عن ابن عباس قال كان عمر يدخلى مع أشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء  
 مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاهم معهم قال وما رأيت انه كان دعانى يومئذ الا ليربهم قال  
 ما تقولون فى قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم أمرنا ان نحمد الله  
 ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى أ كذلك تقول يا ابن عباس قال قلت  
 لاقال فما هو قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة  
 أجلك فسبح بحمدر بك واستغفره انه كان توابا قال عمر ما أعلم منها الا ما تعلم (ق) عن عائشة قالت ما صلى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان أنزلت عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا  
 وبحمدك اللهم اغفر لى وفى رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثرا أن يقول فى ركوعه وسجوده  
 سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن وفى رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثرا

(ورأيت الناس يدخلون)  
 هو حال من الناس على ان  
 رأيت بمعنى أبصرت أو  
 عرفت أو مفعول ثان على  
 انه بمعنى علمت (فى دين  
 الله أفواجا) هو حال من  
 فاعل يدخلون وجواب  
 اذا فسبح أى اذا جاء نصر  
 الله اياك على من ناولك  
 وفتح البلاد ورأيت أهل  
 اليمن يدخلون فى صلاة  
 الاسلام جماعات كثيرة بعد  
 ما كانوا يدخلون فيه  
 واحدا واحدا واثنين اثنين  
 (فسبح بحمدر بك) فقل  
 سبحان الله حامدا له أو  
 فصل له (واستغفره) تواسعا  
 وهضم النفس أو دم على  
 الاستغفار (انه كان) ولم  
 يزل (توابا) التواب  
 الكثير القبول للتوبة  
 وفى صفة العباد الكثير  
 الفعل للتوبة ويروى ان  
 عمر رضى الله عنه لما  
 سمعها بكى وقال الكمال  
 دليل الزوال وعاش رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم  
 بعد هاستين والله أعلم

﴿سورة أبي طهب مكية وهي

خمس آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا أبي طهب) التباب

الهلاك ومنه قولهم أشابه

أم ثابة أي هالكه من

الهرم والمعنى هلكت يدها

لانه فيما يروى أخذ حجرا

ليرمي به رسول الله صلى

الله عليه وسلم (وئب)

وهلك كله أو جعلت يدها

هالكين والمراد اهلاك

جلته كقوله بما قدمت

يداك ومعنى وئب وكان

ذلك وحصل كقوله

جزاني جزاه الله شر جزائه

جزاء الكلاب العاويات

وقد فعل وقد دلت عليه

قراءة ابن مسعود رضي الله

عنه وقد تب روى انه لما

نزل وأنذر عشيرتكم

الاقرب بين رقى الصفا وقال

يا صباحاه فاستجمع اليه

الناس من كل أوب فقال

عليه الصلاة والسلام يا بني

عبد المطلب يا بني فهران

أخبرتمكم ان بفسح هذا

الجبل خيلاً كنتم مصدق

قالوا نعم قال فاني نذير لكم

بين يدي الساعة فقال أبو

طهب تبالك ألهذا دعوتنا

فنزلت وانما كناه

والتسكنية تسكرمة لاشتهاره

القول من سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه وقال أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فاذا رأيتها كثرت من قول الله سبحان الله وبحمده واستغفر الله وأتوب اليه فقدر رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسيح بحمده بك واستغفره انه كان توابا قال قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم انه نعت اليه نفسه وقال الحسن اعلم انه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فاشتغل أنت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فالاشتغال بهذه الطاعة يصير سبباً لزيد درجاتك في الدنيا والآخرة وفي معنى التسبيح وجهان أحدهما نزهة بك عما لا يليق بجلاله ثم أحده والثاني فصل لربك لان التسبيح جزء من أجزاء الصلاة ثم قيل عنى به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافياً في أداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت ما معنى هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قلت انه تعبد الله بذلك ليقنتى به غيره اذ لا يأمن كل واحد من نقص يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغنى عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو من ترك الافضل والاولى لاعتن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغائر على الانبياء يكون المعنى واستغفر لما عسى أن يكون قد وقع من تلك الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب أمته وهذا ظاهر لان الله تعالى أمره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة أبي طهب﴾

﴿وهي مكية وخمس آيات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفاً﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (تبت يدا أبي طهب) (ق) عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتكم الاقر بين سعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا وناذى يابني فهران يابني عدى لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يرسل رسولا لينظر ما هو جأء أبو طهب وقر يش فقال أربتمكم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقني قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد فقال أبو طهب تبالك سائر اليوم ألهذا اجتمعنا فنزلت تبت يدا أبي طهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت عليه قريش الحديث وذ كرنحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضى الى الهلاك والمراد من اليد صاحبها وجملة يده وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه وقيل انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فأدعى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقوله خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال الى اليد وأبو طهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكنى يابني طهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت لم كناهه في الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه أحدها انه كان مشهورا بالكنية دون الاسم فاوذكراه باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه لما كان من أهل النار وما له الى النار والنار ذات طهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكرها (وئب) قيل الاول أخرج مخرج الدعاء عليه والثاني أخرج مخرج الخبر كما يقال أهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا أبي طهب يعني ماله ومملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد

اسمه فاسمه عبد العزيز أولان ما له الى نار ذات طب فوافقت حاله كنيته أنى طب مسكى (ما أغنى عنه ماله) مالنقى (وما كسب) مرفوع ومما موصولة أو مصدرية أى ومكسوبة أو وكسبه أى لم ينعه ماله النبى ورثه من أبيه والذى كسبه بنعه أو ماله التالد والطارف وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب (٤٥٦) ولده وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخى حقا فانا أفتدى

يعنون به المال وتب يعنى نفسه أى قد أهلكت نفسه (ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقر بآء الى الله تعالى قال أبو طب ان كان ما تقول يا ابن أخى حقا فانا فتدى نفسى بمالى وولدى فأتزل الله تعالى ما أغنى عنه ماله أى شئ يعنى عنه ماله أى ما يدفع عنه عذاب الله وما كسب يعنى من المال وكان صاحب مواش أى ما جمع من المال أو ما كسب من المال أى ربح بعد رأس ماله وقيل وما كسب يعنى ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء فى الحديث ان أطيب ما أكتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم أخرجه الترمذى ثم أوعده بالنار فقال تعالى (سيصلى نار اذات طب) أى نار ائتلب عليه (وامرأته) يعنى أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان بن حرب عمه معاوية بن أبى سفيان وكانت فى بهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (جمالة الحطب) قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاء بالليل فتطرحه فى طرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتؤذيهم بذلك وهى رواية عن ابن عباس فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها فى نهاية البخل والحسة فكان يحملها يتخلها على حمل الحطب بنفسها ويحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى انها استعين فى ذلك باحد بل تفعله هى بنفسها وقيل كانت تمشى بالنميمة وتنقل الحديث وتلقى العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغرى به وقيل جمالة الخطايا والآثام التى حلتها فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت كالحطب فى مصيرها الى النار (فى جيدها) أى عنقها (حبل من مسد) قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون ساثرها فى عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل هو الذى كانت تحتطب به فيبناهى ذات يوم حامله الحزمة أعيت فقعدت على حجر تستريح أتاها ملك فخذبها من خلفها فاهلكها وقيل هو حبل من شجر يثبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت لها خزرات فى عنقها وقيل كانت لها قلادة فاخرة قالت لانفقها فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

### ﴿تفسير سورة الاخلاص﴾

﴿وهى مكية وقيل مدنية وهى أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفا﴾

﴿فصل فى فضلها﴾ (خ) عن أبى سعيد الخدرى ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يردددها فلما أصبح جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقاهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انها تعدل ثلث القرآن وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحابه أبجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله أحد الله الصمد ثلث القرآن (م) عن أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من القرآن (م) عن أبى هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها وقد ذكر العلماء رضى الله عنهم فى كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن أقوالا متناسبة متقاربة فقيل ان القرآن العزيز لا يعدو وثلاثة أقسام وهى الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه أو وصفاته أو أسمائه أو معرفته أفعاله

منه نفسى بمالى وولدى (سيصلى ناراً) سيدخل سيصلى البرجى عن أبى بكر والسيد للوعيد أى هو كائن لا محالة وان تراخى وقته (ذات طب) توقد (وامرأته) هى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان (جمالة الحطب) كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنترها بالليل فى طرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشى بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس ونصب عاصم جمالة الحطب على الشتم وأنأحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وعلى هذا يسوغ الوقف على امرأته لانها عطف على الضمير فى سيصلى أى سيصلى هو وامرأته والتقدير أعنى جمالة الحطب وغيره رفع جمالة الحطب على انها خير وامرأته أو هى جمالة (فى جيدها حبل من مسد) حال أو خبر آخر والمسد الذى قتل من الحبال قتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما والمعنى فى جيدها

حبل ممامسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتر بطها فى جيدها كما يفعل الخطابون تحقيرا

الها ونصوير الها بصورة بعض الخطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلمها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب التروة والجدة والله أعلم

﴿سورة الاخلاص أربع آيات مكية عند الجمهور وقيل مدنية عند أهل البصرة﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو ضمير الشأن والله أحد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هدا وهو ان الله وحده لا ثاني له ومحل هو الرفع على الابتداء والخبر هو الجلالة ولا يحتاج الى الرجوع لانه في حكم المفرد في قولك زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد بدأ به منطلق فأن زيد والجلالة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قالت قرينش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتوني وصفه هو الله تعالى وعلى هذا أحد خبر مبتدأ محذوف أي هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله (٤٥٧) وحده فقلت الواو همزة لوقوعها طرفاً

والدليل على أنه واحد من جهة العقل ان الواحد اما أن يكون في تدبير العالم وتخليقه كافيًا ولا فان كان كافيًا كان الآخر ضاعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيًا فهو ناقص ولان العقل يقتضي احتياج المفعول الى فاعل والفاعل الواحد كفا وما وراء الواحد فليس عدد أولي من عدد فيفضي ذلك الى وجود أعداد لانهاية لها وذا محال فالقول بوجود الهين محال ولان أحدهما اما ان يقدر على ان يسترشيا من أفعاله عن الآخر أو لا يقدر فان قدر لزم كون المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا ولانا لو فرضنا معدوما يمكن الوجود فان لم يقدر واحد منهما على إيجادها كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها وان قدر أحدهما دون الآخر فالآخر لا يكون الها وان قدر اجمعها فاما أن يوجد

وستتم مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث القرآن لان منتهى التقديس في أن يكون واحدا في ثلاثة أمور لا يكون حاصلًا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولم يولد ولا يكون حاصلًا من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون أحد في درجته وان لم يكن أصلًا ولا فرعًا منه ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا أحد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله أحد وجملته وتفصيله هو قولك لا اله الا الله فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذي لا تنهيه أسرارها ولا تنقضى عجائبه وقال الامام نضر الدين الرازي لعل الغرض منه أن يكون المقصود الاشراف في جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى فلها ذلك كانت هذه السورة معادلة لثلاث القرآن وقال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله قيل معناه ان القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله أحد متمحضة للصفات فهي ثلث القرآن وجزء من ثلاثة أجزاء وقيل معناه ان ثواب قراءتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف قوله يتقاطعا يقال استقلت الشيء وتقلته ونقلت الشيء عدده قليلا في بابها ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله أحد سورة الاخلاص اما لانها خاصة لله تعالى في صفتها ولان قارئها قد اخلص لله التوحيد ومن فوائدها هذه السورة أن الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيهه الله تعالى وبرائه عن كل ما يليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصدقية والفرديانية وعدم النظير عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد محبت عنه ذنوب خمسين سنة الا أن يكون عليه دين وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينام على فراشه فنام على عيئه فقرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب جل جلاله يا عبدى ادخل عن يمينك الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعنه أن رجلا قال يا رسول الله اني أحب هذه السورة قل هو الله أحد قال حبك اياها أدخلك الجنة أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

قوله عز وجل (قل هو الله أحد) عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان نسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله أحد الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا أحد قال لم يكن له شبه ولا عدل وليس كمثلها شيء أخرجه الترمذي وقال وقد روى عن أبي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا ان نسب لنا

(٥٨ - خازن) - رابع

بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد منهما على إيجاده بالاستقلال فاذا أوجده أحدهما فاما ان يبقى الثاني قادر عليه وهو محال وان لم يبقى حينئذ يكون الاول منيلا قدرة الثاني فيكون عاجزا ومهورا تحت تصرفه فلا يكون الها فان قلت الواحد اذا أوجد مقدور نفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم أن يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد اذا أوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا واما الشريك فيما نفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تعجيزا

وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد لا شريك له وهو الذي بصمد اليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغنى عنهم (لم يلد) لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدها وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لان كل مولود محدث وجسم وهو قد سبق لأول لوجوده اذ لو لم يكن قد سبق بالكان حادثا لعدم الواسطة بينهما ولو كان حادثا لافتقر الى محدث وكذا الثاني والثالث فيؤدى الى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لانه اسم للمتركب ولا يتخلو حينئذ من ان يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء الها فيفسد القول به كما فسده بالهين وغير متصف بهابل باضدادها من سمات الحدوث وهو محال (ولم يكن له كفوا أحد) ولم يكافئه أحد أي لم يماثله سألوه ان يصفه لهم فاروحى اليه ما يحتوى على صفاته تعالى فقوله هو الله اشارة الى انه خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة

ر بك فاتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله أحد وذ كرنحوه ولم يذ كرفيه عن أبي بن كعب وهذا أصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الام تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا من ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت هذه السورة وأهلك الله أربد بالصاعقة و عامر بالطاعون وقد تقدم ذكرهما في سورة الرعد وقيل جاء ناس من أحبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى أنزل نعتة في التوراة فاخبرنا من أى شئ هو وهل يأكل ويشرب وعن روث الربو بية ولمن يورثها فانزل الله هذه السورة قل هو الله أحد يعنى الذى سألتموني عنه هو الله الواحد فى الالهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لا يوصف أحد بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل أحد ودرهم أحد بل أحد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها أحد والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد يدخل فى الاحد ولا ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل فى الاثبات والاحدى فى النفي تقول فى الاثبات رأيت رجلا واحدا وفى النفي ما رأيت أحد افتقيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضايفه أحد والاحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه أحد (الله الصمد) قال ابن عباس الصمد الذى لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة ان الصمد الشئ الصمد الصلب الذى ليس فيه رطوبة ولا رخاوة ومنه يقال السداد القارورة الصماد فان فسر الصمد بهذا كان من صفات الاجسام ويتعالى الله جل وعز عن صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول ان الصمد الذى ليس باجوف معناه هو الذى لا يأكل ولا يشرب وهو الغنى عن كل شئ فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبية على انه تعالى بخلاف من أثبتوا له الالهية واليه الاشارة بقوله تعالى ما المسيح ابن مريم الارسل قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يا كلان الطعام وقيل الصمد الذى ليس باجوف شيئا أحد محمدون الانسان وهو سائر الجادات الصلبة والثاني أشرف من الانسان وأعلى منه وهو البارى جل وعز وقال أنى بن كعب الصمد الذى لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخارى فى أفرادة عن أنى وائل شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذى انتهى سودده وهى رواية عن ابن عباس أيضا قال هو السيد الذى كمل فيه جميع أوصاف السوود وقيل هو السيد المقصود فى جميع الحوائج المرغوب اليه فى الرغائب المستعان به عند المصائب وتفرج الكرب وقيل هو الكمال فى جميع صفاته وأفعاله وتلك الداعلى أنه المنتهى فى السوود والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذى ليس فوقه أحد وهو قول على وقيل هو الذى لا تعتر به الآفات ولا تغيره الاوقات وقيل هو الذى لا عيب فيه وقيل الصمد هو الازل الذى ليس له زوال والآخر الذى ليس للملكة انتقال والاوى أن يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضى أن لا يكون فى الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شئ وانه اسم خاص بالله تعالى انفرده به الاسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثل شئ وهو السميع البصير قوله عز وجل (لم يلد ولم يولد) وذلك ان مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله لم يلد يعنى كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه ان من ولد كان له والد فنفي عنه احاطة النسب من جميع الجهات فهو الازل الذى لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذى لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذى لم يكن له كفوا أحد أى ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبهة فنفي عنه بقوله (ولم يكن له كفوا أحد) العديل والنظير والصاحبة والولد (خ) عن أنى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم

والعلم لكونه واقعا على غاية احكام وانساق وانتظام وفى ذلك وصفه بانه سى لان المتصف بالقدرة والعلم لا بد وأن يكون قال حيار فى ذلك وصفه بانه سميع بصير يدمستكم الى غير ذلك من صفات الكمال اذ لو لم يكن موصوفاها لكان موصوفا باضدادها وهى تقاوص

وذا من أمارات الحدوث فيستحيل اتصاف القديم بها وقوله أحد وصف بالوحدانية ونفي الشريك وبأنه المتفرد بإيجاد المعنومات والمشوحد  
بعدم الخفيات وقوله الصمد وصف بأنه ليس الاحتجاج اليه واذ لم يكن الاحتجاج اليه فهو غني لا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد وقوله لم يلد  
نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يولد نفي للحدوث ووصف بالقدم والاقترانية وقوله ولم يكن له كفواً أحد نفي أن يماثله شيء ومن زعم أن نفي الكفوة  
وهو المنسل في الماضي لا يدل على نفيه للحال والكفار يدعون في الحال فقد تاه في غيبه لأنه اذ لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة  
إذ الحادث لا يكون كفواً للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤول إلى الاشارة (٤٥٩) والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع السلك كما

قررنا واستحسن سبويه  
تقديم الظرف اذا كان  
مستقرا أي خبرا لأنه لما  
كان محتاجا اليه قدم ليعلم  
من أول الامر انه خبر  
لافضلة وتأخيرها اذا كان  
لغوا أي فضلة لان التأخير  
مستحق للفضلات وإنما  
قدم في الكلام الافصح  
لان الكلام سميق لنفي  
المكافأة عن ذات البارئ  
سبحانه وهذا المعنى مصبه  
ومر كره هو هذا الظرف  
فكان الاعم تقديمه وكان  
أبو عمرو يستحب الوقف  
على أحد ولا يستحب  
الوصل قال عبد الوارث  
على هذا أدر كنا القراء  
واذا وصل نون وكسرا و  
حذف التنوين كقراءة  
عزير ابن الله كفواً يسكون  
الفاء والهمزة حزة وخلف  
كفواً مثقلة غير مهموزة  
حفص الباقية مثقلة  
مهموزة وفي الحديث من  
قرأ سورة الاخلاص فقد  
قرأ ثلث القرآن لان القرآن

قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقول له لن  
يعيدني كما بداني وليس أول الخلق باهون علي من اعادته وأما شتمه اياي فقول له اتخذ الله ولدا وأنا الاحد  
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الفلق وهي مدنية﴾

وقيل مكية والاول أصح وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربع وسبعون حرفاً (م) عن عقبه بن  
عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق  
وقل أعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن وفيه  
رد على من نسب إلى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل من القرآن أيضاً وأنه من أول السورتين  
بعد البسملة وقد اجتمعت الامم على هذا كله بخلاف ذكره (خ) عن زر بن حبیش قال سألت أنى  
ابن كعب عن المعوذتين قلت يا أبا الوليد ان أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سألت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقال قيل لى فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية مثلها ولم يذكر  
ابن مسعود عن عبد الله بن حبيب قال أصابنا طس وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا  
نخرج فقال قل قلت ما أقول قال قل هو الله أحد الله الصمد والمعوذتين حين تسمى وحين تصبح تكفيك كل  
شيء وفي رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فاصبت خلوة من رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فدنوت منه فقال قل فات ما أقول قال قل أعوذ برب الفلق حتى تختمها ثم قل أعوذ برب الناس  
حتى تختمها ثم قال ما تعوذ الناس بأفضل منهما أخرجه النسائي عن جابر بمثله ومعنى الطس والطشيش المطر  
الضعيف وهو قول أبي الدرداء

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهودي يخدم النبي صلى الله  
عليه وسلم فذبت اليه اليهود فلم يزلوا به حتى أخذ من مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من  
أسنان مشطه فعاظها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان  
فيه (ق) عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشيء ولم يصنعه وفي رواية  
انه يخيل اليه فعل الشيء وما فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال أشعرت يا عائشة ان الله  
قد أتاني فيما استفتيته فيه فات وما ذلك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر  
عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودي  
من بني زريق قال فيما ذاق في مشط ومشاطة وجف طلعت ذكراً قال فابن هو قال في بئر ذر وان ومن الرواة

يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الاوامر والنواهي وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات فقد  
تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلومات ويتضح بوضوحه ومعلوم هذا العلم هو  
الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم احشرناني زمرة العالمين بك العالمين لك الراجين  
لثوابك الخائفين من عقابك المسكرين بلقائك وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فقيل يا رسول  
الله ما وجبت قال وجبت له الجنة ﴿سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾  
أي الصبح أو الخلق أو هو وداني جهنم أو جب فيها

من قال في بر بن زريق قد هب النبي صلى الله عليه وسلم في أماس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها ونخل ثم  
 رجع إلى عائشة فقال والله لكان ماء هانقاعة الحناء وكان نخلها رؤس الشياطين قات يارسول الله  
 فأخرجه قال أما أنا فقد عافاني الله وشفاني وخفت أن أثير على الناس منه شر أو في رواية للبخاري أنه كان يرى  
 أنه يأتي النساء ولا ياتهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذلك عن زيد بن أرقم قال  
 سحر رجل من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى ذلك أياما فأتاه جبريل فقال إن رجلا من اليهود  
 سحرك وعقد لك عقدا في بر كذا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجهما فاجأها فخلها فجعل  
 كما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال فاذكر ذلك لليهودي  
 ولأراه في وجهه قط أخرجه النسائي وروى أنه كان تحت شجرة في البئر ففعلوا الصخرة وأخر جواحف  
 الطلعة فاذا فيه مشاطة من رأسه صلى الله عليه وسلم وأسنان من مشطه وقيل كان في وتر عقده عليه إحدى  
 عشرة عقدة وقيل كان مغروزا بالابرة فانزل الله هاتين السورتين وهما إحدى عشرة آية سورة الفلق خمس  
 آيات وسورة الناس ست آيات فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت القعدة كلها فقام النبي صلى الله  
 عليه وسلم كأنما نشط من عقال وروى أنه لبث ستة أشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان (م)  
 عن أبي سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكت فقال نعم قال بسم الله  
 أرقبك من كل شيء يؤذيك ومن شركك نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقبك

فصل وقيل التبرع في التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وما قيل في السحر وما قيل في الرقي  
 قولها في الحديث إن النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل إليه أنه يصنع الشيء ولم يصنع قال الامام  
 المازري مذهب أهل السنة وجهور علماء الأمة على اثبات السحر وإن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء  
 الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفي حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لاحقات لها وقد ذكره الله  
 في كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به وأنه يفرق بين المرعوز وجه وهذا كله  
 لا يمكن أن يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح بإثباته ولا يستنكر في العقل إن الله تعالى  
 يخرق العادة عند النطق بكلام معلق أو تركيب أجسام أو المزوج بين قوى لا يعرفها إلا الساحر وأنه لا فاعل  
 إلا الله تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى على يده من يشاء من عباده فإن قلت المستعاض منه هل  
 هو بقضاء الله وقدره أم لا فإن كان بقضاء الله وقدره فكيف يأمر بالاستعاضة مع أن ما قدر لا بد واقع وإن لم  
 يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدرة قلت كل ما وقع في الوجود هو بقضاء الله وقدره والاستشفاء  
 بالتعوذ والرقي من قضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ما روى الترمذي عن ابن أبي حزيمة عن أبيه قال  
 سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله أرايت رقي نستري به أو دواء تستدأوي به وثقاة تتقيها  
 هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله تعالى قال الترمذي هذا حديث حسن وعن عمر نفر من قدر  
 الله إلى قدر الله تعالى

فصل وقد أنكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه وزعم أنه يحط منصب النبوة ويشكك  
 فيها وإن تجوز به يمنع الثقة بالسرور ودعى هذا المبتدع بان الذي ادعاه باطل لأن الدلائل القطعية  
 والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمجازة شاهدة بذلك  
 وتجوز ما قام الدليل بخلافه باطل وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا وهو ما يعرض للتشريف بعيد أن  
 يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له وقد قيل أنه كان يخيل أنه وطئ زوجته وليس بواطئ وهذا مثل  
 ما يتخيله الإنسان في المنام فلا يبعد أن يتخيله في اليقظة ولا حقيقة له وقيل أنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله  
 ولكن لا يعتقد صحة ما تخيله فتكون اعتقاداته على السداد قال القاضي عياض وقد جاءت في بعض

روايات هذا الحديث مبيته ان السحر انما سيط على بدنه وظواهر جوارحه لاعلى قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك ما يوجب افساس على الرسالة ولا طعنا لاهل الزيغ والضلالة وقوله ما وجع الرجل قال مطبوع أى مسحور قوله وجف طلعة ذكرى روى بالباء و يروى بالفاء وهو وعاء طلع النخل وأما الرقى والتعاوى بد فقد اتفق الاجماع على جواز ذلك اذا كان بايات من القرآن أو اذا كانت وردت في الحديث وبدل على صحته الاحاديث الواردة في ذلك منها حديث أبى سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما روى عن عبيد بن رفاعه الزرقى ان أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليه من العين أفاسترقى لهم قال نعم فإنه لو كان شئ سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح وعن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول أعوذ بالله من الجن والجنون وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية وانما المنهى عنه منهما ما كان فيه كفر أو شرك أو ما لا يعرف معناه مما ليس بهربى لجواز ان يكون فيه كفر والله أعلم وأما التفسير فقوله عز وجل قل أعوذ برب الفلق أراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثريين ورواية عن ابن عباس لان اليه الليل ينقلب عن الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعدين ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمحيء الفرج فكما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح فكذلك الخائف يتوقى محيى النجاس وقيل ان تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطربين واجابة الملهوفين فكانه يقول قل أعوذ برب الوقت الذى يفرج فيه هم المهمومين والمغمومين وروى عن ابن عباس ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو وادى جهنم اذا فتح استعاض أهل النار من حره ووجهه ان المستعدين قال أعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروى عن ابن عباس أيضا ان الفلق التاوىل ان الله تعالى فلق ظلمات بحر العلم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكانه قال قل أعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات (من شر ما خلق) قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذى شر وقيل من شر ما خلق من الجن والانس (ومن شر غاسق اذا وقب) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيني بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل في الخسوف وأخذ في الغيبوبة وقيل سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل في الحماق وهو آخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمر يض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب أى أقبل بظلمته من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لانه أبرد من النهار والعسق البرد وانما أمر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الآفات ويقل الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثرى اذا سقطت وغابت وقيل ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهاذا أمر بالتعوذ من الثرى بانما سقوطها (ومن شر النفاثات في العقد) يعنى السواحر اللاتي ينقثن في عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات نبات لبيد بن الاعصم اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفت النفخ مع ريق قليل وقيل انه النفخ فقط واختلقوا في جواز النفث في الرقى والتعاوى بذال شرعية المستحبة فجوزها الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وأنكر جماعة النفل والنفت في الرقى وأجازوا النفخ بلاريق قال عكرمة لا ينبغي للراقى ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفت في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان

(من شر ما خلق) أى النار والسيطان وما موصولة والعاذ بمحمد أو مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه من شر بالتونين وما على هذا مع الفعل بتاويل المصدر في موضع الجر بدل من شر أى شر خلقه أى من خلق شر أو زائدة (ومن شر غاسق اذا وقب) الغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه ووقوبه دخول ظلامه في كل شئ وعن عائشة رضى الله عنها أخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده (ومن شر النفاثات في العقد) النفاثات النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها يرقين والنفت النفخ مع ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في انكار نفثى السحر وظهور أثره



(ومن شر حاسد اذا حسد) أي اذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه لأنه اذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لا غتنامه بسر وغيره وهو الاسف على الخير عند الغير والاستعاذة من شر هذه الاشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق اشعار بان شره هولاء أشد وختم بالحسد ليعلم أنه شرها وهو أول ذنب عصي الله به في السماء من ابليس وفي الارض من قاييسل وانما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلذا عرفت النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد يكون محمودا كالحسد في الخيرات والله أعلم ﴿سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس) أي مربيهم ومصليهم (ملك الناس) ملكهم ومدبر أمورهم (اله الناس) معبودهم ولم يكتف باظهار المضاف اليه مرة واحدة لان قوله ملك الناس اله الناس عطف ببيان لرب الناس لأنه يقال لغيره رب الناس وملك الناس وأماله الناس نخاص لا شركة فيه وعطف البيان للبيان فكأنه (٤٦٢) مظنة للاظهار دون الاضمار وانما أضيف الرب الى الناس خاصة وان كان رب كل مخلوق تشر يفالهم ولان

النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب أن لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه (ومن شر حاسد اذا حسد) الحاسد هو الذي يتمنى زوال نعمة الغير ور بما يكون مع ذلك سعي فلذلك أمر الله تعالى بالعوذ منه وأراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم وليدين الاعصم وحده والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الناس﴾

وهي مدينة وقيل مكية والاول أصح وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ قوله عز وجل (قل أعوذ برب الناس) انما خص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما أمر بالاستعاذة من شر الوسواس فكأنه قال أعوذ من شر الوسواس الى الناس بر بهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذي يعيد من شرهم وقيل ان أشرف المخلوقات هم الناس فلماذا خصهم بالذكر (ملك الناس اله الناس) انما وصف نفسه وألأبانه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا فنبه بذلك على أنه ربهم وملكهم ثم ان الملك لا يكون الهافن به قوله اله الناس على ان الالهية خاصة بالله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد والسبب في تكرير لفظة الناس يقتضى مزيد شرفهم على غيرهم (من شر الوسواس) يعني الشيطان ذا الوسواس والوسوسة الهمز والصوت الخفي (الخناس) يعني الرجاء الذي من عادته أن يخنس أي يتأخر قيل ان الشيطان جائم على قلب الانسان فاذا غفل وسها وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه وتأخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الانسان فاذا ذكر العبد به خنس ويقال رأسه كراس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب بمسه ويجذبه فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا لم يذكر الله تعالى رجوع رأسه على القلب فذلك قوله تعالى (الذي يوسوس في صدور الناس) يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد باصدر القلب (من الجنة) يعني الجن (والناس) وفي معنى الآية وجهان أحدهما أن الناس لفظ

مخلوق تشر يفالهم ولان الاستعاذة وقعت من شر الوسواس في صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الوسواس الى الناس بر بهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم وقيل أراد بالاول الاطفال ومعنى الرب بويته يدل عليه وبالثاني الشباب ولفظ الملك المنبي عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبي عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين اذ الشيطان مولع باغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة كالززال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس

بالكسر كالززال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها شغله الذي هو عا كف عليه أو مشترك

أريد ذل الوسواس والوسوسة الصوت الخفي (الخناس) الذي عادته أن يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل رجوع ووسوس اليه (الذي يوسوس في صدور الناس) في محل الجر على الصفة والرفع أو النصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس (من الجنة والناس) بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضر بان جنى وانسى كما قال شياطين الانس والجن وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس روى أنه عليه السلام سحر فرض بجاءه ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه ما باله فقال طب قال ومن طبه قال ليدين أعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذي أروان فانته صلى الله عليه وسلم فبعثت يراوعليا وعمار رضى الله عنهم فنزحوا ماء البئر وأخر جوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه واذا فيه وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فنزلت هاتان

مشارك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من أتم قالوا ناس من الجن وقد ساءهم الله تعالى رجالاته في قوله يعوذون رجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الآية ان الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانسان والوجه الثاني أن الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس فكأن شيطان الجن قد يوسوس للانسان تارة ويخنس أخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد في الوسوسة وان كره السامع ذلك الخنس وانقبض فكأنه تعالى أمر أن يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فيقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه وما قبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالعوذات وينثف فلما اشتد وجهه كنت أقرأ عليه وامسح عنه يديه رجاء بركتهما أخرجه مالك في الموطأ ولهما معناه (ق) عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه يقوم به آتاه الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آتاه الليل وأطراف النهار عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من أول القرآن الى آخره كما حبل ارتحل أخرجه الترمذى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

السورتان فكما قرأ جبريل آية انحلت عقدة حتى قام عليه السلام عند انحلال العقدة الاخرة كأنما نشط من عقال وجعل جبريل يقول باسم الله أرقبك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ولهذا جاوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسريانية والعبرانية والهندية فانه لا يحل اعتقاده ولا اعتماد عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وأقوالنا ومن شر ما عملنا وما لم نعمل ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

مفاتيح دار السلام

✽ يقول راجي غفران المساوي رئيس لجنة التصحيح بمطبعة دارالكتب

العربية الكبرى محمد الزهري العمر اوى ✽

الجد لله الذي أنزل القرآن نبيا نال كل هداية ووقاية يعتصم به من كل غواية كتاب أحكمت آياته  
وبهرت بلاغاته فهو المعجزة الباقية والآية النبيرة السامية ونصلي ونسلم على سيدنا محمد المرسل رحمة  
للعالمين والمحي موات القلوب بنوره المستبين وعلى آله المرتشفين من بحر فضائله وأصحابه الفائزين  
باجتلاء محاسن شمائله ✽ أما بعد ✽ فان أجل ما يدأب الانسان في تحصيله ويسعى في استطراد سبيله  
تفهم كلام الله المعجز للبقاء والعلم بما انطوى في أساليبه من حكمة الحكماء وفقه الفقهاء وذلك لا يكون  
بغير الاطلاع على التفاسير الكاشفة لمقاصده والمتعرضة لبيان فوائده اذ التفسير وان كان منه ما توقف  
عليه القواعد العربية لكن لا يمكن التعويل على ذلك بغير الوقوف على الناسخ والمنسوخ والقوائد  
التي هي بغير المنقول منه أيه وكان من أعظم من تعرض لبيان أسباب النزول المبين للفروع والاصول  
بعبارة شائقة وأساليب راتقة مع التعرض لجلب التواريخ وما ينبني الاعتماد عليه فيها وسوق الاحاديث  
المبينة لاسباب النزول ومعاني بعض الآيات مع تفسير الغامض من معانيها تفسير علامة زمانه ونادرة

وقته وفهامة أوانه الامام علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم الخازن أسكنه الله من دار

رحمته أعلى المواطن فلذلك استعيد طبعه محلى الهوامش بتفسير خاتمة المحققين

رواسطة عقدة الأئمة المدققين العلامة الامام حافظ الدين عبد الله بن أحمد

النسفي رحمه الله ولقاه رضاه وكان الفراغ من طبعه مع بذل الجهد

في تصحيحه وحسن وضعه بمطبعة دارالكتب العربية

الكبرى بمصر المحروسة المحمية بجوار سيدي

أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر

المنير وذلك في شهر محرم الحرام

سنة ١٣٢٨ هجرية على

صاحبها أفضل الصلاة

وآتم التحية

أمين

